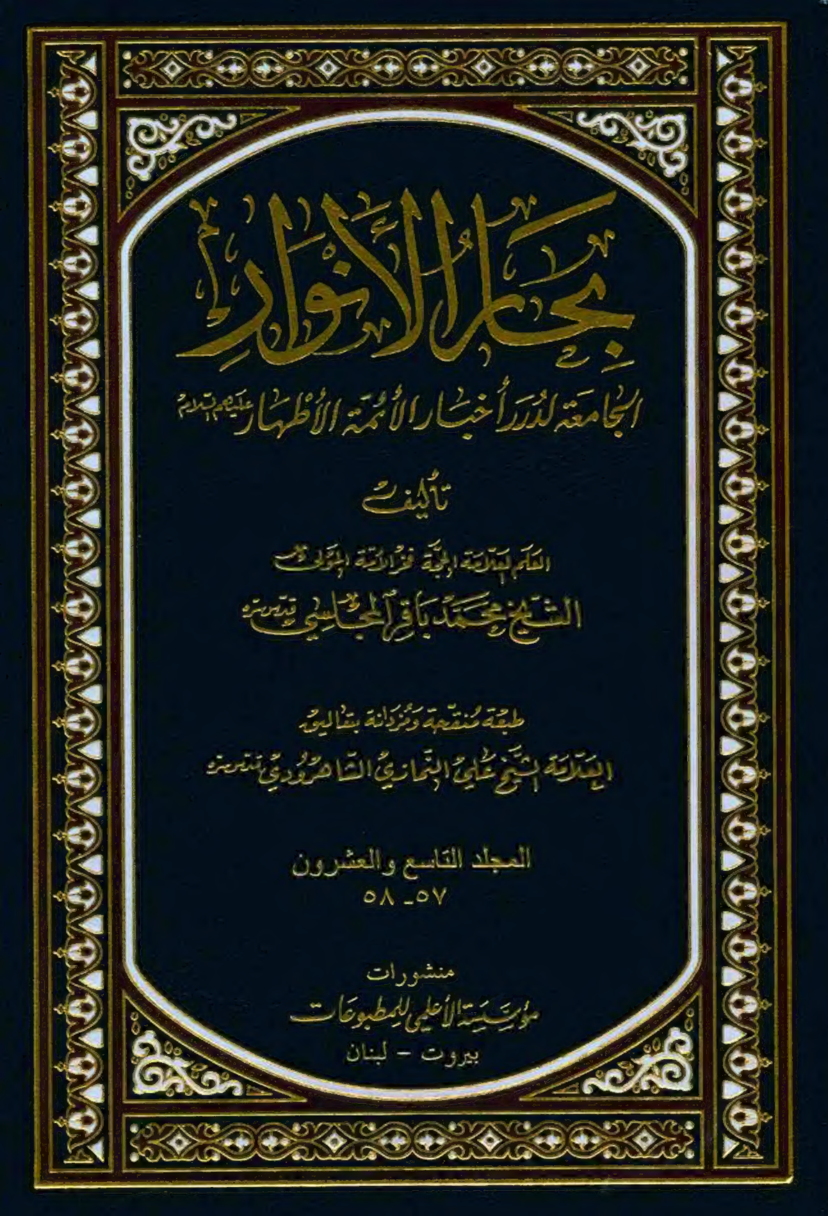

بحار الأنوار
الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام
تأليف
العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى
الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره
طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق
العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره
المجلد التاسع والعشرون
٥٧ ـ ٥٨
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان


والكاظمين الغيظ
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة


بحار الأنوار
الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار
٥٧ـ٥٨



الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء السابع و الخمسون

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص ب : ٧١٢٠

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



Published by Aalami Est.
Beirut Airport Road
Tel:01/450426 Fax:01/450427
P.O.Box.7120

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - طريق المطار - قرب ستر زعرور
هاتف:٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس:٤٥٠٤٢٧ / ٠١
صندوق بريد:٧١٢٠

E-mail:alaalami@yahoo.com
http://www.alaalami.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٣٠ - باب الرياح وأسبابها وأنواعها

الآيات: البقرة: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ «١٦٤».

الأعراف: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ «٥٧».

الحجر: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ «٢٢».

الإسراء: ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ «٦٩».

الأنبياء: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ «٨١».

الفرقان: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ «٤٨».

النمل: ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ «٦٣».

الروم: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾.

الذاريات: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا﴾. وقال سبحانه: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ «٤١».

القمر: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾.

المرسلات: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾﴾.

تفسير: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا﴾ قال الرازيّ: حدّ الريح أنّه هواء متحرّك، فنقول: كون هذا الهواء متحرّكاً ليس لذاته ولا للوازم ذاته وإلاّ لدامت الحركة بدوام ذاته، فلا بدّ وأن يكون بتحريك الفاعل المختار وهو الله جلّ جلاله. قالت الفلاسفة: ههنا سبب آخر، فبسبب تلك السخونة الشديدة ترتفع وتتصاعد، فإذا وصلت إلى القرب من الفلك كان الهواء الملتصق بمقعّر الفلك متحرّكاً على استدارة الفلك بالحركة المستديرة الّتي حصلت لتلك الطبقة من الهواء، فهي تمنع هذه الأدخنة من الصعود بل تردّها عن سمت حركتها، فحينئذ ترجع تلك الأدخنة وتتفرّق في الجوانب وبسبب ذلك التفرّق تحصل الرياح، ثمّ كلّما كانت تلك الأدخنة أكثر وكان صعودها أقوى كان رجوعها أيضاً أشدّ حركة فكانت الرياح أشدّ وأقوى. هذا حاصل ما ذكروه وهو باطل، ويدلّ على بطلانه وجوه:

الأول: أنّ صعود الأجزاء الأرضيّة إنّما يكون لشدّة تسخّنها، ولا شكّ أنّ ذلك التسخّن عرضيّ، لأنّ الأرض باردة يابسة بالطبع، فإذا كانت تلك الأجزاء الأرضيّة متصغّرة جداً

كانت سريعة الانفعال، فإذا تصاعدت ووصلت إلى الطبقة الباردة من الهواء امتنع بقاء الحرارة فيها بل تبرّده جدّاً، وإذا بردت امتنع بلوغها في الصعود إلى الطبقة الهوائيّة المتحرّكة بحركة الفلك، فبطل ما ذكروه.

الثاني: هب أنّ تلك الأجزاء الدخانيّة صعدت إلى الطبقة الهوائيّة المتحرّكة بحركة الفلك، لكنّها لمّا رجعت وجب أن تنزل على الاستقامة، لأنّ الأرض جسم ثقيل، والثقيل إنّما يتحرّك بالاستقامة، والرياح ليست كذلك، فإنّها تتحرّك يمنة ويسرة.

الثالث: أنّ حركة تلك الأجزاء الأرضيّة النازلة لا تكون حركة قاهرة، فإنّ الرياح إذا أحضرت الغبار الكثير ثمّ عاد ذلك الغبار ونزل على السطوح لم يحسّ أحد بنزولها وترى هذه الرياح تقلع الأشجار وتهدم الجبال وتموّج البحار.

الرابع: أنّه لو كان الأمر على ما قالوه لكانت الرياح كلّما كانت أشدّ وجب أن يكون حصول الأجزاء الغباريّة الأرضيّة أكثر، لكنّه ليس الأمر كذلك، لأنّ الرياح قد يعظم عصوفها وهبوبها في وجه البحر مع أنّ الحسّ يشهد بأنّه ليس في ذلك الهواء المتحرّك العاصف شيء من الغبار والكدرة، فبطل ما قالوه.

وقال المنجّمون: إنّ قوى الكواكب هي الّتي تحرّك هذه الرياح وتوجب هبوبها وذلك أيضاً بعيد، لأنّ الموجب لهبوب الرياح إن كان طبيعة الكواكب وجب دوام الرياح بدوام تلك الطبيعة، وإن كان الموجب هو طبيعة الكواكب بشرط حصوله في البرج المعيّن والدرجة المعيّنة وجب أن يتحرّك هواء كلّ العالم وليس كذلك. وأيضاً قد بيّنّا أنّ الأجسام متماثلة فاختصاص الكوكب المعيّن والبرج المعيّن والطبيعة الّتي لأجلها اقتضت ذلك الأثر الخاصّ لا بدّ وأن يكون بتخصيص الفاعل المختار فثبت أنّ محرّك الرياح هو الله سبحانه، وثبت بالدليل العقليّ أيضاً صحّة قوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾.

قوله: (نُشراً)[1] أي منتشرة متفرّقة، فجزء من أجزاء الريح يذهب يمنة، وجزء آخر يذهب يسرة، وكذا القول في سائر الأجزاء، فإنّ كلّ واحد منها يذهب إلى جانب آخر، فنقول: لا شكّ أنّ طبيعة الهواء طبيعة واحدة ونسبة الأفلاك والأنجم والطبائع إلى كلّ واحد من الأجزاء من ذلك الريح نسبة واحدة، فاختصاص بعض أجزاء الريح بالذهاب يمنة والجزء الآخر بالذهاب يسرة وجب أن لا يكون ذلك إلاّ بتخصيص الفاعل المختار.

﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي بين يدي المطر الّذي هو رحمته، فإن قيل: فقد نجد المطر ولا تتقدّمه الرياح، قلنا: ليس في الآية أنّ هذا التقدّم حاصل في كلّ الأحوال فلم يتوجّه السؤال. وأيضاً فيجوز أن تتقدّمه هذه الرياح وإن كنّا لا نشعر بها. وعن ابن عمر: الرياح ثمان، أربع

---

(١) على قراءة من قرأها بالنون بدل الباء.

منها عذاب وهو: القاصف، والعاصف، والصرصر، والعقيم، وأربع منها رحمة: الناشرات، والمبشّرات، والمرسلات، والذاريات، وعن النبيّ ﷺ: نصرت بالصبا، وأهلك عاد بالدبور، والجنوب من ريح الجنّة. وعن كعب: لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة أيّام لأنتن أكثر الأرض(١).

﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: أي فإذا ركبتم البحر أرسل عليكم ريحاً شديدة كاسرة للسفينة، وقيل: الحاصب: الريح المهلكة في البرّ والقاصف: المهلكة في البحر. ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ من نعم الله(٢).

﴿أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ﴾ قال البيضاويّ: أي الشمال والصبا والجنوب، فإنّها رياح الرحمة، وأمّا الدبور فريح العذاب، ومنه قوله ﷺ: «اللّهمّ اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً» وقرأ ابن كثير والحمزة والكسائيّ (الريح) على إرادة الجنس ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ يعني المنافع التابعة لها، وقيل: الخصب التابع لنزول المطر المسبّب عنها أو الروح الّذي هو مع هبوبها، والعطف على علّة محذوفة دلّ عليها ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ أو عليها باعتبار المعنى، أو على ﴿يُرْسِلَ﴾ بإضمار فعل معلّل دلّ عليه. ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ يعني تجارة البحر(٣).

﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ أي فرأوا الأثر والزرع، فإنّه مدلول عليه بما تقدّم، وقيل: السحاب لأنّه إذا كان مصفرّاً لم يمطر، واللام موطّئة للقسم دخلت على حرف الشرط. وقوله: ﴿لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ جواب سدّ مسدّ الجزاء ولذلك فسّر بالاستقبال وهذه الآية ناعية على الكفّار بقلّة تثبّتهم وعدم تدبّرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكّرهم وسوء رأيهم، فإنّ النظر السويّ يقتضي أن يتوكّلوا على الله ويلجؤوا إليه بالاستغفار إذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته، وأن يبادروا إلى الشكر والاستدامة بالطاعة إذا أصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار، وأن يصبروا على بلائه إذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه(٤).

أقول: وقد مرّ تفسير الذاريات بالرياح الّتي تذرو التراب وهشيم النبت. وقال الطبرسيّ رحمه الله: الريح العقيم هي الّتي عقمت عن أن تأتي بخير، من تنشئة سحاب، أو تلقيح شجر، أو تذرية طعام، أو نفع حيوان، فهي كالمرأة الممنوعة عن الولادة، إذ هي ريح الإهلاك. وقال في قوله تعالى: ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي شديدة الهبوب، وقيل: باردة من الصرّ وهو البرد ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ أي دائم الشؤم، استمرّ عليهم بنحوسته ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾ حتّى أتت عليهم، وقيل: إنّه كان يوم الأربعاء آخر الشهر لا يدور، رواه العيّاشيّ بالإسناد عن أبي جعفر عليه السلام(٥).

---

(١) تفسير فخر الرازي، ج ١٤ ص ١٣٩.
(٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ٢٧٢.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٤٩.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٥٠.
(٥) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣١٦.

أقول: وقد مرّ أيضاً تفسير ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ بالرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس، ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾ بالرياح الشديدات الهبوب، ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ بالرياح الّتي تأتي بالمطر تنشر السحاب نشراً للغيث.

١ - **الفقيه:** قال عليّ عليه السلام: للريح رأس وجناحان[١].

بيان: لعلّ الكلام مبنيّ على الاستعارة، أي يشبه الطائر في أنّها تطير إلى كلّ جانب، وفي أنّها في بدء حدوثها قليلة ثمّ تنتشر كالطائر الّذي بسط جناحه، والله يعلم.

٢ - **الفقيه:** عن كامل، قال: كنت مع أبي جعفر عليه السلام بالعريض، فهبّت ريح شديدة، فجعل أبو جعفر عليه السلام يكبّر، ثمّ قال: إنّ التكبير يردّ الريح. وقال عليه السلام: ما بعث الله ريحاً إلاّ رحمة أو عذاباً، فإذا رأيتموها فقولوا: اللّهمّ إنّا نسألك خيرها وخير ما أُرسلت له، ونعوذ بك من شرّها وشرّ ما أُرسلت له، وكبّروا وارفعوا أصواتكم بالتكبير فإنّه يكسرها[٢].

٣ - وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خرجت ريح قطّ إلاّ بمكيال إلاّ زمن عاد، فإنّها عتت على خزّانها فخرجت في مثل خرق الإبرة فأهلكت قوم عاد[٣].

٤ - وقال الصادق عليه السلام: نعم الريح الجنوب، تكسر البرد عن المساكين، وتلقح الشجر، وتسيل الأودية[٤].

٥ - وقال عليّ عليه السلام: الرياح خمسة، منها العقيم فنعوذ بالله من شرّها، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا هبّت ريح صفراء أو حمراء أو سوداء تغيّر وجهه واصفرّ، وكان كالخائف الوجل حتّى ينزل من السماء قطرة من مطر فيرجع إليه لونه، ويقول: جاءتكم بالرحمة[٥].

٦ - **توحيد المفضل:** قال: قال الصادق عليه السلام: أُنبّهك يا مفضّل على الريح وما فيها، ألست ترى ركودها إذا ركدت كيف يحدث الكرب الّذي يكاد يأتي على النفوس، ويحرّض الأصحّاء، وينهك المرضى، ويفسد الثمار، ويعفّن البقول، ويعقب الوباء في الأبدان والآفة في الغلاّت؟ ففي هذا بيان أنّ هبوب الريح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق. وأُنبّئك عن الهواء بخلّة أُخرى، فإنّ الصوت أثر يؤثّره اصطكاك الأجسام في الهواء، والهواء يؤدّيه إلى المسامع، والناس يتكلّمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول نهارهم وبعض ليلهم، فلو كان أثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلأ العالم منه، فكان يكربهم ويفدحهم، وكانوا يحتاجون في تجديده والاستبدال به أكثر ممّا يحتاج إليه في تجديد القراطيس، لأنّ ما يلقى من الكلام أكثر ممّا يكتب، فجعل الخلاّق الحكيم - جلّ قدسه - هذا الهواء قرطاساً خفيفاً يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم، ثمّ يمحى فيعود جديداً

---

(١) - (٣) من لا يحضره الفقيه، ج ١ ص ٢٠١ ح ١٥١٨ و١٥٢٠ و١٥٢٢.

(٤) - (٥) من لا يحضره الفقيه، ج ١ ص ٢٠٢ ح ١٥٢٤ و١٥٢٦.

نقيّاً ويحمل ما حمل أبداً بلا انقطاع، وحسبك بهذا النسيم المسمّى هواء عبرة وما فيه من المصالح، فإنّه حياة هذه الأبدان والممسك لها من داخل بما يستنشق منه، ومن خارج بما تباشر من روحه، وفيه تطّرد هذه الأصوات فيؤدّي بها من البعيد، وهو الحامل لهذه الأراييح ينقلها من موضع إلى موضع. ألا ترى كيف تأتيك الرائحة من حيث تهبّ الريح؟ فكذلك الصوت، وهو القابل لهذا الحرّ والبرد اللّذين يعتقبان على العالم لصلاحه، ومنه هذه الريح الهابّة، فالريح تروح عن الأجسام، وتزجي السحاب من موضع إلى موضع ليعمّ نفعه حتّى يستكثف فيمطر وتفضّه حتّى يستخفّ فيتفشّى وتلقح الشجر، وتسير السفن، وترخي الأطعمة، وتبرّد الماء، وتشب النار، وتجفّف الأشياء النديّة، وبالجملة إنّها تحيي كلّ ما في الأرض، فلولا الريح لذوى النبات، ومات الحيوان، وحمت الأشياء وفسدت[1].

بيان: ركود الريح سكونها، والتحريض إفساد البدن، ونهكته الحمّى أي أضنته وأهزلته، وقوله «والهواء يؤدّيه» يدلّ على ما هو المذهب المنصور من تكيّف الهواء بكيفيّة الصوت كما فصّل في محلّه. ويقال: كربه الأمر أي شقّ عليه، وفدحه الدَّين أي أثقله، وريث ما فعل كذا أي قدر ما فعله. و«يبلغ» إمّا على بناء المجرّد فالعالم فاعله، أو على التفعيل فالهواء فاعله، والروح - بالفتح - الراحة ونسيم الريح. واطّرد الشيء: تبع بعضه بعضاً وجرى. والأراييح: جمع جمع للريح. وتزجي السحاب - على بناء الإفعال - أي تسوقه، وتفضّه أي تفرّقه، والتفشّي: الانتشار، وترخي الأطعمة - على [بناء] التفعيل أو الإفعال - أي تصيّرها رخوة لطيفة، وتشب النار أي توقدها.

٧ - **العلل:** عن أبيه، عن محمّد بن يحيى، عن الحسين بن إسحق التاجر، عن عليّ بن مهزيار، عن الحسن بن الحسين، عن محمّد بن فضيل، عن العرزميّ، قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام جالساً في الحجر تحت الميزاب ورجل يخاصم رجلاً وأحدهما يقول لصاحبه: والله ما تدري من أين تهبّ الريح، فلمّا أكثر عليه فقال له أبو عبد الله عليه السلام: هل تدري أنت من أين تهبّ الريح؟ فقال: لا، ولكنّي أسمع الناس يقولون، فقلت أنا لأبي عبد الله عليه السلام: من أين تهبّ الريح؟ فقال: إنّ الريح مسجونة تحت الركن الشاميّ، فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يرسل منها شيئاً أخرجه إمّا جنوباً فجنوب، وإمّا شمالاً فشمال، وإمّا صباء فصباء، وإمّا دبوراً فدبور، ثمّ قال: وآية ذلك أنّك ترى هذا الركن متحرّكاً أبداً في الصيف والشتاء والليل والنهار[2].

معاني الأخبار: عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد، بن عيسى، عن العبّاس بن معروف، عن عليّ بن مهزيار، عن محمّد بن الحسين عن محمّد بن الفضيل عن العرزميّ مثله[3].

---

(١) توحيد المفضل، ص ١٤٠.

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٤٢٧ باب ٢٠٠ ح ١.

(٣) معاني الأخبار، ص ٣٨٥.

الكافي: عن أبي عليّ الأشعريّ، عن بعض أصحابه، عن محمّد بن الفضيل مثله[١].

بيان: قوله «مسجونة» يحتمل أن يكون كناية عن قيام الملائكة الّذين بهم تهبّ تلك الرياح فوقه عند إرادة ذلك كما سيأتي، ولعلّ المراد بحركة الركن حركة الثوب المعلّق عليه.

٨ - **العلل:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن إبراهيم بن هاشم، عن النوفليّ عن السكونيّ، عن جعفر بن محمّد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تسبّوا الرياح فإنّها مأمورة، ولا تسبّوا الجبال ولا الساعات ولا الأيّام ولا الليالي فتأثموا وترجع عليكم[٢].

بيان: الغرض النهي عن سبّ الرياح والبقاع والجبال والأيّام والساعات فإنّها مقهورة تحت قدرة الله سبحانه مسخّرة له تعالى لا يملكون تأخّراً عمّا قدّمهم إليه ولا تقدّماً إلى ما أخّرهم عنه، فسبّهم سبّ لمن لا يستحقّه، ولعن من لا يستحقّ اللعن يوجب رجوع اللعنة على اللاعن، بل هو مظنّة الكفر والشرك لولا غفلتهم عمّا يؤول إليه، كما ورد في الخبر: لا تسبّوا الدهر فإنّه هو الله، أي فاعل الأفعال الّتي تنسبونها إلى الدهر وتسبّونه بسببها هو الله تعالى[٣].

٩ - **تفسير علي بن إبراهيم:** ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ الّتي لا تلقح الشجر ولا تنبت النبات[٤]، وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ والصرصر: الباردة، ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ أيّام مياشيم[٥].

١٠ - **ومنه:** ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ قال: الّتي تلقح الأشجار[٦].

١١ - **العلل:** عن أبيه، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن محمّد بن أحمد، عن السيّاريّ رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: لم سمّيت ريح الشمال؟ قال: لأنّها تأتي من شمال العرش[٧].

بيان: كون ريح الشمال من شمال العرش لأنّها تهبّ من قبل الركن الشاميّ وهو في يسار

---

(١) روضة الكافي، ح ٤٠١. (٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٤٨ باب ٣٨٣ ح ١.

(٣) كتاب البيان والتعريف الجزء الثاني ص ١٢٦: في النبويّ ﷺ: قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم؛ يسبّ الدهر، وأنا الدهر؛ بيدي الأمر أقلّب اللّيل والنهار. وهذا مع ما في معناه في كتاب التاج الجامع للاصول ج ٥ كتاب الادب ص ٢٩٣، وج ٤ ص ٢٣١. ورواه في آخر كتاب سنن أبي داود مثله. ويظهر من كتاب إيضاح فضل ابن شاذان ص ٩ أنّ حديث «لا تسبّوا الدهر فإنّ الله هو الدّهر» من أحاديث العامّة. أقول: وينافيه على الظاهر أشعار الحسين عليه السلام: يا دهر أفّ لكَ من خليل؛ الخ. [مستدرك السفينة ج٣ لغة «دهر»].

(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٠٦ في تفسيره لسورة الذاريات.

(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٣٥ في تفسيره لسورة فصلت.

(٦) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٧٧ في تفسيره لسورة الحجر.

(٧) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٤٨ باب ٣٨٢ ح ١.

الكعبة إذا فرضت رجلاً مواجهاً إلينا والحجر الأسود عن يمين الكعبة وقد ورد في الخبر أنّ العرش محاذ للكعبة، فيمينه يمينها ويساره يسارها، ويوضح ذلك ما رواه الصدوق أيضاً في العلل بإسناده عن بريد العجليّ، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف صار الناس يستلمون الحجر والركن اليمانيّ ولا يستلمون الركنين الآخرين؟ قال: إنّ الحجر الأسود والركن اليمانيّ عن يمين العرش، وإنّما أمر الله تبارك وتعالى أن يستلم ما عن يمين عرشه، قلت: فكيف صار مقام إبراهيم عن يساره؟ قال: لأنّ لإبراهيم مقاماً في القيامة ولمحمّد صلى الله عليه وآله مقاماً، فمقام محمّد صلى الله عليه وآله عن يمين عرش ربّنا عزّ وجلّ ومقام إبراهيم عليه السلام عن شمال عرشه، فمقام إبراهيم في مقامه يوم القيامة وعرش ربّنا مقبل غير مدبر.

وحاصله: أنّه ينبغي أن يتصوّر أنّ البيت بإزاء العرش وحذائه في الدّنيا والآخرة، والبيت بمنزلة رجل وجهه إلى الناس، ووجهه الطرف الّذي فيه الباب فإذا توجّه إنسان إلى البيت من جهة الباب كان المقام والركن الشاميّ عن يمينه والحجر [الأسود] والركن اليمانيّ عن يساره، فإذا فرض البيت إنساناً مواجهاً تنعكس النسبة، فيمينه يحاذي يسارنا وبالعكس. «وعرش ربّنا مقبل» أي بمنزلة رجل مقبل، ويمكن أن يكون تسمية الجانب الّذي يلي الشاميّ شمالاً في خبر السيّاريّ لأنّه أضعف جانبي الكعبة كما أنّ الشمال أضعف جانبي الإنسان، لأنّ أشرف أجزاء الكعبة وهي الحجر والركن اليمانيّ واقعة على الجانب المقابل، فهو بمنزلة اليمين.

١٢ - **العلل:** بالإسناد إلى وهب، قال: إنّ الريح العقيم تحت هذه الأرض الّتي نحن عليها قد زمّت بسبعين ألف زمام من حديد، قد وكّل بكلّ زمام سبعون ألف ملك، فلمّا سلّطها الله عزّ وجلّ على عاد استأذنت خزنة الريح ربّها عزّ وجلّ أن تخرج منها في مثل منخر الثور، ولو أذن الله عزّ وجلّ لها ما تركت شيئاً على ظهر الأرض إلاّ أحرقته، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى خزنة الريح أن أخرجوا منها في مثل ثقب الخاتم فأهلكوا بها، وبها ينسف الله عزّ وجلّ الجبال نسفاً، والتلال والآكام والمدائن والقصور يوم القيامة، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾[1] والقاع الّذي لا نبات فيه، والصفصف الّذي لا عوج فيه، والأمت المرتفع. وإنّما سمّيت العقيم لأنّها تلقّحت بالعذاب وتعقّمت عن الرحمة كتعقّم الرجل إذا كان عميقاً لا يولد له - الخبر -[2].

بيان: قال الجوهريّ: نسفت البناء نسفاً: قلعته. وقال: القاع المستوي من الأرض وكذا الصفصف. وقال: الأمت المكان المرتفع، وقوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ أي لا انخفاض فيها ولا ارتفاع.

١٣ - **قصص الراونديّ:** بإسناده إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن

---

(١) سورة طه، الآيات: ١٠٥-١٠٧.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٣٩ باب ٣٠ ح ١.

عليّ بن الحكم، عن زرعة، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا هاجت الرياح فجاءت بالسافي الأبيض والأسود والأصفر فإنّه رميم قوم عاد(١).

بيان: في القاموس: سفت الريح التراب تسفيه: ذرته، أو حملته - كأسفته - فهي سافية وسفى (انتهى) أقول: يمكن تخصيصه ببعض البلاد القريبة من بلادهم كمدينة (الرسول ظ) ضاعف الله شرفها - ولا بعد في التعميم أيضاً.

١٤ - **العياشي**: عن ابن وكيع، عن رجل، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تسبّوا الريح، فإنّها بشر، وإنّها نذر، وإنّها لواقح، فاسألوا الله من خيرها وتعوّذوا به من شرّها(٢).

بيان: أي إنّها مأمورة مبعوثة بأمر الله إمّا للبشارة بالمطر وغيره، أو للإنذار أو لإلقاح الأشجار، أو لسوق السحب إلى الأقطار كما مرّ، فسبّها باطل لا ينفعكم بل يضرّكم، فاسألوا الله الّذي بعثها ليجعلها نافعة لكم، ويصرف شرّها عنكم.

١٥ - **العياشي**: عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لله رياح رحمة لواقح ينشرها بين يدي رحمته(٣).

١٦ - **الكافي**: عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن محمّد بن رئاب. وهشام بن سالم، عن أبي بصير، قال: سألت أبا جعفر عن الرياح الأربع: الشمال، والجنوب، والصبا، والدبور، وقلت له: إنّ الناس يذكرون أنّ الشمال من الجنّة والجنوب من النار، فقال: إنّ لله عزّ وجلّ جنوداً من رياح يعذّب قوماً بنوع من العذاب أوحى إلى الملك الموكّل بذلك النوع من الريح الّتي يريد أن يعذّبهم بها، قال: فيأمرها الملك فتهيج كما يهيج الأسد المغضب. وقال: ولكلّ ريح منهنّ اسم، أما تسمع قوله عزّ وجلّ: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾ وقال ﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ وقال ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وقال ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ وما ذكر من الرياح الّتي يعذّب الله بها من عصاه. وقال: ولله عزّ ذكره رياح رحمة لواقح وغير ذلك ينشرها بين يدي رحمته، منها ما يهيّج السحاب للمطر ومنها رياح تحبس السحاب بين السماء والأرض، ورياح تعصر السحاب فتمطر بإذن الله، ومنها رياح تفرّق السحاب، ومنها رياح ممّا عدّد الله في الكتاب، فأمّا الرياح الأربع الشمال والجنوب والصبا والدبور فإنّما هي أسماء الملائكة الموكّلين بها فإذا أراد الله أن يهبّ شمالاً أمر الملك الّذي اسمه الشمال فيهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشاميّ فضرب بجناحه، فتفرّقت ريح

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٩١.

(٢) - (٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٥٩ ح ٤-٥ من سورة الحجر.

الشمال حيث يريد الله من البرّ والبحر، فإذا أراد الله أن يبعث جنوباً أمر الملك الّذي اسمه الجنوب فهبط على البيت الحرام، فقام على الركن الشاميّ فضرب بجناحه، فتفرّقت ريح الجنوب في البرّ والبحر حيث يريد الله، وإذا أراد الله أن يبعث الصبا أمر الملك الّذي اسمه الصبا فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشاميّ فضرب بجناحه فتفرّقت ريح الصبا حيث يريد الله عزّوجلّ في البرّ والبحر، وإذا أراد الله أن يبعث دبوراً أمر الملك الّذي اسمه الدبور فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشاميّ، فضرب بجناحه فتفرّقت ريح الدبور حيث يريد الله من البرّ والبحر. ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام : أما تسمع لقوله: ريح الشمال، وريح الصبا، وريح الجنوب، وريح الدبور إنّما تضاف إلى الملائكة الموكّلين بها(١).

الخصال: عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن العبّاس ابن معروف، عن ابن محبوب مثله، إلى قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ وذكر رياحاً في العذاب ثمّ قال: فريح الشمال وريح الصبا وريح الجنوب وريح الدبور أيضاً تضاف إلى الملائكة الموكّلين بها(٢).

بيان: قال الفيروزآباديّ: الشمال بالفتح ويكسر: الريح الّتي تهبّ من قبل الحجر، أو ما استقبلك عن يمينك وأنت مستقبل القبلة، والصحيح أنّه ما مهبّه بين مطلع الشمس وبنات النعش، أو من مطلع النعش إلى مسقط النسر الطائر، ويكون اسماً وصفة، ولا تكاد تهبّ ليلاً. وقال: الجنوب ريح تخالف الشمال، مهبّه من مطلع سهيل إلى مطلع الثريّا. وقال: الصبا ريح مهبّها من مطلع الثريّا إلى بنات نعش وقال: الدبور ريح تقابل الصبا.

وقال الشهيد - قدّس سرّه - في الذكرى: الجنوب محلّها ما بين مطلع سهيل إلى مطلع الشمس في الاعتدالين، والصبا محلّها ما بين الشمس إلى الجدي، والشمال محلّها من الجدي إلى مغرب الشمس في الاعتدال، والدبور محلّها من مغرب الشمس إلى مطلع سهيل.

قوله تعالى: (ونُذُرِ) أي إنذار لهم بالعذاب قبل نزولها، أو لمن بعدهم في تعذيبهم. والريح العقيم قيل هي الدبور، وقيل هي الجنوب وقيل: النكباء.

وقال الجوهريّ: الإعصار ريح تثير الغبار إلى السماء كأنّه عمود وقيل هي ريح تثير سحاباً ذات رعد وبرق. قوله عليه السلام : «فتفرّقت ريح الشمال» لا يتوهّم أنّه يلزم من ذلك أن يكون مهبّ جميع الرياح جهة القبلة، وذلك لأنّه لعظمة الملك وجناحه يمكن أن يتحرّك رأس جناحه بأيّ موضع أراد، ويرسلها إلى أيّ جهة أمر بالإرسال إليها، وإنّما أمر بالقيام على الكعبة لشرافتها وكونها في محلّ رحماته تعالى ومصدرها. وقيل: ضرب الجناح علامة أمر الملك الريح للهبوب. قوله عليه السلام : «أما تسمع لقوله» أي لقول القائل، وكأنّه عليه السلام استدلّ

(١) روضة الكافي، ج ٦٣.

(٢) الخصال، ص ٢٦٠ باب ٤ ح ١٣٨.

بهذه العبارات الشائعة على ما ذكره من أنّها أسماء الملائكة، إذا الظاهر من الإضافة كونها لاميّة والبيانيّة نادرة وإن كان القائلون لم يعرفوا هذا المعنى لأنّهم سمعوا ممّن تقدّمهم وهكذا إلى أن ينتهي إلى من أطلق ذلك على وجه المعرفة.

١٧ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أبي يحيى الواسطيّ، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى ريحاً يقال لها «الأزيب» لو أرسل منها مقدار منخر الثور لأثارت ما بين السماء والأرض وهي الجنوب[(١)].

بيان: قوله: «وهي الجنوب» من كلام بعض الرواة أو من كلامه عليه السلام، وعلى التقديرين لعلّ المراد به أنّها نوع منها أو قريب منها. قال في القاموس: الأزيب كالأحمر الجنوب والنكباء تجري بينها وبين الصبا. وقال: النكباء ريح انحرفت ووقعت بين ريحين، أو بين الصبا والشمال، أو نكب الرياح الأربع، الأزيب: نكباء الصبا والجنوب، والصابية - وتسمّى النكيباء أيضاً -: نكباء الصبا والشمال، والجربياء: نكباء الشمال والدبور وهي نيّحة الأزيب، والهيف: نكباء الجنوب والدبور وهي نيّحة النكيباء. ونحوه قال الجوهريّ. وقال: كلّ ريح استطالت أثراً فهبّت عليه ريحاً طولاً فهي نيّحته، فإن اعترضته فهي نسيجته.

١٨ - **نوادر الراوندي:** بإسناده عن جعفر بن محمّد، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور، وما هاجت الجنوب إلاّ سقى الله بها غيثاً وأسال بها وادياً[(٢)].

١٩ - **الاحتجاج:** قال الصادق عليه السلام للزنديق الّذي سأله مسائل: الريح لو حبست أيّاماً لفسدت الأشياء جميعاً وتغيّرت. وسأله عن جوهر الريح فقال: الريح هواء إذا تحرّك سمّي ريحاً، فإذا سكن سمّي هواءً، وبه قوام الدنيا، ولو كفّت الريح ثلاثة أيّام لفسد كلّ شيء على وجه الأرض ونتن، وذلك أنّ الريح بمنزلة المروحة تذبّ وتدفع الفساد عن كلّ شيء وتطيّبه، فهي بمنزله الروح إذا خرج عن البدن نتن البدن وتغيّر، تبارك الله أحسن الخالقين[(٣)].

٢٠ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن معروف بن خرّبوذ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ رياح رحمة ورياح عذاب، فإن شاء الله أن يجعل الرياح من العذاب رحمة فعل، قال: ولن يجعل الله الرحمة من الريح عذاباً، قال: وذلك أنّه لم يرحم قوماً قطّ أطاعوه وكانت طاعتهم إيّاه وبالاً عليهم إلاّ من بعد تحوّلهم عن طاعته. قال: وكذلك فعل بقوم يونس لمّا آمنوا رحمهم الله بعدما كان قدّر عليهم العذاب وقضاه، ثمّ تداركهم برحمته فجعل العذاب المقدّر عليهم رحمة، فصرفه عنهم

(١) روضة الكافي، ح ٢٦٥.
(٢) نوادر الراوندي، ص ١٠٣ ح ٦٩.
(٣) الاحتجاج، ص ٣٣٤.

وقد أنزله عليهم وغشيهم، وذلك لمّا آمنوا به وتضرّعوا إليه. قال: وأمّا الريح العقيم فإنّها ريح عذاب لا تلقح شيئاً من الأرحام ولا شيئاً من النبات، وهي ريح تخرج من تحت الأرضين السبع، وما خرجت منها ريح قطّ إلاّ على قوم عاد حين غضب الله عليهم، فأمر الخزّان أن يخرجوا منها على مقدار سعة الخاتم، قال: فعتت على الخزّان فخرج منها على مقدار منخر الثور تغيّظاً منها على قوم عاد، قال: فضجّ الخزّان إلى الله عزّوجلّ من ذلك فقالوا: ربّنا إنّها قد عتت عن أمرنا، إنّا نخاف أن تهلك من لم يعصك من خلقك وعمّار بلادك! قال: فبعث الله إليها جبرئيل، فاستقبلها بجناحه، فردّها إلى موضعها وقال لها: اخرجي على ما أمرت به، قال: فخرجت على ما أُمرت به، وأهلكت قوم عاد ومن كان بحضرتهم[1].

٢١ - **الشهاب:** عن النبيّ ﷺ قال: نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور.

الضوء: الصبا هي الريح الّتي تضرب قفا المصلّي، ويإزائها الدبور، والشمال الّتي تضرب يمين المصلّي، ويإزائها الجنوب، وقالوا: مهبّ الصبا المستوي أن تهبّ من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار، وزعموا أنّ الدبور تزعج السحاب وتشخصه في الهواء ثمّ تسوقه، فإذا علا كشف عنه واستقبلته الصبا فوضعته بعضه على بعض حتّى تصير كسفاً واحداً، والجنوب تلحق روادفه به وتمدّه من المدد، والشمال تمزّق السحاب. والنكباء هي الّتي بين الصبا والشمال، والّذي في الحديث إشارة إلى نصرة الله تعالى رسوله بالصبا لمّا أرسلها على الأحزاب.

٢٢ - وعن ابن عمر: الرياح ثمانية: أربع منها رحمة وأربع عذاب، فأمّا الرحمة فالناشرات، والمبشّرات، والمرسلات، والذاريات، وأمّا العذاب فالعقيم، والصرصر وهما في البرّ، والعاصف والقاصف في البحر.

٢٣ - وروي أنّه فتح على عاد من الريح الّتي أهلكتهم مثل حلقة الخاتم.

٢٤ - وعن مجاهد: ما بعث الله عزّوجلّ ريحاً إلاّ بمكيال، إلاّ يوم عاد فإنّها عتت على الخزنة فلم يدر ما مقدارها.

٢٥ - وفي الحديث: إنّ الله تعالى خلق في الجنّة ريحاً، وإنّ من دونها باباً مغلقاً، ولو فتح ذلك الباب لأذرت ما بين السماء والأرض وهي الأزيب، وهي عندكم الجنوب.

٢٦ - وعن العوام بن حوشب أنّه قال: تخرج الجنوب من الجنّة فتمرّ على جهنّم فغمّها منه وبركتها من الجنّة، وتخرج الشمال من جهنّم فتمرّ على الجنّة، فروحها من الجنّة وشرّها من النار. قلت: وقد سمعت أنّ السموم لا تكون إلاّ الشمال تهبّ على الرمال المضطرمة والأرضين المتوجّهة فتكتسي للطافتها ورقّتها منها زيادة الحرارة، فتهبّ ناراً ملتهبة فتقتل وتسوّد الجلود.

---

(١) روضة الكافي، ح ٦٤.

٢٧ - وقال كعب: لو حبس الله الريح من الأرض ثلاثة أيّام لأنتن ما بين السماء والأرض.

٢٨ - وكان النبيُّ ﷺ إذا رأى الريح قد هاجت يقول: اللّهمّ اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً.

وأكثر ما في القرآن من الرياح للخير والريح بالعكس من ذلك. وقيل: الريح الهواء المتحرّك. وفائدة الحديث الإنباء بأنّ الله تعالى خلق نصره في الأحزاب بريح الصبا، تكبّهم على وجوههم، وتثير السافياء في أعينهم، فيعجزون عن مقاومة أصحاب النبيّ ﷺ. وراوي الحديث سعيد بن جبير عن ابن عبّاس.

٢٩ - **الدر المنثور:** عن أبيّ بن كعب، قال: كلّ شيء في القرآن من الرياح فهي رحمة، وكلّ شيء في القرآن من الريح فهو عذاب(١).

٣٠ - وعن ابن عبّاس، قال: الماء والريح جندان من جنود الله، والريح جند الله الأعظم(٢).

٣١ - وعن ابن عبّاس، وعن ابن عمر، قالا: الريح ثمان، أربع منها رحمة وأربع منها عذاب، فأمّا الرحمة فالناشرات، والمبشّرات، والمرسلات، والذاريات. وأمّا العذاب فالعقيم، والصرصر وهما في البرّ، والعاصف، والقاصف وهما في البحر. وفي رواية ابن عبّاس مكان الذاريات «الرخاء»(٣).

٣٢ - وفي رواية أخرى: الرياح سبع: الصبا، والدبور، والجنوب، والشمال والحزوق، والنكباء، وريح القائم، فأمّا الصبا فتجيء من المشرق، وأمّا الدبور فتجيء من المغرب، وأمّا الجنوب فتجيء عن يسار القبلة، والشمال عن يمين القبلة، وأمّا النكباء فبين الصبا والجنوب، وأمّا الحزوق فبين الشمال والدبور، وأمّا رياح القائم فأنفاس الخلق(٤).

٣٣ - وعن الحسن، قال: جعلت الرياح على الكعبة. فإذا أردت أن تعلم ذلك فأسند ظهرك إلى باب الكعبة، فإنّ الشمال عن شمالك، وهي ممّا يلي الحجر والجنوب عن يمينك وهي ممّا يلي الحجر الأسود، والصبا عن مقابلك وهي مستقبل باب الكعبة، والدبور من دبر الكعبة(٥).

٣٤ - وعن حسن بن عليّ الجعفيّ، قال: سألت إسرائيل بن يونس، على أيّ شيء سمّيت الريح؟ قال: على القبلة، شماله الشمال، وجنوبه الجنوب، والصبا ما جاء من قبل وجهها، والدبور ما جاء من خلفها(٦).

٣٥ - وعن ابن عبّاس، قال: الشمال ما بين الجدي ومطلع الشمس، والجنوب ما بين مطلع الشمس وسهيل، والصبا ما بين مغرب الشمس إلى الجدي، والدبور ما بين مغرب

(١) - (٦) تفسير الدر المنثور للسيوطي، ج ١ ص ١٦٤.

الشمس إلى سهيل(١).

٣٦ - وعن كعب: لو احتبست الريح عن الناس ثلاثة أيّام لأنتن ما بين السماء والأرض(٢).

٣٧ - وعن صفوان بن سليم، قال: قال رسول الله ﷺ: لا تسبّوا الريح وعوذوا بالله من شرّها(٣).

٣٨ - وعن ابن عبّاس أنّ رجلاً لعن الريح فقال له النبيّ ﷺ: لا تلعن الريح فإنّها مأمورة، فإنّه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه(٤).

٣٩ - وعن ابن عبّاس، قال: ما هبّت ريح قطّ إلاّ جثا النبيّ ﷺ على ركبتيه وقال: اللّهمّ اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً، اللّهمّ اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً. قال ابن عبّاس: تفسير ذلك في كتاب الله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ ﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ وقال: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾(٥).

٤٠ - وعن مجاهد، قال: هاجت ريح فسبّوها، فقال ابن عبّاس: لا تسبّوها فإنّها تجيء بالرحمة وتجيء بالعذاب، ولكن قولوا: اللّهمّ اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً(٦).

٤١ - وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: قال رسول الله ﷺ: لا تسبّوا الليل والنهار، ولا الشمس، ولا القمر، ولا الريح، فإنّها تبعث عذاباً على قوم ورحمة على آخرين(٧).

٤٢ - وعن ابن عبّاس، قال: الريح العقيم الشديدة الّتي لا تلقح الشجر ولا تثير السحاب، ولا بركة فيها ولا منفعة، ولا ينزل منها غيث ولا يلقح بها شجر(٨).

٤٣ - وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ الريح مسجنة في الأرض الثانية، فلمّا أراد الله أن يهلك عاداً أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحاً تهلك عاداً قال: أي ربّ! أُرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور؟ قال له الجبّار: لا، إذاً تكفأ الأرض ومن عليها! ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم، فهي الّتي قال الله ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾(٩).

٤٤ - وعن سعيد بن المسيّب، قال: هي الجنوب(١٠).

٤٥ - وعن عليّ عليه السلام قال: لم تنزل قطرة من ماء إلاّ بمكيال على يد ملك إلاّ يوم الطوفان فإنّه أُذن لها دون الخزّان فخرجت، وذلك قوله: «إنّا لمّا طغى الماء» ولم ينزل شيء من الريح إلاّ بمكيال على يد ملك إلاّ يوم عاد فإنّه أُذن لها دون الخزّان فخرجت، فذلك قوله ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ عتت على الخزّان(١١).

---

(١) - (٧) الدر المنثور، ج ١ ص ١٦٤-١٦٥. (٨) - (١٠) الدر المنثور، ج ٦ ص ١١٥.
(١١) الدر المنثور، ج ٦ ص ٢٥٩.

٤٦ - وعنه عن النبيّ ﷺ قال: نصرت بالصبا وأُهلكت عاد بالدبور. وقال: ما أمر الخزّان أن يرسلوا على عاد إلاّ مثل موضع الخاتم من الريح، فعتت على الخزّان فخرجت من نواحي الأبواب، فذلك قول الله ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ قال: عتوّها عتت على الخزّان فبدأت بأهل البادية منهم، فحملتهم بمواشيهم وبيوتهم فأقبلت بهم إلى الحاضرة، فلمّا رأوها قالوا: هذا عارض ممطرنا، فلمّا دنت الريح أظلّتهم استبقوا الناس والمواشي فيها فألقت البادية على أهل الحاضرة فقصفتهم فهلكوا جميعاً[١].

٤٧ - وعن قبيصة بن ذؤيب، قال: ما يخرج من الريح شيء إلاّ عليها خزّان يعلمون قدرها وعددها ووزنها وكيلها حتّى كانت الريح الّتي أرسلت إلى عاد، فاندفق منها شيء لا يعلمون قدره ولا وزنه ولا كيله غضباً لله، ولذلك سمّيت عاتية، والماء كذلك حتّى كان أمر نوح عليه السلام ولذلك سمّي طاغية[٢].

٤٨ - وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسول الله ﷺ: الرياح ثمان، أربع منها عذاب، وأربع منها رحمة، فالعذاب منها: العاصف والصرصر والعقيم والقاصف، والرحمة منها: الناشرات والمبشّرات والمرسلات والذاريات. فيرسل الله المرسلات فتثير السحاب، ثمّ يرسل المبشّرات فتلقح السحاب، ثمّ يرسل الذاريات فتحمل السحاب فتدرّ كما تدرّ اللقحة، ثمّ تمطر وهنّ اللواقح، ثمّ يرسل الناشرات فتنشر ما أراد[٣].

٤٩ - وعن خالد بن عرعرة، قال: قام رجل إلى عليّ فقال: ما العاصفات عصفاً؟ قال: الرياح[٤].

بيان: في القاموس: الحزيق: الريح الباردة الشديدة الهبّابة كالحزوق واللّينة السهلة ضدّ والراجعة المستمرّة السير أو الطويلة الهبوب، واللّقحة - بالفتح والكسر -: الناقة الحلوب.

ذنابة: ذكر الفلاسفة في سبب حدوث الرياح على أصولهم أنّ البخار إذا ثقل بواسطة البرودة المكتسبة من الطبقة الزمهريريّة واندفع إلى أسفل فصار لتسخّنه بالحركة الموجبة لتلطيفه هواءً متحركاً وهو الريح، وقد يكون الاندفاع يعرض بسبب تراكم السحب الموجبة لحركة ما يليها من الهواء لامتناع الخلاء، فيصير السحاب من جانب إلى جهة أُخرى. وقد يكون لانبساط الهواء بالتخلخل في جهة واندفاعه من جهة أُخرى، وقد يكون بسبب برد الدخان المتصاعد بعد وصوله إلى الطبقة الزمهريريّة ونزوله.

قالوا: ومن الرياح ما يكون سموماً محرقاً لاحتراقه في نفسه بالأشعّة السماويّة أو لحدوثه من بقيّة مادّة الشهب، أو لمروره بالأرض الحارّة جدّاً لأجل غلبة ناريّة عليها. وقد يقع تقاوم في ما بين ريحين متقابلتين قويّتين تلتقيان فتستديران، أو في ما بين رياح مختلفة الجهة حادثة،

---

(١) - (٢) الدر المنثور، ج ٦ ص ٢٥٩. (٣) - (٤) الدر المنثور، ج ٦ ص ٣٠٢.

فتدافع تلك الرياح الأجزاء الأرضيّة المشتملة عليها فتضغط تلك الأجزاء بينها مرتفعة كأنّها تلتوي على نفسها، فيحصل الدوران المسمّى بالزوبعة والإعصار، وربما اشتملت الزوابع العظام على قطعة من السحاب بل على بخار مرتفع فترى ناراً تدور، ومهابّ الرياح اثنا عشر، وهي حدود الأفق الحاصلة من تقاطعه مع كلّ من دائرة نصف النهار والموازيتين لها المماسّتين للدائمة الظهور والخفاء، ودائرة المشرق والمغرب الاعتداليّين والموازيتين لها المساويتين برأس السرطان والجدي، ولكلّ ريح منها اسم، والمشهورات عند العرب أربعة: ريح الشمال، وريح الجنوب وريح الصبا وهي الشرقيّة، ريح الدبور وهي الغربيّة والبواقي تسمّى نكباء.

٣١ - باب الماء وأنواعه والبحار وغرائبها وما ينعقد فيها، وعلة المد والجزر، والممدوح من الأنهار والمذموم منها

الآيات: إبراهيم: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ «٣٢».

النحل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا﴾.

الفرقان: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾.

النمل: ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ «٦١».

فاطر: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ «١٢».

حمعسق [الشورى]: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾.

الجاثية: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

الطور: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾.

الرحمن: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾﴾.

الملك: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾.

المرسلات: ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ «٢٧».

تفسير: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ إنّما نسب إليه سبحانه مع أنّه من أعمال العباد لأنّه لولا أنّه تعالى خلق الأشجار الصلبة الّتي منها يمكن تركيب السفن، ولولا خلقة الحديد وسائر الآلات، ولولا تعريفه العباد كيف يتّخذونها، ولولا أنّه تعالى خلق الماء على صفة السلاسة الّتي باعتبارها يصحّ جري السفينة فيه، ولولا خلقه تعالى الرياح وخلق الحركات القويّة فيها، ولولا أنّه وسّع الأنهار وجعل لها من العمق ما يجوز جري السفن فيها؛ لما وقع الانتفاع بالسفن، فصار لأجل أنّه تعالى هو الخالق لهذه الأحوال وهو المدبّر لهذه الأمور والمسخّر لها حسنت إضافته إليه، وقيل: لمّا كان يجري على وجه الماء كما يشتهيه الملاّح صار كأنّه حيوان مسخّر له. ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ أي بقدرته وإرادته.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ﴾ لمّا كان ماء البحر قلّما ينتفع به في الزراعات لا جرم ذكر تعالى إنعامه على الخلق بتفجير الأنهار والعيون حتّى ينبعث الماء منها إلى مواضع الزروع والنبات. وأيضاً ماء البحر لا يصلح للشرب والصالح لهذا مياه الأنهار(١).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾ أي جعله بحيث يتمكّنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص. ﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك، ووصفه بالطراوة لأنّه أرطب اللحوم فيسرع إليه الفساد فيسارع إلى أكله ولإظهار قدرته في خلقه عذباً طريّاً في ماء زعاق. ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ كاللؤلؤ والمرجان. ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾ أي السفن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ أي جواري فيه تشقه بخرومها من المخر وهو شقّ الماء، وقيل: صوت جري الفلك. ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي من سعة رزقه بركوبها للتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي تعرفون نعم الله فتقومون بحقّها(٢).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ قال البيضاويّ: خلّاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان، من مرج دابّته إذا خلّاها. ﴿هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ قامع للعطش من فرط عذوبته ﴿وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ بليغ الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزاً من قدرته ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ وتنافراً بليغاً كأنّ كلاًّ منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوّذ عليه، وقيل: حدّاً محدوداً، وذلك كدجلة يدخل البحر فيشقّه فيجري في خلاله فراسخ لا يتغيّر طعمهما. وقيل: المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل، وبالبحر الملح البحر الكبير، وبالبرزخ ما يحول بينهما من الأرض، فتكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة، مع أنّ مقتضى طبيعة أجزاء كلّ عنصر إن تضامّت وتلاصقت وتشابهت في الكيفيّة(٣) (انتهى) ويقال: إنّ نهر آمل يدخل بحر الخزر ويبقى على عذوبته ولا يختلط بالمالح، ويأخذون منه الماء العذب في وسط البحر، فيمكن على تقدير صحّته أن يكون داخلاً تحت الآية أيضاً.

---

(١) تفسير فخر الرازي، ج ١٩ ص ١٢٧-١٢٨. (٢) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣٩٥.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٢٣٢.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ﴾ ضرب مثل للمؤمن والكافر، والفرات: الّذي يكسر العطش، والسائغ: الّذي يسهل انحداره، والأجاج: الّذي يحرق بملوحته ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ﴾ استطراد في صفة البحرين وما فيهما، أو تمام التمثيل، والمعنى: كما أنّهما وإن اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث إنّهما لا يتساويان في ما هو المقصود بالذات من الماء، فإنّه خالط أحدهما ما أفسده وغيّره عن كمال فطرته لا يساوي المؤمن والكافر وإن اتّفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما في ما هو الخاصيّة العظمى وبقاء أحدهما على الفطرة الأصليّة دون الآخر، أو تفضيل للأجاج على الكافر بما يشارك العذب من المنافع، والمراد بالحلية اللآلي واليواقيت[(١)].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ قرأ نافع وأبو عمرو «الجواري» بياء في الوصل والوقف، والباقون بحذفها على التخفيف ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ أي كالجبال، فهذه السفن العظيمة الّتي تكون كأنّها الجبال تجري على وجه الماء عند هبوب الرياح على أسرع الوجوه وعند سكونها تقف، ففيه دلالة على وجود الصانع المسبّب لتلك الأسباب وقدرته الكاملة وحكمته التامّة، لأنّه تعالى خصّ كلَّ جانب من جوانب الأرض بنوع من الأمتعة وإذا نقل متاع هذا الجانب إلى ذلك الجانب في السفن وبالعكس حصلت المنافع العظيمة في التجارة[(٢)]. ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ﴾ أي فيبقين ثوابت ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ أي ظهر البحر. ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ أي لكلّ من وكل همّته وحبس نفسه على النظر في آيات الله والتفكّر في آلائه، أو لكلّ مؤمن كامل، فإنّه روي أنّ الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر. ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ أي يهلكهنّ بإرسال الريح العاصفة المغرقة، والمراد إهلاك أهلها لقوله ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ وأصله: أو يرسلها فيوبقهنّ لأنّه قسيم ﴿يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ فاقتصر فيه على المقصود، كما في قوله ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ إذ المعنى: أو يرسلها عاصفة فيوبق ناساً بذنوبهم وينجي ناساً على العفو منهم، وقرىء (يعفو) على الاستئناف. ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ عطف على علّة مقدّرة، مثل: لينتقم منهم ويعلم... أو على الجزاء ونُصب نصبَ الواقع جواباً للأشياء الستّة لأنّه أيضاً غير واجب، وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف، وقرىء بالجزم عطفاً على ﴿يعف﴾ فيكون المعنى: أو يجمع بين إهلاك وإنجاء قوم وتحذير آخرين. ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ من محيد من العذاب[(٣)].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ بأن جعله أملس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالأخشاب ولا يمنع الغوص فيه ﴿لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ أي بتسخيره وأنتم راكبوها ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بالتجارة والغوص والصيد وغيرها «وأنتم تشكرون» هذه النعم[(٤)].

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٤٢٠.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٢٧ ص ١٧٤.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٩٣.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٢٨.

﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ أي المملوء وهو المحيط، أو الموقد من قوله ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ كما روي أنّ الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار ناراً يسجر بها جهنّم، أو المختلط، من السجير وهو الخليط[١]، وقيل: هو بحر معروف في السماء يسمّى بحر الحيوان.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أي أرسلهما، والمعنى: أرسل البحر الملح والبحر العذب ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ أي يتجاوران وتتماسّ سطوحهما، أو بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لأنّهما خليجان يتشعّبان منه ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ أي حاجز من قدرة الله تعالى أو من الأرض ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ أي لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصيّة أو لا يتجاوزان حدّيهما، أو بإغراق ما بينهما[٢]. وقال الطبرسيّ رحمه الله: قيل: المراد بالبحرين بحر السماء وبحر الأرض، فإنّ في السماء بحراً يمسكه الله بقدرته ينزل منه المطر فيلتقيان في كل سنة، وبينهما حاجز يمنع بحر السماء من النزول وبحر الأرض من الصعود، عن ابن عبّاس وغيره، وقيل: إنّهما بحر فارس وبحر الروم فإنّ آخر طرف هذا يتّصل بآخر طرف ذلك والبرزخ بينهما الجزائر، وقيل: مرج البحرين خلط طرفيهما عند التقائهما من غير أن يختلط جملتهما ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ أي لا يطلبان أن يختلطا[٣].

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ أي كبار الدرّ وصغاره، وقيل: المرجان الخرز الأحمر، وإن صحّ أنّ الدرّ يخرج من المالح فعلى الأوّل إنّما قال ﴿مِنْهُمَا﴾ لأنّه يخرج من مجتمع المالح والعذب، أو لأنّهما لمّا اجتمعا صارا كالشيء الواحد وكان المخرج من أحدهما كالمخرج منهما، ذكره البيضاويّ[٤]. وقال الرازيّ: اللؤلؤ لا يخرج إلاّ من المالح فكيف قال ﴿مِنْهُمَا﴾؟ نقول: الجواب عنه من وجوه: **الأول** ظاهر كلام الله أولى بالاعتبار من كلام بعض الناس الّذي لا يوثق بقوله، ومن علم أنّ اللؤلؤ لا يخرج من الماء العذب؟ غاية علمكم أنّ الغوّاصين ما أخرجوه إلاّ من المالح، ولكن لم قلتم إنّ الصدف لا يخرج اللؤلؤ بأمر الله من الماء العذب إلى الماء المالح؟ وكيف يمكن الجزم به، والأمور الأرضيّة الظاهرة خفيت عن التجّار الّذين قطعوا المفاوز وداروا البلاد فكيف لا يخفى عليهم ما في قعور البحور؟ **الثاني** أن نقول: إن صحّ قولهم أنّه لا يخرج إلاّ من الماء المالح فنقول فيه وجوه: أحدها أنّ الصدف لا يتولّد فيه اللؤلؤ إلاّ من ماء المطر وهو بحر السماء، ثانيها أنّه يتولّد في ملتقاهما ثمّ يدخل الصدف في البحر المالح عند انعقاد الدرّ فيه لحال الملوحة، كالمتوحّمة الّتي تشتهي في أوائل الحمل فتثقل هناك فلا يمكنه الدخول في العذب[٥]. ثمّ ذكر بعض الوجوه المتقدّمة.

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٩٥.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٢٢٣.
(٣) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣٣٦.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٢٢٣.
(٥) تفسير فخر الرازي، ج ٢٩ ص ١٠١.

وقال الطبرسيّ رحمه الله: قيل: يخرج منهما أي من ماء السماء وماء البحر، فإنّ القطر إذا جاء من السماء تفتّحت الأصداف فكان من ذلك القطر اللؤلؤ، عن ابن عبّاس ولذلك حمل البحرين على بحر السماء وبحر الأرض، وقيل: إنّ العذب والملح يلتقيان، فيكون العذب كاللقاح للملح، ولا يخرج اللؤلؤ إلاّ من الموضع الّذي يلتقي فيه العذب والملح، وذلك معروف عند الملاّحين (انتهى)(١).

أقول: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾ أي السفن جمع جارية ﴿الْمُنشَآتُ﴾ أي المرفوعات الشرّع أو المصنوعات. وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الشين أي الرافعات الشرّع، أو اللاتي ينشئن الأمواج أو السّير ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ جمع علم وهو الجبل الطويل ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ من خلق موادّ السفن والإرشاد إلى أخذها وكيفيّة تركيبها وإجرائها في البحر بأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره تعالى(٢).

﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي غائراً في الأرض بحيث لا تناله الدلاء، مصدر وصف به ﴿بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ أي جارٍ، أو ظاهر سهل المأخذ(٣). ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ بخلق الأنهار والمنافع فيها(٤).

١ - **العلل والعيون:** عن محمّد بن عمرو بن عليّ البصريّ، عن محمّد بن عبد الله بن أحمد الواعظ، عن عبد الله بن أحمد بن عامر الطائيّ، عن أبيه، عن أبي الحسن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: سأل رجل من أهل الشام أمير المؤمنين عليه السلام عن المدّ والجزر ما هما؟ فقال: ملك موكّل بالبحار يقال له «رومان» فإذا وضع قدميه في البحر فاض، وإذا أخرجهما غاض(٥).

٢ - **العلل:** عن محمّد بن عليّ ماجيلويه، عن عمّه محمّد بن أبي القاسم، عن أحمد ابن أبي عبد الله البرقيّ، عن أبيه، عن خلف بن حمّاد، عن أبي الحسن العبديّ، عن سليمان بن مهران، عن عباية بن ربعيّ، عن ابن عبّاس، أنه سئل عن المدّ والجزر فقال: إنّ الله عزّ وجلّ وكّل ملكاً بقاموس البحر، فإذا وضع رجليه فيه فاض وإذا أخرجهما غاض(٦).

بيان: قال الجزريّ: قاموس البحر وسطه ومعظمه، ومنه حديث ابن عبّاس وسئل عن المدّ والجزر - وذكر الخبر - ثمّ قال: أي زاد ونقص وهو فاعول من القمس (انتهى) وأقول: اختلف الحكماء في سبب المدّ والجزر على أقوال شتّى، وليس شيء منها ممّا يسمن أو يغني من جوع أو يروّي من عطش. وما ذكر في الخبر أظهرها وأصحّها عقلاً أيضاً، وقد سمعت من بعض الثقات أنّه قال: إنّي رأيت شيئاً عظيماً يمتدّ من الجوّ إلى البحر فيمتدّ ماؤه ثمّ إذا

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣٣٦.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٢٢٣.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٠٣.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٦٦.
(٥) - (٦) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٢٦ باب ٣٤٢ ح ١-٢.

ذهب ذلك شرع في الجزر. وأمّا ما ذكره الحكماء في ذلك ففي رسائل إخوان الصفا: أمّا علّة هيجان البحار وارتفاع مياهها ومدودها على سواحلها وشدّة تلاطم أمواجها وهبوب الرياح في وقت هيجانها إلى الجهات في أوقات مختلفة من الشتاء والصيف والربيع والخريف وأوائل الشهور وأواخرها وساعات الليل والنهار فهي من أجل أنّ مياهها إذا حميت من قرارها وسكنت ولطفت وتخلخلت وطلبت مكاناً أوسع ممّا كان فيه، فتدافعت بعض أجزائها بعضاً إلى الجهات الخمس فوقاً وشرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً للاتّساع فيكون في الوقت الواحد على سواحلها أمواج مختلفة في جهات مختلفة، وأمّا علّة هيجانها في وقت دون وقت فهو بحسب تشكّل الفلك والكواكب ومطارح شعاعاتها على سطوح تلك البحار في الآفاق والأوتاد الأربعة واتّصالات القمر بها عند حلوله في منازله الثمانية والعشرين كما هو المذكور في كتب أحكام النجوم، وأمّا علّة مدود بعض البحار في وقت طلوعات القمر ومغيبه دون غيرها من البحار فهو من أجل أنّ تلك البحار في قرارها صخور صلبة وأحجار صلدة، فإذا أشرق القمر على سطح ذلك البحر وصلت مطارح شعاعاته إلى تلك الصخور والأحجار الّتي في قرارها، ثمّ انعكست من هناك راجعة، فسخنت تلك المياه وحمت ولطفت وطلبت مكاناً أوسع وارتفعت إلى فوق ودفع بعضها بعضاً إلى فوق، وتموّجت إلى سواحلها، وفاضت على سطوحها، ورجعت مياه تلك الأنهار الّتي كانت تنصبُّ إليها إلى خلف راجعة، فلا يزال ذلك دأبها ما دام القمر مرتفعاً إلى وتد سمائه، فإذا انتهى إلى هناك وأخذ ينحطّ سكن عند ذلك غليان تلك المياه وبردت وانضمّت تلك الأجزاء وغلظت فرجعت إلى قرارها وجرت الأنهار على عادتها، فلا يزال ذلك دأبها إلى أن يبلغ القمر إلى الأفق الغربيّ من تلك البحار ثمّ يبتدىء المدّ على عادته وهو في الأفق الشرقيّ، فلا يزال ذلك دأبه حتّى يبلغ القمر إلى وتد الأرض، فينتهي المدّ من الرأس، ثمّ إذا زال القمر من وتد الأرض أخذ المدّ راجعاً إلى أن يبلغ القمر إلى أفقه الشرقيّ من الرأس. فإن قيل: لم لا يكون المدّ والجزر عند طلوعات الشمس وإشرافاتها على سطح هذه البحار؟ فقد بيّنّا علل ذلك في رسالة العلل والمعلولات (انتهى)[1].

وقال المسعوديّ في مروج الذهب: المدّ هو مضيّ الماء بسجيّته وسنن جريه والجزر هو رجوع الماء على ضدّ سنن مضيّه وانعكاس ما يمضي عليه في نهجه وهما يكونان في البحر الحبشيّ الّذي هو الصينيّ والهنديّ وبحر البصرة وفارس، وذلك أنّ البحار على ثلاثة أصناف: منها ما يأتي فيه الجزر والمدّ ويظهر ظهوراً بيّناً، ومنها ما لا يتبيّن فيه الجزر والمد ويكون خفيّاً مستتراً، ومنها ما لا يجزر ولا يمدّ، وقد تنازع الناس في علّتهما، فمنهم من ذهب إلى أنّ علّة ذلك القمر، لأنّه مجانس للماء وهو يسخّنه فيبسط، وشبّهوا ذلك بالنار إذا

---

(١) رسائل إخوان الصفا، ج ٢ ص ٩٥.

سخّنت ما في القدر وأغلته، وأنّ الماء يكون فيها على قدر النصف أو الثلثين، فإذا غلى الماء انبسط في القدر وارتفع وتدافع حتّى يفور فتتضاعف كمّيته في الحسّ لأنّ من شرط الحرارة أن تبسط الأجسام، ومن شرط البرودة أن تضغطها وذلك أن قعور البحار تحمى فتتولّد في أرضها عذوبة وتستحيل وتحمى كما يعرض ذلك في البلاليع والآبار، فإذا حمي ذلك الماء انبسط وإذا انبسط زاد، وإذا زاد دفع كلّ جزء منه صاحبه فطفر عن سطحه وبان عن قعره واحتاج إلى أكثر من وهدته، وأنّ القمر إذا امتلأ أحمى الجوّ حمياً شديداً فظهر زيادة الماء فسمّي ذلك المدّ الشهريّ. وقالت طائفة أُخرى: لو كان الجزر والمدّ بمنزلة النار إذا أسخنت الماء الّذي في القدر وبسطته فيطلب أوسع منه فيفيض حتى إذا خلا قعره من الماء طلب الماء بعد خروجه منه عمق الأرض بطبعه فيرجع اضطراراً بمنزلة رجوع ما يغلي من الماء في المرجل والقمقم إذا فاض لكان بالشّمس أشدّ سخونة، ولو كانت الشمس علّة مدّه لكان بدؤه مع بدء طلوع الشمس والجزر عند غيبوبتها. وزعم هؤلاء أنّ علّة المدّ والجزر الأبخرة التي تتولّد في بطن الأرض، فإنّها لا تزال تتولّد وتكثف وتكثر فتدفع حينئذ ماء هذا البحر لكثافتها، فلا تزال على ذلك حتى تنقص موادّها من أسفل، فإذا انقطعت موادّها من أسفل تراجع الماء حينئذ إلى قعور البحر، وكان الجزر من أجل ذلك والمدّ ليلاً ونهاراً وشتاءً وصيفاً وفي غيبوبة القمر وطلوعه وفي غيبوبة الشمس وطلوعها. قالوا: وهذا يدرك بحسّ البصر لأنّه ليس يستكمل الجزر آخره حتّى يبدو أوّل المدّ، ولا يفنى آخر المدّ حتّى يبدو أوّل الجزر، لأنّه لا يفتر تولد تلك البخارات حتّى إذا خرجت تولد مكانها غيرها وذلك أنّ البحر إذا غارت مياهه ورجعت إلى قعره تولدت تلك الأبخرة لمكان ما يتّصل منها من الأرض بمائه، فكلّما عاد تولدت وكلّما فاض تنفست.

وذهب آخرون من أهل الديانات: أنّ كلّ ما لا يعلم له في الطبيعة مجرى ولا يوجد له فيها قياس فله فعل إلهيّ يدلّ على توحيد الله عزّ وجلّ وحكمته وليس للمدّ والجزر علّة في الطبيعة البتّة ولا قياس. وقال آخرون: ما هيجان ماء البحر إلاّ كهيجان بعض الطبائع، فإنّك ترى صاحب الصفراء وصاحب الدم وغيرهما تهتاج طبيعته وتسكن ولذلك موادّ تمدّها حالاً بعد حال، فإذا قويت هاجت ثمّ تسكن قليلاً قليلاً حتّى تعود. وذهب طائفة إلى إبطال سائر ما وصفنا من القول وزعموا أنّ الهواء المطلّ على البحر يستحيل دائماً، فإذا استحال عظم ماء البحر وفار عند ذلك، فإذا فار فاض وإذا فاض فهو المدّ، فعند ذلك يستحيل ماؤه ويتفشّى واستحال هواءً فعاد إلى ما كان عليه وهو الجزر وهو دائم لا يفتر، متّصل مترادف متعاقب، لأنّ الماء يستحيل هواء والهواء يستحيل ماءً، وقد يجوز أن يكون ذلك عند امتلاء القمر أكثر لأنّ القمر إذا امتلأ استحال ماء أكثر ممّا كان يستحيل قبل ذلك وإنّما القمر علّة لكثرة المدّ لا للمدّ نفسه، لأنّه قد يكون والقمر في محاقه والمدّ والجزر في بحر فارس يكون على مطالع

الفجر في أغلب الأوقات. وقد ذهب أكثر من أرباب السفن ممّن يقطع هذا البحر ويختلف إلى جزائره أنّ المدّ والجزر لا يكون في معظم هذا البحر إلاّ مرّتين في السنة، مرّة يمدّ في شهور الصيف شرقاً بالشمال ستّة أشهر، فإذا كان ذلك طما الماء في مشارق البحر والصين وما والى ذلك الصقع، ومرّة يمدّ في شهور الشتاء غرباً بالجنوب ستّة أشهر، وإذا كان ذلك طما الماء في مغارب البحر والجزر بالصين، وقد يتحرّك البحر بتحريك الرياح فإنّ الشمس إذا كانت في الجهة الشمالية تحرّك الهواء إلى الجهة الجنوبيّة، فلذلك تكون البحار في جهة الجنوب في الصيف لهبوب الشمال طامية عالية، وتقلّ المياه في جهة البحور الشماليّة وكذلك إذا كانت الشمس في الجنوب وسار الهواء من الجنوب إلى جهة الشمال فسال معه ماء البحر من الجهة الجنوبيّة إلى الجهة الشماليّة قلّت المياه في الجهة الجنوبيّة، وتنقّل ماء البحر في هذين الميلين أعني في جهة الشمال والجنوب يسمّى جزراً ومدّاً، وذلك أنّ مدّ الجنوب جزر الشمال ومدّ الشمال جزر الجنوب، فإن وافق القمر بعض الكواكب السيّارة في أحد الميلين تزايد الفعلان وقوي الحرّ واشتدّ لذلك انقلاب ماء البحر إلى الجهة المخالفة للجهة الّتي فيها الشمس، وهذا رأي الكنديّ وأحمد بن الخصيب السرخسيّ في ما حكي عنهما أنّ البحر يتحرّك بتحرُّك الرياح (انتهى)(١).

وجملة القول فيه أنّ نهر البصرة والأنهار المقاربة له يمدّ في كلّ يوم وليلة مرّتين ويدور ذلك في اليوم والليلة ولا يخصّ وقتاً كطلوع الشمس وغروبها وارتفاعها وانخفاضها، ويسمّى ذلك بالمدّ اليوميّ، ويكون المدّ عند زيادة نور القمر أشدَّ ويسمّى ذلك بالمدّ الشهريّ وهذا المدّ يمكن استناده إلى القمر لكونه تابعاً له في الغالب، بمعنى أنّه يحصل في أيّام زيادة نور القمر، لكن الظاهر أنّه لو كانت العلّة زيادة نوره لكان هذا المدّ مقارناً لها أو بعدها بزمان يتمّ فيه فعل القمر وتأثيره في البحر والظاهر أنّه ليس تابعاً له بهذا المعنى، وعلى تقدير صحّة استناده إليه فلا ريب في بطلان ما جعله القائل الأوّل مناطاً له من سخونة البحر بنور القمر لأنّه متجانس للماء وكذا سخونة الجوّ به، بل ربما يدّعى أنّ نور القمر يبرّد الجوّ والأجسام كما هو المجرّب، نعم ربما يجوّز العقل تأثير القمر في المدّ لنوع من المناسبة والارتباط بين نوره وبين الماء وإن لم نعلمها بخصوصها، لكن يقدح فيه ما ذكرناه من عدم انضباط المقارنة والتأخّر على الوجه المذكور، وأمّا المدّ اليوميّ فبطلان استناده إلى القمر واضح واستناده إلى الكواكب على انفرادها أو بمشاركة القمر بعيد غاية البعد، وكون الكواكب عللاً له من حيث الحرارة ظاهر الفساد. وما ذكره الطائفة الثانية من أنّه للأبخرة الحادثة في باطن الأرض فيرد عليه أنّ الأبخرة الكثيرة الكثيفة الّتي تفور البحر مع عظمته لخروجها لو اجتمعت واحتبست في باطن الأرض ثمّ خرجت دفعةً كما هو الظاهر من كلامه لزم انشقاق الأرض

(١) مروج الذهب، ج ١ ص ١٢٠.

منها انشقاقاً فاحشاً ثمّ التئامها في كلّ يوم وليلة، لعلّه ممّا لا يرتاب أحد في أنّه خلاف الواقع ولا يظهر للعقل سبب لالتئام الأرض بعد الانشقاق، وكون كلّ التئام مستنداً إلى انشقاق حادث في موضع آخر من الأرض قريب من موضع الأوّل في غاية البعد، ولو خرجت تدريجاً لاستلزمت غلياناً وفوراناً في البحر دائماً لا هذا النوع من الحركة والامتلاء وهو واضح. وما ذكره الطائفة الثالثة من أنّه كهيجان الطبائع فيرد عليه أنّه لو كان المراد أنّه والطبائع تهيج بلا سبب فباطل، ولو قيل بأنّ ذلك مقتضى الطبيعة فذلك ممّا لم يقل به أحد، ولو أريد أنّه بسبب ولو لم يكن معلوماً لنا، فذلك ممّا لا ثمرة له إذ الكلام في خصوص السبب وما ذكره الطائفة الرابعة من أنّه للانقلاب فلا يظهر له وجه ولا ينطبق على تلك الخصوصيّات. فالأوجه أن يقال: إنّها بقدرة الله وتدبيره وحكمته إمّا بتوسّط الملك إن صحّ الخبر، أو بما رأى المصلحة فيه من العلل والأسباب، فإنّه تعالى المسبّب لها والمقدّر لأوقاتها، ولم نكلّف بالخوض في عللها وإن أمكنت مدخليّة بعض تلك الوجوه الّتي تقدّم ذكرها، والعالم بها هو المدبّر لها، ويكفينا ما ظهر لنا من منافعها وفوائدها.

٣ - **الخصال:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن هلال، عن عيسى بن عبد الله الهاشميّ، عن أبيه عن آبائه قال: قال رسول الله ﷺ: أربعة أنهار من الجنّة: الفرات والنيل وسيحان وجيحان، فالفرات الماء في الدنيا والآخرة والنيل العسل، وسيحان الخمر، وجيحان اللبن(١).

بيان: الفرات أفضل الأنهار بحسب الأخبار، وقد أوردتها في كتاب المزار والنيل بمصر معروف، وسيحان وجيحان قال في النهاية: هما نهران بالعواصم عند المصيصة والطرسوس. وفي القاموس: سيحان نهر بالشام وآخر بالبصرة، وسيحون نهر بما وراء النهر ونهر بالهند، وقال: جيحون نهر خوارزم وجيحان نهر الشام والروم معرّب «جهان» (انتهى). وذكر المولى عبد العليّ البرجنديّ في بعض رسائله: إنّ نهر الفرات يخرج من جبال «أرزن الروم» ثمّ يسيل نحو المشرق إلى «ملطية» ثمّ إلى «سميساط» حتّى ينتهي إلى الكوفة ثمّ يمرّ حتّى ينصبّ في البطائح. وقال: النيل أفضل الأنهار لبعد منبعه ومروره على الأحجار والحصيات، وليس فيه وحل ولا يخضرّ الحجر فيه كغيره، ويمرّ من الجنوب إلى الشمال وهو سريع الجري، وزيادته في أيّام نقص سائر المياه، ومنبعه مواضع غير معمورة في جنوب خطّ الاستواء، ولذا لم يعلم منبعه على التحقيق. ونقل عن بعض حكماء اليونان: أنّ ماءه يجتمع من عشرة أنهار، بين كلّ نهرين منها اثنان وعشرون فرسخاً، فتنصبّ تلك الأنهار في بحيرة ثمّ منها يخرج نهر مصر متوجّهاً إلى الشمال حتّى ينتهي إلى مصر، فإذا جازها وبلغ «شنطوف» انقسم قسمين ينصبّان في البحر. وقال: سيحان منبعه من موضع طوله ثمان

(١) الخصال، ص ٢٥٠ باب الأربعة ح ١١٦.

وخمسون درجة وعرضه أربع وأربعون درجة، ويمرّ في بلاد الروم من الشمال إلى الجنوب إلى بلاد أرمن، ثمّ إلى قرب «مصيصة» ثمّ يجتمع مع جيحان وينصبّان في بحر الروم فيما بين أياس وطرسوس، ونهر جيحان منبعه من موضع طوله ثمان وخمسون درجة، وعرضه ستّ وأربعون درجة وهو قريب من نهر الفرات في العظمة ويمرّ من الشمال إلى الجنوب بين جبال في حدود الروم إلى أن يمرّ إلى شمال مصيصة وينصبّ في البحر (انتهى).

ثمّ اعلم أنّ هذه الرواية مرويّة في طرق المخالفين أيضاً، إلاّ أنّه ليس فيها «فالفرات» إلى آخر الخبر، واختلفوا في تأويله: قال الطيبيّ في شرح المشكاة في شرح هذا الخبر: سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون، وهما نهران عظيمان جدّاً وخصّ الأربعة لعذوبة مائها وكثرة منافعها كأنّها من أنهار الجنّة، أو يراد أنّها أربعة أنهار هي أصول أنهار الجنّة سمّاها بأسامي الأنهار العظام من أعذب أنهار الدنيا وأفيدها على التشبيه، فإنّ ما في الدنيا من المنافع فنموذجات لما في الآخرة، وكذا مضارّها. وقال القاضي: معنى كونها من أنهار الجنّة: أنّ الإيمان يعمّ بلادها وأنّ شاربيها صائرة إليها، والأصحّ أنّه على ظاهرها وأنّ لها مادة من الجنّة. وفي معالم التنزيل: أنزلها الله تعالى من الجنّة واستودعها الجبال لقوله تعالى: ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ﴾. أقول: المشبّه في الوجه الأوّل أنهار الدنيا، ووجه الشبه العذوبة والهضم والبركة. وفي الثاني: أنهار الجنّة، ووجهه الشهرة والفائدة والعذوبة. وفي الثالث وجهه المجاورة والانتفاع (انتهى).

وأقول: ظاهر الخبر مع التتمّة الّتي في الخصال اشتراك الاسم، وإنّما سمّيت بأسماء أنهار الجنّة لفضلها وبركتها وكثرة الانتفاع بها، ويحتمل أن يكون المعنى أنّ أصل هذه الأنهار ومادّتها من الجنّة، فلمّا صارت في الدنيا انقلبت ماء، ولا ينافي في ذلك معلوميّة منابعها إذ يمكن أن يكون أوّل حدوثها بسبب ماء الجنّة، أو يصبّ فيها بحيث لا نعلم، أو يكون المراد بالجنّة جنّة الدنيا كما مرّ في كتاب المعاد وتجري من تحت الأرض إلى تلك المنابع ثمّ يظهر منها. ويؤيّد تلك الوجوه في الجملة ما رواه الكلينيّ بسند كالموثّق عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يدفق في الفرات في كلّ يوم دفقات من الجنّة، وبسند آخر رفعه إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: نهركم هذا - يعني ماء الفرات - يصبّ فيه ميزابان من ميازيب الجنّة. وعن عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما قال: إنّ ملكاً يهبط من السماء في كلّ ليلة معه ثلاثة مثاقيل مسك من مسك الجنّة فيطرحها في الفرات، وما من نهر في شرق الأرض ولا غربها أعظم بركة منه. وأمّا التأويل بكون أهلها وشاربيها صائرين إلى الجنة فهو في خصوص الفرات ظاهر، إذ أكثر القرى والبلاد الواقعة عليه ويقربه من الإماميّة والمحبّين لأهل البيت عليهم السلام كما تشهد به التجربة، وقد روى الكلينيّ بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما إخال أحداً يحنّك بماء الفرات إلاّ أحبّنا أهل البيت. وقال عليه السلام: ما سقي أهل

الكوفة ماء الفرات إلاّ لأمر ما، وقال: يصبّ فيه ميزابان من الجنّة(١).

أقول: قوله عليه السلام: «لأمر ما» أي لرسوخ ولاية أهل البيت عليهم السلام في قلوب أهلها. وعن أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - قال: أما إنّ أهل الكوفة لو حنكوا أولادهم بماء الفرات لكانوا لنا شيعة(٢). وأمّا الأنهار الثلاثة الأُخرى فلم أرلها في غير هذا الخبر فضلاً، بل روى الكلينيّ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ماء نيل مصر يميت القلب(٣).

٤ - **الدر المنثور:** عن ابن عباس عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: أنزل الله من الجنّة إلى الأرض خمسة أنهار: سيحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات وهما نهرا العراق، والنيل وهو نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنّة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبرائيل فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعلها منافع للناس في أصناف معائشهم، فذلك قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾. فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبرئيل فرفع من الأرض القرآن والعلم كلّه والحجر من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة فيرفع كلّ ذلك إلى السماء، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خير الدنيا والآخرة(٤).

٥ - **شرح النهج لابن ميثم:** قال لمّا فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من حرب الجمل خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله واستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، ثمّ قال: يا أهل البصرة -! يا أهل المؤتفكة ائتفكت بأهلها ثلاثاً وعلى الله تمام الرابعة! - وساق الخطبة كما مرّ في كتاب الفتن وسيأتي إلى قوله عليه السلام - سخّر لكم الماء يغدو عليكم ويروح صلاحاً لمعاشكم والبحر سبباً لكثرة أموالكم(٥).

بيان: قوله عليه السلام: «الماء يغدو عليكم ويروح» إشارة إلى المدّ والجزر. وقوله: «صلاحاً لمعاشكم» إلى فائدتهما، إذ لو كان الماء دائماً على حدّ النقصان ولم يصل إلى حدّ المدّ لما سقى زروعهم ونخيلهم، ولو كان دائماً على حدّ الزيادة لغرقت أراضيهم بأنهارهم، وفي نقص الأنهار بعد زيادتها فائدة أُخرى، هي غسل الأقذار وإزالة الخبائث عن شطوطها، وربما كان فيهما فوائد أُخرى كتأثيرهما في حركة السفن ونحو ذلك.

٦ - **إعلام الورى:** بإسناده عن الكلينيّ، عن عدّة من أصحابه، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه، عن عبد الله بن القاسم. عن حيّان السراج، عن داود بن سليمان الكسائيّ، عن أبي الطفيل قال: سأل في أوّل خلافة عمر يهوديٌّ من أولاد هارون أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) - (٢) الكافي، ج ٦ ص ١١٠٥ باب ٣١٣ ح ١-٥. (٣) الكافي، ج ٦ ص ١١٠٦ باب ٣١٥ ح ٣.
(٤) الدر المنثور، ج ٥ ص ٨. (٥) شرح النهج لابن ميثم، ج ١ ص ٢٨٩.

عن أوّل قطرة قطرت على وجه الأرض، وأوّل عين فاضت على وجه الأرض، وأوّل شجر اهتزّ على وجه الأرض. فقال عليه السلام يا هارونيّ أمّا أنتم فتقولون: أوّل قطرة قطرت على وجه الأرض حيث قتل أحد ابني آدم صاحبه وليس كذلك ولكنّه حيث طمثت حوّاء وذلك قبل أن تلد ابنيها، وأمّا أنتم فتقولون أوّل عين فاضت على وجه الأرض العين الّتي ببيت المقدس، وليس هو كذلك ولكنّها عين الحياة الّتي وقف عليها موسى وفتاه ومعهما النون المالح فسقط فيها فحيي، وهذا الماء لا يصيب ميّتاً إلاّ حيي. وأمّا أنتم فتقولون: أوّل شجر اهتزّ على وجه الأرض الشجرة الّتي كانت منها سفينة نوح، وليس كذلك ولكنّها النخلة الّتي هبطت من الجنّة وهي العجوة، ومنها تفرّع كلّ ما ترى من أنواع النخل، فقال: صدقت والله الّذي لا إله إلاّ هو، إنّي لأجد هذا في كتب أبي هارون عليه السلام كتابة يده وإملاء عمّي موسى عليه السلام [1].

٧ - **إكمال الدين:** عن أبيه ومحمّد بن الحسن، عن سعد بن عبد الله، ومحمّد بن يحيى العطّار وأحمد بن إدريس جميعاً عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ ويعقوب بن يزيد وإبراهيم ابن هاشم جميعاً عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن أيمن بن محرز، عن محمّد بن سماعة، عن إبراهيم بن أبي يحيى المدني، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله، إلاّ أنّه قال: قال اليهوديّ: أخبرني عن أوّل شجرة نبتت على وجه الأرض، وعن أوّل عين نبعت على وجه الأرض وعن أوّل حجر وضع على وجه الأرض، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا أوّل شجرة نبتت على وجه الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنّها الزيتونة وكذبوا، وإنّما هي النخلة من العجوة هبط بها آدم عليه السلام معه من الجنّة فغرسها وأصل النخلة كلّه منها. وأمّا أوّل عين نبعت على وجه الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنّها العين الّتي ببيت المقدس وتحت الحجر وكذبوا، هي عين الحياة الّتي ما انتهى إليها أحد إلاّ حيي، وكان الخضر على مقدّمة ذي القرنين فطلب عين الحياة فوجدها الخضر عليه السلام وشرب منها ولم يجدها ذو القرنين. وأمّا أوّل حجر وضع على وجه الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنّه الحجر الّذي ببيت المقدس وكذبوا، إنّما هو الحجر الأسود هبط به آدم عليه السلام معه من الجنّة فوضعه في الركن، والناس يستلمونه وكان أشدّ بياضاً من الثلج فاسودّ من خطايا بني آدم [2].

أقول: الخبران طويلان أوردتهما بأسانيدهما في باب نصّ أمير المؤمنين عليه السلام على الاثني عشر عليهم السلام في المجلّد التاسع.

كتاب الأقاليم والبلدان والأنهار: للفرات فضائل كثيرة:

٨ - روي أنّ أربعة من أنهار الجنّة: سيحون وجيحون والنيل والفرات.

٩ - وعن عليّ عليه السلام قال: يا أهل الكوفة نهركم هذا ينصبّ إليه ميزابان من الجنّة.

١٠ - وروي عن جعفر الصادق عليه السلام أنّه شرب من ماء الفرات ثمّ استزاد وحمد الله

---

(١) إعلام الورى، ص ٣٩٢.
(٢) كمال الدين، ص ٢٨١ باب ٢٦ ح ٥.

تعالى، قال: ما أعظم بركته لو علم الناس ما فيه من البركة لضربوا على حافتيه القباب ما انغمس فيه ذو عاهة إلاّ برىء.

وعن السدّي أنّ الفرات مدّ في زمن عمر فألقى رمّانة عظيمة منها كرمّان الحبّ فأمر المسلمين أن يقسموها بينهم، فكانوا يزعمون أنّها من الجنّة.

١١ - وقال: قال رسول الله ﷺ: النيل يخرج من الجنّة ولو التمستم فيه حين يخرج لوجدتم من ورقها.

وقال في وصف بعض البحار نقلاً عن صاحب كتاب عجائب الأخبار: هذا البحر فيه طائر مكرم لأبويه، فإنّهما إذا كبرا وعجزا عن القيام بأمر أنفسهما، يجتمع عليهما فرخان من فراخهما فيحملانهما على ظهورهما إلى مكان حصين، ويبنيان لهما عشّاً ويتعاهدانهما الزاد والماء إلى أن يموتا، فإن مات الفرخان قبلهما يأتي إليهما فرخان آخران من فراخهما ويفعلان بهما كما فعل الفرخان الأوّلان، وهلمّ جرّاً وهذا دأبهما.

١٢ - **قرب الإسناد:** عن السندي بن محمّد، عن أبي البختري، عن جعفر، عن أبيه قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ قال: من ماء السماء ومن ماء البحر، فإذا أمطرت فتحت الأصداف أفواهها في البحر، فيقع فيها من ماء المطر فتخلق اللؤلؤة الصغيرة من القطرة الصغيرة، واللؤلؤة الكبيرة من القطرة الكبيرة(١).

١٣ - **كامل الزيارة:** عن أبيه، عن الحسن بن متّيل، عن عمران بن موسى عن الجاموراني، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نهران مؤمنان، ونهران كافران، نهران كافران نهر بلخ ودجلة، والمؤمنان نيل مصر والفرات، فحنكوا أولادكم بماء الفرات(٢).

بيان: قال الجزريّ في النهاية: فيه «نهران مؤمنان ونهران كافران أمّا المؤمنان فالنيل والفرات وأمّا الكافران فدجلة ونهر بلخ جعلهما مؤمنين على التشبيه لأنّهما يفيضان على الأرض فيسقيان الحرث بلا مؤنة، وجعل الآخرين كافرين لأنّهما لا يسقيان ولا ينتفع بهما إلاّ بمؤنة وكلفة، فهذان في الخير والنفع كالمؤمنين، وهذان في قلّة النفع كالكافرين (انتهى). وأقول: ربما يومىء التفريع بقوله: «فحنكوا» إلى أنّ المراد أنّ للأوّلين مدخلاً في الإيمان وللآخرين في الكفر وهو في الفرات ظاهر كما عرفت، وأمّا في النيل فلعلّ شقاوة أهله لسوء تربة مصر كما ورد في الأخبار فلو جرى في غيره لم يكن كذلك، ونهر بلخ هو نهر جيحون. وقال البرجندي: ويخرج عموده من حدود «بدخشان» من موضع طوله أربع وتسعون درجة وعرضه سبع وثلاثون درجة ثمّ يجتمع معه أنهار كثيرة ويذهب إلى جهة

---

(١) قرب الإسناد، ص ١٣٧ ح ٤٨٥. (٢) كامل الزيارات، ص ١١١ باب ١٣ ح ١٧.

المغرب والشمال إلى حدود بلخ ثمّ يجاوزه إلى «ترمذ» ثمّ يذهب إلى المغرب والجنوب إلى ولاية «زمّ» وطوله تسع وثمانون درجة وعرضه سبع وثلاثون، ثمّ يمرّ إلى المغرب والشمال إلى موضع طوله ثمان وثمانون درجة وعرضه تسع وثلاثون، ثم يمرّ إلى أن ينصبّ في بحيرة خوارزم. ونهر دجلة مشهور ويخرج من بلاد الروم من شمال «ميّارقين»(١) من تحت حصار ذي القرنين، ويذهب من جهة الشمال والمغرب إلى جهة الجنوب والمشرق ويمرّ بمدينة «آمد» والموصل وسرّ من رأى وبغداد ثمّ «واسط» ثمّ ينصبّ في بحر فارس.

١٤ - **العياشي:** عن إبراهيم بن أبي العلا، عن غير واحد، عن أحدهما عليهما السلام قال: لمّا قال الله: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ قالت الأرض: إنّما أُمرت أن أبلع مائي أنا فقط، ولم أُؤمر أن أبلع ماء السماء، قال: فبلعت الأرض ماءها وبقي ماء السماء فصيّر بحراً حول الدنيا(٢).

١٥ - **الكافي:** عن محمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان وعليّ بن إبراهيم عن أبيه، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ جبرئيل عليه السلام كرى برجله خمسة أنهار ولسان الماء يتبعه: الفرات ودجلة ونيل مصر ومهران ونهر بلخ، فما سقت أو سقي منها فللإمام. والبحر المطيف بالدنيا(٣).

بيان: قال البرجنديّ: نهر مهران هو نهر السند يمرّ أوّلاً في ناحية «مُلتان» ثمّ يميل إلى الجنوب ويمرّ بالمنصورة ثمّ يمرّ حتىّ ينصبّ في بحر «دَيْبُل» من جانب المشرق، وهو نهر عظيم وماؤه في غاية العذوبة وشبيه بنيل مصر ويكون فيه التمساح كالنيل، وقيل: إذا وصل إلى موضع طوله مأة وسبع درجات وعرضه ثلاث وعشرون درجة ينقسم إلى شعبتين، تنصبّ إحداهما في بحر الهند والأخرى تمرّ وتنصبّ فيه بعد مسافة أيضاً. «فما سقت» أي بأنفسها «أو سقي منها» أي سقى الناس منها. وهذا الخبر رواه في الفقيه بسند صحيح عن أبي البختريّ وزاد في آخره «وهو أفسبكون» ولعلّه من الصدوق فصار سبباً للإشكال، لأنّ «أفسبكون» معرّب «آبسكون» وهو بحر الخزر، ويقال له: بحر جرجان وبحر طبرستان وبحر مازندران، وطوله ثمانمأة ميل وعرضه ستّمائة ميل، وتنصبّ فيه أنهار كثيرة منها نهرآتل وهذا البحر غير محيط بالدنيا بل محاط بالأرض من جميع الجوانب ولا يتّصل بالمحيط، ولعلّه إنّما تكلّف ذلك لأنّه لا يحصل من المحيط شيء وهو غير مسلّم. وقرأ بعض الأفاضل المطيف - بضمّ الميم وسكون الطاء وفتح الياء - اسم مفعول أو اسم مكان من الطواف ولا يخفى ضعفه فإنّ اسم المفعول منه مطاف بالضمّ أو مطوف، واسم المكان كالأوّل أو مطاف بالفتح، وربما يقرأ «مطيّف» بتشديد الياء المفتوحة، وهو أيضاً غير مستقيم لأنّه بالمعنى

---

(١) الظاهر: ميّا فارقين، ببلاد الروم. (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٥٨ ح ٣٣ من سورة هود.

(٣) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٤٤ باب أن الأرض كلها للإمام ح ٨.

المشهور واويّ فالمفعول من باب التفعيل مطوّف، وأيضاً كان ينبغي أن يقال: المطيف به الدنيا، نعم قال في القاموس: طيّف تطييفاً وطوّف: أكثر الطواف (انتهى) لكن حمله على هذا أيضاً يحتاج إلى تكلّف شديد، وما في الكافي أظهر وأصوب والمعنى: أنّ البحر المحيط بالدنيا أيضاً للإمام.

١٦- **نوادر الراوندي:** بإسناده عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شرّ اليهود يهود بيسان، وشرّ النصارى نصارى نجران، وخير ماء نبع على وجه الأرض ماء زمزم، وشرّ ماء نبع على وجه الأرض ماء برهوت، وادٍ بحضرموت يرد عليه هام الكفّار وصداهم[١].

بيان: في القاموس: بيسان قرية بالشام، وقرية بمرو، وموضع باليمامة، ولعلّ الأوّل هنا أظهر، ونجران موضع باليمن. وفي النهاية: فيه «لا عدوى ولا هامة» الهامة الرأس، واسم طائر، وهو المراد في الحديث وذلك أنّهم كانوا يتشأمون بها وهي من طير الليل، وقيل: هي البومة، وقيل: إنّ العرب كانت تزعم أنّ روح القتيل الّذي لا يدرك بثأره تصير هامةً فتقول: اسقوني! اسقوني! فإذا أُدرك بثأره طارت. وقيل: كانوا يزعمون أنّ عظام الميّت وقيل روحه تصير هامة فتطير ويسمّونه «الصدى» فنفاه الإسلام ونهاهم عنه. وفي القاموس: الصدى الجسد من الآدميّ بعد موته، وطائر يخرج من رأس المقتول إذا بلي بزعم الجاهليّة.

١٧ - **كتاب الغارات:** لإبراهيم بن محمّد الثقفيّ: رفعه عن الأصبغ بن نباتة قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن أوّل شيء ضجّ على الأرض، قال: وادٍ باليمن هو أوّل وادٍ فار منه الماء[٢].

١٨ - **كتاب النوادر:** لعليّ بن أسباط: عن عيسى بن عبد الله، عن أبيه، عن جدّه قال: قال عليه السلام: لو عدل في الفرات لسقى ما على الأرض كلّه.

بيان: يحتمل أن يكون المراد بها الأراضي الّتي على شطّه وبالقرب منه.

١٩ - **الدر المنثور:** عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ماء زمزم لما شرب له، من شربه لمرض شفاه الله، أو لجوع أشبعه الله، أو لحاجة قضاها الله.

قال الحكيم الترمذيّ: وحدّثني أبي قال: دخلت الطواف في ليلة ظلماء فأخذني من البول ما شغلني، فجعلت أعتصر حتّى آذاني وخفت إن خرجت من المسجد أن أطأ بعض تلك الأقذار وذلك أيّام الحاجّ، فذكرت هذا الحديث، فدخلت زمزم فتبلّعت منه فذهب عنّي إلى الصباح[٣].

---

(١) نوادر الراوندي، ص ١٠٥ ح ٧٨. (٢) كتاب الغارات، ص ١٨٨.
(٣) الدر المنثور، ج ٣ ص ٢٢١.

٢٠ - **ومنه:** عن ابن عبّاس ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ قال: أرسل البحرين ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ قال: حاجز ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ قال: لا يختلطان، وروي أيضاً عنه قال: بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان كلّ عام. ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ قال: إذا مطرت السماء فتحت الأصداف في البحر أفواهها فما وقع فيها من قطر السماء فهو اللؤلؤ[١].

٢١ - وعن ابن جبير قال: إذا نزل القطر من السماء تفتّحت له الأصداف فكان لؤلؤاً[٢].

٢٢ - وعن عليّ بن أبي طالب قال: المرجان عظام اللؤلؤ. وعن ابن عبّاس مثله[٣].

٢٣ - وفي رواية أُخرى عنه: المرجان اللؤلؤ الصغار[٤].

٢٤ - وعن ابن مسعود: المرجان الخرز الأحمر[٥].

٢٥ - وعن عمير بن سعد قال: كنّا مع عليّ على شطّ الفرات فمرّت سفينة فقرأ هذه الآية: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾[٦].

٢٦ - **مجمع البيان:** روى مقاتل عن عكرمة وعن ابن عبّاس عن النبيّ ﷺ قال: إنّ الله تعالى أنزل من الجنّة خمسة أنهار: سيحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات، وهما نهرا العراق، والنيل وهو نهر مصر، أنزلها الله تعالى من عين واحدة وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معائشهم وذلك قوله ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ﴾[٧].

٢٧- **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن أحمد، عن محمّد بن عبد الله بن أحمد عن عليّ بن النعمان، عن صالح بن حمزة، عن أبان بن مصعب، عن يونس بن ظبيان أو المعلّى بن خنيس قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لكم من هذه الأنهار؟ فتبسّم وقال: إنّ الله تعالى بعث جبرئيل وأمره أن يخرق بإبهامه ثمانية أنهار في الأرض منها: سيحان، وجيحان وهو نهر بلخ، والخشوع وهو نحر الشاش، ومهران وهو نهر الهند، ونيل مصر، ودجلة، والفرات، فما سقت أو استقت فهو لنا، وما كان لنا فهو لشيعتنا وليس لعدوّنا منه شيء إلاّ ما غصب عليه، وإنّ ولينا لفي أوسع ممّا بين ذه إلى ذه - يعني بين السماء والأرض - ثمّ تلا هذه الآية ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ المغصوبين عليها ﴿خَالِصَةً﴾ لهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ بلا غصب[٨].

توضيح: لعلّ التبسّم لأجل (من) التبعيضيّة (يخرق) كينصر ويضرب أي يشقّ ويحفر، ومنهم من حمل الكلام على الاستعارة التمثيليّة لبيان أنّ حدوث الأنهار ونحوها مستند إلى قدرة الله تعالى ردّاً على الفلاسفة الّذين يسندونها إلى الطبائع، وفي أكثر النسخ هنا «جيحان»

---

(١) - (٦) الدر المنثور، ج ٦ ص ١٤٢-١٤٣. (٧) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٨٢.

(٨) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٤٣ باب أنّ الأرض كلها للإمام ح ٥.

بالألف وفي بعضها بالواو، وهو أصوب لما عرفت أنّ نهر بلخ بالواو، وعلى الأوّل إن كان التفسير من بعض الرواة فيمكن أن يكون اشتباهاً منه، ولو كان من الإمام عليه‌السلام وصحّ الضبط كان الاشتباه من اللغويّين. و«الشاش» بلد بما وراء النهر كما في القاموس ونهره على ما ذكره البرجنديّ بقدر ثلثي الجيحون، ومنبعه من بلاد الترك من موضع عرضه اثنتان وأربعون درجة وطوله إحدى وسبعون درجة ويمرّ إلى المغرب مائلاً إلى الجنوب إلى خجند ثمّ إلى فاراب ثمّ ينصبّ في بحيرة خوارزم، وتسميته بالخشوع غير مذكور فيما رأينا من كتب اللغة وغيرها «فما سقت» أي سقته من الأشجار والأراضي والزروع «أو استقت» أي منه، أي أخذت الأنهار منه وهو بحر المطيف بالدنيا أو بحر السماء، فالمقصود أنّ أصلها وفرعها لنا، أو ضمير «استقت» راجع إلى (ما) باعتبار تأنيث معناه، والتقدير: استقت منها، وضمير(منها) المقدّر للأنهار، فالمراد بما سقت ما جرت عليها من غير عمل، وبما استقت ما شرب منها بعمل كالدولاب وشبهه، ونسبة الاستسقاء إليها على المجاز، كذا خطر بالبال وهو أظهر. وقيل: ضمير «استقت» راجع إلى الأنهار على الإسناد المجازيّ لأنّ الاستقاء فعل لمن يخرج الماء منها بالحفر والدولاب. يقال: استقيت من البئر أي أخرجت الماء منها. وبالجملة يعتبر في الاستقاء ما لا يعتبر في السقي من الكسب والمبالغة في الاعتمال «إلاّ ما غصب عليه» على بناء المعلوم والضمير للعدوّ أي غصبنا عليه أو على بناء المجهول أي إلاّ شيء صار مغصوباً عليه، يقال غصبه على الشيء أي قهره، والاستثناء منقطع إن كان اللام للاستحقاق، وإن كان للانتفاع فالاستثناء متصل و«ذه» إشارة إلى المؤنّث أصلها ذي قلبت الياء هاء «المغصوبين عليها» الحاصل أنّ (خالصة) حال مقدّرة من قبيل قولهم: جاءني زيد صائداً صقره غداً. قال في مجمع البيان: قال ابن عبّاس يعني أنّ المؤمنين يشاركون المشركين في الطيّبات في الدنيا ثمّ يخلص الله الطيّبات في الآخرة للّذين آمنوا، وليس للمشركين فيها شيء (انتهى)..

ثمّ اعلم أنّه عليه‌السلام ذكر في الأوّل ثمانية وإنّما ذكر في التفصيل سبعة، فيحتمل أن يكون ترك واحداً منها لأنّه لم يكن في مقام تفصيل الجميع بل قال: منها سيحان - الخبر - وقيل: لمّا كان سيحان اسماً لنهرين: نهر بالشام، ونهر بالبصرة، أراد هنا كليهما، من قبيل استعمال المشترك في معنييه، وهو بعيد، ولعلّه سقط واحد منها من الرواة، وكأنّه كان «جيحان وجيحون» فظنّ بعض النسّاخ والرواة زيادة أحدهما فأسقطه وحينئذ يستقيم التفسير أيضاً.

فائدة: قال النيسابوريّ في تفسير قوله تعالى ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾[1]: قد سلف أنّ الماء المحيط بأكثر جوانب القدر المعمور من الأرض فذلك هو البحر المحيط، وقد دخل في ذلك الماء من جانب الجنوب متّصلاً بالمحيط الشرقيّ ومنقطعاً عن الغربيّ إلى وسط العمارة أربعة خليجات: الأوّل إذا ابتدأ من المغرب الخليج البربري

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

لكونه في حدود بربر من أرض الحبشة، طوله من الجنوب إلى الشمال مأة وستّون فرسخاً وعرضه خمسة وثلاثون فرسخاً، وعلى ضلعه الغربي بلاد كفّار الحبشة وبعض الزنج، وعلى الشرقي بلاد مسلمي الحبشة. والثاني الخليج الأحمر، طوله من الجنوب إلى الشمال أربعمائة وستّون فرسخاً وعرضه بقرب منتهاه ستّون فرسخاً، وبين طرفه وفسطاط مصر الّذي على شرق النيل مسيرة ثلاثة أيّام على البرّ، وعلى ضلعه الغربيّ بعض بلاد البربر وبعض بلاد الحبشة، وعلى ضلعه الشرقيّ سواحل عليها فرضة مدينة الرسول ﷺ لقوافل مصر والحبشة إلى الحجاز ثمّ سواحل اليمن ثمّ عدن على الزاوية الشرقيّة منه. الثالث: خليج فارس، طوله من الجنوب إلى الشمال أربعمائة وستّون فرسخاً، وعرضه قريب من مائة وثمانين فرسخاً، وعلى سواحل ضلعه الغربيّ بلاد عمان، ولهذا ينسب البحر هناك إليها، وجملة ولاية العرب وأحيائهم من الحجاز واليمن والطائف وغيرها وبواديهم بين الضلع الغربيّ من هذا البحر والشرقيّ من الخليج الأحمر، فلهذا سمّيت العمارة الواقعة بينهما جزيرة العرب وفيها مكّة - زادها الله شرفاً - وعلى سواحل ضلعه الشرقيّ بلاد فارس، ثمّ هرموز ثمّ مكران، ثمّ سواحل السند. الرابع الخليج الأخضر مثلّث الشكل آخذ من الجنوب إلى الشمال، ضلعه الشرقيّ بلاد فارس، ثمّ هرموز، ثمّ مكران متّصل بالمحيط الشرقيّ وضلعه الغربيّ خمسمائة فرسخ تقريباً وعلى سواحل هذا الضلع ولايات الصين، ولهذا يسمّى بحر الصين، ومن زاويته الغربيّة إلى زاوية من بحر فارس يسمّى بحر الهند لكون بعض ولايتهم على سواحله. وأيضاً فقد دخل إلى العمارة من جانب الغرب خليج عظيم يمرّ من جانب الجنوب على كثير من بلاد المغرب ويحاذي أرض السودان وينتهي إلى بلاد مصر والشام، ومن جانب الشمال على بلاد الروس والجلالقة والصقالبة إلى بلاد الروم [والشام]، ويتشعّب منه شعبة من شمال أرض الصقالبة إلى أرض مسلمي «بلغار» يسمّى بحر «ورنك» طوله المعلوم مائة فرسخ وعرضه ثلاث وثلاثون وإذا جاوز تلك النواحي امتدّ نحو المشرق عمّا وراء جبال غير مسلوكة وأرض غير مسكونة، وتتشعّب منه أيضاً شعبة يسمّى بحر طرابزون. فهذه هي البحار المتصلة بالمحيط، وأمّا غير المتّصلة فأعظمها بحر طبرستان وجيلان وباب الأبواب والخزر وأبسيكون، لكون هذه الولايات على سواحله مستطيل الشكل آخذ من المشرق إلى المغرب بأكثر من مأتين وخمسين فرسخاً، ومن الجنوب إلى الشمال بقرب من مأتين. ومن عجائب البحار الحيوانات المختلفة الأعظام والأنواع والأصناف، ومنها الجزائر الواقعة فيها، فقد يقال في بحر الهند من الجزائر العامرة ألف وثلاثمأة وسبعون منها جزيرة عظيمة في أقصى البحر مقابل أرض الهند في ناحية المشرق، وعند بلاد الصين تسمّى جزيرة سرانديب دورها ثلاثة آلاف ميل فيها جبال عظيمة وأنهار كثيرة ومنها يخرج الياقوت الأحمر، وحول هذه الجزيرة تسع عشرة جزيرة عامرة فيها مدائن وقرى

كثيرة، ومن جزائر هذا البحر جزيرة (كله) الّتي يجلب منها الرصاص القلعيّ وجزيرة «سريرة» الّتي يجلب منها الكافور، وغرائب البحر كثيرة ولهذا قيل: حدّث عن البحر ولا حرج. وسئل بعض العقلاء: ما رأيت من عجائب البحر؟ قال: سلامتي منه.

تتمة: قالت الحكماء في سبب انفجار العيون من الأرض: إنّ البخار إذا احتبس في داخل من الأرض لما فيها من ثقب وفرج يميل إلى جهة فيبرد بها فينقلب مياهاً مختلطة بأجزاء بخاريّة، فإذا كثر لوصول مدد متدافع إليه بحيث لا تسعه الأرض أوجب انشقاق الأرض وانفجرت منها العيون، أمّا الجارية على الولاء فهي إمّا لدفع تاليها سابقها، أو لانجذابه إليه لضرورة عدم الخلاء بأن يكون البخار الّذي انقلب ماءً وفاض إلى وجه الأرض ينجذب إلى مكانه ما يقوم مقامه لئلاّ يكون خلاء فينقلب هو أيضاً ماءً ويفيض وهكذا استتبع كلّ جزء منه جزءاً آخر. وأمّا العيون الراكدة فهي حادثة من أبخرة لم تبلغ من كثرة موادّها وقوّتها أن يحصل منها معاونة شديدة، أو يدفع اللاحق السابق. وأمّا مياه القنى والآبار فهي متولّدة من أبخرة ناقصة القوّة عن أن تشقّ الأرض، فإذا أُزيل ثقل الأرض عن وجهها صادفت منفذاً تندفع إليه بأدنى حركة، فإن لم يجعل هناك مسيل فهو البئر، وإن جعل فهو القناة، ونسبة القنى إلى الآبار كنسبة العيون السيّالة إلى الراكدة، ويمكن أن تكون هذه المياه متولّدة - كما قاله أبو البركات البغداديّ - من أجزاء مائيّة متولّدة من أجزاء متفرّقة في ثقب أعماق الأرض ومنافذها إذا اجتمعت، بل هذا أولى لكون مياه العيون والآبار والقنوات تزيد بزيادة الثلج والأمطار. قال الشيخ في النجاة: وهذه الأبخرة إذا انبعثت عيوناً أمدّت البحار بصبّ الأنهار إليها، ثمّ ارتفع من البحار والبطائح والأنهار وبطون الجبال خاصّة أبخرة أُخرى ثمّ قطرت ثانياً إليها فقامت بدل ما يتحلّل منها على الدور دائماً.

٣٢ - باب الأرض وكيفيتها وما أعد الله للناس فيها وجوامع أحوال العناصر وما تحت الأرضين

الآيات: البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

الرعد: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾.

إبراهيم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا

لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾.

الحجر: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

النحل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.

الكهف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾.

طه: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾.

الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾.

الشعراء: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾.

النمل: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾.

لقمان: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾.

فاطر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾.

يس: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

المؤمن [غافر]: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ «٦٤».

فصلت: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

حمعسق [الشورى]: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ «٢٩».

الزخرف: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾.

الجاثية: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ «١٣».

ق: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾.

الذاريات: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

الرحمن: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾.

الحديد: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾.

الطلاق: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾.

الملك: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾.

نوح: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾.

المرسلات: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

النبأ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾.

الطارق: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾.

الغاشية: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾.

الشمس: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾﴾.

تفسير: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ قيل: إنّه تعالى عدّد في هذا المقام عليهم خمسة دلائل اثنين من الأنفس، وهما خلقهم وخلق أصولهم، وثلاثة من الآفاق: بجعل الأرض فراشاً، والسماء بناءً، والأمور الحاصلة من مجموعهما، وهي إنزال الماء من السماء وإخراج الثمرات بسببه. وسبب هذا الترتيب ظاهر، لأنّ أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه، ثمّ مأمنه ومنشأه وأصله، ثمّ الأرض الّتي هي مكانه ومستقرُّه يقعدون عليها وينامون ويتقلّبون كما يتقلّب أحدهم على فراشه، ثمّ السماء الّتي كالقبّة المضروبة والخيمة المبنيّة على هذا القرار، ثمّ ما يحصل من شبه الازدواج بين المقلّة والمظلّة من إنزال الماء عليها والإخراج به من بطنها أشباه النسل من الحيوان [من] ألوان الغذاء وأنواع الثمار رزقاً لبني آدم. وأيضاً خلق المكلّفين أحياءً قادرين أصل لجميع النعم وأمّا خلق الأرض والسماء فذاك إنّما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحياة والقدرة والشهوة، وذكر الأصول مقدَّم على ذكر الفروع. وأيضاً كلّ ما كان في السماء والأرض من الدلائل على وجود الصانع فهو حاصل في الإنسان بزيادة الحياة والقدرة والشهوة والعقل، ولمّا كانت وجوه الدلالة فيه أتمّ كان تقديمه في الذكر أهمّ.

والفراش: اسم لما يفرش كالبساط لما يبسط، وليس من ضرورات الافتراش أن يكون سطحاً مستوياً كالفراش على ما ظنّ، فسواء كانت كذلك وعلى شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم جرمها وتباعد أطرافها، ولكنّه لا يتمّ الافتراش عليها ما لم تكن ساكنة في حيّزها الطبيعيّ وهو وسط الأفلاك، لأنّ الأثقال بالطبع تميل إلى تحت كما أنّ الخفاف بالطبع تميل إلى فوق، والفوق من جميع الجوانب ما يلي السماء، والتحت ما يلي المركز، فكما أنّه يستبعد حركة الأرض في ما يلينا إلى جهة السماء فكذلك يستبعد هبوطها في مقابلة ذلك، لأنّ ذلك الهبوط صعود أيضاً إلى السماء فإذن لا حاجة في سكون الأرض وقرارها في حيّزها إلى علاقة من فوقها ولا إلى دعامة من تحتها، بل يكفي في ذلك ما أعطاها خالقها، وركز فيها من الميل الطبيعيّ إلى الوسط الحقيقي بقدرته واختياره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾(١).

وممّا منّ الله على عباده في خلق الأرض أن لم تجعل في غاية الصلابة كالحجر ولا في غاية اللين والانغمار كالماء، ليسهل النوم والمشي عليها، وأمكنت الزراعة واتّخاذ الأبنية

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٤١.

منها، ويتأتّى حفر الآبار وإجراء الأنهار. ومنها أن لم تخلق في نهاية اللطافة والشفيف لتستقرّ الأنوار عليها وتتسخّن منها فيمكن جوازها. ومنها أن جعلت بارزة بعضها من الماء مع أنّ طبعها الغوص فيه لتصلح لتعيّش الحيوانات البرّيّة عليها، وسبب انكشاف ما برز منها - وهو قريب من ربعها - أن لم تخلق صحيحة الاستدارة، بل خلقت هي والماء بمنزلة كرة واحدة، يدلّ على ذلك في ما بين الخافقين تقدّم طلوع الكواكب وغروبها للمشرقيّين على طلوعها وغروبها للمغربيّين، وفي ما بين الشمال والجنوب ازدياد ارتفاع القطب الظاهر وانحطاط الخفيّ للواغلين في الشمال، وبالعكس للواغلين في الجنوب، وتركّب الاختلافين لمن يسير على سمت بين السمتين، إلى غير ذلك من الأعراض الخاصّة بالاستدارة يستوي في ذلك راكب البرّ وراكب البحر، وهذه الجبال وإن شمخت لا تخرجها عن أصل الاستدارة، لأنّها بمنزلة الخشونة القادحة في ملاسة الكرة لا في استدارتها.

ومنا الأشياء المتولّدة فيها من المعادن والنبات والحيوان والآثار العلويّة والسفليّة، ولا يعلم تفاصيلها إلاّ موجدها، ومنها اختلاف بقاعها في الرخاوة والصلابة والدماثة والوعورة بحسب اختلاف الحاجات والأغراض ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ ومنها اختلاف ألوانها ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾. ومنها انصداعها بالنبات ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾. ومنها جذبها للماء المنزل من السماء ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. ومنها العيون والأنهار العظام الّتي فيها ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ ومنها أنّ لها طبع الكرم والسماحة، تأخذ واحدة وتردّ سبعمائة ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ ومنها حياتها وموتها ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا﴾ ومنها الدوابّ المختلفة ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ ومنها النباتات المتنوّعة ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ فاختلاف ألوانها دلالة، واختلاف طعومها دلالة، واختلاف روائحها دلالة، فمنها قوت البشر ومنها قوت البهائم ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ ومنها الطعام، ومنها الإدام، ومنها الدواء ومنها الفواكه، ومنها كسوة البشر نباتيّة كالقطن والكتان، وحيوانيّة كالشعر والصوف والإبريسم والجلود، ومنها الأحجار المختلفة بعضها للزينة وبعضها للأبنية. فانظر إلى الحجر الّذي تستخرج منه النار مع كثرته، وانظر إلى الياقوت الأحمر مع عزّته وانظر إلى كثرة النفع بذلك الحقير، وقلّة النفع بهذا الخطير، ومنها ما أودع الله تعالى فيها من المعادن الشريفة كالذهب والفضّة.

ثمّ تأمّل أنّ البشر استنبطوا الحرف الدقيقة، والصنائع الجليلة، واستخرجوا السمك من قعر البحر، واستنزلوا الطير من أوج الهواء، وعجزوا عن اتّخاذ الذهب والفضّة، والسبب فيه أنّ معظم فائدتهما ترجع إلى الثمنيّة، وهذه الفائدة لا تحصل إلاّ عند العزّة، والقدرة على اتّخاذهما تبطل هذه الحكمة، فلذلك ضرب الله دونهما باباً مسدوداً، ومن ههنا اشتهر في الألسنة: من طلب المال بالكيمياء أفلس.

ومنها ما يوجد على الجبال والأراضي من الأشجار الصالحة للبناء والسقف والحطب، وما اشتدّ إليه الحاجة في الخبز والطبخ، ولعلّ ما تركناه من الفوائد أكثر ممّا عددناه، فإذا تأمّل العاقل في هذه الغرائب والعجائب اعترف بمدبّر حكيم ومقدّر عليم إن كان ممّن يسمع ويبصر ويعتبر.

وأما منافع السماء: فإنّ الله تعالى زيّنها بمصابيح ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ﴾ وبالقمر ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ وبالشمس ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ وبالعرش ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وبالكرسيّ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وباللوح ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ وبالقلم ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾. وسمّاها سقفاً محفوظاً وسبعاً طباقاً، وسبعاً شداداً، وذكر أنّ خلقها مشتمل على حكم بليغة، وغايات صحيحة ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا﴾ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وجعلها مصعد الأعمال ومهبط الأنوار، وقبلة الدعاء، ومحلّ الضياء والصفاء، وجعل لونها أنقع الألوان وهو المستنير، وشكلها أفضل الأشكال وهو المستدير ونجومها رجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر، وقيّض للشمس طلوعاً وسهّل معه التقلّب لقضاء الأوطار في الأطراف، وغروباً يصلح معه الهدء والقرار في الأكناف، لتحصيل الراحة وانبعاث القوّة الهاضمة وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء. وأيضاً لولا الطلوع لانجمدت المياه، وغلبت البرودة والكثافة، وأفضت إلى جمود الحرارة الغريزيّة وانكسار سورتها، ولولا الغروب لحميت الأرض حتّى يحترق كلّ من عليها من حيوان ونبات، فهي بمنزلة السراج يوضع لأهل بيت بمقدار حاجتهم، ثمّ يرفع عنهم ليستقرّوا ويستريحوا، فصار النور والظلمة مع تضادّهما متظاهرين على ما فيه صلاح قطّان الأرض.

وأمّا ارتفاع الشمس وانحطاطها فقد جعله الله تعالى سبباً لإقامة الفصول الأربعة ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولّد منه موادّ الثمار، ويستكثف الهواء فيكثر السحاب والمطر. وتقوى أبدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة الغريزيّة في البواطن، وفي الربيع تتحرّك الطبائع، وتظهر الموادّ المتولّدة في الشتاء وينوّر الشجر، ويهيج الحيوان للسفاد. وفي الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار، وتتحلّل فضول الأبدان، ويجفّ وجه الأرض ويتهيّأ للعمارة والزراعة. وفي الخريف يظهر البرد واليبس فتدرك الثمار، وتستعدّ الأبدان قليلاً قليلاً للشتاء.

وأمّا القمر فهو تلو الشمس وخليفتها، وبه يعلم عدد السنين والحساب، وتضبط المواقيت الشرعيّة، ومنه يحصل النماء والرواء، وقد جعل الله في طلوعه مصلحة وفي غيبته مصلحة. يحكى أنّ أعرابياً نام عن جمله ليلاً ففقده، فلمّا طلع القمر وجده فنظر إلى القمر وقال: إنّ الله صوّرك ونوّرك، وعلى البروج دوّرك، فإذا شاء نوّرك وإذا شار كوّرك، فلا أعلم مزيداً أسأله لك، فإن أهديت إليّ سروراً فقد أهدى الله إليك نوراً. ثمّ أنشأ في ذلك أبياتاً.

وقال الجاحظ: إذا تأمّلت في هذا العالم وجدته كالبيت المعدّ فيه كلّ ما يحتاج إليه، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح والإنسان كمالك البيت المتصرّف فيه، وضروب النبات مهيّأة لمنافعه، وصنوف الحيوان متصرّفة في مصالحه، فهذه جملة واضحة دالّة على أنّ العالم مخلوق بتدبير كامل، وتقدير شامل، وحكمة بالغة، وقدرة غير متناهية.

ثم إنّهم اختلفوا في أنّ السماء أفضل أم الأرض، قال بعضهم: السماء أفضل لأنّها معبد الملائكة، وما فيها بقعة عصي الله فيها، ولمّا أتى آدم بالمعصية أُهبط من الجنّة وقال الله: لا يسكن في جواري من عصاني! وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ وورد في الأكثر ذكر السماء مقدّماً على ذكر الأرض. والسماوات مؤثّرة والأرضيّات متأثّرة، والمؤثّر أشرف من المتأثّر.

وقال آخرون: بل الأرض أفضل، لأنّه تعالى وصف بقاعاً من الأرض بالبركة ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ﴾ ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ ﴿مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ يعني أرض الشام، ووصف جملة الأرض بالبركة ﴿وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾.

فإن قيل: أيّ بركة في المفاوز المهلكة؟ قلت: إنّها مساكن الوحوش ومراعيها ومساكن الناس إذا احتاجوا إليها، ومساكن خلق لا يعلمهم إلاّ الله تعالى. فلهذه البركات قال ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ تشريفاً لهم، لأنّهم هم المنتفعون بها كما قال ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وخلق الأنبياء منها ﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ﴾ وأودعهم فيها ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ وأكرم نبيّه المصطفى فجعل الأرض كلّها له مسجداً وطهوراً.

ومعنى إخراج الثمرات بالماء - وإنّما خرجت بقدرته ومشيّته - أنّه جعل الماء سبباً في خروجها ومادّة لها كالنطفة في خلق الولد، وهو قادر على إنشاء الأشياء بلا أسباب وموادّ، كما أنشأ نفوس الأسباب والموادّ، ولكنّ له في هذا التدريج والتسبيب حكماً يتبصّر بها من يستبصر، ويتفطّن لها من يعتبر.

و(من) في ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ للتبعيض، كما أنّه قصد بتنكير﴿مَآءً﴾ ﴿رِزْقًا﴾ معنى البعضيّة، فكأنّه قيل: وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم. ويجوز أن يكون للبيان، كقولك: أنفقت من الدراهم ألفاً والندّ: المثل المناوي. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حال من ضمير ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟﴾ ومفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾ مطروح، أي حالكم أنكم من أهل العلم والنظر وإصابة الرأي، فلو تأمّلتم أدنى تأمّل اضطرّ عقلكم إلى إثبات موجد للممكنات، منفرد بوجود الذات، متعالٍ عن مشابهة المخلوقات، أو منويّ، وهو: أنّها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ قال الرازيّ: أي جعل الأرض بذلك المقدار المعيّن الحاصل لا أزيد ولا أنقص، والدليل عليه هو أنّ كون الأرض أزيد مقداراً ممّا هو الآن أو أنقص منه أمر جائز، فاختصاصه بذلك المقدار المعيّن لا بدّ وأن يكون بتخصيص مخصّص، وبتقدير مقدّر. وقال أبو بكر الأصم: المدّ البسط إلى ما يدرك منتهاه، أي جعل حجمها عظيماً وإلاّ لما كمل الانتفاع بها. وقال قوم: كانت الأرض مدوّرة فمدّها ودحاها من مكّة من تحت البيت فذهبت كذا وكذا. وهذا إنّما يتمّ إذا كانت الأرض مسطّحة لا كرة، وهو خلاف ما ثبت بالدليل. ومدّ الأرض لا ينافي كونها كرة، ولأنّ الكرة إذا كانت في غاية الكبر كان كلّ قطعة منها تشاهد كالسطح(١).

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ أي جبالاً ثابتة باقية في أحيازها غير منتقلة عن أمكنتها. والاستدلال بها على وجود الصانع القادر الحكيم من وجوه: الأول أنّ طبيعة الأرض طبيعة واحدة، فحصول الجبل في بعض جوانبها دون البعض لا بدّ وأن يكون بتخليق القادر الحكيم. قال الفلاسفة: هذه الجبال إنّما تولّدت لأنّ البحار كانت في هذا الجانب من العالم فكان يتولّد من البحر طين لزج. ثمّ يقوى تأثير الشمس فيها فينقلب حجراً كما نشاهد في كوز الفقاع. ثمّ إنّ الماء كان يغور ويقلّ فيتحجّر البقيّة، فلهذا السبب تولّدت هذه الجبال. قالوا: وإنّما كانت البحار حاصلة في هذا الجانب من العالم لأنّ أوج الشمس وحضيضها متحرّكان، ففي الدهر الأقدم كان حضيض الشمس في جانب الشمال، والشمس متى كانت في حضيضها كانت أقرب إلى الأرض فكان التسخين أقوى، وشدّة السخونة توجب انجذاب الرطوبات، فحين كان الحضيض في جانب الشمال كانت البحار إلى جانب الجنوب، فبقيت هذه الجبال في الشمال هذا حاصل كلام القوم في هذا الباب وهو ضعيف من وجوه:

الأول: أنّ حصول الطين في البحر أمر عامّ، فلم حصل الجبل في بعض الجوانب دون بعض؟

الثاني: هو أنّا نشاهد في بعض الجبال كأنّ تلك الأحجار موضوعة سافاً فسافاً، كأنّ البنّاء بناه من لبنات كثيرة موضوع بعضها على بعض، ويبعد حصول مثل هذا التركيب من السبب الّذي ذكروه.

الثالث: أنّ أوج الشمس الآن قريب من أوّل السرطان، فعلى هذا من الوقت الّذي انتقل أوج الشمس إلى الجانب الشماليّ مضى قريباً من تسعة آلاف سنة، وبهذا التقدير إنّ الجبال كانت في هذه المدّة الطويلة في التفتّت، فوجب أن لا يبقى من الأحجار شيء، لكن ليس الأمر كذلك، فعلمنا أنّ السبب الّذي ذكروه ضعيف.

---

(١) تفسير فخر الرازي، ج ١٩ ص ٢.

والوجه الثاني: من الاستدلال بأحوال الجبال على وجود الصانع ذي الجلال ما يحصل فيها من معادن الفلزّات السبعة، ومواضع الجواهر النفيسة، وقد يحصل منها معادن الزاجات والأملاح، وقد تحصل معادن النفط والقير والكبريت، فكون الأرض واحدة في الطبيعة وكون الجبل واحداً في الطبيعة وكون تأثير الشمس واحداً في الكلّ يدلّ دلالة ظاهرة على أنّ الكلّ بتقدير قادر قاهر متعال عن مشابهة الممكنات والمحدثات.

والوجه الثالث: أنّ بسببها تتولّد الأنهار على وجه الأرض، وذلك لأنّ الحجر جسم صلب، فإذا تصاعدت الأبخرة من قعر الأرض ووصلت إلى الجبال احتبست هناك ولا يزال يتكامل الأمر فيحصل تحت الجبال مياه كثيرة، ثمّ إنّها لكثرتها وقوّتها تنقب وتخرج وتسيل على وجه الأرض، فمنفعة الجبال في تولّد الأنهار هو من هذا الوجه، ولهذا السبب في أكثر الأمر أينما ذكر الله تعالى الجبال قرن بها ذكر الأنهار مثل هذه الآية ومثل قوله ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾.

ثمّ استدلّ سبحانه بعجائب خلقة النبات بقوله: ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ الخ، فإنّ الحبّة إذا وقعت في الأرض وأثّرت فيها نداوة الأرض ربت وكبرت، وبسبب ذلك ينشقّ أعلاها وأسفلها، فيخرج من الشقّ الأعلى الشجرة الصاعدة، ومن الشقّ الأسفل العروق الغائصة في أسفل الأرض. وهذا من العجائب أنّ طبيعة تلك الحبّة واحدة وتأثير الطبائع والأفلاك والكواكب فيها واحد، ثمّ أنّه خرج من الجانب الأعلى من تلك الحبّة جرم صاعد إلى الهواء، ومن الجانب الأسفل منه جرم غائص في الأرض، ومن المحال أن يتولّد من الطبيعة الواحدة طبيعتان متضادّتان، فعلمنا أنّ ذلك كان بسبب تدبير المدبّر الحكيم والمقدّر القديم لا بسبب الطبع والخاصيّة.

ثمّ إنّ الشجرة النابتة في تلك الحبّة بعضها يكون خشبة، وبعضها نوراً، وبعضها ثمرة. ثمّ إنّ تلك الثمرة أيضاً تحصل فيها أجسام مختلفة الطبائع، فالجوز له أربعة أنواع من القشور: القشر الأعلى، وتحته القشرة الخشبيّة، وتحته القشرة المحيطة باللبّ، وتحت تلك القشرة قشرة أخرى في غاية الرقّة تمتاز عمّا فوقها حال كون الجوز واللوز رطباً. وأيضاً فقد تحصل في الثمرة الواحدة الطبائع المختلفة، فالأترج قشره حارّ يابس، ولحمه حارّ رطب، وحماضه بارد يابس، وبذره حارّ يابس، وكذلك العنب قشره وعجمه باردان يابسان، ولحمه وماؤه حارّ رطب، فتولّد هذه الطبائع المختلفة من الحبّة الواحدة مع تساوي تأثيرات الطبائع وتأثيرات الأنجم والأفلاك لا بدّ وأن يكون لأجل الحكيم القديم.

والمراد بزوجين اثنين صنفين اثنين، والاختلاف إمّا من حيث الطعم كالحلو والحامض، أو الطبيعة كالحارّ والبارد، أو اللون كالأبيض والأسود. وفائدة قوله ﴿اثْنَيْنِ﴾ بيان أنّ كلّ نوع حصل من فردين كالإنسان من آدم وحوّاء، وهكذا.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ إنّما قال ذلك لأنّ الفلاسفة يسندون الحوادث إلى اختلافات الأشكال الكوكبيّة، فما لم تقم الدلالة على دفع هذا السؤال لا يتمّ المقصود، ودفعه بوجهين: الأوّل أنّه إن سلّمنا جواز ذلك فلا بدّ من استناد الأفلاك وأوضاعها إلى واجب الوجود بالذات القادر الحكيم، والثاني ما يذكر في الآيات الآتية حيث قال: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ﴾ - الآية وتقريره من وجهين: الأوّل أنّه حصل في الأرض قطع مختلفة بالطبيعة وهي مع ذلك متجاورة، فبعضها تكون سبخة وبعضها حرّة، وبعضها صلبة وبعضها حجريّة أو رمليّة وبعضها طيناً لزجاً ثمّ إنّها متجاورة وتأثير الشمس وسائر الكواكب في تلك القطع على السويّة، ودلّ هذا على اختلافها في صفاتها بتقدير المقدّر العليم.

والثاني أنّ القطعة الواحدة من الأرض تسقى بماء واحد يكون تأثير الشمس فيها متشابهاً، ثمّ إنّ تلك الثمار تجيء مختلفة في الطعم واللون والطبيعة والخاصيّة حتّى أنّك قد تأخذ عنقوداً من العنب وتكون جميع حبّاته حلوة نضيجة إلاّ الحبّة الواحدة فإنّها بقيت حامضة يابسة، ونحن نعلم بالضرورة أنّ نسبة الطبائع والأفلاك إلى الكلّ على السويّة بل نقول ههنا ما يعدُّ أعجب منه، وهو أنّه يوجد في بعض أنواع الورد ما يكون أحد وجهيه في غاية الحمرة والوجه الثاني في غاية السواد، مع أنّ ذلك الورد في غاية الرقّة والنعومة، فيستحيل أن يقال: وصل تأثير الشمس إلى أحد طرفيه دون الثاني، وهذا يدلّ دلالة قطعيّة على أنّ الكلّ بتقدير الفاعل المختار، لا بسبب الاتّصالات الفلكيّة، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ فبهذا تمّت الحجّة، فإنّ هذه الحوادث السفليّة لا بدّ لها من مؤثّر وبيّنّا أنّ ذلك المؤثّر ليس هو الكواكب والأفلاك والطبائع، فعند هذا يجب القطع بأنّه لا بدّ من فاعل مختار آخر سوى هذه الأشياء، فعند هذا يتمُّ الدليل ولا يبقى بعده للتفكّر مقام، فلهذا قال ههنا: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ لأنّه لا دافع لهذه الحجّة إلاّ أن يقال إنّها حدثت لا لمؤثّر ولا يقوله عاقل. والجنّة: البستان الّذي يحصل فيه النخل والكرم والزرع، والصنوان: جمع صنو، مثل قنوان وقنو، والصنو أن يكون الأصل واحداً وتنبت منه النخلتان والثلاثة وأكثر، فكلٌّ واحد صنو، وعن ابن الأعرابيّ: الصنو: المثل، أي متشابهة وغير متشابهة وعن الزجّاج: الأُكل: الثمر الّذي يؤكل، وعن غيره: الأُكل: المهيّأ للأكل(١).

و﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مبتدأ وخبر. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ امتنّ على عباده بتسخير الفلك، لأنّ انتفاع العباد يتوقّف عليها، لأنّه تعالى خصّ كلّ طرف من أطراف الأرض بنوع آخر من النعمة، حتّى أنّ نعمة هذا الطرف إذا نقلت إلى الجانب الآخر من الأرض أو بالعكس كثر الربح في التجارات، ولا يمكن هذا إلاّ بسفن البرّ وهي الجمال، أو بسفن البحر وهي الفلك. ونسبة التسخير إلى نفسه لأنّه سبحانه خلق الأشجار الصلبة الّتي منها

(١) تفسير فخر الرازي، ج ١٩ ص ٣-٨.

يمكن تركيب السفن، ولولا خلقه الحديد وسائر الآلات، ولولا تعريفه العباد كيف يتّخذونه، ولولا أنّه تعالى خلق الماء على صفة السلاسة الّتي باعتبارها يصحّ جري السفينة، ولولا خلقه تعالى الرياح وخلق الحركات القويّة فيها، ولولا أنّه وسّع الأنهار وجعل لها من العمق ما يجوز جري السفن فيها لما وقع الانتفاع بالسفن، فصار لأجل أنّه تعالى هو الخالق لهذه الأحوال وهو المدبّر لهذه الأمور والمسخّر لها حسنت إضافته إليه. وأضاف التسخير إلى أمره لأنّ الملك العظيم قلّ ما يوصف أنّه فعل، وإنّما يقال فيه: إنّه أمر بكذا، تعظيماً لشأنه.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ لمّا كان ماء البحر قلّ ما ينتفع (به ظ) في الزراعات لعمقه وملوحته ذكر تعالى إنعامه على الخلق بتفجير الأنهار والعيون، حتّى ينبعث الماء منها إلى مواضع الزروع والنباتات، وأيضاً ماء البحر لا يصلح للشرب. ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ قيل: أي بلسان حالكم بحسب استعداداتكم وقابليّاتكم ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ قال الرازيّ: اعلم أنّ الانسان إذا أراد أن يعرف أنّ الوقوف على أقسام نعم الله ممتنع فعليه أن يتأمّل في شيء واحد ليعرف عجز نفسه. ونحن نذكر منه مثالين.

المثال الأول: أنّ الأطبّاء ذكروا أنّ الأعصاب قسمان: منها دماغيّة، ومنها نخاعيّة، أمّا الدماغيّة فإنّها سبعة، ثمّ أتعبوا أنفسهم في معرفة الحكم الناشئة من كلّ واحد من تلك الأرواح السبعة، ثمّ ممّا لا شكّ فيه أنّ كلّ واحد من تلك الأرواح السبعة تنقسم إلى شعب كثيرة، وكلّ واحد من تلك الشعب أيضاً إلى شعب دقيقة أدقّ من الشعر، ولكلّ واحد منها ممرّ إلى الأعضاء، ولو أنّ شعبة واحدة اختلّت إمّا بسبب الكميّة والكيفيّة أو بسبب الوضع لاختلّت مصالح البنية. ثمّ إنّ تلك الشعب الدقيقة تكون كثيرة العدد جدّاً، ولكلّ واحد منها حكمة مخصوصة، فإذا نظر الإنسان في هذا المعنى عرف أنّ لله بحسب كلّ شظيّة من تلك الشظايا العصبيّة على العبد نعمة عظيمة لو فاتت لعظم الضرر عليه، وعرف قطعاً أنّه لا سبيل له إلى الوقوف عليها والاطّلاع على أحوالها، وعند هذا يقطع بصحّة قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ وكما اعتبرت هذا في الشظايا العصبيّة فاعتبر مثله في الشرايين والأوردة في كلّ واحد من الأعضاء البسيطة والمركّبة بحسب الكميّة والكيفيّة والوضع والفعل والانفعال، وأقسام هذا الباب بحر لا يساحل. وإذا اعتبرت هذا في بدن الإنسان الواحد فاعرف أقسام نعم الله تعالى في نفسه وفي روحه، فإنّ عجائب عالم الأرواح أكثر من عجائب عالم الأجساد. ثمّ لمّا اعتبرت حال الحيوان الواحد فعند ذلك اعتبر أحوال عالم الأفلاك والكواكب وطبقات العناصر وعجائب البرّ والبحر والنبات والحيوان وعند هذا تعرف أنّ عقول جميع الخلائق لو ركّبت وجعلت عقلاً واحداً، ثمّ بذلك العقل يتأمّل الإنسان في عجائب حكمة الله تعالى في أقلّ الأشياء لما أدرك منها إلاّ القليل! فسبحانه وتقدّس عن أوهام المتوهّمين.

المثال الثاني: أنّه إذا أخذت اللقمة الواحدة لتضعها في الفم فانظر إلى ما قبلها وما بعدها، أمّا الأمور الّتي قبلها أنّ تلك اللقمة من الخبز لا تتمّ ولا تكمل إلاّ إذا كان هذا العالم بكلّيته قائماً على الوجه الأصوب، لأنّ الحنطة لا بدّ منها، وإنّها لا تنبت إلاّ بمعونة الفصول الأربعة وتركيب الطبائع وظهور الأرياح والأمطار، ولا يحصل شيء منها إلاّ بعد دوران الأفلاك واتّصال بعض الكواكب ببعض على وجوه مخصوصة في الحركات، وفي كيفيّتها في الجهة، وفي السرعة والبطء، ثمّ بعد تكوّن الحنطة لا بدّ من آلات الطحن والخبز، وهي لا تحصل إلاّ عند تولّد الحديد في أرحام الجبال. ثمّ إنّ الآلات الحديديّة لا يمكن إصلاحها إلاّ بآلات أخرى حديديّة سابقة عليها ولا بدّ من انتهائها إلى آلة حديديّة هي أوّل هذه الآلات، فتأمّل أنّها كيف تكوّنت على الأشكال المخصوصة، ثمّ إذا حصلت تلك الآلات فانظر أنّه لا بدّ من اجتماع العناصر الأربعة - وهي الأرض والماء والهواء والنار - حتّى يمكن طبخ الخبز من ذلك الدقيق. فهذا هو النظر في ما تقدّم على هذه اللقمة!

أمّا النظر في ما بعد حدوثها فتأمل في تركيب بدن الحيوان، وهو أنّه تعالى كيف خلق هذه الأبدان حتّى يمكنها الانتفاع بتلك اللقمة، وأنّه كيف يتضرّر الحيوان في الأكل، وفي أيّ الأعضاء تحدث تلك المضارّ، ولا يمكنك أن تعرف القليل من هذه الأشياء إلاّ بمعرفة علم التشريح وعلم الطبّ بالكلّيّة. فظهر بما ذكرنا أنّ الانتفاع باللقمة الواحدة لا يمكن معرفته إلاّ بمعرفة جملة هذه الأمور، والعقول قاصرة عن إدراك ذرّة من هذه المباحث، فظهر بالبراهين الباهرة صحّة قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ (انتهى كلامه)(١).

وأقول: يمكن سلوك طريق آخر في ذلك أدقّ وأوسع ممّا ذكره، بأن يقال: بعد أن عرفت النعم الّتي على إنسان واحد كزيد مثلاً من السماوات والكواكب والعرش والكرسيّ وجميع الأرضيّات فإنّ لها جميعاً مدخلاً في وجوده وبقائه ونموّه فنقول: جميع هذه النعم متعلّقة بعمرو أيضاً لمدخليّتها في وجوده وبقائه أيضاً، وكلّ هذه أيضاً نعمة لزيد لتوقّف وجود زيد وبقائه على وجود عمرو لكون الإنسان مدنيّاً بالنوع، وكذا بالنسبة إلى بكر وخالد، وكذا كلّ نعمة لله على كلّ حيوان من الحيوانات الّتي لها مدخل في نظام أحوال الإنسان فهي نعمة على زيد مرّة بذاته، ومرّة باعتبار كونها نعمة على كلّ واحد واحد من أفراد البشر، لمدخليّة وجودهم في وجوده ونظام أحواله، فيضرب عدد تلك النعم في عدد الأشخاص والحيوانات مرّات لا تتناهى.

ثمّ لمّا كان وجود زيد موقوفاً على وجود أبويه فكلّ نعمة على كلّ من أبويه وعلى كلّ من كان في عصر أبويه نعمة عليه، وكذا كلّ نعمة على والدي بكر وخالد نعمة عليه لتوقّف وجوده

(١) تفسير فخر الرازي، ج ١٩ ص ١٢.

وبقائه ونظام أحواله على وجود بكر، ووجوده متوقّف على وجود والديه ووجودهما وبقاؤهما وسائر أمورهما متوقّفة على جميع النعم على أهل عصرهما، فمن هذه الجهة أيضاً جميعها نعمة عليه، فيضرب جميع هذه الأعداد الغير المتناهية في جميع تلك الأعداد الغير المتناهية مرّات غير متناهية! ثمّ تنقل الكلام في كلّ عصر من الأعصار وآباء كلّ منهم إلى أن ينتهي إلى آدم وحوّاء عليهما السلام ويضرب كلّ من تلك المراتب في ما حصل من المراتب السابقة، وهذا حساب لا يحيط به علم البشر، ولو اجتمع جميع المحاسبين من الثقلين وأرادوا استيفاء حساب مرتبة من هذه المراتب لا يقدرون عليه، مع أنّ كلّ قطرة من قطرات البحار وكلّ ذرّة من ذرّات الجوّ والأرض نعمة على كلّ شخص من الأشخاص. فسبحان من لا يقدر على إحصاء شعبة واحدة من شعب نعمه الغير المتناهية إلاّ هو! وله الحمد بعدد كلّ نعمة له علينا وعلى كلّ خلق من مخلوقاته.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ﴾ يظلم النعمة بإغفال شكرها، أو يظلم نفسه بأن يعرضها للحرمان ﴿كَفَّارٌ﴾ شديد الكفران، وقيل: ظلوم في الشدّة يشكو ويجزع، كفّار في النعمة يجمع ويمنع.

﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ قيل: أي بميزان الحكمة، ومقدّر بقدر الحاجة وذلك أنّ الوزن سبب معرفة المقدار فأطلق اسم السبب على المسبّب. وقيل: أي له وزن وقدر في أبواب النعمة والمنفعة، وقيل: أراد أنّ مقاديرها من العناصر معلومة وكذا مقدار تأثير الشمس والكواكب فيها. وقيل: أي متناسب محكوم عليه عند العقول السليمة بالحسن واللطافة، يقال كلام موزون أي متناسب، وفلان موزون الحركات. وقيل: أراد ما يوزن من نحو الذهب والفضّة والنحاس وغيرها من الموزونات كأكثر الفواكه والنبات.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا﴾ أي في الأرض، أو في الجبال، أو في تلك الموزونات ﴿مَعَـٰيِشَ﴾ ما يتوصّل به إلى المعيشة ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ عطف على محلّ ﴿لَكُمْ﴾ أو على ﴿مَعَـٰيِشَ﴾ أي وجعلنا لكم من لستم له برازقين، وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الّذين رازقهم في الحقيقة هو الله وحده لا الآباء والسادات والمخاديم، ويدخل فيه بحكم التغليب غير ذوي العقول من الأنعام والدوابّ والوحوش والطير، كقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾.

﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ﴾ الّذي هو الغذاء الأصليّ ﴿وَٱلزَّيْتُونَ﴾ الّذي هو فاكهة من وجه وغذاء من وجه لكثرة ما فيه من الدهن ﴿وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ﴾ اللتين هما أشرف الفواكه، ثمّ أشار إلى سائر الثمرات بقوله ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ قال الزمخشريّ: إنّما لم يقل: وكلّ الثمرات، لأنّ كلّها لا تكون إلاّ في الجنّة. وقيل: قدّم الغذاء الحيوانيّ في قوله سبحانه ﴿وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ على الغذاء النباتيّ لأنّ النعمة فيه أعظم لأنّه أسرع

تشبّهاً ببدن الإنسان، وفي ذكر الغذاء النباتيّ قدّم غذاء الحيوان - وهو الشجر - على غذاء الإنسان - وهو الزرع وغيره - بناء على مكارم الأخلاق، وهو أن يكون اهتمام الإنسان بحال من تحت يده أكمل من اهتمامه بحال نفسه.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ فإنّ ذرء هذه الأشياء على حالة اختلاف الألوان والأشكال مع تساوي الكلّ في الطبيعة الجسميّة وفي تأثير الفلكيّات فيها آية على وجود الصانع تعالى شأنه.

﴿رَوَاسِيَ﴾ أي جبالاً ثوابت ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي كراهة أن تميد بكم وتضطرب ﴿وَأَنْهَارًا﴾ أي وجعل فيها أنهاراً، لأنّ ﴿أَلْقَى﴾ فيه معناه ﴿وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لمقاصدكم أو إلى معرفة الله ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ أي معالم تستدلّ بها السابلة من جبل ومنهل وريح ونحو ذلك ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بالليل في البراري والبحار ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكرها ﴿رَحِيمٌ﴾ لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾ قيل: ما على الأرض، المواليد الثلاثة: المعادن والنباتات والحيوانات، وأشرفها الإنسان، وقيل: لا يدخل المكلّف فيه، لأنّ ما على الأرض ليس زينة لها على الحقيقة، وإنّما هو لأهلها لغرض الابتلاء، فالّذي له الزينة يكون خارجاً عن الزينة ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ في تعاطيه، وهو من زهد فيه ولم يغترّ به وقنع منه بالكفاف.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ قال الرازيّ: مالك لما في السماوات من ملك ونجم وغيرهما ومالك لما في الأرض من المعادن والفلزّات، ومالك لما بينهما من الهواء، ومالك لما تحت الثرى. فإن قيل: الثرى هو السطح الأخير من العالم فلا يكون تحته شيء فكيف يكون الله تعالى مالكاً له؟ قلنا: الثرى في اللغة هو التراب النديّ، فيحتمل أن يكون تحته شيء، فهو إمّا الثور أو الحوت أو الصخرة أو البحر أو الهواء على اختلاف الروايات (انتهى)(١).

وقال الطبرسيّ رحمه الله: الثرى التراب النديّ، يعني: وما وارى الثرى من كلّ شيء، وقيل: يعني ما في ضمن الأرض من الكنوز والأموات.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ أي كالمهد تتمهّدونها ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي وحصّل لكم فيها سبلاً بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها من أرض إلى أرض لتبلغوا منافعها. ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي مطراً ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ قيل: عدل من لفظ الغيبة إلى التكلّم على الحكاية لكلام الله تعالى، تنبيهاً على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة،

---

(١) تفسير فخر الرازي، ج ٢٢ ص ٨.

وإيذاناً بأنّه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة بمشيّته. ﴿أَزْوَٰجًا﴾ أي أصنافاً ﴿مِّن نَّبَاتٍ﴾ بيان وصفة لـ﴿أَزْوَٰجًا﴾ وكذلك ﴿شَتَّىٰ﴾ ويحتمل أن يكون صفة للنبات، فإنّه من حيث إنّه مصدر في الأصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع (شتيت) كمريض ومرضى، أي متفرّقات في الصور والأعراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم، فلذلك قال ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ وهو حال من ضمير ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ على إرادة القول، أي أخرجنا أصناف النبات قائلين: كلوا وارعوا [أنعامكم] والمعنى: معدّيها لانتفاعكم بالأكل والعلف آذنين فيه ﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ أي لذوي العقول الناهية عن اتّباع الباطل وارتكاب القبائح، جمع نهية. وعن الصادق عليه السلام: نحن أولو النهى. وعن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خياركم أولو النهى، قيل: يا رسول الله! ومن أولو النهى؟ قال: هم أولو الأخلاق الحسنة والأحلام الرزينة، وصلة الأرحام، والبررة بالأمّهات والآباء، والمتعاهدون للفقراء والجيران واليتامى، ويطعمون الطعام، ويفشون السلام في العالم، ويصلّون والناس نيام غافلون.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ فإنّ التراب أصل خلقة أوّل آبائكم، وأوّل موادّ أبدانكم وسيأتي وجه آخر في الخبر إن شاء الله. ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ بالموت وتفكيك الأجزاء ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ بتأليف أجزائكم المتفتّتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة وردّ الأرواح فيها.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي في الأرض، أو في الرواسي ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾ مسالك واسعة، وإنّما قدّم ﴿فِجَاجًا﴾ وهو وصف له ليصير حالاً يدلّ على أنّه حين خلقها كذلك، أو ليبدل منها ﴿سُبُلًا﴾ فيدلّ ضمناً على أنّه خلقها ووسّعها للسابلة، مع ما يكون فيه من التأكيد ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى مصالحهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي أولم ينظروا في عجائبها؟ ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ أي محمود كثير المنفعة، وهو صفة لكلّ ما يحمد ويرضى. قيل: وههنا يحتمل أن تكون مقيّدة لما يتضمّن الدلالة على القدرة، وأن تكون مبيّنة منبّهة على أنّه ما من نبت إلا وله فائدة إمّا وحده أو مع غيره. و﴿كُلِّ﴾ لإحاطة الأزواج، و﴿كَمْ﴾ لكثرتها. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي في إثبات تلك الأصناف، أو في كلّ واحد ﴿لَءَايَةً﴾ على أن منبتها تامّ القدرة والحكمة، سابغ النعمة والرحمة.

﴿أَتُتْرَكُونَ﴾ إنكار لأن يتركوا كذلك، أو تذكير بالنعمة في تخلية الله إيّاهم وأسباب تنعّمهم آمنين، ثمّ فسّر بقوله: ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾ أي لطيف ليّن، للطف التمر، أو لأنّ النخل أنثى وطلع إناث النخل ألطف وهو يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو، أو متدلّ منكسر من كثرة الحمل ﴿فَٰرِهِينَ﴾ أي حاذقين، أو بطرين. ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ أي ذات منظر حسن يبتهج به من رآه ولم يقل: ذوات بهجة، لأنّه أراد تأنيث الجماعة، ولو أراد تأنيث الأعيان لقال: ذوات... ﴿قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ أي يشركون بالله

غيره ﴿قَرَارًا﴾ أي مستقرّاً لا تميل ولا تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَآ﴾ أي في وسط الأرض وفي مسالكها ونواحيها ﴿أَنْهَرًا﴾ جارية ينبت بها الزرع ويحيي به الخلق ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ أي ثوابت أُثبتت بها الأرض ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ أي مانعاً من قدرته بين العذب والمالح، فلا يختلط أحدهما بالآخر ﴿مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ قيل: أي أجناسها، أو أوصافها على أنّ كلاًّ منها لها أصناف مختلفة أو هيآتها من الصفرة والخضرة ونحوهما. ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ أي ذو جدد وخطوط وطرائق، يقال: جدّة الحمار، للخطّة السوداء على ظهره ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ بالشدّة والضعف ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ عطف على ﴿بِيضٌ﴾ أو على ﴿جُدَدٌ﴾ كأنّه قيل: ومن الجبال ذو جدد مختلف اللون، ومنها غرابيب متّحدة اللون، وهو تأكيد مضمر يفسّره، فإنّ الغربيب تأكيد للأسود وحق التأكيد أن يتبع المؤكّد. ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ أي كاختلاف الثمار والجبال. ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ إذ شرط الخشية معرفة المخشيّ والعلم بصفاته وأفعاله، فمن كان أعلم به كان أخشى منه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنّه معاقب للمصرّ على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه.

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ المراد جنس الحبّ ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ قيل: قدّم الصلة للدلالة على أنّ الحبّ معظم ما يؤكل ويعاش به ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ أي من أنواع النخل والعنب ﴿مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾ أي شيئاً من العيون، و(من) مزيدة عند الأخفش ﴿مِن ثَمَرِهِۦ﴾ أي من ثمر ما ذكر وهو الجنّات، وقيل: الضمير لله على طريقة الالتفات، والإضافة إليه لأنّ الثمر مخلوقه ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ عطف على الثمر، والمراد ما يتّخذ منه العصير والدبس ونحوهما، وقيل: (ما) نافية، والمراد أنّ الثمر بخلق الله لا بفعلهم ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ أمر بالشكر من حيث إنّه إنكار لتركه. ﴿خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ أي الأنواع والأصناف ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ من النبات والشجر ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ الذكر والأنثى ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي وأزواجاً ممّا لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقاً إلى معرفته.

﴿تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ أي يابسة متطامنة، مستعار من الخشوع بمعنى التذلّل ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ أي تحرّكت بالنبات ﴿وَرَبَتْ﴾ أي انتفخت وارتفعت قبل أن تنبت، وقيل اهتزّت بالنبات وربت بكثرة ريعها. ﴿وَمَا بَثَّ﴾ عطف على السماوات أو الخلق ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ قيل أي من حيّ على إطلاق اسم السبب على المسبّب أو ممّا يدبّ على الأرض وما يكون في أحد الشيئين يصدق أنّه فيهما في الجملة ﴿إِذَا يَشَآءُ﴾ أي في أيّ وقت يشاء ﴿قَدِيرٌ﴾ متمكّن منه.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ بأن خلقها نافعة لكم ﴿مِّنْهُ﴾ حال من (ما) أي سخّر هذه الأشياء كائنة منه، أو خبر لمحذوف أي هي جميعاً منه، أو لما في السماوات و﴿سَخَّرَ لَكُم﴾ تكرير للتأكيد، أو لما في الأرض. ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ أي من كلّ صنف حسن ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ أي راجع إلى ربّه متفكّر في بدائع صنعه.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا﴾ أي مهّدناها ليستقرّوا عليها ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ﴾ أي نحن ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾ أي نوعين ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلموا أنّ التعدّد من خواصّ الممكنات وأنّ الواجب بالذات لا يقبل الانقسام والتعدّد. وروي عن الرضا عليه السلام في خطبة طويلة قد تقدّم في كتاب التوحيد مشروحاً: وبمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له، ضادّ النور بالظلمة واليبس بالبلل، والخشن باللين، والصرد بالحرور، مؤلّفاً بين متعادياتها، مفرّقاً بين متدانياتها، دالّة بتفريقها على مفرّقها، وبتأليفها على مؤلّفها، وذلك قوله: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا﴾ أي حفظها مدحوّة ﴿لِلۡأَنَامِ﴾ للخلق، وقيل: الأنام كلّ ذي روح ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ﴾ أي ضروب ممّا يتفكّه به ﴿وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾ هي أوعية التمر جمع «كُمّ» أو كلّ ما يكمّ أي يغطّي من ليف وسعف (ويكفّر ظ) فإنّه ينتفع به (المكموم ظ) وكالجذع، ﴿وَٱلۡحَبُّ﴾ كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذّى به ﴿ذُو ٱلۡعَصۡفِ﴾ هو ورق النبات اليابس كالتين ﴿وَٱلرَّيۡحَانُ﴾ يعني المشموم، أو الرزق من قولهم: خرجت أطلب ريحان الله وعن الرضا عليه السلام ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ﴾ قال: للناس ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾ قال: يكبر ثمر النخل في القمع ثمّ يطلع منه. قوله ﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ﴾ قال: الحبّ الحنطة والشعير والحبوب، والعصف التين، والريحان ما يؤكل منه. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ المخاطبة للثقلين، وفي الحديث أنّه في الباطن مخاطبة للأوّلين، والمعنى: فبأي النعمتين تكفران بمحمّد أم بعليّ؟ وفي خبر آخر: بالنبيّ أم بالوصيّ؟

﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: وفي الأرض خلق مثلهنّ في العدد لا في الكيفيّة، لأنّ كيفيّة السماء مخالفة لكيفيّة الأرض، وليس في القرآن آية تدلّ على أنّ الأرضين سبع مثل السماوات إلاّ هذه الآية، ولا خلاف في السماوات أنّها سماء فوق سماء، وأمّا الأرضون فقال قوم: إنّها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض كالسماوات، لأنّها لو كانت مصمتة لكانت أرضاً واحدة، وفي كلّ أرض خلق خلقهم الله تعالى كيف يشاء، وروى أبو صالح عن ابن عبّاس أنّها سبع أرضين ليس بعضها فوق بعض، تفرّق بينهنّ البحار، وتظلّ جميعهنّ السماء والله سبحانه أعلم بصحّة ما استأثر بعلمه واشتبه على خلقه. وقد روى العيّاشيّ بإسناده عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: بسط كفّيه ثمّ وضع اليمنى عليها فقال: هذه الأرض الدنيا والسماء الدنيا عليها قبّة، والأرض الثانية فوق سماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبّة، والأرض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبّة، حتّى ذكر الرابعة والخامسة والسادسة فقال: والأرض السابعة فوق السماء السادسة والسماء السابعة فوقها قبّة، وعرش الرحمن فوق السماء السابعة، وهو قوله ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾ وإنّما صاحب الأمر النبيّ صلى الله عليه وآله وهو على وجه الأرض وإنّما ينزل الأمر من فوق من بين السماوات والأرضين، فعلى هذا يكون المعنى: تتنزّل الملائكة

بأوامره إلى الأنبياء، وقيل: معناه ينزل الأمر بين السماوات والأرضين من الله سبحانه بحياة بعض وموت بعض، وسلامة حيّ وهلاك آخر، وغنى إنسان وفقر آخر، وتصريف الأمور على الحكمة (انتهى)[1].

وقال الرازيّ: قال الكلبيّ: خلق سبع سماوات بعضها فوق بعض مثل القبّة ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ في كونها طبقات متلاصقة كما هو المشهور أنّ الأرض ثلاث طبقات: طبقة أرضيّة محضة، وطبقة طينيّة وهي غير محضة، وطبقة منكشفة بعضها في البرّ وبعضها في البحر وهي المعمورة. ولا يبعد من قوله ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ كونها سبعة أقاليم على سبع سماوات وسبعة كواكب فيها وهي السيّارة، فإنّ لكلّ واحد من هذه الكواكب خواصّ تظهر آثار تلك الخواصّ في كلّ أقاليم الأرض، فتصير سبعة بهذا الاعتبار، فهذه هي الوجوه الّتي لا يأباها العقل مثل ما يقال: السماوات السبع أوّلها موج مكفوف وثانيها صخر، وثالثها حديد، ورابعها نحاس، وخامسها فضّة، وسادسها ذهب، وسابعها ياقوت، وقول من قال: بين كلّ واحدة منها وبين الأُخرى مائة عام وغلظ كلّ واحد منها كذلك، فذلك غير معتبر عند أهل التحقيق ويمكن أن يكون أكثر من ذلك، والله أعلم بأنّه ما هو وكيف هو (انتهى)[2].

وأقول: وقد مرّ بعض الوجوه في الأرضين السبع في باب الهواء.

﴿لِتَعْلَمُوٓاْ﴾ علّة الخلق، أو يتنزّل أو يعمّهما، فإنّ كلّاً منهما يدلّ على كمال قدرته وعلمه.

﴿ذَلُولًا﴾ قيل: أي ليّنة فسهّل لكم السلوك فيها ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ أي في جوانبها وجبالها، وهو مثل لفرط التذليل، فإنّ منكب البعير ينبو عن أن يطأه الراكب ولا يتذلّل له، فإذا جعل الأرض في الذلّ بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلّل. ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ أي والتمسوا من نعم الله ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ أي المرجع فيسألكم عن شكر ما أنعم عليكم. ﴿بِسَاطًا﴾ أي مبسوطة ليمكنكم المشي عليها والاستقرار فيها. ﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ أي طرقاً واسعة، وقيل: طرقاً مختلفة، عن ابن عبّاس. وقيل: سبلاً في الصحاري، وفجاجاً في الجبال[3].

﴿كِفَاتًا﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: كفت الشيء يكفته كفتاً وكفاتاً إذا ضمّه، ومنه الحديث (اكفتوا صبيانكم) أي ضمّوهم إلى أنفسكم، ويقال للوعاء كفت وكفيت قال أبو عبيد: كفاتاً أي أوعية. والمعنى: جعلنا الأرض كفاتاً للعباد تكفتهم أحياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم، وتكفتهم أمواتاً في بطنها أي تحوزهم وتضمّهم. وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه نظر إلى الجبّانة فقال: هذه كفات الأموات، ثمّ نظر إلى البيوت فقال: هذه كفات الأحياء. وقوله ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ أي منها ما ينبت ومنها ما لا ينبت، فعلى هذا يكون أحياء وأمواتاً نصبا على الحال، وعلى القول الأوّل على المفعول به. ﴿رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ﴾ أي جبالاً

---

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٥٠.

(٢) - (٣) تفسير فخر الرازي، ج ٣٠ ص ٣٩-٤١.

ثابتة عالية ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ أي وجعلنا لكم سقياً من الماء العذب، عن ابن عبّاس. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بهذه النعم وأنّها من جهة الله[١].

﴿مِهَادًا﴾ أي وطاءً وقراراً ومهيّأً للتصرّف فيه من غير أذيّة، والمصدر بمعنى المفعول، أو الحمل على المبالغة، أو المعنى ذات مهاد. ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي أشكالاً كلّ واحد شكل للآخر، أو ذكراناً وإناثاً حتّى يصحّ منكم التناسل ويتمتّع بعضكم ببعض، أو أصنافاً أبيض وأسود، وصغيراً وكبيراً، إلى غير ذلك. ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أي راحة ودعة لأجسادكم، أو قطعاً لأعمالكم وتصرّفكم أي سباتاً ليس بموت على الحقيقة ولا مخرج عن الحياة والإدراك ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي غطاءً وسترة يستر كلّ شيء بظلمته وسواده. ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي مطلب معاش، أو وقت معاشكم. ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ أي سبع سماوات محكمة أحكمنا صنعها وأوثقنا بناءها. ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ يعني الشمس جعلها سبحانه سراجاً للعالم وقّاداً متلألئاً بالنور يستضيئون بها. وقيل: الوهج مجمع النور والحرّ. ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ أي من الرياح ذات الأعاصير، وذلك أنّ الريح يستدرّ المطر. وقيل: المعصرات السحائب إذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر، كقولهم أحصد الزرع، أي حان له أن يحصد ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ أي منصبّاً بكثرة ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ فالحبّ كلّ ما تضمّنه كمام الزرع الّذي يحصد، والنبات الكلأ من الحشيش والزروع ونحوها، قيل: حبّاً يأكله النّاس، ونباتاً تنبته الأرض ممّا تأكله الأنعام ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ أي بساتين ملتفّة بالشجر، أو بعضها ببعض، وإنّما سمّيت جنّة لأنّ الشجر تجنّها أي تسترها[٢].

﴿ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ أي ما يتصدّع عنه الأرض من النبات، أو الشقّ بالنبات والعيون[٣].

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ خلقاً دالاً على كمال قدرته وحسن تدبيره، حيث خلقها لجرّ الثقال إلى البلاد النائية، فجعلها عظيمة، باركة للحمل ناهضة به، منقادة لمن اقتادها، طوال الأعناق لتنوء بالأوقار، ترعى كلّ نابت، وتحمل العطش إلى عشر فصاعداً ليتأتّى لها قطع البراري والمفاوز مع ما لها من منافع أُخر فلذا خصّت بالذكر، ولأنّها أعجب ما عند العرب من هذا النوع. وقيل: المراد بها السحاب على الاستعارة. ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ بلا عمد ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ فهي راسخة لا تميل ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي بسطت حتّى صارت مهاداً. ﴿وَمَا طَحَاهَا﴾ أي ومن طحاها، أو مصدريّة، وطحوها تسطيحها وبسطها[٤].

---

(١) - (٣) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢٣١ و٢٣٩ و٣٢٤.

(٢) يستفاد من عدة من الروايات وقد نقل بعضها في مقدّمة البرهان في لغة «أرض» أنّ للأرض تأويلات، منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً﴾، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ فانّ الأرض فيهما أوّلت بدين الله وكتاب الله عزّوجلّ. ومنها قوله تعالى: ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، قال الباقر عليه السلام: يعني بالأرض الاوصياء أمر الله بطاعتهم وولايتهم كما أمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام =

١ - **الاحتجاج:** عن هشام بن الحكم، قال: سأل الزنديق في ما سأل أبا عبد الله عليه السلام فقال: النهار قبل الليل؟ فقال: نعم، خلق النهار قبل الليل، والشمس قبل القمر، والأرض قبل السماء، ووضع الأرض على الحوت في الماء، والماء في صخرة مجوّفة. والصخرة على عاتق ملك، والملك على الثرى، والثرى على الريح والريح على الهواء، والهواء تمسكه القدرة، وليس تحت الريح العقيم إلاّ الهواء والظلمات، ولا وراء ذلك سعة ولا ضيق ولا شيء يتوهّم، ثمّ خلق الكرسيَّ فحشاه السماوات والأرض، والكرسيّ أكبر من كلّ شيء خلق، ثمّ خلق العرش فجعله أكبر من الكرسيّ(١).

٢ - **تفسير علي بن ابراهيم:** عن أبيه، عن عليّ بن مهزيار، عن علا المكفوف عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن الأرض على أيّ شيء هي؟ قال: [على] الحوت، فقيل له: فالحوت على أيّ شيء هو؟ قال: على الماء، فقيل له: فالماء على أيّ شيء هو؟ قال: على الثرى، قيل له: فالثرى على أيّ شيء هو؟ قال: عند ذلك انقضى علم العلماء(٢).

٣ - **ومنه:** عن محمّد بن أبي عبد الله، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن أبان بن تغلب، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الأرض على أيّ شيء هي؟ قال: على الحوت، قلت: فالحوت على أيّ شيء هو؟ قال: على الماء، قلت: فالماء على أيّ شيء هو؟ قال: على الصخرة، قلت: فالصخرة على أيّ شيء هي؟ قال: على قرن ثور أملس، قلت: فعلى أيّ شيء الثور؟ قال: على الثرى، قلت: فعلى أيّ شيء الثرى؟ فقال: هيهات! عند ذلك ضلّ علم العلماء(٣).

الكافي: عن محمّد، بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب مثله.

بيان: الأملس: الصحيح الظهر، ولعلّ المراد هنا أنّه لم يلحقه من هذا الحمل دبر وجراحة في ظهره. وفي القاموس: الثرى: الندى، والتراب النديّ أو الّذي إذا بلّ يصير طيناً، والخير (انتهى). (ضلّ علم العلماء) أي غير المعصومين أو المراد بالعلماء هم، والمعنى أنّهم أمروا بكتمانه عن سائر الخلق فكأنّه ضلّ علمهم عن الخلق وقد يقال: المراد بالثرى هنا الخير الكامل يعني القدرة، فإنّ استقرار جميع الأشياء على قدرة الله تعالى، وقيل: المراد بالثرى هنا ما هو منتهى الموجودات، ولمّا كان تعقّل النفي الصرف صعباً على الأفهام قال: عند ذلك ضلّ علم العلماء، لإلف الناس بالأبعاد القارّة وجسم خلف جسم، ولذا ذهب بعض المتكلّمين إلى أبعاد موهومة غير متناهية وقالوا بالخلاء.

= كنّى الله في ذلك عن أسمائهم فسمّاهم بالأرض. ومنها بالمرأة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ الْأَرْضِ﴾ ويؤيّده قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾. [مستدرك السفينة ج ١ لغة «ارض»].

(١) الاحتجاج، ص ٣٣٤. (٢) - (٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٢.

٤ - **التفسير:** عن أبيه، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت: أخبرني عن قول الله ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ فقال: هي محبوكة إلى الأرض - وشبّك بين أصابعه - فقلت: كيف تكون محبوكة إلى الأرض والله يقول ﴿رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾؟ فقال: سبحان الله! أليس يقول ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾؟ قلت: بلى فقال: فثمّ عمد ولكن لا ترونها. قلت: كيف ذلك جعلني الله فداك؟ قال: فبسط كفّه اليسرى ثمّ وضع اليمنى عليها، فقال: هذه أرض الدنيا، والسماء الدنيا عليها فوقها قبّة: والأرض الثانية فوق السماء الدنيا، والسماء الثانية فوقها قبّة؛ والأرض الثالثة فوق السماء الثانية، والسماء الثالثة فوقها قبّة، والأرض الرابعة فوق السماء الثالثة، والسماء الرابعة فوقها قبّة؛ والأرض الخامسة فوق السماء الرابعة، والسماء الخامسة فوقها قبّة؛ والأرض السادسة فوق السماء الخامسة، والسماء السادسة فوقها قبّة؛ والأرض السابعة فوق السماء السادسة، والسماء السابعة فوقها قبّة؛ وعرش الرحمان تبارك وتعالى فوق السماء السابعة وهو قول الله ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ فأمّا صاحب الأمر فهو رسول الله صلى الله عليه وآله والوصيّ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله قائم هو على وجه الأرض، فإنّما ينزل الأمر إليه من فوق السماء من بين السماوات والأرضين، قلت: فما تحتنا إلاّ أرض واحدة؟ فقال: ما تحتنا إلاّ أرض واحدة، وإنّ الستّ لهنّ فوقنا[1].

العياشي: عن الحسين بن خالد مثله[2].

بيان: قال الفيروزآباديّ: ﴿الْحُبُكِ﴾ الشدّ والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب، يحبُكه ويحبِكه فهو حبيك ومحبوك، والحبك من السماء طرائق النجوم والتحبيك التوثيق والتخطيط (انتهى). فالمراد بكونها محبوكة: أنّها متّصلة بالأرض معتمدة عليها، وأنّ كلّ سماء على كلّ أرض كالقبّة الموضوعة عليها، ولمّا كان هذا ظاهراً مخالفاً للحسّ والعيان، فيمكن تأويله بوجهين: أوّلهما - وهو أقربهما وأوفقهما للشواهد العقليّة - أن يكون المراد بالأرض ما سوى السماء من العناصر، ويكون المراد نفي توهّم أنّ بين السماء والأرض خلاء، بل هو مملوء من سائر العناصر، والمراد بالأرضين السبع هذه الأرض وستّة من السماوات الّتي فوقنا، فإنّ الأرض ما يستقرّ عليه الحيوانات وسائر الأشياء، والسماء ما يظلّهم ويكون فوقهم، فسطح هذه الأرض أرض لنا والسماء الأولى سماء لنا تظلّنا، والسطح المحدّب للسماء الأولى أرض للملائكة المستقرّين عليها، والسماء الثانية سماء لهم، وهكذا محدّب كلّ سماء أرض لما فوقها ومقعّر السماء الّذي فوقها سماء بالنسبة إليها إلى السماء السابعة، فإنّها سماء وليست بأرض، والأرض الّتي نحن عليها أرض وليست بسماء، والسماوات الستّة الباقية كلّ منها سماء من جهة وأرض من جهة. وثانيهما: أن يكون المعنى

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٠٤. (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢١٨ ح ٣ من سورة الرعد.

أنّ السماوات سبع كرات في جوف كلّ سماء أرض وليست السماوات بعضها في جوف بعض كما هو المشهور بل بعضها فوق بعض معتمداً بعضها على بعض، فالمراد بقوله ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي مع الأرض، أو إلى أن ينتهي إلى هذه الأرض الّتي نحن عليها. قوله عليه السلام (فأمّا صاحب الأمر) أي الّذي ينزل هذا الأمر إليه.

٥ - **العيون والعلل:** في خبر الشاميّ أنّه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن الأرض ممّ خلق؟ قال: من زبد الماء(١).

٦ - **العياشي:** عن الخطّاب الأعور، رفعه إلى أهل العلم والفقه من آل محمّد عليهم السلام قال: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ يعني هذه الأرض الطيّبة يجاورها هذه المالحة وليست منها كما يجاور القوم القوم وليسوا منهم(٢).

٧ - **الاختصاص:** عن ابن عبّاس. سأل ابن سلام النبيّ صلى الله عليه وآله ما الستّون؟ قال: الأرض لها ستّون عرقاً والناس خلقوا على ستّين لوناً(٣).

٨ - **معاني الأخبار:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن القاسم بن محمّد الاصبهانيّ عن سليمان بن داود المنقريّ، عن حمّاد بن عيسى، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه نظر إلى المقابر فقال: يا حمّاد هذه كفات الأموات، ونظر إلى البيوت فقال: هذه كفات الأحياء ثمّ تلا: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾. وروي أنّه دفن الشعر والظفر(٤).

بيان: لعلّ أنّ دفن الشعر والظفر في الأرض لما كان مستحبّاً فهذا أيضاً داخل في كفات الأحياء، أو في كفات الأموات لعدم حلول الحياة فيهما، والأوّل أظهر.

٩ - **العيون:** عن المفسّر بإسناده إلى أبي محمّد العسكريّ عن آبائه عن عليّ بن الحسين عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ قال: جعلها ملائمة لطبائعكم موافقةً لأجسادكم، ولم يجعلها شديدة الحمي والحرارة فتحرقكم ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدّع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم وأبنيتكم وقبور موتاكم ولكنّه عزّ وجلّ جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به [وتتماسكون] وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم، وجعل فيها ما تنقاد به لدوركم وقبوركم وكثير من منافعكم فلذلك ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ ثمّ قال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ سقفاً محفوظاً من فوقكم يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم. ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني المطر ينزله

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٦٤ باب ٣٨٥ ح ٤٤.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢١٨ ح ٤ من سورة الرعد.
(٣) الإختصاص، ص ٤٨.
(٤) معاني الأخبار، ص ٣٤٢.

من علا ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم ثمّ فرّقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً وطلاً لتنشفه أرضوكم، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعةً واحدة فيفسد أرضيكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم، ثمّ قال عزّوجلّ: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ يعني ممّا يخرجه من الأرض رزقاً لكم ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي أشباهاً وأمثالاً من الأصنام الّتي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنّها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة الّتي أنعمها عليكم ربّكم تبارك وتعالى[١].

الاحتجاج: بالإسناد إلى أبي محمّد عليه السلام مثله.

تفسير الإمام: مثله.

بيان: «فتصدّع» على بناء التفعيل من الصداع. وأعطبه: أهلكه، والرذاذ - كسحاب - المطر الضعيف أو الساكن الدائم الصغار القطر كالغبار، والوابل: المطر الشديد الضخم، والهطل، المطر الضعيف الدائم، والطلّ: المطر الضعيف أو أخفّ المطر وأضعفه والندى أو فوقه ودون المطر، كلّ ذلك ذكره الفيروز آباديّ.

١٠ - **التوحيد:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن إبراهيم بن هاشم وغيره عن خلف بن حمّاد، عن الحسن بن زيد الهاشميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاءت زينب العطّارة الحولاء إلى نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وبناته وكانت تبيع منهنّ العطر فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وهي عندهنّ فقال: إذا أتيتنا طابت بيوتنا، فقالت: بيوتك بريحك أطيب يا رسول الله، فقال: إذا بعت فأحسني ولا تغشّي، فإنّه أتقى وأبقى للمال، فقالت: ما جئت لشيء من بيعي وإنّما جئتك أسألك عن عظمة الله، قال: جلّ جلاله، سأُحدّثك عن بعض ذلك، ثمّ قال: إنّ هذه الأرض بمن فيها ومن عليها عند الّتي تحتها كحلقة ملقاة في فلاة قيّ، وهاتان ومن فيهما ومن عليهما عند الّتي تحتهما كحلقة في فلاة قيّ، والثالثة حتى انتهى إلى السابعة ثمّ تلا هذه الآية: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[٢] والسبع ومن فيهنّ ومن عليهنّ على ظهر الديك كحلقة في فلاة قيّ، والديك له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورجلاه في التخوم، والسبع والديك بمن فيه ومن عليه على الصخرة كحلقة في فلاة قيّ، والسبع والديك والصخرة والحوت عند البحر المظلم كحلقة في فلاة قيّ، والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم عند الهواء كحلقة في فلاة قيّ، والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم والهواء عند الثرى كحلقة في فلاة قيّ ثمّ تلا هذه الآية: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾[٣] ثمّ انقطع الخبر والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم والهواء والثرى بمن فيه ومن عليه عند السماء الأولى كحلقة في فلاة قيّ وهذا والسماء الدنيا

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٢٥ باب ١١ ح ٣٦.
(٢) سورة الطلاق، الآية: ١٢. (٣) سورة طه، الآية: ٦.

ومن فيها ومن عليها عند الّتي فوقها كحلقة في فلاة قيّ وهذا وهاتان السماوان عند الثالثة كحلقة في فلاة قيّ وهذا وهذه الثلاث عند الرابعة بمن فيهنّ ومن عليهنّ كحلقة في فلاة قيّ حتّى انتهى إلى السابعة وهذه السبع ومن فيهنّ ومن عليهنّ عند البحر المكفوف عن أهل الأرض كحلقة في فلاة قيّ والسبع والبحر المكفوف عند جبال البرد كحلقة في فلاة قيّ ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾[1] وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد عند حجب النور كحلقة في فلاة قيّ، وهو سبعون ألف حجاب يذهب نورها بالأبصار، وهذا والسبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهواء والحجب عند الهواء الّذي تحار فيه القلوب كحلقة في فلاة قيّ، والسبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهواء والحجب في الكرسيّ كحلقة في فلاة قيّ، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[2] وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهواء والحجب والكرسيّ عند العرش كحلقة في فلاة قيّ ثمّ تلا هذه الآية: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ ما تحمله الأملاك إلاّ بقول لا إله إلاّ الله ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله [العليّ العظيم][3].

الكافي: عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عبد الرحمان بن أبي نجران عن صفوان، عن خلف بن حمّاد مثله[4].

بيان: «فإنّه أتقى» أي أقرب إلى التقوى وأنسب بها، أو أحفظ لصاحبه عن مفاسد الدنيا والآخرة. وقال الجوهريّ: الفلاة المفازة. وقال: القيّ بالكسر والتشديد (فعل) من القواء وهي الأرض القفر الخالية. وقال: التخم منتهى كلّ قرية أو أرض يقال: فلان على تخم من الأرض، والجمع تخوم. قوله عليه السلام: «ثمّ انقطع الخبر» وفي الكافي «عند الثرى» والمعنى أنا لم نخبر به أو لم نؤمر بالإخبار به. قوله «المكفوف عن أهل الأرض» أي ممنوع عنهم لا ينزل منه ماء إليهم، وفي الكافي بعد قوله: ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ هكذا: وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد عند الهواء الّذي تحار فيه القلوب كحلقة في فلاة قيّ، وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهواء عند حجب النور كحلقة في فلاة قيّ، وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهواء وحجب النور عند الكرسيّ - إلى قوله -: وتلا هذه الآية: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ ثمّ قال: وفي رواية الحسن: الحجب قبل الهواء الّذي تحار فيه القلوب، أي كانت الرواية في كتاب الحسن بن محبوب هكذا موافقاً لما نقله الصدوق.

ثمّ اعلم أنّ الخبر يدلّ على أنّ الأرضين طبقات بعضها فوق بعض، وقد يستشكل فيما اشتمل عليه هذا الخبر من أنّ الأرضين السبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم

---

(١) سورة النور، الآية: ٤٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٣) التوحيد للصدوق، ص ٢٧٥ باب ٣٨.
(٤) روضة الكافي، ح ١٤٣.

والهواء والثرى عند السماء الأولى كحلقة في فلاة قيّ، فيدلّ على أنّ جميع ذلك ليس لها قدر محسوس عند فلك القمر، مع أنّ الأرض وحدها لها قدر محسوس عنده بدلالة الخسوف واختلاف المنظر وغير ذلك ممّا علم في الأبعاد والأجرام. وقد يجاب عن ذلك بأنّه لمّا لم يمكن أن تحمل النسب الّتي ذكرت بين هذه الموجودات في هذا الحديث على النسب المقداريّة الّتي اعتبر مثلها بين الحلقة والفلاة اللتين هما المشبّه بهما في جميع المراتب فإنّه خلاف ما دلّ عليه العقول الصحيحة السليمة بعد التأمّل في البراهين الهندسيّة والحسابيّة الّتي لا يحوم حولها الشكّ أصلاً ولا تعتريها الشبهة قطعاً، فيمكن أن يؤوّل ويحمل على أنّ المعنى أنّ نسبة الحكم والمصالح المرعيّة في خلق كلّ من تلك المراتب إلى ما روعي فيما ذكر بعده كنسبة مقدار الحلقة إلى الفلاة ليدلّ على أنّ ما يمكننا أن نشاهد أو ندرك من آثار صنعه وعجائب حكمته في الشواهد ليس له نسبة محسوسة إلى أدنى ما هو محجوب عنّا فكيف إلى ما فوقه. وأجاب آخرون: بأنّ المعنى ارتفاع ثقل كلّ من تلك الموجودات عمّا اتّصل به، فالطبقة الأولى من الأرض رفع الله ثقلها عن الطبقة الثانية فليس ثقلها عليها إلاّ كثقل حلقة على فلاة سواء كانت أكبر منها حجماً أو أصغر. وأقول: على ما احتملنا سابقاً من كون جميع الأفلاك أجزاء من السماء الدنيا داخلة فيها كما هو ظاهر الآية الكريمة يمكن حمل هذا التشبيه على ظاهره من غير تأويل، والله يعلم حقائق الموجودات.

١١ - **توحيد المفضل:** قال: قال الصادق عليه السلام: فكّر يا مفضّل فيما خلق الله عزّ وجلّ عليه هذه الجواهر الأربعة ليتّسع ما يحتاج إليه منها فمن ذلك سعة هذه الأرض وامتدادها، فلولا ذلك كيف كانت تتّسع لمساكن الناس ومزارعهم ومراعيهم ومنابت أخشابهم وأحطابهم والعقاقير العظيمة والمعادن الجسيمة غناؤها، ولعلّ من ينكر هذه الفلوات الخالية والقفار الموحشة يقول: ما المنفعة فيها؟ فهي مأوى هذه الوحوش ومحالها ومرعاها، ثمّ فيها بعد متنفّس ومضطرب للناس إذا احتاجوا إلى الاستبدال بأوطانهم، وكم بيداء وكم فدفد حالت قصوراً وجناناً بانتقال الناس إليها وحلولهم فيها، ولولا سعة الأرض وفسحتها لكان الناس كمن هو في حصار ضيّق لا يجد مندوحة عن وطنه إذا أحزنه أمر يضطرّه إلى الانتقال عنه. ثمّ فكّر في خلق هذه الأرض على ما هي عليه حين خلقت راتبة راكنة، فيكون موطناً مستقرّاً للأشياء فيتمكّن الناس من السعي عليها في مآربهم، والجلوس عليها لراحتهم، والنوم لهدوئهم، والإتقان لأعمالهم، فإنّها لو كانت رجراجة متكفّئة لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا البناء والتجارة والصناعة وما أشبه ذلك، بل كانوا لا يتهنّأون بالعيش والأرض ترتجّ من تحتهم واعتبر ذلك بما يصيب الناس حين الزلازل على قلّة مكثها حتّى يصيروا إلى ترك منازلهم والهرب عنها. فإن قال قائل: فلم صارت هذه الأرض تزلزل؟ قيل له: إنّ الزلزلة وما أشبهها موعظة وترهيب يرهّب بها الناس ليرعوا عن المعاصي، وكذلك ما ينزل بهم من البلاء في أبدانهم وأموالهم يجري في التدبير على ما فيه صلاحهم واستقامتهم

ويدّخر لهم إن صلحوا من الثواب والعوض في الآخرة ما لا يعدله شيء من أمور الدنيا، وربما عجّل ذلك في الدنيا إذا كان ذلك في الدنيا صلاحاً للعامّة والخاصّة.

ثمّ إنّ الأرض في طباعها الّذي طبعها الله عليه باردة يابسة وكذلك الحجارة، وإنّما الفرق بينها وبين الحجارة فضل يبس في الحجارة، أفرأيت لو أنّ اليبس أفرط على الأرض قليلاً حتّى تكون حجراً صلداً أكانت تنبت هذا النبات الّذي به حياة الحيوان وكان يمكن بها حرث أو بناء؟ أفلا ترى كيف نقصت عن يبس الحجارة وجعلت على ما هي عليه من اللين والرخاوة وليتهيّأ للاعتماد، ومن تدبير الحكيم - جلّ وعلا - في خلقه الأرض أنّ مهبّ الشمال أرفع من مهبّ الجنوب، فلم يجعل الله عزّوجلّ كذلك إلاّ لتنحدر المياه على وجه الأرض فتسقيها وترويها ثمّ يفيض آخر ذلك إلى البحر، فكما يرفع أحد جانبي السطح ويخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولا تقوم عليه كذلك جعل مهبّ الشمال أرفع من مهبّ الجنوب لهذه العلّة بعينها، ولولا ذلك لبقي الماء متحيّراً على وجه الأرض فكان يمنع الناس من أعمالها ويقطع الطرق والمسالك. ثمّ الماء لولا كثرته وتدفّقه في العيون والأودية والأنهار لضاق عمّا يحتاج الناس إليه لشربهم وشرب أنعامهم ومواشيهم وسقي زروعهم وأشجارهم وأصناف غلاّتهم، وشرب ما يرده من الوحوش والطير والسباع وتتقلّب فيه الحيتان ودوابُّ الماء، وفيه منافع أُخر أنت بها عارف، وعن عظم موقعها غافل، فإنّه سوى الأمر الجليل المعروف من غنائه في إحياء جميع ما على الأرض من الحيوان والنبات يمزج بالأشربة فتلين وتطيب لشاربها، وبه تنظف الأبدان والأمتعة من الدرن الّذي يغشاها، وبه يبلّ التراب فيصلح للاعتمال، وبه نكفّ عادية النار إذا اضطرمت وأشرف الناس على المكروه وبه يستحمّ المتعب الكالّ فيجد الراحة من أوصابه، إلى أشباه هذا من المآرب الّتي تعرف عظم موقعها في وقت الحاجة إليها. فإن شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في البحار وقلت: ما الإرب فيه؟ فاعلم أنّه مكتنف ومضطرب ما لا يحصى من أصناف السمك ودوابّ البحر ومعدن اللؤلؤ والياقوت والعنبر وأصناف شتّى تستخرج من البحر وفي سواحله منابت العود اليلنجوج وضروب من الطيب والعقاقير، ثمّ هو بعد مركب الناس ومحمل لهذه التجارات الّتي تجلب من البلدان البعيدة، كمثل ما يجلب من الصين إلى العراق، ومن العراق إلى العراق، فإنّ هذه التجارات لو لم يكن لها محمل إلاّ على الظهر لبارت وبقيت في بلدانها وأيدي أهلها، لأنّ أجر حملها كان يجاوز أثمانها فلا يتعرّض أحد لحملها، وكان يجتمع في ذلك أمران: أحدهما فقد أشياء كثيرة تعظم الحاجة إليها، والآخر: انقطاع معاش من يحملها ويتعيّش بفضلها. وهكذا الهواء لولا كثرته وسعته لاختنق هذا الأنام من الدخان والبخار الذي يتحيّر فيه ويعجز عمّا يحول إلى السحاب والضباب أوّلاً أوّلاً، وقد تقدّم من صفته ما فيه كفاية.

والنار أيضاً كذلك، فإنّها لو كانت مبثوثةً كالنسيم والماء كانت تحرق العالم وما فيه ولم

يكن بدّ من ظهورها في الأحايين لغنائها في كثير من المصالح، فجعلت كالمخزونة في الأخشاب تلتمس عند الحاجة إليها وتمسك بالمادّة والحطب ما احتيج إلى بقائها لئلاّ تخبو، فلا هي تمسك بالمادّة والحطب فتعظم المؤونة في ذلك، ولا هي تظهر مبثوثة فتحرق كلّ ما هي فيه، بل هي على تهيئة وتقدير اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها والسلامة من ضررها. ثمّ فيها خلّة أخرى وهي أنّها ممّا خصّ به الإنسان دون جميع الحيوان لما له فيها من المصلحة، فإنّه لو فقد النار لعظم ما يدخل عليه من الضرر في معاشه، فأمّا البهائم فلا تستعمل النار ولا تستمتع بها، ولمّا قدر الله عزّ وجلّ أن يكون هذا هكذا خلق للإنسان كفّاً وأصابع مهيّأة لقدح النار واستعمالها، ولم يعط البهائم مثل ذلك، لكنّها أُغنيت بالصبر على الجفاء والخلل في المعاش لكيلا ينالها في فقد النار ما ينال الإنسان. وأنبّئك من منافع النار على خلّة صغيرة عظيم موقعها، وهي هذا المصباح الّذي يتّخذه الناس فيقضون به حوائجهم ما شاؤوا من ليلهم، ولولا هذه الخلّة لكان الناس تصرف أعمارهم بمنزلة من في القبور، فمن كان يستطيع أن يكتب أو يحفظ أو ينسج في ظلمة الليل؟ وكيف كانت حال من عرض له وجع في وقت من أوقات الليل فاحتاج إلى أن يعالج ضماداً أو سفوفاً أو شيئاً يستشفي به؟ فأمّا منافعها في نضج الأطعمة ودفاء الأبدان وتجفيف أشياء وتحليل أشياء وأشباه ذلك فأكثر من أن تحصى وأظهر من أن تخفى(١).

تبيان: العقاقير أصول الأدوية، والغناء - بالفتح -: المنفعة، والخاوية: الخالية، والفدفد: الفلاة والمكان الصلب الغليظ والمرتفع والأرض المستوية، والفسحة - بالضمّ -: السعة، ويقال: لي عن هذا الأمر مندوحة ومنتدح أي سعة، وحزبه أمر أي أصابه، والراتبة: الثابتة، والراكنة: الساكنة، وهدأ هدءً وهدوءً: سكن، وقوله عليه السلام: رجراجة: أي متزلزلةً متحرّكة، والتكفّي: الانقلاب والتمايل والتحريك والارتجاج: الاضطراب، والارعواء: الرجوع عن الجهل والكفّ عن القبيح، والصلد - بكسر -: الصلب الأملس. قوله عليه السلام: «إنّ مهبّ الشمال أرفع» أي بعدما خرجت الأرض من الكرويّة الحقيقيّة صار ما يلي الشمال منها في أكثر المعمورة أرفع ممّا يلي الجنوب، ولذا ترى أكثر الأنهار - كدجلة والفرات وغيرهما - تجري من الشمال إلى الجنوب، ولمّا كان الماء الساكن في جوف الأرض تابعاً للأرض في ارتفاعه وانخفاضه فلذا صارت العيون المنفجرة تجري هكذا من الشمال إلى الجنوب حتى تجري على وجه الأرض، ولذا حكموا بفوقيّة الشمال على الجنوب في حكم اجتماع البئر والبالوعة وإذا تأمّلت فيما ذكرنا يظهر لك ما بيّنه عليه السلام من الحكم في ذلك وأنّه لا ينافي كرويّة الأرض. والتدفّق: التصبّب. قوله عليه السلام: «فإنّه سوى الأمر الجليل» الضمير راجع إلى الماء وهو اسم (إن) و(يمزج)

(١) توحيد المفضل، ص ١٤٢-١٤٨.

خبره، أي للماء سوى النفع الجليل المعروف - وهو كونه سبباً لحياة كلّ شيء - منافع أُخرى: منها أنّه يمزج مع الأشربة. وقال الجوهريّ: الحميم: الماء الحارّ، وقد استحممت: إذا اغتسلت به ثمّ صار كلّ اغتسال استحماماً بأيّ ماء كان (انتهى). والوصب - محرّكةً -: المرض والمكتنف - بفتح النون - من الكنف بمعنى الحفظ والإحاطة، واكتنفه أي أحاط به ويظهر منه أنّ نوعاً من الياقوت يتكوّن في البحر، وقيل: أطلق على المرجان مجازاً ويحتمل أن يكون المراد ما يستخرج منه بالغوص وإن لم يتكوّن فيه. واليلنجوج: عود البخور، و«من العراق» أي البصرة «إلى العراق» أي الكوفة، أو بالعكس. قوله عليه السلام: «ويعجز» أي لولا كثرة الهواء لعجز الهواء عمّا يستحيل الهواء إليه من السحاب والضباب الّتي تتكوّن من الهواء «أوّلاً أوّلاً» أي تدريجاً، أي كان الهواء لا يفي بذلك أو لا يتّسع لذلك، والضباب - بالفتح - ندى كالغيم، أو سحاب رقيق كالدخان. والأحايين جمع أحيان وهو جمع حين بمعنى الدهر والزمان. قوله عليه السلام (فلا هي تمسك بالمادّة والحطب) أي دائماً بحيث إذا انطفت لم يمكن إعادتها، والمادّة: الزيادة المتّصلة والمراد هنا الدهر ومثله. ودفاء الأبدان - بالكسر - دفع البرد عنها.

١٢ - **الدر المنثور:** سئل عن ابن عبّاس: هل تحت الأرض خلق؟ قال: نعم ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾(١).

١٣ - وعن قتادة في قوله: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال: في كلّ سماء وكلّ أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه(٢).

١٤ - وعن مجاهد في قوله: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ قال: من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ملفوفة(٣).

١٥ - وعن الحسن في الآية قال: بين كلّ سماء وأرض خلق وأمر(٤).

١٦ - وعن ابن جريح قال: بلغني أنّ عرض كلّ سماء مسيرة خمسمائة سنة، وأنّ بين كلّ أرضين مسيرة خمسمأة سنة؟ وأخبرت أنّ الريح بين الأرض الثانية والثالثة؛ والأرض السابعة فوق الثرى واسمها تخوم؛ وأنّ أرواح الكفّار فيها، فإذا كان يوم القيامة ألقتهم إلى برهوت، والثرى فوق الصخرة الّتي قال الله: ﴿فِى صَخْرَةٍ﴾ والصخرة على الثور له قرنان وله ثلاث قوائم يبتلع ماء الأرض كلّها يوم القيامة، والثور على الحوت وذنب الحوت عند رأسه مستدير تحت الأرض السفلى وطرفاه منعقدان تحت العرش، ويقال، الأرض السفلى عمد بين قرني الثور، ويقال: بل على ظهره واسمها يهموت، وأخبرت أن عبد الله بن سلام سأل النبيّ صلى الله عليه وآله: على ما الحوت؟ قال: على ماء أسود، وما أخذ منه الحوت إلاّ كما أخذ حوت

(١) - (٤) الدر المنثور، ج ٦ ص ٢٣٨.

من حيتانكم من بحر من هذه البحار، وحدّثت أنّ إبليس يغلغل إلى الحوت فيعظم له نفسه وقال: ليس خلق بأعظم منك عزّاً ولا أقوى منك، فوجد الحوت في نفسه فتحرّك فمنه تكون الزلزلة إذا تحرّك، فبعث الله حوتاً صغيراً فأسكنه في أذنه فإذا ذهب يتحرّك تحرّك الّذي في أذنه فيسكن(١).

١٧ - وعن ابن عبّاس في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال: سبع أرضين في كلّ أرض نبيّ كنبيّكم، وآدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى(٢).

١٨ - وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الأرضين بين كلّ أرض والّتي تليها مسيرة خمسمائة عام، والعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء والحوت على صخرة والصخرة بيد ملك، والثانية مسجن الريح فلمّا أراد الله أن يهلك عاداً أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحاً يهلك عاداً، فقال: يا ربّ أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور؟ فقال له الجبّار: إذن تكفأ الأرض ومن عليها، ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم، فهي الّتي قال الله في كتابه ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ والثالثة فيها حجارة جهنّم. والرابعة فيها كبريت جهنّم، فقالوا: يا رسول الله أللنار كبريت؟ قال: نعم والّذي نفسي بيده إنّ فيها حيّات جهنّم، إنّ أفواهها كالأودية تلسع الكافر اللسعة فلا يبقى منه لحم على وضم. والسادسة فيها عقارب جهنّم، إنّ أدنى عقربة منها كالبغال المؤكفة تضرب الكافر ضربة ينسيه ضربها حرّ جهنّم. والسابعة فيها سقر وفيها إبليس مصفّد بالحديد يد أمامه ويد خلفه، فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء أطلقه(٣).

١٩ - وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: كنف الأرض مسيرة خمسمائة عام، والثانية مثل ذلك، وما بين كلّ أرض أرضين مثل ذلك(٤).

٢٠ - وعن ابن عبّاس قال: سيّد السماوات السماء الّتي فيها العرش، وسيّد الأرضين الأرض الّتي نحن فيها(٥).

٢١ - وعن كعب قال: الأرضون السبع على صخرة، والصخرة في كفّ ملك والملك على جناح الحوت، والحوت في الماء على الريح، والريح على الهواء ريح عقيم لا تلقح، وإنّ قرونها معلّقة بالعرش(٦).

٢٢ - وعن أبي مالك قال: الصخرة الّتي تحت الأرض منتهى الخلق، على أرجائها أربعة أملاك رؤوسهم تحت العرش(٧).

٢٣ - وعنه قال: الصخرة تحت الأرضين على حوت، والسلسلة في أذن الحوت(٨).

٢٤ - وعن ابن عبّاس قال: إنّ أوّل شيء خلقه الله القلم فقال له: أكتب، قال: يا ربّ وما

---

(١) - (٨) الدر المنثور، ج ٦ ص ٢٣٨-٢٣٩.

أكتب؟ قال: اكتب القدر يجري من ذلك اليوم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، ثمّ طوى الكتاب ورفع القلم وكان عرشه على الماء، فارتفع بخار الماء ففتقت منه السماوات، ثمّ خلق النون فبسطت عليه الأرض، والأرض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الأرض فأُثبتت بالجبال، فإنّ الجبال لتفخر على الأرض إلى يوم القيامة، ثمّ قرأ ابن عبّاس ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾(١).

٢٥ - وعن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ أوّل ما خلق الله القلم والحوت، وقال ما أكتب؟ قال: كلّ شيء كائن إلى يوم القيامة، ثمّ قرأ ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾ فالنون الحوت(٢).

٢٦ - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: النون السمكة الّتي عليها قرار الأرضين والقلم الّذي خطّ به ربّنا عزّ وجلّ القدر خيره وشرّه ونفعه وضرره ﴿وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ قال: الكرام الكاتبون(٣).

بيان: في القاموس: ماع الشيء يميع: جرى على وجه الأرض منبسطاً في هينة والسمن: ذاب. وقال: الوضم - محرّكة -: ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب وحصير. وقال: إكاف الحمار ككتاب وغراب ووكافه: برذعته، وآكف الحمار إيكافاً وأكّفه تأكيفاً: شدّه عليه.

٢٧ - **نوادر الراوندي:** بإسناده عن جعفر بن محمّد، عن آبائه عليهم السلام قال: أقبل رجلان إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما لصاحبه: اجلس على اسم الله تعالى والبركة فقال رسول الله ﷺ: اجلس على استك فأقبل يضرب الأرض بعصاً، فقال رسول الله ﷺ: لا تضربها فإنّها أمّكم وهي بكم برّة(٤).

٢٨ - وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله ﷺ: تمسحوا بالأرض فإنّها أمّكم وهي بكم برّة(٥).

بيان: قال في النهاية: في الحديث «تمسحوا بالأرض فإنّها بكم برّة» أي مشفقة عليكم كالوالدة البرّة بأولادها، يعني أنّ منها خلقكم وفيها معاشكم وإليها بعد الموت معادكم، والتمسّح أراد به التيمّم، وقيل: أراد مباشرة ترابها بالجباه في السجود من غير حائل (انتهى).

وأقول: يحتمل أن يراد به ما يشمل الجلوس على الأرض بغير حائل، والأكل على الأرض من غير مائدة بقرينة الخبر الأوّل.

٢٩ - **العلل:** لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم قال: العلّة في أنّ الأرض لا تقبل الدّم أنّه لما قتل قابيل أخاه هابيل غضب آدم على الأرض فلا تقبل الدم لهذه العلّة.

---

(١) - (٣) الدر المنثور، ج ٦ ص ٢٤٩-٢٥٠. (٤) - (٥) نوادر الراوندي، ص ١٠٣ ح ٧٠-٧١.

٣٠ - **العلل:** عن عليّ بن أحمد الدقّاق، عن الكلينيّ، عن علاّن بإسناده رفعه قال: أتى عليّ بن أبي طالب يهوديّ فسأله عن مسائل فكان فيما سأله: أخبرني عن قرار هذه الأرض على ما هو؟ فقال عليه السلام: قرار هذه الأرض لا يكون إلاّ على عاتق ملك وقدما ذلك الملك على صخرة، والصخرة على قرن ثور، والثور قوائمه على ظهر الحوت في اليمّ الأسفل، واليمّ على الظلمة، والظلمة على العقيم، والعقيم على الثرى وما يعلم تحت الثرى إلاّ الله عزّ وجلّ (الخبر)[١].

٣١ - **النهج:** قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة التوحيد: لا يجري عليه السكون والحركة، وكيف يجري عليه ما هو أجراه ويعود فيه ما هو أبداه، ويحدث فيه ما هو أحدثه؟ إذاً لتفاوتت ذاته، ولتجزّأ كنهه، ولامتنع من الأزل معناه، ولكان له وراء إذ وجد له أمام، ولالتمس التمام إذ لزمه النقصان[٢].

بيان: قال بعض شرّاح النهج في قوله عليه السلام: «ولتجزّأ كنهه» إشارة إلى نفي الجوهر الفرد؛ وقال: قوله عليه السلام: «ولكان له وراء إذ كان له أمام» يؤكّد ذلك لأنّ من أثبته يقول يصحّ أن تحلّه الحركة ولا يكون أحد وجهيه غير الآخر.

فائدة: إعلم أنّ الطبيعيّين والرياضيّين اتّفقوا على أنّ الأرض كرويّة بحسب الحسّ وكذا الماء المحيط بها، وصارا بمنزلة كرة واحدة، فالماء ليس بتامّ الاستدارة بل هو على هيئة كرة مجوّفة قطع بعض منها وملئت الأرض على وجه صارت الأرض مع الماء بمنزلة كرة واحدة، ومع ذلك ليس شيء من سطحيه صحيح الاستدارة، أمّا المحدّب فلما فيه من الأمواج، وأمّا المقعّر فللتضاريس فيه من الأرض. وقد أخرج الله تعالى قريباً من الربع من الأرض من الماء بمحض عنايته الكاملة، أو لبعض الأسباب المتقدّمة لتكون مسكناً للحيوانات المتنفّسة وغيرها من المركّبات المحوجة إلى غلبة العنصر اليابس الصلب لحفظ الصور والأشكال وربط الأعضاء والأوصال. وممّا يدلّ على كرويّة الأرض ما أومأنا إليه سابقاً من طلوع الكواكب وغروبها في البقاع الشرقيّة قبل طلوعها وغروبها في الغربيّة بقدر ما تقتضيه أبعاد تلك البقاع في الجهتين على ما علم من أرصاد كسوفات بعينها لا سيّما القمريّة في بقاع مختلفة، فإنّ ذلك ليس في ساعات متساوية البعد من نصف النهار على الوجه المذكور، وكون الاختلاف متقدّراً بقدر الأبعاد دليل على الاستدارة المشتبهة السائرة بحدبتها المواضع الّتي يتلو بعضها بعضاً على قياس واحد بين الخافقين، وازدياد ارتفاع القطب والكواكب الشماليّة وانحطاط الجنوبيّة للسائرين إلى الشمال وبالعكس للسائرين إلى الجنوب بحسب سيرهما دليل على استدارتها بين الجنوب والشمال، وتركّب الاختلافين يعطي الاستدارة في جميع الامتدادات. ويؤيّده مشاهدة استدارة أطراف المنكسف من القمر الدالّة على أنّ

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠ باب ١ ح ١. (٢) نهج البلاغة، ص ٣٧٩ خ ١٨٤.

الفصل المشترك بين المستضيء من الأرض وما ينبعث منه الظلّ دائرة، وكذلك اختلاف ساعات النّهر الطوال والقصار في مساكن متّفقة الطول إلى غير ذلك. ولو كانت أسطوانيّة قاعدتاها نحو القطبين لم يكن لساكني الاستدارة كوكب أبديّ الظهور، بل إمّا الجميع طالعة غاربة أو كانت الكواكب يكون من كلّ واحد من القطبين على بعد تستره القاعدتان أبديّة الخفاء والباقية طالعة غاربة وليس كذلك، وأيضاً فالسائر إلى الشمال قد يغيب عنه دائماً كواكب كانت تظهر له، وتظهر له كواكب كانت تغيب عنه بقدر إمعانه في السير، وذلك يدلّ على استدارتها في هاتين الجهتين أيضاً. وممّا يدلّ على استدارة سطح الماء الواقف طلوع رؤوس الجبال الشامخة على السائرين في البحر أوّلاً ثمّ ما يلي رؤوسها شيئاً بعد شيء في جميع الجهات. وقالوا: التضاريس الّتي على وجه الأرض من جهة الجبال والأغوار لا تقدح في كرويّتها الحسيّة، إذ ارتفاع أعظم الجبال وأرفعها على ما وجدوه فرسخان وثلث فرسخ، ونسبتها إلى جرم الأرض كنسبة جرم سبع عرض شعيرة إلى كرة قطرها ذراع بل أقلّ من ذلك. ويظهر من كلام أكثر المتأخّرين أنّ عدم قدح تلك الأمور في كرويّتها الحسّيّة معناه أنّها لا تخلّ بشكل جملتها كالبيضة ألزقت بها حبّات شعير لم يقدح ذلك في شكل جملتها، واعترض عليه: بأنّ كون الأرض أو البيضة حينئذ على الشكل الكرويّ أو البيضيّ عند الحسّ ممنوع، وكيف يمكن دعوى ذلك مع ما يرى على كلّ منهما ما يخرج به الشكل ممّا اعتبروا فيه وعرّفوه به؟ وربما يوجّه بوجه آخر وهو أنّ الجبال والوهاد الواقعة على سطح الأرض غير محسوسة عادة عند الإحساس بجملة كرة الأرض على ما هي عليه في الواقع. بيانه: أنّ رؤية الأشياء تختلف بالقرب والبعد، فيرى القريب أعظم ممّا هو الواقع والبعيد أصغر منه وهو ظاهر، وقد أطبق القائلون بالانطباع وبخروج الشعاع كلّهم على أنّ هذا الاختلاف في رؤية المرئيّ بسبب القرب والبعد إنّما هو تابع لاختلاف الزاوية الحاصلة عند مركز الجليديّة في رأس المخروط الشعاعيّ بحسب التوهّم أو بحسب الواقع عند انطباق قاعدته على سطح المرئيّ، فكلّما قرب المرئي عظمت تلك الزاوية، وكلّما بعد صغرت. وقد تقرّر أيضاً بين محقّقيهم أنّ رؤية الشيء على ما هو عليه إنّما هو في حالة يكون البعد بين الرائي والمرئيّ على قدر يقتضي أن تكون الزاوية المذكورة قائمة. فبناءً على ذلك إذا فرضت الزاوية المذكورة بالنسبة إلى مرئيّ قائمة يجب أن يكون البعد بين رأس المخروط وقاعدته المحيطة بالمرئي بقدر نصف قطر قاعدته على ما تقرّر في الأصول. فلمّا كان قطر الأرض أزيد من ألفي فرسخ بلا شبهة لا تكون مرئيّة على ما هي عليه من دون ألف فرسخ، ومعلوم أنّ الجبال والوهاد المذكورة غير محسوسة عادة عند هذا البعد من المسافة فلا يكون لها قدر محسوس عند الأرض بالمعنى الّذي مهّدنا.

ثمّ إنّهم استعلموا بزعمهم مساحة الأرض وأجزاءها ودوائرها في زمان المأمون وقبله فوجدوا مقدار محيط الدائرة العظمى من الأرض ثمانية آلاف فرسخ، وقطرها ألفين

وخمسمائة وخمسة وأربعين فرسخاً ونصف فرسخ تقريباً، ومضروب القطر في المحيط مساحة سطح الأرض وهي عشرون ألف ألف وثلاثمائة وستّون ألف فرسخ وربع ذلك مساحة الربع المسكون من الأرض. وأمّا القدر المعمور من الربع المسكون وهو ما بين خطّ الاستواء والموضع الّذي عرضه بقدر تمام الميل الكلّيّ فمساحته ثلاثة آلاف ألف وسبعمائة وخمسة وستّين ألفاً وأربعمائة وعشرين فرسخاً وهو قريب من سدس سطح جميع الأرض وسدس عشره، والفرسخ ثلاثة أميال بالاتّفاق، وكلّ ميل أربعة آلاف ذراع عند المحدثين، وثلاثة آلاف عند القدماء، وكلّ ذراع أربع وعشرون إصبعاً عند المحدثين، واثنان وثلاثون عند القدماء. وكلّ إصبع بالاتّفاق مقدار ستّ شعيرات مضمومة بطون بعضها إلى ظهور بعض من الشعيرات المعتدلة.

وذكروا أنّ للأرض ثلاث طبقات: الأولى: الأرض الصرفة المحيطة بالمركز الثانية: الطبقة الطينية وهي المجاورة للماء؛ الثالثة: الطبقة المنكشفة من الماء وهي الّتي تحتبس فيها الأبخرة والأدخنة وتتولّد منها المعادن والنباتات والحيوانات. وزعموا أنّ البسائط كلّها شفّافة لا تحجب عن إبصار ما ورائها ما عدا الكواكب، وأنّ الأرض الصرفة المتجاورة للمركز أيضاً شفّافة، والطبقتان الأخريان ليستا بسيطتين فهما كثيفتان. فالأرض جعل الله الطبقة الظاهرة منها ملوّنة كثيفة غبراء لتقبل الضياء وخلق ما فوقها من العناصر مشفّة لطيفة بالطباع لينفذ فيها ويصل إلى غيرها ساطع الشعاع، فإنّ الكواكب وسيّما الشمس والقمر أكثر تأثيراتها في العوالم السفلى بوسيلة أشعّتها المستقيمة والمنعطفة والمنعكسة بإذن الله تعالى. وقالوا: الأرض في وسط السماء كالمركز في الكرة فينطبق مركز حجمها على مركز العالم، وذلك لتساوي ارتفاع الكواكب وانحطاطها مدّة ظهورها وظهور النصف من الفلك دائماً وتطابق أظلال الشمس في وقتي طلوعها وغروبها عند كونها على المدار الّذي يتساوى فيه زمان ظهورها وخفائها على خطّ مستقيم، أو عند كونها في جزئين متقابلين من الدائرة الّتي يقطعها بسيرها الخاصّ بها، وانخساف القمر في مقاطراته الحقيقيّة للشمس، فإنّ الأوّل يمنع ميلها إلى أحد الخافقين، والثاني إلى أحد السمتين: الرأس والقدم، والثالث إلى أحد القطبين، والرابع إلى شيء منها أو من غيرها من الجهات كما لا يخفى. وكما أنّ مركز حجمها منطبق على مركز العالم فكذا مركز ثقلها، وذلك لأنّ الثقال تميل بطبعها إلى الوسط كما دلّت عليه التجربة، فهي إذن لا تتحرّك عن الوسط، بل هي ساكنة فيه متدافعة بأجزائها من جميع الجوانب إلى المركز تدافعاً متساوياً، فلا محالة ينطبق مركز ثقلها الحقيقيّ المتّحد بمركز حجمها التقريبيّ على مركز العالم ومستقرّها عند وسط العالم لتكافؤ القوى بلا تزلزل واضطراب يحدث فيها لثباتها بالسبب المذكور، ولكون الأثقال المنتقلة من جانب منها إلى الآخر في غاية الصغر بالقياس إليها لا يوجب انتقال مركز ثقلها من نقطة إلى أُخرى بحركة شيء منها، وكذا الأجزاء المباينة لها تهوي إليها وهي تقبلها من جميع نواحيها من دون

اضطراب. هذا ما ذكروه في هذا المقام، ولا نعرف من ذلك إلاّ كون الجميع بقدرة القادر العليم وإرادة المدبّر الحكيم كما ستعرف ذلك إن شاء الله تعالى.

وقال الشيخ المفيد - قدّس سرّه - في كتاب المقالات: أقول: إنّ العالم هو السماء والأرض وما بينهما وفيهما من الجواهر والأعراض، ولست أعرف بين أهل التوحيد خلافاً في ذلك. أقول: لعلّ مراده - قدّس سرّه - بالسماوات ما يشمل العرش والكرسيّ والحجب، وغرضه نفي الجواهر المجرّدة الّتي تقول بها الحكماء. ثمّ قال ﷺ: وأقول: إنّ الفلك هو المحيط بالأرض الدائر عليها وفيه الشمس والقمر وسائر النجوم، والأرض في وسطه بمنزلة النقطة في وسط الدائرة، وهذا مذهب أبي القاسم البلخيّ وجماعة كثيرة من أهل التوحيد، ومذهب أكثر القدماء والمنجّمين وقد خالف فيه جماعة من بصريّة المعتزلة وغيرهم من أهل النحل. وأقول: إنّ المتحرّك من الفلك إنّما يتحرّك حركةً دوريّةً كما يتحرّك الدائر على الكرة، وإلى هذا ذهب البلخيّ وجماعة من أهل التوحيد، والأرض على هيئة الكرة في وسط الفلك وهي ساكنة لا تتحرّك، وعلّة سكونها أنّها في المركز، وهو مذهب أبي القاسم وأكثر القدماء والمنجّمين، وقد خالف فيه الجبائيّ وابنه وجماعة غيرهما من أهل الآراء والمذاهب من المقلّدة والمتكلّمين. - ثمّ قال -: وأقول: إنّ العالم مملوء من الجواهر وإنّه لا خلاء فيه، ولو كان فيه خلاء لما صحّ فرق بين المجتمع والمتفرّق من الجواهر والأجسام وهو مذهب أبي القاسم خاصّة من البغداديّين، ومذهب أكثر القدماء من المتكلّمين وخالف فيه الجبائيّ وابنه وجماعة متكلّمي أهل الحشو والجبر والتشبيه. - ثمّ قال -: وأقول: إنّ المكان هو ما أحاط بالشيء من جميع جهاته، ولا يصحّ تحرّك الجواهر إلاّ في الأماكن؛ والوقت هو ما جعله الموقّت وقتاً للشيء وليس بحادث مخصوص والزمان اسم يقع على حركات الفلك فلذلك لم يكن الفعل محتاجاً في وجوده إلى وقت ولا زمان، وعلى هذا القول سائر الموحّدين[١].

وسئل السيّد المرتضى ﷺ: الفراغ له نهاية؟ والقديم تعالى يعلم منتهى نهايته؟ وهذا الفراغ أيّ شيء هو؟ وكذلك الطبقة الثامنة من الأرض والثامنة من السماء نقطع أنّ هناك فراغاً أم لا؟ فإن قلت: لا، طالبتك بما وراء الملأ، القديم تعالى يعلم أنّ هناك نهاية، فإن قلت: نعم، طالبتك أيّ شيء وراء النهاية؟

فأجاب ﷺ: إنّ الفراغ لا يوصف بأنّه متنه، ولا أنّه غير متنه على وجه الحقيقة، وإنّما يوصف بذلك مجازاً واتّساعاً، وأمّا قوله: وهذا الفراغ أيّ شيء هو؟ فقد علمنا أنّه لا جوهر ولا عرض ولا قديم ولا محدث ولا هو ذات ولا هو معلوم كالمعلومات. وأمّا الطبقة الثامنة من الأرض فما نعرفها، والّذي نطق به القرآن: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ فأمّا غير ذلك فلا سبيل للقطع به من عقل ولا شرع (انتهى)[٢].

(١) أوائل المقالات، ص ٩٩.
(٢) رسائل الشريف المرتضى، ج ٣ ص ٢٤.

وأقول: بسط الكلام في هذه الأمور خروج عن مقصود الكتاب، ومحلّه علم الكلام.

٣٣ - باب آخر في قسمة الأرض إلى الأقاليم وذكر جبل قاف وسائر الجبال وكيفية خلقها وسبب الزلزلة وعلتها

الآيات: النحل: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ «١٥».

الكهف: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا﴾ - إلى قوله - ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ «٩٣ - ٩٨».

الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

لقمان: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ «١٠».

فاطر: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ «٢٧».

ص: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾.

ق: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ «٧».

الطور: ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾﴾ - وقال تعالى - ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾.

المرسلات: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ﴾ «٢٧».

النبأ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾.

الغاشية: ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾.

التين: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾﴾.

تفسير: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ قال المبرّد: أي منع الأرض أن تميد، وقيل: لئلاّ تميد، وقيل: أي كراهة أن تميد، وقال بعض المفسّرين: الميد الاضطراب في الجهات الثلاث، وقيل: إنّ الأرض كانت تميد وترجف رجوف السقف بالوطء فثقّلها الله بالجبال الرواسي ليمنع من رجوفها، ورووا عن ابن عبّاس أنّه قال: إنّ الأرض بسطت على الماء فكانت تكفأ بأهلها كما تكفأ السفينة فأرساها الله تعالى بالجبال. ثمّ إنّهم اختلفوا في أنّه لمَ صارت الجبال سبباً لسكون الأرض على أقوال، وذكروا لذلك وجوهاً ولنذكر بعضها:

الأول: ما ذكره الفخر الرازيّ في تفسيره: أنّ السفينة إذا ألقيت على وجه الماء فإنّها تميل من جانب إلى جانب وتضطرب فإذا وقعت الأجرام الثقيلة فيها استقرّت على وجه الماء، فكذلك لمّا خلق الله تعالى الأرض على وجه الماء اضطربت ومادت، فخلق الله تعالى عليها هذه الجبال ووتّدها بها فاستقرّت على وجه الماء بسبب ثقل الجبال. ثمّ قال: لقائل أن يقول: هذا يشكل من وجوه:

الأوّل: أنّ هذا المعلّل إمّا أن يقول بأنّ حركات الأجسام بطباعها أو يقول ليست بطباعها

بل هي واقعة بإيجاد الفاعل المختار إيّاها، فعلى التقدير الأوّل نقول: لا شكّ أنّ الأرض أثقل من الماء، والأثقل يغوص في الماء ولا يبقى طافياً عليه فامتنع أن يقال: إنّها كانت تميد وتضطرب بخلاف السفينة فإنّها متّخذة من الخشب وفي داخل الخشب تجويفات غير مملوءة فلذلك تميد وتضطرب على وجه الماء، فإذا أُرسيت بالأجسام الثقيلة استقرّت وسكنت فظهر الفرق. وأمّا على التقدير الثاني وهو أن يقال ليس للأرض والماء طبائع توجب الثقل والرسوب، والأرض إنّما تنزل لأنّ الله تعالى أجرى عادته بجعلها كذلك، وإنّما صار الماء محيطاً بالأرض لمجرد إجراء العادة ليس ههنا طبيعة للأرض ولا للماء توجب حالة مخصوصة، فنقول: على هذا التقدير علّة سكون الأرض هي أنّ الله تعالى يخلق فيها السكون وعلّة كونها مائدة مضطربة هو أنّ الله تعالى يخلق فيها الحركة، فيفسد القول بأنّ الله تعالى خلق الجبال لتبقى الأرض ساكنة، فثبت أنّ التعليل مشكل على كلا التقديرين.

الإشكال الثاني: أنّ إرساء الأرض بالجبال إنّما يعقل لأجل أن تبقى الأرض على وجه الماء من غير أن تميد وتميل من جانب إلى جانب، وهذا إنّما يعقل إذا كان الّذي استقرّت الأرض على وجهه واقفاً. فنقول: فما المقتضي لسكونه في ذلك الحيّز المخصوص؟ فإن قلت: إنّ طبيعته توجب وقوفه في ذلك الحيّز المعيّن فحينئذ يفسد القول بأنّ الأرض إنّما وقفت بسبب أنّ الله تعالى أرساها بالجبال. وإن قلت: إنّ المقتضي لسكون الماء في حيّزه المعيّن هو أنّ الله تعالى أسكن الماء بقدرته في ذلك الحيّز المخصوص، فنقول: فلم لا تقول مثله في سكون الأرض؟ وحينئذ يفسد هذا التعليل أيضاً.

الإشكال الثالث: أنّ مجموع الأرض جسم واحد فبتقدير أن يميل بكلّيته ويضطرب على وجه البحر المحيط لم تظهر تلك الحالة للناس. فإن قيل: أليس أنّ الأرض تحرّكها البخارات المحتقنة في داخلها عند الزلازل وتظهر تلك الحركات للناس؟ قلنا البخارات احتقنت في داخل قطعة صغيرة من الأرض، فلمّا حصلت الحركة في تلك القطعة ظهرت تلك الحركة، فإنّ ظهور الحركة في تلك القطعة المعيّنة يجري مجرى اختلاج عضو من بدن الإنسان، أمّا لو تحرّكت كلّية الأرض لم تظهر، ألا ترى أنّ الساكن في سفينة لا يحسّ بحركة كلّية السفينة وإن كانت على أسرع الوجوه وأقواها (انتهى كلامه)[1].

ويمكن أن يجاب عنها: أمّا عن الإشكال الأوّل فبأن يختار أنّها طالبة بطبعها للمركز، لكن إذا كانت خفيفةً كان الماء يحرّكها بأمواجه حركةً قسريّة ويزيلها عن مكانها الطبيعيّ بسهولة، فكانت تميد وتضطرب بأهلها وتغوص قطعة منها وتخرج قطعة منها، ولمّا أرساها الله تعالى بالجبال وأثقلها قاومت الماء وأمواجه بثقلها فكانت كالأوتاد مثبتةً لها. ومنه يظهر

---

(١) تفسير فخر الرازي، ج ٢٠ ص ٨.

الجواب عن الإشكال الثاني، على أنّ توقّف إرساء الأرض بالجبال على سكون الماء في حيّز معيّن ممنوع. وأمّا عن الإشكال الثالث فبأن يقال: ليس الامتنان بمجرّد عدم ظهور حركة الأرض حتّى يقال: إنّه على تقدير حركتها بكلّيتها لا يظهر للناس بل بخروج البقاع من الماء وعدم غرقها بحركة الأرض وميدانها بأهلها، على أنّ الظاهر أنّ الحركة الّتي لا تحسّ إنّما هي إذا كانت في جهة مخصوصة وعلى وضع واحد كحركة وضعيّة مستمرّة أو حركة أينيّة على جهة واحدة كحركة السفينة إذا كانت سائرة من غير اضطراب، وأمّا إذا تحرّكت في جهات مختلفة واضطربت فيحسّ بها كحركة السفينة عند تلاطم البحر واضطرابه، وهذا هو الفرق بين حالة الزلزلة وبين حركة الأرض في الظهور وعدمه، فإنّا لو فرضنا قطعةً منها سائرة غير مضطربة في سيرها لما أحسّ بها كما لا يحسّ بحركة كلّها بل باضطراب الحركة وكونها في جهات مختلفة تحسّ الحركة، سواء كان محلّها كلّ الأرض أو بعضها.

الوجه الثاني: ما ذكره الفاضل المقدّم ذكره أيضاً في تفسيره واختاره حيث قال: والّذي عندي في هذا الموضع المشكل أن يقال: إنّه ثبت بالدلائل اليقينيّة أنّ الأرض كرة وأنّ هذه الجبال على سطح هذه الكرة جارية مجرى خشونات وتضريسات تحصل على وجه هذه الكرة. إذا ثبت هذا فنقول: إذا فرضنا أنّ هذه الخشونات ما كانت حاصلة بل كانت الأرض كرة حقيقيّةً خاليةً عن هذه الخشونات والتضريسات لصارت بحيث تتحرّك بالاستدارة عقلاً، إلاّ أنّه بأدنى سبب تتحرّك على هذا الوجه، أمّا إذا حصل على سطح كرة الأرض هذه الجبال وكانت كالخشونات الواقعة على وجه الكرة، فكلّ واحد من هذه الجبال إنّما يتوجّه بطبعه إلى مركز العالم، وتوجّه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم وقوّته الشديدة يكون جارياً مجرى الوتد الّذي يمنع كرة الأرض من الاستدارة، فكان تخليق هذه الجبال على الأرض كالأوتاد المغروزة في الكرة المانعة لها عن الحركة المستديرة، وكانت مانعةً للأرض عن الميد والميل والاضطراب بمعنى أنّها منعت الأرض عن الحركة المستديرة، فهذا ما وصل إليه خاطري في هذا الباب والله أعلم (انتهى)[١].

واعترض عليه بأنّ كلامه لا يخلو عن تشويش واضطراب، والّذي يظهر من أوائل كلامه هو أنّه جعل المناط في استقرار الأرض الخشونات والتضريسات من حيث إنّها خشونات وتضريسات، وذلك إمّا لممانعة الأجزاء المائيّة الملاصقة لتلك التضريسات لاستلزام حركة الأرض زوالها عن مواضعها، وحينئذ يكون علّة السكون هي الجبال الموجودة في الماء لا ما خلقت في الربع المكشوف من الأرض، ولعلّه خلاف الظاهر في معرض الامتنان بخلق الجبال وهو خلاف الظاهر من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا﴾ والقول بأنّ ما في الماء أيضاً فوقها فلعلّ المراد تلك الجبال لا يخلو عن بعد مع أنّها ربما كانت معاونة لحركة

(١) تفسير فخر الرازي، ج ٢٠ ح ٩.

الأرض، كما إذا تحرّكت كرة الماء بتموّجها بأجمعها أو تموّج أبعاضها المقاربة لتلك الخشونات، وإنّما يمانعها عن الحركة أحياناً عند حركة أبعاضها، وإمّا لممانعة الأجزاء الهوائيّة المقارنة للجبال الكائنة على الربع الظاهر فكانت الأوتاد مثبتةً لها في الهواء مانعة عن تحريك الماء بتموّجه إيّاها كما يمانع الجبال المخلوقة في الماء عن تحريك الرياح إيّاها، وحينئذ يكون وجود الجبال في كلّ منهما معاوناً لحركة الأرض في بعض الصور معاوقاً عنها في بعضها، ولا مدخل حينئذ لثقل الجبال وتركّبها في سكون الأرض واستقرارها، والّذي يظهر من قوله «لأنّ الجرم البسيط» - الخ - أنّ البساطة توجب حركة الأرض، إمّا بانفرادها أو بمشاركة عدم الخشونة ولعلّه استند في ذلك إلى أنّ البسيط تتساوى نسبة أجزائه إلى أجزاء المكان وإنّما الطبيعة تقتضي انطباق مركز الثقل من الأرض على مركز العالم على أيّ وضع كان، والماء لا يقوى على إخراج الكرة عن مكانها نعم يحرّكها بالحركة المستديرة، بخلاف المركّب فإنّه ربما كان بعض أجزائه مقتضياً لوضع خاصّ كمحاذاة أحد القطبين مثلاً حتّى تكون الفائدة تحصل بتركّب بعض أجزاء الأرض وإن لم يكن هناك جبل وارتفاع، فلا يكون الامتنان بخلق الجبل من حيث أنّه جبل، بل من حيث أنّه مركّب، إلا على تقدير كون المراد أنّ المقتضي للسكون هو الحالة المركّبة من التركّب والتضريس، والظاهر من وصف الجبال الشامخات في الآية مدخليّة ارتفاعها في هذا المعنى، إلاّ أن يكون الوصف لترتّب فوائد أُخر عليها، وحينئذ لا مدخل لثقل الجبال في سكون الأرض كما يظهر من قوله أخيراً، فكلّ واحد من هذه الجبال إنّما يتوجه بطبعه إلى مركز العالم، وتوجّه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقلة العظيم وقوّته الشديدة يكون جارياً مجرى الوتد الّذي يمنع كرة الأرض من الاستدارة، ومع ذلك لا ينفع في نفي الحركة المشرقيّة والمغربيّة بل يؤيّدها، ويمكن أن يكون مراده أنّ العلّة هي المجموع من الأمور الثلاثة، ولعلّه جعل الطبيعة الأرضيّة كافيةً في استقرارها في مكانها، وإنّما احتاج إلى المانع عن حركتها بالاستدارة حركة وضعيّة، ولذا قال أخيراً: وكانت مانعةً للأرض عن الميد والإضطراب، بمعنى أنّها منعت الأرض عن الحركة المستديرة.

الوجه الثالث: ما يخطر بالبال وهو أن يكون مدخليّة الجبال لعدم اضطراب الأرض بسبب اشتباكها واتّصال بعضها ببعض في أعماق الأرض بحيث تمنعها عن تفتّت أجزائها وتفرّقها، فهي بمنزلة الأوتاد المغروزة المثبتة في الأبواب المركبة من قطع الخشب الكثيرة بحيث تصير سبباً لالتصاق بعضها ببعض وعدم تفرّقها، وهذا معلوم ظاهر لمن حفر الآبار في الأرض فإنّها تنتهي عند المبالغة في حفرها إلى الأحجار الصلبة، وأنت ترى أكثر قطع الأرض واقعةً بين جبال محيطة بها، فكأنّها مع ما يتّصل بها من القطعة الحجريّة المتّصلة بها من تحت تلك القطعات كالظرف لها تمنعها عن التفتّت والتفرّق والاضطراب عند عروض الأسباب الداعية إلى ذلك.

الوجه الرابع: ما ذكره بعض المتعسّفين من أنّه لمّا كانت فائدة الوتد أن يحفظ الموتود في

بعض المواضع عن الحركة والاضطراب حتّى يكون قارّاً ساكناً، وكان من لوازم ذلك السكون في بعض الأشياء صحّة الاستقرار على ذلك والتصرّف عليه، وكان من فائدة وجود الجبال والتضريسات الموجودة في وجه الأرض أن لا تكون مغمورة بالماء ليحصل للحيوان الاستقرار والتصرّف عليها، لا جرم كان بين الأوتاد والجبال الخارجة من الماء في الأرض اشتراك في كونهما مستلزمين لصحّة استقراره مانعين من عدمه، لا جرم حسنت نسبة الإيتاد إلى الصخور والجبال. وأمّا إشعاره بالميدان فلأنّ الحيوان كما يكون صادقاً عليه أنّه غير مستقرّ على الأرض بسبب انغمارها في الماء لو لم يوجد الجبال كذلك يصدق على الأرض أنّها غير مستقرّة تحته ومضطربة بالنسبة إليه، فثبت حينئذ أنّه لولا وجود الجبال في سطح الأرض لكانت مضطربة ومائدة بالنسبة إلى الحيوان، لعدم تمكّنه من الاستقرار عليها.

الوجه الخامس: أن يكون المراد بالجبال الرواسي الأنبياء والأولياء والعلماء، وبالأرض الدنيا. أمّا وجه التجوّز بالجبال عن الأنبياء والعلماء فلأنّ الجبال لمّا كانت على غاية من الثبات والاستقرار مانعة لما يكون تحتها من الحركة والاضطراب عاصمة لما يلتجئ إليها من الحيوان عمّا يوجب له الهرب فيسكن بذلك اضطرابه وقلقله أشبهت الأوتاد من بعض هذه الجهات. ثمّ لمّا كانت الأنبياء والعلماء هم السبب في انتظام أمور الدنيا وعدم اضطراب أحوال أهلها كانوا كالأوتاد للأرض، فلا جرم صحّت استعارة لفظ الجبال لهم، ولذلك صحّ في العرف أن يقال: فلان جبل منيع يأوي إليه كلّ ملهوف إذا كان يرجع إليه في المهمّات والحوائج، والعلماء أوتاد الله في الأرض.

الوجه السادس: أن يكون المقصود من جعل الجبال كالأوتاد في الأرض أن يهتدى بها إلى طرقها والمقاصد فيها، فلا تميد جهاتها المشتبهة بأهلها ولا تميل بهم فيتيهون فيها عن طرقهم ومقاصدهم. وهذه الوجوه الثلاثة ذكرها بعض المتعسّفين، وهذا دأبه في أكثر الآيات والأخبار حيث يؤوّلها بلا ضرورة داعية وعلّة مانعة عن القول بظاهرها، وهل هذا إلاّ اجتراء على مالك يوم الدين، وافتراء على حجج ربّ العالمين؟!.

الوجه السابع: أن يقال: المراد بالأرض قطعاتها وبقاعها لا مجموع كرة الأرض ويكون الجبال أوتاداً لها أنّها حافظة لها عن الميدان والاضطراب بالزلزلة ونحوها إمّا لحركة البخارات المحتقنة في داخلها بإذن الله تعالى، أو لغير ذلك من الأسباب الّتي يعلمها مبدعها ومنشئها. وهذا وجه قريب ويؤيّده ما سيأتي في باب الزلزلة من حديث ذي القرنين.

أقول: وأمّا حديث ذي القرنين والسدّ وغيره من أحواله فقد مضى في المجلّد الخامس في باب أحواله، ولنذكر هنا بعض ما مضى برواية أخرى:

قال الثعلبيّ في العرائس: روى وهب بن منبّه وغيره من أهل الكتب قالوا: كان ذو القرنين رجلاً من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه «اسكندروس» ويقال:

كان اسمه «عيّاش» وكان عبداً صالحاً، فلمّا استحكم ملكه واستجمع أمره أوحى الله إليه: يا ذا القرنين! إنّي بعثتك إلى جميع الخلق ما بين الخافقين وجعلتك حجّتي عليهم، وهذا تأويل رؤياك وإنّي باعثك إلى أمم الأرض كلّهم وهم سبع أمم مختلفة ألسنتهم، منهم أمّتان بينهما عرض الأرض، وأمّتان بينهما طول الأرض، وثلاث أمم في وسط الأرض، وهم الجنّ والإنس ويأجوج ومأجوج. فأمّا الأمّتان اللّتان بينهما طول الأرض فأمّة عند المغرب يقال لها «ناسك» وأمّة أخرى بحيالها عند مطلع الشمس يقال لها «هاويل» وأمّة في قطر الأرض الأيسر يقال لها «قاويل» فلمّا قال الله سبحانه ذلك قال ذو القرنين: إلهي إنّك قد ندبتني إلى أمر عظيم لا يقدر قدره إلاّ أنت فأخبرني عن الأمم الّتي بعثتني إليها بأيّ قوّة أكاثرهم؟ أو بأيّ جمع وحيلة أكابرهم؟ وبأيّ صبر أقاسيهم؟ وبأي لسان أناطقهم؟ وبأيّ حجّة أخاصمهم؟ وبأيّ عقل أعقل منهم؟ وبأيّ بصر أنفذهم؟ وبأيّ حجّة أخاصمهم؟ وبأيّ عقل أعقل عنهم؟ وبأيّ قلب وحكمة أدبّر أمورهم؟ وبأيّ قسط أعدل بينهم؟ وبأيّ حلم أصابرهم؟ وبأيّ معرفة أفصل بينهم؟ وبأيّ علم أتقن أمورهم؟ وبأيّ يد أستطيل عليهم؟ وبأيّ رجل أطأهم؟ وبأيّ طاقة أحصيهم؟ وبأيّ جند أقاتلهم؟ وبأي رفق أتألّفهم؟ وليس عندي يا إلهي شيء ممّا ذكرت يقوم لهم ويقوى عليهم وأنت الرؤوف الرحيم الّذي لا تكلّف نفساً إلاّ وسعها ولا تكلّفها إلاّ طاقتها. فقال الله عزّوجلّ: إنّي سأطوّقك ما حمّلتك: أشرح لك سمعك فتسمع كلّ شيء وتعي كلّ شيء وأشرح لك فهمك فتفقه كلّ شيء، وأبسط لك لسانك فتنطق بكلّ شيء، وأفتح لك بصرك فتنفذ كلّ شيء، وأحصي لك فلا يفوتك شيء، وأشدّ لك عضدك فلا يهولك شيء وأشدّ لك ركنك فلا يغلبك شيء، وأشدّ لك قلبك فلا يفزعك شيء، وأشدّ لك يدك فتسطو فوق كلّ شيء وأشدُّ لك وطأتك فتهدُّ على كلّ شيء، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء، وأسخّر الظلمة من ورائك. فلمّا قيل له ذلك حدّث نفسه بالمسير وألحّ عليه قومه بالمقام فلم يفعل وقال: لا بدّ من طاعة الله تعالى.

ثمّ أمرهم أن يبنوا له مسجداً وأن يجعلوا طول المسجد أربعمائة ذراع، وأمرهم أن لا ينصبوا فيه السواري. قالوا كيف نصنع؟ قال: إذا فرغتم من بنيان الحائط فاكبسوها بالتراب حتّى يستوي الكبس مع حيطان المسجد، فإذا فرغتم فرضتم من الذهب على الموسر قدره وعلى المقتر قدره، ثمّ قطعتموه مثل قلامة الظفر، ثمّ خلطتموه بذلك الكبس وجعلتم خشباً من نحاس، ووتداً من نحاس، وصفائح من نحاس تذيبون ذلك وأنتم تمكنون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية. وجعلتم طول كلّ خشبة مأتي ذراع وأربعة وعشرين ذراعاً: مأتا ذراع في ما بين الحائطين لكلّ حائط اثنا عشر ذراعاً ثمّ تدعون المساكين لنقل التراب فيتسارعون إليه لأجل ما فيه من الذهب والفضّة فمن حمل شيئاً فهو له. ففعلوا ذلك، فأخرج المساكين التراب واستقرّ السقف بما عليه واستغنى المساكين، فجنّدهم أربعين ألفاً،

وجعلهم أربعة أجناد في كلّ جند عشرة آلاف ثمّ عرضهم فوجدهم في ما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف رجل منهم من جنده ثمانمائة ألف ومن جند دارا ستّمائة ألف ومن المساكين أربعين ألفاً.

ثمّ انطلق يؤمّ الأمّة الّتي عند مغرب الشمس، فذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [1] أي ذات حمأة. ومن قرأ (حامية) بالألف من غير همز فمعناها: حارّة فلمّا بلغ مغرب الشمس وجد جمعاً وعدداً لا يحصيهم إلاّ الله تعالى وقوّة وبأساً لا يطيقه إلاّ الله عزّوجلّ، ورأى ألسنة مختلفة وأهواء متشتّتة وذلك قول الله تعالى ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ يعني ناساً كثيرة يقال لها (ناسك) فلمّا رأى ذلك كاثرهم بالظلمة، فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها فأحاط بهم من كلّ مكان حتّى جمعهم في مكان واحد، ثمّ أخذ عليهم بالنور فدعاهم إلى الله عزّوجلّ وعبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه فعمد إلى الّذين تولّوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأحداقهم وأجوافهم ودخلت في بيوتهم ودورهم وغشيهم من فوقهم ومن كلّ جانب منهم فهاجوا فيه وتحيّروا فلمّا أشفقوا أن يهلكوا فيها عجّوا إليه بصوت واحد فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوته فجنّد من أهل المغرب أمماً عظيمة فجعلهم جنداً واحداً ثمّ انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم من خلفهم والنور أمامهم يقوده ويدلّه وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى وهو يريد الأمّة الّتي في قطر الأرض الأيمن الّتي يقال لها هاويل وسخّر الله له قلبه ويده ورأيه وعقله ونظره، فلا يخطىء إذا عمل عملاً، فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه، فإذا هي أتت إلى بحر أو مخاضة بنى سفناً من ألواح صغار، أمثال البغال، فنظمها في ساعة ثمّ حمل فيها جميع من معه من تلك الأمم وتلك الجنود فإذا هي قطع الأنهار والبحار فتقها. ثمّ دفع إلى كلّ رجل منهم لوحاً فلم يكرثه حمله فلم يزل ذلك دأبه حتّى انتهى إلى «هاويل» فعمل فيها كفعله في «ناسك» فلمّا فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى حتّى انتهى إلى «منسك» عند مطلع الشمس فعمل فيها وجنّد جنوداً كفعله في الأمّتين قبلهما، ثمّ كرّ مقبلاً حتّى أخذ ناحية [الأرض] اليسرى وهو يريد «قاويل» وهي الأمّة الّتي بحيال «هاويل» وهما متقابلتان بينهما عرض الأرض كلّه، فلمّا بلغها عمل فيها وجنّد فيها كفعله في ما قبلها، فذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ يعني: مسكناً.

قال قتادة: لم يكن بينهم وبين الشمس ستر، وذلك أنّهم كانوا في مكان لا يستقرّ عليه بناء، وكانوا يكونون في أسراب لهم، حتّى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معايشهم وحروثهم. وقال الحسن: كانت أرضهم أرضاً لا تحتمل البناء فكانوا إذا طلعت عليهم الشمس هووا في الماء، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا فتراعوا كما تتراعى البهائم. وقال ابن جريج: وجاءهم جيش مرّة وقال لهم أهلها لا يطلع عليكم الشمس وأنتم بها! فقالوا: ما

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٦.

تطلع الشمس فنراها، فماتوا. وقيل: فذهبوا بها هاربين في الأرض. هم أمّة يقال لها منسك حفاة عماة عن الحقّ. قال: وحدّثنا عمرو بن مالك بن أميّة قال: وجدت رجلاً بسمرقند يحدّث الناس وهم يجتمعون حوله، فسألت بعض من سمع فأخبرني أنّه حدّثهم عن القوم الّذين تطلع عليهم الشمس. قال: قال: خرجت حتّى إذا جاوزت الصين، ثمّ سألت عنهم، فقيل: إنّ بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة، فاستأجرت رجلاً فسرت بقيّة عشيّتي وليلتي حتّى صبّحتهم، فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى وكان صاحبي يُحسن لسانهم فسألهم، وقال: جئنا ننظر كيف تطلع الشمس، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي عليّ فأفقت وهم يمسحونني بالدهن، فلمّا طلعت الشمس على الماء فإذا هو يغلي كهيئة الزيت، وإذا طرف السماء كهيئة الفسطاط. فلمّا ارتفعت أدخلوني في سرب لهم أنا وصاحبي. فلمّا ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه بالشمس فينضج.

ثمّ قال الثعلبيّ: قالت العلماء بأخبار القدماء: لمّا فرغ ذو القرنين من أمر الأمم الّذين هم بأطراف الأرض وطاف الشرق والغرب عطف منها إلى الأمم الّتي في وسط الأرض من الجنّ والإنس ويأجوج ومأجوج. فلمّا كان في بعض الطريق ممّا يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمّة صالحة من الإنس: يا ذا القرنين إنّ بين هذين الجبلين خلقاً من خلق الله تعالى ليس فيهم مشابه الإنس وهم مشابه البهائم، يأكلون العشب ويفترسون الدوابّ والوحش كما تفترسها السباع، ويأكلون حشرات الأرض كلّها من الحيّات والعقارب وكلّ ذي روح ممّا خلق الله تعالى في الأرض، وليس لله تعالى خلق ينمو نماءهم. ولا يزداد كزيادتهم! فإن أتت مدّة على ما يرى من نمائهم وزيادتهم فلا شكّ أنّهم سيملؤون الأرض ويجلون أهلها منها ويظهرون عليها ويفسدون فيها، وليست تمرُّ بنا سنة مذ جاوزناهم إلاّ ونحن نتوقّعهم أن يطلع علينا أوّلهم من بين هذين الجبلين ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أي جعلاً وأجراً ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ حاجزاً فلا يصلون إلينا؟ فقال لهم ذو القرنين ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي ما قوّاني عليه خير من خرجكم ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ أي حاجزاً كالحائط. قالوا: وما تلك القوّة؟ قال: فعلة وصنّاع يحسنون البناء والعمل وآلة. قالوا: وما تلك الآلة؟ قال ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ يعني قطعاً - واحدتها زبرة - وآتوني بالنحاس. فقالوا: ومن أين لنا الحديد والنحاس ما يسع هذا العمل؟ قال: سأريكم على معادن الحديد والنحاس، فضرب لهم في جبلين حتّى فلقهما ثمّ استخرج منهما معدنين من الحديد والنحاس. قالوا: بأيّ قوّة نقطع الحديد والنحاس؟ فاستخرج لهم معدناً آخر من تحت الأرض يقال له «السامور» وهو أشدّ ما خلق الله تعالى بياضاً، وهو الّذي قطع به سليمان أساطين بيت المقدس وصخوره وجواهره، ثمّ قاس ما بين الجبلين ثمّ أوقد على جمع من الحديد والنحاس النار، فصنع منه زبراً أمثال الصخور العظام، ثمّ أذاب النحاس فجعله كالطين والملاط لتلك الصخور من الحديد ثمّ

بنى. وكيفيّة بنائه على ما ذكر أهل السير هو أنّه لمّا قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ، فلمّا أنشأ في عمله حفر له الأساس حتّى بلغ الماء، ثمّ جعل عرضه خمسين فرسخاً، ثمّ وضع الحطب بين الجبلين ثمّ نسج عليه الحديد ثمّ نسج الحطب على الحديد، فلم يزل يجعل الحديد على الحطب والحطب على الحديد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ وهما الجبلان، ثمّ أمر بالنار فأُرسلت فيه ثمّ ﴿قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ ثمّ جعل يفرغ القطر عليه وهو النحاس المذاب فجعلت النار تأكل الحطب فيصير النحاس مكان الحطب حتّى لزم الحديد النحاس، فصار كأنّه برد حبرة من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد وغبرته، فصار سدّاً طويلاً عظيماً حصيناً كما قال تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾. وقال قتادة: ذكر لنا أنّ رجلاً قال: يا نبيّ الله قد رأيت سدّ يأجوج ومأجوج قال: انعته لي. قال كالبرد الحبرة طريقة سوداء وطريقة حمراء. قال: قد رأيته. ويقال: إنّ موضع السدّ وراء «ملاذ جرد» بقرب مشرق الصيف بينه وبين الخزر مسيرة اثنين وسبعين يوماً[١].

وروي عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: كان ذو القرنين قد ملك ما بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة اسمه «رفائيل» يأتيه ويزوره، فبينما هما ذات يوم يتحدّثان إذ قال ذو القرنين: يا رفائيل! حدّثني عن عبادتكم في السماء فبكى وقال: يا ذا القرنين! وما عبادتكم عند عبادتنا؟! إنّ في السماء من الملائكة من هو قائم أبداً لا يجلس، ومنهم الساجد لا يرفع رأسه أبداً، ومنهم الراكع لا يستوي قائماً أبداً، يقول: سبحان الملك القدّوس ربّ الملائكة والروح، ربّنا ما عبدناك حقّ عبادتك. فبكى ذو القرنين بكاءً شديداً ثمّ قال: إنّي لأحبّ أن أعيش فأبلغ من عبادة ربّي حقّ طاعته! فقال رفائيل: أو تحبّ ذلك يا ذا القرنين؟ قال: نعم، فقال رفائيل: فإنّ لله تعالى عيناً في الأرض تسمّى «عين الحياة» فيها من الله عزّ وجلّ عزيمة أنّه من شرب منها لم يمت أبداً حتّى يكون هو الّذي يسأل ربّه الموت! فقال ذو القرنين هل تعلمون أنتم موضع تلك العين؟ فقال: لا، غير أنّا نتحدّث في السماء أنّ لله تعالى في الأرض ظلمة لا يطأها إنس ولا جانّ، فنحن نظنّ أنّ تلك العين في تلك الظلمة. فجمع ذو القرنين علماء أهل الأرض وأهل دراسة الكتب وآثار النبوّة فقال لهم: أخبروني هل وجدتم في ما قرأتم من كتب الله تعالى وما جاءكم من أحاديث الأنبياء ومن كان قبلكم من العلماء أنّ الله تعالى وضع في الأرض عيناً سمّاها «عين الحياة»؟ فقالت العلماء: لا، فقال عالم من العلماء - واسمه فتحيز - إنّي قرأت وصيّة آدم فوجدت فيها أنّ الله خلق في الأرض ظلمة لم يطأها إنس ولا جانّ ووضع فيها عين الخلد. فقال ذو القرنين: صدقت. ثمّ حشد إليه الفقهاء والأشراف والملوك وسار يطلب مطلع الشمس، فسار اثني عشرة سنة إلى أن بلغ طرف الظلمة، فإذا ظلمة تفور مثل الدخان ليست بظلمة ليل، فعسكر هناك ثمّ جمع علماء

---

(١) عرائس المجالس، ص ٣٢٤-٣٢٨.

عسكره فقال: إنّي أريد أن أسلك هذه الظلمة! فقال العلماء: أيّها الملك إنّه من كان قبلك من الأنبياء والملوك لم يطلبوا هذه الظلمة فلا تطلبها، فإنّا نخاف أن ينفتق عليك أمر تكرهه ويكون فيه فساد أهل الأرض. فقال: لا بدّ من أن أسلكها. فقالوا: أيّها الملك كفّ عن هذه الظلمة ولا تطلبها، فإنّا لو نعلم أنّك إن طلبتها ظفرت بما تريد ولم يسخط الله علينا لاتّبعناك، ولكنّا نخاف العنت من الله تعالى وفساداً في الأرض ومن عليها. فقال ذو القرنين: لا بدّ من أن أسلكها. فقالت العلماء: شأنك بها. فقال ذو القرنين: أيّ الدوابّ أبصر؟ قالوا: الخيل. قال: فأيّ الخيل أبصر؟ قالوا: الإناث. قال: فأيّ الإناث أبصر؟ قالوا: البكارة. فأرسل ذو القرنين فجمع له ستّة آلاف فرس أنثى بكارة ثمّ انتخب من عسكره أهل الجلد والعقل ستّة آلاف رجل، فدفع إليهم كلّ رجل فرساً، وعقد للخضر على مقدّمته على ألفين وبقي ذو القرنين في أربعة آلاف. وقال ذو القرنين للناس: لا تبرحوا من معسكركم هذا اثني عشرة سنة، فإن نحن رجعنا إليكم وإلاّ فارجعوا إلى بلادكم. فقال الخضر: أيّها الملك، إنّا نسلك ظلمة ولا ندري كم السير فيها ولا يبصر بعضنا بعضاً، فكيف نصنع بالضلال إذا أصابنا؟ فدفع ذو القرنين إلى الخضر خرزة حمراء فقال: حيث يصيبكم الضلال فاطرح هذه في الأرض فإذا صاحت فليرجع أهل الضلال إليها أين صاحت. فصار الخضر بين يدي ذي القرنين يرتحل الخضر وينزل ذو القرنين، فبينما الخضر يسير إذ عرض له وادٍ فظنّ أنّ العين في الوادي وأُلقي في قلبه ذلك، فقام على شفير الوادي وقال لأصحابه: قفوا ولا يبرحنّ رجل من موقفه! فرمى بالخرزة فمكث طويلاً ثمّ أجابته الخرزة فطلب صوتها فانتهى إليها، فإذا هي على جانب العين، فنزع الخضر ثيابه ثمّ دخل العين فإذا ماء أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من الشهد فشرب واغتسل وتوضّأ ولبس ثيابه، ثمّ رمى بالخرزة نحو أصحابه فوقفت الخرزة فصاحت، فرجع الخضر إلى صوتها وإلى أصحابه، فركب وقال لأصحابه: سيروا باسم الله.

ومرّ ذو القرنين فأخطأ الوادي فسلكوا تلك الظلمة أربعين يوماً وليلة، ثمّ خرجوا إلى ضوء ليس بضوء شمس ولا قمر ولا أرض حمراء ورملة خشخاشة - أي مصوّتة - فإذا هو بقصر مبنيّ في تلك الأرض طوله فرسخ في فرسخ عليه باب، فنزل ذو القرنين بعسكره ثمّ خرج وحده حتّى دخل القصر، فإذا حديدة قد وضعت طرفاها على جانب القصر من ههنا وههنا وإذا بطائر أسود شبيه بالخطاف مزموم بأنفه إلى الحديدة معلّق بين السماء والأرض فلمّا سمع الطائر خشخشة ذي القرنين قال: من هذا؟ قال: أنا ذو القرنين. فقال الطائر: يا ذا القرنين أما كفاك ما وراك حتّى وصلت إليّ؟! ثمّ قال الطائر: يا ذا القرنين حدّثني فقال ذو القرنين: سل، فقال: هل كثر بناء الآجر والجصّ في الأرض؟ قال: نعم فانتفض الطائر انتفاضة ثمّ انتفخ فبلغ ثلث الحديدة، ثمّ قال: يا ذا القرنين هل كثرت المعازف؟ قال: نعم، فانتفض الطير وامتلأ حتّى ملأ من الحديدة ثلثيها، ثمّ قال: هل كثرت شهادات الزور في الأرض؟ قال: نعم، فانتفض الطائر انتفاضة فملأ الحديدة وسدّ ما بين جداري القصر، فخشي وخاف

ذو القرنين وفرق فرقاً شديداً، فقال الطائر: يا ذا القرنين لا تخف! حدّثني. قال: سل. قال هل يترك الناس شهادة أن لا إله إلاّ الله قال: لا، قال: فانضمّ الطائر ثلثاً، ثمّ قال: يا ذا القرنين هل ترك الناس الصلاة المفروضة [بعد]؟ قال: لا، قال: فانضمّ الطائر ثلثاً، ثمّ قال: ياذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد؟ قال: لا، قال فصار الطائر كما كان. ثمّ قال: اسلك يا ذا القرنين هذه الدرجة درجة إلى أعلى القصر، فسلكها ذو القرنين وهو خائف وجل لا يدري علىمَ يهجم، حتى استوى على صدر الدرج، فإذا سطح ممدود عليه صورة رجل شابّ قائم عليه ثياب بيض، رافعاً وجهه إلى السماء واضعاً يديه على فيه، فلمّا سمع خشخشة ذي القرنين قال: ما هذا؟ قال: أنا ذو القرنين. قال: يا ذا القرنين إنّ الساعة قد اقتربت، وأنا أنتظر أمر ربّي يأمرني أن أنفخ فأنفخ. ثمّ أخذ صاحب الصور شيئاً من بين يديه كأنّه حجر فقال: خذها يا ذا القرنين! فإن شبع هذا شبعت وإن جاع هذا جعت. فأخذ ذو القرنين الحجر ونزل إلى أصحابه، فحدّثهم بأمر الطائر وما قال له وما ردّ عليه وما قال صاحب الصور. ثمّ جمع علماء عسكره فقال: أخبروني عن هذا الحجر ما أمره؟ فقالوا: أيّها الملك أخبرنا بما قال لك فيه صاحب الصور. فقال ذو القرنين: إنّه قال لي: إن شبع هذا شبعت وإن جاع جعت. فوضعت العلماء ذلك الحجر في إحدى كفّتي الميزان وأخذوا حجراً مثله فوضعوه في الكفّة الأُخرى ثمّ رفعوا الميزان فإذا الّذي جاء به ذو القرنين يميل، فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فإذا هو يميل بهنّ فلم يزالوا يضعون حتّى وضعوا ألف حجر فرفعوا الميزان فمال بالألف جميعاً! فقالت العلماء: انقطع علمنا دون هذا لا ندري أسحر هذا أم علم ما لا نعلمه! فقال الخضر وكان قد وافاه: نعم، أنا أعلمه. فأخذ الخضر الميزان بيده، ثمّ أخذ الحجر الّذي جاء به ذو القرنين فوضعه في إحدى الكفّتين فأخذ حجراً من تلك الحجارة فوضعه في الكفّة الأُخرى ثمّ أخذ كفّاً من تراب فوضعه على الحجر الّذي جاء به ذو القرنين، ثمّ رفع الميزان فاستوى! فخرّت العلماء سجّداً لله تعالى وقالوا: سبحان الله! هذا علم لا يبلغه علمنا، والله لقد وضعنا ألفاً فما استقلّ به. فقال الخضر: أيّها الملك، إنّ سلطان الله عزّوجلّ قاهر لخلقه، وأمره نافذ فيهم، وحكمه جارٍ عليهم، فإنّ الله تعالى ابتلى خلقه بعضهم ببعض: فابتلى العالم بالعالم، والجاهل بالجاهل، والعالم بالجاهل، والجاهل بالعالم، وإنّه ابتلاك بي وابتلاني بك. فقال ذو القرنين: صدقت، فأخبرنا عن هذا المثل. فقال الخضر: هذا مثل ضربه لك صاحب الصور: إنّ الله عزّوجلّ مكّن لك في البلاد وأعطاك منها ما لم يعط أحداً وأوطأك منها ما لم يوطىء أحداً فلم تشبع، فأبت نفسك شرهاً حتّى بلغت من سلطان الله ما لم يطأه إنس ولا جانّ، فهذا مثل ضربه لك صاحب الصور إنّ ابن آدم لا يشبع أبداً دون أن يحثى عليه التراب، ولا ملأ جوفه إلاّ التراب. فبكى ذو القرنين، ثمّ قال: صدقت يا خضر في ضرب هذا المثل، لا جرم لا أطلب أثراً في البلاد بعد مسيري هذا حتّى أموت. ثمّ انصرف راجعاً حتّى إذا كان في وسط الظلمة وطئ الوادي الّذي فيه الزبرجد،

فقال من معه لمّا سمعوا خشخشة تحت أقدامهم وأقدام دوابّهم: ما هذا تحتنا يا أيّها الملك؟ فقال ذو القرنين: خذوا منه فإنّه من أخذ ندم ومن ترك ندم، فمنهم من أخذ الشيء ومنهم من تركه، فلمّا خرجوا من الظلمة إذا هو الزبرجد، فندم الآخذ والتارك.

قال: وكان رسول الله ﷺ يقول: رحم الله أخي ذا القرنين، لو ظفر بوادي الزبرجد في مبتداه ما ترك منها شيئاً حتّى يخرجه إلى الناس لأنّه كان راغباً في الدنيا ولكنّه ظفر به وهو زاهد في الدنيا لا حاجة له فيها. ثمّ رجع إلى العراق وملك ملوك الطوائف ومات في طريقه بشهر روز. وقال عليّ بن أبي طالب - صلوات الله عليه-: ثمّ إنّه رجع إلى «دومة الجندل» وكان منزله فأقام بها حتّى مات - انتهى -[1].

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ فسادهم أنّهم كانوا يخرجون فيقتلونهم ويأكلون لحومهم ودوابّهم. وقيل. كانوا يخرجون أيّام الربيع فلا يدعون شيئاً أخضر إلاّ أكلوه ولا يابس إلاّ احتملوه، عن الكلبيّ: وقيل: أراد أنّهم سيفسدون في المستقبل عند خروجهم. وورد في الخبر عن حذيفة: قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج، فقال: يأجوج أمّة، ومأجوج أمّة كلّ أمّة أربعمائة أمّة لا يموت الرجل منهم حتّى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلٌّ قد حمل السلاح قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الآزر. قلت: يا رسول الله وما الآزر؟ قال: شجر بالشام طويل، ومنهم طوله وعرضه سواء، وهؤلاء الّذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى ولا يمرّون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلاّ أكلوه. من مات منهم أكلوه، مقدّمتهم بالشام وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة (طبريّة) قال وهب ومقاتل: إنّهم من ولد يافث بن نوح أبي الترك. وقال السّديّ: الترك سريّة من يأجوج ومأجوج، خرجت تُغير، فجاء ذو القرنين فضرب السدّ فبقيت خارجته، وقال قتادة: إنّ ذا القرنين بنى السدَّ على إحدى وعشرين قبيلة، وبقيت منهم قبيلة دون السدّ فهم الترك. وقال كعب: هم نادرة من ولد آدم وذلك أنّ آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء والتراب يأجوج ومأجوج فهم متّصلون بنا من جهة الأب دون الأمّ. وهذا بعيد[2].

﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ قال رحمه الله: أي من كلّ نشز من الأرض يسرعون، يعني أنّهم متفرّقون في الأرض فلا ترى أكمة إلاّ وقوم منهم يهبطون منها مسرعين[3]. وقال رحمه الله في ﴿قٓ﴾ قيل: هو اسم الجبل المحيط بالأرض من زمردة خضراء خضرة السماء منها، عن الضحّاك وعكرمة[4]. وقال رحمه الله: في ﴿وَالطُّورِ﴾: أقسم سبحانه بالجبل الّذي كلّم عليه

(١) عرائس المجالس، ص ٣٢٩-٣٣٢.
(٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ٣٨٧.
(٣) مجمع البيان، ج ٧ ص ١١٥.
(٤) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٣٤.

موسى بالأرض المقدّسة، وقيل: هو الجبل أقسم به لما أودع فيه من أنواع نعمه[(١)]. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾: أي أفلا يتفكّرون في خلق الله سبحانه الجبال أوتاداً للأرض ومسكّنة لها، وأنّه لولاها لمادت الأرض بأهلها[(٢)].

١ - **الخصال:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أبي يحيى الواسطيّ، بإسناده رفعه إلى الصادق عليه السلام قال: الدنيا سبعة أقاليم، يأجوج ومأجوج والروم والصين والزنج وقوم موسى وأقاليم بابل[(٣)].

بيان: لعلّ المراد هنا بيان أقاليم الدنيا باعتبار أصناف الناس واختلاف صورهم وألوانهم وطبائعهم، والغرض إمّا حصرهم فيها فأقاليم بابل المراد بها ما يشمل أشباههم من العرب والعجم، والصين يشمل جميع الترك، والزنج يشمل الهنود، أو بيان غرائب الأصناف من الخلق وهو أظهر. والمراد بقوم موسى أهل جابلقا وجابرسا كما مرّ.

٢ - **الخصال:** عن القاسم بن محمّد بن أحمد بن عبدويه السرّاج، عن عليّ بن الحسن بن سعيد البزّاز، عن حميد بن زنجويه، عن عبد الله بن يوسف، عن خالد بن يزيد بن صبيح، عن طلحة بن عمرو الحضرميّ، عن عطا، عن ابن عباس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: من الجبال الّتي تطايرت يوم موسى عليه السلام سبعة أجبل، فلحقت بالحجاز واليمن، منها بالمدينة: أحد، وورِقان؛ وبمكّة: ثور، وثبير وحرى؛ وباليمن: صبر، وحضور[(٤)].

توضيح: قال الفيروزآباديّ: «ورقان» بكسر الراء جبل أسود بين العرج والرويثة بيمين المصعد من المدينة إلى مكّة - حرسهما الله تعالى - وقال: «ثور» جبل بمكّة. وقال: ثبير والأثبرة وثبير الخضراء والنصع والزنج والأعرج والأحدب وغنياء جبال بظاهر مكّة. وقال: حراء - ككتاب وكعلى عن عياض يؤنّث ويمنع -: جبل بمكّة فيه غار تحنث فيه النبيّ صلى الله عليه وآله أي تعبّد واعتزل. وقال: الصبر - ككتف ولا يسكن إلاّ في ضرورة شعر -: جبل مطلّ على تعز. وقال: تعز - كتقل - قاعدة اليمن. وقال: حضور كصبور جبل وبلد باليمن.

٣ - **الخصال:** عن أبيه ومحمّد بن الحسن بن الوليد، عن أحمد بن إدريس ومحمّد بن يحيى العطّار معاً، عن محمّد بن أحمد الأشعريّ، عن محمّد بن الحسين، عن أحمد بن عليّ، عن زيد بن مهران، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن الحسين بن زيد، قال: بلغني أنّ الله عزّ وجلّ خلق الجبل من أربعة أشياء: من البحر الأعظم المحدق بالدنيا، ومن النار، ومن دموع ملك يقال له إبراهيم، ومن بئر طيّبة والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة[(٥)].

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٧١.
(٢) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٣٣٨.
(٣) الخصال، ص ٣٥٧ باب ٧ ح ٤٠.
(٤) الخصال، ص ٣٤٤ باب ٧ ح ١٠.
(٥) الخصال، ص ٢٦٠ باب ٤ ح ١٣٧.

بيان: «خلق الجبل» كذا في بعض النسخ بالجيم والباء الموحّدة، وفي أكثر النسخ بالخاء المعجمة والياء المثنّاة التحتانيّة. وعلى التقديرين لعلّ فيه تجوّزاً واستعارة، مع أنّ الخبر موقوف لم يسند إلى إمام وكأنَّ في «البئر» أيضاً تحريفاً.

٤ - **تفسير علي بن إبراهيم:** ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ قال: ق جبل محيط بالدنيا وراء يأجوج ومأجوج، وهو قسم(١).

٥ - **ومنه:** عن أحمد بن عليّ وأحمد بن إدريس معاً، عن محمّد بن أحمد العلوي عن العمركيّ، عن محمّد بن الجمهور، عن سليمان بن سماعة، عن عبد الله بن القاسم عن يحيى ابن ميسرة الخثعميّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: ﴿عٓسٓقٓ﴾ عداد سني القائم و﴿قٓ﴾ جبل محيط بالدنيا من زمرّد أخضر، فخضرة السماء من ذلك الجبل وعلم عليّ كلّه في ﴿عٓسٓقٓ﴾(٢).

٦ - **العيون والعلل:** في خبر الشاميّ: سأل أمير المؤمنين عليه السلام ممّا خلقت الجبال؟ قال: من الأمواج(٣).

٧ - **البصائر:** عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن عثمان بن عيسى عن سماعة بن مهران، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: إنّ عليّاً عليه السلام ملك ما في الأرض وما تحتها، فعرضت له السحابان: الصعب، والذلول، فاختار الصعب، فكان في الصعب ملك ما تحت الأرض وفي الذلول ملك ما فوق الأرض، واختار الصعب على الذلول فدارت به سبع أرضين فوجد ثلاث خراب وأربع عوامر(٤).

٨ - **ومنه:** عن أحمد بن محمّد، عن ابن سنان، عن أبي خالد وأبي سلام، عن سورة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أما إنّ ذا القرنين قد خيّر بين السحابين فاختار الذلول وذخر لصاحبكم الصعب. قال: قلت: وما الصعب؟ قال: ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة أو برق فصاحبكم يركبه. أما إنّه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب أسباب السموات السبع والأرضين السبع: خمس عوامر، واثنتان خرابان(٥).

بيان: لعلّ الخامسة عمارتها قليلة فعدّت في الخبر السابق من الخراب لذلك.

٩ - البصائر للصفّار ومنتخب البصائر لسعد بن عبد الله، عن سلمة، عن أحمد بن عبد الرحمن، عن محمّد بن سليمان، عن يقطين الجواليقيّ، عن قلقلة عن أبي جعفر عليه السلام قال:

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٩٩ في تفسيره لسورة ق.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٤٠ في تفسيره لسورة الشورى.
(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٦٣ باب ٣٨٥ ح ٤٤.
(٤) - (٥) بصائر الدرجات، ص ٣٧٩ ج ٨ باب ١٥ ح ٢-٣.

إنّ الله خلق جبلاً محيطاً بالدنيا من زبرجد أخضر، وإنّما خضرة السماء من خضرة ذلك الجبل، وخلق خلقاً لم يفترض عليهم شيئاً ممّا افترض على خلقه من صلاة وزكاة، وكلّهم يلعن رجلين من هذه الأمّة وسمّاهما(١).

١٠ - **جامع الأخبار**: سئل النبيّ ﷺ عن القاف وما خلفه، قال: خلفه سبعون أرضاً من ذهب، وسبعون أرضاً من فضّة، وسبعون أرضاً من مسك، خلفه سبعون أرضاً سكّانها الملائكة لا يكون فيها حرّ ولا برد، وطول كلّ أرض مسيرة عشرة آلاف سنة. قيل: وما خلف الملائكة؟ قال: حجاب من ظلمة، قيل: وما خلفه؟ قال: حجاب من ريح، قيل: وما خلفه؟ قال: حجاب من نار، قيل: وما خلفه؟ قال: حيّة محيطة بالدنيا كلّها تسبّح الله إلى يوم القيامة وهي ملك الحيّات كلّها. قيل: وما خلفه؟ قال: حجاب من نور. قيل: وما خلفه؟ قال: علم الله وقضاؤه. وسئل ﷺ عن عرض قاف وطوله واستدارته، فقال: عرضه مسيرة ألف سنة من ياقوت أحمر قضيبه من فضّة بيضاء وزجّه من زمرّدة خضراء، له ثلاث ذوائب من نور: ذؤابة بالمشرق وذؤابة بالمغرب، والأخرى في وسط السماء عليها مكتوب ثلاثة أسطر: الأوّل بسم الله الرحمن الرحيم؛ الثاني الحمد لله ربّ العالمين؛ الثالث لا إله إلاّ الله؛ محمد رسول الله(٢).

١١ - **الدر المنثور**: عن كعب، في قوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ قال: حجاب من ياقوت أخضر محيط بالخلائق، فمنه اخضرّت السماء الّتي يقال لها: السماء الخضراء واخضرّ البحر من السماء فمن ثمّ يقال: البحر الأخضر(٣).

وعن ابن مسعود أيضاً مثله(٤).

بيان: الأخبار المنقولة من الكتابين ضعيفة عاميّة وقد مرّ أشباهها وبعض القول فيها في باب العوالم.

١٢ - **كتاب الأقاليم والبلدان**: قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ - إلى - ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ كتب له من الحسنات بعدد كلّ ورقة ثلج على جبل سيلان. قيل: وما السيلان يا رسول الله؟ قال: جبل بأرمينية وآذربيجان عليه عين من عيون الجنّة وفيه قبر من قبور الأنبياء.

قال أبو حامد الأندلسيّ: على رأس هذا الجبل عين عظيمة مع غاية ارتفاعه، ماؤه أبرد من ماء الثلج كأنّما يشبه بالعسل لشدّة عذوبته، وبجوف هذا الجبل ماء يخرج من عين يصلق البيض لحرارته يقصدها الناس لمصالحهم، وبحضيض هذا الجبل شجر كثير ومراع وشيء من حشيش لا يتناوله إنسان ولا حيوان إلاّ مات لساعته.

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٤١٣ ج ١٠ باب ١٤ ح ٦.

(٢) جامع الأخبار، ص ٣٤٧ فصل ٨٤. (٣) - (٤) الدر المنثور، ج ٥ ص ٣٠٩.

قال القزوينيّ: ولقد رأيت الخيل والدوابّ ترعى في هذا الجبل فإذا قربت من ذلك الحشيش نفرت وولّت منهزمة كالمطرودة، وقال: قال القزوينيّ: في قرية من قرى قزوين جبل حدّثني من صعده أنّ عليه صورة كلّ حيوان من الحيوان على اختلاف أجناسها وصور الآدميّين على أنواع أشكالها عدد لا تحصى وقد مسخوا حجارة وفيه الراعي متكئاً على عصاه، والماشية حوله كلّها حجارة، وامرأة تحلب بقرة وقد تحجّر، والرجل يجامع امرأته وقد تحجّر، وامرأة ترضع ولدها وهلمّ جرّاً هكذا.

١٣ - وقال: حكي أنّه دخل على جعفر الصادق عليه السلام رجل من همدان، فقال له جعفر الصادق عليه السلام: من أين أنت؟ قال: من همدان، فقال له: أتعرف جبلها «راوند» قال له الرجل: جعلت فداك، إنّه «أروند» قال: نعم، إنّ فيه عيناً من عيون الجنّة.

بيان: كان الجبل مسمّى بكلا الاسمين والصحيح من اسمه «راوند» وإنّما صدّقه لأنّه هكذا أعرف عندهم.

وقال: جبل قاف محيط بالأرض كإحاطة بياض العين بسوادها، وما وراء جبل قاف فهو من حكم الآخرة لا من حكم الدنيا. وقال بعض المفسّرين: إنّ الله سبحانه وتعالى من وراء جبل قاف أرضاً بيضاء كالفضّة المجلوّة طولها مسيرة أربعين يوماً للشمس وبها ملائكة شاخصون إلى العرش لا يعرف الملك منهم من إلى جانبه من هيبة الله تعالى ولا يعرفون ما آدم وما إبليس، هكذا إلى يوم القيامة. وقيل: إنّ يوم القيامة تبدّل أرضنا هذه بتلك الأرض والله أعلم.

وقال: السرنديب هو جبل بأعلى الصين في بحر الهند وهو الجبل الّذي أهبط عليه آدم عليه السلام وعليه أثر قدمه غائص في الصخرة طوله سبعون شبراً، وعلى هذا الجبل ضوء كالبرق ولا يتمكّن أحد أن ينظر إليه، ولا بدّ لكلّ يوم فيه من المطر فيغسل قدم آدم عليه السلام. وحوله من أنواع اليواقيت والأحجار النفيسة وأصناف العطر والأدوية ما لا يوصف، فإنّ آدم خطا من هذا الجبل إلى ساحل البحر خطوة واحدة وهو مسيرة يومين.

وقال: حكي عن عبادة بن الصامت قال: أرسلني أبو بكر إلى ملك الروم رسولاً لأدعوه إلى الإسلام، فسرت حتّى دخلت بلاد الروم، فلاح لنا جبل يعرف بأهل الكهف فوصلنا إلى دير فيه وسألنا أهل الدير عنهم، فأوقفونا على سرب في الجبل فوهبنا لهم شيئاً وقلنا نريد أن ننظر إليهم، فدخلوا ودخلنا معهم، وكان عليهم باب من حديد ففتحوه لنا فانتهينا إلى بيت عظيم محفور في الجبل فيه ثلاثة عشر رجلاً مضطجعين على ظهورهم كأنّهم رقود وعلى كلّ واحد منهم جبّة غبراء وكساء أغبر قد غطّوا بها من رؤوسهم إلى أقدامهم، فلم ندر ما ثيابهم من صوف أو وبر إلاّ أنّها كانت أصلب من الديباج فلمسناها فإذا هي تتقعقع من الصفاقة، وعلى أرجلهم الخفاف إلى أنصاف سوقهم مستنعلين بنعال مخصوفة وخفافهم ونعالهم في

جودة الخزّ ولين الجلود ما لم ير مثله. قال: فكشفنا عن وجوههم رجلاً رجلاً فإذا هم في وضاءة الوجوه وصفاء الألوان وحسن التخطيط، وهم كالأحياء بعضهم في نضارة الشباب، وبعضهم قد خطّه الشيب، وبعضهم شعورهم مضفورة، وبعضهم شعورهم مضمومة وعلى زيّ المسلمين، فانتهينا إلى آخرهم فإذا فيهم مضروب على وجهه بسيف كأنما ضرب في يومه! فسألنا عن حالهم وما يعلمون من أمورهم، فذكروا أنّهم يدخلون عليهم في كلّ عام يوماً، ويجتمع أهل تلك الناحية على الباب فيدخل عليهم من ينفض التراب عن وجوههم وأكسيتهم، ويقلّم أظفارهم ويقصّ شواربهم ويتركهم على هيئتهم هذه. قلنا لهم: هل تعرفون من هم وكم مدّة هم ههنا؟ فذكروا أنّهم يجدون في كتبهم أنّهم كانوا أنبياء بعثوا إلى هذه البلاد في زمان واحد قبل المسيح بأربعمائة سنة. وعن ابن عبّاس أنّ أصحاب الكهف سبعة.

١٤ - **نوادر عليّ بن أسباط:** عن إبراهيم بن عليّ المحموديّ، عن أبيه، عن عبد الله بن موسى، عن أبيه، عن جدّه جعفر بن محمّد، عن محمّد بن عليّ عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ونحن في مسجده فقال: من ههنا؟ قلت: أنا يا رسول الله وسلمان الفارسيّ. فقال: يا سلمان ادع لي مولاك عليّاً، فقد جاءتني فيه عزيمة من ربّ العالمين. قال جابر: فذهب سلمان فاستخرج عليّاً من منزله، فلمّا دنا من رسول الله صلى الله عليه وآله خلابه فأطال مناجاته، كلّ ذلك يسرّ إليه رسول الله صلى الله عليه وآله سرّاً خفيّاً عنّا ووجه رسول الله صلى الله عليه وآله يقطر عرقاً كنظم الدرّ يتهلّل حسناً، ثمّ قال له لمّا انصرف من مناجاته: قد سمعت ووعيت فاحفظ يا عليّ. ثمّ قال: يا جابر ادع لي عبد الرحمن بن عوف. قال جابر: فدعوته، فلمّا أتاه قال: يا سلمان اذهب إلى بيت أمّ سلمة فأتني بالبساط الخيبريّ. قال جابر: فما لبثنا أن جاءنا سلمان بالبساط فأمره أن يبسط، ثمّ أمر القوم فجلس كلّ واحد منهم على ركن من أركانه وكانوا ثلاثة، ثمّ خلا رسول الله صلى الله عليه وآله [بسلمان] فأطال مناجاته وأسرّ إليه سرّاً خفيّاً ثمّ أمره أن يجلس على الركن الرابع من البساط. ثمّ قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا عليّ اجلس متوسّطاً وقل ما أمرتك به فإنّك لو قلته على الجبال لسارت، أو قلته على الأرض لتقطّعت من ورائك، ولطويت كلّ من بين يديك، ولو كلّمت به الموتى لأجابوك بإذن الله. فقال له بعض القوم: يا رسول الله هذا لعليّ خاصّة؟ قال: نعم، فاعرفوا ذلك له. قال جابر: فلمّا أخذ كلّ واحد مجلسه اختلج البساط فلم أره إلاّ ما بين السماء والأرض. فلمّا رجع سلمان خبّرني أنهم ساروا ما بين السماء والأرض لا يدرون أشرقاً أم غرباً حتّى انقضّ بهم البساط على كهف عظيم عليه باب من حجر واحد. قال سلمان: فقمت بالّذي أمرني به رسول الله صلى الله عليه وآله. قال جابر: فقلت لسلمان: ما أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: أمرني إذا استقرّ البساط مكانه من الأرض وصرنا عند الكهف أن آمر أبا بكر بالسلام على أهل ذلك الكهف وعلى الجميع، فأمرته، فسلّم عليهم بأعلى صوته فلم يردّوا عليه شيئاً، ثمّ سلّم أخرى

فلم يجب، فشهد أصحابه على ذلك وشهدت عليه. ثمّ أمرت عمر فسلّم عليهم بأعلى صوته فلم يردّوا عليه شيئاً، ثمّ سلّم أخرى فلم يجب، فشهد أصحابه على ذلك وشهدت عليه، ثمّ أمرت عبد الرحمن بن عوف فسلّم عليهم فلم يجب فشهدوا أصحابه على ذلك وشهدت عليه. ثمّ قمت أنا فأسمعت الحجارة والأودية صوتي فلم أجب، فقلت لعليّ: فداك أبي وأمّي، أنت بمنزلة رسول الله ﷺ حتّى نرجع لك ولك السمع والطاعة، وقد أمرني أن آمرك بالسلام على أهل هذا الكهف آخر القوم، وذلك لما يريد الله لك وبك الشرف من شرف الدرجات. فقام عليّ فسلّم بصوت خفيّ فانفتح الباب فسمعنا له صريراً شديداً، ونظرنا إلى داخل الغار يتوقّد ناراً، فملئنا رعباً وولّى القوم فراراً، فقلت لهم: مكانكم! حتّى نسمع ما يقال، وإنّه لا بأس عليكم. فرجعوا، فأعاد عليّ عليه السلام فقال: السلام عليكم أيّها الفتية الّذين آمنوا بربّهم. فقالوا: وعليك السلام يا عليّ ورحمة الله وبركاته وعلى من أرسلك، بآبائنا وأمّهاتنا أنت يا وصيّ محمد خاتم النبيّين وقائد المرسلين ونذير العالمين وبشير المؤمنين، أقرئه منّا السلام ورحمة الله يا إمام المتّقين. قد شهدنا لابن عمّك بالنبوّة ولك بالولاية والإمامة والسلام على محمّد يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً. قال: ثمّ أعاد عليّ عليه السلام فقال: السلام عليكم أيّها الفتية الّذين آمنوا بربهم وزدناهم هدى. فقالوا: عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا مولانا وإمامنا. الحمد لله الّذي أرانا ولايتك وأخذ ميثاقنا بذلك وزادنا إيماناً وتثبيتاً على التقوى، قد سمع من بحضرتك أنّ الولاية لك دونهم وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون. قال سلمان: فلمّا سمعوا ذلك أقبلوا على عليّ عليه السلام وقالوا: شهدنا وسمعنا فاشفع لنا إلى نبيّنا ليرضى عنّا برضاك. ثمّ تكلّم عليّ عليه السلام بما أمره رسول الله ﷺ ما درينا أشرقاً أم غرباً حتّى نزلنا كالطير الّذي يهوي من مكان بعيد وإذا نحن على باب المسجد، فخرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: كيف رأيتم؟ فقال القوم: نشهد كما شهد أهل الكهف ونؤمن كما آمنوا فقال: إن تفعلوا تهتدوا وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين، فإن لم تفعلوا تختلفوا فمن وفى وفى الله له، ومن نكص فعلى عقبيه ينقلب، أفبعد المعرفة والحجّة؟! والّذي نفسي بيده لقد أُمرت أن آمركم ببيعته وطاعته، فبايعوه وأطيعوه، فقد نزل الوحي بذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾(١). قال جابر: فبايعناه، فقال رسول الله ﷺ: إن استقمتم على الطريقة لعليّ في ولايته أُسقيتم ماء غدقاً، وأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أرجلكم، وإن لم تستقيموا اختلفت كلمتكم وشمت بكم عدوّكم، ولتتبعنّ بني إسرائيل شيئاً شيئاً، لو دخلوا حجر ضبّ لتبعتموهم فيه! وطوبى لمن تمسّك بولاية عليّ من بعدي حتّى يموت وبلغني وأنا عنه راض، قال جابر: وكان ذهابهم ومجيئهم من زوال الشمس إلى وقت العصر.

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

١٥ - **الدر المنثور:** عن ابن عباس قال: خلق الله تعالى من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها، ثمّ خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له ﴿قٓ﴾، السماء الدنيا مترفرفة عليه، ثمّ خلق من وراء ذلك الجبل أيضاً مثل تلك الأرض سبع مرّات، ثمّ خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها، ثمّ خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له ﴿قٓ﴾ السماء الثانية مترفرفة عليه. حتّى عدّ سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل قال: وذلك قوله ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾[1].

١٦ - وعن عبد الله بن بريدة قال: ﴿قٓ﴾ جبل من زمرد محيط بالدنيا عليه كنفا السماء[2].

١٧ - وعن مجاهد قال: ﴿قٓ﴾ جبل محيط بالأرض[3].

١٨ - وعن ابن عبّاس قال: خلق الله جبلاً يقال له ﴿قٓ﴾ محيط بالعالم وعروقه إلى الصخرة الّتي عليها الأرض فإذا أراد الله أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل فحرّك العرق الّذي يلي تلك القرية، فيزلزلها ويحرّكها، فمن ثمّ تحرّك القرية دون القرية[4].

١٩ - **العلل والمجالس للصدوق:** عن محمّد بن عليّ ماجيلويه، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن محمّد بن أحمد الأشعريّ، عن عيسى بن محمّد، عن عليّ بن مهزيار عن عبد الله ابن عمر، عن عبد الله بن حمّاد، عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال: إنّ ذا القرنين لمّا انتهى إلى السدّ جاوزه فدخل في الظلمات، فإذا هو بملك قائم على جبل طوله خمسمائة ذراع. فقال له الملك: يا ذا القرنين، أما كان خلفك مسلك؟ فقال له ذو القرنين: من أنت؟ قال: أنا ملك من ملائكة الرحمن موكّل بهذا الجبل، فليس من جبل خلقه الله عزّ وجلّ إلاّ وله عرق إلى هذا الجبل، فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يزلزل مدينة أوحى إليّ فزلزلتها[5].

العياشي: عن جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الزلزلة فقال: أخبرني أبي عن آبائه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ ذا القرنين لمّا انتهى إلى السدّ - إلى آخر الخبر -[6].

الفقيه: مرسلاً مثله. «ج ١ باب ٨١ ح ٦».

بيان: «أما كان خلفك مسلك» أي لأيّ شيء جئت ههنا مع سعة الأرض خلفك؟

٢٠ - **العلل:** عن أبيه، عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن أحمد الأشعريّ، عن يعقوب ابن يزيد، عن بعض أصحابه، عن محمّد بن سنان، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق الأرض فأمر الحوت فحملتها، فقالت: حملتها بقوّتي، فبعث الله عزّ وجلّ حوتاً

---

(١) - (٤) الدر المنثور، ج ٦ ص ١٠١-١٠٢.

(٥) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٢٧ باب ٣٤٣ ح ٢، أمالي الصدوق، ص ٣٧٥ مجلس ٧١ ح ٢.

(٦) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٧٦ ح ٨٢ من سورة الكهف.

قدر شبر، فدخلت في منخرها فاضطربت أربعين صباحاً! فإذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن يزلزل أرضاً تراءت لها تلك الحوتة الصغيرة فزلزلت الأرض فرقاً[1].

الفقيه: مرسلاً مثله. وفيه «قدر فتر». «ج ١ باب ٨١ ح ٧».

بيان: الفتر - بالكسر -: ما بين السبّابة والإبهام إذا فرقتهما. وتأنيث «فحملتها» و(قالت) بتأويل الحوتة أو السمكة. و(الفرق) بالتحريك: الخوف.

٢١ - **العلل**: عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفّار، بإسناد له رفعه إلى أحدهم عليه السلام أنّ الله تبارك وتعالى أمر الحوت بحمل الأرض وكلّ بلدة من البلدان على فلس من فلوسه، فإذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن يزلزل أرضاً أمر الحوت أن يحرّك ذلك الفلس فيحرّكه، ولو رفع الفلس لانقلبت الأرض بإذن الله[2].

الفقيه: مرسلاً عن الصادق عليه السلام مثله. «ج ١ باب ٨١ ح ٨».

بيان: قال الصدوق - قدّس سره - بعد إيراد تلك الأخبار الثلاثة في الفقيه: والزلزلة تكون من هذه الوجوه الثلاثة وليست هذه الأخبار بمختلفة (انتهى)[3] والظاهر أنّ مراده أنّ الزلزلة قد تكون بالعلّة الأولى، وقد تكون بالعلّة الثانية، وقد تكون بالعلّة الثالثة، ويحتمل اجتماع تلك العلل في كلّ زلزلة، ويمكن أن تكون الثانية في الزلزلة العامّة لجميع الأرض كزلزلة القيامة، والثالثة في ما إذا حصل بسببها خسف وانقلاب وتغيّر عظيم في الأرض وبالجملة الزلزلة العظيمة، والأولى في الزلازل الجزئية اليسيرة. ويؤيّد الخبر الأوّل أنّ أكثر الزلازل تبتدىء من الجبال، وكلّ أرض تكون أقرب من الجبل فهي فيها أشدّ.

٢٢ - **الكافي:** عن عليّ بن محمّد، عن صالح بن أبي حمّاد، عن محمّد بن سنان عن ابن سكان، عن أبي بكر الحضرميّ، عن تميم بن حاتم، قال: كنّا مع أمير المؤمنين عليه السلام فاضطربت الأرض فوجأها ثمّ قال لها: اسكني! ما لك؟ ثمّ التفت إلينا فقال: أما إنّها لو كانت الّتي قال الله لأجابتني ولكنّها ليست بتلك[4].

٢٣ - **العلل:** عن أحمد بن محمّد، عن أبيه، عن محمّد بن أحمد، عن يحيى بن محمّد ابن أيّوب، عن عليّ بن مهزيار، عن ابن سنان، عن يحيى الحلبيّ، عن عمر بن أبان عن جابر، قال: حدَّثني تميم بن حذيم، قال: كنّا مع عليّ عليه السلام حيث توجّهنا إلى البصرة. قال: فبينما نحن نزول إذ اضطربت الأرض فضربها عليّ عليه السلام بيده ثمّ قال لها: ما لك؟ ثمّ أقبل علينا بوجهه ثمّ قال لنا: أما إنّها لو كانت الزلزلة الّتي ذكرها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه لأجابتني ولكنّها ليست بتلك[5].

---

(١) - (٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٢٧ باب ٣٤٣ ح ١ و٣.
(٣) من لا يحضره الفقيه، ج ١ ص ٢٠٠ ح ١٥١٤. (٤) روضة الكافي، ح ٣٦٦.
(٥) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٢٨ باب ٣٤٣ ح ٥.

بيان: هذا إشارة إلى ما ورد في الأخبار أنّ (الإنسان) في سورة الزلزال هو أمير المؤمنين عليه السلام يقول للأرض: ما لك؟ فتحدّثه الأرض أخبارها. كما روي في العلل عن فاطمة عليها السلام قالت: أصاب الناس زلزلة على عهد أبي بكر - وساقت الحديث إلى قولها - فقال لهم عليّ عليه السلام: كأنكم قد هالكم ما ترون! قالوا: وكيف لا يهولنا ولم نر مثلها قط؟ قالت: فحرّك شفتيه ثمّ ضرب الأرض بيده ثمّ قال: ما لك؟ اسكني. فسكنت، فقال: أنا الرجل الّذي قال الله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾ إيّاي تحدّث. فهذا معنى قوله عليه السلام: «إنّها لو كانت الزلزلة الّتي ذكرها الله في كتابه» أي في سورة الزلزال وهي زلزلة القيامة لأجابتني أي لحدّثت وتكلّمت معي «ولكنّها ليست بتلك» أي زلزلة القيامة(١).

٢٤ - **العلل:** بالإسناد المتقدّم عن محمّد بن أحمد، عن إبراهيم بن إسحق، عن محمّد ابن سليمان الديلميّ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الزلزلة ما هي؟ قال: آية. قلت: وما سببها؟ قال: إنّ الله تبارك وتعالى وكّل بعروق الأرض ملكاً فإذا أراد الله أن يزلزل أرضاً أوحى إلى ذلك الملك أن حرّك عروق كذا وكذا. قال: فيحرّك ذلك الملك عروق تلك الأرض الّتي أمره الله فتتحرّك بأهلها. قال: قلت: فإذا كان ذلك فما أصنع؟ قال: صلّ صلاة الكسوف فإذا فرغت خررت ساجداً وتقول في سجودك: «يا من يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنّه كان حليماً غفوراً أمسك عنّا السوء إنّك على كلّ شيء قدير»(٢).

الفقيه: بإسناده عن سليمان الديلميّ مثله. «ج ١ باب ٨١ ح ٩».

بيان: (آية) أي علامة من علامات غضبه أو قدرته. (أن تزولا) أي كراهة أن تزولا، أو لتضمّن الإمساك معنى الحفظ أو المنع عدّي به (إن أمسكهما) أي ما أمسكهما. وفي الفقيه بعد قوله (غفوراً): يا من يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه أمسك...

٢٥ - **الكافي:** عن عليّ بن محمّد، عن صالح بن أبي حمّاد، عن بعض أصحابه، عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الحوت الّذي يحمل الأرض أسرّ في نفسه أنّه إنّما يحمل الأرض بقوّته فأرسل الله عزّ وجلّ إليه حوتاً أصغر من شبر وأكبر من فِتر، فدخل في خياشيمه فصعق، فمكث بذلك أربعين يوماً. ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ رؤف به ورحمه وخرج، فإذا أراد الله عزّ وجلّ بأرض زلزلة بعث ذلك الحوت إلى ذلك الحوت فإذا رآه اضطرب فتزلزلت الأرض(٣).

٢٦ - **العلل:** لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم: العلّة في زلزلة الأرض أنّ الحوت الّذي يحمل

---

(١) - (٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٢٨ باب ٣٤٣ ح ٨ و٧. (٣) روضة الكافي، ح ٣٦٥.

الأرض له فلوس، فإذا أراد الله عزّوجلّ زلزلة أرض أو مكان رفع الحوت الفلس الّذي في ذلك الموضع وحرّكه فتزلزل الأرض.

٢٧ - **توحيد المفضل:** قال الصادق عليه السلام: فإن قال قائل: فلم صارت هذه الأرض تزلزل؟ قيل له: إنّ الزلزلة وما أشبهها موعظة وترهيب يرهّب بها الناس ليرعوا وينزعوا عن المعاصي[1].

فوائد: الأولى: قسمة المعمور من الأرض بالأقاليم السبعة. قالوا: الدائرة العظيمة الّتي تحدث على سطح الأرض إذا فرض معدّل النهار قاطعاً للعالم الجسمانيّ تسمّى خطّ الاستواء، وإذا فرضت (دائرة ظ) عظيمة أُخرى على وجه الأرض تمرّ بقطبيها انقسمت الأرض بهما أرباعاً، أحد القسمين الشماليّين هو الربع المسكون، والباقية إمّا غامرة في البحار غير مسكونة وإمّا عامرة غير معلومة الأحوال، وطول كلّ ربع بقدر نصف الدائرة العظيمة وعرضه بقدر ربعها. وهذا الربع المسكون أيضاً ليس كلّه معموراً إذ بعضه في جانب الشمال لفرط البرد لا يمكن لحيوان التعيّش فيه، وهي المواضع الّتي يكون عرضها أزيد من تمام الميل الكلّيّ، وفي القدر المعمور أيضاً بحار كثيرة بعضها متّصل بالمحيط وبعضها غير متّصل كما عرفت، وجبال وآكام وآجام وبطائح ومغائض وبراري لا تقبل العمارة، ووجدوا في جنوب خطّ الاستواء قليلاً من العمارة من الزنج والسودان لكن لقلّتها لم يعدّوها من المعمورة. ومبدأ العمارة عند المنجّمين من جانب الغرب وكانت هناك جزائر تسمّى «الجزائر الخالدات» وهي الآن مغمورة في الماء فجعلها بعضهم مبدأ الطول، وآخرون جعلوا ساحل البحر الغربيّ مبدأ وبينهما عشر درجات، ونهاية العمارة من الجانب الشرقيّ عندهم «كنك ذر» وهو مستقرّ الشياطين بزعمهم، وسمّوا ما بين النهايتين على خطّ الاستواء قبّة الأرض. ثمّ قسموا المعمور من هذا الربع في جانب العرض بسبعة أقاليم بدوائر موازية لخطّ الاستواء، طول كلّ إقليم ما بين الخافقين، وعرضه بقدر تفاضل نصف ساعة في النهار الأطول، لأنّ أحوال كلّ إقليم متشابهة متناسبة بحسب الحرّ والبرد والمزاج والألوان والأخلاق. فمبدأ الإقليم الأوّل في العرض عند الأكثر مواضع يكون عرضها اثنتا عشر درجة وثلثا درجة ونهارهم الأطول اثنتا عشر ساعة ونصف وربع ولم يعدّوا من خطّ الاستواء إلى هذه المواضع من المعمورة لقلّة العمارة فيها، وبعضهم يجعل مبدأ الإقليم خطّ الاستواء، لكن على التقديرين لا خلاف في أنّ مبدأ الإقليم الثاني حيث عرضه عشرون درجة ونصف ونهاره الأطول ثلاث عشرة ساعة وربع. ومساحة سطح الإقليم الأوّل على الأوّل كما ذكره البرجنديّ ستّمائة ألف واثنان وستّون ألف فرسخ وأربعة وأربعون فرسخاً ونصف فرسخ. والبلاد المشهورة الواقعة فيه: نجران، وجَند، وصنعاء، وصَعدة، وصُحار وسِندان،

(١) توحيد المفضل، ص ١٤٤.

وكولَم، وعلاّقي. وقال بعضهم: وهذا الإقليم يبتدىء في الطول من المشرق وأراضي الصين وتمرّ هناك على أنهار عظيمة ثمّ تمرّ على سواحل البحر الجنوبيّ وبعض أرض الصين وبعض البلاد الجنوبيّة من الهند والسند، ثمّ على جزيرة «كرك» الّتي والاها من قبل ملك اليمن ثمّ يمرّ على خليج فارس وجزيرة العرب وعلى أكثر بلاد اليمن كمعلى، وحضرموت، وصنعاء، وزَبيد، وعدن، وشِهر، وقلهات، وظَفار، وسبا، ومدينة الطيب، وصُحار قصبة عمان، ثمّ على الخليج الأحمر، ودار ملك الحبشة، وبلاد النوبة، وعلى غاية معدن الذهب من بلاد السودان المغرب ثمّ على بلاد بربر إلى المحيط المغربيّ. وعدد البلاد المشهورة الواقعة في هذا الإقليم خمسون، وفيه من الجبال والأنهار العظيمة عشرون جبلاً وثلاثون نهراً، ولون أكثر أهله السواد، ويزعمون أنّ هذا الإقليم منسوب إلى زحل. ومساحة سطح ما بين خطّ الاستواء والإقليم الأوّل ألف ألف فرسخ ومائة وستّة عشر ألف فرسخ وسبعمائة وخمسة وثلاثون فرسخاً وسدس فرسخ. والبلاد المشهورة الواقعة فيها: عدن، وشِبام وحضرموت، ومرباط، وسقوطره، وجزيرة سرنديب، وجزيرة لامري، وجزيرة كله وغانة، وكوكو، وسقالة، وبربرا، وزغاوة من بلاد الزنج، وهدية، وزيلع كلاهما من بلاد الحبشة.

ومساحة الإقليم الثاني خمسمائة ألف فرسخ واثنان وسبعون ألف فرسخ وستّة وستّون فرسخاً وثلث فرسخ. والبلاد المهشورة فيه: مكّة، والمدينة - ضاعف الله شرفهما - وتيماء من بلاد الشام، وينبع، وجُدّة، وخيبر، وبطن مرّ، والطائف والفيد، والفرع، ويمامة، والاحساء، وقطيف، والبحرين، والقِفط، وصعيد وأسيوط، وأسوان، وإسنا، وعَيذاب، ولمطة من أقصى المغرب، وسوس أقصى، وسجلماسة، وديبُل من بلاد السند، ومكران، وبيرون، والمنصورة، وصنم صومنات من بلاد الهند، وكنبايت، وماهورة، وقمبوح. وقال بعضهم: هذا الإقليم يأخذ في الطول من بلاد الصين ويمرّ بمعظم بلاد الهند، ومنها «دهلي» ثمّ بشمال جبال معروفة في ديارهم، ويمرّ بمعظم ديار السند منها «منصورة» ويصل إلى عمان، ويقطع جزيرة العرب من أرض نجد وتهامة، ويمرّ بالطائف ومكّة - شرّفها الله تعالى - ومدينة الرسول ﷺ ويثرب، وهجر، وقطيف، والبحرين، وهرمز من كرمان ويقطع القلزم ويصل إلى صعيد مصر ويقطع النيل ويأخذ في أرض المغرب ويمرّ بأواسط بلاد إفريقيّة ثمّ ببلاد البربر ويصل إلى المحيط. والبلاد المشهورة الواقعة في هذا الإقليم أيضاً خمسون، وفيه من الجبال عشرون، ومن الأنهار مثلها. ولون عامّة أهله بين السواد والسمرة، ويزعمون أنّه منسوب إلى الشمس.

ومبدأ الإقليم الثالث عرضه سبع وعشرون درجة ونصف، ونهاية طول الأيّام ثلاث عشرة ساعة وثلاث أرباع ساعة. ومساحة سطحه أربعمائة وستّون ألف فرسخ وأحد وتسعون فرسخاً وخُمسا فرسخ. والبلاد المشهورة فيه: الإسكندريّة، ومَنفلوط من بلاد سعيد وأكثر

بلادها الواقعة على النيل، ورشيد، ودمياط من بلاد مصر، وقلزم على ساحل بحر اليمن، وفسطاط من بلاد مصر، وعين الشمس منها، وأسفي من أقصى المغرب، وسلا، وفاس، ومرّاكش ودرعة، وميلة، وتاهرت. وقسطينة وسطيف كلّها من بلاد المغرب، وتينزرْت، وتونس، وقابس، وقيروان، ومهديّة، وصفاقس، واطرابلس، وقصر أحمد كلّها من بلاد إفريقيّة، وغزّة، وعسقلان، وقيساريّة، ورملة، وبيت المقدس كلّها من بلاد فلسطين؛ ونابلس، وعكّا، وبيسان وصور، وعمان، وكرك، وبيروت، وصيدا وأذرعات، وبُصرى، ودمشق، وصرخد كلّها من بلاد الشام، وهيت، والقادسيّة، وحيرة، والكوفة، والأنبار، وبغداد، وصرصر، والمدائن، وبابل، ونعمانيّة، ونهروان، وقصر بن هبيرة، ونهر الملك كلّها من بلاد العراق ونواحيها؛ وبصرة، وأُبلة، وعبّادان، وطيب، وسوس، وقرقوب، وتُستر، وحُبّي، وعسكر مكرّم، والأهواز، ودورق، وأرجان كلّها - ما عدا الثلاثة الأول - من بلاد خوزستان؛ وسيف البحر، وجور، وأبرقوة، وكازرون، ونوبندجان، وفيروز آباد، وشيراز، والبيضاء، وإصطخر، وبسا، ودارا بجرد كلّها من بلاد فارس ونواحيها؛ ويزد، وبافد، وبردسير، وجيرفت، وسيرجان وزرند، وبم، وهرموز كلّها من بلاد كرمان؛ وزرنج وشروان وبست كلّها من بلاد سيستان؛ وملتان من بلاد السند؛ وتعبر من بلاد الهند، وزيتون من بلاد الصين وإصبهان وأردستان، وطبس، وبيروزكوة، وميمند، وغزنة وكابل. وقال بعضهم: هذا الإقليم يبتدىء من شرقيّ أرض الصين ودار ملكهم، وتمرّ بوسط مملكة الهند، وقندهار، وكشمير، ويمرّ بمولتان من أرض السند، وبزابل، وبست، وسيستان، وكيج، ويزدة سير مدينة كرمان، وخبيص؛ ويزد؛ وفارس؛ وإصفهان؛ والأهواز وعسكر؛ وكوفة؛ وبصرة وواسط؛ وبغداد؛ والمدائن وإذا جاوز هذه البلاد يمرّ بديار ربيعة ومضر؛ ودمشق؛ وحمص؛ وبيت المقدس؛ والصوريّة؛ والطبريّة والقيساريّة؛ وعسقلان؛ والمدين؛ ويأخذ طرفاً من أرض مصر فيه دمياط وفسطاط والإسكندريّة ثمّ يمرّ ببلاد الإفريقيّة وبلد قيروان؛ والسوس؛ وطرابلس الغرب؛ ثمّ بقبائل السرير في أرض المغرب؛ وبلاد طنجة؛ وينتهي إلى المحيط. وعدد البلاد المشهورة الواقعه فيه مائة وثمانية وعشرون؛ وفيه من الجبال ثلاثة وثلاثون؛ ومن الأنهار اثنان وعشرون. ولون أكثر أهله السمرة؛ ويزعمون أنّه منسوب إلى عطارد.

وأمّا الإقليم الرابع فعرض أوّله ثلاث وثلاثون درجة وأربعون دقيقة، وأطول نهاره أربع عشرة ساعة وربع، ومساحة سطحه ثلاثمائة ألف وثمانية وسبعون ألفاً وثمانية وثلاثون فرسخاً وربع، والبلاد المشهورة فيه: قصر عبد الكريم، وطنجة وسبستة وتلمسان، وبجاية من بلاد المغرب؛ وبوند، وقصر أحمد، من بلاد إفريقيّة وإشبيلة وقُرطبة، ومالَقة، وغَرناطة، وبلنسية كلّها من بلاد الشام وتوابعها وجزيرة يابسة، وجزيرة مايرقة فيها بحيرة محيطها تسعة أميال وجزيرة سردانية وجزيرة صِقليّة، وجزيرة وسامس وجزيرة رودس، وجزيرة قبرس كا

هذه الجزائر في بحر الروم؛ وطرسوس، وأياس، وأرطة ومصيصة، وبرس برت، وتلّ حمدون كلّها من بلاد أرمن؛ وأطرابلس، وبُلنباس، وبعلبكّ، وعرقة، وجَبلة من بلاد الشام وسبس، وصهيون، وبغراس، وحارم، وحصن الأكراد، والحِمص، وحَماة، وشَيزر ومرعش، وحصن منصور، ومَنبج، ومعرّة، وقنّسرين، وسميساط بعضها من أعمال حلب وبعضها من أعمال الشام وحلب، وحرَّان؛ ورقّة كلاهما من ديار مضر؛ وماردين من ديار ربيعة؛ وميّافارقين من بلاد الجزيرة؛ وقرقيسياء، وجيران، ونصيبين، وجزيرة ابن عمر، وسنجار من ديار ربيعة؛ وتلّ أعفر، وموصل، والحديثة، ودقوقاء، وآمد، وعانة، وسعرت، وتكريت، وسامرَّاء، ودسكرة، وجلولاء، وخانقين، وحلوان بعضها من العراق وبعضها من الجزائر؛ ودلّي من بلاد الهند؛ وانطاليا من بلاد الروم؛ وأرزن، وبدليس، وأرجليس كلّها من أرمنيّة؛ وسلماس وخوي، ومراغة، وأوجان، وأردبيل، وميانج، ومرند، وتبريز كلّها من بلاد آذربيجان؛ وموقان وإربل، وشهر زور، وقصر شيرين، وصيمرة، ودينور وسيروان، وماسَبذان، وسُهرورد، وزنجان، ونهاوند، وهمدان، وبروجرد، وأبهر، وساوة، وقزوين، وآبة، وجرباذقان، وقم، وطالقان، وقاشان، والريّ وكرج أكثرها من بلاد الجبل؛ ولاهجان، وروذبار، وسالوس، وناتل، وأرجان وآمل، وسارية كلّها من بلاد طبرستان؛ وسمنان، ودامغان، وبسطام، وإستراباذ وآبسكون، وجرجان، ودهستان، وخسروجرد، وقصبة سبزوار، وإسفراين، ونيسابور، ونسا، وطوس، ونوقان، وأبيورد، وقوهستان، وقاين، وزوزن، وجزجرد، وبوزجان، وسرخس، وفوشَنج، وهراة، وبادغيس، ومالين، وشيورغان وأسفزار، ومروروذ، ومرو، وشاه جهان، وفارياب، وشهرستان، وسمنجان كلّها من خراسان وأعمالها؛ وبدخشان، وترمذ وخَتلان، ووخش، وصَغانيان، وشومان، وآثينية كلّها من بلاد المغرب ويقال إنّه بلد حكماء يونان.

وقال بعض الأفاضل: هذا الإقليم وسط الأقاليم، ووسط معظم عمارة العالم، ويبتدىء من شمال بلاد الصين ويمرّ ببلاد التبّت الداخل، وجرجير، وخطا، وختن، وبجبال كشمير، وبدخشان، وصغانيان، وكابل، ويمرّ بطخارستان، وغور، وبلخ، وترمذ وهرات، ومرو، وشاهجهان، ومرو روذ، وسرخس، وجوزجان، وفارياب؛ وغَرجستان، وباورد ونسا، وسبزوار، وطوس ونيشابور، وإسفراين، وقهستان، وقومس، وجرجان، وطبرستان، وآمد وقم، وآمل، وكاشان، وهمدان، وأبهر، وقزوين، والديلم، وساوة، وألموت، وكرج، وكيلان، ومازندران وساري، وسمنان، ودامغان، واستراباد، وبسطام، ونهاوند، ودينور، وحلوان وشهرزور، وزنجان، وسلطانيّة، وأردبيل، والموصل، وسامرة، وأرمنيّة ومراغة، وتبريز، وسِنجار، ونصيبين، وسمياط، وملطيّة، وأرزنجان، ورأس العين، وقاليقلا، وسُميساط، وحلب، وأنطاكية، وقنّسرين، وطرابلس الشام، وحمص، وطرسوس، وجزيرة قبرس، ورودس، ويمرّ بأرض المغرب على بلاد إفرنجة وطنجة، وينتهي إلى

المحيط على الرقاق من الأندلس وبلاد المغرب. وعدد البلاد المشهورة الواقعة فيه مائتان واثنا عشر، وفيه من الجبال خمسة وعشرون، ومن الأنهار اثنان وعشرون. ولون عامّة أهله بين السمرة والبياض، وهو منسوب إلى المشتري على الأصح بزعمهم.

وأمّا الإقليم الخامس فمبدأه حيث عرضه تسع وثلاثون درجة، وغاية طول نهارهم أربع عشرة ساعة وثلاثة أرباع ساعة. ومساحة سطحه مائتا ألف وتسع وتسعون ألف فرسخ وأربعمائة وثلاثة وتسعون فرسخاً وثلاثة أعشار فرسخ. ومن البلاد الواقعة فيها: أشبونة، وشَنترين، وبطليوس، وماردة، وطُليطَلة، ومرسية، ودانية، ومدينة سالم، وسرقُسطة، وطرطوشة، ولاردة، وهيكل الزهرة، واربونة، ونقورية وعمّوريّة، وآق شهر، وقونية، وقيسارية، وأقسَرا وملطية، وسيواس، وتوقات، وأرزن، وأرزنجان، وموش، وملازجرد، وأخلاط، وشروان؛ ونشوى؛ وبردعة؛ وشمكور؛ وتفليس؛ وبيلقان؛ وباب الأبواب؛ وكنجة؛ وسلطانيّة وفراوة؛ وكركنج؛ وكات؛ وزمخشر؛ وهزار أسب؛ ودرغان؛ وطواويس؛ وبيكند وكرمنية؛ ونخشب؛ وكشّ؛ وأرينجن؛ وإشتيخن؛ وسمرقند؛ وكشانية؛ وشاش؛ وبنكث؛ وإيلاقي وأسروشة وساباط؛ وخجند؛ وشاوكث؛ وَتنكت وإمسيكث؛ وكاسان؛ وفرغانة؛ وقُبا؛ وختن؛ وخيوة؛ وروميّة الكبرى؛ وماقذونيّة من أعمال قسطنطنيّة.

وقال بعض الأفاضل: يبتدىء هذا الإقليم من أقصى بلاد الترك؛ ويمرّ على مواضع الأتراك المشهورة إلى حدّ كاشغر، وختن؛ وبيت المقدس؛ وفرغانة؛ وطراز وخجند؛ ويمر بشروان؛ وخوارزم؛ وبخارا؛ وشاش؛ ونسَف؛ وسمرقند؛ وكشّ؛ وببحر خزر وديار أرمنيّة وبعض بلاد الروم كعمّوريّة؛ وقونية؛ وأقسراي وقيصريّة؛ وسيواس؛ وأرزن الروم؛ ويمّر بساحل بحر الشام وبلاد أندلس إلى أن ينتهي إلى المحيط. وعدد البلاد المشهورة الواقعة فيه مائتان، وفيه من الجبال ثلاثون، ومن الأنهار خمسة عشر. ولون عامّة أهله البياض، وهو منسوب إلى الزهرة بزعمهم.

وأمّا الإقليم السادس فمبدأه حيث عرضه ثلاث وأربعون درجة ونصف، وغاية طول نهاره خمسة عشر ساعة وربع. ومساحة سطحه مائتا ألف وخمسة وثلاثون ألف فرسخ وأربعة وثلاثون فرسخاً وثلثا فرسخ. وفيه من البلاد المشهورة: تطيلة، وتبلوتة وبردال، ولمريا، وجزيرة نقربيت، وأماسية، وقسطمونية، وسنوب، وجند، وفاراب وإسفيجاب، وطراز، وشلج، وخان بالق، وكاشغر؛ وسمّورة، ولنبردية؛ وبيذة؛ وبندقية وبرشان؛ وقسطنطنيّة؛ وبلَنجر. وقال بعض المحقّقين: من بلاده معظم الروم؛ والخزر؛ والتركستان؛ فيبتدىء من المشرق ويمرّ بمساكن أتراك الشرق، ويقطع وسط بحر طبرستان، ويمرّ على خزر؛ وموقان؛ وسقسين؛ وعلى الصقالبة؛ وبلاد آس وأرّان، وباب الأبواب؛ والروس؛ ثمّ بمعظم بلاد

الروم مثل قسطنطنيّة وبشمال أندلس، وينتهي إلى المحيط. وعدد البلاد المشهورة الواقعة فيه تسعون، وفيه من الجبال أحد عشر، ومن الأنهار أربعون. ولون غالب أهله الشقرة، وهو عندهم منسوب إلى القمر.

وأمّا الإقليم السابع فمبدأه حيث العرض سبع وأربعون درجة وربع؛ وغاية طول نهاره خمس عشرة ساعة وثلاثة أرباع ساعة. ومساحة سطحه مائة ألف وسبعة وثمانون ألف فرسخ وسبعمائة وواحد وعشرون فرسخاً وثلثا فرسخ. وفي هذا الإقليم العمارة قليلة؛ والبلاد المشهورة فيه: كُرش؛ وازرق؛ وصراي - وهو مستقرّ سلطان تتر - وآكل؛ وبُلار ويقال له بلغار - وأفجاكرمان؛ وصاری کرمان؛ وقرقر؛ وصلغات؛ وكفا وصقجي وشَنتياقُر وهِرقلة. وقال بعضهم: هذا الإقليم يأخذ في طوله من المشرق ويمرّ بنهايات الأتراك الشرقيّة؛ وبشمال بلاد يأجوج ومأجوج ثمّ على غياض وجبال يأوي إليها أتراك كالوحوش، ثمّ على بلغار الروس والصقالبة ويقطع بحر الشام وينتهي إلى المحيط. وعدد بلاد هذا الإقليم اثنان وعشرون، وفيه من الجبال أحد عشر، ومن الأنهار أربعون. ولون أهله بين الشقرة والبياض، وهو منسوب عندهم إلى المرّيخ. وأهل بعض بلاده يسكنون مدّة ستة أشهر في الحمّامات لشدّة البرد. وآخر الأقاليم حيث عرضه خمسون درجة ونصف وغاية طول نهاره ستّ عشرة ساعة وربع، ثمّ إلى عرض التسعين لا يعدّونه من الأقاليم.

واعلم أنَّ خطّ الاستواء يبتدىء من شرقيّ أرض الصين ويمرّ على جزيرة «جمكوت» ثمّ بلاد الصين ممّا يلي الجنوب، وعلى «كنك ذر» الّذي من أراضي الصين ثمّ على جزائر «زارة» الّتي تسمّى أرض الذهب، وعلى جنوب جزيرة سرنديب بين جزيرتي كله وسريره وعلى وسط جزائر ديويره ثمّ على شمال جزائر الزنج ومعظم بلادهم ثمّ على شمال جبال القُمر، وجنوب سودان المغرب إلى المحيط. وأمّا طول النهار لسائر البقاع سوى الأقاليم السبعة فالنهار الأطول يبلغ سبع عشرة ساعة حيث العرض أربع وخمسون درجة وكسر، ويبلغ ثماني عشرة ساعة حيث العرض ثمان وخمسون درجة، ويبلغ تسع عشرة ساعة حيث العرض إحدى وستّون درجة، ويبلغ عشرين ساعة حيث العرض ثلاث وستّون. وهناك جزيرة تسمّى «تولي» يقال إنّ أهلها يسكنون الحمّامات مدّة كون الشمس بعيدة عن سمت رؤوسهم. والمشهور أنّها منتهى العمارة في العرض ويبلغ إحدى وعشرين ساعة حيث العرض أربع وستّون درجة ونصف. قال بطلميوس: إنّ سكّان هذا الموضع قوم من الصقالبة لا يعرفون. وعلى هذا يكون هو منتهى العمارة في العرض، ويبلغ اثنين وعشرين ساعة حيث العرض خمس وستّون درجة وكسر ويبلغ ثلاثاً وعشرين ساعة حيث العرض ستّ وستّون درجة، ويبلغ أربعاً وعشرين ساعة حيث العرض مثل تمام الميل الكلّيّ. ويبلغ شهراً حيث العرض سبع وستّون درجة وربع، وشهرين حيث العرض سبعون درجة إلاّ ربعاً، وثلاثة أشهر حيث

العرض ثلاث وسبعون درجة ونصف وأربعة أشهر حيث العرض ثمان وسبعون درجة ونصف، وخمسة أشهر حيث العرض أربع وثمانون درجة، ونصف السنة تقريباً حيث العرض ربع الدور. ومنهم من قسم ما سوى الأقاليم من الربع قسمين: قسماً لم يدخل في الأقاليم ويدخل في المعمورة، وقسماً لم يدخل فيهما، فالأوّل مبدأه حيث عرضه خمسون درجة وثلث، وغاية طول نهاره ستّ عشرة ساعة وربع، ومساحة سطحه سبعمائة ألف وخمسون ألف فرسخ ومائة واثنان وثلاثون فرسخاً وربع فرسخ. وفيه جزيرة برطانيّة، وجزيرة صوداق، وجزيرة تولي ومدينة يأجوج ومأجوج. قالوا: عرض تلك المدينة ثلاث وستّون درجة وطولها مائة واثنان وسبعون درجة ونصف. والقسم الثاني مبدأه حيث عرضه ستّ وستّون درجة ونصف، وغاية طول نهاره سبع وأربعون ساعة. ومساحة سطحه أربعمائة ألف واثنان وعشرون ألف فرسخ وأربعمائة وسبعة فراسخ وخمس فرسخ. وقيل: في عرض خمس وسبعين درجة موضع أهله يسكنون في الشتاء في الحمّامات، ولا يفهم كلامهم.

الفائدة الثانية: في ذكر بعض خواصّ خطّ الاستواء والآفاق المائلة، فأمّا خطّ الاستواء فدوائر آفاق البقاع الّتي تكون عليه تنصّف جميع المدارات اليوميّة، فلذلك يكون النهار والليل في جميع السنة متساويين، وأيضاً يكون زمان ظهور كلّ نقطة على الفلك مساوياً لزمان خفائه، فإن كان تفاوت كان بسبب اختلاف السير سرعة وبطئاً بالحركة الغربيّة في النصفين، وذلك لا يكون محسوساً. وتمرّ الشمس في السنة الواحدة مرّتين بسمت رؤوسهم، وذلك عند كونها في نقطتي الاعتدالين، ولا تبعد الشمس عن سمت رؤوسهم إلاّ بقدر غاية ميل فلك البروج عن معدّل النهار، وتكون الشمس نصف السنة تقريباً في جهة من جهتي الشمال والجنوب، ويكون ظلّ نصف النهار إلى خلاف تلك الجهة، ولكون مبدأ الصيف الوقت الّذي يكون فيه الشمس إلى سمت الرأس أقرب ومبدأ الشتاء الوقت الّذي يكون الشمس منه أبعد، يكون وقت كونها في نقطتي الاعتدال مبدأ صيفهم، ووقت كونها في نقطتي الانقلاب مبدأ شتائهم، ويكون مبادىء الفصلين الأخيرين أوساط الأرباع، ويلزم على ذلك أن يكون لهم في كلّ سنة ثمانية فصول، ويكون دور الفلك هناك دولابيّاً، لأنّ سطوح جميع المدارات يقطع سطح الأفق على قوائم، ويسمّى لذلك آفاقها آفاق الفلك المستقيم. والشيخ ابن سينا حكم بأنّها أعدل البقاع، لأنّ الشمس لا تمكث على سمت الرأس كثيراً بل إنّما تمرّ به وقتي اجتيازها عن إحدى الجهتين إلى الأخرى، ويكون هناك حركتها في الميل والبعد عن سمت رأسهم أسرع ما يكون فلا تكون لذلك حرارة صيفهم شديدة. وأيضاً لتساوي زماني نهارهم وليلهم دائماً تنكسر سورتا كلّ واحدة من الكيفيّتين الحادثتين منهما بالأخرى فيعتدل الزمان. وحكم أيضاً بأنّ أحرّ البقاع صيفاً الّتي تكون عروضها مساوية للميل الكلّي، فإنّ الشمس تسامتها وتلبث في قرب مسامتتها قريباً من شهرين، ونهارها حينئذ يطول وليلها يقصر وردّ الفخر الرازيّ عليه الحكم الأوّل بأن قال: لبث الشمس في خطّ الاستواء وإن كان قليلاً لكنّها

لا تبعد كثيراً عن المسامتة، فهي طول السنة في حكم المسامتة، ونحن نرى بقاعاً أكثر ارتفاعات الشمس فيها لا يزيد على أقلّ ارتفاعاتها بخطّ الاستواء وحرارة صيفها في غاية الشدّة. فيعلم من ذلك أنّ حرارة شتاء خطّ الاستواء تكون أضعاف حرارة صيف تلك البقاع. وحكم بأنّ أعدل البقاع هو الإقليم الرابع.

وقال المحقّق الطوسيّ رحمه الله: الحقّ في ذلك أنّه إن عنى بالاعتدال تشابه الأحوال فلا شكّ أنّه في خطّ الاستواء أبلغ كما ذكره الشيخ، وإن عنى به تكافؤ الكيفيّتين فلا شكّ أنّ خطّ الاستواء ليس كذلك، يدلّ عليه شدّة سواد لون سكّانه من أهل الزنج والحبشة وشدّة جعود شعورهم وغير ذلك ممّا تقتضيه حرارة الهواء، وأضداد ذلك في الإقليم الرابع تدلّ على كون هوائه أعدل. بل السبب الكلّيّ في توفّر العمارات وكثرة التوالد والتناسل في الأقاليم السبعة دون سائر المواضع المنكشفة من الأرض يدلّ على كونها أعدل من غيرها، وما يقرب من وسطها لا محالة يكون أقرب إلى الاعتدال ممّا يكون على أطرافها. فإنّ الاحتراق والفجاجة اللازمين من الكيفيّتين ظاهران في الطرفين - انتهى -.

فعلى ما ذكره - قدّس سرّه - سكّان الإقليم الرابع أعدل الناس خلقاً وخُلقاً، وأجودهم فطانة وذكاءً. ومن ثمّة كان معدن الحكماء والعلماء، وبعدهم سكّان الاقليمين: الثالث، والخامس. وأمّا سائر الأقاليم فأكثرها ناقصون في الجبلّة عمّا هو أفضل، يدلُّ عليه سماجة صورهم وسوء أخلاقهم وشدّة احترافهم من الحرّ أو فجاجتهم من البرد كالحبشة والزنج في الأوّل والثاني، وكيأجوج ومأجوج وبعض الصقالبة في السادس والسابع. وأمّا الآفاق الّتي لها عرض أقلّ من الربع فهي على خمسة أقسام: الأوّل أن يكون عرضه أقلّ من الميل الكلّيّ، الثاني أن يكون عرضه مساوياً للميل الكلّيّ الثالث أن يكون عرضه مساوياً لتمام الميل الكلّيّ، الرابع أن يكون عرضه أكثر من الميل وأقلّ من تمامه، الخامس أن يكون عرضه أكثر من تمام الميل. ففي جميع تلك الآفاق يكون أحد قطبي المعدّل فوق الأرض مرتفعاً عن الأفق بقدر عرض البلد والآخر منحطّاً عن الأُفق بهذا المقدار. وجميع تلك الآفاق ينصّف معدّل النهار على زوايا [قوائم] فيكون دور الفلك هناك حمائليّاً، وتقطع المدارات الّتي تحت الأرض، وللجنوبيّة بالخلاف من ذلك ولا يستوي الليل والنهار فيها إلاّ عند بلوغ الشمس نقطتي الاعتدال، وذلك في يوم النيروز والمهرجان والمساواة في بعض الأوقات تحقيقيٌّ وفي بعضها تقريبيٌّ. ويكون النهار أطول من الليل عند كون الشمس في البروج الشماليّة وعند كونها في البروج الجنوبيّة الأمر بعكس ذلك. وكلّما كان عرض البلد أكثر كان مقدار التفاوت بين الليل والنهار أكثر، وكلّ مدار بعده عن القطب الشماليّ مثل ارتفاع القطب عن الأفق فهو بجميع ما فيه وبجميع ما تحويه دائرته إلى القطب الشماليّ من الكواكب والمدارات أبديّ الظهور، ونظيره من ناحية الجنوب بجميع ما فيه وما تحويه دائرته إلى القطب الجنوبيّ أبديّ الخفاء. وهذه هي الأحوال المشتركة.

وأمّا ما يختصّ بالقسم الأوّل من الأقسام الخمسة المتقدّمة وهو ما يكون العرض أقلّ من الميل الكلّيّ فالمدار الّذي يكون بُعده عن المعدّل من جهة القطب الظاهر بقدر عرض البلد يقطع منطقة البروج على نقطتين متساويتي البعد من المنقلب فإذا وصلت الشمس إلى إحدى هاتين النقطتين لا يكون في نصف نهار هذا اليوم لشيء ظلّ، وما دامت الشمس في القوس الّذي بين تينك النقطتين في جهة القطب الظاهر يقع الظلّ في أنصاف النهار إلى جهة القطب الخفيّ، وما دامت الشمس في القوس الآخر يقع الظلّ في أنصاف النهار إلى جهة القطب الظاهر، ولارتفاع الشمس في النقصان غايتان: إحداهما من جهة القطب الظاهر وهو أكثر، والأخرى من جهة القطب الخفيّ وهو أقلّ، ولا تكون فصول السنة في تلك الآفاق متساوية، بل إذا كانت النقطتان المذكورتان متقاربتين كان صيفهم أطول من غيره، لأنّ الشمس تسامت رؤوسهم مرّتين وليس بعدها على قدر يكون في وسطه فتور للسخونة، وإن زادت على الأربعة كما إذا كانت النقطتان متباعدتين لم تكن متشابهة لاختلاف غايتي بعد الشمس عن سمت الرأس في الجهتين بخلاف خطّ الاستواء لتساويهما.

وأمّا القسم الثاني فمدار المنقلب الّذي في جهة القطب الظاهر يمرّ بسمت الرأس ومدار المنقلب الآخر بسمت الرجل، ولا يكون لارتفاع الشمس إلاّ غاية واحدة في جانب النقصان، وفي جانب الزيادة يكون تسعين درجة، ويكون الظلّ أبداً عند الزوال في جهة القطب الظاهر، إلاّ في يوم واحد حين كونها في المنقلب الظاهر، فإنّه لا يكون في هذا اليوم عند الزوال لشيء ظلّ، ويكون أحد قطبي فلك البروج أبديّ الظهور والآخر أبديّ الخفاء. وارتفاعات الشمس تتزايد من أحد الانقلابين إلى الآخر، ثمّ ترجع وتتناقص إلى أن تعود إليه وتصير فصول السنة أربعة لا غير وتكون متساوية المقادير.

وأمّا القسم الثالث فلا تنتهي الشمس إلى سمت الرأس، ويكون لها ارتفاعان: أعلى، وهو ما يكون بقدر مجموع الميل الكلّيّ وتمام عرض البلد. وأسفل، وهو يكون بقدر فضل تمام عرض البلد على الميل الكلّيّ، وسائر الأحوال كما مرّ.

وأمّا القسم الرابع فيصير مدار المنقلب الّذي في جهة القطب الظاهر أبديّ الظهور ومدار المنقلب الآخر أبديّ الخفاء. ويمرّ مدار قطب فلك البروج الظاهر بسمت الرأس، ومدار القطب الآخر بمقابله، وفي كلّ دورة تنطبق منطقة البروج مرّة على الأفق، ثمّ يرتفع النصف الشرقيّ من المنطقة دفعة عن الأفق وينحطّ نصفها الآخر عنه كذلك، ثمّ يطلع النصف الخفيّ جزءاً بعد جزء في جميع أجزاء نصف الأفق الشرقيّ ويغيب النصف الظاهر جزءاً بعد جزء كذلك في جميع نصف الأفق الغربيّ في مدّة اليوم بليلته إلى أن يعود وضع الفلك إلى حاله الأولى، ويزيد النهار في تلك الآفاق إلى أن يصير مقدار يوم بليلته نهاراً كلّها، وذلك عند وصول الشمس إلى المنقلب الظاهر. وهذا إذا اعتبر ابتداء النهار من وصول مركز الشمس

إلى الأفق، وإن اعتبر ابتداء النهار من ظهور الضوء واختفاء الثوابت كان نهارهم عند الوصول المذكور شهراً - على ما بيّنه «ساو ذوسيوس» في الرسالة الّتي بيّن فيها حال المساكن - ثمّ يحدث ليل في غاية القصر بحيث يتداخل الشفق والفجر، ويزيد شيئاً فشيئاً إلى أن يصير مقدار يوم بليلته ليلة كلّه، وبعد ذلك يحدث نهار قصير، وهكذا. وفي هذا القسم نهاية العمارة في جانب الشمال، ولا تمكن العمارة بعده لشدّة البرد.

وأمّا القسم الخامس فيكون فيه أعظم المدارات الأبديّة الظهور قاطعاً لمنطقة البروج على نقطتين يساوي ميلهما في جهة القطب الظاهر، وأعظم المدارات الأبديّة الخفاء قاطعاً لها على نقطتين متقابلتين لهما؛ فتنقسم منطقة البروج لا محالة إلى أربع قسيّ يتوسّطها الاعتدالان والانقلابان: إحداهما أبديّ الظهور وهي الّتي يتوسّطها المنقلب الّذي في وجهة القطب الظاهر، ومدّة كون الشمس فيها نهارهم الأطول. والثانية أبديّ الخفاء وهي الّتي يتوسّطها المنقلب الآخر، ومدّة كون الشمس فيها ليلهم الأطول وأمّا القوسان الباقيتان فالّتي يتوسّطها أوّل الحمل تطلع معكوسة أي يطلع آخرها قبل أوّلها، وتغرب مستوية أي يغرب أوّلها قبل آخرها إن كان القطب الظاهر شمالياً وتطلع مستوية وتغرب معكوسة إن كان القطب الظاهر جنوبيّاً؛ والّتي يتوسّطها أوّل الميزان يكون بالضدّ من ذلك. ومثّلوا لتصوير الطلوع والغروب المعكوسين مثالاً لسهولة تصوّرهما تركناه مع سائر أحكام هذا القسم لقلّة الجدوى.

وأمّا الموضع الّذي عرضه ربع الدور وهو تسعون درجة فأوضاعه غريبة جدّاً وذلك لا يكون على الأرض إلاّ عند موضعين يكون أحد قطبي المعدّل على سمت الرأس والآخر على سمت القدم، فتصير لا محالة دائرة معدّل النهار منطبقة على الأفق، ويدور الفلك بالحركة الأولى التابعة للفلك الأعظم رخويّة ولا يبقى في الأفق مشرق ولا مغرب باعتبار هذه الحركة أصلاً ولا باعتبار غيرها بحيث يتميّز أحدهما عن الآخر في الجهة، ولا يتعيّن أيضاً نصف النهار، بل في جميع الجهات يمكن أن تبلغ الشمس وسائر الكواكب غاية ارتفاعها، كما يمكن أن تطلع وتغرب فيها، فيكون النصف من الفلك الّذي يكون من معدّل النهار في جهة القطب الظاهر أبديّ الظهور، والنصف الآخر أبديّ الخفاء. والشمس ما دامت في النصف الظاهر من فلك البروج يكون نهاراً، وما دامت في النصف الخفيّ منه يكون ليلاً، فيكون سنة كلّها يوماً بليلة، ويفضل أحدهما على الآخر من جهة بطء حركتها وسرعتها وهو تقريباً سبعة أيّام بلياليها من أيّامنا. ففي هذه الأزمنة يزيد نهاره عن ليله بمثل هذه المدّة. وهذا إذا اعتبر النهار من طلوع الشمس إلى غروبها، وأمّا إذا كان النهار من ظهور ضوئها واختفاء الثوابت إلى ضدّهما فيكون نهارهم أكثر من سبعة أشهر بسبعة أيّام، وليلهم قريباً من خمسة أشهر، إذ من ظهور ضوء الشمس إلى طلوعها خمسة عشر يوماً وكذا من غروبها إلى اختفاء الضوء،

على ما حقّقه «ساوذوسيوس» وأمّا إذا كان النهار من طلوع الصبح إلى غروب الشفق فكان نهارهم سبعة أشهر وسبعة عشر يوماً من أيّامنا تقريباً.

وقال المحقّق الطوسيّ - قدّس سرّه -: ويكون مدّة غروب الشفق أو طلوع الصبح في خمسين يوماً من أيّامنا. ويكون غاية ارتفاع الشمس وغاية انحطاطه بقدر غاية الميل. وأظلال المقاييس تفعل دوائر متوازية بالتقريب على مركز أصل المقياس أصغرها إذا كانت الشمس في المنقلب الظاهر. وأعظمها إذا كانت عند الأفق بقرب الاعتدالين، ولا يكون لشيء من الكواكب طلوع ولا غروب بالحركة الأولى، بل يكون طلوعها وغروبها بالحركة الثانية المختصّة بكلّ منها لا في موضع بعينه من الأفق. ويكون للكواكب الّتي يكون عرضها من منطقة البروج ينقص من الميل الكلّيّ طلوع وغروب بالحركة الخاصّة، وتختلف مدّة الظهور والخفاء بحسب بُعد مدارها عن منطقة البروج وقربها إليه، فما كان مداره أبعد عنها في جهة القطب الظاهر كان زمان ظهوره أكثر من زمان ظهور ما مداره أقرب منها في هذه الجهة، وينعكس الحكم في الجهة الأخرى. والكواكب الّتي عرضها مساوٍ للميل كلّه تماسّ الأفق في دور واحد من الحركة الثانية مرّة واحدة إمّا من فوق وإمّا من تحت، ولا يكون لها ولا للّتي يزيد عرضها في أحد جانبي فلك البروج على الميل الكلّيّ طلوع ولا غروب، بل تكون إمّا ظاهرة أبداً وإمّا خفيّة أبداً.

الفائدة الثالثة: قالوا: السبب الأكثريّ في تولّد الأحجار والجبال عمل الحرارة في الطين اللزج بحيث يستحكم انعقاد رطبه بيابسه بإذن الله تعالى. وقد ينعقد الماء السيّال حجراً إمّا لقوّة معدنيّة محجّرة أو لأرضيّة غالبة على ذلك الماء. فإذا صادف الحرّ العظيم طيناً كثير الرخاوة إمّا دفعة وإمّا على مرور الأيّام تكوّن الحجر العظيم. فإذا ارتفع بأن يجعل الزلزلة العظيمة طائفة من الأرض تلّاً من التلال، أو يحصل من تراكم عمارات تخرّبت ثمّ تحجّرت، أو يكون الطين المتحجّر مختلف الأجزاء في الصلابة والرخاوة فتنحفر أجزاؤه الرخوة بالمياه والرياح وتغور تلك الحفر بالتدريج غوراً شديداً وتبقى الصلبة مرتفعة أو بغير ذلك من الأسباب فهو الجبل. وقد يرى بعض الجبال منضودة سافاً فسافاً كأنّها سافات الجدار، فيشبه أن يكون حدوث مادّة الفوقانيّ بعد تحجّر التحتانيّ وقد سال على كلّ ساف من خلاف جوهره ما صار حائلاً بينه وبين الآخر. وقد يوجد في كثير من الأحجار عند كسرها أجزاء الحيوانات المائيّة فيشبه أن تكون هذه المعمورة قد كانت في سالف الدهر مغمورة في البحر فحصل الطين اللزج الكثير وتحجّر بعد الانكشاف، ولذلك كثر الجبال، ويكون انحفار ما بينها بأسباب تقتضيه كالسيول والرياح، كذا قيل، وقد مرّ بعض الكلام فيه سابقاً. والحقُّ أنّ الله تعالى خلقها بفضله وقدرته إمّا بغير أسباب ظاهرة أو بأسباب لا نعلمها. وهذه الأسباب المذكورة ناقصة، ولو كانت هذه أسبابها فلم لا يحدث من الأزمنة الّتي أحصى الحكماء تلك

الجبال إلى تلك الأزمان جبل آخر، إلاّ أن يقال: لمّا كان في بدء خلق الأرض زلزلة ورجفة واضطراب عظيم في الأرض صارت أسباباً لحدوث تلك الجبال، فلمّا حدثت استقرّت الأرض وسكنت، فلهذا لا يحدث بعدها مثلها كما دلّت عليه الآيات والأخبار.

ثمّ اعلم أنّ منافع الجبال كثيرة: منها كونها أوتاداً للأرض كما مرّ؛ ومنها أنّ انبعاث العيون والسحب المستلزمة للخيرات الكثيرة منها أكثر من غيرها، بل لا تنفجر العيون إلاّ من أرض صلبة أو من جوار أرض صلبة، كما قال في الشفاء: إذا تتبّعت الأودية المعروفة في العالم وجدتها كلّها منبعثة من عيون جبليّة ومنها تكوّن الجواهر المعدنيّة منها، ومنها إنباتها النباتات الكثيرة والأشجار العظيمة، ومنها المغارات الحادثة فيها فإنّها مأوى الحيوانات بل بعض الناس. ومنها كونها أسباباً لاهتداء الخلق في طرقهم وسبلهم، ومنها اتّخاذ الأحجار منها للأرحية والأبنية وغيرها، إلى غير ذلك من المنافع الكثيرة الّتي تصل عقول الخلق إلى بعضها وتعجز عن أكثرها. قال الصادق عليه السلام في خبر التوحيد الّذي رواه عنه المفضّل بن عمر: انظر يا مفضّل إلى هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة الّتي يحسبها الغافلون فضلاً لا حاجة إليها، والمنافع فيها كثيرة: فمن ذلك أن يسقط عليها الثلوج، فتبقى في قلالها لمن يحتاج إليه ويذوب ما ذاب منه فتجري منه العيون الغزيرة الّتي تجتمع منها الأنهار العظام، وتنبت فيها ضروب من النبات والعقاقير الّتي لا ينبت منها في السهل، وتكون فيها كهوف ومقائل للوحوش من السباع العادية، ويتّخذ منها الحصون والقلاع المنيعة للتحرّز من الأعداء وينحت منها الحجارة للبناء والأرحاء، وتوجد فيها معادن لضروب من الجواهر، وفيها خلال أُخرى لا يعرفها إلاّ المقدّر لها في سابق علمه.

بيان: «المقائل» كأنّه من القيلولة، وفي بعض النسخ بالغين المعجمة من الغيل وهو الشجر الملتفّ، وفي بعضها «معاقل» جمع معقل وهو الشجر الملتفّ.

الفائدة الرابعة: قالوا في علّة حدوث الزلزلة والرجفة: إذا غلظ البخار وبعض الأدخنة والرياح في الأرض بحيث لا ينفذ في مجاريها لشدّة استحصافها وتكاثفها اجتمع طالباً للخروج ولم يمكنه النفوذ فزلزلت الأرض، وربما اشتدّت الزلزلة فخسفت الأرض فتخرج منه نار لشدّة الحركة الموجبة لاشتعال البخار والدخان لا سيّما إذا امتزجا امتزاجاً مقرّباً إلى الدهنيّة، وربما قويت المادّة على شقّ الأرض فتحدث أصوات هائلة، وربما حدثت الزلزلة من تساقط عوالي وهدات في باطن الأرض فيتموّج بها الهواء المحتقن فيتزلزل بها الأرض، وقليلاً ما تتزلزل بسقوط قلل الجبال عليها لبعض الأسباب. وقد يوجد في بعض نواحي الأرض قوّة كبريتيّة ينبعث منها دخان وفي الهواء رطوبة بخاريّة فيحصل من اختلاط دخان الكبريت بالأجزاء الرطبة الهوائيّة مزاج دهنيّ، وربما اشتعل بأشعّة الكواكب وغيرها فيرى بالليل شعل مضيئة.

وقال شارح المقاصد: قد يعرض لجزء من الأرض حركة بسبب ما يتحرّك تحتها فيحرّك ما فوقه ويسمّى الزلزلة، وذلك إذا تولّد تحت الأرض بخار أو دخان أو ريح أو ما يناسب ذلك وكان وجه الأرض متكاثفاً عديم المسامّ أو ضيّقها جدّاً وحاول ذلك الخروج ولم يتمكّن لكثافة الأرض تحرّك في ذاته وحرّك الأرض، وربما شقّها لقوّته، وقد ينفصل منه نار محرقة وأصوات هائلة لشدّة المحاكّة والمصاكّة، وقد يسمع منها دويّ لشدّة الريح. ولا توجد الزلزلة في الأراضي الرخوة لسهولة خروج الأبخرة وقلّما تكون في الصيف لقلّة تكاثف وجه الأرض. والبلاد الّتي تكثر فيها الزلزلة إذا حفرت فيها آبار كثيرة حتّى كثرت مخالص الأبخرة قلّت الزلزلة. وقد يصير الكسوف سبباً لزلزلة لفقد الحرارة الكائنة عن الشعاع دفعة، وحصول البرد الحاقن للرياح في تجاويف الأرض بالتحصيف بغتة، ولا شكّ أنّ البرد الّذي يعرض بغتة يفعل ما لا يفعل العارض بالتدريج. قال ذلك وأمثاله نقلاً عن الحكماء. ثمّ قال: ولعمري إنّ النصوص الواردة في استناد هذه الآثار إلى القادر المختار قاطعة، وطرق الهدى إلى ذلك واضحة، لكن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور - انتهى -.

وقال بعض من يدّعي اقتفاء آثار الأئمّة الأبرار وعدم الخروج عن مدلول الآيات والأخبار: ولمّا كانت الأبخرة والأدخنة المحتقنة في تجاويف الأرض بمنزلة عروقها وإنّما تتحرّك بقوى روحانيّة ورد في الحديث أنّ الله سبحانه إذا أراد أن يزلزل الأرض أمر الملك أن يحرّك عروقها فيتحرّك بأهلها، وما أشبه ذلك من العبارات على اختلافها، والعلم عند الله - انتهى -.

وأقول: قد عرفت مراراً أنّ تأويل النصوص والآثار والآيات والأخبار بلا ضرورة عقليّة أو معارضات نقليّة جرأة على العزيز الجبّار، ولا نقول في جميع ذلك إلاّ ما ورد عنهم صلوات الله عليهم، وما لم تصل إليه عقولنا نردُّ علم ذلك إليهم.

٣٤ - باب تحريم أكل الطين وما يحل أكله منه

١ - **مجالس الصدوق:** عن الحسين بن أحمد بن إدريس، عن أبيه، عن أحمد بن محمّد ابن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن إسماعيل المنقريّ، عن جدّه زياد بن أبي زياد، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: من أكل الطين فإنّه تقع الحكّة في جسده، ويورثه البواسير، ويهيّج عليه داء السوء، ويذهب بالقوّة من ساقيه وقدميه، وما نقص من عمله في ما بينه وبين صحّته قبل أن يأكله حوسب عليه وعذّب به[1].

مجالس الشيخ: عن أبيه، عن الحسين بن عبيد الله الغضائريّ، عن الصدوق إلى آخر السند مثله[2].

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٣٢٥ مجلس ٦٢ ح ١١. (٢) أمالي الصدوق، ص ٤٣٩ مجلس ١٥ ح ٩٨١.

ثواب الأعمال: عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى مثله[١].

المحاسن: عن عليّ بن الحكم مثله[٢].

٢ - **الخصال:** بإسناده إلى أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام في وصايا النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام: يا عليّ ثلاث من الوسواس: أكل الطين، وتقليم الأظفار بالأسنان وأكل اللحية[٣].

٣ - **ومنه:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن عيسى اليقطينيّ، عن عبيد الله الدهقان، عن درست، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: أربعة من الوسواس: أكل الطين، وفتّ الطين، وتقليم الأظفار بالأسنان وأكل اللحية[٤].

بيان: «من الوسواس» أي من وسوسة الشيطان، أو من الشيطان المسمّى بالوسواس كما قال تعالى ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ قال الجوهريّ: الوسوسة حديث النفس، يقال: وسوست إليه نفسه وسوسة ووسواساً بكسر الواو. والوسواس - بالفتح -: الاسم، و(الوسواس) اسم الشيطان - انتهى -. والحاصل أنّها من الأعمال الشيطانيّة الّتي يولع بها الإنسان ويعسر عليه تركها.

٤ - **العيون:** عن أحمد بن زياد الهمدانيّ، عن عليّ بن إبراهيم، عن ياسر قال: سأل بعض القوّاد أبا الحسن الرضا عليه السلام عن أكل الطين، وقال: إنّ بعض جواريه يأكلن الطين، فغضب ثمّ قال: أكل الطين حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير فانههنّ عن ذلك[٥].

٥ - **مجالس ابن الشيخ:** عن والده، عن عليّ بن محمد بن حشيش عن محمّد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن سعيد، عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن جعفر بن إبراهيم بن ناجية، عن سعد بن سعد الأشعريّ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن الطين الّذي تأكله الناس، فقال: كلّ طين حرام كالميتة والدم وما أُهلّ لغير الله به ما خلا طين قبر الحسين عليه السلام فإنّه شفاء من كلّ داء[٦].

الخرائج: عن ذي الفقار بن معبد الحسنيّ عن الشيخ أبي جعفر الطوسيّ عن ابن حشيش مثله[٧].

٦ - **العلل:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن أبي عبد الله البرقيّ عن

---

(١) ثواب الأعمال، ص ٢٩٣.
(٢) المحاسن، ج ٢ ص ٣٨٨.
(٣) الخصال، ص ١٢٦ باب ٣ ح ١٢٢.
(٤) الخصال، ص ٢٢١ باب ٤ ح ٢٦.
(٥) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ١٨ باب ٣٠ ح ٣٤.
(٦) أمالي الطوسي، ص ٣١٩ مجلس ١١ ح ٩٤.
(٧) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٨٧٢ ح ٨٩.

الحسن بن عليّ، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم من طين فحرّم أكل الطين على ذرّيته[1].

المحاسن: عن الحسن بن عليّ مثله. «ج ٢ ص ٣٨٧».

٧ - **العلل:** عن أبيه، عن أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أبي يحيى الواسطيّ، عن رجل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: الطين حرام أكله كلحم الخنزير، ومن أكله ثمّ مات فيه لم أصلّ عليه، إلاّ طين القبر، فمن أكله شهوة لم يكن فيه شفاء[2].

بيان: رواه الكلينيّ في الكافي عن محمّد بن يحيى بن أحمد بن محمّد؛ وابن قولويه في كامل الزيارة عن الكلينيّ وجماعة من مشايخه بهذا الإسناد، وفيهما: «حرام كلّه - إلى قوله - إلاّ طين القبر، فإنّ فيه شفاء من كل داء، ومن أكله بشهوة لم يكن له فيه شفاء». وعدم صلاته عليه السلام عليه لا ينافي وجوب الصلاة عليه وأمره غيره بالصلاة عليه، وهذا من التأديبات الشرعيّة لانزجار الناس عن مثلها، فإنّ ذلك من أبلغ التعذيرات.

٨ - **العلل:** عن محمّد بن موسى بن المتوكّل، عن عبد الله بن جعفر الحميريّ. عن أحمد ابن محمّد، عن ابن محبوب، عن إبراهيم بن مهزم، عن طلحة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من انهمك في أكل الطين فقد شرك في دم نفسه[3].

المحاسن: عن ابن محبوب مثله. «ج ٢ ص ٣٨٨».

بيان: قال الجوهريّ: انهمك الرجل في الأمر أي جدّ ولجّ.

٩ - **العلل:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن عليّ بن حسان، عن عبد الرحمان بن كثير، عن يحيى بن عبد الله بن الحسن، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أكل طين الكوفة فقد أكل لحوم الناس، لأنّ الكوفة كانت أجمة ثمّ كانت مقبرة ما حولها. وقد قال أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أكل الطين فهو ملعون[4].

بيان: يدلّ على عدم جواز أكل طين قبر أمير المؤمنين عليه السلام وكأنّ هذا التعليل لشدّة حرمة خصوص طين الكوفة وحواليها، ويدلّ على أنّ طين قبر الحسين عليه السلام أيضاً إذا كان من المواضع الّتي يظنّ خلط لحوم الناس وعظامهم به لا يجوز أكله، وأكثر المواضع القريبة سوى ما اتّصل بالضريح المقدّس في تلك الأزمنة كذلك.

١٠ - **العلل:** عن محمّد بن موسى بن المتوكّل، عن عليّ بن الحسين السعدآباديّ عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ، عن عليّ بن الحكم، عن إسماعيل بن محمّد بن أبي زياد عن جدّه زياد، عن أبي جعفر عليه السلام: إنّ من عمل الوسوسة وأكثر مصائد الشيطان أكل الطين. إنّ

---

(١) - (٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٠٥ باب ٣١٧ ح ١-٣.

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٠٧ باب ٣١٧ ح ٤.

أكل الطين يورث السقم في الجسد، ويهيّج الداء، ومن أكل الطين فضعفت قوّته الّتي كانت قبل أن يأكله وضعف عن عمله الّذي كان يعمله قبل أن يأكله حوسب على ما بين ضعفه وقوّته وعذّب عليه[١].

ثواب الأعمال: عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم مثله[٢].

المحاسن: عن عليّ بن الحكم مثله. «ج ٢ ص ٣٨٨».

بيان: في الكافي وغيره: عن إسماعيل بن محمّد عن جدّه زياد بن أبي زياد. وفي الكافي: أنّ التمنّي عمل الوسوسة وأكثر مكائد الشيطان. وكأنَّ ما في سائر النسخ أظهر، وفي المحاسن (أكبر) بالباء الموحّدة.

١١ - **كامل الزيارة:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفّار عن عباد بن سليمان، عن سعد بن سعد، قال: سألت أبا الحسن عليه‌السلام عن الطين. قال: فقال: أكل الطين حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير، إلاّ طين قبر الحسين عليه‌السلام فإنّ فيه شفاءً من كلّ داء وأمناً من كلّ خوف[٣].

١٢ - **ومنه:** عن محمّد بن أحمد بن يعقوب، عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن أحدهما عليه‌السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم من الطين فحرّم الطين على ولده. قال: فقلت: ما تقول في طين قبر الحسين عليه‌السلام؟ فقال: يحرم على الناس أكل لحومهم ويحلّ لهم أكل لحومنا؟ ولكن الشيء [اليسير] منه مثل الحمصة[٤].

١٣ - **ومنه:** روي عن سماعة بن مهران، عن أبي عبد الله عليه‌السلام قال: كلّ طين محرّم على ابن آدم ما خلا طين قبر أبي عبد الله عليه‌السلام من أكله من وجع شفاه الله[٥].

١٤ - **المحاسن:** عن عثمان بن عيسى، عن طلحة بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه‌السلام قال: أكل الطين يورث النفاق[٦].

١٥ - **ومنه:** عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه‌السلام قال: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: من أكل الطين فمات فقد أعان على نفسه[٧].

١٦ - **ومنه:** عن ابن فضّال، عن ابن القدّاح، عن أبي عبد الله عن أبيه عليه‌السلام قال: قيل لعليّ عليه‌السلام في رجل يأكل الطين، فنهاه وقال: لا تأكله، فإنّك إن أكلته ومتّ فقد أعنت على نفسك[٨].

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٠٧ باب ٣١٧ ح ٥. (٢) ثواب الأعمال، ص ٢٩٣.

(٣) - (٥) كامل الزيارات، ص ٤٧٨ باب ٩٥ ح ٢-٤.

(٦) - (٨) المحاسن، ج ٢ ص ٣٨٧-٣٨٨ ح ٢٣٦٩-٢٣٧١.

١٧ - **ومنه:** عن محمّد بن عليّ، عن كلثم بنت مسلم، قالت: ذكر الطين عند أبي الحسن عليه‌السلام فقال: أترين أنّه ليس من مصائد الشيطان؟! إنّه من مصائده الكبار وأبوابه العظام[١].

١٨ - **المكارم:** سئل أبو عبد الله عليه‌السلام عن طين الأرمني يؤخذ للكسير والمبطون أيحلّ أخذه؟ قال: لا بأس به، أما إنّه من طين قبر ذي القرنين، وطين قبر الحسين عليه‌السلام خير منه[٢].

المتهجد: عن محمّد بن جمهور العمّيّ عن بعض أصحابه عنه عليه‌السلام مثله[٣].

دعوات الراوندي: عنه عليه‌السلام مثله.

١٩ - وروى سدير عن الصادق عليه‌السلام أنه قال: من أكل طين قبر الحسين عليه‌السلام غير مستشف به فكأنّما أكل من لحومنا[٤].

٢٠ - **طب الأئمة:** عن بشر بن عبد الحميد الأنصاريّ، عن الحسن بن عليّ الوشّاء، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي حمزة الثماليّ، عن أبي جعفر عليه‌السلام أنّ رجلاً شكى إليه الزحير، فقال له: خذ من الطين الأرمنيّ وأغله بنار ليّنة واستسفّ منه فإنّه يسكن عنك[٥].

٢١ - وعنه عليه‌السلام أنّه قال في الزحير: تأخذ جزءً من خرّبق أبيض، وجزءً من بزر القطونا، وجزءً من صمغ عربيّ، وجزءً من الطين الأرمنيّ يغلى بنار ليّنة وتستسفّ منه[٦].

٢٢ - **كامل الزيارة:** عن محمّد بن الحسن بن عليّ بن مهزيار، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن مهزيار، عن الحسن بن سعيد، عن عبد الله الأصم، عن ابن أبي عمير، عن أبي حمزة الثماليّ: عن أبي عبد الله عليه‌السلام في حديثه أنّه سئل عن طين الحائر: هل فيه شيء من الشفاء؟ فقال: يستشفى ما بينه وبين القبر على رأس أربعة أميال، وكذلك قبر جدّي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وكذلك طين قبر الحسن وعليّ ومحمّد، فخذ منها فإنّها شفاء من كلّ داء وسقم، وجُنّة ممّا تخاف، ولا يعدلها شيء من الأشياء الّذي يستشفى بها إلاّ الدعاء. وإنّما يفسدها ما يخالطها من أوعيتها وقلّة اليقين لمن يعالج بها - وذكر الحديث إلى أن قال: - ولقد بلغني أنّ بعض من يأخذ من التربة شيئاً يستخفّ بها حتّى أنّ بعضهم يضعها في مخلاة البغل والحمار وفي وعاء الطعام والخرج! فكيف يستشفي به من هذا حاله عنده؟![٧]

بيان: أقول: قال الشيخ البهائيّ - قدّس الله روحه - في الكشكول: ممّا نقله جدّي من خطّ السيّد الجليل الطاهر ذي المناقب والمفاخر السيّد رضيّ الدين عليّ بن طاوس - قدّس

---

(١) المحاسن، ج ٢ ص ٣٨٨ ح ٢٣٧٢.
(٢) مكارم الأخلاق، ص ٣٦٢.
(٣) مصباح المتهجد، ص ٥١٠.
(٤) الدعوات للراوندي، ص ٢١١ و ٢١٣.
(٥) - (٦) طب الأئمة، ص ٦٥-٦٦.
(٧) كامل الزيارات، ص ٤٧٠ باب ٩٣ ح ٥.

سرّه - من الجزء الثاني من كتاب الزيارات لمحمّد بن أحمد بن داود القميّ أنّ أبا حمزة الثماليّ قال للصادق عليه السلام: إني رأيت أصحابنا يأخذون من طين قبر الحسين عليه السلام يستشفون؟ فهل في ذلك شيء ممّا يقولون من الشفاء؟ فقال: يستشفى ما بينه وبين القبر على رأس أربعة أميال، وكذلك قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك قبر الحسن وعليّ ومحمّد. فخذ منها فإنّها شفاء من كلّ سقم، وجنّة ممّا يخاف. ثمّ أمر بتعظيمها وأخذها باليقين بالبرء ويختمها إذا أُخذت - انتهى -(١).

وأقول: هذا الخبر بهذين السندين يدلّ على جواز الاستشفاء بطين قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسائر الأئمة عليهم السلام ولم يقل به أحد من الأصحاب ومخالف لسائر الأخبار عموماً وخصوصاً، ويمكن حمله على الاستشفاء بغير الأكل كحملها والتمسّح بها وأمثال ذلك. والمراد بعليّ إمّا أمير المؤمنين أو السجّاد وبمحمّد الباقر عليه السلام ويحتمل الرسول صلى الله عليه وآله تأكيداً وإن كان بعيداً.

٢٣ - **المتهجد:** عن حنان بن سدير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: من أكل طين قبر الحسين عليه السلام غير مستشف به فكأنّما أكل من لحومنا - الحديث -(٢).

٢٤ - قال: وروي أنّ رجلاً سأل الصادق عليه السلام فقال: إنّي سمعتك تقول: إنّ تربة الحسين عليه السلام من الأدوية المفردة، وإنّها لا تمرّ بداء إلاّ هضمته. فقال: قد قلت ذلك، فما بالك؟ قلت: إنّي تناولتها فما انتفعت بها. قال: أما إنّ لها دعاءً فمن تناولها ولم يدع به واستعملها لم يكد ينتفع بها. قال: فقال له: ما يقول إذا تناولها؟ قال: تقبّلها قبل كلّ شيء وتضعها على عينيك، ولا تناول أكثر من حمصة. فإنّ من تناول أكثر من ذلك فكأنّما أكل من لحومنا ودمائنا، فإذا تناولت فقل - وذكر الدعاء -(٣).

٢٥ - **العيون:** عن تميم بن عبد الله القرشيّ، عن أبيه، عن أحمد بن عليّ الأنصاري، عن سليمان بن جعفر البصريّ عن عمرو بن واقد، عن المسيّب بن زهير، عن موسى بن جعفر عليه السلام أنّه أخبره بموته ودفنه وقال: لا ترفعوا قبري فوق أربع أصابع مفرّجات، ولا تأخذوا من تربتي شيئاً لتتبرّكوا به، فإنّ كلّ تربة لنا محرّمة إلاّ تربة جدّي الحسين بن عليّ عليه السلام فإنّ الله عزّ وجلّ جعلها شفاء لشيعتنا وأوليائنا - الخبر -(٤).

٢٦ - **كامل الزيارة:** عن محمّد بن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، عن عليّ بن محمّد بن سالم عن محمّد بن خالد، عن عبد الله بن حمّاد، عن الأصمّ، عن مدلج، عن محمّد بن مسلم في حديث أنّه كان مريضاً فبعث إليه أبو عبد الله عليه السلام بشراب فشربه، فكأنّما نشط من عقال،

---

(١) الكشكول، ج ١ ص ١٢٦. (٢) - (٣) مصباح المتهجد، ص ٥١٠-٥١١.
(٤) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٩٦ باب ٨ ح ٦.

فدخل عليه فقال: كيف وجدت الشراب؟ فقال: لقد كنت آيساً من نفسي فشربته فأقبلت إليك فكأنّما نشطت من عقال فقال: يا محمّد إنّ الشراب الّذي شربته كان فيه من طين قبور آبائي، وهو أفضل ما تستشفي به، فلا تعدل به، فإنّا نسقيه صبياننا ونساءنا فنرى منه كلّ الخير(١).

بيان: يدلّ الخبر على جواز إدخال التربة في الأدوية الّتي يستشفى بها، والأحوط أن لا يكون الداخل فيما يشربه أكثر من الحمّصة. وإنّما قلنا الأحوط في ذلك لأنّ في دخول التراب والطين في المأكولات مع استهلاكها فيها يشكل الحكم بالحرمة كما سنشير إليه.

٢٧ - **معاني الأخبار:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ، عن المعاذيّ، عن معمر، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له ما يروي الناس في الطين وكراهته، قال: إنّما ذلك المبلول وذلك المدر(٢).

٢٨ - وروي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن أكل المدر. حدّثني بذلك محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفّار عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي(٣).

بيان: ظاهر الخبر الأوّل أنّ حرمة الطين مخصوصة بالطين المبلول دون المدر اليابس كما فهمه الصدوق ظاهراً، وهذا ممّا لم يقل به صريحاً أحد، ويمكن أن يحمل على أنّ المعنى أنّ المحرّم إنّما هو المبلول والمدر لا غيرهما ممّا يستهلك في الدبس ويقع على الثمار وسائر المطعومات، وعلى هذا فالحصر إمّا إضافيّ بالنسبة إلى ما ذكرنا أو المراد بالمدر ما يشمل التراب أيضاً. ويحتمل أن يكون إلزاماً على المخالفين النافين للاستشفاء بتربة الحسين عليه السلام بأنّ ما استدللتم من الأخبار على تحريم الطين ظاهرها المبلول وإطلاقه على غيره مجاز فلا يمكنكم الاستدلال بها على تحريم التراب والمدر وعلى التقادير الكراهة محمولة على الحرمة. وقال المحدّث الاسترآباديّ: إنّما المكروه ذاك الطين المتعارف بين الناس مبلوله ويابسه لا طين الحسين عليه السلام - انتهى -.

وأقول: مع قطع النظر عن الشهرة بين الأصحاب بل إجماعهم على تعميم التحريم لم يبعد القول بتخصيصه بالمبلول، إذ الظاهر أنّ الطين في اللغة حقيقة في المبلول، وأكثر الأخبار إنّما ورد بلفظ الطين، وهذا الخبر ظاهره الاختصاص. وقال الراغب في المفردات: الطين؛ التراب والماء المختلط به، وقد يسمّى بذلك وإن زال عنه قوّة الماء - انتهى -. لكن استثناء طين الحسين عليه السلام منه ممّا يؤيّد التعميم، فإنّه معلوم أنّه ليس الاستشفاء بخصوص المبلول، بل الغالب عدمه. وعلى أيّ حال لا محيص عن العمل بما هو المشهور في ذلك.

قال المحقّق الأردبيليّ - قدّس سرّه - الظاهر أنّه لا خلاف في تحريم الطين، وظاهر اللفظ عرفاً ولغةً أنّه تراب مخلوط بالماء. ويؤيّده صحيحة معمر بن خلاّد - وذكر الخبر ثمّ

---

(١) كامل الزيارات، ص ٤٦٢ باب ٩١ ح ٧. (٢) - (٣) معاني الأخبار، ص ٢٦٣-٢٦٤.

قال - وهذه تدلّ على أنّه بعد اليبوسة أيضاً حرام ولا يشترط بقاء الرطوبة ولكن لا بدّ أن يكون ممتزجاً فلا يحرم غير ذلك للأصل والعمومات وحصر المحرّمات والمشهور بين المتفقّهة أنّه يحرم التراب والأرض كلّها حتّى الرمل والأحجار. قال في المسالك: المراد به ما يشمل التراب والمدر لما فيه من الإضرار بالبدن. والضرر مطلقاً غير واضح، ولعلّ وجه المشهور أنّه إذا كان الطين حراماً وليس فيه إلاّ الماء والتراب ومعلوم عدم تحريم الماء ولا معنى لتحريم شيء بسبب انضمام محلّل، فلو لم يكن التراب محرَّماً لم يكن الطين كذلك، وإنّما التراب جزء الأرض فيكون كلّها حراماً. وفيه تأمّل واضح فتأمّل ولا تترك الاحتياط - انتهى -.

وأقول: الوجه الّذي حمل الخبر عليه غير ما ذكرنا، ومع احتمال تلك الوجوه بل أظهريّة بعضها يشكل الاستدلال بهذا الوجه، ثمّ الحكم بتحريم ما سوى الطين والتراب من أجزاء الأرض كالحجارة والياقوت والزبرجد وأنواع المعادن ممّا لا وجه له، والآيات والأخبار دالّة على أنّ الأصل في الأشياء الحلّ، ولم يرد خبر بتحريم هذه الأشياء، وقياسها على التراب باطل. وأمّا المستثنى منه وهو حلّ طين قبر الحسين عليه السلام فالظاهر أنّه لا خلاف في حلّه في الجملة، وإنّما الكلام في شرائطه وخصوصيّاته ولنشر إليها وإلى بعض الأحكام المستفادة من الأخبار:

الأوّل: المكان الّذي يؤخذ منه التربة. ففي بعض الأخبار «طين القبر» وهي تدلّ ظاهراً على أنّه التربة المأخوذة من المواضع القريبة ممّا جاور القبر، وفي بعضها «طين حائر» الحسين عليه السلام فيدلّ على جواز أخذه من جميع الحائر وعدم دخول ما خرج منه. وفي بعضها «عشرون ذراعاً مكسرة» وهو أضيق، وفي بعضها «خمسة وعشرون ذراعاً من كلّ جانب من جوانب القبر» وفي بعضها «يؤخذ طين قبر الحسين عليه السلام من عند القبر على سبعين ذراعاً» وفي بعضها «فيه شفاء وإن أخذ على رأس ميل» وفي بعضها «البركة من قبره عليه السلام على عشرة أميال» وفي بعضها «حرم الحسين عليه السلام فرسخ في فرسخ من أربع جوانب القبر» وفي بعضها حرمه عليه السلام خمس فراسخ في أربع جوانبه. وجمع الشيخ رحمه الله ومن تأخّر عنه بينها بالحمل على اختلاف مراتب الفضل وتجويز الجميع، وهو حسن، والأحوط في الأكل أن لا يجاوز الميل بل السبعين، وكلّما كان أقرب كان أحوط وأفضل. قال المحقّق الأردبيليّ - طيّب الله تربته - وأمّا المستثنى فالمشهور أنّه تربة الحسين عليه السلام فكلّ ما يصدق عليه التربة يكون مباحاً ومستثنى، وفي بعض الروايات طين قبر الحسين عليه السلام فالظاهر أنّ الّذي يؤخذ من القبر الشريف حلال، ولمّا كان الظاهر عدم إمكان ذلك دائماً فيمكن دخول ما قرب منه وحواليه فيه أيضاً. ويؤيّده ما ورد في بعض الأخبار «طين الحائر» وفي بعض «على سبعين ذراعاً» وفي بعض «على عشرة أميال» - انتهى -.

الثاني: شرائط الأخذ. فقد ورد في بعض الأخبار شرائط كثيرة من الغسل والصلاة والدعاء والوزن المخصوص، كما سيأتي في كتاب المزار إن شاء الله تعالى. ولمّا كان أكثر

الأخبار الواردة في ذلك خالية عن ذكر هذه الشروط والآداب فالظاهر أنّها من مكمّلات فضلها وتأثيرها، ولا يشترط الحلّ بها كما هو المشهور بين الأصحاب. قال المحقّق الأردبيليّ ﷺ: الأخبار في جواز أكلها للاستشفاء كثيرة، والأصحاب مطبقون عليه، وهل يشترط أخذه بالدعاء وقراءة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾؟ ظاهر بعض الروايات في كتب المزار ذلك، بل مع شرائط أخرى حتّى ورد أنّه قال شخص: إنّي أكلت وما شفيت، فقال عليه السلام له: افعل كذا وكذا. وورد أيضاً أنّ له غسلاً وصلاة خاصّة والأخذ على وجه خاصّ وربطه وختمه بخاتم يكون نقشه كذا، ويكون أخذه مقداراً خاصّاً، ويحتمل أن يكون ذلك لزيادة الشفاء وسرعته وتبقيته لا مطلقاً، فيكون مطلقاً جائزاً كما هو المشهور، وفي كتب الفقه مسطور.

الثالث: ما يؤكل له، ولا ريب في أنّه يجوز للاستشفاء من مرض حاصل وإن ظنّ إمكان المعالجة بغيره من الأدوية. والظاهر الأمراض الجسمانيّة أيّ مرض كان وربما يوسّع بحيث يشمل الأمراض الروحانيّة، وفيه إشكال. وأمّا الأكل بمحض التبرّك فالظاهر عدم الجواز للتصريح به في بعض الأخبار وعموم بعضها، لكن ورد في بعض الأخبار جواز إفطار العيد به وإفطار يوم عاشوراء أيضاً به، وجوّزه فيهما بعض الأصحاب ولا يخلو من قوّة، والاحتياط في الترك إلاّ أن يكون له مرض يقصد الاستشفاء به أيضاً. قال المحقّق الأردبيليّ ﷺ: ولا بدّ أن يكون بقصد الاستشفاء وإلاّ فيحرم ولم يحصل له الشفاء كما في رواية أبي يحيى ويدلّ عليه غيرها أيضاً. وقد نقل أكله يوم عاشوراء بعد العصر وكذا الإفطار بها يوم العيد ولم تثبت صحّته فلا يؤكل إلاّ للشفاء - انتهى -. وقال ابن فهد - قدّس سرّه -: ذهب ابن إدريس إلى تحريم التناول إلاّ عند الحاجة، وأجاز الشيخ في المصباح الإفطار عليه في عيد الفطر، وجنح العلاّمة إلى قول ابن إدريس لعموم النهي عن أكل الطين مطلقاً، وكذا المحقّق في النافع، ثمّ قال: يحرم التناول إلاّ عند الحاجة عند ابن إدريس ويجوز على قصد الاستشفاء والتبرّك وإن لم يكن هناك ضرورة عند الشيخ.

الرابع: المقدار المجوّز للأكل. والظاهر أنّه لا يجوز التجاوز في كلّ مرّة عن قدر الحمّصة وإن جاز التكرار إذا لم يحصل الشفاء بالأوّل، وقد مرّ التصريح بهذا المقدار في الأخبار، وكأنّ الأحوط عدم التجاوز عن مقدار عدسة لما رواه الكلينيّ عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ الناس يروون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ العدس بارك عليه سبعون نبيّاً. فقال: هو الّذي تسمّونه عندكم الحمّص ونحن نسمّيه العدس. وفي الصحيح عن رفاعة، عنه عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ لمّا عافى أيّوب عليه السلام نظر إلى بني إسرائيل قد ازدرعت، فرفع طرفه إلى السماء فقال: إلهي وسيّدي، عبدك أيّوب المبتلى عافيته ولم يزدرع شيئاً وهذا لبني إسرائيل زرع، فأوحى الله إليه: يا أيّوب خذ من سبحتك كفّاً فابذره، وكانت سبحته فيها ملح، فأخذ أيّوب

كفّاً منها فبذره فخرج هذا العدس وأنتم تسمّونه الحمّص ونحن نسمّيه العدس لأنّهما يدلاّن على أنّه يطلق الحمّص على العدس أيضاً فيمكن أن يكون المراد بالحمّصة في تلك الأخبار العدسة. لكنّ العدول عن الحقيقة لمحض إطلاقه في بعض الأخبار على غيره غير موجّه، مع أنّ ظاهر الخبرين أنّهم عليهم السلام كانوا يسمّون الحمّصة عدسة لا العكس، فتأمّل، وكذا فهمهما الكلينيّ حيث أوردهما في باب الحمّص لا العدس.

الخامس: الطين الأرمنيّ هل يجوز الاستشفاء به واستعماله في الأدوية؟ فقيل: نعم، لأنّه ورد في الأخبار المؤيّدة بعمومات دلائل حلّ المحرّمات عند الاضطرار، وقيل: لا، لعدم صلاحية تلك الأخبار لتخصيص أخبار التحريم، وقد ورد المنع عن التداوي بالحرام، والأكثر لم يعتنوا بهذه الأخبار، وجعلوا الخلاف فيه فرعاً للخلاف في جواز التداوي بالحرام وعدمه، ولذا ألحقوا به الطين المختوم وإن لم يرد فيه خبر. قال المحقّق - روّح الله روحه - في الشرائع: وفي الأرمنيّ رواية بالجواز حسنة لما فيه من المنفعة المضطرّ إليها. وقال الشهيد الثاني - نوّر الله ضريحه -: موضع التحريم في تناول الطين ما إذا لم يدع إليه حاجة، فإنّ في بعض الطين خواصّ ومنافع لا تحصل في غيره، فإذا اضطرّ إليه لتلك المنفعة بإخبار طبيب عارف يحصل الظنّ بصدقه جاز تناول ما تدعو إليه الحاجة لعموم قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ وقد وردت الرواية بجواز تناول الأرمنّي وهو طين مخصوص يجلب من أرمنيّة تترتّب عليه منافع خصوصاً في زمن الوباء وللإسهال وغيره ممّا هو مذكور في كتب الطبّ ومثله الطين المختوم، وربما قيل بالمنع لعموم ما دلّ على تحريم الطين، وقوله صلى الله عليه وآله «ما جعل شفاؤكم في ما حرّم عليكم» وقوله صلى الله عليه وآله «لا شفاء في محرّم» وجوابه أنّ الأمر عامّ مخصوص بما ذكر. وقوله صلى الله عليه وآله «لا ضرر ولا ضرار» والخبران نقول بموجبهما لأنّا نمنع من تحريمه حال الضرورة، والمراد: ما دام محرّماً، وموضع الخلاف ما إذا لم يخف الهلاك وإلاّ جاز بغير إشكال - انتهى -. وسيأتي تمام الكلام في التداوي بالحرام في بابه إن شاء الله تعالى. وقال ابن فهد رحمه الله: الطين الأرمنيّ إذا دعت الضرورة إليه عيناً جاز تناوله خاصّة دون غيره، وقيل: إنّه من طين قبر إسكندر. والفرق بينه وبين التربة من وجوه: الأوّل أنّ التربة يجوز تناولها لطلب الاستشفاء من الأمراض وإن لم يصفها الطبيب بل وإن حذّر منها، والأرمنيّ لا يجوز تناوله إلاّ أن يكون موصوفاً. الثاني أنّ التربة لا يتجاوز منها قدر الحمّصة، وفي الأرمنيّ يباح القدر الّذي تدعو إليه الحاجة وإن زاد عن ذلك. الثالث أنّ التربة محترمة لا يجوز تقريبها من النجاسة وليس كذلك الأرمنيّ.

المتهجد: يستحبّ صوم هذا العشر، فإذا كان يوم العاشر أمسك عن الطعام والشراب إلى بعد العصر، ثمّ يتناول شيئاً يسيراً من التربة(١).

---

(١) مصباح المتهجد، ص ٥٣٥.

٢٩ - **الإقبال:** روينا بإسنادنا إلى محمّد بن يعقوب الكلينيّ بإسناده إلى عليّ بن محمّد بن سليمان النوفليّ، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إنّي أفطرت يوم الفطر على طين وتمر، قال لي: جمعت بركة وسنّة. قال السيّد رحمه الله: يعني بذلك التربة المقدّسة على صاحبها السلام[١].

٣٠ - **دعائم الإسلام:** عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه نهى عن أكل الطين وقال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم من طين فحرّم أكل الطين على ذرّيّته. ومن أكل الطين فقد أعان على نفسه، ومن أكله فمات لم أصلّ عليه[٢].

٣١ - وقال جعفر بن محمّد عليه السلام: أكل الطين يورث النفاق[٣].

٣٥ - باب المعادن وأحوال الجمادات والطبائع وتأثيراتها وانقلابات الجواهر وبعض النوادر

الآيات: الحجر: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ﴾ «١٩».

النحل: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

الإسراء: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ «٤٤».

الأنبياء: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾. وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ﴾.

الحج: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ﴾ «١٨».

سبأ: ﴿۞وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ﴾ «١٢».

فاطر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ «٤١».

ص: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾﴾. وقال سبحانه: ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾.

الحديد: ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ «٢٥».

---

(١) إقبال الأعمال، ص ٥٨٦. (٢) - (٣) دعائم الإسلام، ج ٢ ص ٩٣.

تفسير: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ قيل: استفهام إنكار، أي قد رأوا أمثال هذه الصنائع، فما بالهم لم يتفكّروا ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه؟! و(ما) موصولة مبهمة بيانها: ﴿يَتَفَيَّؤُا ظِلَٰلُهُۥ﴾ أي أولم ينظروا إلى المخلوقات الّتي لها ظلال متفيّئة ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ أي عن أيمانها وشمائلها، أي جانبي كلّ واحد منها، استعارة عن يمين الانسان وشماله، ولعلّ توحيد اليمين وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾ وجمعه في قوله ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ وهما حالان عن الضمير في ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾ والمراد من السجود الانقياد والاستسلام، سواء كان بالطبع أو بالاختيار، يقال: سجدت النخلة: إذا مالت لكثرة الحمل؛ وسجد البعير إذا طأطأ رأسه ليركب. وقال الشاعر:

ترى الأُكم فيها سجّداً للحوافر

و﴿سُجَّدًا﴾ حال من الظلال ﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ من الضمير، والمعنى: يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب إلى جانب منقادة لما قدّر لها من التفيّؤ، أو واقعة على الأرض ملتصقة بها كهيئة الساجد، والأجرام في أنفسها أيضاً داخرة أي صاغرة منقادة لأفعال الله فيها. وجمع ﴿دَٰخِرُونَ﴾ لأنّ من جملتها من يعقل، أو لأنّ الدخور من أوصاف العقلاء. وقيل: المراد باليمين والشمائل عن يمين الفلك وهو جانبه الشرقيّ، لأنّ الكوكب يظهر منه آخذه في الارتفاع والسطوع، وشماله هو الجانب الغربيّ المقابل له، فإنّ الأظلال في أوّل النهار تبتدىء من المشرق واقعة على الربع الغربيّ من الأرض، وعند الزوال تبتدىء من المغرب واقعة على الربع الشرقيّ من الأرض كما ذكره البيضاويّ وغيره[1].

وقال بعضهم: كان الحسن يقول: أمّا ظلّك فيسجد لربّك وأمّا أنت فلا تسجد لربّك! بئس ما صنعت. وعن مجاهد: ظلّ الكافر يصلّي وهو لا يصلّي. وقيل: ظلّ كلّ شيء يسجد لله سواء كان ذلك ساجداً لله أم لا.

وقال الطبرسيّ رحمه الله وقيل: إنّ المراد بالظلّ هو الشخص بعينه، قال الشاعر «كأنّ في أظلالهنّ الشمس» أي في أشخاصهنّ، فعلى هذا يكون تأويل الظلال في الآية تأويل الأجسام الّتي عنها الظلال ﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ أي أذلّة صاغرون، قد نبّه الله سبحانه بهذا على أنّ جميع الأشياء تخضع له بما فيها من الدلالة على الحاجة إلى واضعها ومدبّرها بما لولاه لبطلت ولم يكن لها قوام طرفة عين فهي في ذلك كالساجد من العباد بفعله الخاضع بذلّه - انتهى[2]-. وقال النيسابوريّ في تأويلها بعد تفسيرها بما مرّ: ﴿إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ هو عالم الأجسام، فإنّ عالم الأرواح خلق من لا شيء ﴿يَتَفَيَّؤُا ظِلَٰلُهُۥ﴾ فإنّ الأجسام ظلال الأرواح، فتارة تميل بعمل أهل السعادة إلى أصحاب اليمين، وأخرى تميل بعمل أهل

(١) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٤٠٥. (٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ١٦٣.

الشقاء إلى أصحاب الشمال ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ منقادين لأمره مسخّرين لما خلقوا لأجله، وإنّما وحّد اليمين وجمع الشمائل لكثرة أصحاب الشمال، وسجود كلّ موجود يناسب حاله كما أنّ تسبيح كلّ منهم يلائم لسانه - انتهى(١) -.

وأقول: ويحتمل أن يكون المراد بظلاله مثاله على القول بعالم المثال كما مرّ تحقيقه أو روحه كما عبّر في الأخبار الكثيرة عن عالم الأرواح بالظلال، فالمراد بالتفيّؤ عن اليمين ميلهم إلى السعادة والتشبّه بأصحاب اليمين، وبالشمائل خلافه. وهذا كلام على سبيل الاحتمال في مقابلة ما ذكروه من ذلك، والله يعلم تفسير كلامه وحججه الكرام عليهم السلام.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ قال الرازيّ: قد ذكرنا أنّ السجود على نوعين: سجود هو عبادة كسجود المسلمين لله تعالى، وسجود هو عبارة عن الانقياد والخضوع، ويرجع حاصل هذا السجود إلى أنّها في أنفسها ممكنة الوجود والعدم قابلة لهما، لأنّه لا يرجح أحد الطرفين على الآخر إلاّ لمرجّح. إذا عرفت هذا فنقول: من الناس من قال: المراد بالسجود المذكور في هذه الآية السجود بالمعنى الثاني وهو التواضع والانقياد والدليل عليه أنّ اللائق بالدابّة ليس إلاّ هذا السجود، ومنهم من قال: المراد بالسجود ههنا هو المعنى الأوّل، لأنّ اللائق بالملائكة هو السجود بهذا المعنى، لأنّ السجود بالمعنى الثاني حاصل في كلّ الحيوانات والنباتات والجمادات. ومنهم من قال: السجود لفظ مشترك بين المعنيين، وحمل اللفظ المشترك لإفادة مجموع معنييه جائز، فحمل لفظ السجود في هذه الآية على الأمرين معاً، أمّا في حقّ الدابّة فبمعنى التواضع، وأمّا في حقّ الملائكة فبمعنى سجود المسلمين لله تعالى. وهذا القول ضعيف لأنّه ثبت أنّ استعمال اللفظ المشترك لإفادة جميع مفهوماته معاً غير جائز. قوله ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ قال الأخفش: يريد من الدوابّ، وقال ابن عبّاس: يريد كلّ ما دبّ على الأرض. فإن قيل: ما الوجه في تخصيص الدوابّ والملائكة بالذكر؟ قلنا: فيه وجوه: **الأول:** أنّه تعالى بيّن في آية الظلال أنّ الجمادات بأسرها منقادة لله تعالى، لأنّ أخسّها الدوابُّ وأشرفها الملائكة، فلمّا بيّن في أخسّها وأشرفها كونها منقادة لله تعالى وبيّن بهذه الآية أنّ الحيوانات بأسرها منقادة لله تعالى كان ذلك دليلاً على أنّها بأسرها منقادة خاضعة لله تعالى.

والوجه الثاني: قال حكماء الاسلام: الدابّة اشتقاقها من الدبيب، والدبيب عبارة عن الحركة الجسمانيّة، فالدابّة اسم لكلّ حيوان جسمانيّ يتحرّك ويدبّ فلمّا ميّز الله الملائكة من الدابّة علمنا أنّها ليست ممّا يدبّ بل هي أرواح محضة مجرّدة. ويمكن الجواب عنه بأنّ الطير بالجناح مغاير للدبيب بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ - انتهى -.

---

(١) تفسير فخر الرازي، ج ٢٠ ص ٢٤٣.

وأقول: التخصيص بعد التعميم أيضاً شائع كعطف جبرئيل على الملائكة كما ذكره البيضاويّ، وما ذكره من عدم جواز استعمال المشترك في معنيه على تقدير تسليمه لا حاجة في التعميم على حمله على ذلك، بل يمكن حمله على معنى الانقياد والتواضع، وهو يشمل الانقياد لإرادته وتأثيره طبعاً، والانقياد لتكليفه وأمره طوعاً كما حمل عليه البيضاويّ. وقال بعضهم: هذه الآية تدلّ على أنّ العالم كلّه في مقام الشهود والعبادة إلاّ كلّ مخلوق له قوّة التفكّر، وليس إلاّ النفوس الناطقة الإنسانيّة والحيوانيّة خاصّة من حيث أعيان أنفسهم لا من حيث هياكلهم، فإنّ هياكلهم كسائر العالم في التسبيح له والسجود، فأعضاء البدن كلّها مسبّحة ناطقة، ألا تراها تشهد على النفوس المسخّرة لها يوم القيامة من الجلود والأيدي والأرجل والألسنة والسمع والبصر وجميع القوى، فالحكم لله العليّ الكبير - انتهى -.

وأقول: والأرواح والنفوس أيضاً لها جهتان: فمن جهة مسخّرة منقادة لربّها في جميع ما أراد منها، ومن جهة أخرى عاصية مخالفة لربّها، بل من هذه الجهة أيضاً مسخّرة ساجدة خاضعة لإرادة ربّها حيث أقدرها على ما أرادت، ودالّة على وجود صانعها الّذي جعلها مختارة مريدة قادرة على الإتيان بما أرادت، فهي من هذه الجهة أيضاً مسبّحة لربّها ذاكرة لها دالّة عليها منادية بلسان حالها من جهة إمكانها وحدوثها وافتقارها بأنّ لي ربّاً جعلني مريداً مختاراً لحكمته وكماله وعنايته الأزليّة كما قال بعض العارفين بالفارسيّة «عين إنكار منكر إقراراست» والكلام في هذا المقام دقيق لا يمكن إجراء أكثر من ذلك منه على الأقلام، ويصعب دركها على الأفهام، وقد أومأت إلى شيء منه في شرح كتاب توحيد الكافي في توضيح أخبار إرادة الله تعالى وبيان معانيها.

قوله سبحانه ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ قال النيسابوريّ: قالت العقلاء: تسبيح الحيّ المكلّف يكون تارة باللسان بأن يقول «سبحان الله» وأخرى بدلالة أحواله على وجود الصانع الحكيم، وتسبيح غيره لا يكون إلاّ من القبيل الثاني. وقد تقرّر في الأصول أنّ اللفظ المشترك لا يحمل على معنيه معاً في حالة واحدة، فتعيّن التسبيح ههنا على المعنى الثاني ليشمل الكلّ. هذا ما عليه المحقّقون، وأورد عليه: أنّه لو كان المراد بالتسبيح ما ذكرتم لم يقل ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ لأنّ التسبيح بهذا الوجه مفقوه معلوم. وأجيب: بأن دلالة كلّ شيء على وجود الصانع معلومة على الإجمال دون التفصيل، فإنّك إذا أخذت تفّاحة واحدة فلا شكّ أنّها مركّبة من أجزاء لا تتجزّأ ولكن عدد تلك الأجزاء وصفة كلّ منها من الطبع والطعم واللون والحيّز والجهة وغيرها لا يعلمها إلاّ الله. وأيضاً الخطاب للمشركين وأنّهم وإن كانوا مقرّين بالخالق إلاّ أنّهم أثبتوا شريكاً وأنكروا قدرته على البعث والإعادة ولم ينظروا في المعجزات الدالّة على نبوّة محمد ﷺ فكأنّهم لم يفقهوا التسبيح، إذ لم يتوسّلوا به إلى نتيجة النظر الصحيح، ولهذا ختم الآية بقوله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ حين لم يعاجلكم بالعقوبة على

غفلتكم وسوء نظركم. وزعم بعض الظاهريّين أنّ ما سوى الحيّ المكلّف يسبّح لله تعالى باللسان أيضاً، كلٌّ بلغته ولسانه الّذي لا نعرفه نحن ولا نفقهه. وزعم أيضاً أنّ الحيوان إذا ذبح لا يسبّح، وكذا غصن الشجرة إذا كسر. فأورد عليه أنّ كونه جماداً لا يمنع من كونه مسبّحاً فكيف صار ذبح الحيوان مانعاً عن التسبيح وكذا كسر الغصن؟ ويمكن أن يجاب بأنّ تسبيح كلّ شيء لعلّه يختصّ بتركيبه الّذي خلق عليه، فإذا بطل ذلك التركيب وفكّك ذلك النظم لم يبق مسبّحاً مطلقاً أو لا على ذلك النحو(١).

وقال في تأويلها: لكلّ ذرّة من ذرّات الموجودات ملكوت، لقوله: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ والملكوت باطن الكون، وهو الآخرة، والآخرة حيوان لا جماد لقوله ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ فلكلّ ذرّة لسان ملكوتيّ ناطق بالتسبيح والحمد تنزيهاً لصاحبه وحمداً له على ما أولاه من نعمه، وبهذا اللسان نطق الحصا في كفّ النبيّ ﷺ وبه تنطق الأرض يوم القيامة. ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ وبه تنطق الجوارح ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ وبه نطقت السموات والأرض ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ في الأزل، إذ أخرج من العدم من يكفر به ويجحده ﴿غَفُورًا﴾ لمن تاب عن كفره.

﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا﴾ قال الطبرسيّ: هذا مثل، فإنّ النار جماد لا يصحّ خطابه، والمراد إنّا جعلنا النار برداً عليه وسلامة لا يصيبه من أذاها شيء، كما قال سبحانه ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ والمعنى أنّه صيّرهم كذلك لا أنّه خاطبهم وأمرهم بذلك. وقيل: يجوز أن يتكلّم الله سبحانه بذلك ويكون ذلك صلاحاً للملائكة ولطفاً لهم. وذكر في كون النار برداً وسلاماً على إبراهيم وجوهاً: أحدها أنّ الله سبحانه أحدث فيها برداً بدلاً من شدّة الحرارة فيها فلم تؤذه. وثانيها أنّه سبحانه حال بينها وبين إبراهيم فلم تصل إليه. وثالثها أنّ الإحراق يحصل بالاعتمادات الّتي في النار صعداً فيجوز أن يذهب سبحانه تلك الاعتمادات. وعلى الجملة فعلمنا أنّ الله سبحانه منع النار من إحراقه وهو أعلم بتفاصيله - انتهى -(٢).

وقال البيضاويّ: انقلاب النار هواءً طيّباً ليس ببدع، غير أنّه هكذا على خلاف المعتاد فهو

---

(١) ظاهر هذه الآية الشريفة نظير قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ و﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وأنّ كلّ شيء يسبّح كما أنّ له نطقاً كما في قوله تعالى: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ فلكلّ شيء نطق وتسبيح. ويشهد له رواية اسحاق بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من طير يصاد في برّ ولا بحر ولا يصاد شيء من الوحوش إلا بتضييعه التسبيح؛ والمنقول عن الحسين عليه السلام في حديث بيانه صياح الحيوانات وأذكارها قال: ما خلق الله من شيء إلا وله تسبيح يحمد به ربه ثمّ تلا هذه الآية؛ والنبويّ العلويّ عليه السلام: لا تضربوا وجوه الدواب وكلّ شيء فيه الروح، فإنّه يسبّح بحمد الله وفي معناه غيره وما ورد في نطق الأشجار والجبال. [مستدرك السفينة ج ٤ لغة «سبح»].

(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ٩٨.

إذن من معجزاته. وقيل: كانت النار بحالها لكنّه تعالى دفع عنه أذاها كما في السمندر، ويشعر به قوله: ﴿عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ - انتهى -[١].

وأقول: على مذهب الأشاعرة لا إشكال في ذلك، لأنّهم يقولون: لا مؤثّر في الوجود إلاّ الله، وإنّما أجرى عادته بالإحراق عند قرب شيء من النار، فإذا أراد غير ذلك لا يخلق الإحراق. وأمّا عند غيرهم من القائلين بتأثير الطبائع ولزوم الصفات لها فيشكل ذلك عندهم، والأولى أن يقال: إحراق النار وتبريد الثلج وقتل السموم وغير ذلك من التأثيرات لمّا كانت مشروطة بشروط كقابليّة المادّة وغيرها فلم لا يجوز أن تكون مشروطة بعدم تعلّق إرادة القادر المختار بخلافه فإذا تعلّقت بذلك انتفى تأثيرها، كما أنّ الله تعالى أقدر العباد على أفعالهم لكن بشرط عدم تعلّق إرادته القاهرة بخلافه، ولذا ورد في الأخبار أنّه لا يحدث شيء في السماء والأرض إلاّ بإذنه سبحانه.

قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ﴾ قال الطبرسيّ ﷺ: قيل: معناه سيّرنا الجبال مع داود حيث سار، فعبّر عن ذلك بالتسبيح لما فيه من الآية العظيمة الّتي تدعو إلى تسبيح الله وتعظيمه وتنزيهه عن كلّ ما لا يليق به، وكذلك تسخير الطير له تسبيح يدلّ على أنّ مسخّرها قادر لا يجوز عليه ما يجوز على العباد. وقيل: إنّ الجبال كانت تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير يسبّح بالغداة والعشيّ معجزة له - انتهى -[٢].

وقال الرازيّ: قال أصحاب المعاني: يحتمل أن يكون تسبيح الجبال والطير بمثابة قوله ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ وتخصيص داود ﷺ بذلك إنّما كان بسبب أنّه كان يعرف ذلك ضرورة فيزداد يقيناً وتعظيماً. وأمّا المعتزلة فقالوا: لو حصل الكلام في الجبل لحصل إمّا بفعله أو بفعل الله تعالى فيه، والأوّل محال لأنّ بنية الجبل لا تحتمل الحياة والعلم والقدرة، وما لا يكون حيّاً عالماً قادراً يستحيل منه الفعل، والثاني أيضاً محال، لأنّ المتكلّم عندهم من كان فاعلاً للكلام لا من كان محلاً له، فلو كان فاعل ذلك الكلام هو الله تعالى لكان المتكلّم هو الله لا الجبل، فجعلوا التسبيح من السباحة وبناء التفعيل للتكثير مثل قوله ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ والحاصل: سيري معه.

واعلم أنّ مدار هذا القول على أنّ بنية الجبل لا تقبل الحياة، وهذا ممنوع، وعلى أنّ التكلّم من فعل الله وهو أيضاً ممنوع. وأمّا الطير فلا امتناع في أن يصدر عنها الكلام ولكن اجتمعت الأمّة على أنّ المكلّفين إمّا الجنّ والإنس أو الملائكة فيمتنع فيها أن تبلغ في العقل إلى درجة التكليف بل يكون حاله كحال الطفل في أن يؤمر وينهى وإن لم يكن مكلّفاً، فصار ذلك معجزة من حيث جعلها في الفهم بمنزلة المراهق. وأيضاً دلالته على قدرة الله وعلى

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٢٠.
(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٠٤.

تنزيهه ممّا لا يجوز فيكون القول فيه كالقول في الجبال - انتهى -[١].

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ أي علّمناه كيف يصنع الدروع. قال قتادة: أوّل من صنع الدروع داود وإنّما كانت صفائح، جعل الله سبحانه الحديد في يده كالعجين فهو أوّل من سردها وحلقها فجمعت الخفّة والتحصين. ﴿وَلِسُلَيْمَانَ﴾ أي سخّرنا له ﴿الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ أي شديدة الهبوب. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ﴾ لعلّ المراد بالسجود غاية الخضوع والانقياد الممكن من الشيء، ففي الجمادات والعجم من الحيوانات يحصل منهم غاية الانقياد الّذي يتأتّى منهم. وكذا الملائكة وصالحو المؤمنين. وأمّا الكفّار والفجّار فلمّا لم يتأتّ منهم غاية الانقياد أخرجهم وقال ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ لأنّهم وإن كانوا في الأوامر التكوينيّة منقادين فليسوا في الأوامر التكليفية كذلك فالسجود محمول على معنى واحد وليس من استعمال المشترك في معنييه كما عرفت سابقاً. وقال الرازيّ: الرؤية هنا بمعنى العلم، وفي السجود وجوه: أحدها قال الزجّاج: أجود الوجوه في سجود هذه الأمور أنّها تسجد مطيعة لله تعالى وهو كقوله ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ - الآية - ﴿أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ﴾ والمعنى أنّ هذه الأجسام لمّا كانت قابلة لجميع الأعراض الّتي يحدثها الله تعالى فيها من غير امتناع البتّة أشبهت الطاعة والانقياد وهو السجود. وأمّا قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ ففيه وجوه: أحدها أنّ السجود بالمعنى الّذي ذكرناه وإن كان عامّاً في حقّ الكلّ إلاّ أنّ بعضهم تمرّد وتكبّر وترك السجود في الظاهر، فهذا الشخص وإن كان ساجداً بذاته لكنّه متمرّد بظاهره، أمّا المؤمن فإنّه ساجد بذاته وبظاهره، فلأجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر. وثانيها أن نقطع قوله ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ عمّا قبله، ثمّ فيه ثلاثة أوجه: الأوّل أن نقول: تقدير الآية: ولله يسجد من في السماوات والأرض ويسجد له كثير من الناس. فيكون السجود الأوّل بمعنى الانقياد والثاني بمعنى الطاعة والعبادة لئلاّ يلزم استعمال المشترك في معنييه جميعاً. الثاني أن يكون قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ مبتدأ خبره محذوف وهو، مثاب، لأنّ خبر مقابله يدلّ عليه وهو قوله ﴿حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾. والثالث أن يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف ﴿كَثِيرٌ﴾ على ﴿كَثِيرٌ﴾ ثمّ يخبر عنهم بـ ﴿حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ وثالثها من يجوّز استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه جميعاً يقول: إنّ المراد بالسجود في حقّ الأحياء العقلاء السجود، وفي حقّ الجمادات الانقياد. فإن قيل: قوله ﴿مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لفظ العموم فيدخل فيه الناس، فلم قال مرّة أخرى ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾؟ قلنا: لو اقتصر على ما تقدّم لأوهم أنّ كلّ الناس يسجدون، فبيّن أنّ كثيراً منهم يسجدون طوعاً دون كثير منهم فإنّه يمتنع عن ذلك.

---

(١) تفسير فخر الرازي، ج ٢٢ ص ١٩٩.

القول الثاني: في تفسير السجود أنَّ كلَّ ما سوى الله تعالى فهو ممكن لذاته، والممكن لذاته لا يترجّح وجوده على عدمه إلاّ عند الانتهاء إلى الواجب لذاته كما قال: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ وكما أنَّ الإمكان لازم للممكن حال حدوثه وبقائه فافتقاره إلى الواجب حاصل حال حدوثه وحال بقائه، وهذا الافتقار الذاتيّ اللازم للماهية أدلّ على الخضوع والتواضع من وضع الجبهة على الأرض، فإنّ ذلك علامة وضعيّة للافتقار، وقد يتطرّق إليه الصدق والكذب، أمّا نفس الافتقار الذاتيّ فإنّه ممتنع التغيّر والتبدّل، فجميع الممكنات ساجدة بهذا المعنى لله أي خاضعة متذلّلة معترفة بالفاقة إليه والحاجة إلى تخليقه وتكوينه، وعلى هذا تأوّلوا قوله ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ وهذا قول القفّال. القول الثالث أنّ سجود هذه الأشياء سجود ظلّها كقوله تعالى: ﴿يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ﴾ - الآية - وهذا قول مجاهد - انتهى[1]-.

قوله تعالى: ﴿أَوِّبِي مَعَهُ﴾ قال البيضاويّ: أي راجعي معه التسبيح على الذنب أو النوحة، وذلك إمّا بخلق صوت مثل صوته فيها، أو بحملها إيّاه على التسبيح إذا تأمّل فيها، أو: سيري معه حيث سار. و(الطيرَ) عطف على محلّ (الجبال). ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير إحماء وطرق بآلاته أو بقوّة ﴿عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ أي النحاس المذاب أسال له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سمّاه عيناً، و[كان] ذلك باليمن[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ أي كراهة أن تزولا، فإنّ الممكن حال بقائه لا بدّ له من حافظ أو يمنعهما أن تزولا لأنّ الإمساك منع. ﴿وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ أي ما أمسكهما ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ أي من بعد الله أو من بعد الزوال، والجملة سادّة مسدّ الجوابين، و(مِن) الأولى مزيدة، والثانية للابتداء ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ حيث أمسكهما وكانتا جديرتين أن تهدّا هدّاً، لأعمال العباد[3].

قوله تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ فإنّ آلات الحرب متّخذة منه ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ إذ ما من صنعة إلاّ والحديد آلتها ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ﴾ باستعمال الأسلحة ومجاهدة الكفّار، والعطف على محذوف دلّ عليه ما قبله، فإنّه حال يتضمّن تعليلاً أو اللاّم صلة لمحذوف، أي أنزله ليعلم الله ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حال من المستكنّ في ﴿يَنصُرُهُۥ﴾. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ على إهلاك من أراد إهلاكه ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يفتقر إلى نصرة، وإنّما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه[4].

وقال الرازيّ: وأمّا الحديد ففيه البأس الشديد فإنّ آلات الحرب متّخذة منه، وفيه أيضاً

---

(١) تفسير فخر الرازي، ج ٢٣ ص ١٩.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٤٠٠.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٤٢٨.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٤٨.

منافع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ ومنها أنّ مصالح العالم إمّا أصول وإمّا فروع، أمّا الأصول فأربعة: الزراعة، والحياكة، وبناء البيوت، والسلطنة. وذلك لأنّ الإنسان يضطرّ إلى طعام يأكله وثوب يلبسه وبناء يسكن فيه، والإنسان مدنيّ بالطبع فلا تتمّ مصلحته إلاّ عند اجتماع جمع من أبناء جنسه ليشتغل كلّ واحد منهم بمهمّ خاصّ فحينئذ ينتظم من الكلّ مصالح الكلّ وذلك الانتظام لا بدّ وأن يفضي إلى المزاحمة ولا بدّ من شخص يدفع ضرر البعض عن البعض وذلك هو السلطان، فثبت أنّه لا تنتظم مصلحة العالم إلاّ بهذه الأصول الأربعة. أمّا الزراعة فمحتاجة إلى الحديد وذلك من كرب الأرض وحفرها، ثمّ عند تكوّن هذه الحبوب وتولّدها لا بدّ من جزّها وتنقيتها وذلك لا يتمّ إلاّ بالحديد. ثمّ لا بدّ من خبزها ولا يتمّ إلاّ بالنار ولا بدّ فيها من المقدحة الحديديّة. وأمّا الفواكه فلا بدّ من تنظيفها من قشورها وقطعها على الوجوه الموافقة للأكل ولا يتمّ ذلك إلاّ بالحديد. ثمّ يحتاج في آلات الحياكة إلى الحديد ثمّ نفزع في قطع الثياب وخياطتها إلى الحديد، والذهب لا يقوم مقام الحديد في شيء من هذه المصالح، فلو لم يوجد الذهب في الدنيا ما كان يختلّ شيء من مصالح الدنيا، ولو لم يوجد الحديد لاختلّ جميع مصالح الدنيا. ثمّ إنّ الحديد لمّا كانت الحاجة إليه شديدة جعله سهل الوجدان كثير الوجود والذهب لمّا قلّت الحاجة إليه جعله عزيز الوجود، وعند هذا يظهر أثر جود الله ورحمته على عبيده، فإنّ كلّ ما كانت حاجاتهم إليه أكثر جعل وجدانه أسهل. ولهذا قال بعض الحكماء: إنّ أعظم الأمور حاجة إليه هو الهواء فإنّه لو انقطع وصوله إلى القلب لحظة مات الإنسان في الحال، فلا جرم جعله الله أسهل الأشياء وجداناً، وهيّأ أسباب التنفّس وآلاته، حتّى أنّ الانسان يتنفّس دائماً بمقتضى طبعه من غير حاجة فيه إلى تكلّف عمل. وبعد الهواء الماء، إلاّ أنّه لما كانت الحاجة إلى الماء أقلّ من الحاجة إلى الهواء جعل تحصيل الماء أشقّ قليلاً من تحصيل الهواء. وبعد الماء الطعام، ولمّا كانت الحاجة إلى الطعام أقلّ من الحاجة إلى الماء جعل تحصيل الطعام أشقّ من تحصيل الماء. ثمّ تتفاوت الأطعمة في درجات الحاجة والعزّة، فكلّ ما كانت الحاجة إليه أكثر كان وجدانه أسهل، وكلّ ما كان وجدانه أعسر كانت الحاجة إليه أقلّ، والجواهر لمّا كانت الحاجة إليها قليلة جدّاً لا جرم كانت عزيزة جدّاً. فعلمنا أنّ كلّ شيء كانت الحاجة إليه أكثر كان وجدانه أسهل ولمّا كانت الحاجة إلى رحمة الله أشدّ من الحاجة إلى كلّ شيء فنرجو من رحمة الله أن يجعلها أسهل الأشياء وجداناً(١).

١ - **العلل:** عن محمّد بن عليّ ماجيلويه، عن عمّه محمّد بن أبي القاسم، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ، عن عليّ بن محمّد القاسانيّ، عن إبراهيم بن محمّد الثقفيّ، عن عليّ بن المعلّى، عن إبراهيم بن الخطّاب بن الفرّاء رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: شكت أسافل

---

(١) تفسير فخر الرازي، ج ٢٢ ص ٢٤١.

الحيطان إلى الله عزّ وجلّ من ثقل أعاليها، فأوحى الله عزّ وجلّ إليها: يحمل بعضك بعضاً(١).

الكافي: عن العدّة، عن البرقيّ، عن إبراهيم الثقفي مثله. «ج ٦ باب ٣٧٠ ح ١٠».

المحاسن: عن القاسانيّ مثله، إلاّ أنّ فيه: يحمل بعضها بعضاً(٢).

بيان: لعلّ الشكاية بلسان الافتقار والاضطرار، والوحي بالخطاب التكوينيّ كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ أي بلسان استعداداتكم وقابليّاتكم أو يكون استعارة تمثيليّة لبيان أنّ الله تعالى خلق الأجزاء الأرضيّة والترابيّة بحيث يلتصق بعضها ببعض، ولا يكون ثقل الجميع على الأسافل فتنهدم سريعاً.

٢ - **المحاسن:** عن عليّ بن أسباط، عن داود البرقيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ قال: نقض الجدر تسبيحها(٣).

الكافي: عن العدّة، عن سهل بن زياد، عن ابن أسباط مثله، إلاّ أنّ فيه: تنقّض الجدر(٤).

٣ - **المحاسن:** عن ابن أسباط، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ قال: نقض الجدر تسبيحها! قلت: نقض الجدر تسبيحها؟! قال: نعم(٥).

٤ - **العياشي:** عن أبي الصلاح، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ قال: كلّ شيء يسبّح بحمده، وإنّا لنرى أنّ تنقّض الجدار هو تسبيحها(٦).

ومنه: في رواية الحسين بن سعيد عنه عليه السلام مثله(٧).

٥ - **ومنه:** عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ قال: إنّا نرى أنّ تنقّض الحيطان تسبيحها(٨).

٦ - **ومنه:** عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام أنّه دخل عليه رجل فقال له: فداك أبي وأمّي، إنّي أجد الله يقول في كتابه: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ فقال: هو كما قال، فقال له: أتسبّح الشجرة اليابسة؟ فقال: نعم، أما سمعت خشب البيت تنقّض؟ وذلك تسبيحه، فسبحان الله على كلّ حال(٩).

٧ - **العلل:** لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم، قال: بكاء السماء احمرارها من غير غيم وبكاء الأرض زلازلها وتسبيح الشجر حركتها من غير ريح، وتسبيح البحار زيادتها ونقصانها، وتسبيح الشجر نموّه ونشوؤه. وقال أيضاً: ظلّه يسبّح الله.

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٤٤٣ باب ٢٢٢ ح ١٥. (٢) - (٣) المحاسن، ج ٢ ص ٤٦٢.
(٤) الكافي، ج ٦ باب ٣٧٠ ح ٤. (٥) المحاسن، ج ٢ ص ٤٦٢.
(٦) - (٩) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣١٦ ح ٧٩-٨٤ من سورة الإسراء.

بيان: قد مضى من البيان في تفسير الآيات ما يمكن به فهم هذه الأخبار. والحاصل أنّ تنقّض الجدار لدلالتها على حدوث التغيّر فيها وفنائها نداء منها بلسان حالها على افتقارها إلى من يوجدها ويبقيها منزّهاً عن صفاتها المحوجة إلى ذلك. وأيضاً نقصانات الخلائق دلائل على كمالات الخالق، وكثراتها واختلافاتها ومضادّاتها شواهد وحدانيّته وانتفاء الشريك عنه والندّ والضدّ له كما قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له وبمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له لحاصل أنّ جميع المصنوعات والممكنات بصفاتها ولوازمها وآثارها دالّة على صانعها وبارئها ومصوّرها وعلمه وحكمته، شاهدة بتنزّهه عن صفاتها المستلزمة للعجز والنقصان، مطيعة لربّها في ما خلقها له وأمرها به من مصالح عالم الكون، موجّهة إلى ما خلقت له. فسكون الأرض خدمتها وتسبيحها؛ وصرير الماء وجريه تسبيحه وطاعته؛ وقيام الأشجار والنباتات ونموّها، وجري الريح وأصواتها، وهذه الأبنية وسقوطها، وتحريق النار ولهبها، وأصوات الصواعق وإضاءة البروق وجلاجل الرعود وجري الطيور في الجوّ ونغماتها، كلّها طاعة لخالقها وسجدة وتسبيح وتنزيه له سبحانه.

قال بعض العارفين: خلق الله الخلق ليوحّدوه فأنطقهم بالتسبيح والثناء عليه والسجود فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾(١) وقال أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾(٢) - الآية - وخاطب بهاتين الآيتين نبيّه الذي أشهده ذلك ورآه فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ولم يقل: ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ فإنّا ما رأيناه، فهو لنا إيمان، ولمحمّد ﷺ عيان، فأشهده سجود كلّ شيء وتواضعه لله، -كلٌّ من أشهده الله ذلك ورآه دخل تحت هذا الخطاب. وهذا تسبيح فطريّ وسجود ذاتيّ عن تجلّ تجلّى لهم فأحبّوه فانبعثوا إلى الثناء عليه من غير تكليف بل اقتضاء ذاتيّ، وهذه هي العبادة الذاتيّة الّتي أقامهم الله فيها بحكم الاستحقاق الّذي يستحقّه.

وفي القاموس: تنقّض البيت: تشقّق فسمع له صوت. وقوله «بكاء السماء احمرارها» أي خارجاً عن العادة فإنّه من علامات غضبه تعالى، فكأنّه يبكي على من استحقّ الغضب أو على من يستحقّ العباد له الغضب كما وقع بعد شهادة الحسين عليه السلام. وقوله «حركتها من غير ريح» أي عند الزلزلة، أو بالنموّ فيكون ما بعده تأكيداً له.

٨ - **تفسير عليّ بن إبراهيم:** في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ فإنّ الله تبارك وتعالى أنبت في الجبال الذهب والفضّة والجوهر والصفر والنحاس والحديد والرصاص والكحل والزرنيخ وأشباه هذه لا تباع إلاّ وزناً(٣).

---

(١) سورة النور، الآية: ٤١. (٢) سورة الحج، الآية: ١٨.

(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٧٧ في تفسيره لسورة الحجر، الآية: ١٩.

بيان: لعلّ المراد بالجوهر الأحجار كالياقوت والعقيق والفيروزج وأشباهها.

٩ - **تفسير عليّ بن إبراهيم:** ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ قال: تحويل كلّ ظلّ خلقه الله هو سجوده لله لأنّه ليس شيء إلاّ له ظلّ يتحرّك بتحريكه، وتحويله سجوده[١].

١٠ - **ومنه:** في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ فحركة كلّ شيء تسبيح لله عَزَّوَجَلَّ[٢].

١١ - **ومنه:** في قوله: ﴿وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ لفظ الشجر واحد ومعناه جمع[٣]. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ قال: الصفر[٤].

١٢ - **المناقب لابن شهرآشوب:** قال: قال ضبّاع بن نصر الهنديّ للرضا عليه السلام ما أصل الماء؟ قال: أصل الماء خشية الله، بعضه من السماء ويسلكه في الأرض ينابيع وبعضه ماء عليه الأرضون، وأصله واحد عذب فرات. قال: فكيف منها عيون نفط وكبريت وقار وملح وأشباه ذلك؟ قال: غيّره الجوهر وانقلبت كانقلاب العصير خمراً، وكما انقلبت الخمر فصارت خلاًّ، وكما يخرج من بين فرث ودم لبناً خالصاً. قال: فمن أين أُخرجت أنواع الجواهر؟ قال: انقلبت منها كانقلاب النطفة علقة ثمّ مضغة ثمّ خلقة مجتمعة مبنيّة على المتضادّات الأربع. قال: إذا كانت الأرض خلقت من الماء والماء بارد رطب فكيف صارت الأرض باردة يابسة؟ قال: سلبت النداوة فصارت يابسة. قال: الحرّ أنفع أم البرد؟ قال: بل الحرُّ أنفع من البرد، لأنَّ الحر من حرِّ الحياة والبرد من برد الموت، وكذلك السموم القاتلة الحارّة منها أسلم وأقلّ ضرراً من السموم الباردة[٥].

توضيح: قوله: ﴿خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ إشارة إلى ما ورد في بعض الكتب السماويّة أنّ الله تعالى خلق أوّلاً درّة بيضاء فنظر إليها بعين الهيبة فصارت ماءً «ماء عليه الأرضون» أي البحر الأعظم «غيّره الجوهر» أي جوهر الأرض الّتي نبع منها «من حرّ الحياة» أي من جنسه لأنّ الروح الحيوانيّ والحرارة الغريزيّة سببان للحياة، وزوالهما سبب للموت. وفيه إشارة إلى ما ذكره الحكماء في تولّد المعادن، فلنذكر ما ذكروه في ذلك:

قالوا: المركّبات الّتي لها مزاج، ثلاثة أنواع تسمّى بالمواليد، وهي: المعادن والنباتات، والحيوانات. ووجه الحصر أنّه إن تحقّق فيه مبدأ التغذية فإمّا مع تحقّق مبدأ

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٨٨ في تفسيره لسورة النحل، الآية: ٤٨.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٤١٠ في تفسيره لسورة الإسراء، الآية: ٤٤.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٥٥.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٧٤.
(٥) مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤ ص ٣٥٤.

الحسّ والحركة الإراديّة فهو الحيوان، أو بدونه وهو النبات، وإن لم يتحقّق ذلك فيه فالمعادن. وقال بعضهم: وإنّما قلنا مع تحقّق الحسّ والحركة لأنّه لا قطع بعدمهما في النبات والمعدن، بل ربما يدّعى حصول الشعور والإرادة للنبات لأمارات تدلّ على ذلك، مثل ما يشاهد في ميل النخلة الأنثى إلى الذكر وتعشّقها به بحيث لو لم تلقح منه لم تثمر، وميل عروق الأشجار إلى جهة الماء، وميل أغصانها في الصعود من جانب الموانع إلى الفضاء. ثمّ ليس هذا ببعيد عن القواعد الفلسفيّة، فإنّ تباعد الأمزجة عن الاعتدال الحقيقيّ إنّما هو على غاية من التدريج، فانتقاض استحقاق الصور الحيوانيّة وخواصّها لا بدّ أن يبلغ قبل الانتفاء إلى حدّ الضعف والخفاء، وكذا النباتيّة. ولهذا اتّفقوا على أنّ من المعدنيّات ما وصل إلى أفق النباتيّة، ومن النباتات ما وصل إلى أفق الحيوانيّة كالنخلة، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «أكرموا عمّتكم النخلة». وقال بعضهم: أُخرى طبقات المعادن متّصلة بأولى طبقات النباتات كما أنّ المرجان الّتي هي من المعادن ينمو في قعر البحر، وهو قريب من النباتات الّتي تنبت في فصل الربيع وتذبل وتفنى سريعاً. وأُخرى طبقات النبات تتّصل بأولى طبقة الحيوانات كالنخل فإنّها شبيهة بالحيوان في أنّها إذا غرقت في الماء أو تقطع رأسها تموت ولا تثمر كثيراً بدون اللقاح، ورائحة طلعها شبيهة برائحة المنيّ، وتعشق بعضها بعضاً بحيث لا تحمل إلاّ إذا صبّ فيها من طلعه، ويميل بعضها إلى بعض، وهي قريبة من الحيوانات المتولّدة في الأراضي النديّة كالخراطين وأشباهها. وأُخرى طبقة الحيوانات تتّصل بأفق الإنسان كالفيل والقردة، فإنّهما تتعلّمان بأدنى تعليم، وفي كثير من الصفات شبيهة بالانسان، وهي قريبة من بعض أفراد الإنسان كالسودان والأتراك الّذين ليس فيهم من الإنسانيّة إلاّ الأكل والشرب والنوم والسفاد.

ثمّ إنّهم قالوا: إنّ الأبخرة والأدخنة المحتبسة في باطن الأرض إذا كثرت يتولّد منها ما مرّ من الرجفة والزلزلة وانفجار العيون، وإذا لم تكن كثيرة اختلطت على ضروب من الاختلاطات المختلفة في الكمّ والكيف والمزج بحسب الأمكنة والأزمنة والاعدادات، فتكوّن منها الأجسام المعدنيّة بإذن الله تعالى، وهي أوّل ما يحدث من المركّبات العنصريّة التامّة المزاجيّة. ثمّ إذا غلب البخار على الدخان تتولّد مثل اليشم والبلور والزيبق وغيرها من الجواهر المشفّة وإن غلب الدخان يتولّد الملح والزاج والكبريت والنوشادر. ثمّ من اختلاط بعض هذه مع بعض يتولّد غيرها من المعادن، وأصنافها خمسة، لأنّها إمّا ذائبة أو غير ذائبة، والذائبة إمّا منطرقة أو غير منطرقة، والغير المنطرقة إمّا مشتعلة أو غير مشتعلة، وغير الذائبة إمّا عدم ذوبانه لفرط الرطوبة، أو لفرط اليبوسة، فأقسامها: ذائب منطرق، وذائب مشتعل، وذائب غير منطرق ولا مشتعل، وغير ذائب لفرط الرطوبة، وغير ذائب لفرط اليبوسة.

فالذائب المنطرق هو الجسم الّذي انجمد فيه الرطب واليابس بحيث لا يقدر النار على

تفريقهما مع بقاء دهنيّة قويّة بسببها يقبل ذلك الجسم الانطراق وهو الاندفاع في السحق بانبساط يعرض للجسم في الطول والعرض قليلاً دون انفصال شيء، والذوبان سيلان الجسم بسبب تلازم رطبه ويابسه. والمشهور من أنواع الذائب المنطرق سبعة: الذهب، والفضّة، والرصاص، والأسرب، والحديد، والنحاس، والخارصينيّ. وقيل: الخارصينيّ هو جوهر شبيه بالنحاس يتّخذ منها مرايا لها خواصّ وذكر بعضهم أنّه لا يوجد في عهدنا والّذي يتّخذ منه المرايا ويسمّى بالحديد الصينيّ والهفتجوش فجوهر مركّب من بعض الفلزات، وليس بالخارصينيّ. والذوبان في غير الحديد ظاهر وأمّا في الحديد فيكون بالحيلة كما يعرفه أرباب الصنعة. وشهدت الأمارات بأنّ مادّة الأجساد السبعة الزيبق والكبريت، واختلاف الأنواع والأصناف عائد إلى اختلاف صفاتهما واختلاطهما وتأثّر أحدهما عن الآخر. أمّا الأمارات فهي أنّها سيّما الرصاص يذوب إلى مثل الزيبق، والزيبق ينعقد برائحة الكبريت إلى مثل الرصاص والزيبق يتعلّق بهذه الأجساد. وأمّا كيفيّة تكوّن تلك الأجساد منهما فهي أنّه إذا كان الزيبق والكبريت صافيين وكان انطباخ أحدهما بالآخر تامّاً فإن كان الكبريت مع بقائه أبيض غير محترق تكوّنت الفضّة، وإن كان أحمر وفيه قوّة صباغة لطيفة غير محترقة تكوّن الذهب، وإن كانا نقيّين وفي الكبريت قوّة صبّاغة لكن وصل إليه قبل كمال النضج برد مجمد عاقد تكوّن الخارصينيّ، وإن كان الزيبق نقيّاً والكبريت رديّاً فإن كان مع الرداءة فيه قوّة إحراقيّة تكوّن النحاس، وإن كان غير شديد المخالطة بالزيبق بل متداخلاً إيّاه سافاً فسافاً تولّد الرصاص، وإن كان الزيبق والكبريت رديّين فإن قوي التركيب وفي الزيبق تخلخل أرضيّ وفي الكبريت إحراق تكوّن الحديد، وإن ضعف التركيب تكوّن الأسرب ويسمّى الرصاص الأسود. قال صاحب المواقف بعد إيراد مثل هذا التقسيم: وأنت خبير بأنّ القسمة غير حاصرة وأنّ التكوّن على هذا الوجه لا سبيل فيه إلى اليقين ولا يرجى له إلاّ الحدس والتخمين وإن سلّم فتكوّنها على غير هذا الوجه ممّا لم يقم على امتناعه دليل، كيف والمهوّسون بالكيمياء لهم في الأجساد السبعة والأرواح الّتي تفيد الصورة الذهبيّة والفضيّة تفنّن والكلّ عندنا للفاعل المختار من غير إحالة على شيء ممّا ذكروه - انتهى -.

والثاني أي الذائب المشتعل هو الجسم الّذي فيه رطوبة دهنيّة مع يبوسة غير مستحكم المزاج، ولذلك تقوى النار على تفريق رطبه عن يابسه وهو الاشتعال، وذلك كالكبريت المتولّد من مائيّة تخمّرت بالأرضيّة والهوائيّة تخمّراً شديداً بالحرارة حتّى صارت تلك المائيّة دهنيّة وانعقدت بالبرد، وقيل دخانيّة تخمّر بها بخاريّة تخمّراً شديداً بالحرّ حتّى حصل فيها دهنيّة ثمّ انعقدت بالبرد، وكالزرنيخ وهو كذلك إلاّ أنّ الدهنيّة فيه أقلّ.

والثالث أي الذائب الّذي لا ينطرق ولا يشتعل ما ضعف امتزاج رطبه ويابسه وكثرت رطوبته المنعقدة بالحرّ واليبس كالزاجات وتولّدها من ملحيّة وكبريتيّة وحجارة، وفيها قوّة

بعض الأجساد الذائبة، وكالأملاح وتولّدها من ماء خالطه دخان حارّ لطيف كثير النارية وانعقد باليبس مع غلبة الأرضيّة الدخانيّة، ولهذا يتّخذ الملح من الرماد المحترق بالطبخ والتصفية.

والرابع أي الّذي لا يذوب ولا ينطرق لرطوبته ما استحكم الامتزاج بين أجزائه الرطبة الغالبة والأجزاء اليابسة بحيث لا تقوى النار على تفريقهما كالزيبق وهو مركّب من مائيّة صافية جدّاً خالطتها دخانيّة كبريتيّة لطيفةٌ مخالطةً شديدة بحيث لا ينفصل منه سطح إلاّ ويغشاه من تلك اليبوسة شيء، فلذلك لا يعلق باليد ولا ينحصر انحصاراً شديداً بشكل ما يحويه، ومثاله قطرات الماء الواقعة على تراب في غاية اللطافة فإنّه يحيط بالقطرة سطح ترابيّ حاصر للماء كالغلاف له بحيث تبقى القطرة على شكلها في وجه التراب، وإذا تلاقت قطرتان منهما فربما ينخرق الغلافان ويصير الماءان في غلاف واحد. وبياض الزيبق لصفاء المائيّة وبياض الأرضيّة وممازجة الهوائيّة.

والخامس أي الّذي لا يذوب ولا ينطرق ليبوسة ما اشتدّ الامتزاج بين أجزائه الرطبة والأجزاء اليابسة المستولية بحيث لا تقدر النار على تفريقهما مع إحالة البرد للمائيّة إلى الأرضية بحيث لا تبقى رطوبة حسيّة دهنيّة، ولذا لا ينطرق. ولما كان تعقّده باليبس لا يذوب إلاّ بالحيلة بحيث لا يبقى ذلك الجوهر بخلاف الحديد المذاب وذلك كالياقوت واللعل والزبرجد ونحو ذلك من الأحجار.

ثمّ إنّ من المعادن ما يتولّد بالصنعة بتهيئة الموادّ وتكميل الاستعداد كالنوشادر والملح، وإنّ منها ما يعمل له شبيه يعسر التميّز في بادىء النظر كالذهب والفضّة واللعل وكثير من الأحجار المعدنيّة. وهل يمكن أن يعمل حقيقة هذه الجواهر بالصنعة من غير جهة الإعجاز؟ فذهب كثير من العقلاء إلى أنّ تكوّن الذهب والفضّة بالصنعة واقع. ذهب ابن سينا إلى أنّه لم يظهر له إمكان فضلاً عن الوقوع، لأنّ الفصول الذاتيّة الّتي بها تصير هذه الأجساد أنواعاً أمور مجهولة، والمجهول لا يمكن إيجاده. نعم يمكن أن يعمل النحاس بصبغ الفضّة، والفضّة بصبغ الذهب، وأن يزال عن الرصاص أكثر ما فيه من النقص، لكن هذه الأمور المحسوسة يجوز أن لا تكون هي الفصول بل عوارض ولوازم. وأجيب بأنّا لا نسلّم اختلاف الأجسام بالفصول والصور النوعيّة بل هي متماثلة لا تختلف إلاّ بالعوارض الّتي يمكن زوالها بالتدبير. ولو سلّم فإن أريد بمجهوليّة الصور النوعيّة والفصول الذاتيّة أنّها مجهولة من كلّ وجه فممنوع، كيف وقد علم أنّها مبادئ لهذه الخواصّ والأعراض، وإن أُريد أنّها مجهولة بحقائقها وتفاصيلها فلا نسلّم أنّ الإيجاد موقوف على العلم بذلك وأنّه لا يكفي العلم بجميع الموادّ على وجه حصل الظنّ بفيضان الصور عنده لأسباب لا تعلم على التفصيل كالحيّة من الشعر والعقرب من البادروج ونحو ذلك، وكفى بصنعة الترياق وما فيه من الخواصّ والآثار

شاهداً على إمكان ذلك. نعم، الكلام في الوقوع وفي العلم بجميع الموادّ وتحصيل الاستعداد، ولهذا جعل الكيمياء في اسم بلا مسمّى.

أقول: ويظهر من بعض الأخبار تحقّقه، لكن علم غير المعصوم به غير معلوم ومن رأينا وسمعنا ممّن يدّعي علم ذلك منهم أصحاب خديعة وتدليس، ومكر وتلبيس ولا يتبعهم إلاّ مخدوع، وصرف العمر فيه لا يسمن ولا يغني من جوع.

١٣ - **توحيد المفضل:** قال: قال الصادق عليه السلام: لو فطن طالبو الكيمياء لما في العذرة لاشتروها بأنفس الأثمان وغالوا بها(١).

١٤ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن عبد الله ابن عبد الرحمن، عن يحيى الحلبيّ، عن الثماليّ، قال: مررت مع أبي عبد الله عليه السلام في سوق النحاس، فقلت: جعلت فداك، هذا النحاس أيش أصله، فقال: فضّة إلاّ أنّ الأرض أفسدتها، فمن قدر على أن يخرج الفساد منها انتفع بها(٢).

١٥ - **المجازات النبويّة للرضيّ:** قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الجبل: ظهورها حرز، وبطونها كنز.

قال السيّد رحمه الله: هذا القول خارج عن طريق المجاز، لأنّ بطون الجبل على الحقيقة كنز، وإنّما أراد أنّ أصحابها يستخرجون منها من الأفلاذ ما تنمى به أموالهم وتحسن معه أحوالهم. وظهورها حرز: أراد أنّها منجاة من المعاطب، وملجأة عند المهارب(٣).

١٦ - **الخرائج:** روى أحمد بن عمر الحلاّل قال: قلت لأبي الحسن الثاني عليه السلام: جعلت فداك، إنّي أخاف عليك من هذا صاحب الرقّة، قال: ليس عليّ منه بأس، إنّ لله بلاداً تنبت الذهب قد حماها بأضعف خلقه بالذرّ، فلو أرادتها الفيلة ما وصلت إليها. قال الوشّاء: إنّي سألت عن هذه البلاد وقد سمعت الحديث قبل مسألتي، فأُخبرت أنّه بين البلخ والتبّت، وأنّها تنبت الذهب، وفيها نمل كبار أشباه الكلاب على حلقها قلس لا يمرّ بها الطير فضلاً عن غيره، تكمن بالليل في جحرها وتظهر بالنهار، فربما غزوا الموضع على الدوابّ الّتي تقطع ثلاثين فرسخاً في ليلة لا يعرف شيء من الدوابّ يصبر صبرها، فيوقرون أحمالهم ويخرجون، فإذا النمل خرجت في الطلب، فلا تلحق شيئاً إلاّ قطعته فتشبه بالريح من سرعتها، وربما شغلوهم باللحم يتّخذ لها إذا لحقتهم يطرح لها في الطريق إن لحقتهم قطعتهم ودوابّهم(٤).

بيان: الرقّة بلد على الفرات، والمراد بصاحبها هارون، لأنّه كان في تلك الأيّام فيها.

---

(١) توحيد المفضل، ص ١٦٥.
(٢) الكافي، ج ٥ ص ٧٥٣ باب ١٩١ ح ١٥.
(٣) المجازات النبوية، ص ١٥.
(٤) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٣٦٩ ح ٢٧.

والقلس حبل ضخم من ليف أو خوص أو غيرهما، وكأنّه وصف المشبّه به أي الكلاب المعلّمة.

١٧ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عمّن ذكره قال: قيل للرضا عليه السلام: إنّك تتكلّم بهذا الكلام والسيف يقطر دماً؟! فقال: إنّ لله وادياً من ذهب حماه بأضعف خلقه النمل فلو رامته البخاتيّ لم تصل إليه(١).

١٨ - **توحيد المفضل:** قال: قال الصادق عليه السلام: فكّريا مفضّل في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الجصّ، والكلس، والجبسين، والزرنيخ والمرتك، والقونيا والزيبق، والنحاس، والرصاص، والفضّة، والذهب، والزبرجد، والياقوت، والزمرّد، وضروب الحجارة، وكذلك ما يخرج منها من القار، والموميا، والكبريت، والنفط وغير ذلك ممّا يستعمله الناس في مآربهم. فهل يخفى على ذي عقل أنَّ هذه كلّها ذخائر ذخرت للإنسان في هذه الأرض ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة إليها؟ ثمَّ قصرت حيلة الناس عمّا حاولوا من صنعتها على حرصهم واجتهادهم في ذلك، فإنّهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لا محالة سيظهر ويستفيض في العالم حتّى تكثر الفضّة والذهب، ويسقطا عند الناس، فلا يكون لهما قيمة، ويبطل الانتفاع بهما في الشراء والبيع والمعاملات، ولا كان يجبي السلطان الأموال ولا يدّخرهما أحد للأعقاب، وقد أُعطي الناس مع هذا صنعة الشبه من النحاس والزجاج من الرمل، والفضّة من الرصاص، والذهب من الفضّة وأشباه ذلك ممّا لا مضرّة فيه. فانظر كيف أعطوا إرادتهم في ما لا ضرر فيه، ومنعوا ذلك في ما كان ضارّاً لهم لو نالوه. ومن أوغل في المعادن انتهى إلى واد عظيم يجري منصلتاً بماء غزير، لا يدرك غوره ولا حيلة في عبوره، ومن ورائه أمثال الجبال من الفضّة. تفكّر الآن في هذا من تدبير الخالق الحكيم، فإنّه أراد - جلّ ثناؤه - أن يرى العباد مقدرته وسعة خزائنه، ليعلموا أنّه لو شاء أن يمنحهم كالجبال من الفضّة لفعل، لكن لا صلاح لهم في ذلك لأنّه لو كان فيكون فيها كما ذكرنا سقوط هذا الجوهر عند الناس وقلّة انتفاعهم به. واعتبر ذلك بأنّه قد يظهر الشيء الطريف ممّا يحدثه الناس من الأواني والأمتعة، فما دام عزيزاً قليلاً فهو نفيس جليل آخذ الثمن، فإذا فشا وكثر في أيدي الناس سقط عندهم وخسّت قيمته. ونفاسة الأشياء من عزّتها(٢).

بيان: الكلس - بالكسر -: الصاروج، والجبس - بالكسر -: الجصّ، وفي أكثر النسخ «الجبسين» ولم أجده في ما عندنا من كتب اللغة، لكن في لغة الطبّ كما في أكثر النسخ. والمرتك - كمقعد - المرداسنج، و«القونيا» بالباء الموحّدة أو الياء المثنّاة من تحت، ولم

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ٣٦٣ باب فضل اليقين ح ١١.
(٢) توحيد المفضل، ص ١٥١.

أجدهما في كتب اللغة، لكن في القاموس: القونة القطعة من الحديد أو الصفر يرقع بها الإناء. وفي بعض النسخ «والتوتيا» وفي كتب اللغة أنّه حجر يكتحل به. والقار: القير. وجبى الخراج جباية: جمعه. والإيغال: المبالغة في الدخول والذهاب. وانصلت: مضى وسبق.

تتميم نفعه عميم: إعلم أنّ الّذي يستفاد من الآيات المتظافرة والأخبار المتواترة هو أنّ تأثيره سبحانه في الممكنات لا يتوقّف على الموادّ والاستعدادات، وإنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. وهو سبحانه جعل للأشياء منافع وتأثيرات وخواصّ أودعها فيها، وتأثيراتها مشروطة بإذن الله تعالى وعدم تعلّق إرادته القاهرة بخلافها، كما أنّه أجرى عادته بخلق الإنسان من اجتماع الذكر والأنثى وتولّد النطفة منهما وقرارها في رحم الأنثى وتدرّجها علقة ومضغة وهكذا فإذا أراد غير ذلك فهو قادر على أن يخلق من غير أب كعيسى، ومن غير أمّ أيضاً كآدم وحوّاء، وكخفّاش عيسى وطير إبراهيم وغير ذلك من المعجزات المتواترة عن الأنبياء في إحياء الموتى. وجعل الإحراق في النار، فلمّا أراد غير ذلك قال للنار: كوني برداً وسلاماً على إبراهيم. وجعل الثقيل يرسب في الماء وينحدر من الهواء، فأظهر قدرته بمشي كثير على الماء ورفعهم إلى السماء وجعل في طبع الماء الانحدار فأجرى حكمه عليه بأن تقف أمثال الجبال منه في الهواء حتّى تعبر بنو إسرائيل من البحر. ومع عدم القول بذلك لا يمكن تصديق شيء من المعجزات اليقينيّة المتواترة عن الأنبياء والأوصياء عليهم السلام. وكذا جرى عادته على انعقاد الجواهر في المعادن بأسباب من المؤثّرات الأرضية والسماويّة لبعض المصالح، فإذا أراد إظهار كمال قدرته ورفع شأن وليّه يجعل الحصا في كفّه دفعة جوهراً ثميناً، والحديد في يد نبيّه عجيناً، ويخرج الأجساد البالية دفعة من التراب في يوم الحساب. فهذه كلّها وأمثالها لا تستقيم مع الإذعان بقواعدهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة.

وقال بعضهم حذراً من التشهير والتكفير: إعادة النفس إلى بدن مثل بدنها الّذي كان لها في الدنيا مخلوق من سنخ هذا البدن بعد مفارقتها عنه في القيامة كما نطقت به الشريعة ممكن غير مستحيل، ولا استبعاد أيضاً فيها ولا يلزم أن يكون حدوث لياقته واستعداده لتعلّقها ممّا يحصل له شيئاً فشيئاً ككونه أوّلاً نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ عظاماً ثمّ طفلاً إلى تمام الخلقة حسب ما يقتضيه التوالد والتناسل، فإنّ ذلك نحو خاصّ من الحدوث، والحدوث لا ينحصر للإنسان في هذا النحو، لجواز أن يتكوّن دفعة تامّاً كاملاً لأجل خصوصية بعض الأزمنة والأوقات، والأوضاع الفلكيّة ترجّح إرادة الله تعالى في إيجاد الناس وتكوين أجسادهم دفعة واحدة، ونفخ أرواحهم في أجسادهم المتكوّنة نفخة واحدة، بتوسّط بعض ملائكته. فردّ الله تعالى بواسطة واهب الصور تلك الصور إلى موادّها لحصول المزاج الخاصّ مرّة أخرى كما تكوّن ألوف كثيرة من أصناف الحيوانات كالذباب وغيرها في الصيف من العفونات تكوّناً

دفعيّاً، ولا يلزم أن يكون نحو التعلّق واحداً في المبدأ والإعادة، بل يجوز أن يكون التعلّق الآخريّ إلى البدن على وجه لا يكون مانعاً من حصول الأفعال الغريبة والآثار العجيبة، ومشاهدة أمور غيبيّة لم يكن من شأن النفس مشاهدتها إيّاها في النشأة الدنيويّة، وكذا اقتدارها على إيجاد صور عجيبة غريبة حسنة أو قبيحة مناسبة لأوصافها وأخلاقها - انتهى - وأنت تعلم إذا تأمّلت في مجاري كلامه أنّه مع إعمال التقيّة فيه لوح إلى مرامه.

ونقل بعض قدماء الأطبّاء عن جالينوس في بيان تشريح الأعضاء وفوائدها أنّه قال: وشعر الحاجبين أيضاً ممّا لم يقصر فيه ولم يتوان عنه، وهو والأشفار دون سائر الشعر جعل له مقدار يقف عنده فلا يطول أكثر منه، وأمّا شعر الرأس واللحية فإنّه يطول كثيراً، والسبب في ذلك أنّ شعر الرأس واللحية له منفعتان: إحداهما تغطية ما تحته من الأعضاء وسترها، والأخرى إفناء الفضول الغليظة. ومنفعته من جهة التغطية والستر تختلف على وجوه شتّى، وذلك لأنّ حاجتنا إلى التغطية والستر تختلف بقدر اختلاف الأسنان وأزمان السنة والبلدان وإخراج البدن، لأنّ حاجة الرجل التامّ إلى طول الشعر ليست كحاجة الصبيّ الصغير إلى ذلك، ولا كحاجة الشيخ الفاني ولا كحاجة المرأة، وكذلك أيضاً ليست الحاجة إلى طول الشعر في الصيف والشتاء سواء، ولا في البلاد الحارّة والباردة، ولا حاجة من كانت عينه معتلّة من الرمد أو كان رأسه يصدع إلى ذلك كحاجة من هو صحيح البدن لا علّة به، فاحتيج لذلك أن نكون نحن نجعل طول الشعر في الأوقات المختلفة بأقدار مختلفة. بحسب ما يوافق كلّ وقت منها. وأمّا الحاجبان والأشفار فإنّه إن زيد فيه أو نقص منه فسدت منفعته، وذاك أنّ الأشفار تحوط العين بمنزلة الجدار ليحجب عنها ويمنع من أن يسقط فيها شيء من الأجرام الصغار إذا كانت مفتوحة. وشعر الحاجبين جعل يلقى ما ينحدر من الرأس قبل وصوله إلى العين بمنزلة السور المانع، فمتى قصرت من طوله أو قلّلت من عدده أكثر ممّا ينبغي كان ما يدخل على منفعته من الفساد بحسب ما ينقص من المقدار الّذي يحتاج إليه. وذاك أنّ الأشفار حينئذ تطلق ما قد كانت تمنعه قبل النقصان من الوصول إلى العين، وشعر الحاجبين يرسل ما قد كان يحبسه ويمنعه من الوصول إلى العين من الأشياء الّتي تسيل من الرأس. فإن أنت طوّلت هذا الشعر وكثّرته فوق المقدار الّذي ينبغي لم يقم حينئذ للعين مقام الحاجب ولا مقام السور المانع، لكنّه يغطّي العين ويعلو عليها حتّى يصير منه في مثل حبس ضيّق. وذاك أنّه يستر الحدقة ويحجبها حتّى تظلم، والحدقة أحوج الحواس كلّها إلى أن لا تحجب ولا يحال بينها وبين ما يدركه البصر. وإذا كان الأمر على ما وصفت فما الّذي ينبغي أن نقول فيه؟ أنقول: إنّ الخالق أمر هذا الشعر أن يبقى على مقدار واحد ولا يطول أكثر منه، وأنّ الشعر قبل ذلك الأمر فأطاع فيبقى لا يخالف ما أمر به إمّا للفزع والخوف من المخالفة لأمر الله، وإمّا للمجاملة والاستحياء من الله الّذي أمره بهذا الأمر، وإمّا لأنّ الشعر نفسه يعلم أنّ هذا أولى به وأحمد من فعله. أمّا موسى فهذا رأيه في الأشياء الطبيعيّة، وهذا الرأي عندي

أحمد وأولى أن يتمسّك به من رأي أفيقورس، إلاّ أنّ الأجود الإضراب عنهما جميعاً والاحتفاظ بأنّ الله هو مبدىء خلق كلّ شيء كما قال موسى، وزيادة المبدأ الّذي من المادّة. فإنّ خالقنا إنّما جعل الأشفار وشعر الحاجبين يحتاج أن يبقى على مقدار واحد من الطول، لأنّ هكذا كان أوفق وأصلح، فلمّا علم أنّ هذا الشعر كان ينبغي أن يجعل على هذا جعل تحت الأشفار جزماً صلباً يشبه الغضروف يمتدّ في طول الجفن، وفرش تحت الحاجبين جلدة صلبة ملزقة بغضروف الحاجبين، وذلك أنّه لم يكن يكتفي في بقاء الشعر على مقدار واحد من الطول بأن يشاء الخالق أن يكون هكذا، كما أنّه لو شاء أن يجعل الحجر دفعة إنساناً لم يكن ذلك بممكن. والفرق في ما بين إيمان موسى وإيماننا وأفلاطون وسائر اليونانيّين هو هذا: موسى يزعم أنّه يكتفي بأن يشاء الله أن يزيّن المادّة ويهيّئها لا غير، فيتزيّن ويتهيّأ على المكان، وذاك أنّه يظنّ أنّ الأشياء كلّها ممكنة عند الله فإنّه لو شاء الله أن يخلق من الرماد فرساً أو ثوراً دفعة لفعل. وأمّا نحن فلا نعرف هذا، ولكنّا نقول: إنّ من الأشياء أشياء في أنفسها غير ممكنة، وهذه الأشياء لا يشاء الله أصلاً أن تكون، وإنّما يشاء أن تكون الأشياء الممكنة، وأيضاً لا يختار إلاّ أجودها وأوفقها وأفضلها. ولذا لمّا كان الأصلح والأوفق للأشفار وشعر الحاجبين أن يبقى على مقداره من الطول وعلى عدده الّذي هو عليه دائماً أبداً لسنا نقول في هذا الشعر إنّ الله إنّما شاء أن يكون على ما هو عليه فصار من ساعته على ما شاء الله، وذاك أنّه لو شاء ألف ألف مرّة أن يكون هذا الشعر على هذا لم يكن ذلك أبداً بعد أن يجعل منشأه من جلدة رخوة إلاّ أنّه لو لم يغرس أصول الشعر في جرم صلب لكان مع ما يتغيّر ممّا هو عليه لا يبقى أيضاً قائماً منتصباً. وإذا كان هذا هكذا فإنّا نقول: إنّ الله سبب لأمرين: أحدهما اختيار أجود الحالات وأصلحها وأوفقها لما يفعل. والثاني اختيار المادّة الموافقة. ومن ذلك أنّه لمّا كان الأصلح والأجود أن يكون شعر الأشفار قائماً منتصباً وأن يدوم بقاؤه على حالة واحدة في مقدار طوله وفي عدده، جعل مغرس الشجر ومركزه في جرم صلب، ولو أنّه غرسه في جرم رخو لكان أجهل من موسى، وأجهل من قائد جيش سخيف يضع أساس سور مدينة أو حصنه على أرض رخوة غارقة بالماء. وكذلك بقاء شعر الحاجبين ودوامه على حالة واحدة إنّما جاء من قبل اختياره للمادة، وكما أنّ العشب وسائر النبات ما كان منه ينبت في أرض رطبة سمينة خصبة فإنّه يطول وينشأ نشوءاً حسناً، وما كان منه في أرض صخريّة جافّة فإنّه لا ينمو ولا يطول، كذلك أحد الأمرين - انتهى كلامه ضاعف الله عذابه وانتقامه -.

وأقول: قد لاح من الكلام الرديء المشتمل على الكفر الجليّ أمور:

الأول: ما أسلفنا من أنّ الأنبياء المخبرين عن وحي السماء لم يقولوا بتوقّف تأثير الصانع - تعالى شأنه - على استعداد الموادّ، ولا استحالة تعلّق إرادته بإيجاد شيء من شيء بدون مرور زمان أو إعداد، وله أن يخلق كلّ شيء كان من أيّ شيء أراد.

الثاني: أنّ الحكماء لم يكونوا يعتقدون نبوّة الأنبياء ولم يؤمنوا بهم، وأنّهم يزعمون أنّهم

أصحاب نظر وأصحاب آراء مثلهم، يخطئون ويصيبون، ولم يكن علومهم مقتبسة من مشكاة أنوارهم كما زعمه أتباعهم.

الثالث: أنّهم كانوا منكرين لأكثر معجزات الأنبياء عليهم السلام فإنّ أكثرها ممّا عدّوها من المستحيلات.

الرابع: أنّهم كانوا في جميع الأعصار معارضين لأرباب الشرائع والديانات كما هم في تلك الأزمنة كذلك.

قال الشيخ المفيد - قدّس سرّه - في كتاب المقالات: أقول: إنّ الطباع معان تحلّ الجسم يتهيّأ بها للانفعال كالبصر وما فيه من الطبيعة الّتي بها يتهيّأ لحلول الحسّ فيه والإدراك. ثمّ قال: وإنّ ما يتولّد بالطبع فإنّما هو لمسبّبه بالفعل في المطبوع وأنّه لا فعل على الحقيقة لشيء من الطباع، وهذا مذهب أبي القاسم الكعبيّ، وهو خلاف مذهب المعتزلة في الطباع وخلاف الفلاسفة الملحدين أيضاً في ما ذهبوا إليه من أفعال الطباع. ثمّ قال: قد ذهب كثير من الموحّدين إلى أنّ الأجسام كلّها مركّبة من الطبائع الأربع، وهي: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة. واحتجّوا في ذلك بانحلال كلّ جسم إليها وبما يشاهدونه من استحالتها كاستحالة الماء بخاراً، والبخار ماءاً، والموات حيواناً، والحيوان مواتاً، ووجود الناريّة والمائيّة والهوائيّة والترابيّة في كلّ جسم وأنّه لا ينفكّ جسم من الأجسام من ذلك ولا يعقل على خلافه ولا ينحلّ إلاّ إليه، وهذا ظاهر مكشوف لست أجد لدفعه حجّة أعتمد عليها، ولا أراه مفسداً لشيء من التوحيد أو العدل أو الوعيد أو النبوّات أو الشرائع فأطرحه لذلك بل هو مؤيّد للدين مؤكّد لأدلّة الله تعالى على ربوبيّته وحكمته وتوحيده، وممّن دان به من رؤساء المتكلّمين النظّام، وذهب إليه البلخيّ ومن اتّبعه في المقال[1].

وقال الشيخ الرضيّ أمين الدين الطبرسيّ - نورّ الله مرقده - في مجمع البيان في تفسير سورة الفيل بعد إيراد القصّة المشهورة: وفيه حجّة لائحة قاصمة لظهور الفلاسفة والملحدين والمنكرين للآيات الخارقة للعادات، فإنّه لا يمكن نسبة شيء ممّا ذكره الله من أمر أصحاب الفيل إلى طبع وغيره، كما نسبوا الصيحة والريح العقيم والخسف وغيرها ممّا أهلك الله تعالى به الأمم الخالية إلى ذلك، إذ لا يمكنهم أن يروا في أسرار الطبيعة إرسال جماعات من الطير معها أحجار معدّة مهيّأة لهلاك أقوام معيّنين قاصدات إيّاهم دون من سواهم، فترميهم بها حتّى تهلكهم وتدمّر عليهم، لا يتعدّى ذلك إلى غيرهم. ولا يشكّ من له مسكة من عقل ولبّ أنّ هذا لا يكون إلاّ من فعل الله تعالى مسبّب الأسباب، ومذلّل الصعاب، وليس لأحد أن ينكر هذا، لأنّ نبيّنا صلّى الله عليه وآله لمّا قرأ هذه السورة على أهل مكّة لم ينكروا ذلك بل أقرّوا به وصدّقوه مع شدّة حرصهم على تكذيبه واعتنائهم بالردّ عليه، وكانوا قريبي العهد

(١) أوائل المقالات، ص ١٠١.

بأصحاب الفيل، فلو لم يكن لذلك عندهم حقيقة وأصل لأنكروه وجحدوه. وكيف وإنّهم قد أرّخوا بذلك كما أرّخوا ببناء الكعبة وموت قصيّ بن كعب وغير ذلك. وقد أكثر الشعراء ذكر الفيل ونظموه ونقلته الرواة عنهم(١).

وأقول: هذه الجناية على الدين، وتشهير كتب الفلاسفة بين المسلمين، من بدع خلفاء الجور المعاندين لأئمّة الدين، ليصرفوا الناس عنهم وعن الشرع المبين. ويدلّ على ذلك ما ذكره الصفديّ في شرح لاميّة العجم: إنّ المأمون لمّا هادن بعض ملوك النصارى - أظنّه صاحب جزيرة قبرس - طلب منهم خزانة كتب اليونان - وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليه أحد - فجمع الملك خواصّه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك فكلّهم أشار بعدم تجهيزها إليه إلاّ مطران واحد فإنّه قال: جهّزها إليهم، ما دخلت هذه العلوم على دولة شرعيّة إلاّ أفسدتها وأوقعت الاختلاف بين علمائها. وقال في موضع آخر: إنّ المأمون لم يبتكر النقل والتعريب - أي لكتب الفلاسفة - بل نقل قبله كثير، فإنّ يحيى بن خالد بن برمك عرّب من كتب الفرس كثيراً مثل «كليلة ودمنة» وعرّب لأجله كتاب «المجسطي» من كتب اليونان. والمشهور أنّ أوّل من عرّب كتب اليونان خالد بن يزيد بن معاوية لما أولع بكتب الكيمياء. ويدلّ على أنّ الخلفاء وأتباعهم كانوا مائلين إلى الفلسفة، وأنّ يحيى البرمكيّ كان محبّاً لهم ناصراً لمذهبهم ما رواه الكشّيّ بإسناده عن يونس بن عبد الرحمان، قال: كان يحيى بن خالد البرمكيّ قد وجد على هشام شيئاً من طعنه على الفلاسفة، فأحبّ أن يغري به هارون ويضربه على القتل، ثمّ ذكر قصّة طويلة في ذلك أوردناها في باب أحوال أصحاب الكاظم عليه السلام(٢) وفيها أنّه أخفى هارون في بيته ودعا هشاماً ليناظر العلماء وجرّوا الكلام إلى الإمامة وأظهر الحقّ فيها، وأراد هارون قتله فهرب ومات من ذلك الخوف رحمه الله. وعدّ أصحاب الرجال من كتبه «كتاب الردّ على أصحاب الطبائع» و«كتاب الردّ على أرسطا طاليس» في التوحيد. وعدّ الشيخ منتجب الدين في فهرسه من كتب قطب الدين الراونديّ «كتاب تهافت الفلاسفة» وعدّ النجاشيّ من كتب الفضل بن شاذان «كتاب ردّ على الفلاسفة» وهو من أجلّة الأصحاب. وطعن عليهم الصدوق رحمه الله في مفتتح كتاب «إكمال الدين». وقال الرازيّ عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾(٣): فيه وجوه - ثمّ ذكر من جملة الوجوه - أن يريد علم الفلاسفة والدهريّين من بني يونان، وكانوا إذا سمعوا بوحي الله صغّروا علم الأنبياء إلى علمهم. وعن سقراط أنّه سمع بموسى عليه السلام وقيل له: أوهاجرت إليه؟ فقال: نحن قوم مهذّبون فلا حاجة إلى من يهذّبنا. وقال الرازيّ في «المطالب العالية»: أظنّ أنّ قول إبراهيم لأبيه ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾(٤) إنّما كان

---

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٤٤٤.
(٢) في ج ٤٨ من هذه الطبعة.
(٣) سورة غافر، الآية: ٨٣.
(٤) سورة مريم، الآية: ٤٢.

لأجل أنّ أباه كان على دين الفلاسفة، وكان ينكر كونه تعالى قادراً وينكر كونه تعالى عالماً بالجزئيّات فلا جرم خاطبه بذلك الخطاب.

٣٦ - باب نادر

١ - **الخصال:** عن أبيه، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن محمّد بن أحمد، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: ما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً إلاّ وقد أمّر عليه آخر يغلبه به، وذلك أنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق السحاب فخرت وزخرت وقالت: أيّ شيء يغلبني؟ فخلق الله عزّ وجلّ الفلك فأدارها بها وذلّلها. ثمّ إنّ الأرض فخرت وقالت: أيّ شيء يغلبني؟ فخلق الجبال فأثبتها في ظهرها أوتاداً منعها من أن تميد بما عليها فذلّت واستقرّت ثمّ إنّ الجبال فخرت على الأرض فشمخت واستطالت وقالت: أيّ شيء يغلبني فخلق الله الحديد فقطعها فقرّت الجبال وذلّت. ثمّ إنّ الحديد فخر على الجبال وقال أيّ شيء يغلبني فخلق الله النار فأذابت الحديد فذلّ الحديد. ثمّ إنّ النار زفرت وشهقت وفخرت وقالت: أيّ شيء يغلبني؟ فخلق الماء فأطفأها فذلّت. ثمّ إنّ الماء فخر وزخر وقال: أيّ شيء يغلبني؟ فخلق الريح فحرّكت أمواجه وأثارت ما في قعره وحبسته عن مجاريه فذلّ الماء. ثمّ إنّ الريح فخرت وعصفت وأرخت أذيالها وقالت: أيّ شيء يغلبني؟ فخلق الإنسان فاحتال واتّخذ ما يستتر به من الريح وغيرها فذلّت الريح. ثمّ إنّ الإنسان طغى وقال: من أشدّ منّي قوّة؟ فخلق الموت فقهره فذلّ الإنسان. ثمّ إنّ الموت فخر في نفسه فقال الله - جلّ جلاله -: لا تفخر، فإنّي أذبحك بين الفريقين: أهل الجنّة والنار، ثمّ لا أحييك أبداً، فذلّ وخاف[1].

بيان: «فخلق الله الفلك فأدارها بها» لعلّ المعنى أنّ الأفلاك بأجرامها النيّرة مسلّطة على السحاب تبعثها وتثيرها وتدنيها وتفرّقها. وقد مرّ برواية الكلينيّ هكذا: «وذلك أنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق البحار السفلى فخرت وزخرت وقالت: أيُّ شيء يغلبني؟ فخلق الأرض فسطحها على ظهرها فذلّت، ثمّ إنّ الأرض فخرت - إلى آخر الخبر -» وهو الظاهر، بل لا يستقيم ما في الخصال كما لا يخفى، وقد سبق شرح الخبر في الباب الأوّل.

٢ - **الخصال:** عن أبيه، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي نجران عن عاصم بن حميد، عن محمّد بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام: في ما سأل رسول معاوية لأسئلة ملك الروم الحسن بن عليّ عليه السلام قال: وأمّا عشرة أشياء بعضها أشدّ من بعض فأشدّ شيء خلقه الله عزّ وجلّ الحجر، وأشدّ من الحجر الحديد يقطع به الحجر، وأشدُّ من الحديد النار تذيب الحديد وأشدّ من النار الماء يطفىء النار، وأشدّ من الماء السحاب يحمل الماء، وأشدّ من

---

(١) الخصال، ص ٤٤٢ باب ١٠ ح ٣٤.

السحاب الريح يحمل السحاب، وأشدّ من الريح الملك الّذي يرسلها، وأشدّ من الملك ملك الموت الّذي يميت الملك، وأشدُّ من ملك الموت الموت الّذي يميت ملك الموت، وأشدّ من الموت أمر [الله] ربّ العالمين الّذي يميت الموت(١).

٣ - **كتاب الغارات:** لإبراهيم بن محمّد الثقفيّ، عن الشعبيّ، قال: قال ابن الكوّاء لأمير المؤمنين عليه السلام: أيّ خلق الله أشدُّ؟ قال: إنّ أشدّ خلق الله عشرة: الجبال الرواسي، والحديد تنحت به الجبال، والنار تأكل الحديد، والماء يطفىء النار، والسحاب المسخّر بين السماء والأرض تحمل الماء، والريح تقلّ السحاب والإنسان يغلب الريح يتّقيها بيديه ويذهب لحاجته، والسكر يغلب الإنسان، والنوم يغلب السكر، والهمّ يغلب النوم، فأشدّ خلق ربّك الهمّ(٢).

٤ - **العلل:** عن أحمد بن محمّد العلويّ، عن محمّد بن إبراهيم بن أسباط، عن أحمد ابن محمّد بن زياد، عن أحمد بن محمّد بن عبد الله، عن عيسى بن جعفر العلويّ العمريّ عن آبائه عن عمر بن عليّ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه سئل: ممّا خلق الله عزّ وجلّ الذرّ الّذي يدخل في كوّة البيت؟ فقال: إنّ موسى عليه السلام لمّا قال: ربّ أرني أنظر إليك، قال الله عزّ وجلّ: إن استقرّ الجبل لنوري فإنّك ستقوى على أن تنظر إليّ، وإن لم يستقرّ فلا تطيق إبصاري لضعفك، فلمّا تجلّى الله تبارك وتعالى للجبل تقطّع ثلاث قطع: فقطعة ارتفعت في السماء، وقطعة غاصت تحت الأرض، وقطعة تفتّتت، فهذا الذرّ من ذلك الغبار غبار الجبل(٣).

بيان: هذا الخبر على تقدير صحّته وصدوره عن الإمام، لعلّ المعنى أنّ له أيضاً مدخليّة في تلك الذرّات في بعض البلاد أو كلّها بأن تكون تفرّقت بقدرة الله تعالى في جميع البلاد.

٣٧ - باب الممدوح من البلدان والمذموم منها وغرائبها

الآيات: يونس: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ «٩٣».

الأنبياء: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾. وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ «٨١».

المؤمنون: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ «٥٠».

القصص: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ «٢٩ - ٣٠».

سبأ: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ «١٥ - ١٨».

(١) الخصال، ص ٤٤٢ باب ١٠ ح ٣٣. (٢) الغارات، ص ١٨٢.
(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ٤٧٣ باب ٢٥١ ح ١.

النازعات: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ «١٦».

البلد: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝١ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝٢﴾.

التين: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣﴾.

تفسير: ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ أي مكاناً محموداً حسناً، وهو بيت المقدس والشام، وقيل: يريد به مصر[(١)]. وقال عليّ بن إبراهيم: ردّهم إلى مصر وغرق فرعون[(٢)]. ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي النعم اللذيذة ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ قيل: هي أرض الشام، أي نجّينا إبراهيم ولوطاً من (كوثا) إلى الشام، وإنّما قال ﴿بَارَكْنَا فِيهَا﴾ لأنّها بلاد خصب، وقيل: إلى أرض بيت المقدس لأنّ بها مقام الأنبياء[(٣)]. والحاصل أنّ أكثر أنبياء بني إسرائيل بعثوا في الشام وبيت المقدس، فانتشرت في العالمين شرائعهم الّتي هي مبادىء الخيرات الدينيّة والدنيويّة. وقيل: نجّاهما إلى مكّة كما قال ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾روي ذلك عن ابن عبّاس. ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ وهي أرض الشام لأنّها كانت مأواه كما ذكر المفسّرون[(٤)]. ﴿وَآوَيْنَاهُمَا﴾ أي عيسى وأمّه ﴿إِلَى رَبْوَةٍ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: أي جعلنا مأواهما مكاناً مرتفعاً مستوياً واسعاً. والربوة هي الرملة من فلسطين، عن أبي هريرة. وقيل: دمشق، عن سعيد بن المسيّب، وقيل: مصر، عن ابن زيد. وقيل: بيت المقدس، عن قتادة وكعب، قال كعب: وهي أقرب الأرض إلى السماء. وقيل: هي حيرة الكوفة وسوادها، والقرار مسجد الكوفة، والمعين: الفرات، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام. وقيل: ذات قرار أي ذات موضع قرار أي هي أرض مستوية يستقرّ عليها ساكنوها، وقيل: ذات ثمار، لأنّه لأجل الثمار يستقرّ فيها ساكنوها، ومعين ماء جار وظاهر للعيون[(٥)].

﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: هي البقعة الّتي قال فيها لموسى ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ وإنّما كانت مباركة لأنّها معدن الوحي والرسالة وكلام الله تعالى. وقيل: مباركة كثيرة الثمار والأشجار والخير والنعم بها، والأوّل أصحّ - انتهى - وأقول: روى في التهذيب عن الصادق عليه السلام أنّه قال: شاطىء الوادي الأيمن الّذي ذكره الله في القرآن هو الفرات، والبقعة المباركة هي كربلاء[(٦)] ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ قيل: أي هذه بلدة نزهة أرضها عذبة تخرج النبات وليست بسبخة وليس فيها شيء من الهوامّ المؤذية. وقيل: أراد به صحّة هوائها وعذوبة مائها وسلامة تربتها وأنّه ليس فيها حرٌّ يؤذي في القيظ وبرد يؤذي في الشتاء. ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ أي بالتوسعة على أهلها، أو بما مرّ وهي قرى الشام،

---

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٢٤.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣١٧.
(٣) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٠٠.
(٤) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٠٥.
(٥) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٩٢.
(٦) مجمع البيان، ج ٧ ص ٤٣٣.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم: هي مكّة. ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ أي متواصلة يظهر بعضها لبعض. وقد مرّ تأويل ﴿ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالأئمة عليهم السلام و«القرى الظاهرة» برواة أخبارهم وفقهاء شيعتهم و﴿ٱلسَّيْرَ﴾ بالعلم ﴿ءَامِنِينَ﴾ من الشكّ والضلال. ﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ أي المطهّر ﴿طُوًى﴾ اسم الوادي الّذي كلّم الله فيه موسى عليه السلام [1].

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: أجمع المفسّرون على أنّ هذا قسم بالبلد الحرام ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ وأنت يا محمّد مقيم به وهو محلّك، وهذا تنبيه على أنّ شرف البلد بشرف من حلّ فيه من الرسول الداعي إلى توحيده وإخلاص عبادته وبيان أنّ تعظيمه له وقسمه به لأجله صلى الله عليه وآله ولكونه حالاً فيه، كما سمّيت المدينة (طيبة) لأنّها طابت به حيّاً وميّتاً. وقيل: معناه لا أقسم بهذا البلد وأنت حلّ فيه منتهك الحرمة، فلم يبق للبلد حرمة حيث هتك حرمتك، عن أبي مسلم، وهو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانت قريش تعظّم البلد وتستحلّ محمّداً فيه فقال: لا أقسم بهذا البلد وأنت حلّ بهذا البلد، يريد: أنّهم استحلّوك فيه فكذّبوك وشتموك وكانوا لا يأخذ الرجل منهم فيه قاتل أبيه. ويتقلّدون لحاء شجر الحرم فيأمنون بتقليدهم إيّاه فاستحلّوا من رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يستحلّوا من غيره فعاب الله ذلك عليهم [2]. وقال - قدّس سرّه - في قوله سبحانه: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾: أقسم الله سبحانه بالتين الّذي يؤكل والزيتون الّذي يعصر منه الزيت، عن ابن عبّاس وغيره. وقيل: التين الجبل الّذي عليه دمشق، والزيتون الجبل الّذي عليه بيت المقدس، عن قتادة. وقال عكرمة: هما جبلان، وإنّما سمّيا بهما لأنّهما نبتا بهما، وقيل: التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس، عن كعب الأحبار وغيره. وقيل: التين مسجد نوح عليه السلام الّذي بنى على الجوديّ، والزيتون بيت المقدس، عن ابن عبّاس. وقيل: التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الأقصى، عن الضحّاك. ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ يعني الجبل الّذي كلّم الله عليه موسى عليه السلام عن الحسن. وسينين وسيناء واحد، وقيل: إنّ سينين معناه المبارك الحسن كأنّه قيل: جبل الخير الكثير لأنّه إضافة تعريف، عن مجاهد وقتادة. وقيل: معناه كثير النبات والشجر، عن عكرمة. وقيل: إنّ كلّ جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسيناء بلغة النبط، عن مقاتل، وروي عن موسى بن جعفر عليه السلام: وطور سيناء ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ يعني مكّة البلد الحرام يأمن فيه الخائف في الجاهليّة والإسلام فالأمين بمعنى المؤمن، مؤمن من يدخله، وقيل: هو بمعنى الآمن، ويؤيّده قوله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [3].

١ - **الكشي:** قال: وجدت بخطّ جبرئيل بن أحمد، حدّثني محمّد بن عيسى، عن محمّد بن الفضيل، عن عبد الله بن عبد الرحمان، عن الهيثم بن واقد، عن ميمون بن عبد الله، عن

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢١٠. (٢) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٣٦١.
(٣) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٣٩٢.

أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ علياً عليه السلام لمّا أراد الخروج من البصرة قام على أطرافها ثمّ قال: لعنك الله يا أنتن الأرض تراباً، وأسرعها خراباً، وأشدّها عذاباً، فيك الداء الدويّ! قيل: ما هو يا أمير المؤمنين! قال: كلام القدر الّذي فيه الفرية على الله، وبغضنا أهل البيت، وفيه سخط الله وسخط نبيّه، وكذبهم علينا أهل البيت واستحلالهم الكذب علينا[١].

٢ - **معاني الأخبار والخصال:** عن الحسين بن إدريس، عن أبيه، عن محمّد بن أحمد الأشعريّ، عن أبي عبد الله الرازيّ، عن الحسن بن عليّ بن أبي عثمان عن موسى بن بكر، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله اختار من البلدان أربعة، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣﴾ فالتين المدينة والزيتون بيت المقدّس، وطور سينين الكوفة، وهذا البلد الأمين مكّة - الخبر -[٢].

بيان: لعلّه إنّما كنى عن المدينة بالتين لوفوره وجودته فيها، أو لكونها من أشارف البلاد كما أنّ التين من أفاضل الثمار كما سيأتي. وكنى عن الكوفة بطور سينين لأنّ ظهرها وهو النجف كان محلّ مناجاة سيد الأوصياء كما أنّ الطور كان محلّ مناجاة الكليم، أو لأنّ الجبل الّذي سأل عليه موسى الرؤية فتقطّع وقع جزء منه هناك كما ورد في بعض الأخبار، أو أنّه لمّا أراد ابن نوح أن يعتصم بهذا الجبل تقطّع فصار بعضها في طور سيناء، أو أنّه هو طور سيناء حقيقة وغلط فيه المفسّرون واللغويّون كما روى الشيخ في التهذيب بإسناده عن الثماليّ عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام أن أخرجوني إلى الظهر فإذا تصوّبت أقدامكم واستقبلتكم ريح فادفنوني، وهو أوّل طور سيناء. ففعلوا ذلك.

٣ - **المجالس:** لابن الشيخ: عن أبيه، عن المفيد، عن أحمد بن محمّد بن الوليد عن أبيه، عن الصفّار، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن الحسن بن أبي فاختة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا قتل الحسين عليه السلام بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهنّ وما بينهنّ ومن يتقلّب في الجنّة والنار وما يرى وما لا يرى إلاّ ثلاثة أشياء: البصرة، ودمشق، وآل الحكم بن العاص - الخبر -[٣].

بيان: بكاء البلاد والبقاع بكاء أهلها وظهور آثار الحزن فيهم.

٤ - **العلل:** في خبر الشاميّ أنّه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن أكرم وادٍ على وجه الأرض، فقال له: وادٍ يقال له «سرانديب» سقط فيه آدم من السماء. وسأله عن شرّ وادٍ على وجه الأرض فقال: وادٍ باليمين يقال له «برهوت» وهو من أودية جهنّم[٤].

---

(١) رجال الكشي، ص ٣٩٣ ح ٧٤١.

(٢) معاني الأخبار، ص ٣٦٥، الخصال، ص ٢٢٥ باب ٤ ح ٥٨.

(٣) أمالي الطوسي، ص ٥٤ مجلس ٢ ح ٤٢.

(٤) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٦٣ باب ٣٨٥ ح ٤٤.

بيان: قال في النهاية: في حديث عليّ «شرّ بئر في الأرض برهوت» هي بفتح الباء والراء بئر عميقة بحضرموت لا يستطاع النزول إلى قعرها. وقيل: برهوت بضمّ الباء وسكون الراء، فتكون تاؤها على الأوّل زائدة وعلى الثاني أصليّة، أخرجه الهرويّ عن عليّ، وأخرجه الطبرانيّ في المعجم عن ابن عبّاس عن النبيّ ﷺ. وقال الفيروزآباديّ: برهوت وادٍ وبئر بحضرموت - انتهى - وكونه من أودية جهنّم لشباهته بها ولتعذيب أرواح الكفّار فيه كما ورد في الأخبار، ويحتمل أن يكون لجهنّم طريق إليه.

٥ - **الخصال:** عن أحمد بن الحسن القطّان وعليّ بن أحمد بن موسى، عن أحمد بن يحيى بن زكريّا القطّان، عن بكر بن عبد الله بن حبيب، عن تميم بن بهلول، عن أبي معاوية الضرير، عن الأعمش، عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: ستّة عشر صنفاً من أمّة جدّي لا يحبّونا ولا يحبّبونا إلى الناس - إلى أن قال - وأهل مدينة تدعى «سجستان» هم لنا أهل عداوة ونصب، وهم شرّ الخلق والخليقة، عليهم من العذاب ما على فرعون وهامان وقارون، وأهل مدينة تدعى «الريّ» هم أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء أهل بيته يرون حرب أهل بيت رسول الله ﷺ جهاداً ومالهم مغنماً ولهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا والآخرة ولهم عذاب مقيم، وأهل مدينة تدعى «الموصل» هم شرّ من على وجه الأرض، وأهل مدينة تسمّى «الزوراء» تبنى في آخر الزمان يستشفون بدمائنا، ويتقرّبون ببغضنا، يوالون في عداوتنا، ويرون حربنا فرضاً، وقتالنا حتماً. يا بنيّ فاحذر هؤلاء ثمّ احذرهم فإنّه لا يخلو اثنان منهم بأحد من أهلك إلاّ همّوا بقتله - الخبر -[1].

بيان: الموصل - بفتح الميم وسكون الواو - معروف، والزوراء يطلق على دجلة بغداد وعلى بغداد لأنّ أبوابها الداخلة جعلت مزوّرة عن الخارجة، ويمكن أن تتبدّل أحوال أهل هذه البلاد باختلاف الأزمنة ويكون ما ذكر في الخبر حالهم في ذلك الزمان.

٦ - **العلل:** عن عليّ بن عبد الورّاق، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى والفضل بن عامر، عن سليمان بن مقبل، عن محمّد بن زياد الأزديّ، عن عيسى بن عبد الله الأشعريّ عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال: حدّثني أبي عن جدّي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: لمّا أسري بي إلى السماء حملني جبرئيل على كتفه الأيمن فنظرت إلى بقعة بأرض الجبل حمراء أحسن لوناً من الزعفران وأطيب ريحاً من المسك، فإذا فيها شيخ على رأسه برنس، فقلت لجبرئيل: ما هذه البقعة الحمراء الّتي هي أحسن لوناً من الزعفران وأطيب ريحاً من المسك؟ قال: بقعة شيعتك وشيعة وصيّك عليّ. فقلت: من الشيخ صاحب البرنس؟ قال: إبليس. قلت: فما يريد منهم؟ قال: يريد أن يصدّهم عن ولاية أمير المؤمنين ويدعوهم إلى الفسق والفجور، فقلت: يا جبرئيل أهوِ إليهم، فأهوى بنا إليهم أسرع من البرق

(١) الخصال، ص ٥٠٦ باب ١٦ ح ٤.

الخاطف والبصر اللامح. فقلت: قم يا ملعون! فشارك أعداءهم في أموالهم وأولادهم ونسائهم، فإنّ شيعتي وشيعة عليّ ليس لك عليهم سلطان. فسمّيت (قُم)[1].

بيان: البرنس قلنسوة طويلة كان النسّاك يلبسونها في صدر الإسلام، ذكره الجوهريّ.

٧ - **الاختصاص:** روى عليّ بن محمّد العسكريّ عن أبيه، عن جدّه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ لمّا أسري بي إلى السماء الرابعة نظرت إلى قبّة من لؤلؤ لها أربعة أركان وأربعة أبواب كأنّها من إستبرق أخضر، قلت: يا جبرئيل ما هذه القبّة الّتي لم أر في السماء الرابعة أحسن منها؟ فقال: حبيبي محمّد، هذه صورة مدينة يقال لها (قُم) يجتمع فيها عباد الله المؤمنون ينتظرون محمّداً وشفاعته للقيامة والحساب، يجري عليهم الغمّ والهمّ والأحزان والمكاره. قال: فسألت عليّ بن محمّد العسكريّ عليه السلام: متى ينتظرون الفرج؟ قال: إذا ظهر الماء على وجه الأرض[2].

تاريخ قم: عن أبي مقاتل الديلميّ عنه عليه السلام مثله.

بيان: المراد به إمّا ظهور الماء في أصل البلد، أو لم يكن في هذا الزمان فيه ماء جارٍ أصلاً، كما ذكر في تاريخ قم مبدأ حدوث الوادي بقم وأنّه كانت فيه قنوات ولم يكن فيه نهر جار.

٨ - **تفسير علي بن إبراهيم:** عن الحسين بن عبد الله السكينيّ، عن أبي سعيد البجليّ، عن عبد الملك بن هارون، عن أبي عبد الله عن آبائه - صلوات الله عليهم - قال لمّا بلغ أمير المؤمنين عليه السلام أمر معاوية وأنّه في مائة ألف، قال: من أيّ القوم؟ قالوا: من أهل الشام. قال: لا تقولوا من أهل الشام، ولكن قولوا: من أهل الشوم، هم أبناء مصر لعنوا على لسان داود عليه السلام فجعل الله منهم القردة والخنازير - الخبر -[3].

بيان: يمكن الجمع بين الآيات والأخبار الواردة في مدح الشام ومصر وذمّه بما أومأنا إليه سابقاً من اختلاف أحوال أهله في الأزمان، فإنّه كان في أوّل الزمان محلّ الأنبياء والصلحاء فكان من البلاد المباركة الشريفة، فلمّا صار أهله من أشقى الناس وأكفرهم صار من شرّ البلاد، كما أنّ يوم عاشوراء كان من الأيّام المتبرّكة - كما يظهر من بعض الأخبار - فلمّا قتل فيه الحسين عليه السلام صار من أنحس الأيّام.

٩ - **قرب الإسناد:** عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن البزنطيّ، قال: قلت للرضا عليه السلام: إنّ أهل مصر يزعمون أنّ بلادهم مقدّسة. قال: وكيف ذلك؟ قلت: جعلت فداك، يزعمون أنّه يحشر من جيلهم سبعون ألفاً يدخلون الجنّة بغير حساب! قال: لا، لعمري ما ذاك كذلك، وما غضب الله علي بني إسرائيل إلاّ أدخلهم مصر، ولا رضي عنهم إلاّ أخرجهم منها إلى غيرها. ولقد أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى عليه السلام أن يخرج عظام

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٤٤ باب ٣٧٣ ح ١. (٢) الإختصاص، ص ١٠١.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٤١.

يوسف منها، فاستدلّ موسى على من يعرف القبر، فدلّ على امرأة عمياء زمنة، فسألها موسى أن تدلّه عليه، فأبت إلاّ على خصلتين: فيدعو الله فيذهب زمانتها ويصيّرها معه في الجنّة في الدرجة الّتي هو فيها، فأعظم ذلك موسى، فأوحى الله إليه وما يعظم عليك من هذا أعطها ما سألت. ففعل فتوعّدته طلوع القمر، فحبس الله القمر حتّى جاء موسى لموعده، فأخرجه من النيل في سفط مرمر، فحمله موسى عليه السلام ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تغسلوا رؤوسكم بطينها ولا تأكلوا في فخارها فإنّه يورث الذلّة ويذهب الغيرة. قلنا له: قد قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: نعم[1].

العياشي: عن عليّ بن أسباط عن الرضا عليه السلام مثله[2].

١٠ - **البصائر:** عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن أبي جميلة، عن محمّد الحلبيّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلاّ أهل الكوفة[3].

بيان: أي قبولاً كاملاً كما في الخبر الآتي.

١١ - **البصائر:** عن يعقوب بن يزيد، عن ابن سنان، عن عتيبة بيّاع القصب عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ ولايتنا عرضت على السموات والأرض والجبال والأمصار ما قبلها قبول أهل الكوفة[4].

١٢ - **النهج:** من كلام له عليه السلام في ذكر الكوفة: كأنّي بك يا كوفة تمدّين مدّ الأديم العكاظيّ، تُعركين بالنوازل، وتُركبين بالزلازل، وإني لأعلم أنّه ما أراد بك جبّار سوءً إلاّ ابتلاه الله بشاغل، ورماه بقاتل[5].

بيان: «الأديم» الجلد أو مدبوغه، و«عكاظ» بالضمّ موضع بناحية مكّة كانت العرب تجتمع في كلّ سنة ويقيمون به سوقاً مدّة شهر ويتعاكظون أي يتفاخرون ويتناشدون، وينسب إليه الأديم لكثرة البيع فيه، والأديم العكاظيّ مستحكم الدباغ شديد المدّ، وذلك وجه الشبه، والعرك: الدلك والحكّ، وعركه: أي حمل عليه الشرّ، وعركت القوم في الحرب: إذا مارستهم حتّى أتعبتهم «والنوازل» المصائب والشدائد، و«الزلازل» البلايا. و«تركبين» - على بناء المجهول كالفعلين السابقين - أي تُجعلين مركوبة لها أو بها على أن تكون الباء للسببيّة كالسابقة. والشدائد الّتي أصابت الكوفة وأهلها معروفة مذكورة في السير. وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: هذه مدينتنا ومحلّنا ومقرّ شيعتنا. وعن الصادق عليه السلام أنّه قال: تربة تحبّنا ونحبّها. وعنه عليه السلام : اللّهمّ ارم من رماها، وعاد من عاداها. وقال محمّد بن الحسين الكيدريّ في شرح النهج: فمن الجبابرة الّذين ابتلاهم الله بشاغل فيها زياد، وقد

---

(١) قرب الإسناد، ص ٣٧٣ ح ١٣٣٠. (٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٣٤ ح ٧٣.

(٣) - (٤) بصائر الدرجات، ص ٨٧ ج ٢ باب النوادر ح ١ و٤. (٥) نهج البلاغة، ص ١٢٠ خ ٤٧.

جمع الناس في المسجد ليلعن علياً - صلوات الله عليه - فخرج الحاجب وقال: انصرفوا، فإنّ الأمير مشغول، وقد أصابه الفالج في هذه الساعة! وابنه عبيد الله بن زياد وقد أصابه الجذام، والحجّاج بن يوسف وقد تولّدت الحيّات في بطنه حتّى هلك، وعمر بن هبيرة وابنه يوسف وقد أصابهما البرص، وخالد القسريّ وقد حبس فطولب حتّى مات جوعاً. وأمّا الّذين رماهم الله بقاتل فعبيد الله بن زياد، ومصعب بن الزبير، وأبو السرايا وغيرهم قتلوا جميعاً، ويزيد بن المهلّب قتل على أسوأ حال.

١٣ - **القصص**: بالإسناد إلى الصدوق، بإسناده عن ابن محبوب، عن داود الرقيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبو جعفر - صلوات الله عليهما - يقول: نعم الأرض الشام[(١)] وبئس القوم أهلها اليوم، وبئس البلاد مصر، أما إنّها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل، ولم يكن دخل بنو إسرائيل مصر إلاّ من سخطة ومعصية منهم لله، لأنّ الله عزّ وجلّ قال: ﴿ٱدۡخُلُوا۟ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِی كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾[(٢)] يعني الشام، فأبوا أن يدخلوها وعصوا فتاهوا في الأرض أربعين سنة. قال: وما كان خروجهم من مصر ودخولهم الشام إلاّ من بعد توبتهم ورضا الله عنهم. ثمّ قال أبو جعفر - صلوات الله عليه - إنّي أكره أن آكل شيئاً طبخ في فخار مصر، وما أحبّ أن أغسل رأسي من طينها مخافة أن تورثني تربتها الذلّ وتذهب بغيرتي[(٣)].

العياشي: عن داود مثله. «ج ١ ص ٣٣٥ ح ٧٥ من سورة المائدة».

١٤ - **القصص**: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن أبي الخطّاب عن

---

(١) جملة ممّا يتعلّق بالشام والقبور الواقعة بها، كما عن الحموي في المعجم في ذكر دمشق قال: وفي قبلي الباب الصغير قبر بلال بن حمامة، وكعب الأحبار، وثلاث من أزواج النبي، وقبر فضّة جارية فاطمة عليها السلام، وأبي الدرداء، وأم الدرداء، وفضالة بن عبيد، وسهل بن الحنظلية، وواثلة بن الأسقع، وأوس بن أوس الثقفي، وأم الحسن بنت جعفر الصادق عليه السلام، وعلي بن عبد الله بن العباس، وسلمان ابن علي بن عبد الله بن العباس، وزوجته أم الحسن بنت علي بن أبي طالب، وخديجة بنت زين العابدين عليه السلام، وسكينة بنت الحسين عليه السلام - والصحيح أنّها بالمدينة - ومحمّد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام؛ إنتهى. ونزيدك عليه ما نقل عن خط بعض الثقات: رؤوس الشهداء، ومقام عبد الله ابن الإمام السجاد عليه السلام، وأم حبيبة وأم سلمة زوجتي النبي صلى الله عليه وآله، ونيكن (ميمونة)، وفاطمة الصغرى، وعبد الله بن الصادق عليه السلام، وعبد الله بن جعفر الطيار، وأم كلثوم بنت الأمير عليه السلام (وقبر معاوية، ويزيد، وبنت معاوية). والمسجد الأموي وفيه: قبر يحيى، ومحراب السجاد عليه السلام، وبئر يحيى، ومحل رأس الحسين عليه السلام، ومحل شعرات النبي، وقبر رقية، وكهف أصحاب الكهف، وقبر محمّد بن الحنفية، وقبر هاشم جدّ النبي، وموضع يقرب من فرسخين فيه عين ماء يستشفى بها، ومن منافعه دفع حصا المثانة، وهي في طريق بيروت وقيل: إنّه مجرب. [مستدرك السفينة ج ٥ لغة «شام»].

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢١.

(٣) قصص الأنبياء للراوندي، ص ١٨٦.

ابن أسباط، عن الحسين بن أحمد، عن أبي إبراهيم الموصليّ، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ نفسي تنازعني مصر. فقال: ما لك ومصر؟ أما علمت أنّها مصر الحتوف؟! ولا أحسبه إلاّ قال: يساق إليها أقصر الناس أعماراً(١).

١٥ - **ومنه:** بهذا الإسناد، عن ابن أسباط، عن أحمد بن محمّد بن الحضير، عن يحيى ابن عبد الله بن الحسن، رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: انتحوا مصر ولا تطلبوا المكث فيها. ولا أحسبه إلاّ قال: وهو يورث الدياثة(٢).

بيان: قال في القاموس: نحاه قصده كانتحاه.

١٦ - **القصص:** بالإسناد المتقدّم عن ابن أسباط، عن أبي الحسن عليه السلام قال: لا تأكلوا في فخارها ولا تغسلوا رؤوسكم بطينها فإنّها تورث الذلّة وتذهب بالغيرة(٣).

١٧ - **كامل الزيارة:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن الحسين بن عبيد الله عن الحسن بن عليّ بن أبي عثمان، عن عبد الجبّار، عن أبي سعيد، عن الحسين بن ثوير ويونس وأبي سلمة السرّاج والمفضّل بن عمر قالوا سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول لمّا مضى أبو عبد الله الحسين بن عليّ - صلوات الله عليهما - بكى عليه جميع ما خلق الله إلاّ ثلاثة أشياء: البصرة، ودمشق، وآل عثمان(٤).

١٨ - **الكشي:** عن محمّد بن مسعود وعليّ بن محمّد معاً، عن الحسين بن عبيد الله عن عبد الله بن عليّ، عن أحمد بن حمزة، عن عمران القميّ، عن حمّاد الناب قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام ونحن جماعة إذ دخل عليه عمران بن عبد الله القميّ فسأله وبرّه وبشّه، فلمّا أن قام قلت لأبي عبد الله عليه السلام: من هذا الّذي بررت به هذا البرّ فقال: من أهل البيت النجباء - يعني أهل قم - ما أرادهم جبّار من الجبابرة إلاّ قصمه الله(٥).

١٩ - **ومنه:** بهذا الإسناد، عن أحمد بن حمزة، عن المرزبان بن عمران، عن أبان بن عثمان، قال: دخل عمران بن عبد الله على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: كيف أنت؟ وكيف ولدك؟ وكيف أهلك؟ وكيف بنو عمّك؟ وكيف أهل بيتك؟ ثمّ حدّثه مليّاً، فلمّا خرج قيل لأبي عبد الله عليه السلام: من هذا؟ قال: هذا نجيب قوم النجباء، ما نصب لهم جبّار إلاّ قصمه الله. قال حسين: عرضت هذين الحديثين على أحمد بن حمزة فقال: أعرفهما ولا أحفظ من رواهما لي(٦).

---

(١) - (٣) قصص الأنبياء للراوندي، ص ١٨٦. (٤) كامل الزيارات، ص ١٦٦ باب ٢٦ ح ٦.

(٥) رجال الكشي، ص ٣٣٣ ح ٦٠٨.

(٦) رجال الكشي، ص ٣٣٣ ح ٦٠٩. ورواهما المفيد في الاختصاص كما مرّ في ج ٤٧ ص ٢٢٥ ح ٦ و٧ من هذه الطبعة. [النمازي].

٢٠ - كتاب تاريخ قم تأليف الحسن بن محمّد بن الحسن القميّ: قال روى سعد بن عبد الله بن أبي خلف، عن الحسن بن محمّد بن سعد، عن الحسن بن عليّ الخزاعيّ عن عبد الله بن سنان، سئل أبو عبد الله عليه السلام: أين بلاد الجبل؟ فإنّا قد روينا أنّه إذا ردّ إليكم الأمر يخسف ببعضها. فقال: إنّ فيها موضعاً يقال له (بحر) ويسمّى بقم وهو معدن شيعتنا، فأمّا الريّ فويل له من جناحيه، وإنّ الأمن فيه من جهة قم وأهله. قيل: وما جناحاه؟ قال عليه السلام: أحدهما بغداد، والآخر خراسان، فإنّه تلتقي فيه سيوف الخراسانيّين وسيوف البغداديّين، فيعجّل الله عقوبتهم ويهلكهم فيأوي أهل الريّ إلى قم فيؤويهم أهله ثمّ ينتقلون منه إلى موضع يقال له «أردستان».

٢١ - وبإسناده عن عبد الواحد البصريّ، عن أبي وائل، عن عبد الله الليثيّ عن ثابت البنانيّ عن أنس بن مالك قال: كنت ذات يوم جالساً عند النبيّ صلى الله عليه وآله إذ دخل عليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله: إليّ يا أبا الحسن، ثمّ اعتنقه وقبّل [ما] بين عينيه وقال: يا عليّ إنّ الله عزّ اسمه عرض ولايتك على السماوات، فسبقت إليها السماء السابعة فزيّنها بالعرش، ثمّ سبقت إليها السماء الرابعة فزيّنها بالبيت المعمور، ثمّ سبقت إليها السماء الدنيا فزيّنها بالكواكب، ثمّ عرضها على الأرضين فسبقت إليها مكّة فزيّنها بالكعبة، ثمّ سبقت إليها المدينة فزيّنها بي، ثمّ سبقت إليها الكوفة فزيّنها بك، ثمّ سبق إليها قم فزيّنها بالعرب وفتح إليه باباً من أبواب الجنّة.

٢٢ - وعن محمّد بن قتيبة الهمدانيّ والحسن بن عليّ الكشمارجانيّ عن عليّ بن النعمان، عن أبي الأكراد عليّ بن ميمون الصائغ، عن أبي عبد الله قال: إنّ الله احتجّ بالكوفة(١) على سائر البلاد وبالمؤمنين من أهلها على غيرهم من أهل البلاد واحتجّ ببلدة قم على سائر البلاد، وبأهلها على جميع أهل المشرق والمغرب من الجنّ والإنس، ولم يدع الله قم وأهله مستضعفاً بل وفّقهم وأيّدهم. ثمّ قال: إنّ الدين وأهله بقم ذليل، ولولا ذلك لأسرع الناس إليه فخرب قم وبطل أهله فلم يكن حجّة على سائر البلاد، وإذا كان كذلك لم تستقرّ السماء والأرض ولم يُنظروا طرفة عين وإنّ البلايا مدفوعة عن قم وأهله، وسيأتي زمان تكون بلدة قم وأهلها حجّة على الخلائق، وذلك في زمان غيبة قائمنا عليه السلام إلى ظهوره ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها، وإنّ الملائكة لتدفع البلايا عن قم وأهله، وما قصده جبّار بسوء إلاّ قصمه قاصم الجبّارين وشغله عنهم بداهية أو مصيبة أو عدوّ، وينسي الله الجبّارين في دولتهم ذكر قم وأهله كما نسوا ذكر الله.

٢٣ - ثم قال: وروي بأسانيد عن الصّادق عليه السلام أنّه ذكر كوفة وقال: ستخلو كوفة من

---

(١) وعدة من الروايات في فضل الكوفة في ج ١ من شرح النهج ص ٢٨٦ ومنها قال أمير المؤمنين عليه السلام: نعمت المدرة. وقال: يحشر من ظهرها يوم القيامة سبعون ألفاً وجوههم على صورة القمر. [النمازي].

المؤمنين ويأزر عنها العلم كما تأزر(١) الحيّة في جحرها، ثمّ يظهر العلم ببلدة يقال لها قم، وتصير مدناً للعلم والفضل حتّى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين حتّى المخدّرات في الحجال، وذلك عند قرب ظهور قائمنا، فيجعل الله قم وأهله قائمين مقام الحجّة، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها ولم يبق في الأرض حجّة، فيفيض العلم منه إلى سائر البلاد في المشرق والمغرب، فيتمّ حجّة الله على الخلق حتّى لا يبقى أحد على الأرض لم يبلغ إليه الدين والعلم، ثمّ يظهر القائم عليه السلام ويسير سبباً لنقمة الله وسخطه على العباد، لأنّ الله لا ينتقم من العباد إلّا بعد إنكارهم حجّة(٢).

٢٤ - وعن أبي مقاتل الديلميّ نقيب الريّ، قال: سمعت أبا الحسن عليّ بن محمّد عليه السلام يقول: إنّما سمّي قم به لأنّه لمّا وصلت السفينة إليه في طوفان نوح عليه السلام قامت، وهو قطعة من بيت المقدس.

٢٥ - وعن الحسن بن يوسف، عن خالد بن يزيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله اختار من جميع البلاد كوفة وقم وتفليس.

٢٦ - وعن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن أبي جميلة المفضّل ابن صالح، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا عمّت البلدان الفتن فعليكم بقم وحواليها ونواحيها، فإنّ البلاء مدفوع عنها.

٢٧ - وعن أحمد بن خزرج بن سعد، عن أخيه موسى بن خزرج، قال: قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام: أتعرف موضعاً يقال له «وراردهار»؟ قلت: نعم، ولي فيه ضيعتان. فقال: الزمه وتمسّك به. ثمّ قال ثلاث مرّات: نعم الموضع وراردهار.

٢٨ - وعن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن خالد البرقيّ، عن سعد بن سعد الأشعريّ، عن جماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا عمّت البلايا فالأمن في كوفة ونواحيها من السواد وقم من الجبل، ونعم الموضع قم للخائف الطائف.

٢٩ - وعن محمّد بن سهل بن اليسع، عن أبيه، عن جدّه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا فقد الأمن من العباد وركب الناس على الخيول واعتزلوا النساء والطيب فالهرب الهرب عن جوارهم. فقلت: جعلت فداك، إلى أين؟ قال: إلى الكوفة ونواحيها، أو إلى قم وحواليها فإنّ البلاء مدفوع عنهما.

٣٠ - وعن يعقوب بن يزيد، عن محمّد بن أبي عمير، عن جميل بن درّاج، عن زرارة بن أعين، عن الصادق عليه السلام قال: أهل خراسان أعلامنا، وأهل قم أنصارنا، وأهل كوفة أوتادنا، وأهل هذا السواد منّا ونحن منهم.

---

(١) الظاهر: يأرز. (٢) الظاهر: حجّته.

٣١ - وعن سهل بن زياد، عن عبد العظيم الحسنيّ، عن إسحاق الناصح مولى جعفر، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: قم عشُّ آل محمّد ومأوى شيعتهم، ولكن سيهلك جماعة من شبابهم بمعصية آبائهم والاستخفاف والسخرية بكبرائهم ومشايخهم ومع ذلك يدفع الله عنهم شرَّ الأعادي وكلَّ سوء.

٣٢ - وعن سهل، عن الحسين بن محمّد الكوفيّ، عن محمّد بن حمزة بن القاسم العلويّ، عن عبد الله بن العبّاس الهاشميّ، عن محمّد بن جعفر، عن أبيه الصادق عليه السلام قال: إذا أصابتكم بليّة وعناء فعليكم بقم، فإنّه مأوى الفاطميّين، ومستراح المؤمنين وسيأتي زمان ينفر أولياؤنا ومحبّونا عنّا ويبعدون منّا، وذلك مصلحة لهم لكيلا يعرفوا بولايتنا، ويحقنوا بذلك دماءهم وأموالهم. وما أراد أحد بقم وأهله سوءاً إلاّ أذلّه الله وأبعده من رحمته.

٣٣ - وعن سهل، عن أحمد بن عيسى البزّاز القميّ، عن أبي إسحاق العلاّف النيشابوريّ، عن واسط بن سليمان، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إنّ للجنّة ثمانية أبواب، ولأهل قم واحد منها، فطوبى لهم، ثمّ طوبى لهم، ثمّ طوبى لهم.

٣٤ - وعن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن خالد، عن بعض أصحابه(١)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنّا عنده جالسين إذ قال مبتدئاً: خراسان! خراسان! سجستان! سجستان! كأنّي أنظر إلى أهلهما راكبين على الجمال مسرعين إلى قم.

٣٥ - وعن يعقوب بن يزيد، عن أبي الحسن الكرخيّ، عن سليمان بن صالح قال: كنّا ذات يوم عند أبي عبد الله عليه السلام فذكر فتن بني عبّاس وما يصيب الناس منهم فقلنا: جعلنا فداك، فأين المفزع والمفرّ في ذلك الزمان؟ فقال: إلى الكوفة وحواليها وإلى قم ونواحيها. ثمّ قال: في قم شيعتنا وموالينا، وتكثر فيها العمارة، ويقصده الناس ويجتمعون فيه حتّى يكون الجمر بين بلدتهم.

وفي بعض روايات الشيعة أنّ قم يبلغ من العمارة إلى أن يشترى موضع فرس بألف درهم.

٣٦ - وفي خطبة الملاحم لأمير المؤمنين عليه السلام الّتي خطب بها بعد وقعة الجمل بالبصرة قال: يخرج الحسنيّ صاحب طبرستان مع جمّ كثير من خيله ورجله حتّى يأتي نيسابور فيفتحها ويقسم أبوابها ثمّ يأتي إصبهان، ثمّ إلى قم، فيقع بينه وبين أهل قم وقعة عظيمة يقتل فيها خلق كثير فينهزم أهل قم، فينهب الحسنيّ أموالهم ويسبي ذراريهم ونساءهم ويخرب دورهم، فيفزع أهل قم إلى جبل يقال لها «وراردهار» فيقيم الحسنيّ ببلدهم أربعين يوماً، ويقتل منهم عشرين رجلاً، ويصلب منهم رجلين ثمّ يرحل عنهم.

٣٧ - وعن عليّ بن عيسى، عن أيّوب بن يحيى الجندل، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام

---

(١) لعله معروف بن خربوذ كما مرّ في ج ٥٢ ص ١٨٢ ح ١١٧. [النمازي].

قال: رجل من أهل قم يدعو الناس إلى الحقّ، يجتمع معه قوم كزبر الحديد، لا تزلّهم الرياح العواصف، ولا يملّون من الحرب، ولا يجبنون، وعلى الله يتوكّلون، والعاقبة للمتقين.

٣٨ - وبإسناده عن عفّان البصريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: أتدري لِمَ سمّي قم؟ قلت: الله ورسوله وأنت أعلم. قال: إنّما سمّي قم لأنّ أهله يجتمعون مع قائم آل محمّد - صلوات الله عليه - ويقومون معه ويستقيمون عليه وينصرونه.

٣٩ - وعن عليّ بن عيسى، عن عليّ بن محمّد الربيع، عن صفوان بن يحيى بيّاع السابريّ قال: كنت يوماً عند أبي الحسن عليه السلام فجرى ذكر قم وأهله وميلهم إلى المهديّ عليه السلام فترحّم عليهم وقال: رضي الله عنهم. ثمّ قال: إنّ للجنّة ثمانية أبواب وواحد منها لأهل قم، وهم خيار شيعتنا من بين سائر البلاد، خمّر الله تعالى ولايتنا في طينتهم.

٤٠ - وروى بعض أصحابنا قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً إذ قرأ هذه الآية: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ فقلنا: جعلنا فداك، من هؤلاء؟ فقال ثلاث مرّات: هم والله أهل قم.

٤١ - وروي عن عدّة من أهل الريّ أنّهم دخلوا على أبي عبد الله عليه السلام وقالوا: نحن من أهل الريّ. فقال: مرحباً بإخواننا من أهل قم! فقالوا: نحن من أهل الريّ فأعاد الكلام، قالوا ذلك مراراً وأجابهم بمثل ما أجاب به أوّلاً، فقال: إنّ لله حرماً وهو مكّة، وإنّ للرسول حرماً وهو المدينة، وإنّ لأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة، وإنّ لنا حرماً وهو بلدة قم، وستدفن فيها امرأة من أولادي تسمّى فاطمة فمن زارها وجبت له الجنّة. قال الراوي: وكان هذا الكلام منه قبل أن يولد الكاظم عليه السلام.

٤٢ - وفي روايات الشيعة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أسري به رأى إبليس باركاً بهذه البقعة فقال له: قم يا ملعون! فسمّيت بذلك.

٤٣ - وروي عن الأئمّة عليهم السلام: لولا القميّون لضاع الدين.

٤٤ - وروي مرفوعاً إلى محمّد بن يعقوب الكلينيّ بإسناده إلى عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قال: إذا عمّت البلدانَ الفتن فعليكم بقم وحواليها ونواحيها، فإنّ البلاء مرفوع عنها.

٤٥ - وقال عليه السلام لزكريّا بن آدم القميّ حين قال الشيخ عنده: يا سيّدي إنّي أريد الخروج عن أهل بيتي، فقد كثرت السفهاء. فقال: لا تفعل، فإنّ البلاء يدفع بك عن أهل قم، كما يدفع البلاء عن أهل بغداد بأبي الحسن الكاظم عليه السلام.

٤٦ - وعن سهل بن زياد، عن عليّ بن إبراهيم الجعفريّ، عن محمّد بن الفضيل عن عدّة من أصحابه، عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال: إنّ لعلى قم ملكاً رفرف عليها بجناحيه لا يريدها جبّار بسوء إلاّ أذابه الله كذوب الملح في الماء. ثمّ أشار إلى عيسى بن عبد الله فقال: سلام الله على أهل قم. يسقي الله بلادهم الغيث، وينزل الله عليهم البركات، ويبدّل

الله سيّئاتهم حسنات، هم أهل ركوع وسجود وقيام وقعود، هم الفقهاء العلماء الفهماء، هم أهل الدراية والرواية وحسن العبادة.

٤٧ - وقال أبو عبد الله الفقيه الهمدانيّ في كتاب البلدان: إنّ أبا موسى الأشعريّ روى أنّه سأل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن أسلم المدن وخير المواضع عند نزول الفتن وظهور السيف، فقال: أسلم المواضع يومئذ أرض الجبل، فإذا اضطربت خراسان ووقعت الحرب بين أهل جرجان وطبرستان وخربت سجستان فأسلم المواضع يومئذ قصبة قم تلك البلدة الّتي يخرج منها أنصار خير الناس أباً وأمّاً وجدّاً وجدّة وعمّاً وعمّة تلك الّتي تسمّى الزهراء. بها موضع قدم جبرئيل، وهو الموضع الّذي نبع منه الماء الّذي من شرب منه أمن من الداء، ومن ذلك الماء عجن الطين الّذي عمل منه كهيئة الطير، ومنه يغتسل الرضا عليه السلام، ومن ذلك الموضع يخرج كبش إبراهيم وعصا موسى وخاتم سليمان.

٤٨ - ومن روايات الشيعة في فضل قم وأهلها ما رواه الحسن بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه بأسانيد ذكرها عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّ رجلاً دخل عليه فقال: يا ابن رسول الله إنّي أريد أن أسألك عن مسألة لم يسألك أحد قبلي ولا يسألك أحد بعدي! فقال: عساك تسألني عن الحشر والنشر؟ فقال الرجل: إي والّذي بعث محمّداً بالحقّ بشيراً ونذيراً ما أسألك إلاّ عنه. فقال: محشر الناس كلّهم إلى بيت المقدس إلاّ بقعة بأرض الجبل يقال لها قم، فإنّهم يحاسبون في حفرهم ويحشرون من حفرهم إلى الجنّة. ثمّ قال: أهل قم مغفور لهم. قال: فوثب الرجل على رجليه وقال: يا ابن رسول الله هذا خاصّة لأهل قم؟ قال: نعم ومن يقول بمقالتهم. ثمّ قال: أزيدك؟ قال: نعم، (قال: ظ) حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نظرت إلى بقعة بأرض الجبل خضراء أحسن لوناً من الزعفران وأطيب رائحة من المسك وإذا فيها شيخ بارك على رأسه برنس، فقلت: حبيبي جبرئيل ما هذه البقعة؟ قال: فيها شيعة وصيّك عليّ بن أبي طالب. قلت: فمن الشيخ البارك فيها؟ قال: ذلك إبليس اللعين - عليه اللعنة - قلت: فما يريد منهم؟ قال: يريد أن يصدّهم عن ولاية وصيّك عليّ ويدعوهم إلى الفسق والفجور. قلت: يا جبرئيل أهوِ بنا إليه، فأهوى بنا إليه في أسرع من برق خاطف. فقلت له: قم يا ملعون فشارك المرجئة في نسائهم وأموالهم، لأنّ أهل قم شيعتي وشيعة وصيّي عليّ بن أبي طالب.

٤٩ - وروى محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن محمّد بن الحسن الحضرميّ عن محمّد بن بهلول، عن أبي مسلم العبديّ، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: تربة قم مقدّسة وأهلها منّا ونحن منهم لا يريدهم جبّار بسوء إلاّ عجّلت عقوبته ما لم يخونوا إخوانهم! فإذا فعلوا ذلك سلّط الله عليهم جبابرة سوء! أما إنّهم أنصار قائمنا ودعاة حقّنا. ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: اللّهمّ اعصمهم من كلّ فتنة ونجّهم من كلّ هلكة.

ثمّ ذكر صاحب التاريخ المشاهد والقبور الواقعة في بلدة قم فقال: منها قبر فاطمة بنت موسى بن جعفر عليه السلام وروي أنّ زيارتها تعادل الجنّة.

وروى مشايخ قم أنّه لمّا أخرج المأمون عليّ بن موسى الرضا عليه السلام من المدينة إلى المرو في سنة مأتين خرجت فاطمة أخته في سنة إحدى ومأتين تطلبه، فلمّا وصلت إلى «ساوه» مرضت فسألت: كم بيني وبين (قُم)؟ قالوا: عشرة فراسخ، فأمرت خادمها فذهب بها إلى قم وأنزلها في بيت موسى بن خزرج بن سعد. والأصحّ أنّه لمّا وصل الخبر إلى آل سعد اتّفقوا وخرجوا إليها أن يطلبوا منها النزول في بلدة قم، فخرج من بينهم موسى بن خزرج، فلمّا وصل إليها أخذ بزمام ناقتها وجرّها إلى قم وأنزلها في داره، فكانت فيها ستّة عشر يوماً ثمّ مضت إلى رحمة الله ورضوانه، فدفنها موسى بعد التغسيل والتكفين في أرض له، وهي الّتي الآن مدفنها وبنى على قبرها سقفاً من البواري إلى أن بنت بنت الجواد عليه السلام عليها قبّة. وحدّثني الحسين بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه عن محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد أنّه لمّا توفّيت فاطمة رضي الله عنها وغسلوها وكفنوها ذهبوا بها إلى بابلان ووضعوها على سرداب حفروه لها، فاختلف آل سعد بينهم في من يدخل السرداب ويدفنها فيه، فاتّفقوا على خادم لهم شيخ كبير صالح يقال له (قادر) فلمّا بعثوا إليها رأوا راكبين سريعين متلثّمين يأتيان من جانب الرملة، فلمّا قربا من الجنازة نزلا وصلّيا عليها ودخلا السرداب وأخذا الجنازة فدفناها، ثمّ خرجا وركبا وذهبا ولم يعلم أحد من هما. والمحراب الّذي كانت فاطمة عليها السلام تصلّي إليه موجود إلى الآن في دار موسى بن الخزرج. ثمّ ماتت أمّ محمّد بنت موسى بن محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام فدفنوها في جنب فاطمة رضي الله عنها ثمّ توفّيت ميمونة أختها فدفنوها هناك أيضاً وبنوا عليهما أيضاً قبّة، ودفن فيها أمّ إسحاق جارية محمّد وأمّ حبيب جارية محمّد بن أحمد الرضا وأخت محمّد بن موسى. ثمّ قال: ومنها قبر أبي جعفر موسى بن محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام قال: وهو أوّل من دخل من السادات الرضويّة قم، وكان مبرقعاً دائماً فأخرجه العرب من قم، ثمّ اعتذروا منه وأدخلوه وأكرموه واشتروا من أموالهم له داراً ومزارع، وحسن حاله، واشترى من ماله أيضاً قرى ومزارع، فجاءت إليه أخواته زينب وأمّ محمّد وميمونة بنات الجواد عليه السلام ثمّ «بريهية» بنت موسى فدفّن كلّهنّ عند فاطمة رضي الله عنها وتُوفّي موسى ليلة الأربعاء ثامن شهر ربيع الآخر من سنة ستّ وتسعن ومأتين ودفن في الموضع المعروف أنّه مدفنه. ومنها قبر أبي عليّ محمّد بن أحمد بن موسى بن محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام توفّي في سنة خمس عشر وثلاثمائة، ودفن في مقبرة محمّد بن موسى. ثمّ ذكر مقابر كثير من السادات الرضويّة وكثير من أولاد محمّد بن جعفر الصادق عليه السلام وكثير من أحفاد عليّ بن جعفر وقبور كثير من السادات الحسنيّة، وكان أكثر أهل قم من الأشعريّين، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللّهمّ اغفر للأشعريّين صغيرهم وكبيرهم. وقال: الأشعريّون منّي

وأنا منهم. وروي عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن خالد، عن أبي البختري، عن محمّد بن إسحاق، عن الزهريّ قال: قال رسول الله ﷺ: الأزد والأشعريّون وكندة منّي لا يعدلون ولا يجبنون. وبهذا الإسناد عن أبي البختريّ عن الزهريّ، عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ للأشعريّين لمّا قدموا: أنتم المهاجرون إلى الأنبياء من ولد إسماعيل. ثمّ ذكر أخباراً كثيرة في فضائلهم، ثمّ قال: من مفاخرهم أنّ أوّل من أظهر التشيّع بقم موسى بن عبد الله بن سعد الأشعريّ.

ومنها أنّه قال الرضا عليه السلام لزكريّا بن آدم بن عبد الله بن سعد الأشعريّ: إنّ الله يدفع البلاء بك عن أهل قم كما يدفع البلاء عن أهل بغداد بقبر موسى بن جعفر عليه السلام ومنها أنّهم وقفوا المزارع والعقارات الكثيرة على الأئمّة عليهم السلام، ومنها أنّهم أوّل من بعث الخمس إليهم. ومنها أنّهم عليهم السلام أكرموا جماعة كثيرة منهم بالهدايا والتحف والأكفان كأبي جرير زكريّا بن إدريس، وزكريّا بن آدم، وعيسى بن عبد الله بن سعد وغيرهم ممّن يطول بذكرهم الكلام، وشرّفوا بعضهم بالخواتيم والخلع، وأنّهم اشتروا من دعبل الخزاعيّ ثوب الرضا عليه السلام بألف دينار من الذهب. ومنها أنّ الصادق عليه السلام قال لعمران بن عبد الله: أظلّك الله يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه. انتهى ما أخرجته من تاريخ قم، ومؤلّفه من علماء الإماميّة[١].

بيان: يظهر من هذا التاريخ أنّ «ورادهار» اسم بعض رساتيق قم وتوابعه وقال: فيه سبع عشرة قرية وكان من رساتيق إصبهان فألحق بقم. والجمر اسم نهر من الأنهار الّتي كانت قبل بناء بلدة قم كما يلوح من التاريخ. وروى الكشيّ خبر زكريّا بن آدم عن محمّد بن قولويه، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن حمزة، عن زكريّا بن آدم قال: قلت للرضا عليه السلام: إنّي أريد الخروج عن أهل بيتي فقد كثر السفهاء فيهم، فقال: لا تفعل، فإنّ أهل بيتك يدفع عنهم بك كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن الكاظم عليه السلام.

٥٠ - **المجازات النبوية:** قال النبيّ ﷺ: أُمرت بقرية تأكل القرى تنفي الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد. يريد عليه السلام الهجرة إلى المدينة، قال السيّد رحمه الله: فقوله «أُمرت بقرية تأكل القرى» مجاز، والمراد أنّ أهلها يقهرون أهل القرى فيملكون بلادهم وأموالهم، فكأنّهم بهذه الأحوال يأكلونهم. وخرّج هذا القول على طريقة للعرب معروفة لأنّهم يقولون «أكل فلان جاره» إذا عدا عليه فانتهك حرمته واصطفى حريبته. وعلى ذلك قول علقمة ابن عقيل بن علفة لأبيه في أبيات:

أكلت بيتك اكل الضبّ حتّى وجدت مدارة الكل الوبيل

ومن ذلك قوله عليه السلام في غزوة الحديبيّة «ويح قريش أكلهم الحرب» يريد أنّها قد أفنت

(١) تاريخ قم وهو باللغة الفارسية ولم يترجم بعد للعربية.

رجالهم وانتهكت أموالهم، فكانت من هذا الوجه كأنّها آكلة لهم قال ذلك في حديث طويل، والمراد بقوله: «تنفي الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد» أنّ أهلها يتمحّضون فينتفي عنها الأشرار، ويبقى فيها الأخيار، ويفارقها الأخلاط والأقشاب، ولا يصبر عليها إلاّ الصميم واللباب، فيكون بمنزلة الكير الّذي ينفي الأخباث والأدران، ويخلص الرصاص، وهذا أيضاً مجاز. وقد ورد هذا الخبر بلفظ آخر ذكره عمر بن عبد العزيز قال: سمعنا عن رسول الله ﷺ أنّه قال: المدينة تنفي خبث الرجال كما ينفي الكير خبث الحديد. والمعنى في اللفظين واحد[1].

٥١ - كتاب جعفر بن محمّد بن شريح: عن المعلّى الطحّان، عن محمّد بن زياد، عن ميمون، عن ابن عبّاس، عن النبيّ ﷺ أنّه كان إذا دخل عليه أناس من اليمن قال: مرحباً برهط شعيب وأحبار موسى[2].

٥٢ - وعنه قال: سمعت قيس بن الربيع يرفعه إلى النبيّ ﷺ قال: حضرموت خير من الحارثيين[3].

٥٣ - **مجالس الشيخ:** عن أحمد بن عبدون، عن عليّ بن الزبير، عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن العبّاس بن عامر، عن عبد الله بن الوليد قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فسلّمنا عليه وجلسنا بين يديه فسألنا: من أنتم؟ قلنا: من أهل الكوفة فقال: أما إنّه ليس من بلد من البلدان أكثر محبّاً لنا من أهل الكوفة ثمّ هذه العصابة خاصّة، إنّ الله هداكم لأمر جهله الناس، أحببتمونا وأبغضنا الناس، وصدّقتمونا وكذّبنا الناس، واتّبعتمونا وخالفنا الناس، فجعل الله محياكم محيانا ومماتكم مماتنا - الخبر -[4].

بيان: «ثمّ هذه العصابة» أي هم فيها أكثر من غيرها من البلدان، والمراد عصابة الشيعة فإنّ المحبّ أعمُّ منها. والعصابة - بالكسر -: الجماعة من الناس.

٥٤ - **مجالس الشيخ:** عن الحسين بن عبيد الله الغضائريّ، عن التلعكبريّ عن محمّد ابن همام، عن عبد الله الحميريّ، عن الطيالسيّ، عن زريق الخلقانيّ قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام يوماً إذ دخل عليه رجلان من أهل الكوفة من أصحابنا، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أتعرفهما؟ قلت: نعم، هما من مواليك، فقال: نعم، والحمد لله الّذي جعل أجلّة مواليّ بالعراق - الخبر -[5].

٥٥ - **أقول:** وجدت بخطّ الشيخ محمّد بن عليّ الجباعيّ رحمه الله: قال الشيخ محمّد بن مكّي

---

(١) المجازات النبوية، ص ٣٢٦ ح ٢٥٥. (٢) - (٣) الأصول الستة عشر ص ٨١.
(٤) أمالي الطوسي، ص ٦٧٨ مجلس ٣٧ ح ١٩. وتمام الخبر في ج ٢٥ و٢٦.
(٥) أمالي الطوسي، ص ٦٩٨ مجلس ٣٩ ح ٣٣.

- قدّس الله روحه - وجد بخطّ جمال الدين بن المطهّر: وجدت بخطّ والدي رحمه الله قال: وجدت رقعة عليها مكتوب بخطّ عتيق ما صورته: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أخبرنا به الشيخ الأجلّ العالم عزّ الدين أبو المكارم حمزة بن عليّ بن زهرة الحسينيّ الحلبيّ إملاءً من لفظه عند نزوله بالحلّة السيفيّة - وقد وردها حاجّاً سنة أربع وسبعين وخمسمائة - ورأيته يلتفت يمنة ويسرة، فسألته عن سبب ذلك، قال: إنّني لأعلم أن لمدينتكم هذه فضلاً جزيلاً. قلت: وما هو؟ قال: أخبرني أبي، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد بن قولويه، عن الكلينيّ قال: حدّثني عليُّ بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي حمزة الثماليّ، عن الأصبغ ابن نباتة قال: صحبت مولاي أمير المؤمنين عليه السلام عند وروده إلى صفّين وقد وقف على تلّ عرير ثمّ أومأ إلى أجمة ما بين بابل والتلّ وقال: مدينة وأيُّ مدينة! فقلت له: يا مولاي أراك تذكر مدينة، أكان ههنا مدينة وانمحت آثارها؟ فقال: لا، ولكن ستكون مدينة يقال لها الحلّة السيفيّة يمدّنها رجل من بني أسد يظهر بها قوم أخيار لو أقسم أحدهم على الله لأبرّ قسمه.

بيان: «عرير» بالمهملتين أي مفرد، وفي القاموس: العرير الغريب في القول أو بالمعجمتين أي منيع رفيع. والحلّة - بالكسر -: بلدة معروفة، ووصفها بالسيفيّة لأنّها بناها سيف الدولة.

٥٦ - ووجدت أيضاً بخطّ الشيخ المتقدّم نقلاً من خطّ الشهيد - قدّس سرّه -: قال الراونديّ: قال الباقر عليه السلام: إنّ الله وضع تحت العرش أربعة أساطين وسمّاه «الضراح» ثمّ بعث ملائكة فأمرهم ببناء بيت في الأرض بمثاله وقدره، فلمّا كان الطوفان رفع، فكانت الأنبياء يحجّونه ولا يعلمون مكانه حتّى بوّأه الله لإبراهيم فأعلمه مكانه، فبناه من خمسة أجبل: من حراء، وثبير، ولبنان، وجبل الطور، وجبل الخمَر. قال الطبريّ: وهو جبل بدمشق.

بيان: قال الفيروزآباديّ: الخمر - بالتحريك -: جبل بالقدس. وقال: لبنان بالضمّ: جبل بالشام.

٥٧ - **كنز الكراجكي:** قال: روى الشريف أبو محمّد الحسن بن محمّد الحسينيّ عن عليّ بن عثمان الأشجّ المعروف بأبي الدنيا قال: حدّثني أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحبّ أهل اليمن فقد أحبّني ومن أبغضهم فقد أبغضني[1].

٥٨ - **شرح النهج لابن ميثم:** قال: لمّا فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من حرب الجمل خطب الناس بالبصرة فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قال: يا أهل البصرة! يا أهل المؤتفكة ائتفكت بأهلها ثلاثاً وعلى الله تمام الرابعة! يا جند المرأة وأعوان البهيمة، رغا فأجبتم، وعُقر فانهزمتم أخلاقكم دقاق، ودينكم نفاق وماؤكم زعاق بلادكم أنتن بلاد

(١) كنز الفوائد، ج ٢ ص ١٥٤.

الله تربة، وأبعدها من السماء، بها تسعة أعشار الشرّ المحتبس فيها بذنبه، والخارج منها بعفو الله، كأنّي أنظر إلى قريتكم هذه وقد طبّقها الماء حتّى ما يرى منها إلاّ شُرف المسجد كأنّه جؤجؤ طير في لجّة بحر - وساق إلى قوله: إذا هم رأوا البصرة قد تحوّلت أخصاصها دوراً، وآجامها قصوراً، فالهرب! الهرب! فإنّه لا بصرة لكم يومئذ.

ثمّ التفت عن يمينه فقال: كم بينكم وبين الأُبُلّة؟ فقال له المنذر بن الجارود: فداك أبي وأمّي: أربعة فراسخ. قال له: صدقت، فوالّذي بعث محمّداً ﷺ وأكرمه بالنبوّة، وخصّه بالرسالة، وعجّل بروحه إلى الجنّة لقد سمعت منه كما تسمعون منّي أن قال: يا عليّ هل علمت أنّ بين الّتي تسمّى البصرة والّتي تسمّى الأبلّة أربعة فراسخ وسيكون في الّتي تسمّى الأُبلّة موضع أصحاب العشور، يقتل في ذلك الموضع من أُمّتي سبعون ألف شهيد، هم يومئذ بمنزلة شهداء بدر.

فقال له المنذر: يا أمير المؤمنين، ومن يقتلهم؟ فداك أبي وأمّي. قال: يقتلهم أخوان وهم جيل كأنّهم الشياطين، سود ألوانهم، منتنة أرواحهم، شديد كلبهم، قليل سلبهم، طوبى لمن قتلوه. ينفر لجهادهم في ذلك الزمان قوم هم أذلّة عند المتكبّرين من أهل ذلك الزمان، مجهولون في الأرض، معروفون في السماء، تبكي السماء عليهم وسكّانها، والأرض وسكّانها - ثمّ هملت عيناه بالبكاء ثمّ قال: - ويحك يا بصرة من جيش لا رهج له ولا حسّ! فقال له المنذر: يا أمير المؤمنين، وما الّذي يصيبهم من قبل الغرق ممّا ذكرت؟ وما الويح؟ فقال: هما بابان: فالويح باب رحمة، والويل باب عذاب يا ابن الجارود، نعم، تارات عظيمة: منها عصبة يقتل بعضها بعضاً، ومنها فتنة يكون بها إخراب منازل وخراب ديار وانتهاك أموال وسباء نساء يذبحن ذبحاً، يا ويل أمرهنّ حديث عجيب! ومنها أن يستحلّ بها الدجّال الأكبر الأعور الممسوح العين اليمنى والأُخرى كأنّها ممزوجة بالدم لكأنّها في الحمرة علقة، ناتىء الحدقة كهيئة حبّة العنب الطافية على الماء، فيتبعه من أهلها عدّة من قتل بالأُبلّة من الشهداء، أناجيلهم في صدورهم، يُقتل من يقتل، ويهرب من يَهرب، ثمّ رجف، ثمّ قذف، ثمّ خسف ثمّ مسخ، ثمّ الجوع الأغبر، ثمّ الموت الأحمر وهو الغرق.

يا منذر إنّ للبصرة ثلاثة أسماء سوى البصرة في الزبر الأول لا يعلمها إلاّ العلماء: منها الخُريبة، ومنها تدمُر، ومنها المؤتفكة - وساق إلى أن قال - يا أهل البصرة إنّ الله لم يجعل لأحد من أمصار المسلمين خُطّة شرف ولا كرم إلاّ وقد جعل فيكم أفضل ذلك، وزادكم من فضله بمنّه ما ليس لهم: أنتم أقوم الناس قبلة، قبلتكم على المقام حيث يقوم الإمام بمكّة، وقارئكم أقرأ الناس، وزاهدكم أزهد الناس، وعابدكم أعبد الناس، وتاجركم أتجر الناس وأصدقهم في تجارته، ومتصدّقكم أكرم الناس صدقة، وغنيكم أشدُّ الناس بذلاً وتواضعاً، وشريفكم أحسن الناس خلقاً وأنتم أكثر الناس جواراً، وأقلّهم تكلّفاً لما لا يعنيه، وأحرصهم

على الصلاة في جماعة ثمرتكم أكثر الثمار، وأموالكم أكثر الأموال، وصغاركم أكيس الأولاد، ونساؤكم أمنع النساء وأحسنهنّ تبعّلاً، سخّر لكم الماء يغدو عليكم ويروح صلاحاً لمعاشكم والبحر سبباً لكثرة أموالكم، فلو صبرتم واستقمتم لكانت شجرة طوبى لكم مقيلاً وظلاًّ ظليلاً، غير أنّ حكم الله ماض، وقضاؤه نافذ لا معقّب لحكمه وهو سريع الحساب. يقول الله: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾(١)- ثمّ ساق الخطبة إلى قوله - إنّ رسول الله ﷺ قال لي يوماً وليس معه غيري: إنّ جبرئيل الروح الأمين حملني على منكبه الأيمن حتّى أراني الأرض ومن عليها وأعطاني أقاليدها وعلّمني ما فيها وما قد كان على ظهرها وما يكون إلى يوم القيامة ولم يكبر ذلك [عليّ] كما لم يكبر على أبي آدم علّمه الأسماء كلّها ولم تعلمها الملائكة المقرّبون، وإنّي رأيت بقعة على شاطىء البحر تسمّى البصرة، فإذا هي أبعد الأرض من السماء وأقربها من الماء، وإنّها لأسرع الأرض خراباً وأخشنها تراباً وأشدّها عذاباً، ولقد خسف بها في القرون الخالية مراراً، وليأتينّ عليها زمان، وإنّ لكم يا أهل البصرة وما حولكم من القرى من الماء ليوماً عظيماً بلاؤه، وإنّي لأعلم موضع منفجره من قريتكم هذه، ثمّ أمور قبل ذلك تدهمكم عظيمة أُخفيت عنكم وعلمناها، فمن خرج عنها عند دنوّ غرقها فبرحمة من الله سبقت له، ومن بقي فيها غير مرابط بها فبذنبه وما الله بظلاّم للعبيد(٢).

توضيح: المؤتفكة: المنقلبة، والانقلاب هنا إمّا حقيقة كقرى قوم لوط أو لأنّها غرقت كأنّها انقلبت. طبّقها الماء - بالتشديد - أي غطّاها وعمّها والأخصاص: جمع خصّ - بالضمّ - بيت يعمل من الخشب والقصب. والآجام: جمع أجمة - بالتحريك - وهي منبت القصب، وقيل: هي الشجر الكثير الملتفّ. والأُبلّة - بضمّ الهمزة والباء وتشديد اللام -: الموضع الّذي به مدينة البصرة اليوم وكان من قرى البصرة وبساتينها يومئذ، وكانوا يعدّونه إحدى الجنّات الأربع، وفي الأُبلّة اليوم موضع العشّارين حسب ما أخبر به. والجيل - بالكسر -: الصنف من الناس وقيل: كلّ قوم يختصّون بلغة فهم جيل. والأرواح: جمع الريح بمعنى الرائحة. والكلب - بالتحريك -: الشرّ والأذى وشبه جنون يعرض لمن عضّه الكلب الكلِب. والسلب - بالتحريك -: ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه ممّا يكون عليه ومعه [من] سلاح وثياب ودابّة وغيرها. ينفر لجهادهم: أي يخرج لقتالهم. ويقال «هملت عينه» أي فاضت بالدمع. والرهج - بالتحريك - الغبار. والحسّ - بالكسر - صوت المشي والصوت الخفيّ وهو إشارة إلى صاحب الزنج كما مرّ. والتارات جمع التارة بمعنى المرّة، أي فتن عظيمة مرّة بعد أُخرى. والعصبة - بالضمّ -: الجماعة أو بالتحريك بمعنى الأقرباء. وانتهاك الأموال: أخذها بما لا يحلّ. وسباء النساء - بالكسر والمدّ -: أسرهنّ.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٨.

(٢) شرح النهج لابن الميثم، ج ١ ص ٢٨٩.

و«يستحلّ بها الدجّال» أي يتّخذها منزلاً ويسكنها والدجّال من الدجل وهو الخلط والتلبيس والكذب، ووصفه بالأكبر يدلّ على تعدّد من يدّعي الأباطيل. والأعور من ذهب إحدى عينيه. والممسوح صفة مخصّصة للأعور. والناتئ: المرتفع. وطفا على الماء: علا ولم يرسب. والرجفة: الزلزلة والاضطراب. والقذف: الرمي بالحجارة ونحوها. والخسف: الذهاب في الأرض، وخسف المكان أن يغيب في الأرض. والمسخ: تحويل صورة إلى ما هو أقبح منها. ووصف الجوع بالأغبر إمّا لأنّ الجوع يكون في السنين المجدبة، وسنو الجدب تسمّى غبراً لاغبرار آفاقها من قلّة الأمطار وأرضيها من عدم النبات، أو لأنّ وجه الجائع يشبه الوجه المغبرّ. والموت الأحمر يعبّر به في الأكثر عن القتل، وفسّر هنا بالغرق. والخريبة - بضمّ الخاء المعجمة وفتح الراء المهملة والباء الموحّدة -: علم محلّة من محالّ البصرة كانوا يسمّونها البصرة الصغرى. وتدمر - كتنصر -: من الدمار بمعنى الهلاك، وفي اللغة أنّها بلد بالشام. والخطّة - بالضمّ -: الأمر والقصّة. والأقاليد: جمع إقليد - بالكسر - وهو المفتاح. ولم يكبر ذلك عليّ: أي قويت عليه وقدرت، أو لم أستعظمها من فضل ربّي. والتنوين في «زمان» للتفخيم أي زمان شديد فظيع. والمرابطة: الإرصاد لحفظ الثغر.

٥٩ - **أقول:** وروى القاضي نور الله التستريّ [قدّس الله روحه] في كتاب «مجالس المؤمنين» عن الصادق عليه السلام أنّه قال: إنّ لله حرماً وهو مكّة، ألا إنّ لرسول الله حرماً وهو المدينة، ألا وإنّ لأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة، ألا وإنّ قم الكوفة الصغيرة. ألا إنّ للجنّة ثمانية أبواب ثلاثة منها إلى قم، تقبض فيها امرأة من ولدي اسمها فاطمة بنت موسى، وتدخل بشفاعتها شيعتي الجنّة بأجمعهم[١].

٦٠ - وعن سعد بن سعد عن الرضا عليه السلام قال: يا سعد من زارها فله الجنّة[٢].

٦١ - وعنه عليه السلام قال: إذا عمّت البلدان الفتن والبلايا فعليكم بقم وحواليها ونواحيها، فإنّ البلايا مدفوع عنها[٣].

٦٢ - وعن الرضا عليه السلام قال: للجنّة ثمانية أبواب فثلاثة منها لأهل قم، فطوبى لهم ثمّ طوبى لهم[٤].

٦٣ - وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: صلوات الله على أهل قم، ورحمة الله على أهل قم، سقى الله بلادهم الغيث - إلى آخر ما مرّ عن الصادق عليه السلام [٥].

٦٤ - **وأقول:** روى الشيخ الأجلّ عبد الجليل الرازيّ في كتاب القصص بإسناده عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لمّا عرج بي إلى السماء مررت بأرض بيضاء كافوريّة شممت بها رائحة طيّبة، فقلت: يا جبرئيل ما هذه البقعة؟ قال: يقال لها «آبة» عرضت عليها رسالتك وولاية

---

(١) - (٥) مجالس المؤمنين، ص ٨٣.

ذرّيّتك فقبلت، وإنّ الله يخلق منها رجالاً يتولّونك ويتولّون ذرّيّتك فبارك الله عليها وعلى أهلها.

٦٥ - **معجم البلدان**: قال: روي أنّه في التوراة مكتوب: الريّ باب من أبواب الأرض وإليها متجر الخلق. وقال الأصمعيّ: الريّ عروس الدنيا وإليها متجر الناس. قال: وروي عن جعفر الصادق عليه السلام أنّ الريّ وقزوين وساوة ملعونات شؤمات[١].

٦٦ - **كشف الغمة**: عن ابن أعثم الكوفيّ، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ويحاً للطالقان فإنّ لله تعالى بها كنوزاً ليست من ذهب ولا فضّة، ولكن بها رجال مؤمنون عرفوا الله حقّ معرفته وهم أنصار المهديّ في آخر الزمان[٢].

٦٧ - **وأقول**: وجدت في أصل عتيق من أصول أصحابنا أظنّ أنّه لوالد الصدوق أو ممّن عاصره عن عبد العزيز بن جعفر بن محمّد، عن عبد العزيز بن يونس الموصليّ، عن إبراهيم ابن الحسين، عن محمّد بن خلف، عن موسى بن إبراهيم عن الكاظم عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قزوين باب من أبواب الجنّة.

٦٨ - **الدر المنثور**: من عدّة كتب عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمكّة: ما أطيبك من بلدة وأحبّك إليّ! لولا أنّ قومك أخرجوني منك ما خرجت. وفي رواية أُخرى: ما سكنت غيرك[٣].

٦٩ - وعن عبد الرحمان بن سابط قال: لمّا أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينطلق إلى المدينة استلم الحجر وقام وسط المسجد والتفت إلى البيت فقال: إنّي لأعلم ما وضع الله في الأرض بيتاً أحبّ إليه منك، وما في الأرض بلد أحبّ إليه منك، وما خرجت عنك رغبة ولكنّ الّذين كفروا هم أخرجوني[٤].

---

(١) معجم البلدان، ج ٣ ص ١١٨. في الروضات ط ٢ ص ٢٦٧ مثله، وسائر الكلمات فيه ص ٧٠١. وفي منتخب التواريخ في فصل علائم الظهور عن العلامة المجلسي عن المفضّل بن عمر عنه عليه السلام قال: يا مفضّل! أتدري أينما وقعت الزوراء؟ قال: قلت الله وحجّته أعلم. فقال: اعلم يا مفضّل أنّ في حوالي الريّ جبل أسوداً يبتنى في ذيله بلدة تسمّى بالطهران وهي دار الزوراء التي تكون قصورها كقصور الجنّة ونسوانها كحورالعين. واعلم يا مفضّل! أنهنّ يتلبّسن بلباس الكفّار ويتزيّن بزيّ الجبابرة، ويركبن السروج، ولا يتمكن لأزواجهنّ، ولا تفي مكاسب (مساكن؛ خ ل) الأزواج لهنّ فيطلبن الطلاق منهم، ويكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وتشبّه الرجال بالنساء والنساء بالرجال. فإنّك إن تريد حفظ دينك فلا تسكن في هذه البلدة ولا تتّخذها مسكناً، لأنّها محلّ الفتنة، وفرّ منها إلى قلّة الجبال، ومن الحجر إلى الحجر كالثعلب بأشباله. ورواه في مجمع النورين للمرندي ص ٢٩٧ مثله. وفي كتاب الغناء والإسلام في أخبار علائم الظهور روايات مربوطة بالري. وفي السفينة في مادة «ثلث» أنّ ممّن يحارب القائم عليه السلام أهل الريّ. [مستدرك السفينة ج ٤ لغة «ربي»].

(٢) كشف الغمة، ج ٢ ص ٤٧٨. (٣) - (٤) الدر المنثور، ج ١ ص ١٢٣.

٧٠ - كتاب قسمة أقاليم الأرض وبلدانها تأليف بعض المخالفين: قال: بلد المهديّ مدينة حسنة حصينة بناها المهديّ الفاطميّ وحصّنها وجعل لها أبواباً من حديد، في كلّ باب ما يزيد على المائة قنطار، ولمّا بناها وأحكمها قال: الآن أمنت على الفاطميّين.

بيان: أقول: لهذه المدينة قصّة طويلة غريبة أوردتها في كتاب الغيبة. «في ج ٥٢».

٧١ - **ومن الكتاب المذكور:** قال دخل ذو القرنين جزيرة عظيمة فوجد بها قوماً قد أنحلتهم العبادة حتّى صاروا كالحمم السود فسلّم عليهم فردّوا عليه السلام فسألهم: ما عيشكم يا قوم في هذا المكان؟ قالوا: ما رزقنا الله من الأسماك وأنواع النبات ونشرب من هذه المياه العذبة. قال لهم ألا أنقلكم إلى عيشة أطيب ممّا أنتم فيه وأخصب؟ فقالوا له: وما نصنع به؟ إنّ عندنا في جزيرتنا هذه ما يغني جميع العالم ويكفيهم لو صاروا إليه وأقبلوا عليه! قال: وما هو؟ فانطلقوا إلى وادٍ لا نهاية لطوله وعرضه وهو منضّد من ألوان الدرّ والياقوت والزبرجد والبلخش والأحجار الّتي لم تر في الدنيا والجواهر الّتي لا تقوَّم، ورأى شيئاً لا تحتمله العقول ولا يوصف، ولو اجتمع العالم على نقله أو بعضه لعجزوا، فقال: لا إله إلاّ الله وسبحان من له الملك العظيم ويخلق الله ما لا يعلمه الخلائق. ثمَّ انطلقوا به من شفير ذلك الوادي حتّى أتوا به إلى مستو واسع من الأرض به أصناف الأشجار، وأنواع الثمار، وألوان الأزهار، وأجناس الأطيار، وخرير الأنهار، وأفياء وظلال، ونسيم ذو اعتدال، ونزه ورياض، وجنّات وغياض، فلمّا رأى ذو القرنين ذلك سبّح الله العظيم واستصغر أمر الوادي وما به من الجواهر عند ذلك المنظر البهيج الزاهر. فلمّا تعجّب قالوا له: في مُلك ملك في الدنيا بعض ما ترى؟ قال: لا وحقّ عالم السرّ والنجوى. فقالوا: كلّ هذا بين أيدينا ولا تميل أنفسنا إلى شيء من ذلك واقتنعنا بما نقوى به على عبادة الربّ الخالق، ومن ترك لله شيئاً عوّضه الله خيراً منه، فسر عنّا ودعنا بحالنا، أرشدنا الله وإيّاك. ثمَّ ودّعوه وفارقوه وقالوا له: دونك والوادي فاحمل منه ما تريد. فأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً. قال: ثمَّ أتى ذو القرنين جزيرة عظيمة فرأى بها قوماً لباسهم ورق الشجر، وبيوتهم كهوف في الصخر والحجر فسألهم عن مسائل في الحكمة، فأجابوه بأحسن جواب وألطف خطاب، فقال لهم: سلوا حوائجكم لتقضى، فقالوا له: نسألك الخلد في الدنيا. فقال: وأنّى به لنفسي؟! ومن لا يقدر على زيادة نفَس من أنفاسه كيف يبلغكم الخلد؟! فقال كبيرهم: نسألك صحّة في أبداننا ما بقينا. فقال: وهذا أيضاً لا أقدر عليه. فقالوا: فعرّفنا بقيّة أعمارنا فقال: لا أعرف ذلك لروحي فكيف بكم؟ فقالوا له: فرّغنا نطلب ذلك ممّن يقدر على ذلك وأعظم من ذلك. وجعل الناس ينظرون إلى كثرة جنوده وعظمة موكبه، وبينهم شيخ صعلوك لا يرفع رأسه، فقال له ذو القرنين: ما لك لا تنظر إلى ما ينظر إليه الناس؟ قال الشيخ: ما أعجبني الملك الّذي رأيته قبلك حتّى أنظر إليك وإلى ملكك. فقال: وما ذاك؟ قال الشيخ: كان عندنا ملك

وآخر صعلوك فماتا في يوم واحد ثمّ جئت إليهما واجتهدت أن أعرف الملك من الصعلوك فلم أعرفه. قال: فتاركهم ذو القرنين وانصرف عنهم.

٧٢ - **العيون**: عن تميم بن عبد الله القرشيّ، عن أبيه، عن أحمد بن عليّ الأنصاريّ، عن أبي الصلت الهرويّ قال: كنت عند الرضا عليه السلام فدخل عليه قوم من أهل قم فسلّموا عليه فردّ عليهم وقرّبهم ثمّ قال لهم: مرحباً بكم وأهلاً! فأنتم شيعتنا حقّاً، فسيأتي عليكم يوم تزورون فيه تربتي بطوس، ألا فمن زارني وهو على غسل خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه(١).

٧٣ - **ومنه**: عن محمد بن أحمد السنانيّ، عن محمّد بن جعفر الأسديّ، عن سهل بن زياد، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسنيّ قال: سمعت عليّ بن محمّد العسكريّ عليه السلام يقول: أهل قم وأهل آبة مغفور لهم لزيارتهم لجدّي عليّ بن موسى الرضا عليه السلام بطوس ألا ومن زاره فأصابه في طريقه قطرة من السماء حرّم الله جسده على النار(٢).

٧٤ - **الكافي**: عن أبي عليّ الأشعريّ، عن محمّد بن سالم، وعليّ بن إبراهيم عن أبيه، جميعاً عن أحمد بن النضر؛ ومحمّد بن يحيى، عن محمّد بن أبي القاسم، عن الحسين بن أبي قتادة، جميعاً عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله لعرض الخيل - وساق الحديث إلى قوله - فمرّ بفرس فقال عيينة بن حصين: إنّ من أمر هذا الفرس كيت وكيت. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ذرنا فأنا أعلم بالخيل منك. فقال: وأنا أعلم بالرجال منك. فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى ظهر الدم في وجهه، فقال له: فأيّ الرجال أفضل؟ فقال عيينة بن حصين: رجال يكونون بنجد يضعون سيوفهم على عواتقهم، ورماحهم على كواثب خيلهم، ثمّ يضربون بها قدماً. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: كذبت، بل رجال أهل اليمن أفضل، الإيمان يمانيّ، والحكمة يمانيّة، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من أهل اليمن. الجفاء والقسوة في الفدّادين أصحاب الوبر ربيعة ومضر من حيث يطلع قرن الشمس، ومذحج أكثر قبيل يدخلون الجنّة، وحضرموت خير من عامر بن صعصعة - وروى بعضهم: خير من الحرث بن معاوية - وبجيلة خير من رعل وذكوان، وإن يهلك لحيان فلا أبالي. ثمّ قال: لعن الله الملوك الأربعة: جمداً، ومخوساً، ومِشرحاً، وأبضعة، وأختهم العمرّدة - وساق الحديث إلى قوله - لعن الله رعلاً وذكوان وعضلاً ولحيان والمجذمين من أسد وغطفان وأبا سفيان بن حرب وشهبلاً ذا الأسنان وابني مليكة بن جزيم ومروان وهوذة وهونة(٣).

٧٥ - كتاب جعفر بن محمّد بن شريح: عن معلّى الطحّان، عن بريد بن يزيد بن جابر، عن عبد الله بن بشير، عن ابن عيينة بن حصين قال: عرض رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً خيلاً وعنده أبي - عيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر - فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا أبصر بالخيل منك. فقال

---

(١) - (٢) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٢٩١ باب ٦٦ ح ٢١-٢٢.

(٣) روضة الكافي، ج ٨ ح ٢٧.

عيينة: وأنا أبصر بالرجال منك يا رسول الله. فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: كيف؟ قال: فقال: إنّ خير الرجال الّذين يضعون أسيافهم على عواتقهم، ويعرضون رماحهم على مناكب خيولهم من أهل نجد. فقال النبيُّ ﷺ: كذبت، إنّ خير الرجال أهل اليمن، والإيمان يمان وأنا يمانيّ، وأكثر قبائل دخول الجنّة يوم القيامة مذحج، وحضرموت خير من بني الحرث بن معاوية حيّ من كندة، إن يهلك لحيان فلا أُبالي، فلعن الله الملوك الأربعة: جمداً، ومِخوساً، ومِشرحاً وأبضعة، وأختهم العمرّدة.

بيان: قال الجوهريّ: قال أبو عبيدة: يقال «كان من الأمر كَيت وكَيت - بالفتح - وكِيت وكِيت - بالكسر -» والتاء فيهما هاء في الأصل فصارت تاءاً. وفي النهاية: الكواثب جمع كاثبة، وهي من الفرس: مجتمع كتفيه قدّام السرج. وقال: رجل قُدُم - بضمّتين - أي شجاع، ومضى قدماً أي لم يعرّج ولم ينثن. وقال: فيه «الإيمان يمان والحكمة يمانيّة» إنّما قال ذلك لأنّ الإيمان بدأ من مكّة وهي من تهامة وتهامة من أرض اليمن ولهذا يقال: الكعبة اليمانيّة. وقيل: إنّه قال هذا القول للأنصار لأنّهم يمانون وهم نصروا الإيمان والمؤمنين وآووهم فنسب الإيمان إليهم. وقال الجوهري: اليمن بلاد للعرب، والنسبة إليهم يمنيّ، ويمان مخفّفة والألف عوض من ياء النسب فلا يجتمعان، قال سيبويه: وبعضهم يقول يمانيّ بالتشديد - انتهى -. وقال في شرح السنّة: هذا ثناء على أهل اليمن لإسراعهم إلى الإيمان وحسن قبولهم إيّاه.

قوله ﷺ: «لولا الهجرة» لعلّ المعنى: لولا أنّي هجرت عن مكّة لكنت اليوم من أهل اليمن إذ مكّة منها، أو المراد أنّه لولا أنّ المدينة كانت أوّلاً دار هجرتي واخترتها بأمر الله لاتّخذت اليمن وطناً، أو الغرض أنّه لولا أنّ الهجرة أشرف لعددت نفسي من الأنصار. وفي النهاية: فيه أنّ الجفاء والقسوة في الفدّادين. الفدّادون بالتشديد هم الّذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم، واحدهم فدّاد، يقال: فدّ الرجل يفدّ فديداً إذا اشتدّ صوته، وقيل: هم المكثرون من الإبل وقيل: هم الجمّالون والبقّارون والحمّارون والرعيان، وقيل: إنّما هو الفدادين - مخفّفاً - واحدها فدّان - مشدّداً - وهي البقر الّتي يحرث بها، وأهلها أهل جفاء وقسوة - انتهى -.

قوله «أصحاب الوبر» أي أهل البوادي، فإنّ بيوتهم يتّخذونها منه. قوله: «من حيث يطلع قرن الشمس» قال الجوهريّ: قرن الشمس أعلاها وأوّل ما يبدو منها في الطلوع - انتهى - ولعلّ المراد أهل البوادي من هاتين القبيلتين الكائنتين في مطلع الشمس أي في شرقيّ المدينة. وروى في شرح السنّة بإسناده عن عقبة بن عمرو قال: أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال: الإيمان يمان ههنا، إلاّ أنّ القسوة وغلظ القلوب في الفدّادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر وبإسناده عن ابن عمر أنّه قال: رأيت

رسول الله ﷺ يشير إلى المشرق ويقول: إنّ الفتنة ههنا! إنّ الفتنة ههنا! من حيث يطلع قرن الشيطان. وقال النوويّ: قرنا الشيطان قبل المشرق أي جمعاه المغويان أو شيعتاه من الكفّار، يريد مزيد تسلّطه في المشرق، وكان ذلك في عهده ﷺ ويكون حين يخرج الدجّال من المشرق، وهو في ما بين منشأ الفتن العظيمة ومثار الترك العاتية - انتهى - ولا يبعد أن يكون في هذا الخبر أيضاً «قرن الشيطان» فصحّف. وقال الجوهريّ: مذحج - كمسجد -: أبو قبيلة من اليمن. وقال: حضرموت اسم بلد وقبيلة أيضاً، وهما اسمان جعلا واحداً إن شئت بنيت الاسم الأوّل على الفتح وأعربت الثاني بإعراب ما لا ينصرف قلت: هذا حضرَموتُ، وإن شئت أضفت الأوّل إلى الثاني قلت: هذا حضَرموتٍ، أعربت حضراً وخفضت موتاً، وكذلك القول في سامّ أبرص ورام هرمز. وقال: عامر بن صعصعة أبو قبيلة وهو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. وفي القاموس: بجيلة - كسفينة -: حيّ باليمن من معدّ. ورعل وذكوان قبيلتان من بني سليم. وقال: لحيان أبو قبيلة. وقال: مخوس - كمنبر - ومشرح وجمد وأبضعة بنو معدي كرب الملوك الأربعة الّذين لعنهم رسول الله ﷺ ولعن أختهم العمرّدة وفدوا مع الأشعث فأسلموا ثمّ ارتدّوا فقتلوا يوم النجير، فقالت نائحتهم «يا عين بكّي للملوك الأربعة» وقال: العمرّد - كعملّس -: الطويل من كلّ شيء - إلى أن قال - وبهاءٍ: أخت الّذين لعنهم النبيّ ﷺ - انتهى - و«المجذمين» لعلّ المراد بهم المنسوبون إلى الجذيمة، ولعلّ أسداً وغطفان كلتيهما منسوبتان إليها. قال الجوهريّ: جذيمة قبيلة من عبد القيس ينسب إليهم جذميّ - بالتحريك - وكذلك إلى جذيمة بني أسد. وقال الفيروزآباديّ: غطفان - محرّكة - حيّ من قيس. ولعلّ شهبلاً - بالشين المعجمة والباء الموحّدة، وفي بعض النسخ بالسين المهملة والياء المثنّاة - اسم، وكذا ما بعده إلى آخر الخبر أسماء رجال. وأقول: قد مضت الأخبار الكثيرة في ذمّ البصرة في كتب الفتن، وسيأتي أخبار مدح الكوفة والغريّ وكربلا وطوس ومكّة والمدينة في كتاب المزار وكتاب الحجّ لم نوردها ههنا حذراً من التكرار.

٧٦ - **إكمال الدين:** عن عبد الله بن محمّد بن عبد الوهّاب، عن أحمد بن محمّد بن عبد الله بن زيد الشعرانيّ من ولد عمّار بن ياسر رضي الله عنه يقول: حكى أبو القاسم محمّد بن القاسم البصريّ أنّ أبا الحسن حمادويه بن أحمد بن طولون كان قد فتح عليه من كنوز مصر ما لم يرزق أحد قبله، فأغري بالهرمين فأشار عليه ثقاته وحاشيته وبطانته أن لا يتعرّض لهدم الأهرام، فإنّه ما تعرّض أحد لها فطال عمره فلجّ في ذلك، وأمر ألفاً من الفعلة أن يطلبوا الباب وكانوا يعملون سنة حواليه حتّى ضجروا وكلّوا، فلمّا همّوا بالانصراف بعد الإياس منه وترك العمل وجدوا سرباً فقدّروا أنّه الباب الّذي يطلبونه فلمّا بلغوا آخره وجدوا بلاطة قائمة من مرمر فقدّروا أنّها الباب فاحتالوا فيها إلى أن قلعوها وأخرجوها، فإذا عليها كتابة يونانيّة، فجمعوا حكماء مصر وعلماءها فلم يهتدوا لها، وكان في القوم رجل يعرف بأبي عبد الله

المدائنيّ أحد حفّاظ الدنيا وعلمائها، فقال لأبي الحسن حمادويه بن أحمد: أعرف في بلد الحبشة أسقفاً قد عمّر وأتى عليه ثلاثمائة وستّون سنة يعرف هذا الخطّ، وقد كان عزم على أن يعلّمنيه فلحرصي على علم العرب لم أقم عليه وهو باقٍ. فكتب أبو الحسن إلى ملك الحبشة يسأله أن يحمل هذا الأسقف إليه، فأجابه أنّ هذا قد طعن في السنّ وحطمه الزمان وإنّما يحفظه هذا الهواء، ويخاف عليه إن نقل إلى هواء آخر وإقليم آخر ولحقته حركة وتعب ومشقّة السفر أن يتلف، وفي بقائه لنا شرف وفرج وسكينة، فإن كان لكم شيء يقرأه أو يفسّره أو مسألة تسألونه فاكتب [لي] بذلك. فحملت البلاطة في قارب إلى بلد «أسوان» من الصعيد الأعلى، وحملت من أسوان على العجلة إلى بلاد الحبشة وهي قريبة من أسوان، فلمّا وصلت قرأها الأسقف وفسّر ما فيها بالحبشيّة ثمّ نقلت إلى العربيّة فإذا فيها مكتوب: «أنا الريّان بن دومغ» فسئل أبو عبد الله عن الريّان من هو؟ قال: هو والد العزيز ملك يوسف عليه السلام واسمه الريّان بن دومغ، وقد كان عمر العزيز سبعمائة سنة وعمر الريّان والده ألف وسبعمائة سنة وعمّر دومغ ثلاثة آلاف سنة. فإذا فيها:

أنا الريّان بن دومغ، خرجت في طلب علم النيل، لأعلم فيضه ومنبعه إذ كنت أرى مغيضه فخرجت ومعي ممّن صحبت أربعة آلاف ألف رجل، فسرت ثمانين سنة إلى أن انتهيت إلى الظلمات والبحر المحيط بالدنيا، فرأيت النيل يقطع البحر المحيط ويعبر فيه ولم يكن له منفذ وتماوت أصحابي وبقيت في أربعة آلاف رجل فخشيت على ملكي فرجعت إلى مصر وبنيت الأهرام والبرابي وبنيت الهرمين وأودعتهما كنوزي وذخائري، وقلت في ذلك شعراً:

وأدرك علمي بعض ما هو كائن ... ولا علم لي بالغيب والله أعلم
وأتقنت ما حاولت إتقان صنعه ... وأحكمته والله أقوى وأحكم
وحاولت علم النيل من بدء فيضه ... فأعجزني والمرء بالعجز ملجم
ثمانين شاهوراً قطعت مسائحاً ... وحولي بنو حجر وجيش عرمرم
إلى أن قطعت الجنّ والإنس كلّهم ... وعارضني لجّ من البحر مظلم
فأيقنت أن لا منفذاً بعد منزلي ... لذي هيئة بعدي ولا متقدّم
فأبتُ إلى مُلكي وأرسيت نادياً ... بمصر ولا الأيّام بؤس وأنعم
أنا صاحب الأهرام في مصر كلّها ... وباني برابيها بها والمقدّم
تركت بها آثار كفّي وحكمتي ... على الدهر لا تبلى ولا تتهدّم
وفيها كنوز جمّة وعجائب ... وللدهر أمر مرّة وتهجّم
سيفتح أقفالي ويبدي عجائبي ... وليّ لربّي آخر الدهر يسجم
بأكناف بيت الله تبدو أموره ... ولا بدّ أن يعلو ويسمو به السم
ثمان وتسع واثنتان وأربع ... وتسعون أُخرى من قتيل وملجم
ومن بعد هذا كرّ تسعون تسعة ... وتلك البرابي تستخرّ وتهدم

وتبدى كنوزي كلّها غير أنّني أرى كلّ هذا أن يفرّقه الدم
رمزت مقالي في صخور قطعتها ستفنى وأفنى بعدها ثمّ أعدم

فحينئذٍ قال أبو الحسن حمادويه بن أحمد: هذا شيء ليس لأحد فيه حيلة إلاّ القائم من آل محمّد عليه السلام وردّت البلاطة مكانها كما كانت. ثمّ إنّ أبا الحسن بعد ذلك بسنة قتله طاهر الخادم على فراشه وهو سكران، ومن ذلك الوقت عرف خبر الهرمين ومن بناهما. فهذا أصحّ ما يقال في خبر النيل والهرمين[1].

بيان: السرب - بالتحريك -: الحفير تحت الأرض. والبلاطة - بالفتح -: الحجارة الّتي تفرش في الدار. والقارب: السفينة الصغيرة. والأسوان - بالضمّ ويفتح - بلد بالصعيد بمصر. كلّ ذلك ذكره الفيروز آباديّ. وقال: الهرمان - بالتحريك - بناءان أوّليّان بناهما إدريس عليه السلام لحفظ العلوم فيهما عن الطوفان، أو بناء سنان بن المشلشل أو بناء الأوائل لما علموا بالطوفان من جهة النجوم وفيهما كلّ طبّ وطلسم وهنالك أهرام صغار كثيرة - انتهى -. وقال أبو ريحان في كتاب الآثار الباقية: إنّ الفرس وعامّة المجوس أنكروا الطوفان بكلّيته، وزعموا أنّ الملك متّصل فيه من لدن «كيومرث گل شاه» الّذي هو الإنسان الأوّل عندهم، ووافقهم على إنكارهم إيّاه الهند والصين وأصناف الأمم المشرقيّة، وأقرّ به بعض الفرس ووصفوه بغير الصفة الموصوف بها في كتب الأنبياء، وقالوا: كان من ذلك شيء بالشام والمغرب في زمان طهمورث لم يعمّ العمران كلّها ولم يغرق فيه إلاّ أمم قليلة، وإنّه لم يجاوز عقبة حلوان ولم يبلغ ممالك المشرق. وقالوا: إنّ أهل المغرب لمّا أنذر به حكماؤهم بنوا أبنية كالهرمين المبنيّين في أرض مصر، وقالوا: إذا كانت الآفة من السماء دخلناها وإذا كانت من الأرض صعدناها، فزعموا أنّ آثار ماء الطوفان وتأثيرات الأمواج بيّنة على أنصاف هذين الهرمين لم يجاوزهما. وقيل: إنّ يوسف عليه السلام بناهما وجعل فيهما الطعام والميرة سني القحط. وقالوا: إنّ طهمورث لمّا اتّصل به الإنذار وذلك قبل كونه بمأتين وإحدى وثلاثين سنة أمر باختيار موضع في مملكته صحيح الهواء والتربة، فلم يجدوا أحقّ بهذه الصفة من إصبهان، فأمر بتجليد العلوم ودفنها في أسلم المواضع منه، وقد يشهد لذلك ما وجد في زماننا يجيء من مدينة إصبهان من التلال الّتي انشقّت عن بيوت مملوءة أعدالاً كثيرة من لحاء الشجرة الّتي يلتبس بها القسيّ والترسة ويسمّى «التوز» مكتوبة بكتابة لم يدر ما هي وما فيها - انتهى -.

٧٧ - **المناقب:** عن محمّد بن الفيض، عن أبي عبد الله عليه السلام قال أبو جعفر الدوانيقيّ للصادق عليه السلام: تدري ما هذا؟ قال: وما هو؟ قال: جبل هناك يقطر منه [في السنة] قطرات فيجمد فهو جيّد للبياض يكون في العين يكحل به فيذهب بإذن الله تعالى. قال: نعم، أعرفه

---

(١) كمال الدين، ص ٥٠٩ باب ٥٤.

وإن شئت أخبرتك باسمه وحاله. هذا جبل كان عليه نبيّ من أنبياء بني إسرائيل هارباً من قومه، فعبد الله عليه، فعلم قومه فقتلوه، وهو يبكي على ذلك النبيّ، وهذه القطرات من بكائه له، ومن الجانب الآخر عين تنبع من ذلك الماء بالليل والنهار ولا يوصل إلى تلك العين[(١)].

٧٨ - **الدر المنثور:** قال: أخرج الزبير بن بكّار في الموفّقيات عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: عجائب الدنيا أربعة: مرآة كانت معلّقة بمنارة الإسكندريّة فكان يجلس الجالس تحتها فيبصر من بالقسطنطنيّة وبينهما عرض البحر؛ وفرس كان من نحاس بأرض أندلس قائلاً بكفّه كذا باسط يده أي ليس خلفي مسلك، فلا يطأ تلك البلاد أحد إلاّ أكلته النمل؛ ومنارة من نحاس عليها راكب من نحاس بأرض عاد، فإذا كانت الأشهر الحرم هطل منه الماء وسقوا وصبّوا في الحياض فإذا انقضت الأشهر الحرم انقطع ذلك الماء؛ وشجرة من نحاس عليها سودانيّة من نحاس بأرض روميّة، فإذا كان أوان الزيتون صفرت السودانية الّتي من نحاس فتجيء كلّ سودانيّة من الطيّارات بثلاث زيتونات: زيتونتين برجليها، وزيتونة بمنقارها حتّى تلقيه على تلك السودانيّة الّتي هي من نحاس، فيعصر أهل روميّة ما يكفيهم لإدامهم وسرجهم سنتهم إلى قابل[(٢)].

٧٩ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن أبي يحيى الواسطيّ عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ من وراء اليمن وادياً يقال له: «وادي برهوت» ولا يجاوز ذلك الوادي إلاّ الحيّات السود والبوم من الطير في ذلك الوادي بئر يقال لها «بلموت» يغدى ويراح إليها بأرواح المشركين، يسقون من ماء الصديد، خلف ذلك الوادي قوم يقال لهم «الذريح» لمّا أن بعث الله عزّ وجلّ محمّداً صلى الله عليه وآله صاح عجل لهم فيهم وضرب بذنبه ونادى فيهم: يا آل الذريح! - بصوت فصيح - أتى رجل بتهامة يدعو إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله. قالوا: لأمر ما أنطق الله هذا العجل! قال: فنادى فيهم ثانية، فعزموا على أن يبنوا سفينة، فبنوها ونزل فيها سبعة منهم، وحملوا من الزاد ما قذف الله في قلوبهم، ثمّ رفعوا شراعاً وسيّبوها في البحر، فما زالت تسير بهم حتّى رمت بهم بجدّة، فأتوا النبيّ صلى الله عليه وآله فقال لهم النبيّ صلى الله عليه وآله: أنتم أهل الذريح نادى فيكم العجل! قالوا: نعم، قالوا: اعرض علينا يا رسول الله الدين والكتاب، فعرض عليهم رسول الله الدين والكتاب والسنن والفرائض والشرائع كما جاء من عند الله - عزّ ذكره - وولّى عليهم رجلاً من بني هاشم سيّره معهم، فما بينهم اختلاف حتّى الساعة[(٣)].

٨٠ - **حياة الحيوان:** الأهرام من عجائب أبنية الدنيا، وهي قبور الملوك، أرادوا أن يتميّزوا على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميّزوا عليهم في حياتهم، قيل: إنّ المأمون لمّا

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٤ ص ٢٣٦. (٢) الدر المنثور، ج ٣ ص ٩٧.
(٣) روضة الكافي، ح ٣٧٥.

وصل إلى مصر أمر بنقب أحد الهرمين فنقب بعد جهد جهيد وغرامة نفقة عظيمة فوجد داخله مراق ومهاوٍ يعسر سلوكها، ووضع في أعلاها بيت مكعّب طول كلّ ضلع من أضلاعه ثمانية أذرع، وفي وسطه حوض فيه مائة رمّة بالية قد أتت عليها العصور فكفّ عن نقب ما سواه. ونقل أنّ هرمس الأوّل أخنوخ وهو إدريس عليه السلام استدلّ من أحوال الكواكب على كون الطوفان، فأمر ببنيان الأهرام، ويقال: إنّه ابتناها في مدّة ستّة أشهر وكتب فيها: قل لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستّمائة عام والهدم أيسر من البنيان! وكسوناها الديباج فليكسها الحصر والحصر أيسر من الديباج. وقال ابن الجوزيّ في كتاب «سلوة الأحزان»: ومن عجائب الهرمين أنّ سمك كلّ واحد منهما أربعمائة ذراع من رخام وزمرّد وفيها مكتوب: أنا بنيتها بملكي فمن ادّعى قوّة فليهدمها فإنّ الهدم أيسر من البناء.

قال ابن المنادي: بلغنا أنّهم قدّروا خراج الدنيا مراراً فإذا هو لا يقوم بهدمها - والله أعلم -(1).

٣٨ - باب نادر

أقول: وجدت في بعض الكتب القديمة هذه الرواية، فأوردتها بلفظها، ووجدتها أيضاً في كتاب «ذكر الأقاليم والبلدان والجبال والأنهار والأشجار» مع اختلاف يسير في المضمون وتباين كثير في الألفاظ أشرت إلى بعضها في سياق الرواية، وهي هذه:

مسائل عبد الله بن سلام وكان اسمه «اسماويل» فسمّاه النبيّ صلى الله عليه وآله عبد الله، عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: لمّا بعث النبيّ صلى الله عليه وآله أمر عليّاً أن يكتب كتاباً إلى الكفّار وإلى النصارى وإلى اليهود، فكتب كتاباً أملاه جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم من محمّد رسول الله إلى يهود خيبر أمّا بعد فإنّ الأرض لله والعاقبة للمتّقين والسلام على من اتّبع الهدى ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم ثمّ ختم الكتاب وأرسله إلى يهود خيبر. فلمّا وصل الكتاب إليهم أتوا إلى شيخهم ابن سلام فقالوا: يا ابن سلام هذا كتاب محمّد إليك فاقرأه عليهم فقال لهم: ما تريدون من هذا الكلام؟ وقد أرى فيه علامات وجدنا في التوراة أنّ هذا محمّد الّذي بشّرنا به موسى بن عمران. فقالوا: ينسخ كتابنا ويحرّم علينا ما أحلّ لنا من قبل. فقال لهم ابن سلام يا قوم اخترتم الدنيا على الآخرة والعذاب على المغفرة! فقالوا: يا ابن سلام لو كان محمّد على ديننا لكان أحبّ إلينا من غيره. فقال: أنا أروح إليه وأسأله عن أشياء من التوراة فان أجابني عنها دخلت في دينه وخلّيت دين اليهوديّة، وقام وأخذ التوراة واستخرج منها ألف مسألة وأربعمائة مسألة وأربع مسائل من غامض المسائل فأخذها وأتى بها إلى محمّد وهو في مسجده فقال: السلام عليك

---

(1) حياة الحيوان، ج ١ ص ٣٩٣ كلمة الدابة.

يا محمّد وعلى أصحابك. فقالوا: وعلى من اتّبع الهدى السلام ورحمة الله وبركاته، من أنت يا هذا الرجل؟ قال: أنا عبد الله بن سلام، وأنا من رسل بني إسرائيل وممّن قرأ التوراة، وأنا رسول اليهود إليك مع شيء لتبيّنه لنا ما هو وأنت من المحسنين. فقال النبيّ ﷺ: اجلس يا ابن سلام وسل عمّا شئت وإن شئت أخبرتك عمّا تسألني عنه. فقال: أخبرني يا محمّد فإنّني أزداد فيك يقيناً. فقال: يا ابن سلام جئت تسألني عن ألف مسألة وأربعمائة مسألة وأربع مسائل نسختها من التوراة. فنكس عبد الله بن سلام رأسه وبكى وقال: صدقت يا محمّد. فقال: أنبيّ أنت أم رسول؟ فقال: يا ابن سلام إنّ الله بعثني نبيّاً ورسولاً وأنا خاتم النبيّين، أفما قرأت في التوراة ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾(١) - الآية -؟ وأنزل عليّ ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾(٢) قال: صدقت يا محمّد، أخبرني أكليم أنت أم وحيّ؟ قال: يا ابن سلام بل وحيّ يأتيني به جبرئيل عن ربّ العالمين. قال: صدقت يا محمّد، أخبرني كم خلق الله نبيّاً من بني آدم؟ قال: يا ابن سلام، خلق الله مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ. قال: صدقت يا محمّد، أخبرني كم المرسلون منهم؟ قال: يا ابن سلام كان المرسلون ثلاثمأة وثلاثة عشر. قال: صدقت يا محمّد فأخبرني من كان أوّل الأنبياء؟ قال: آدم. قال: صدقت يا محمّد، أخبرني آدم كان نبيّاً مرسلاً؟ قال: نعم، أفما قرأت في التوراة ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾(٣) - الآية -؟ قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن رسل العرب كم كانوا؟ قال: ستّة أوّلهم إبراهيم وإسماعيل ولوط وصالح وشعيب ومحمّد. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني كم كان بين موسى وعيسى من نبيّ؟ قال: ألف، قال: صدقت يا محمّد، فعلى أيّ دين كانوا؟ قال: على دين الله تعالى ودين ملائكته ودين الإسلام. قال: وما الإسلام؟ وما الإيمان؟ قال: أمّا الإسلام فتشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له والإقرار بأنّ محمّداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان والحجّ إلى بيت الله الحرام إن استطعت إليه سبيلاً، وأمّا الإيمان فتؤمن بالله وملائكته والكتاب والنبيّين والبعث بعد الموت والقدر خيره وشرّه من الله تعالى. قال: صدقت يا محمّد، أخبرني كم من دين لله تعالى؟ قال: دين واحد وهو الإسلام. قال: صدقت يا محمّد، فبم كانت الشرائع؟ قال: كانت مختلفة في الأمم الماضية. قال: صدقت يا محمّد، فأهل الجنّة يدخلون بالإسلام أم بالإيمان أم بأعمالهم؟ قال: يا ابن سلام استوجبوا الجنّة بالإيمان ويدخلون برحمة الله ويقسمونها بأعمالهم. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني كم أنزل الله كتاباً؟ قال: يا ابن سلام أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني على من أنزلت هذه الكتب؟ قال: يا ابن سلام، أنزل

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٣.

الله عزّوجلّ على آدم أربعة عشرة صحيفة وأنزل على إبراهيم عشرين صحيفة - وفي قول أربعة عشرة صحيفة - وعلى شيث بن آدم خمسين صحيفة، وأنزل على إدريس ثلاثين صحيفة، وأنزل الزبور على داود وأنزل التوراة على موسى، وأنزل الإنجيل على عيسى، وأنزل عليّ الفرقان. قال: صدقت يا محمّد، فهل أنزل عليك كتاباً؟ قال: نعم، قال: وأيُّ كتاب هو؟ قال: الفرقان قال: يا محمّد لم سمّاه الربّ فرقاناً؟ قال: يا ابن سلام لأنّه يفرق الآيات والسور وأنزل بغير الألواح وغير الصحف، والتوراة والإنجيل والزبور كلّها جملة في الألواح. قال: صدقت يا محمّد، فهل في كتابك شيء من هذه الصحف؟ قال: نعم يا ابن سلام. قال: ما هو يا محمّد؟ فقرأ النبيّ صلى الله عليه وآله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ - إلى قوله - ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني ما ابتداء القرآن وما ختمه؟ قال: يا ابن سلام ابتداؤه بسم الله الرحمن الرحيم، وختمه صدق الله [العليّ] العظيم. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن خمسة أشياء خلقها الله بيده ما هي؟ قال: يا ابن سلام إنّ الله عزّوجلّ خلق جنّة عدن بيده، وغرس شجرة طوبى بيده، وصوّر آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وبنى السماوات بيده - قال صدقت يا محمّد - والسماوات مطويّات بيمينه. قال: صدقت [قال] يا ابن سلام أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾(١) قال: صدقت يا محمّد، أخبرني من أخبرك بهذا، قال: أخبرني جبرائيل. قال: عن من؟ قال: عن ميكائيل. قال: عن من؟ قال: عن إسرافيل قال: عن من؟ قال: عن اللوح المحفوظ. قال: عن من؟ قال: عن القلم. قال: عن من؟ قال: عن ربّ العالمين. قال: وكيف ذلك يا محمّد؟ قال [النبيّ صلى الله عليه وآله]: يأمر الله القلم يكتب في اللوح، وينزل في اللوح على إسرافيل، ويبلّغ إسرافيل ميكائيل ويبلّغ ميكائيل جبرائيل. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن جبرائيل في زيّ الذكران أم في زيّ الإناث؟ قال: يا ابن سلام بل هو في زيّ الذكران. قال: فأخبرني ما طعامه وما شرابه؟ قال: يا ابن سلام طعامه التسبيح وشرابه التهليل. قال: صدقت يا محمّد فأخبرني ما طوله؟ وما عرضه؟ وما صفته؟ وما لباسه؟ قال: يا ابن سلام على قدر الملائكة لا بالطويل الأعلى ولا بالقصير الأدنى، أغرّ، مكحول، ضوؤه كضوء النهار عند ظلمة الليل، له أربعة وعشرون جناحاً خضراً مكلّلة بالدرّ والياقوت مختومة باللؤلؤ عليه وشاح بطانته من إستبرق وظهارته الوقار والكرامة، وجهه كالزعفران، أقنى الأنف، مدوّر الحدق لا يأكل ولا يشرب ولا يملّ ولا يسهو وهو قائم بوحي الله تعالى إلى يوم القيامة. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن بدء خلق الدنيا، وأخبرني عن بدء خلق آدم كيف خلقه الله تعالى؟ قال: نعم يا ابن سلام، إنّ الله - سبحانه وتعالى، تقدّست أسماؤه ولا إله غيره - خلقه من طين بيده، وخلق الطين من الزبد، وخلق الزبد من الموج، وخلق الموج من الماء. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن آدم لم

(١) سورة الذاريات، الآية: ٤٧.

سمّي آدم؟ قال: يا ابن سلام لأنّه خلق من طين الأرض وأديمها. قال: صدقت يا محمّد، فآدم خلق من الطين كلّه أو بعضه أو من طين واحد؟ قال: يا ابن سلام بل خلقه الله من الطين كلّه، ولو أنّ آدم خلق من طين واحد لما عرف بعضهم بعضاً وكانوا على صورة واحدة. قال: صدقت يا محمّد، هل لهم مثل بذلك في الدنيا؟ قال: نعم يا ابن سلام أفما تنظر إلى التراب منه أبيض، ومنه أسود، ومنه أحمر، ومنه أصفر، ومنه أشقر ومنه أغبر، ومنه أزرق، وفيه عذب وخشن، وفيه ليّن، وكذلك فيهم خشن وفيهم ليّن وفيهم عذب كذلك [التراب] قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن آدم لمّا خلقه الله عَزَّوَجَلَّ من أين دخلت الروح فيه؟ قال: يا ابن سلام دخلت من فيه. قال: صدقت يا محمّد، أدخلت فيه على رضا أم على كره؟ قال: يا ابن سلام أدخله الله كرهاً ويخرجها كرهاً. قال: صدقت يا محمّد، ما قال الله لآدم؟ قال: يا ابن سلام قال الله لآدم: يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنّة فكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. قال: صدقت يا محمّد، فكم أكل منها حبّة؟ قال: حبّتين قال: وكم أكلت حوّاء؟ قال: حبّتين. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني ما صفة الشجرة! وكم لها غصن؟ وكم كان طول السنبلة؟ قال: يا ابن سلام كان لها ثلاثة أغصان، وكان طول كلّ سنبلة ثلاثة أشبار. قال: صدقت يا محمّد، فكم سنبلة فرك منها آدم؟ قال: سنبلة واحدة. قال: صدقت يا محمّد، فكم كان في السنبلة من حبّة؟ قال: كان فيها خمس حبّات. قال: فأخبرني ما صفة الحبّة؟ قال: يا ابن سلام كانت بمنزلة البيض الكبار. قال فأخبرني عن الحبّة الّتي بقيت مع آدم ما صنع بها؟ قال: يا ابن سلام أنزلت مع آدم من الجنّة فزرع آدم تلك الحبّة فتناسل من تلك الحبّة البركة. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن آدم أين أهبط من الأرض؟ قال: أهبط بالهند. قال: صدقت يا محمّد، فأين أهبطت حوّاء؟ قال: بجدّة، قال: صدقت يا محمّد [فأين أهبطت الحبّة؟ قال: باصبهان، قال: صدقت يا محمّد] فأين أهبط إبليس؟ قال: ببيسان. قال: صدقت يا محمّد، قال: ما أغزر علمك! وما أصدق لسانك! فأخبرني ما كان لباس آدم لمّا أهبط من الجنّة؟ قال: ثلاث أوراق من ورق الجنّة متوشّحاً بالواحدة، متزراً بالأخرى متعمّماً بالثالثة. [قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني في أيّ مكان اجتمعا؟ قال: بعرفات] قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني حوّاء من آدم أم آدم من حوّاء؟ قال: يا ابن سلام خلقت حوّاء من آدم، ولو أن خلق آدم من حوّاء لكان الطلاق بيد النساء ولم يكن بيد الرجال. قال: فأخبرني خلقت من كلّه أو من بعضه؟ قال: خلقت من بعضه ولو خلقت من كلّه لكان القضاء في النساء ولم يكن في الرجال. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني من باطنه خلقت أم من ظاهره؟ قال: يا ابن سلام بل خلقت من باطنه، ولو خلقت من ظاهره لكشفت النساء من أبدانهنّ كما تكشف الرجال.

قال: فمن يمينه خلقت أم من شماله؟ قال: بل خلقت من شماله، ولو خلقت من يمينه

لكان حظّ الأنثى مثل حظّ الذكر وشهادتها كشهادته، ومن أجل ذلك جعل الله للذكر مثل حظّ الأنثيين. قال: فأخبرني من أيّ موضع خلقت؟ قال: يا ابن سلام خلقت من ضلعه الأقصر. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني من كان يسكن الأرض قبل آدم؟ قال: الجنّ. قال: فبعد الجنّ؟ قال: الملائكة. قال: فبعد الملائكة؟ قال: آدم وذرّيّته. قال: وكم كان بين الجنّ وبين آدم؟ قال سبعة آلاف سنة. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن آدم فهل حجّ إلى بيت الله الحرام؟ قال: نعم، قال: فمن حلق رأس آدم؟ قال: جبرئيل. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني هل اختتن آدم أم لا؟ قال: نعم يا ابن سلام، ختن نفسه بيده. قال صدقت يا محمّد[1]، فأخبرني عن الدنيا لم سمّيت دنيا؟ قال: يا ابن سلام لأنّ الدنيا خلقت من دون الآخرة، ولو خلقت مع الآخرة لم تفن كما لم تفن الآخرة. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن القيامة لم سمّيت قيامة؟ قال: يا ابن سلام لأنّ مقام الخلائق فيها للحساب. قال: فأخبرني لم سمّيت الآخرة آخرة؟ قال: لأنّها متأخّرة [عنها] بعد الدنيا لا يوصف سنوها، ولا تحصى أيّامها ولا يموت ساكنها. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن أوّل يوم خلق الله تعالى الدنيا فيه، قال: يوم الأحد. قال: ولم سمّاه أحداً؟ قال: لأنّ الله واحد أحد فرد صمد لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً. قال: صدقت يا محمّد. فالاثنين لم سمّي اثنين؟ قال: لأنّه ثاني يوم الدنيا. قال: فالثلاثاء لم سمّي ثلاثاء؟ قال لأنّه ثالث يوم الدنيا. قال: فالأربعاء لم سمّي أربعاء؟ قال: لأنّه رابع يوم الدنيا. قال: فالخميس لم سمّي خميساً؟ قال: لأنّه خامس يوم الدنيا. قال: فالجمعة لم سمّي جمعة؟ قال: لأنّه يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وهو سادس يوم من أيّام الدنيا. قال: فالسبت لم سمّي سبتاً؟ قال: يا ابن سلام لأنّه يوم يوكل فيه ملك، لأنّه مع كلّ عبد ملكان: ملك عن يمينه، وملك عن شماله. فالّذي عن يمينه يكتب الحسنات والّذي عن شماله يكتب السيّئات. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن مقعد الملكين من العبد وما قلمهما؟ وما دواتهما؟ وما لوحهما؟ وما مدادهما؟ قال: يا ابن سلام مقعدهما على كتفيه، وقلمهما لسانه، ودواتهما فوه، ومدادهما ريقه، ولوحهما فؤاده، يكتبان أعماله إلى مماته. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني ما خلق الله في ذلك اليوم؟ قال: ن والقلم وما يسطرون. قال: فأخبرني كم طول القلم؟ وكم عرضه؟ وكم أسنانه؟ قال: يا ابن سلام طول القلم خمسمائة عام، وله ثلاثون سنّاً يخرج المداد من بين أسنانه ويجري في اللوح المحفوظ ما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة بأمر الله عزّ وجلّ. قال: صدقت يا

(١) لا ينافي هذا ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام من أنّ الله خلق آدم مختوناً (كما في ج ١١ ص ٢٤) لأنّه يمكن أن يكون المراد ختن الله نفس آدم بيد قدرته، فيكون فاعل ختن ضميراً راجعاً إلى الله تعالى، أو يقرأ ختن مبنيّاً للمفعول ونفسه نائب الفاعل له، وبيده يعني بيد قدرة الله، كقوله تعالى في حقّ آدم: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ يعني كان مختوناً بيد قدرة الله تعالى. [مستدرك السفينة ج٣ لغة «ختن»].

محمّد، كم لحظة لله عَزَّوَجَلَّ في كلّ يوم وليلة؟ قال: يا ابن سلام ثلاثمائة وستّون لحظة: يُمضي ويقضي ويرفع ويضع ويُسعد ويُشقي ويُعزّ ويُذلّ ويُعلي ويقهر ويُغني ويُفقر. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني ما خلق الله تعالى بعد ذلك؟ قال: يا ابن سلام السماء السابعة ممّا يلي العرش، وأمرها أن ترتفع إلى مكانها فارتفعت ثمّ خلق الستّة الباقية، وأمر كلّ سماء أن تستقرّ مكانها فاستقرّت. قال: صدقت يا محمّد فلم سمّاها سماءاً؟ قال: لارتفاعها. قال: فأخبرني ما بال سماء الدنيا خضراء؟ قال يا ابن سلام اخضرّت من جبل قاف. قال: صدقت يا محمّد. فأخبرني ممَّ خلقت؟ قال: خلقت من موج مكفوف قال: وما الموج المكفوف؟ قال: يا ابن سلام ماء قائم لا اضطراب له، وكانت (في ظ) الأصل دخاناً. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن السماوات ألها أبواب؟ قال: نعم لها أبواب وهي مغلقة، ولها مفاتيح وهي مخزونة. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن أبواب السماء ما هي؟ قال: ذهب. قال فما أقفالها؟ قال: من نور. قال: فمفاتيحها؟ قال: بسم الله العظيم. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن طول كلّ سماء وعرضها، وكم ارتفاعها؟ وما سكّانها؟ قال: يا ابن سلام طول كلّ سماء خمسمائة عام وعرضها كذلك وبين كلّ سماء إلى سماء خمسمائة عام، وسكّان كلّ سماء جند من الملائكة لا يعلم عددهم إلاّ الله تعالى. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن السماء الثانية ممّا خلقت؟ قال: من الغمام. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن السماء الثالثة ممّ خلقت؟ قال: من زبرجدة خضراء. قال: فالرابعة؟ قال: من ذهب أحمر. قال: صدقت يا محمّد، فالخامسة؟ قال: من ياقوتة حمراء. قال: فالسادسة؟ قال من فضّة بيضاء. قال فالسابعة؟ قال: من ذهب. قال صدقت يا محمّد، فأخبرني ما فوق السماء السابعة؟ قال: بحر الحيوان. قال: فما فوقه؟ قال بحر الظلمة. قال: فما فوقه؟ قال: بحر النور. قال: فما فوقه؟ قال: الحجب. قال: فما فوقه؟ قال: سدرة المنتهى قال: فما فوق سدرة المنتهى؟ قال: جنّة المأوى. قال: فما فوق جنّة المأوى؟ قال: حجاب المجد. قال: فما فوق حجاب المجد؟ قال: حجاب الحمد. قال: فما فوق حجاب الحمد؟ قال: حجاب الجبروت. قال فما فوق حجاب الجبروت؟ قال: حجاب العزّ. قال: فما فوق حجاب العزّ؟ قال: حجاب العظمة. قال: فما فوق حجاب العظمة؟ قال: حجاب الكبرياء. قال: فما فوق حجاب الكبرياء؟ قال: الكرسيُّ قال: صدقت يا محمّد، قال: قد أوتيت علوم الأوّلين والآخرين وإنّك لتنطق بالحقّ اليقين قال: فما فوق الكرسيّ؟ قال: العرش. قال فما فوق العرش؟ قال: الله تعالى وهو فوق الفوق وعلمه تحت التحت. قال: صدقت يا محمّد. قال: فأخبرني هل يستوي مخلوق على عرشه؟ قال: معاذ الله يا ابن سلام. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن الشمس والقمر أهما مؤمنان أم كافران؟ قال: يا ابن سلام بل هما مؤمنان طائعان لله عَزَّوَجَلَّ مسخّران تحت قهر المشيّة. قال: صدقت يا محمّد، قال: فأخبرني

ما بال الشمس والقمر لا يستويان في الضوء والنور؟ قال: يا ابن سلام إنّ الله محا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة نعمة من الله وفضلاً، ولولا ذلك ما عرف الليل من النهار ولا النهار من الليل. قال صدقت يا محمّد، فأخبرني عن الليل لم سمّي ليلاً؟ قال: لأنّه يلايل الرجال من النساء جعله الله إلفاً ولباساً. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني لم سمّي النهار نهاراً؟ قال: يا ابن سلام لأنّ فيه كلّ من الخلق يطلب معاشه. قال: صدقت يا محمّد، قال: فأخبرني عن النجوم كم جزءاً هي؟ قال: يا ابن سلام ثلاثة أجزاء: جزء منها بأركان العرش يصل ضوؤها إلى السماء السابعة، والجزء الثاني بسماء الدنيا كأمثال القناديل المعلّقة وهي تضيء لسكّانها وترمي الشياطين بشررها إذا استرقوا السمع، والجزء الثالث معلّقة في الهواء وهي ضوء البحار وما فيها وما عليها. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني ما بال النجوم تبان صغاراً وكباراً؟ قال: يا ابن سلام لأنّ بينها وبين سماء الدنيا بحاراً تضرب الرياح أمواجها فتبان من تحتها صغاراً وكباراً، ومقدار النجوم كلّها مقدار واحد. قال صدقت يا محمّد، فأخبرني كم ريحاً بيننا وبين سماء الدنيا؟ قال: ثلاثة أرياح: الريح العقيم الّتي أُرسلت على قوم عاد حملت الأشجار والثمار، والريح الّتي هي سوداء مظلمة يعذّب بها أهل النار، و[ريح] تحمل البحار، وريح لأهل الأرض بها حملت الأشجار والثمار تغدو في جوانبها، ولولا تلك الريح لاحترقت الأرض والجبال من حرّ الشمس. قال: صدقت يا محمّد. فأخبرني عن حملة العرش كم هم صنفاً؟ قال: ثمانون صنفاً، طول كلّ صنف ألف ألف فرسخ، وعرضه خمسمائة عام، ورؤوسهم تحت العرش وأقدامهم تحت سبع أرضين، ولو أنّ طائراً يطير من أذن أحدهم اليمنى إلى اليسرى ألف سنة من سنين الدنيا لم يبلغ إلى الأذن الآخر حتّى يموت هرماً - أي شيخاً - لهم ثياب من درّ وياقوت شعرهم كالزعفران، طعامهم التسبيح، وشرابهم التهليل، والصنف الأوّل نصفه ثلج ونصفه نار لا يذيب النار الثلج ولا الثلج يطفىء النار، والصنف الثاني نصفه رعد ونصفه برق، والصنف الثالث نصفه ماء ونصفه مدر لا الماء يذيب المدر ولا المدر يذيب الماء، والصنف الرابع نصفه ريح ونصفه ماء لا الريح يهيّج الماء ولا الماء يسبق الريح. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن طائر يطير بين السماء والأرض ليس له في السماء مكان ولا في الأرض مسكن ما هم يا محمّد؟ قال: يا ابن سلام تلك حيّات أعرافها كأعراف الخيل تبيض في الجوّ على أذنابها، وتفرخ على مناكبها في الهواء إلى يوم القيامة. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن مولود أشدّ من أبيه. قال: يا ابن سلام ذلك الحديد يولد من الحجر وهو أشدُّ من الحجر. قال: صدقت يا محمّد، قال: فأخبرني عن بقعة أصابتها الشمس مرّة واحدة فلا تعود إليها إلى يوم القيامة. قال: يا ابن سلام ذلك موضع أغرق الله فيه فرعون حين انفلق البحر وانطبق عليه. قال: صدقت يا محمّد فأخبرني عن بيت له اثنا عشر باباً أُخرج منه اثنا عشر عيناً لاثني عشر سبطاً. قال النبيّ ﷺ:

لمّا جاوز [موسى] بني إسرائيل البحر ودخل بهم إلى البريّة فشكوا إلى موسى العطش فمرّ بحجر مربّع فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك الحجر، فضرب به موسى، فانفجر منه اثنتا عشرة عيناً لاثني عشر سبطاً من بني إسرائيل، قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن نبيّ لا من الجنّ و(لا من ظ) الإنس، ولا من الطير ولا من الوحوش قال: يا ابن سلام ذلك النملة الّتي أنذرت قومها حين قالت ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ﴾[1] قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن من أوحى الله إليه لا من الجنّ ولا من الملائكة ولا من الإنس ولا من الوحوش ما هو؟ قال: يا ابن سلام النحل أوحى الله إليها ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[2] قال: صدقت يا محمّد قال: فأخبرني ما أوحى الله إليه من الأرض ما هو؟ قال: يا ابن سلام أوحى الله إلى جبل طور سيناء أن ارفع موسى إلى السماء حتّى يتناول الألواح من ربّ العالمين. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن مخلوق أوّله عود وآخره روح. قال: يا ابن سلام تلك عصا موسى بن عمران، أمره الله أن يلقيها في بيت المقدس فألقاها فإذا هي حيّة تسعى. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن ثلاث ذكور لم يولدوا عن فحل. قال: يا ابن سلام ذلك عيسى بن مريم وآدم وكبش إسماعيل. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن وسط الدنيا في أيّ موضع هو؟ قال: بيت المقدس، قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنّ فيه المحشر والمنشر والصراط والميزان. قال: صدقت يا محمّد، قال: فأخبرني عن الفلك المشحون ما هو؟ قال: يا ابن سلام، السفن المبنيّة في البحر، أما قرأت في التوراة ﴿وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾[3]؟ قال: صدقت يا محمّد، قال: ما الألواح؟ قال: الأشجار الّتي سفقت طولاً هي الألواح. (قال: ظ) فأخبرني عن الدسر. قال: يا ابن سلام المسامير والعوارض [من] الحديد. قال صدقت يا محمّد، قال: فأخبرني كم كان طول السفينة؟ وكم عرضها؟ وكم كان ارتفاعها؟ قال: يا ابن سلام كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها مائة وخمسين ذراعاً وارتفاعها مائتي ذراع. قال: صدقت يا محمّد، قال: فأخبرني من أين ركبها نوح؟ قال: من العراق، قال: أين ثبتت؟ قال: طافت بالبيت العتيق أسبوعاً وببيت المقدس أسبوعاً واستوت على الجوديّ. قال صدقت يا محمّد، قال: فأخبرني عن البيت المعمور أين كان لمّا أغرق الله الدنيا؟ قال: يا ابن سلام رفعه الله تعالى إلى السماء السابعة قبل الطوفان. قال: صدقت يا محمّد [قال: فأخبرني أين كانت الصخرة وقت الطوفان؟] قال: أمر الله تعالى أبا قبيس أن يحمل الصخرة في بطنه. قال: فالبيت المقدّس لمّا أغرق الله الدنيا أين كان؟ قال: في جبل أبي قبيس. قال صدقت يا محمّد فأخبرني عن مولود لم يشبه أباه وربما أشبه خاله وربما أشبه عمّه. قال: يا ابن سلام إذا جامع الرجل امرأته فإن غلبت شهوة المرأة على شهوة الرجل

---

(١) سورة النمل، الآية: ١٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٦٨.

(٣) سورة القمر، الآية: ١٣.

خرج الولد إلى خاله وإن غلبت شهوة الرجل على شهوة المرأة خرج إلى عمّه وإن استويا خرج الولد إلى أمّه وأبيه. قال: صدقت يا محمّد.

أقول: في الرواية الأخرى هكذا قال: فأخبرني عن المولود إذا لم يشبه أباه وربما يشبه خاله وعمّه. قال: إذا جامع الرجل امرأته فإن غلبت شهوة الرجل شهوة المرأة خرج الرجل بأبيه أشبه وإن غلبت شهوة المرأة خرج الولد بأمّه أشبه، وإن استويا خرج شبيهاً بهما، فإن سبقت شهوة الرجل خرج الولد بعمّه أشبه، وإن سبقت شهوة المرأة كان الولد بخاله أشبه. قال: صدقت رجعنا إلى الرواية الأولى:

قال: فأخبرني هل يعذّب الله عبده بلا حجّة؟ قال: معاذ الله يا ابن سلام، إنّ الله تبارك وتعالى عدل لا يجور في قضائه. قال: صدقت، قال: فأخبرني عن أطفال المشركين في الجنّة أم في النار؟ قال: يا ابن سلام، الله أولى بهم، ولكن إذا كان يوم القيامة وجمع الخلق لفصل القضاء أمر الله تعالى بأطفال المشركين فيؤتى بهم فيقول لهم: عبادي وأبناء عبادي وإمائي، من ربّكم؟ وما دينكم؟ وما أعمالكم؟ فيقولون: اللّهمّ أنت ربّنا وأنت خالقنا ولم نكن شيئاً وأمتّنا ولم تجعل لنا لساناً ننطق به ولا عقلاً نعقل به ولا قوّة في الأعضاء نتعبّد بها ولا علم لنا إلاّ ما علّمتنا فيقول الله لهم - وهو أجلّ قائل - فالآن لكم ألسنة وعقول وقوّة للحركة في الأعضاء فإن أمرتكم بأمر يا عبادي تفعلوه؟ فيقولون: السمع والطاعة لك يا إلهنا وخالقنا ورازقنا ومالكنا. فيأمر الله تعالى [مالكاً] فتزجر جهنّم حتّى تفور ويأمر أطفال المشركين: ألقوا أنفسكم في تلك النار. فمن سبق له في علم الله أن يكون سعيداً ألقى نفسه فيها، فتكون النار عليه برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم خليل الرحمن، ومن سبق له في علم الله أن يكون شقيّاً امتنع أن يلقي نفسه في تلك النار فيكونون تبعاً لآبائهم وأمّهاتهم في النار، والفرقة الأخرى يخرجون إلى الجنّة مع المؤمنين، قال: صدقت، [قال: بررت وبيّنت وأزلت الشكّ يا محمّد فزدني يقيناً] فأخبرني عن الأرض لم سمّيت أرضاً؟ قال: لأنّها أرض يداس عليها. قال: فممّ خلقت؟ قال: من زبرجد [من الزبد] قال: فالزبرجدة ممَّ خلقت؟ قال: من الموج، قال: فالموج ممَّ خلق؟ قال: من البحر. قال: صدقت يا محمّد، فكيف ذلك؟ قال: إنّ الله عزّ وجلّ لمّا خلق البحر أمر الريح أن تضرب الأمواج بعضها في بعض فاضطرب الأمواج حتّى ظهر الزبد، ثمّ أمرها أن تجتمع فاجتمعت، ثمّ أمرها أن تلين فلانت، ثمّ أمرها أن تعتدل فاعتدلت، ثمّ أمرها أن تمتدّ فامتدّت فصارت أرضاً قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني من أين سكونها؟ قال: من جبل قاف وهو أصل أوتاد الأرض الّتي نحن عليها. قال: فأخبرني ما تحت هذه الأرض؟ قال: تحتها ثور، قال: وما صفته؟ قال: يا ابن سلام، له أربع قوائم، وهو قائم على صخرة بيضاء. قال: فأخبرني ما صفته؟ قال: يا ابن سلام، له أربعون قرناً وأربعون سنّاً، رأسه بالمشرق وذنبه بالمغرب وهو ساجد لله تعالى إلى

يوم القيامة، من القرن إلى القرن مسيرة خمسين ألف سنة. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني ما تحت الصخرة؟ قال: تحتها جبل يقال له الصعود. قال: ولمن ذلك الجبل؟ قال: لأهل النار، يصعده المشركون إلى يوم القيامة وهو مسيرة ألف سنة - حتّى إذا بلغوا أعلا ذلك الجبل ضربوا بمقامع فيسقطون إلى أسفله فيسحبون على وجوههم. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني ما تحت ذلك الجبل؟ قال: أرض، قال: وما اسمها؟ قال: جارية، قال: وما تحتها؟ قال: بحر، قال: وما اسمه؟ قال: سهك. قال: صدقت يا محمّد، قال: فما تحت ذلك البحر؟ قال: أرض، قال: وما اسمها؟ قال: ناعمة، قال: وما تحتها؟ قال: بحر، قال: وما اسمه؟ قال: الزاخر قال: وما تحته؟ قال: أرض، قال: وما اسمها؟ قال: فسيحة، قال: فصف لي هذه الأرض، قال: يا ابن سلام، هي أرض بيضاء كالشمس وريحها كالمسك وضوؤها كالقمر ونباتها كالزعفران يحشرون عليها المتّقون يوم القيامة. قال: صدقت يا محمّد، قال: فأخبرني أين تكون هذه الأرض الّتي نحن عليها اليوم؟ قال النبيّ ﷺ: يا ابن سلام تبدّل هذه الأرض غيرها. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني ما تحت تلك الأرض؟ قال: البحر، قال: وما اسمه؟ قال: القمقام، قال: وما فيه؟ قال: الحوت، قال: وما اسمه؟ قال: يهموت قال: صدقت يا محمّد. قال: فصف لي الحوت. قال: يا ابن سلام رأسه بالمشرق وذنبه بالمغرب. قال: فما على ظهره؟ قال: الأرض والبحار والظلمة والجبال. قال فما بين عينيه؟ قال سبعة أبحر في كلّ بحر سبعون ألف مدينة في كلّ مدينة ألف لواء تحت كلّ لواء سبعون ألف ملك. قال فما يقولون؟ قال يقولون لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حيّ لا يموت بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني ما تحت الريح، قال: الظلمة، قال: فما تحت الظلمة؟ قال: الثرى، قال: فما تحت الثرى؟ قال: لا يعلمه إلاّ الله عزّ وجلّ.
قال: صدقت يا محمّد فأخبرني عن ثلاث من رياض الجنّة في الأرض أين تكون؟ قال: يا ابن سلام، أوّلها مكّة، وثانيها بيت المقدس، وثالثها مدينة محمّد. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن أربع مدائن من مدائن الجنّة في الدنيا. قال: أوّلها إرم ذات العماد، والثانية المنصورية وهي مدينة بالشام، والثالثة قيساريّة وهي مدينة بساحل البحر في الشام، والرابعة هي البلفاء وهي أرمنيّة. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن أربع منابر من منابر الجنّة في الدنيا أيّ موضع هي؟ قال: يا ابن سلام، أوّلها قيروان وهي إفريقيّة، والثانية باب الأبواب وهي بأرض أرمنيّة، والثالثة عبدان وهي بأرض العراق، والرابعة بخراسان وهي خلف نهر يقال له جيحون. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن أربع مدائن من مدائن جهنّم في الدنيا. قال: يا ابن سلام، أوّلها مدينة فرعون في أرض مصر، والثانية أنطاكيّة وهي بأرض الشام، والثالثة بأرض سيحان وهي بأرض أرمنيّة (و ظ) الرابعة المدائن وهي بأرض العراق.

قال: صدقت يا محمّد، قال: فأخبرني عن أربعة أنهار في الدنيا وهي من أنهار الجنّة. قال: أوّلها الفرات وهو بأرض الشام، والثاني النيل وهو بأرض مصر، والثالث نهر سيحان وهو نهر الهند، والرابع جيحون وهو بأرض بلخ. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن شيء لا شيء، وشيء بعض شيء وشيء لا يفنى منه شيء. قال: يا ابن سلام. أمّا شيء لا شيء فهي الدنيا يذهب نعيمها ويموت ساكنها، ويخمد ضوءها؛ وأمّا الشيء بعض الشيء وقوف الخلائق في صعيد واحد فهو شيء بعض شيء، وأمّا شيء لا يفنى منه شيء فالجنّة والنار لا يفنى من الجنّة نعيمها ولا ينقص من النار عذابها، فمن قال من العباد إنّ نعيمها يفنى أو عذاب الله ينقضي فهو كافر بالله في كلّ شيء. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن جبل قاف ما خلفه؟ وما دونه؟ قال: يا ابن سلام، خلفه أرض ذهب وسبعون أرضاً من فضّة وسبعة أرضين من مسك.

قال: فما سكّان هذه الأرضين؟ قال الملائكة قال: كم طول كلّ أرض منها؟ وكم عرضها؟ قال: طول كلّ أرض منها عشرة آلاف سنة وعرضها كذلك قال: صدقت يا محمّد، فما وراء ذلك؟ قال: حجاب الريح، قال: فما وراء ذلك؟ قال [من صح] كيف محيط بالدنيا كلّها تسبّح الله تعالى. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن أهل الجنّة يأكلون ويشربون ولا يتغوّطون ولا يبولون؟ قال نعم يا ابن سلام، مثلهم في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمّه يأكل ممّا تأكل أمّه ويشرب ممّا تشربه ولا يبول ولا يتغوّط ولو راث في بطنها وبال لانشقّ بطنها. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن أنهار الجنّة ما هي؟ قال: يا ابن سلام، لبن لم يتغيّر طعمه، وخمر، وعسل مصفّى، وماء غير آسن قال: صدقت يا محمّد، فجامدة هي أم جارية؟ قال: بل جارية بين أشجارها. قال: فهل تنقص أم تزيد؟ قال لا يا ابن سلام، قال: فهل لذلك مثل في الدنيا؛ قال: نعم، قال وما هو؟ قال يا ابن سلام أنظر إلى البحار تمطر فيها السماء وتمدّها الأنهار من الأرض فلا تزيد ولا تنقص قال: وصف لي أنهار الجنّة. قال: يا ابن سلام. في الجنّة نهر يقال له الكوثر رائحته أطيب من رائحة المسك الأذفر والعنبر، حصاه الدرّ والياقوت عليه ختام من اللؤلؤ الأبيض، وهو منزل أولياء الله تعالى.

قال: صدقت يا محمّد فصف لي أشجار الجنّة. قال: في الجنّة شجرة يقال لها طوبى، أصلها من درّ وأغصانها من الزبرجد وثمرها الجوهر، ليس في الجنّة غرفة ولا حجرة ولا موضع إلاّ وهي متدلّية عليه. قال: صدقت يا محمّد، فهل في الدنيا لها من مثل؟ قال: نعم، الشمس المشرقة تشرق على بقاع الدنيا ولا يخلو من شعاعها مكان. قال: صدقت يا محمّد، فهل في الجنّة ريح؟ قال: نعم، يا ابن سلام فيها ريح واحدة خلقت من نور مكتوب عليها الحياة واللّذات يقال لها البهاء، فإذا اشتاق أهل الجنّة أن يزوروا ربّهم هبّت تلك الريح عليهم [التي لم تخلق من حرّ ولا من برد بل خلقت من نور العرش تنفخ في وجوههم، فتبهي وجوههم وتطيب قلوبهم ويزدادوا نوراً على نورهم، وتضرب أبواب الجنان، وتجري

الأنهار وتسبّح الأشجار وتغرّد الأطيار، فلو أنّ من في السماوات والأرض قيام يسمعون ما في الجنّة من سرور وطرب لمات الخلائق شوقاً إلى الجنّة، والملائكة يدخلون عليهم فيقولون كما قال الله عزّوجلّ في محكم كتابه العزيز ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[1] ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾[2].

قال: فأخبرني عن أرض الجنّة ما هي؟ قال: يا ابن سلام، أرضها من ذهب، وترابها المسك والعنبر، ورضراضها الدرّ والياقوت، وسقفها عرش الرحمن. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني ممّا يأكل أهل الجنّة إذا دخلوها، قال: يا ابن سلام، يأكلون من كبد الحوت الّذي يحمل الأرض وما عليها واسمه «بهموت» قال صدقت يا محمّد. قال: فأخبرني عن أهل الجنّة كيف يصرفون ما يأكلون من ثمارها؟ وكيف يخرج من أجوافهم؟ قال: يا ابن سلام، ليس يخرج من أجوافهم شيء، بل عرقاً صبّاً أطيب من المسك وأزكى من العنبر، ولو أنّ عرق رجل من أهل الجنّة مزج به البحار لأسكر ما بين السماء والأرض من طيب رائحته. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن لواء الحمد ما صفته؟ وكم طوله؟ وكم ارتفاعه؟ قال: يا ابن سلام، طوله ألف سنة، وأسنانه من ياقوتة [حمراء وياقوتة] خضراء، قوائمه من فضّة بيضاء، له ثلاث ذوائب من نور: ذؤابة بالمشرق، وذؤابة بالمغرب، والثالثة في وسط الدنيا. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني كم سطر فيه مكتوب؟ قال: ثلاثة أسطر: السطر الأوّل بسم الله الرحمن الرحيم، والسطر الثاني الحمد لله ربّ العالمين، والسطر الثالث لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن الجنّة والنار أيتهما خلق الله قبل؟ قال: يا ابن سلام، خلق الله الجنّة قبل النار، ولو خلق النار قبل الجنّة لخلق العذاب قبل الرحمة. قال: فأخبرني عن الجنّة أين هي؟ قال: في السماء السابعة والنار في تخوم الأرض السفلى. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني كم للجنّة من باب؟ وكم للنار من باب؟ قال: يا ابن سلام للجنّة ثمانية أبواب، وللنار سبعة أبواب. قال: فأخبرني كم بين الباب والباب من الجنّة؟ قال: مسيرة ألف سنة. قال: وكم ارتفاعه؟ قال: خمسمائة عام، عليه سرادق من ذهب بطانته من زمرّد، على كلّ باب جند من الملائكة لا يحصي عددهم إلاّ الله تعالى. قال: فأخبرني فما يقولون؟ قال: يقولون: طوبى لأهل الجنّة وما يلقون من نعيم الله. قال: فصف لي من يدخل الجنّة، قال: يا ابن سلام، يدخلونها أبناء ثلاثين وبنات ثلاثين سنة في حسن يوسف وطول آدم وخلق محمّد. قال: فصف لي بعض نعيم أهل الجنّة. قال: إنّ أدنى من في الجنّة - وليس في الجنّة دنيّ - لو نزل به جميع من في الأرض لأوسعهم طعاماً ولا ينقص منه شيء، ولو أنّ رجلاً من أهل الجنّة يبصق في البحار المالحة لعذبت، ولو نزل من ذؤابته من السماء إلى الأرض بلغ ضوءها كضوء الشمس ونور القمر. قال:

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧٣. (٢) سورة الرعد، الآية: ٢٤.

صدقت يا محمّد، فصف لي الحور العين. قال: يا ابن سلام، الحور العين بيض الوجوه، فحام العيون بمنزلة جناح النسر، صفاؤهنّ كصفاء اللؤلؤ الأبيض الّذي في الصدف الّذي لم تمسّه الأيدي. قال: فصف لي النار. قال: يا ابن سلام، أوقد عليها ألف عام حتّى احمرّت، وألف عام حتّى ابيضّت، وألف عام حتّى اسودّت فهي سوداء مظلمة ممزوجة بغضب الله تعالى، لا يهدأ لهيبها، ولا يخمد جمرها. يا ابن سلام لو أنّ جمرة من جمرها أُلقيت في دار الدنيا لألهبت ما بين المشرق والمغرب لعظم خلقها، وهي سبعة أطباق: الطبقة الأولى للمنافقين، والثانية للمجوس، والثالثة للنصارى، والرابعة لليهود، والخامسة سقر، والسادسة السعير - وأمسك النبيّ ﷺ عن السابعة وبكى حتّى ارفضّت دموعه على لحيته وقال - أمّا السابعة وهي أهونها لأهل الكبائر من أمّتي. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن القيامة وكيف تقوم؟ قال: يا ابن سلام، إذا كان يوم القيامة كوّرت الشمس واسودّت، وطمست النجوم، وسيّرت الجبال، وعطّلت العشار، وبدّلت الأرض غير الأرض. قال: صدقت يا محمّد. قال النبيّ ﷺ: يقام الخلائق لفصل القضاء، ويمدّ الصراط، وينصب الميزان، وتنشر الدواوين، ويبرز الربّ لفصل القضاء. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني كيف يميت الله الخلائق يوم القيامة؟ قال: يا ابن سلام، يأمر الله ملك الموت فيقف على صخرة بيت المقدس، فيضع يمينه على السماوات ويده اليسرى تحت الثرى ويصيح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ملك مقرّب ولا إنس ولا جانّ ولا طائر يطير إلاّ خرّ ميّتاً، فتبقى السماوات خالية من سكّانها، والأرض خراباً من عمّارها، والعشار معطّلة، والبحار جامدة حيتانها، والجبال مدكدكة، والشمس منكسفة، والنجوم منطمسة. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن ملك الموت هل يذوق الموت أم لا؟ قال: يا ابن سلام، إذا أمات الله الخلائق ولم يبق شيء له روح يقول الله عزّوجلّ: يا ملك الموت! من أبقيته من خلقي؟ - وهو أعلم - فيقول: يا ربّ أنت أعلم منّي بما بقي من خلقك، ما خلق إلاّ وقد ذاق الموت إلاّ عبدك الضعيف ملك الموت. فيقول الله عزّوجلّ: يا ملك الموت أذقت عبادي وأنبيائي وأوليائي ورسلي الموت، وقد سبق في علمي القديم - وأنا علاّم الغيوب - أنّ كلّ شيء هالك إلاّ وجهي [وهذه نوبتك!] فيقول: إلهي وسيّدي ارحم عبدك ملك الموت فإنّه ضعيف. فيقول الله عزّوجلّ له: يا ملك الموت، ضع يمينك تحت خدّك الأيمن بين الجنّة والنار ومُت.

قال عبد الله بن سلام: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، وكم بين الجنّة والنار؟ قال: مسيرة ثلاثين ألف سنة من سنين الدنيا - فيضطجع ملك الموت على يمينه ويضع يده اليمنى تحت خدّه الأيمن، ويده الشمال على وجهه ويصرخ صرخة فلو أنّ أهل السماوات والأرض أحياء لماتوا لشدّة صرخته. قال: صدقت يا محمّد فأخبرني ما يصنع الله بالسماوات إذا مات سكّانها؟ قال: يطويها بيمينه كطيّ السجلّ للكتب ثمّ يقول الله - جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه

ولا إله غيره ولا معبود سواه -: أين الملوك وأبناء الملوك؟ أين الجبابرة وأبناء الجبابرة؟ فلا يجيبه أحد، ثمّ يقول: لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، فيردّ على نفسه: الملك لله الواحد القهّار. اليوم تجزى كلّ نفس ما كسبت لا ظلم اليوم إنّ الله سريع الحساب. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني كيف يحشر الله الخلائق يوم القيامة بعد موتهم؟ قال النبيّ ﷺ: يا ابن سلام، يحيي الله إسرافيل وهو أوّل من يحييه من خدمه وهو صاحب الصور أوّلاً فيأمره الله عزّ وجلّ أن ينفخ في الصور. قال: فأخبرني ما يقول إسرافيل في الصور؟ قال: يا ابن سلام، يقول أيّتها العظام البالية، والأعضاء المتفرّقة، والشعور المنفصلة، هلمّوا إلى العرض على الله تعالى الملك الجبّار خالق السماوات والأرض ثمّ ينفخ في الصور أُخرى فإذا هم قيام ينظرون. قال: فكم طول كلّ نفخة؟ قال: مسيرة أربعين ألف سنة. قال: صدقت يا محمّد، فكم كلمة يتكلّم فيه إسرافيل؟ قال: ستّ كلمات، قال: وما تلك الكلمات؟ قال: الكلمة الأولى يكون الناس طيناً، والثانية يكونون صوراً، والكلمة الثالثة تستوي الأبدان، والكلمة الرابعة يجري الدم في العروق، والكلمة الخامسة ينبت الشعر والكلمة السادسة قوموا، فإذا هم قيام ينظرون. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني كيف يقوم الخلائق يوم القيامة من القبور؟ قال: يا ابن سلام، يقومون عراة حفاة أبدانهم خالية بطونهم، مظلمة أبصارهم، وجلة! قال: الرجال ينظرون إلى النساء، والنساء ينظرون إلى الرجال؟ قال: هيهات يا ابن سلام! لكلّ امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه من شدّة هول القيامة. قال: صدقت يا محمّد، ثمّ أمسك ابن سلام عن الكلام، قال: النبيّ ﷺ: سل عمّا شئت يا ابن سلام، فقال: الحمد لله الّذي منّ عليّ بالنظر إلى وجهك المليح، فأخبرني إذا كان يوم القيامة أين يحشر الخلائق؟ قال النبيّ ﷺ: يحشر الله الخلائق إلى بيت المقدس، قال: وكيف ذلك؟ قال: يأمر الله عزّ وجلّ ناراً فتحيط بالدنيا وتضرب وجوه الخلائق فيهربون منها ويمرّون على وجوههم فيجتمعون إلى بيت المقدس قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني ما يصنع الله بالطفل الصغير والشيخ الكبير؟ قال: يا ابن سلام، من كان مؤمناً بالله سارت به الملائكة وانقضّت النار عن وجهه، ومن كان كافراً تلفح وجهه النار حتّى يؤتى به إلى بيت المقدس. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني كم تكون صفوف الخلائق؟ قال: يا ابن سلام، مائة وعشرون صفّاً. قال: فكم طول كلّ صفّ؟ وكم عرضه؟ قال: يا ابن سلام، طوله مسيرة أربعين ألف سنة وعرضه عشرون ألف سنة، قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني كم صفّ المؤمنين وكم صفّ الكافرين؟ قال: صفوف المؤمنين ثلاث صفوف، ومائة وسبعة عشر صفّاً للكافرين. قال: صدقت يا محمّد قال: فما صفة المؤمنين؟ وما صفة الكافرين؟ قال: يا ابن سلام، أمّا المؤمنون فغرٌّ محجّلون من أثر الوضوء والسجود، وأمّا الكافرون فمسودّون الوجوه فيؤتى بهم إلى الصراط. قال: وكم طول الصراط؟ قال مسيرة ثلاثون ألف سنة، قال: صدقت يا

محمّد فأخبرني كيف تمرّ الخلائق على الصراط، قال: يا ابن سلام، يكسو الله الخلائق نوراً فأمّا نور المسلمين ونور المؤمنين فمن نور العرش، ونور الملائكة من نور الكرسيّ ونور الجنّة فلا يطفأ نورهم أبداً، وأمّا الكافرون فمن الأرض والجبال. قال: فأخبرني عن أوّل من يجوز على الصراط، قال: المؤمنون، قال: صدقت يا محمّد، فصف لي ذلك، قال: يا ابن سلام، في المؤمنين من يجوز على الصراط عشرين عاماً فإذا بلغ أوّلهم الجنّة تركب الكفّار على الصراط، حتّى إذا توسّطوا أطفأ الله نورهم فيبقون بلا نور، فينادون بالمؤمنين: انظرونا نقتبس من نوركم، فيقال لهم: أليس فيكم الأنبياء والأصحاب والإخوة؟ فيقولون: «أولم نكن معكم في دار الدنيا؟ قالوا: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾[1] فيأمر الله عزّوجلّ جهنّم فتصيح بهم صيحة على وجوههم فيقعون في النار حيارى نادمين وينجو المؤمنين ببركة الله وعونه. قال: صدقت يا محمّد فأخبرني ما يصنع الله بالموت؟ قال: يا ابن سلام، إذا استوى أهل الجنّة في الجنّة وأهل النار في النار أُتي بالموت كأنّه كبش أملح، فيوقف بين الجنّة والنار، فيقال لأهل الجنّة يا أولياء الله هذا الموت، أتعرفونه فيقولون: نعم، فيقولون لهم: نذبحه؟ فيقولون: نعم يا ملائكة ربّنا، اذبحوه حتّى لا يكون موت أبداً. فيقولون أهل النار: يا أعداء الله! هذا الموت هل تعرفونه؟ فيقولون: نعم، فتقول الملائكة: نذبحه؟ فيقولون: يا ملائكة ربّنا لا تذبحوه ودعوه لعلّ الله يقضي علينا بالموت فنستريح. قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ويذبح الموت بين الجنّة والنار فييأس أهل النار من الخروج منها وتطمئنّ قلوب أهل الجنّة للخلود فيها، فعندي لك أن تسلم، قال: صدقت يا محمّد، [ونهض على قدميه] وقال: امدد يدك الشريفة أنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّك رسول الله، وأنّ الجنّة حقّ، والميزان حقّ، والحساب حقّ، والساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور. فكبّرت الصحابة عند ذلك وسمّاه رسول الله «عبد الله بن سلام» وصار من الصحابة ونقمة على اليهود.

توضيح: إنّما أوردت هذه الرواية لاشتهارها بين الخاصّة والعامّة، وذكر الصدوق رحمه الله وغيره من أصحابنا أكثر أجزائها بأسانيدهم في مواضع، وقد مرّ بعضها. وإنّما أوردتها في هذا المجلّد لمناسبة أكثر أجزائها لأبوابه، وفي بعضها مخالفة ما لسائر الأخبار، فهي إمّا محمولة على أنّه صلى الله عليه وآله أخبره موافقاً لما في كتبهم ليصير سبباً لإسلامه أو غير ذلك من الوجوه والمحامل الّتي تظهر على الناقد البصير، وفي بعضها تصحيفات نرجو من الله الظفر بنسخة أُخرى لتصحيحها.

قوله: «كان نبيّاً مرسلاً» كأنّ المعنى: هل كان في الجنّة نبيّاً مرسلاً؟ فأجاب صلّى الله عليه

---

(١) سورة الحديد، الآيتان: ١٤-١٥.

وآله بأنّه كان نبيّاً مرسلاً على الملائكة حيث أُمر بإنبائهم. وفي عدّ إبراهيم من رسل العرب مخالفة للمشهور. قوله «فتشهد» أي ظاهراً. قوله «فتؤمن» أي باطناً وقلباً.

قوله: «أربعة كتب» لا يوافق الإجمال التفصيل، ولعلّ في أحدهما خطأً أو تصحيفاً. وسؤاله «هل أنزل عليك كتاب» بعد قوله «وأنزل عليّ الفرقان» لا يخلو من شيء إلاّ أن يكون حمل ذلك على أنّه قدّر أنّه سينزل. و«ختمه صدق الله...» يعني أنّه ينبغي أن يختم به، لا أنّه جزؤه. وفي القاموس: «بيسان» قرية بالشام، وقرية بمرو، وموضع باليمامة، أقول: وفي بعض النسخ بالنون، والأوّل أظهر، وله شواهد. «ولم يكن في الرجال» أي مختصّاً بهم. قوله «لأنّ الله واحد» كأنّه على هذا يعني يوم الأحد يوم الله. قوله «لأنّه يوم» لعلّ المعنى: أوّل يوم مع أنّ وجه التسمية لا يلزم اطّراده. قوله «وعلمه تحت التحت» أي أحاط علمه بكلّ تحت ولا ينافي ارتفاع ذاته وعلوّه على كلّ شيء إحاطة علمه بكلّ شيء ممّا في العرش أو تحت الثرى.

وفي القاموس: غرد الطائر - كفرح - وغرّد تغريداً وأغرد وتغرّد: رفع صوته وطرب به. وفي النهاية: الرضراض: الحصا الصغار. قوله «فحام العيون» لعلّه من الفحمة بمعنى السواد. وفي القاموس: العشراء من النوق الّتي مضت لحملها عشرة أشهر أو ثمانية أو هي كالنفساء من النساء، والجمع: عشراوات وعِشار، والعشار اسم يقع على النوق حتّى ينتج بعضها وبعضها ينتظر نتاجها. وقال: الدكداك - ويكسر - من الرمل ما تكبس واستوى وما التبد منه بالأرض أو هي أرض فيها غلظ، وأرض مدكدكة مدعوكة كثر بها الناس فكثر آثار المال والأبوال حتّى تفسدها - انتهى -. وانقضاض النار عن وجهه كناية عن سرعة ذهابها عنه وعدم إضرارها به كما ينقضّ الطائر أو الكوكب في الهواء. و«تلفح وجهه النار» أي تحرقه. وقال في النهاية: فيه «أمّتي الغرّ المحجّلون» أي بيض مواضع الوضوء من الأيدي والأقدام. استعار أثر الوضوء في الوجه واليدين والرجلين للإنسان من البياض الّذي يكون في وجه الفرس ويديه ورجليه.

أبواب - الإنسان والروح والبدن وأجزائه وقواهما وأحوالهما

٣٩ - باب أنه لم سمّي الإنسان إنساناً والمرأة مرأة والنساء نساءً والحواء حواء

١ - **العلل:** عن عليّ بن أحمد بن محمّد بن جعفر الأسديّ، عن معاوية بن حكيم عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمّي الإنسان إنساناً لأنّه ينسى، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾(١).

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٢ باب ١١ ح ١.

بيان: الإنسان فعلان عند البصريّين لموافقته مع الأُنس لفظاً ومعنىً، وقال الكوفيّون: هو إفعلان من «نسي» أصله إنسيان على إفعلان، فحذفت الياء استخفافاً لكثرة ما يجري على ألسنتهم فإذا صغّروه ردّوه إلى أصله لأنّ التصغير لا يكثر، وهذا الخبر يدلّ على مذهب الكوفيّين، ورواه العامّة عن ابن عبّاس أيضاً قال الخليل في كتاب العين: سمّي الإنسان من النسيان، والإنسان في الأصل: إنسيان، لأنّ جماعته أناسيّ، وتصغيره أُنيسيان، بترجيع المدّة الّتي حذفت وهو الياء وكذلك إنسان العين. وحكى الشيخ في التبيان عن ابن عبّاس أنّه قال: إنّما سمّي إنساناً لأنّه عهد إليه فنسي. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[1] وقال الراغب في مفرداته: الإنسان، قيل: سمّي بذلك لأنّه خُلق خلقة لا قوام له إلاّ بأنس بعضهم ببعض، ولهذا قيل: الإنسان مدنيّ بالطبع، من حيث إنّه لا قوام لبعضهم إلاّ ببعض ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه. وقيل: سمّي بذلك لأنّه يأنس بكلّ ما يألفه. وقيل: هو إفعلان وأصله إنسيان سمّي بذلك لأنّه عهد إليه فنسي.

٢ - **العلل:** عن عليّ بن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن أبي عبد الله الكوفيّ، عن موسى ابن عمران النخعيّ، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفليّ، عن عليّ بن أبي حمزة عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمّيت المرأة مرأة لأنّها خلقت من المرء، يعني خلقت حوّاء من آدم[2].

٣ - **معاني الأخبار:** مرسلاً: معنى الإنسان أنّه ينسى، ومعنى النساء أنّهنّ أُنس للرجال، ومعنى المرأة أنّها خلقت من المرء[3].

بيان: كون النساء من الأُنس إمّا مبنيّ على القلب، أو على الاشتقاق الكبير أو على أنّه إذا أنسوا بهنّ نسوا غيرهنّ فاشتقاقه من النسيان.

٤ - **الدر المنثور:** عن ابن عبّاس قال: خلق الله آدم من أديم الأرض يوم الجمعة بعد العصر، فسمّاه آدم، ثمّ عهد إليه فنسي، فسمّاه الإنسان. قال ابن عبّاس فبالله ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتّى أُهبط من الجنّة. قال: وإنّما سمّيت المرأة مرأة لأنّها خلقت من المرء، وسمّيت حوّاء لأنّها أمّ كلّ حيّ[4].

٥ - **العلل** لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم: قال: كان مكث آدم في الجنّة نصف ساعة ثمّ أهبط إلى الأرض لتمام تسع ساعات من يوم الجمعة وذلك في وقت صلاة العصر قال: وسمّيت العصر لأنّ آدم عصر بالبلاء. قال: ألقى الله النوم على آدم فأخذ ضلعه القصير من جانبه الأيسر فخلق منه حوّاء فلم يؤذه ذلك، ولو آذاه ذلك ما عطف عليها أبداً. فقال آدم: ما

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٥.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٤ باب ١٥ ح ١.
(٣) معاني الأخبار، ص ٤٨.
(٤) الدر المنثور، ج ١ ص ٥٢.

هذه؟ قال: هذه امرأة لأنّها من المرء خلقت، قال: ما اسمها؟ قال: حوّاء، لأنّها خلقت من شيء حيّ. فقال ابن عبّاس: سمّيت حوّاء لأنّها أمّ كلّ حيّ. قال جعفر: سمّين النساء لأُنس آدم بحوّاء حين أُهبط إلى الأرض ولم يكن له أُنس غيرها.

فائدة: اعلم أنّه قد اتّفقت كلمة الملّيّين من المسلمين واليهود والنصارى على أنّ أوّل البشر هو آدم، وأمّا الآخرون فخالفوا فيه على أقوال: أمّا الفلاسفة فزعموا أنّه لا أوّل لنوع البشر ولا لغيرهم من الأنواع المتوالدة، وأمّا الهند فمن كان منهم على رأي الفلاسفة فهو يوافقهم في ما ذكر، ومن لم يكن منهم على رأي الفلاسفة وقال بحدوث الأجسام لا يثبت آدم ويقول: إنّ الله تعالى خلق الأفلاك فيها طباعاً محرّكة لها بذاتها فلمّا تحرّكت وحشوها أجسام لاستحالة الخلاء وكانت الأجسام على طبيعة واحدة فاختلفت طبائعها بالحركة الفلكيّة، وكان القريب من الفلك أسخن وألطف، والبعيد أبرد وأكثف، ثمّ اختلطت العناصر وتكوّنت منها المركّبات، وممّا تكوّن منه نوع البشر كما يتكوّن الدود في الفاكهة واللحم، والبقّ في البطائح والمواضع العفنة، ثمّ تكوّن البشر بعضه من بعض بالتوالد، ونسي التخليق الأوّل الّذي كان بالتولّد، ومن الممكن أن يقول: يتولّد بعض البشر في بعض الأراضي القاصية مخلوقة بالتولّد، وإنّما انقطع التولّد لأنّ الطبيعة إذا وجدت للتكوّن طريقاً استغنت عن طريق ثان. وأمّا المجوس فلا يعرفون آدم، ولا نوحاً ولا ساماً ولا حاماً و[لا] يافث. وأوّل متكوّن من البشر عندهم كيومرث، ولقبه كوهشاه أي ملك الجبل وقد كان كيومرث في الجبال، ومنهم من يسمّيه گلشاه أي ملك الطين لأنّه لم يكن حينئذ بشر يملكهم. وقيل: تفسير كيومرث: حيّ ناطق ميّت، قالوا: وكان قد رزق من الحسّ ما لا يقع عليه بصر حيوان إلاّ وله وأغمي عليه. ويزعمون أنّ مبدأ تكوّنه وحدوثه أنّ يزدان وهو الصانع الأوّل عندهم فكّر في أمر أهرمن - وهو الشيطان عندهم - فكرة أوجبت أن عرق جبينه، فمسح العرق ورمى به فصارت منه كيومرث. ولهم خبط طويل في كيفيّة تكوّن أهرمن عن فكرة يزدان أو من إعجابه بنفسه أو من توحّشه، وبينهم خلاف في قدم أهرمن وحدوثه. ثمّ اختلفوا في مدّة بقاء كيومرث في الوجود، فقال الأكثرون: ثلاثون سنة، وقال الأقلّون: أربعون سنة، وقال قوم منهم: إنّ كيومرث مكث في الجنّة الّتي في السماء ثلاثة آلاف سنة، وهي: ألف الحمل، وألف الثور، وألف الجوزاء؛ ثمّ أهبط إلى الأرض وكان بها آمناً مطمئناً ثلاثة آلاف سنة أُخرى وهي: ألف السرطان، وألف الأسد، وألف السنبلة؛ ثمّ مكث بعد ذلك ثلاثين أو أربعين سنة في حرب وخصام بينه وبين أهرمن حتّى هلك. واختلفوا في كيفيّة هلاكه مع اتّفاقهم على أنّه هلك قتلاً، فالأكثرون قالوا: إنّه قتل ابناً لأهرمن يسمّى «جزوذه» فاستغاث أهرمن منه إلى يزدان، فلم يجد بدّاً من أن يقاصّه حفظاً للعهود الّتي كانت بينه وبين أهرمن، فقتله بابن أهرمن. وقال قوم: بل قتله أهرمن في صراع كان بينه وبين أهرمن، وذكروا في كيفيّته أنّ كيومرث كان هو القاهر لأهرمن في بادىء الحال وأنّه ركبه وجعل يطوف به في العالم إلى أن سأله أهرمن عن

أيّ الأشياء أخوف وأهولها عنده. فقال له: باب جهنّم، فلمّا بلغ به أهرمن إليها جمح به حتّى سقط من فوقه ولم يستمسك، فعلاه وسأله عن أيّ الجهات يبتدىء به في الأكل، فقال له: من جهة الرِّجال لأكون ناظراً حسن العالم مدّة ما، فابتدأه أهرمن فأكله من عند رأسه فبلغ إلى موضع الخصي وأوعية المنيّ من الصلب، فقطر من كيومرث قطرتا نطفة على الأرض، فنبت منهما ريباستان في جبل بإصطخر، ثمّ ظهرت على تينك الريباستين الأعضاء البشريّة في أوّل الشهر التاسع وتمّت أجزاؤه فتصوّر منهما بشران: ذكر وأنثى، وهما ميشا وميشانه، وهما بمنزلة آدم وحوّاء عند الملّيّين، ويسمّيهما مجوس خوارزم: مرد، ومردانه، وزعموا أنّهما مكثا خمسين سنة مستغنيين عن الطعام والشراب منعمين غير متأذّيين بشيء حتّى ظهر لهما أهرمن في صورة شيخ كبير فحملهما على تناول فواكه الأشجار وأكل منها وهما يبصرانه شيخاً فعاد شابّاً، فأكلا منها حينئذ فوقعا في البلايا، وظهر فيهما الحرص حتّى تزاوجا وولد لهما ولد فأكلاه حرصاً ثمّ ألقى الله تعالى في قلوبهما رأفة فولد بعد ذلك ستّة أبطن كلّ بطن ذكر وأنثى، وأسماؤهم في كتاب زردشت معروفة، ثمّ كان البطن السابع «سيامك» و«فرواك» فتزاوجا، فولد لهما الملك المعروف الّذي لم يعرف قبله ملك، وهو هوشنج. وهو الّذي خلف جدّه كيومرث وعقد التاج وجلس على السرير وبنى مدينتين: بابل، والسوس.

أقول: هذه هي الخرافات الّتي ذكروها، والآيات والأخبار ناطقة بما هو الحقّ المبين وتبطل أقوال الفرق المضلّين.

باب ٤٠ - فضل الإنسان وتفضيله على الملك وبعض جوامع أحواله

الآيات: البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ «٣٤».

الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ «٩٨».

الحجر: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ «٢٦».

الإسراء: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ «٧٠».

الأنبياء: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ «٣٧».

الفرقان: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ «٥٤».

الروم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ «٥٤».

الأحزاب: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى

ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾.

فاطر: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ «٢٨».

يس: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ «٣٦».

الصافات: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ «١١».

الزمر: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ «٦».

المؤمن [غافر]: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ «٦٤».

الرحمن: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾. وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ «١٤».

التغابن: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ «٢».

البلد: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾.

التين: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾.

العلق: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾.

تفسير: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ هذه الآيات مما استدلّ به على تفضيل الإنسان على الملائكة، وسيأتي وجه الاستدلال بها. ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي من آدم عليه السلام لأن الله تعالى خلقنا منه جميعاً، وخلق حوّاء من فضل طينته، أو من ضلع من أضلاعه، ومنّ علينا بهذا لأنّ الناس إذا رجعوا إلى أصل واحد كانوا أقرب إلى التألف ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ أي مستقرّ في الرحم إلى أن يولد ومستودع في القبر، أو مستقرّ في بطون الأمّهات ومستودع في الأصلاب، أو مستقرّ على ظهر الأرض في الدنيا ومستودع عند الله في الآخرة، أو مستقرّها أيام حياتها ومستودعها حيث يموت وحيث يبعث، أو مستقرّ في القبر ومستودع في الدنيا، أو مستقرّ فيه الإيمان ومستودع يسلب منه كما ورد في الخبر.

﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ أي طين يابس يصلصل أي يصوت إذا نقر، وقيل: من صلصل إذا نتن تضعيف صلّ. ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾ من طين تغيّر واسودّ من طول مجاورة الماء. ﴿مَّسْنُونٍ﴾ أي مصوّر من سنّة الوجه، أو مصبوب لييبس، أو مصوّر كالجواهر المذابة تصبّ في القوالب من السنّ وهو الصبّ، كأنّه أفرغ الحمأ فصوّر منها تمثال انسان أجوف، فيبس حتّى نقر وصلصل، ثمّ غيّر ذلك طوراً بعد طور حتّى سوّاه ونفخ فيه من روحه، أو منتن من سننت الحجر على الحجر إذا حككته به فإنّ ما يسيل منهما يكون منتناً يسمّى سنين.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ قال الرازي: اعلم أنّ الإنسان جوهر مركّب من النفس والبدن، فالنفس الإنسانيّة أشرف النفوس الموجودة في العالم السفليّ، لأنّ النفس النباتية قواها الأصليّة ثلاثة وهي: الاغتذاء، والنموّ، والتوليد. والنفس الحيوانيّة لها قوّتان أُخريان: الحاسّة، والمحرّكة بالاختيار. ثمّ إنّ النفس الإنسانيّة مختصّة بقوّة أُخرى، وهي القوّة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء كما هي، وهي الّتي يتجلّى فيها نور معرفة الله، ويشرق فيها ضوء كبريائه، وهو الّذي يطلع على أسرار عالمي الخلق والأمر، ويحيط بأقسام مخلوقات الله من الأرواح والأجسام كما هي، وهذه القوّة من سنخ الجواهر القدسيّة، والأرواح المجرّدة الإلهيّة، فهذه القوّة لا نسبة لها في الشرف والفضل إلى تلك القوى الخمسة النباتيّة والحيوانيّة، وإذا كان الأمر كذلك ظهر أنّ النفس الإنسانيّة أشرف النفوس الموجودة في هذا العالم. وأمّا بيان أنّ البدن الإنسانيّ أشرف أجسام هذا العالم فالمفسّرون ذكروا أشياء:

أحدها: روى ميمون بن مهران عن ابن عبّاس في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ قال: كلّ شيء يأكل بفيه إلاّ ابن آدم، فإنّه يأكل بيديه. عن الرشيد أنّه أُحضرت الأطعمة عنده، فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف فقال له: جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾: وجعلنا لهم أصابع يأكلون بها، فأُحضرت الملاعق فردّها وأكل بأصابعه.

وثانيها: قال الضحّاك: بالنطق والتميّز وتحقيق الكلام أنّ من عرف شيئاً فإمّا أن يعجز عن تعريف غيره كونه عارفاً بذلك الشيء أو يقدر على هذا التعريف أمّا القسم الأوّل فهو جملة حال الحيوان سوى الإنسان، فإنّه إذا حصل في باطنها ألم أو لذّة فإنّها تعجز عن تعريف غيرها تلك الأحوال تعريفاً تامّاً وافياً. وأمّا القسم الثاني فهو الإنسان، فإنّه يمكنه تعريف غيره كلّ عرفه ووقف عليه وأحاط به فكونه قادراً على هذا النوع من التعريف هو المراد بكونه ناطقاً. وبهذا البيان يظهر أنّ الإنسان الأخرس داخل في هذا الوصف، لأنّه وإن عجز عن تعريف غيره ما في قلبه بطريق اللسان فإنّه يمكنه ذلك بطريق الإشارة وبطريق الكتابة وغيرهما، ولا يدخل فيه البيغاء، لأنّه وإن قدر على تعريفات قليلة فلا قدرة له على تعريف جميع الأحوال على سبيل الكمال والتمام.

وثالثها: قال عطاء بامتداد القامة. واعلم أنّ هذا الكلام غير تمام، لأنّ الأشجار أطول قامةً من الإنسان، بل ينبغي أن يشرط فيه شرط، وهو طول القامة مع استكمال القوة العقليّة والقوّة الحسّيّة والحركيّة.

ورابعها: قال يمان: بحسن الصورة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ ولمّا ذكر الله تعالى خلقة الإنسان قال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ وقال: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ وإن شئت فتأمّل عضواً واحداً من أعضاء الإنسان وهو العين، فخلق الحدقة سوداء، ثمّ أحاط بذلك السواد بياض العين، ثمّ أحاط بذلك

البياض سواد الأشفار، ثمّ أحاط بذلك السواد بياض الأجفان، ثمّ خلق فوق بياض الجفن سواد الحاجبين، ثمّ خلق فوق ذلك السواد بياض الجبهة، ثم خلق فوق الجبهة سواد الشعر. وليكن هذا المثال الواحد أنموذجاً لك في هذا الباب.

وخامسها: قال بعضهم: من كرامات الآدميّ أن آتاه الله الخطّ. وتحقيق الكلام في هذا الباب أنّ العلم الّذي يقدر الإنسان الواحد على استنباطه يكون قليلاً، أما إذا استنبط الإنسان علماً وأودعه في الكتاب وجاء الإنسان الثاني واستعان بهذا الكتاب وضمّ إليه من عند نفسه أشياء أُخرى، ثمّ لا يزالون يتعاقبون وضمّ كل متأخّر مباحث كثيرة إلى علوم المتقدّمين، كثرت العلوم وقويت الفضائل والمعارف، وانتهت المباحث العقليّة والمطالب الشرعيّة أقصى الغايات وأكمل النهايات، ومعلوم أن هذا الباب لا يتأتّى إلاّ بواسطة الخطّ والكتب، ولهذه الفضيلة الكاملة قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾.

وسادسها: أنّ أجسام هذا العالم إمّا البسائط وإمّا المركّبات، أمّا البسائط فهي الأرض، والماء، والهواء، والنار. والانسان ينتفع بكلّ هذه الأربعة، أمّا الأرض فهي لنا كالأمّ الحاضنة، قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ وقد سمّاه الله تعالى بأسماء بالنسبة إلينا، وهي: الفراش، والمهاد، والمهد وأمّا الماء فانتفاعنا في الشرب والزراعة والحراثة ظاهر، وأيضاً سخّر البحر لنأكل لحماً طريّاً وتستخرج منه حلية نلبسها ونرى الفلك مواخر. وأمّا الهواء فهو مادّة حياتنا، ولولا هبوب الرياح لاستولى النتن على هذه المعمورة. وأمّا النار فبها طبخ الأغذية والأشربة ونضجها، وهي قائمة مقام الشمس والقمر في الليالي المظلمة، وهي الدافعة لضرر البرد. وأمّا المركّبات فهي إمّا الآثار العلويّة، وإما المعادن، وإمّا النبات، وإمّا الحيوان. والإنسان كالمستولي على كلّ هذه الأقسام والمنتفع بها والمستسخر لكلّ أقسامها، فهذا العالم بأسرها جرى مجرى قرية معمورة وخان مغلة. وجميع منافعها ومصالحها مصروفة إلى الإنسان والإنسان فيه كالرئيس المخدوم والملك المطاع، وسائر الحيوانات بالنسبة إليه كالعبيد، وكلّ ذلك يدلّ على كونه مخصوصاً من عند الله بمزيد التكريم والتفضيل.

وسابعها: أنّ المخلوقات تنقسم إلى أربعة أقسام: إلى ما حصلت له هذه القوّة العقليّة الحكميّة ولم تحصل له القوّة الشهوانيّة وهم الملائكة، وإلى ما يكون بالعكس وهم البهائم، وإلى ما خلا عن القسمين وهو النبات والجمادات، وإلى ما حصل النوعان فيه وهو الإنسان، ولا شكّ أنّ الإنسان لكونه مستجمعاً للقوّة العقليّة القدسيّة والقوّة الشهوانيّة البهيميّة والغضبيّة السبعيّة يكون أفضل من البهيمة والسبع، ولا شكّ أيضاً أنّه أفضل من الأجسام الخالية عن القوّتين مثل النبات والمعادن والجمادات وإذا ثبت ذلك ظهر أنّ الله تعالى فضّل الإنسان على أكثر أقسام المخلوقات. بقي ههنا بحث في أنّ الملك أفضل من البشر، والمعنى أنّ الجوهر

البسيط الموصوف بالقوّة العقليّة القدسيّة المحضة أفضل من البشر المستجمع لهاتين القوّتين، وذلك بحث آخر.

وثامنها: الموجود إمّا أن يكون أزليّاً وأبديّاً معاً وهو الله سبحانه، وإمّا أن لا يكون أزليّاً ولا أبديّاً وهو عالم الدنيا مع كلّ ما فيه من المعادن والنبات والحيوان وهذا أخسّ الأقسام، وإمّا أن يكون أزليّاً ولا يكون أبديّاً، وهذا ممتنع الوجود لأنّ ما ثبت قدمه امتنع عدمه، وإمّا أن لا يكون أزليّاً ولكنّه يكون أبديّاً وهو الإنسان والملك، ولا شكّ أنّ هذا القسم أشرف من القسم الثاني والثالث، وذلك يقتضي كون الإنسان أشرف من أكثر المخلوقات.

وتاسعها: العالم العلويّ أشرف من العالم السفليّ، وروح الإنسان من جنس الأرواح العلويّة والجواهر القدسيّة، وليس في موجودات العالم السفليّ شيء حصل من العالم العلويّ إلا الإنسان، فوجب كون الإنسان أشرف موجودات العالم السفليّ.

وعاشرها: أشرف الموجودات هو الله تعالى، وإذا كان كذلك فكلّ موجود كان قربه من الله أتمّ وجب أن يكون أشرف، لكن أقرب موجودات هذا العالم من الله تعالى هو الإنسان، بسبب أنّ قلبه مستنير بمعرفة الله، ولسانه مشرّف بذكر الله، وجوارحه وأعضاؤه مكرمة بطاعة الله، فوجب الجزم بأنّ أشرف موجودات هذا العالم السفليّ هو الإنسان، ولمّا ثبت أنّ الإنسان موجود ممكن لذاته لا يوجد إلاّ بإيجاد الواجب لذاته ثبت أنّ كلما حصل للإنسان من المراتب العالية والصفات الشريفة فهي إنّما حصلت بإحسان الله وإنعامه، فلهذا المعنى قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ ومن تمام كرامته على الله أنّه لما خلقه في أوّل الأمر وصف نفسه بأنّه أكرم، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤﴾ ووصف نفسه بالتكريم عند تربية الإنسان فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ ووصف نفسه بالكرم في آخر أحوال الإنسان فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ وهذا يدلّ على أنّه لا نهاية لكرم الله تعالى وتفضّله وإحسانه مع الإنسان.

الحادي عشر: قال بعضهم: هذ التكريم معناه أنّه تعالى خلق آدم بيده وخلق غيره بطريق كن فيكون، ومن كان مخلوقاً بيدي الله كانت العناية به أتمّ، فكان أكرم وأكمل، ولمّا جعلنا من أولاده وجب كون بني آدم أكرم وأكمل.

﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ قال ابن عبّاس: في البرّ على الخيل والبغال و الحمير والإبل، وفي البحر على السفن، وهذا أيضاً من مؤكّدات التكريم المذكور أولاً، لأنّه تعالى سخّر هذه الدوابّ له حتّى يركبها ويحمل عليها ويغزو ويقاتل ويذبّ عن نفسه. وكذلك تسخير الله تعالى المياه والسفن وغيرهما ليركبها وينقل عليها ويتكسّب بها بما يختصّ به ابن آدم، كلّ ذلك ممّا يدلّ على أنّ الإنسان في هذا العالم كالرّئيس المتبوع والملك المطاع.

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ وذلك لأنّ الأغذية إمّا حيوانيّة وإما إنسانيّة وكلا القسمين فإنّ

الإنسان إنّما يغتذي بألطف أنواعها وأشرف أقسامها بعد التنقية التامّة والطبخ الكامل والنضج البالغ، وذلك ممّا لا يصلح إلاّ للإنسان. ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ﴾ الفرق بين التفضيل والتكريم أنّه تعالى فضّل الإنسان على سائر الحيوانات بأمور خلقيّة طبيعيّة ذاتيّة مثل العقل والنطق والخطّ والصورة الحسنة والقامة المديدة، ثمّ إنّه تعالى عرضه بواسطة ذلك العقل والفهم لاكتساب العقائد الحقّة والاخلاق الفاضلة فالأوّل هو التكريم والثاني هو التفضيل.

﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ لم يقل: وفضّلناهم على الكلّ، فهذا يدلّ على أنّه حصل في مخلوقات الله تعالى شيء لا يكون الإنسان مفضّلاً عليه، وكلّ من أثبت هذا القسم قال إنّه هو الملائكة، فلزم القول بأنّ الملك أفضل من الإنسان، وهذا القول مذهب ابن عبّاس واختيار الزجّاج على ما رواه الواحديّ في البسيط.

واعلم أنّ هذا الكلام مشتمل على بحثين:

أحدهما: أنّ الأنبياء أفضل أم الملائكة، وقد سبق القول فيه في سورة البقرة.

والثاني: أنّ عوامّ الملائكة وعوامّ المؤمنين أيّهما أفضل، منهم من قال بتفضيل المؤمنين على الملائكة، واحتجّوا عليه بما روي عن زيد بن أسلم أنّه قال: قالت الملائكة: ربّنا إنّك أعطيت بني آدم دنيا يأكلون فيها ويتنعّمون ولم تعطنا ذلك في الآخرة، فقال تعالى: وعزّتي وجلالي لا أجعل ذرّيّة من خلقت بيديّ كمن قلت له: «كن» فكان. فقال أبو هريرة: المؤمن أكرم على الله من الملائكة الّذين عنده، هكذا أورده الواحديّ في البسيط. وأمّا القائلون بأنّ الملك أفضل من البشر على الإطلاق فقد عوّلوا على هذه الآية وهو في الحقيقة تمسّك بدليل الخطاب (انتهى)(١).

وقال الطبرسيّ - قدس سره -: استدلّ بعضهم بهذا على أنّ الملائكة أفضل من الأنبياء، قال: لأنّ قوله: ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾ يدلّ على أنّ ههنا من لم يفضّلهم عليه، وليس إلاّ الملائكة، لأنّ بني آدم أفضل من كلّ حيوان سوى الملائكة بالاتّفاق، وهذا باطل من وجوه:

أحدها: أنّ التفضيل ههنا لم يرد به الثواب، لأنّ الثواب لا يجوز التفضيل به ابتداءاً، وإنّما المراد بذلك ما فضّلهم الله به من فنون النعم الّتي عددنا بعضها.

وثانيها: أنّ المراد بالكثير الجميع، فوضع الكثير موضع الجميع، والمعنى: أنّا فضّلناهم على من خلقنا وهم كثير، كما يقال: بذلت له العريض من جاهي، وأبحته المنيع من حريمي. ولا يراد بذلك أنّي بذلت له عريض جاهي ومنعته ما ليس بعريض وأبحته منيع حريمي ولم أبحه ما ليس منيعاً، بل المقصود أنّي بذلت له جاهي الّذي من صفته أنّه عريض، وفي القرآن ومحاورات العرب من ذلك ما لا يحصى، ولا يخفى ذلك على من عرف كلامهم.

---

(١) تفسير فخر الرازي، ج ٢١ ص ١٢.

وثالثها: أنّه إذا سلّم أن المراد بالتفضيل زيادة الثواب وأنّ لفظة: ﴿مِّمَّنْ﴾ في قوله: ﴿مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ تفيد التبعيض فلا يمتنع أن يكون جنس الملائكة أفضل من جنس بني آدم، لأنّ الفضل في الملائكة عامّ لجميعهم أو أكثرهم، والفضل من بني آدم يختصّ بقليل من كثير، وعلى هذا فغير منكر أن يكون الأنبياء أفضل من الملائكة وإن كان جنس الملائكة أفضل من جنس بني آدم (انتهى)[1].

وأقول: كلامه رحمه الله في هذه الآية مأخوذ ممّا ستنقله عن السيّد المرتضى رضي الله عنه.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ قال البيضاويّ: كأنّه خلق منه لفرط استعجاله وقلّة تأنّيه، كقولك: خلق زيد من الكرم، وجعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع، هو منه مبالغة في لزومه له، ولذلك قيل: إنّه على القلب، ومن عجلته مبادرته إلى الكفر واستعجاله الوعيد[2] (انتهى) وفي تفسير عليّ بن إبراهيم قال: لمّا أجرى الله في آدم الروح من قدميه فبلغت إلى ركبتيه أراد أن يقوم فلم يقدر، فقال الله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾[3].

﴿خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ قيل: يعني الّذي خمّر به طينة آدم ثمّ جعله جزءاً من مادّة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الأشكال بسهولة، أو النطفة ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أي فقسمه قسمين: ذوي نسب، أي ذكوراً ينسب إليهم؛ وذوات صهر، أي إناثاً يصاهر بهنّ ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ حيث خلق من مادّة واحدة بشراً ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة، وجعله قسمين متقابلين.

وروي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم من الماء العذب وخلق زوجته من سنخه فبرأها من أسفل أعضائه، فجرى بذلك الضلع بينهما سبب ونسب ثمّ زوّجها إيّاه، فجرى بينهما بسبب ذلك صهر، فذلك قوله: ﴿نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ فالنسب ما كان بسبب الرجال، والصهر ما كان بسبب النساء[4]، وقد أوردنا أخباراً كثيرة في أبواب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: أنّها نزلت في النبيّ وأمير المؤمنين وتزويج فاطمة صلوات الله عليهم.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ قيل: أي ابتدأكم ضعفاء، أو خلقكم من أصل ضعيف وهو النطفة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ وهو بلوغكم الأشدّ: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ إذا أخذ منكم السنّ ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ من ضعف وقوّة وشيبة[5].

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ هذه الآية من المتشابهات، وقد اختلف في تأويله المفسّرون والروايات على وجوه:

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٢٧٤. (٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١١٤.

(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٥ في تفسيره لسورة الأنبياء، الآية: ٣٧.

(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٩١ في تفسيره لسورة الفرقان، الآية: ٥٤.

(٥) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٥١.

الأول: أنّ المراد بالأمانة التكليف بالأوامر والنواهي، والمراد بعرضها على السماوات والأرض والجبال العرض على أهلها، وعرضها عليهم هو تعريفه إيّاهم أنّ في تضييع الأمانة الإثم العظيم، وكذلك في ترك أوامر الله تعالى وأحكامه، فبيّن سبحانه جرأة الإنسان على المعاصي وإشفاق الملائكة من ذلك، فيكون المعنى عرضنا الأمانة على أهل السماوات والأرض والجبال من الملائكة والإنس والجنّ ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ أي فأبى أهلهنّ أن يحملوا تركها وعقابها والمأثم فيها ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ أي أشفق أهلهنّ عن حملها ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه بارتكاب المعاصي ﴿جَهُولًا﴾ بموضع الأمانة في استحقاق العقاب على الخيانة فيها، فالمراد بحمل الأمانة تضييعها. قال الزجّاج: كلّ من خان الأمانة فقد حملها، ومن لم يحمل الأمانة فقد أدّاها.

والثاني: أنّ معنى: ﴿عَرَضْنَا﴾ عارضنا وقابلنا، فإنّ عرض الشيء على الشيء ومعارضته به سواء والمعنى أنّ هذه الأمانة في جلالة موقعها وعظم شأنها لو قيست السماوات والأرض والجبال وعورضت بها لكانت هذه الأمانة أرجح وأثقل وزناً، ومعنى قوله: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ ضعفن عن حملها كذلك ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ لأنّ الشفقة ضعف القلب، ولذلك صار كنايةً عن الخوف الّذي يضعف عنده القلب، ثمّ قال: إنّ هذه الأمانة الّتي من صفتها أنّها أعظم من هذه الأشياء العظيمة تقلّدها الإنسان، فلم يحفظها بل حملها وضيّعها لظلمه على نفسه ولجهله بمبلغ الثواب والعقاب[1].

والثالث: ما ذكره البيضاويّ حيث قال: تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة، وسمّاها أمانةً من حيث إنّها واجبة الأداء، والمعنى أنّها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الأجرام العظام وكانت ذات شعور وإدراك لأبين أن يحملنها، وحملها الإنسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوّته لا جرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ حيث لم يف بها ولم يراع حقّها ﴿جَهُولًا﴾ بكنه عاقبتها، وهذا وصف للجنس باعتبار الأغلب (انتهى)[2].

وقال الطبرسيّ - قدّس سرّه -: إنّه على وجه التقدير أجرى عليه لفظ الواقع، لأنّ الواقع أبلغ من المقدّر، معناه: لو كانت السماوات والأرض والجبال عاقلةً ثمّ عرضت عليها الأمانة وهي وظائف الدين أصولاً وفروعاً عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر أجسامها وشدّتها وقوّتها، ولامتنعت من حملها خوفاً من القصور عن أداء حقّها، ثم حملها الإنسان مع ضعف جسمه، ولم يخف الوعيد لظلمه وجهله، وعلى هذا يحمل ما روي عن ابن عبّاس أنّها عرضت على نفس السماوات والأرض فامتنعت من حملها.

والرابع: أنّ معنى العرض والإباء ليس هو على ما يفهم بظاهر الكلام، بل المراد تعظيم شأن الأمانة، لا مخاطبة الجماد، والعرب تقول: «سألت الربع وخاطبت الدار فامتنعت عن

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ١٨٦.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٩٥.

الجواب» وإنّما هو إخبار عن الحال عبر عنه بذكر الجواب والسؤال، وتقول: «أتى فلان بكذب لا تحمله الجبال» وقال سبحانه: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ وخطاب من لا يفهم لا يصحّ. فالأمانة على هذا ما أودع الله سبحانه السماوات والأرض والجبال من الدلائل على وحدانيّته وربوبيّته فأظهرتها والإنسان الكافر كتمها وجحدها لظلمه. ويرجع إليه ما قيل: المراد بالأمانة الطاعة الّتي تعمّ الطبيعيّة والاختياريّة، وبعرضها استدعاؤها الّذي يعمّ طلب الفعل من المختار وإرادة صدوره من غيره، وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن أدائها، ومنه قولهم: «حامل الأمانة ومحتملها» لمن لا يؤدّيها فتبرأ ذمّته، فيكون الإباء عنه إتياناً بما يمكن أن يتأتّى منه، والظلم والجهالة للخيانة والتقصير(١).

والخامس: ما قيل: إنّه تعالى لمّا خلق هذه الأجرام فيها فهماً وقال لها: إنّي قد فرضت فريضة وخلقت جنّةً لمن أطاعني فيها، وناراً لمن عصاني، فقلن: نحن مسخّرات على ما خلقتنا، لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثواباً ولا عقاباً، ولمّا خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فتحمّله، وكان ظلوماً لنفسه بتحمّله ما يشقّ عليها جهولاً بوخامة عاقبته.

والسادس: ما قيل: إنّ المراد بالأمانة العقل والتكليف، وبعرضها عليهنّ اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهنّ، وبإبائهنّ الإباء الطبيعيّ الّذي هو عدم اللياقة والاستعداد، وبحمل الإنسان قابليّته واستعداده لها، وكونه ظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوّة الغضبيّة والشهويّة، وعلى هذا يحسن أن يكون علّة للحمل عليه فإنّ من فوائد العقل أن يكون مهيمناً على القوّتين، حافظاً لهما عن التعدّي ومجاوزة الحدّ ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما.

والسابع: أنّ المراد بالأمانة أداء الأمانة ضدّ الخيانة، أو قبولها، وتصحيح تتمّة الآية على أحد الوجوه المتقدّمة.

الثامن: أنّ المراد بالأمانة الإمامة والخلافة الكبرى، وحملها ادّعاؤها بغير حقّ، والمراد بالإنسان أبو بكر، وقد وردت الأخبار الكثيرة في ذلك أوردتها في كتاب الإمامة وغيرها، فقد روي بأسانيد عن الرضا عليه السلام قال: الأمانة الولاية من ادّعاها بغير حقّ كفر، وقال عليّ بن إبراهيم: الأمانة هي الإمامة والأمر والنهي، عرضت على السماوات والأرض والجبال ﴿فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا﴾ قال: أبين أن يدّعوها أو يغصبوها أهلها ﴿وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ الأوّل ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾. وعن الصادق عليه السلام: الأمانة الولاية، والإنسان أبو الشرور المنافق. وعن الباقر عليه السلام: هي الولاية، أبين أن يحملنها كفراً، وحملها الإنسان، والإنسان أبو فلان(٢).

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ١٨٧.

(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٧٢ في تفسيره لسورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

وممّا يدّل على أنّ المراد بها التكليف ما روي أنّ علياً عليه السلام كان إذا حضر وقت الصلاة تغيّر لونه، فسئل عن ذلك فقال: حضر وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها.

وممّا يدلّ على كون المراد بها الأمانة المعروفة ما في نهج البلاغة في جملة وصاياه للمسلمين: ثمّ أداء الأمانة، فقد خاب من ليس من أهلها، إنّها عرضت على السماوات المبنيّة، والأرض المدحوّة، والجبال ذات الطول المنصوبة، فلا أطول ولا أعرض ولا أعظم منها، ولو امتنع شيء منها بطول أو عرض أو قوّة أو عزّ لامتنعن، ولكن أشفقن من العقوبة، وعقلن ما جهل من هو أضعف منهنّ وهو الإنسان، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1].

وعن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن الرجل يبعث إلى الرجل يقول: ابتع لي ثوباً، فيطلب في السوق فيكون عنده مثل ما يجد له في السوق، فيعطيه من عنده، قال: لا يقربنّ هذا ولا يدنّس نفسه، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ الآية -.

والحقّ أنّ الجميع داخل في الآية بحسب بطونها، كما قيل: إنّ المراد بالأمانة التكليف بالعبوديّة لله على وجهها والتقرّب بها إلى الله سبحانه كما ينبغي لكلّ عبد بحسب استعداده لها، وأعظمها الخلافة الإلهيّة لأهلها، ثمّ تسليم من لم يكن من أهلها لأهلها، وعدم ادّعاء منزلتها لنفسه، ثمّ سائر التكاليف، والمراد بعرضها على السماوات والأرض والجبال النظر إلى استعدادهنّ لذلك، وبإبائهنّ الإباء الطبيعي الّذي هو عبارة عن عدم اللياقة، وتحمّل الإنسان إيّاها تحمله لها من غير استحقاق تكبّراً على أهلها، أو مع تقصيره بحسب وصف الجنس باعتبار الأغلب، فهذه معانيها الكلّيّة وكلّ ما ورد في تأويلها في مقام يرجع إلى هذه الحقائق كما يظهر عند التدبّر والتوفيق من الله سبحانه.

قال السيّد المرتضى رحمه الله في أجوبة المسائل العكبريّة حيث سئل عن تفسير هذه الآية: إنّه لم يكن عرض في الحقيقة على السماوات والأرض والجبال بقول صريح أو دليل ينوب مناب القول، وإنّما الكلام في هذه الآية مجاز أُريد به الإيضاح عن عظم الأمانة وثقل التكليف بها وشدّته على الإنسان، وإنّ السماوات والأرض والجبال لو كانت ممّا يقبل لأبت حمل الأمانة ولم تؤدّ مع ذلك حقّها، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ ومعلوم أنّ السماوات والأرض والجبال جماد لا تعرف الكفر من الإيمان ولكنّ المعنى في ذلك إعظام ما فعله المبطلون، وتفوّه به الضالّون، وأقدم به المجرمون من الكفر بالله تعالى، وأنّه من عظمه جارٍ مجرى ما يثقل باعتماده على السماوات والأرض والجبال، وأنّ الوزر به كذلك، وكان الكلام في معناه ما جاء به التنزيل مجازاً

(١) نهج البلاغة، ص ٤٣١ خ ١٩٧.

واستعارة كما ذكرناه، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾- الآية - ومعلوم أنّ الحجارة جماد لا يعلم فيخشى أو يرجو ويؤمّل وإنّما المراد بذلك تعظيم الوزر في معصية الله تعالى وما يجب أن يكون العبد عليه من خشية الله [تعالى] وقد بيّن الله ذلك بقوله في نظير ما ذكرناه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾- الآية - فبيّن بهذا المثل عن جلالة القرآن وعظم قدره وعلوّ شانه وأنّه لو كان كلام يكون به ما عدّه ووصفه لكان بالقرآن لعظم قدره على سائر الكلام وقد قيل: إنّ المعنى في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ عرضها على أهل السماوات وأهل الأرض وأهل الجبال، والعرب يخبر عن أهل الموضع بذكر الموضع ويسميهم باسمه قال الله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ﴾ يريد أهل القرية وأهل العير وكان العرض على أهل السماوات وأهل الأرض وأهل الجبال قبل خلق آدم وخيّروا بين التكليف لما كلّفه آدم وبنوه فأشفقوا من التفريط فيه واستعفوا منه فأُعفوا، فتكلّفه الإنسان ففرّط فيه، وليست الآية على ما ظنّه السائل أنّها هي الوديعة وما في بابها ولكنّها التكليف الّذي وصفناه. ولقوم من أصحاب الحديث الذاهبين إلى الإمامة جواب تعلّقوا به من جهة بعض الأخبار وهي أنّ الأمانة هي الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام، وأنّها عرضت قبل خلق آدم على السماوات والأرض والجبال ليأتوا بها على شروطها فأبين من حملها على ذلك خوفاً من تضييع الحقّ فيها وكلّفها الناس فتكلّفوها ولم يؤدّ أكثرهم حقّها (انتهى)(١).

﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ﴾ تعليل للحمل من حيث إنّه نتيجةٌ كالتأديب للضرب في «ضربته تأديباً» وذكر التوبة في الوعد إشعار بأنّ كونهم ظلوماً جهولاً في جبلّتهم لا يخلّيهم عن فرطات ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ حيث تاب على فرطاتهم، وأثاب بالفوز على طاعاتهم(٢). ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كاختلاف الثمار والجبال(٣).

﴿خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ أي الأنواع والأصناف ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ من النبات والشجر ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ الذكر والأنثى ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي وأزواجاً ممّا لم يطلعهم الله عليه، ولم يجعل لهم طريقاً إلى معرفته(٤)، وسيأتي تأويل آخر برواية عليّ بن إبراهيم.

﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ أي ممتزج متماسك يلزم بعضه بعضاً، يقال: طين لازب يلزق باليد لاشتداده، وقال عليّ بن إبراهيم: يعني يلزق باليد(٥). ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي من جزئها، أو من طينتها، أو من نوعها، أو لأجلها ولانتفاعها.

﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ بأن خلقكم منتصب القامة، بادي البشرة، متناسب الأعضاء

---

(١) المسائل العكبرية ضمن سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد، ج ٦ ص ٨٨.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٩٦.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٤٢٤.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٤٣٧.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٩٥.

والتخطيطات، متهيّئاً لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ﴾ أي اللّذائذ(١).

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ قيل: إيماء بأنّ خلق البشر وما يميّز به عن سائر الحيوانات من البيان، وهو التعبير عمّا في الضمير وإفهام الغير لما أدركه لتلقّي الوحي وتعرّف الحقّ وتعلّم الشرع(٢). وفي تفسير عليّ بن إبراهيم: عن أبيه، عن الحسين بن خالد، عن الرضا عليه السلام في قوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ ۝٢﴾ قال: الله علّم محمّداً القرآن، قلت: ﴿خَلَقَ الْإِنسَٰنَ﴾؟ قال: ذلك أمير المؤمنين، قلت: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾؟ قال: علّمه تبيان كلّ شيء يحتاج الناس إليه - الخبر -(٣).

﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ قيل: الصلصال الطين اليابس الّذي له صلصلة، والفخّار الخزف، وقد خلق الله آدم من تراب جعله طيناً، ثمّ حمأ مسنوناً، ثمّ صلصالاً، فلا يخالف ذلك قوله ﴿مِن تُرَابٍ﴾ ونحوه(٤).

﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾ أي يصير كافراً، أو كان في علم الله أنّه كافر. وفي الكافي وتفسير عليّ ابن إبراهيم، عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن تفسير هذه الآية فقال: عرف الله إيمانهم بولايتنا وكفرهم بتركها يوم أخذ عليهم الميثاق في صلب آدم وهم ذرّ(٥).

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ قيل: في تعب ومشقّة، فإنّه يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة. وقال عليّ بن إبراهيم: أي منتصباً. وسيأتي تفسيره في الخبر أنّه منتصب في بطن أمّه(٦).

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ يبصر بهما ﴿وَلِسَانًا﴾ يترجم عن ضمائره ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستر بهما فاه، ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب وغيرها ﴿وَهَدَيْنَٰهُ النَّجْدَيْنِ﴾ طريقي الخير والشرّ، وقيل: الثديين، وأصله المكان المرتفع(٧). وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: نجد الخير والشرّ. وفي مجمع البيان عن أمير المؤمنين عليه السلام: سبيل الخير وسبيل الشرّ. وعنه عليه السلام أنّه قيل له: إنّ أناساً يقولون في قوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ النَّجْدَيْنِ﴾ إنّهما الثديان، فقال: لا، هما الخير والشرّ(٨).

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَٰنَ﴾ قيل: يريد به الجنس ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أي تعديل بأن خصّ بانتصاب

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٦٤.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٢٠.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٢١.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٢٢.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٥٤.
(٦) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٤١٨.
(٧) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٤١٩.
(٨) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٣٦٣. أقول: وفي معنى ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾. [النمازي].

القامة وحسن الصورة واستجماع خواصّ الكائنات ونظائر سائر الممكنات ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ بأن جعلناه من أهل النّار، أو إلى أسفل سافلين وهو النار، وقيل: أرذل العمر[١]، وقال عليّ بن إبراهيم: نزلت في الأوّل[٢]، وفي المناقب عن الكاظم عليه السلام قال: الإنسان الأوّل، ثمّ رددناه أسفل سافلين ببغضه أمير المؤمنين.

وأقول: على سبيل الاحتمال يمكن أن يكون ردّه إلى أسفل سافلين ابتلاؤه بالقوى الشهوانيّة والعلائق الجسمانيّة، فإنّ روحه كان من عالم القدس، فلمّا ابتلي بعد التعلّق بالبدن بالصفات البهيميّة والعلائق الدنيّة فقد تنزّل من أعلى علّيّين إلى أسفل سافلين، فهم باقون في تلك الدركات منهمكون في تلك التعلّقات ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فإنّهم نفضوا عن أذيالهم أدناس تلك النشأة الفانية، واختاروا الدرجات العالية، فرجعوا إلى النشأة الأولى وتعلّقت أرواحهم بالملأ الأعلى، فصاروا أشرف من الملائكة المقرّبين، وسكنوا في غرفات الجنان آمنين[٣].

﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ أي جميع المخلوقات على مقتضى حكمته. وعن الباقر عليه السلام: خلق نورك القديم قبل الأشياء ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ أي من دم جامد بعد النطفة ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ قال عليّ بن إبراهيم علّم الإنسان بالكتابة الّتي بها يتمّ أمور الدنيا في مشارق الأرض ومغاربها ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ من أنواع الهدى والبيان، وقال عليّ بن إبراهيم: قال: يعني علّم عليّاً من الكتابة لك ما لم يعلم قبل ذلك[٤]. قيل: عدّد سبحانه مبدأ أمر الانسان ومنتهاه إظهاراً لما أنعم عليه من نقله من أخسّ المراتب إلى أعلاها تقريراً لربوبيّته وتحقيقاً لأكرميّته[٥].

فائدة: اعلم أنّ المسلمين اختلفوا في تفضيل الملائكة على البشر أو العكس، فذهب أكثر الأشاعرة إلى أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة، وصرّح بعضهم بأنّ عوامّ البشر من المؤمنين أفضل من عوامّ الملائكة، وخواصّ الملائكة أفضل من عوامّ البشر أي غير الأنبياء، وذهب أكثر المعتزلة إلى أنّ الملائكة أفضل من جميع البشر، ولا خلاف بين الإماميّة في أنّ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام أفضل من جميع الملائكة، والأخبار في ذلك مستفيضة أوردناها في كتاب النبوّة وسائر مجلّدات الحجّة، وأمّا سائر المؤمنين ففي فضل كلّهم أو بعضهم على جميع الملائكة أو بعضهم، فلا يظهر من الآيات والأخبار ظهوراً بيّناً يمكن الحكم بأحد الجانبين، فنحن فيه من المتوقّفين.

قال الشيخ المفيد - قدّس الله سرّه - في كتاب المقالات: اتّفقت الإماميّة على أنّ أنبياء

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٤٣٠.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٢٩.
(٣) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٣ ص ٣٩٣.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٣٠.
(٥) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٤٣٣.

الله ورسله من البشر أفضل من الملائكة، ووافقهم على ذلك أصحاب الحديث، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك، وزعم الجمهور منهم أنّ الملائكة أفضل من الأنبياء والرسل، وقال نفر منهم سوى من ذكرناه بالوقف في تفضيل أحد الفريقين على الآخر، وكان اختلافهم في هذا الباب على ما وصفناه وإجماعهم على خلاف القطع بفضل الأنبياء على الملائكة حسب ما شرحناه[١].

ثمّ قال: أمّا الرسل من الملائكة والأنبياء عليهم السلام فقولي فيهم مع أئمّة آل محمد عليهم السلام كقولي في الأنبياء والرسل عليهم السلام، وأمّا باقي الملائكة فإنّهم وإن بلغوا بالملائكة فضلاً، فالأئمّة من آل محمّد عليهم السلام أفضل منهم وأعظم ثواباً عند الله عزّ وجلّ بأدلّة ليس موضعها هذا الكتاب (انتهى)[٢].

وقال صاحب الياقوت: الأنبياء أفضل من الملائكة، لاختصاصهم بشرف الرسالة مع مشقّة التكليف. وقال العلاّمة - قدّس سرّه - في شرحه: اختلف الناس في ذلك فذهب الإماميّة وجماعة من الأشاعرة إلى أنّ الأنبياء عليهم السلام أشرف من الملائكة وقالت المعتزلة والفلاسفة: بل الملائكة أشرف. وقال الصدوق - قدّس سرّه - في رسالة العقائد: اعتقادنا في الأنبياء والرسل والحجج عليهم السلام أنّهم أفضل من الملائكة، ثمّ ذكر الدلائل وبسط القول فيها كما ذكرناه في كتاب الإمامة[٣].

وقال السيّد الشريف المرتضى رحمه الله في كتاب الغرر والدرر في تفضيل الأنبياء على الملائكة عليهم السلام: اعلم أنّه لا طريق من جهة العقل إلى القطع بفضل مكلّف على الآخر، لأنّ الفضل المراعى في هذا الباب هو زيادة استحقاق الثواب، ولا سبيل إلى معرفة مقادير الثواب من ظواهر فعل الطاعات، لأنّ الطاعتين قد تتساوى في ظاهر الأمر حالهما وإن زاد ثواب واحدة على الأخرى زيادةً عظيمة، وإذا لم يكن للعقل في ذلك مجال فالمرجع فيه إلى السمع، فإن دلّ سمع مقطوع به من ذلك على شيء عوّل عليه، وإلاّ كان الواجب التوقّف عنه والشكّ فيه، وليس في القرآن ولا في سمع مقطوع على صحّته ما يدلّ على فضل نبيّ على ملك ولا ملك على نبيّ. وسنبيّن أنّ آية واحدة ممّا يتعلّق به في تفضيل الأنبياء على الملائكة عليهم السلام يمكن أن يستدلّ بها على ضرب من الترتيب نذكره.

والمعتمد - في القطع على أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة - على إجماع الشيعة الإماميّة على ذلك، لأنّهم لا يختلفون في هذا، بل يزيدون عليه ويذهبون إلى أنّ الأئمّة عليهم السلام أفضل من الملائكة أجمعين، وإجماعهم حجّة، لأنّ المعصوم في جملتهم وقد بيّنّا في مواضع من كتبنا كيفيّة الاستدلال بهذه الطريقة، ورتّبناه وأجبنا عن كلّ سؤال يسأل عنه فيها، وبيّنّا كيف

---

(١) أوائل المقالات للمفيد، ص ٤٩.
(٢) أوائل المقالات، ص ٧١.
(٣) اعتقادات الصدوق، ص ٨٩.

الطريق مع غيبة الإمام إلى العلم بمذاهبه وأقواله، وشرحنا ذلك، فلا معنى للتشاغل به ههنا.
ويمكن أن يستدلّ على ذلك بأمره تعالى للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام، وأنّه يقتضي تعظيمه عليهم وتقديمه وإكرامه وإذا كان المفضول لا يجوز تعظيمه وتقديمه على الفاضل علمنا أنّ آدم عليه السلام أفضل من الملائكة، وكلّ من قال إنّ آدم أفضل من الملائكة ذهب إلى أنّ جميع الأنبياء عليهم السلام أفضل من جميع الملائكة، ولا أحد من الأمّة فصل بين الأمرين.

فإن قيل: ومن أين أنّه أمرهم بالسجود على جهة التقديم والتعظيم؟

قلنا: لا يخلو تعبّدهم بالسجود له من أن يكون على سبيل القبلة والجهة من غير أن يقترن به تعظيم وتقديم، أو يكون على ما ذكرناه، فإن كان الأوّل لم يجز أنفة إبليس من السجود وتكبّره عنه، وقوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾(١) وقوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾(٢) والقرآن كلّه ناطق بأنّ امتناع إبليس من السجود إنّما هو لاعتقاده التفضيل به والتكرمة، فلو لم يكن الأمر على هذا لوجب أن يردّه الله تعالى عنه ويعلمه أنّه ما أمره بالسجود على وجه تعظيمه له ولا تفضيله، بل على الوجه الآخر الّذي لاحظّ للتفضيل فيه، وما جاز إغفال ذلك وهو سبب معصية إبليس وضلالته، فلمّا لم يقع ذلك دلّ على أنّ الأمر بالسجود لم يكن إلاّ على جهة التفضيل والتعظيم، وكيف يقع شكّ في أنّ الأمر على ما ذكرناه، وكلّ نبيّ أراد تعظيم آدم عليه السلام ووصفه بما اقتضى الفخر والشرف نفسه بإسجاد الملائكة له، وجعل ذلك من أعظم فضائله، وهذا ممّا لا شبهة فيه.

فأمّا اعتماد بعض أصحابنا في تفضيل الأنبياء على الملائكة على أنّ المشقّة في طاعة الأنبياء عليهم السلام أكثر وأوفر من حيث كانت لهم شهوات في القبائح ونفار عن الواجبات فليس بمعتمد، لأنّا لا نقطع على أنّ مشاق الأنبياء أعظم من مشاقّ الملائكة في التكليف والشكّ في مثل ذلك واجب، وليس كلّ شيء لم يظهر لنا ثبوته وجب القطع على انتفائه ونحن نعلم على الجملة أنّ الملائكة إذا كانوا مكلّفين فلا بدّ من أن تكون عليهم مشاقّ في تكليفهم لولا ذلك ما استحقّوا ثواباً على طاعاتهم، والتكليف إنّما يحسن في كلّ مكلّف تعريضاً للثواب، ولا يكون التكليف شاقّاً عليهم إلاّ وتكون لهم شهوات فيما حظر عليهم ونفار عمّا أوجب، وإذا كان الأمر على هذا فمن أين يعلم أنّ مشاقّ الأنبياء عليهم السلام أكثر من مشاقّ الملائكة، وإذا كانت المشقّة عامّة لتكليف الأمّة ولا طريق إلى القطع على زيادتها في تكليف بعض ونقصانها في تكليف آخرين فالواجب التوقّف والشكّ، ونحن الآن نذكر شبه من فضّل الملائكة على الأنبياء عليهم السلام ونتكلّم عليها بعون الله:

فممّا تعلّقوا به في ذلك قوله تعالى حكايةً عن إبليس مخاطباً لآدم وحوّاء عليهما السلام ﴿مَا نَهَىٰكُمَا

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٢.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾[(١)] فرغّبهما في التناول من الشجرة [ليكونا] في منزلة الملائكة حتّى تناولا وعصيا، وليس يجوز أن يرغب عاقل في أن يكون على منزلةٍ هي دون منزلته حتّى يحمله ذلك على خلاف الله تعالى ومعصيته، وهذا يقتضي فضل الملائكة على الأنبياء عليهم السلام. وتعلّقوا أيضاً بقوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[(٢)] وتأخير ذكر الملائكة في مثل هذا الخطاب يقتضي تفضيلهم، لأنّ العادة إنّما جرت أن يقال: لن يستنكف الوزير أن يفعل هذا ولا الخليفة، فيقدّم الأدون ويؤخّر الأعظم، ولم تجر بأن يقال: لن يستنكف الأمير أن يفعل كذا ولا الحارس، وهذا يقتضي تفضيل الملائكة على الأنبياء عليهم السلام. وتعلّقوا بقوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[(٣)] قالوا: وليس بعد بني آدم مخلوق يستعمل في الخبر عنه لفظة (مَن) الّتي لا تستعمل إلاّ في العقلاء إلاّ الجنّ والملائكة، ولمّا لم يقل: وفضّلناهم على من، بل قال: على كثير ممّن خلقنا، علم أنّه إنّما أخرج الملائكة عمّن فضّل بني آدم عليه، لأنّه لا خلاف في بني آدم أنّه أفضل من الجنّ، وإذا كان وضع الخطاب يقتضي مخلوقاً لم يفضّل بنو آدم [عليه] فلا شبهة في أنّهم الملائكة. وتعلّقوا بقوله تعالى: ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾[(٤)] فلولا أنّ حال الملائكة أفضل من حال النبيّ لما قال ذلك.

فيقال لهم: في ما تعلّقوا به أوّلاً: لم زعمتم أنّ قوله تعالى ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ معناه: أن تصيرا أو تتقلّبا إلى صفة الملائكة؟ فإنّ هذه اللفظة ليست بصريح لما ذكرتم بل أحسن الأحوال أن تكون محتملة له، وما أنكرتم أن يكون المعنى أنّ المنهيّ عن تناول الشجرة غيركما، وإذاً النهي يختصّ الملائكة والخالدين دونكما، ويجري ذلك مجرى قول أحدنا لغيره: ما نهيت عن كذا إلاّ أن تكون فلاناً، وإنّما يعني أنّ المنهيّ هو فلان دونك، ولم يرد: إلاّ أن تتقلّب فتصير فلاناً، ولمّا كان غرض إبليس إيقاع الشبهة لهما فمن أوكد الشبهة إيهامهما أنّهما لم ينهيا وإنّما المنهيّ غيرهما. ومن وكيد ما تفسد به هذه الشبهة أن يقال: ما أنكرتم أن يكونا رغبا في أن ينقلا إلى صفة الملائكة وخلقهم كما رغّبهما إبليس في ذلك، ولا تدلّ هذه الرغبة على أنّ الملائكة أفضل منهما، لأنّه بالتقلّب إلى خلقة غيره لا يتقلّب ولا يتغيّر الحقيقة بانقلاب الصورة والخلق، فإنّه إنّما يستحقّ الثواب على الأعمال دون الهيئات وغير ممتنع أن يكونا رغبا في أن يصيرا على هيئة الملائكة وصورها، وليس ذلك يرغّبه في الثواب ولا الفضل، فإنّ الثواب فضل لا يتبع الهيئات والصور، ألا ترى أنّهما رغبا في أن يكونا من الخالدين، وليس الخلود ممّا يقتضي مزيّة في ثواب ولا فضلاً فيه، وإنّما هو نفع عاجل،

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٧١.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.

وكذلك لا يمتنع أن يكون الرغبة منهما في أن يصيرا ملكين إنّما كانت على هذا الوجه.

ويمكن أن يقال للمعتزلة خاصّة وكلّ من أجاز على الأنبياء الصغائر: ما أنكرتم أن يكونا اعتقدا أنّ الملك أفضل من النبيّ وغلطا في ذلك وكان منهما ذنباً صغيراً؟ لأنّ الصغائر عندكم تجوز على الأنبياء، فمن أين لكم إذا اعتقدا أنّ الملائكة أفضل من الأنبياء ورغبا في ذلك أنّ الأمر على ما اعتقداه مع تجويزكم عليهم الذنوب؟ وليس لهم أن يقولوا: إنّ الصغائر إنّما تدخل في أفعال الجوارح دون القلوب، لأنّ ذلك تحكّم بغير برهان، وليس يمتنع على أصولهم أن تدخل الصغائر في أفعال القلوب والجوارح معاً، لأنّ حدّ الصغيرة عندهم ما نقص عقابه عن ثواب طاعات فاعله، وليس يمتنع معنى هذا الحدّ في أفعال القلوب كما لا يمتنع في أفعال الجوارح.

ويقال لهم فيما تعلّقوا به ثانياً: ما أنكرتم أن يكون هذا القول إنّما توجّه إلى قوم اعتقدوا أنّ الملائكة أفضل من الأنبياء فأخرج الكلام على حسب اعتقادهم وأخّر ذكر الملائكة لذلك؟ ويجري هذا القول مجرى قول من قال منّا لغيره: لن يستنكف أبي أن يفعل كذا ولا أبوك، وإن كان القائل يعتقد أنّ أباه أفضل، وإنّما أخرج الكلام على حسب اعتقاد المخاطَب لا المخاطِب.

وممّا يجوز أن يقال أيضاً: أنّه لا تفاوت في الفضل بين الأنبياء والملائكة وإن ذهبنا إلى أنّ الأنبياء أفضل منهم، ومع التقارب والتداني يحسن أن يؤخّر ذكر الأفضل الّذي لا تفاوت بينه وبين غيره في الفضل، وإنّما مع التفاوت والتنافي لا يحسن ذلك، ألا ترى أنّه يحسن أن يقول القائل: ما يستنكف الأمير فلان من كذا، ولا الأمير فلان من كذا، وإن كانا متساويين متناظرين أو متقاربين، ولا يحسن أن يقول: ما يستنكف الأمير من كذا ولا الحارس، لأجل التفاوت. وأقوى من هذا أن يقال: إنّما أخّر ذكر الملائكة عن ذكر المسيح لأنّ جميع الملائكة أكثر ثواباً لا محالة من المسيح منفرداً وهذا لا يقتضي أنّ كلّ واحد منهم أفضل من المسيح عليه السلام، وإنّما الخلاف في ذلك.

ويقال لهم في ما تعلّقوا به ثالثاً: ما أنكرتم أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1] أنّا فضّلناهم على ما خلقنا وهم كثير ولم يرد التبعيض، ويجري ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[2] معناه: لا تشتروا بها ثمناً قليلاً فكلّ ثمن تأخذونه عنها قليل، ولم يرد التخصيص والمنع من الثمن القليل خاصّة. ومثله قول الشاعر:

من أناس ليس في أخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع

وإنّما أراد نفي الفحش كلّه عن أخلاقهم وإن وصفه بأنّه عاجل، ونفي الجزع عنهم وإن

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٤١.

وصفه بالسوء، وهذا من غريب البلاغة ودقيقها، ونظائره في الشعر والكلام الفصيح لا تحصى، وقد كنّا أملينا في تأويل هذه الآية كلاماً منفرداً استقصيناه وشرحنا هذا الوجه وأكثرنا من ذكر أمثلته.

ووجه آخر: في تأويل هذه الآية، وهو أنّه غير ممتنع أن يكون جميع الملائكة أفضل من جميع بني آدم وإن كان في جملة بني آدم من الأنبياء عليهم السلام من يفضل كلّ واحد منهم على كلّ واحد من الملائكة، لأنّ الخلاف إنّما هو في فضل كلّ بني آدم على كلّ ملك، وغير ممتنع أن يكون جميع الملائكة فضلاء يستحقّ كلّ واحد منهم الجزيل الأكثر من الثواب، فيزيد ثواب جميعهم على ثواب جميع بني آدم، لأنّ الأفاضل من بني آدم أقلّ عدداً، وإن كان في بني آدم آحاد كلّ واحد منهم أفضل من كلّ واحد من الملائكة.

ووجه آخر: وممّا يمكن أن يقال في هذه الآية أيضاً: أنّ مفهوم الآية إذا تؤمّلت يقتضي أنّه تعالى لم يرد الفضل الّذي هو زيادة الثواب، وإنّما أراد النعم والمنافع الدنيويّة، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ والكرامة إنّما هي الترقية وما يجري مجراه، ثمّ قال: ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ ولا شبهة في أنّ الحمل لهم في البرّ والبحر ورزق الطيّبات خارج ممّا يستحقّ به الثواب ويقتضي التفضيل الّذي وقع إطلاقه فيه، ويجب أن يكون ما عطف عليه من التفضيل داخلاً في هذا الباب وفي هذا القبيل، فإنّه أشبه من أن يكون المراد به غير ما سياق الآية وارد [به و] مبنيّ عليه، وأقلّ الأحوال أن تكون لفظة ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ﴾ مجتمعةً للأمرين، فلا يجوز الاستدلال بها على خلاف ما نذهب إليه.

ويقال لهم فيما تعلّقوا به رابعاً: لا دلالة في هذه الآية على أنّ حال الملائكة أفضل من حال الأنبياء، لأنّ الغرض في الكلام إنّما هو نفي ما لم يكن عليه، لا التفضيل لذلك على ما هو عليه. ألا ترى أنّ أحدنا لو ظنّ أنّه على صفة وهو ليس عليها جاز أن ينفيها عن نفسه بمثل هذا اللفظ وإن كان على أحوال هي أفضل من تلك الحال وأرفع، وليس يجب إن انتفى ممّا تبرّأ منه من علم الغيب وكون خزائن الله تعالى عنده أن يكون فيه فضل أن يكون ذلك معتمداً في كلّ ما يقع النفي له والتبرّؤ منه، وإذا لم يكن ملكاً عنده خزائن الله تعالى جاز أن ينتفي من الأمرين من غير ملاحظة، لأنّ حاله دون هاتين الحالتين.

وممّا يوضح هذا ويزيل الإشكال فيه أنّه تعالى حكى عنه قوله في آية أُخرى ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾(١) ونحن نعلم أنّ هذه منزلة غير جليلة، وهو على كلّ حال أرفع منها وأعلى، فما المنكر أن يكون نفي الملكيّة عنه في أنّه لا يقتضي أنّ حاله دون حال تلك بمنزلة نفي هذه المنزلة. والتعلّق بهذه الآية ضعيف جدّاً، وفيما أوردناه كفاية وبالله التوفيق (انتهى)(٢).

---

(١) سورة هود، الآية: ٣١.

(٢) أمالي المرتضى، ج ٢ ص ١٥٥.

وذكر ﷺ نحواً من هذا في أجوبة المسائل الّتي وردت عليه من الريّ.

وقال الدوانيّ في شرح العقائد: هم أي الأنبياء أفضل من الملائكة العلويّة عند أكثر الأشاعرة، ومن الملائكة السفليّة بالاتّفاق، وعامّة البشر من المؤمنين أيضاً أفضل من عامّة الملائكة، وعند المعتزلة وأبي عبد الله الحليميّ والقاضي أبي بكر منّا الملائكة أفضل، والمراد بالأفضل أكثر ثواباً، وذلك أنّ عبادة الملائكة فطريّة لا مزاحم لهم عنها بخلاف عبادة البشر، فإنّ لهم مزاحمات فتكون عبادتهم أشقّ، وقال النبيّ ﷺ: «أفضل الأعمال أضرّها» أي أشقّها.

قلت: وعلى هذا يندفع ما يتوهّم أنّ إساءة الأدب مع الملائكة كفر ومع آحاد المؤمنين ليس بكفر، فتكون الملائكة أفضل، لأنّ ذلك يدلّ على أنّ كون الملك أشرف بسبب كثرة مناسبته مع المبدأ في النزاهة وقلّة الوسط، لا على أنّه أفضل بمعنى كونه أكثر ثواباً.

وقال شارح المقاصد: ذهب جمهور أصحابنا والشيعة إلى أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة خلافاً للمعتزلة والقاضي وأبي عبد الله الحليميّ، وصرّح بعض أصحابنا بأنّ عوامّ البشر من المؤمنين أفضل من عوامّ الملائكة، وخواصّ الملائكة أفضل من عوامّ البشر أي غير الأنبياء. لنا وجوه عقليّة ونقليّة:

الأوّل: أنّ الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم، والحكيم لا يأمر بسجود الأفضل للأدنى، وإباء إبليس واستكباره والتعليل بأنّه خير من آدم لكونه من نار وآدم من طين يدلّ على أنّ المأمور به كان سجود تكرمة وتعظيم، لا سجود تحيّة وزيارة، ولا سجود الأعلى للأدنى إعظاماً له ورفعاً لمنزلته وهضماً لنفوس الساجدين.

الثاني: أنّ آدم أنبأهم بالأسماء وبما علّمه الله من الخصائص، والمعلّم أفضل من المتعلّم، وسوق الآية ينادي على أنّ الغرض إظهار ما خفي عليهم من أفضليّة آدم، ودفع ما توهّموا فيه من النقصان، ولذا قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(١) وبهذا يندفع ما يقال: إنّ لهم أيضاً علوماً جمّةً أضعاف العلم بالأسماء لما شاهدوا من اللوح وحصّلوا في الأزمنة المتطاولة بالتجارب والأنظار المتوالية.

الثالث: قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢) وقد خصّ من آل إبراهيم وآل عمران غير الأنبياء بدليل الإجماع فيكون آدم ونوح وجميع الأنبياء مصطفون على العالمين الّذين منهم الملائكة، إذ لا مخصّص للملائكة من العالمين، ولا جهة لتفسيره بالكثير من المخلوقات.

الرابع: أنّ للبشر شواغل عن الطاعات العلميّة والعمليّة، كالشهوة والغضب وسائر

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٣. (٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.

الحاجات الشاغلة والموانع الخارجة والداخلة، فالمواظبة على العبادات وتحصيل الكمالات بالقهر والغلبة على ما يضادّ القوّة العاقلة يكون أشقّ وأفضل وأبلغ في استحقاق الثواب. ولا معنى للأفضليّة سوى استحقاق الثواب والكرامة.

لا يقال: لو سلّم انتفاء الشهوة والغضب وسائر الشواغل في حقّ الملائكة فالعبادة مع كثرة البواعث والشواغل إنّما تكون أشقّ وأفضل من الأخرى إذا استويا في المقدار وباقي الصفات، وعبادة الملائكة أكثر وأدوم. فإنّهم يسبّحون الليل والنهار لا يفترون والإخلاص الّذي به القوام والنظام واليقين الّذي هو الأساس والتقوى الّتي هي الثمرة فيهم أقوى وأقوم، لأنّ طريقهم العيان لا البيان والمشاهدة لا المراسلة.

لأنّا نقول: انتفاء الشواغل في حقّهم ممّا لا ينازع فيه أحد، ووجود المشقّة والألم في العبادة والعمل عند عدم المنافي والمضادّ ممّا لا يعقل قلّت أو كثرت، وكون باقي الصفات في حقّ الأنبياء أضعف وأدنى ممّا لا يسمع ولا يقبل. وقد يتمسّك بأنّ للملائكة عقلاً بلا شهوة، وللبهائم شهوة بلا عقل، وللإنسان كليهما، فإذا ترجّح شهوته على عقله يكون أدنى من البهائم لقوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾، فإذا ترجّح عقله على شهوته يجب أن يكون أعلا من الملائكة، وهذا عائد إلى ما سبق لأنّ تمام تقريره هو أنّ الكافر آثر النقصان مع التمكّن من الكمال، وكلّ من فعل كذا فهو أضلّ وأرذل ممّن آثره بدونه، لأنّ إيثار الشيء مع وجود المضادّ والمنافي أرجح وأبلغ من إيثاره بدونه، فيلزم أن يكون من آثر الكمال مع التمكّن من النقصان أفضل وأكمل ممّن آثره بدونه.

وأمّا التمسّك بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ والتكريم المطلق لأحد الأجناس يشعر بفضله على غيره، فضعيف، لأنّ التكريم لا يوجب التفضيل سيّما مع قوله تعالى ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ فإنّه يشير بعدم التفضيل على القليل وليس غير الملائكة بالإجماع، كيف وقد وصف الملائكة أيضاً بأنّهم عباد مكرمون.

ثمّ قال: واحتجّ المخالفون أيضاً بوجوه نقليّة وعقليّة:

أمّا النقليّات فمنها قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[1] خصّهم بالتواضع وترك الاستكبار في السجود، وفيه إشارة إلى أنّ غيرهم ليس كذلك وأنّ أسباب التكبّر والتعظّم حاصلة لهم؛ ووصفهم باستمرار الخوف وامتثال الأوامر ومن جملتها اجتناب المنهيّات.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[2] وصفهم بالقرب والشرف عنده، وبالتواضع والمواظبة على الطاعة والتسبيح.

---

(١) سورة النحل، الآيتان: ٤٩-٥٠. (٢) سورة الأنبياء، الآيتان: ١٩-٢٠.

ومنها قوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ - إلى أن قال - ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[1] وصفهم بالكرامة المطلقة والامتثال والخشية وهذه الأمور أساس كافّة الخيرات.

والجواب: أنّ جميع ذلك إنّما يدلّ على فضيلتهم لا على أفضليّتهم لا سيّما على الأنبياء.

ومنها قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾[2] فإنّ مثل هذا الكلام إنّما يحسن إذا كان الملك أفضل.

والجواب: أنّه إنّما قال ذلك حين استعجله قريش العذاب الّذي أوعدوا به بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[3] والمعنى أنّي لست بملك حتّى يكون لي القوّة والقدرة على إنزال العذاب بإذن الله كما كان لجبرئيل عليه السلام، أو يكون له العلم بذلك بإخبار من الله تعالى بلا واسطة.

ومنها قوله تعالى: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾[4] أي إلاّ كراهة أن تكونا ملكين، يعني أنّ الملائكة بالمرتبة العليا، وفي الأكل من الشجرة ارتقاء إليهما.

والجواب: أنّ ذلك تمويه من الشيطان وتخييل أنّ ما يشاهد في الملك من حسن الصورة وعظم الخلق وكمال القوّة يحصل بأكل الشجرة، ولو سلّم فغايته التفضيل على آدم قبل النبوّة.

ومنها قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ يعني جبرئيل عليه السلام، والمعلّم أفضل من المتعلّم.

والجواب: أنّ ذلك بطريق التبليغ وإنّما التعليم من الله تعالى.

ومنها قوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[5] أي لا يترفّع عيسى من العبوديّة ولا من هو أرفع منه درجة، كقولك: لن يستنكف من هذا الأمر الوزير ولا السلطان، ولو عكست أحلت بشهادة علماء البيان، والبصراء بأساليب الكلام. وعليه قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ﴾[6] أي مع أنّهم أقرب مودّة لأهل الإسلام، ولهذا خصّ الملائكة بالمقرّبين منهم لكونهم أفضل.

والجواب: أنّ الكلام سيق لردّ مقالة النصارى وغيرهم في المسيح وادّعائهم فيه مع النبوّة البنوّة، بل الألوهيّة والترفّع عن العبوديّة، لكونه روح الله وولد بلا أب لكونه يبرىء الأكمه والأبرص، والمعنى: لا يترفّع عيسى عن العبوديّة ولا من هو فوقه في هذا المعنى، وهم الملائكة الّذين لا أب لهم ولا أمّ، ولا يقدرون على ما لا يقدر عليه عيسى عليه السلام، ولا دلالة

---

(١) سورة الأنبياء، الآيات: ٢٦-٢٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٤٩.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٧٢.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

على الأفضليّة بمعنى كثرة الثواب وسائر الكمالات ألا ترى أنّ فيما ذكرت من المثال لم يقصد الزيادة والرفعة في الفضل والشرف والكمال بل في ما هو مظنّة الاستنكاف والرضا كالغلبة والاستكبار والاستعلاء في السلطان وقرب المودّة في النصارى.

ومنها: اطّراد تقديم ذكر الملائكة على ذكر الأنبياء والرسل، ولا تعقل له جهة سوى الأفضليّة.

والجواب: أنّه يجوز أن يكون بجهة تقدّمهم في الوجود، أو في قوّة الإيمان بهم والاهتمام به لأنّه أخفى، فالإيمان بهم أقوى وبالتحريض عليه أحرى.

وأما العقليات: فمنها أنّ الملائكة روحانيات مجرّدة في ذاتها، متعلّقة بالهياكل العلويّة، مبرّأة عن ظلمة المادّة، وعن الشهوة والغضب اللّذين هما مبدءا الشرور والقبائح، متّصفة بالكمالات العلميّة والعمليّة بالفعل، من غير شوائب الجهل والنقص والخروج عن القوّة إلى الفعل على التدريج ومن احتمال الغلط، قويّة على الأفعال العجيبة، وإحداث السحب والزلازل وأمثال ذلك، مطّلعة على أسرار الغيب، سابقة إلى أنواع الخير، ولا كذلك حال البشر.

والجواب: أنّ مبنى ذلك على قواعد الفلسفة دون الملّة.

ومنها: أنّ أعمالهم الموجبة للمثوبات أكثر لطول زمانهم، وأدوم لعدم تخلّل الشواغل، وأقوم لسلامتها عن مخالطة المعاصي المنقّصة للثواب، وعلومهم أكمل وأكثر لكونهم نورانيّين يشاهدون اللوح المحفوظ المنتقش بالكائنات وأسرار المغيبات.

والجواب: أنّ هذا لا يمنع كون أعمال الأنبياء وعلومهم أفضل وأكثر ثواباً لجهات أخر، كقهر المضادّ والمنافي، وتحمّل المتاعب والمشاقّ ونحو ذلك على ما مرّ (انتهى).

وأقول: والعمدة في ذلك الأخبار الكثيرة الدالّة على فضل الأنبياء والأئمّة عليهم السلام على الملائكة، وإن كان فيها ما يوهم خلاف ذلك، وهي متفرّقة في أبواب مجلّدات الحجّة، لم نوردها ههنا حذراً من الإطناب وحجم الكتاب.

١ - **الاحتجاج:** في ما سأل الزنديق الصادق عليه السلام: الرسول أفضل أم الملك المرسل إليه؟ قال عليه السلام: بل الرسول أفضل[1].

٢ - **مجالس ابن الشيخ:** عن أبيه، عن جماعة، عن أبي المفضّل الشيبانيّ عن عليّ بن محمّد بن الحسن النخعيّ، عن جدّه سليم بن إبراهيم بن عبيد، عن نصر بن مزاحم المنقريّ، عن إبراهيم بن الزبرقان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن عليّ، عن أبيه عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ يقول: فضّلنا بني آدم على سائر الخلق ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ يقول:

(١) الاحتجاج، ص ٣٣٤.

على الرطب واليابس ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يقول: من طيّبات الثمار كلّها ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ﴾ يقول: ليس من دابّة ولا طائر إلاّ هي تأكل وتشرب بفيها لا ترفع بيدها إلى فيها طعاماً ولا شراباً غير ابن آدم، فإنّه يرفع إلى فيه بيده طعامه، فهذا من التفضيل(١).

بيان: لعلّه أراد بالرطب الحيوانات المتحرّكة النامية، وباليابس الأخشاب اليابسة الّتي تعمل منها السفن، ويحتمل كون النشر على خلاف ترتيب اللفّ، فالرطب البحر، واليابس البرّ.

٣ - **مجالس ابن الشيخ:** عن أبيه، عن جماعة، عن أبي المفضّل، عن أحمد بن الحسن بن هارون، عن يحيى بن السريّ الضرير، عن محمّد بن حازم أبي معاوية الضرير قال: دخلت على هارون الرشيد، قيل لي، وكانت بين يديه المائدة، فسألني عن تفسير هذه الآية ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ - الآية - فقلت: يا أمير المؤمنين، قد تأوّلها جدُّك عبد الله بن عبّاس، أخبرني الحجّاج بن إبراهيم الخوزيّ، عن ميمون بن مهران، عن ابن عبّاس في هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ قال: كلّ دابّة تأكل بفيها إلاّ ابن آدم فإنّه يأكل بالأصابع. قال أبو معاوية: فبلغني أنّه رمى بملعقة كانت بيده من فضّة، وتناول من الطعام بإصبعه(٢).

٤ - **ومنه:** عن أبيه، عن جماعة، عن أبي المفضّل، عن عبد الله بن محمّد بن عبد العزيز البغويّ، عن يحيى بن عبد الحميد الحمانيّ، عن حجّاج بن تميم، عن ميمون بن مهران. عن ابن عبّاس في قوله عزّوجلّ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ - إلى قوله - ﴿تَفْضِيلًا﴾ قال: ليس من دابّة إلاّ وهي تأكل بفيها إلاّ ابن آدم فإنّه يأكل بيده(٣).

٥ - **العلل:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن عبد الله بن سنان، قال: سألت أبا عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام إنّ الله عزّوجلّ ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شرّ من البهائم(٤).

٦ - **صحيفة الرضا:** بالإسناد عنه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مثل المؤمن عند الله كمثل ملك مقرّب، وإنّ المؤمن عند الله عزّوجلّ أعظم من الملك، وليس شيء أحبّ إلى الله من مؤمن تائب أو مؤمنة تائبة(٥).

---

(١) - (٣) أمالي الطوسي، ص ٤٨٩ مجلس ١٧ ح ٤١ و٤٣ و٤٢.

(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ١٣ باب ٦ ح ١. (٥) صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، ص ٧١ ح ٧٩.

٧ - **ومنه:** بهذا الإسناد قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ المؤمن ليعرف في السماء كما يعرف الرجل أهله وولده، وإنّه أكرم عند الله عزّ وجلّ من ملك مقرّب(١).

٨ - **العياشي:** عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ قال: خلق كلّ شيء منكبّاً غير الانسان فإنّه خلق منتصباً(٢).

٩ - **الكافي:** عن العدّة، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن غالب بن عثمان عن بشير الدهّان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله عزّ وجلّ: يا ابن آدم اذكرني في ملإ أذكرك في ملإ خير من ملئك(٣).

١٠ - **ومنه:** بالإسناد المتقدّم عن ابن فضّال، رفعه قال: قال الله عزّ وجلّ لعيسى عليه السلام: يا عيسى اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي، واذكرني في ملئك أذكرك في ملإ خير من ملإ الآدميّين(٤).

بيان: ربّما يستدلّ بالخبرين على كون الملائكة أفضل من بني آدم، ويمكن أن يجاب بأنّ خيريّة ملإ الملائكة باعتبار كون الجميع معصومين بخلاف ملإ البشر لا ينافي كون بعض البشر أفضل من الملائكة، على أنّه يمكن أن يكون المراد بالملإ الثاني ما يشتمل على أرواح النبيّين عليهم السلام، لكن وقع التصريح في بعض الأخبار بملإ من الملائكة.

١١ - **كتاب تفضيل أمير المؤمنين:** الكراجكيّ، عن عليّ بن الحسن بن مندة، عن الحسن بن يعقوب البزّاز، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، قال: لمّا حمل المأمون أبا هدبة مولى أنس إلى خراسان بلغني ذلك، فخرجت في لقائه فصادفني في بعض المنازل، فرأيت رجلاً طويلاً خفيف العارضين منحنياً من الكبر وقد اجتمع عليه الناس، فقلت له: حدّثني - رحمك الله - فإنّي أتيتك من بلد بعيد أسمع منك، فلم يحدّثني من الزحمة الّتي كانت عليه، ثمّ رحل فتبعته إلى المرحلة الأُخرى فلمّا نزل أتيته فقلت له: حدّثني - رحمك الله تعالى - قال: أنت صاحبي بالأمس؟ قلت: نعم، قال: إذاً والله لا أُحدّثك إلاّ قائماً لما بدا منّي إليك، لأنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كان عنده علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار، ثمّ قام قائماً وقال: كنت رأيت مولاي أنس بن مالك وهو معصّب بعصابة بيضاء، فقلت: وما هذه العصابة؟ قال: هذه دعوة عليّ بن أبي طالب، فقلت: وكيف؟ فقال: أهدي إلى رسول الله ﷺ طائر ورسول الله ﷺ في بيت أمّ سلمة رضي الله عنها وأنا حينئذ أحجب رسول الله ﷺ فأصلحته أمّ سلمة رضي الله عنها وأتت به رسول الله ﷺ وقالت أمّ سلمة:

(١) صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، ص ٧٣ ح ٨٧.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٢٤ ح ١١٣ من سورة الإسراء.
(٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٧٨ باب ما يجب من ذكر الله... ح ١٢.
(٤) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٨٠ باب ذكر الله في السر، ح ٣.

الزم الباب لينال رسول الله ﷺ منه، فلزمت الباب وقدّمته إلى النبيّ ﷺ، فلمّا وضعته بين يديه رفع رسول الله ﷺ يديه وقال: اللّهمَّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر، فسمعت دعوة رسول الله ﷺ وأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فأتى عليُّ بن أبي طالب، فقلت: إنّ رسول الله عنك مشغول فانصرف، ثمّ دعا رسول الله ﷺ ثانية وقال: اللّهمَّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر، فأتى عليُّ بن أبي طالب، فقلت: إنّ رسول الله عنك مشغول فانصرف، ثمّ رفع رسول الله ﷺ رأسه ودعا ثالثة وقال: يا ربّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر فأتى عليٌّ فقلت: رسول الله عنك مشغول، فقال: وما يشغل رسول الله ﷺ عنّي؟ ودفعني فدخل، فلمّا رآه رسول الله ﷺ قبّل ما بين عينيه وقال: يا أخي! من الّذي حبسك عنّي وقد دعوت الله ثلاثاً أن يأتيني بأحبّ خلقه إليه يأكل معي من هذا الطائر؟ فقال يا رسول الله، قد جئت ثلاثاً كلّ ذلك يردّني أنس، فقال: لم رددت عليّاً؟ فقلت: يا رسول الله إنّي سمعت دعوتك فأحببت أن يكون رجلاً من الأنصار فأفتخر به إلى الأبد، فقال عليّ عليه السلام: اللّهمَّ ارم أنساً بوضح لا يستره من الناس، فظهر عليّ هذا الّذي ترى وهي دعوة عليّ(١).

بيان: في سائر الأخبار أنَّ دعوة أمير المؤمنين عليه السلام عليه حين استشهده فأبى أن يشهد وهذا من الأخبار المتواترة، وممّا احتجّ به يوم الشورى فصدّقوه، ويدلّ على أنّه عليه السلام أفضل جميع خلق الله، وخرج الرسول ﷺ بالإجماع والنصوص المتواترة فيدلّ على فضله على الملائكة، وكلّ من قال بفضله قال بفضل سائر الأئمّة وجميع الأنبياء عليهم السلام فثبت فضل الجميع.

١٢ - **ومن الكتاب المذكور:** عن محمّد بن أحمد بن شاذان، عن طلحة بن أحمد عن عبد الحميد القنّاد، عن هشام بن بشير، عن ابن جبير، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: عليٌّ أفضل من خلق الله غيري، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وأبوهما خير منهما، وإنّ فاطمة سيّدة نساء العالمين، ولو أنّ لفاطمة خيراً من عليّ لم أزوّجها منه(٢).

١٣ - **ومنه:** عن ابن شاذان، عن محمّد بن عبد الله، عن جعفر بن عليّ الدقّاق عن عبد الله ابن محمّد الكاتب، عن سليمان بن الربيع، عن نصر بن مزاحم، عن عليّ بن عبد الله، عن الأشعث، عن مرّة، عن أبي ذرّ، قال: نظر النبيّ ﷺ إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: خير الأوّلين والآخرين من أهل السماوات والأرضين، هذا سيّد الصدّيقين، وسيّد الوصيّين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، إذا كان يوم القيامة جاء على ناقة من نوق الجنّة، قد أضاءت القيامة من نورها، على رأسه تاج مرصّع بالزبرجد والياقوت، فتقول الملائكة: هذا ملك مقرّب، ويقول النبيّون: هذا نبيٌّ مرسل، فينادي مناد من تحت بطنان

---

(١) - (٢) الرسالة العلوية المشتهر بالتفضيل للكراجكي ص ٢١ و ٤٢.

العرش: هذا الصدّيق الأكبر، هذا وصيُّ حبيب الله ربِّ العالمين، هذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فيجيء عليّ حتّى يقف على متن جهنّم، فيخرج منها من يحبّ، ويأتي أبواب الجنّة فيدخل فيها أولياءه بغير حساب(١).

١٤ - **ومنه:** عن ابن شاذان، عن الحسن بن أحمد، عن أبي بكر بن محمّد عن عيسى بن مهران، عن عيسى بن عبد الحميد، عن قيس بن الربيع، عن الأعمش عن عباية، عن حميد المغربيّ، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيّد الأوّلين والآخرين، وأنت يا عليّ سيّد الخلائق بعدي، أوّلنا كآخرنا(٢).

أقول: الاستدلال بهذه الأخبار بتقريب ما مرّ.

١٥ - ومن الكتاب المذكور: عن ابن شاذان، عن جعفر بن محمّد بن مسروق اللّحّام، عن حسين بن محمّد، عن أحمد بن علويه، عن إبراهيم بن محمّد الثقفيّ، عن عبد الله بن صالح، عن حريز بن عبد الحميد، عن مجاهد، عن ابن عبّاس، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لمّا أسري بي إلى السماء ما مررت بملأ من الملائكة إلاّ سألتني عن عليّ بن أبي طالب، حتّى ظننت أنّ اسم عليّ بن أبي طالب في السماوات أشهر من اسمي، فلمّا بلغت السماء الرابعة ونظرت إلى ملك الموت قال لي: يا محمّد! ما خلق الله خلقاً إلاّ وأنا أقبض روحه إلاّ أنت وعليّ، فإنّ الله جلّ جلاله يقبض أرواحكما بقدرته وجزت تحت العرش إذ أنا بعليّ بن أبي طالب واقفاً تحت العرش، فقلت: يا عليّ سبقتني؟ فقال جبرئيل: من هذا الّذي تكلّمه يا محمّد؟ فقلت: هذا عليّ بن أبي طالب، فقال: يا محمّد! ليس هذا عليّ بن أبي طالب، ولكنّه ملك من الملائكة خلقه الله تعالى على صورة عليّ بن أبي طالب عليه السلام فنحن الملائكة المقرّبون كلّما اشتقنا إلى وجه عليّ بن أبي طالب عليه السلام زرنا هذا الملك، لكرامة عليّ بن أبي طالب على الله سبحانه(٣).

أقول: دلالته أوّلاً وآخراً على فضله لا يخفى على المتأمّل، ودلّت عليه الأخبار المستفيضة الدالّة على مباهاة الله به عليه السلام ليلة المبيت ويوم أُحد، وقول جبرئيل عليه السلام: أنا منكما.

١٦ - **العيون والعلل وكمال الدين:** عن الحسن بن محمّد بن سعيد الهاشميّ عن فرات ابن إبراهيم، عن ابن عقدة، عن العبّاس بن عبد الله البخاريّ، عن محمّد بن القاسم بن إبراهيم، عن أبي الصلت الهرويّ، عن الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي، قال عليّ عليه السلام: فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أو جبرئيل؟ فقال صلى الله عليه وآله: يا عليّ إنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين. والفضل بعدي لك يا عليّ وللأئمّة عليهم السلام من بعدك وإنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا، يا عليّ!

---

(١) - (٣) الأسرار العلوية المشتهر بكتاب التفضيل للكراجكي ص ٤٢-٤٦.

الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون للّذين آمنوا بولايتنا، يا عليّ! لولا نحن ما خلق آدم، ولا حوّاء، ولا الجنّة، ولا النار، ولا السماء، ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربّنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه؟ - وساق الحديث إلى قوله - فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون لكوننا في صلبه؟ وإنّه لمّا عرج بي إلى السماء أذّن جبرئيل مثنى مثنى، وأقام مثنى مثنى، ثمّ قال لي: تقدّم يا محمّد، فقلت له: يا جبرئيل! أتقدّم عليك؟ فقال: نعم، لأنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه على الملائكة أجمعين، وفضّلك خاصّة - إلى آخر الخبر بطوله -[١].

١٧ - **العلل**: بإسناده إلى عمرو بن جميع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان جبرئيل عليه السلام إذا أتى النبيّ صلى الله عليه وآله قعد بين يديه قعدة العبيد وكان لا يدخل حتّى يستأذنه[٢].

١٨ - **الاحتجاج وتفسير الإمام**: قال: سأل المنافقون النبيّ صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله أخبرنا عن عليّ هو أفضل أم ملائكة الله المقرّبون؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وهل شرّفت الملائكة إلاّ بحبّها لمحمّد وعليّ وقبولها لولايتهما؟ إنّه لا أحد من محبّي عليّ نظّف قلبه من قذر الغشّ والدغل والغلّ ونجاسة الذنوب إلاّ كان أطهر وأفضل من الملائكة - الخبر -[٣].

١٩ - **كمال الدين**: بإسناده إلى الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيّد من خلق الله، وأنا خير من جبرئيل وإسرافيل وحملة العرش وجميع الملائكة المقرّبين وأنبياء الله المرسلين - الحديث -[٤].

وأقول: الأخبار في ذلك كثيرة قد أوردناها في أبواب فضائل النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام فليرجع إليها.

تذييل: قال السيّد الأجلّ المرتضى في كتاب الغرر بعد أن سئل عن تفسير قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾[٥]: قد ذكر في هذه الآية وجوه من التأويل، نحن نذكرها ونرجّح الأرجح منها:

فأولها: أن يكون معنى القول المبالغة في وصف الانسان بكثرة العجلة، وأنّه شديد الاستعجال لما يؤثره من الأمور، لهج باستدناء ما يجلب إليه نفعاً أو يدفع عنه ضرراً، ولهم عادة في استعمال مثل هذا اللفظ عند المبالغة، كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم: ما خُلقت إلاّ من نوم، وما خُلق فلان إلاّ من شرّ، إذا أرادوا كثرة وقوع الشرّ منه، وربما قالوا: إنّما أنت أكل وشرب، وما أشبه ذلك. قالت الخنساء تصف بقرة:

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٣٧ باب ٢٦ ح ٢٢، علل الشرائع، ج ١ ص ١٣. باب ٧ ح ١، كمال الدين، ص ٢٤٢ باب ٢٣ ح ٤. (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٥ باب ٧ ح ٢.
(٣) الإحتجاج، ص ٥٣، تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٣٨٣.
(٤) كمال الدين، ص ٢٤٨ باب ٢٤ ح ٧. (٥) سورة الأنبياء، الآية: ٣٧.

ترتع ما رتعت حتّى إذا ادّكرت وإنّما هي إقبال وإدبار

وإنّما أرادت ما ذكرناه من كثرة وقوع الإقبال والإدبار منها، ويشهد لهذا التأويل قوله عزّوجلّ في موضع آخر: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ ويطابقه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ لأنَّ وصفهم بكثرة العجلة وأنَّ من شأنهم فعلها توبيخاً لهم وتقريعاً، ثمَّ نهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات من حيث كانوا متمكّنين من مفارقة طريقتهم في الاستعجال، وقادرين على التثبّت والتأيّد.

وثانيها: ما أجاب به أبو عبيدة وقطرب بن المستنير وغيرهما من أنَّ في الكلام قلباً، والمعنى: خلق العجل من الانسان، واستشهدوا على ذلك بقوله سبحانه ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي قد بلغت الكبر، وبقوله تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ والمعنى أنَّ العصبة تنوء بها، وتقول العرب: عرضت الناقة على الحوض، وإنّما هو: عرضت الحوض على الناقة، ثمَّ ذكر رحمه الله شواهد وأبياتاً كثيرة في ذلك، ثمَّ قال: ويبقى على صاحب هذا الجواب مع التغاضي له عن حمل كلامه تعالى على القلب أن يقال: وما المعنى والفائدة في قوله عزّوجلّ «خلق العجل من الإنسان»؟ أتريدون بذلك أنَّ الله تعالى خلق العجلة في الانسان؟ وهذا لا يجوز، لأنَّ العجلة فعل من أفعال الانسان، فكيف تكون مخلوقة فيه لغيره؟ ولو كان كذلك لما جاز أن ينهاهم عن الاستعجال في الآية فيقول ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ لأنّه لا ينهاهم عمّا خلقه فيهم، فإن قالوا: لم يرد أنّه تعالى خلقها، لكنّه أراد كثرة فعل الإنسان لها وأنّه لا يزال يستعملها، قيل لهم: هذا هو الجواب الّذي قدّمناه من غير حاجة إلى القلب والتقديم والتأخير، وإذا كان هذا المعنى يتمّ وينتظم على ما ذكرناه من غير قلب فلا حاجة بنا إليه. وقد ذكر أبو القاسم البلخيّ هذا الجواب في تفسيره واختاره وقوّاه، وسأل نفسه عنه وقال: كيف جاز أن يقول: فلا تستعجلون، وهو خلق العجلة فيهم؟ وأجاب بأنّه قد أعطاهم قدرة على مغالبة طبائعهم وكفّها، وقد يكون الإنسان مطبوعاً عليها وهو مع ذلك مأمور بالتثبّت قادر على أن يجانب العجلة، وذلك كخلقه في البشر شهوة النكاح، وأمرهم في كثير من الأوقات بالامتناع منه، وهذا الّذي ذكره البلخي تصريح بأنّ المراد بالعجل غيره، وهو الطبع الداعي إليه، والشهوة المتناولة له، ويجب أيضاً أن يكون المراد بـ(مِن) ههنا (في) لأنّ شهوة العجل لا تكون مخلوقة من الإنسان، وإنّما تكون فيه، وهذا تجوُّز على تجوّز، وتوسّع على توسّع، لأنّ القلب أوّلاً مجاز، ثمّ هو من بعيد المجاز، وذكر العجل والمراد به غيره مجاز آخر، وإقامة (مِن) مقام (في) كذلك، على أنّه تعالى إذا نهاهم عن العجلة بقوله عزّوجلّ: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ أيّ معنى لتقديم قوله: إنّي خلقت شهوة العجلة فيهم، والطبع الداعي إليها - على ما عبّر به البلخيّ -؟ وهذا إلى أن يكون عذراً لهم أقرب منه إلى أن يكون حجّة عليهم، وأيسر الأحوال أن لا يكون عذراً ولا احتجاجاً، فلا يكون

لتقديمه معنى. وفي الجواب الأوّل حسن تقديم ذلك على طريق الذمّ والتوبيخ والتقريع من غير إضافة له إليه عزّوجلّ، فالجواب الأوّل أوضح وأصحّ.

وثالثها: جواب روي عن الحسن، قال: يعني بقوله: ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ أي من ضعف وهي النطفة المتنتة المهينة الضعيفة، وهذا قريب إن كان في اللغة شاهد على أنّ العجل يكون عبارة عن الضعف أو عن معناه.

ورابعها: ما حكي أنّ أبا الحسن الأخفش أجاب به، وهو أن يكون المراد أنّ الإنسان خلق من تعجيل الأمر، لأنّه تعالى قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(١) فإن قيل: كيف يطابق هذا الجواب قوله من بعد ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾؟ قلنا: يمكن أن يكون وجه المطابقة أنّه لمّا استعجلوا بالآيات واستبطؤوها أعلمهم تعالى أنّه ممّن لا يعجزه شيء إذا أراده ولا يمتنع عليه، وأنّ من خلق الإنسان بلا كلفة ولا مؤونة بأن قال له كن فكان، مع ما فيه من بدائع الصنعة وعجائب الحكمة الّتي يعجز عنها كلّ قادر ويحار فيها كلّ ناظر لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات.

وخامسها: ما أجاب به بعضهم من أنّ العجل الطين، فكأنّه تعالى قال: خلق الإنسان من طين، كما قال في موضع آخر ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ واستشهد بقول الشاعر:

والنبع يخرج بين الصخر ضاحية والنخل ينبت بين الماء والعجل

ووجدنا قوماً يطعنون في هذا الجواب ويقولون: ليس بمعروف أنّ العجل هو الطين، وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم أنّ العجل الحمأة، ولم يستشهد عليه إلاّ أنّ البيت الّذي أنشدناه يمكن أن يكون شاهداً له، وقد رواه تغلب عن ابن الأعرابيّ وخالف في شيء من ألفاظه، وإذا صحّ هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ على نحو ما ذكرناه، وهو أنّ من خلق الانسان مع الحكمة الظاهرة فيه من الطين لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات، أو يكون المعنى أنّه لا يجب بمن خلق من الطين المهين وكان أصله هذا الأصل الحقير الضعيف أن يهزأ برسل الله تعالى وآياته وشرائعه، لأنّه تعالى قال قبل هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾(٢).

وسادسها: أن يكون المراد بالإنسان آدم عليه السلام ومعنى ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ أي في سرعة من خلقه، لأنّه تعالى لم يخلقه من نطفة، ثمّ من علقة، ثمّ من مضغة كما خلق غيره وإنّما ابتداه الله ابتداء وأنشأه إنشاءً، فكأنّه تعالى نبّه بذلك على الآية العجيبة في خلقه له، وأنّه عزّوجلّ يري عباده من آياته وبيّناته [أوّلاً] أوّلاً ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه أحوالهم.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٠. (٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٦.

وسابعها: ما روي عن مجاهد وغيره أنّ الله تعالى خلق آدم بعد خلق كلّ شيء آخر نهار يوم الجمعة على سرعة معاجلاً به غروب الشمس، وروي أنّ آدم عليه السلام لمّا نفخت فيه الروح وبلغت أعالي جسده ولم تبلغ أسافله قال: ربّ استعجل بخلقي قبل غروب الشمس.

وثامنها: ما روي عن ابن عبّاس والسدّيّ أن آدم عليه السلام لمّا خلق وجعلت الروح في أكثر جسده وثب عجلان مبادراً إلى ثمار الجنّة. وقال قوم: بل همّ بالوثوب، فهذا معنى قوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ﴾ وهذه الأجوبة الثلاثة المتأخّرة مبنيّة على أنّ المراد بالانسان فيها آدم عليه السلام دون غيره[1].

٤١ - باب آخر

نورد ما ذكره محمّد بن بحر الشيبانيّ المعروف بالدهنيّ في كتابه من قول مفضّلي الأنبياء والرسل [والأئمّة] والحجج على الملائكة صلوات الله عليهم أجمعين على ما أورده الصدوق رحمه الله في كتاب علل الشرائع ناقلاً عنه حيث قال:

قال مفضّلو الأنبياء والرسل والحجج على الملائكة: إنّا نظرنا إلى جميع ما خلق الله عزّ وجلّ من شيء علا علوّاً طبعاً واختياراً أو علا به قسراً واضطراراً، وما سفل شيء طبعاً واختياراً أو ما سفل به قسراً واضطراراً، فإذا هي ثلاثة أشياء بإجماع: حيوان نام وجماد، وأفلاك سائرة، وبالطبع الّذي طبعها عليه صانعها دائرة، وفي ما دونها عن إرادة خالقها مؤثّرة. وإنّهم نظروا في الأنواع الثلاثة وفي الأشياء الّتي هي أجناس منقسمة إلى جنس الأجناس الّذي هو شيء إذ يعطي كلّ شيء اسمه.

قالوا: ونظرنا أيّ الثلاثة هو نوع لما فوقه وجنس لما تحته أنفع وأرفع، وأيّها أدون وأوضع. فوجدنا أرفع الثلاثة الحيوان، وذلك بحقّ الحياة الّتي بان بها النامي والجماد، وإنّما رفعة الحيوان عندنا في حكمة الصانع وترتيبها أنّ الله تقدّست أسماؤه جعل النامي له غذاء، وجعل له عند كلّ داء دواء، وفي ما قدّر له صحّة وشفاء فسبحانه ما أحسن ما دبّره في ترتيب حكمته! إذ الحيوان الرفيع منه يغذو، ومنه لوقاية الحرّ والبرد يكسو، وعليه أيّام حياته ينشو. وجعل الجماد له مركزاً ومكدياً فامتهنه له امتهاناً، وجعل له مسرحاً وأكناناً، ومجامع وبلداناً، ومصانع وأوطاناً، وجعل له حزناً محتاجاً وسهلاً محتاجاً إليه، وعلواً ينتفع بعلوّه، وسفلاً ينتفع به وبمكاسبه برّاً وبحراً. فالحيوان مستمتع، فيستمتع بما جعل له فيه من وجوه المنفعة والزيادة والذبول عند الذبول وتتّخذ المركز عند التجسيم والتأليف من الجسم المؤلّف، تبارك الله ربّ العالمين.

قالوا: ثمّ إنّا نظرنا، فإذا الله عزّ وجلّ قد جعل المتّخذ بالروح والنموّ والجسم أعلى وأرفع

(١) أمالي المرتضى، ج ٢ ص ١١٥.

ممّا يتّخذ بالنموّ والجسم والتأليف والتصريف، ثمّ جعل الحيّ الّذي هو بالحياة الّتي هي غيره نوعين: ناطقاً وأعجم، ثمّ أبان الناطق من الأعجم بالنطق والبيان اللّذين جعلهما له، فجعله أعلى منه بفضيلة النطق والبيان. ثمّ جعل الناطق نوعين: حجّة ومحجوجاً، فجعل الحجّة أعلى من المحجوج، لإبانة الله الحجّة واختصاصه إيّاه بعلم علويّ يخصّه له دون المحجوجين، فجعله معلّماً من جهة باختصاصه إيّاه، وعلماً بأمره إيّاه أن يعلم بأنّ الله عزّوجلّ معلّم الحجّة دون أن يكله إلى أحد من خلقه، فهو متعال به، وبعضهم يتعالى على بعض بعلم يصل إلى المحجوجين من جهة الحجّة.

قالوا: ثمّ رأينا أصل الشيء الّذي هو آدم، فوجدناه قد جعله علماً على كلّ روحانيّ خلقه قبله، وجسمانيّ ذرأه وبرأه منه، فعلّمه علماً خصّه به لم يعلّمهم قبل ولا بعد، وفهّمه فهماً لم يفهمهم قبل ولا بعد. ثمّ جعل ذلك العلم الّذي علّمه ميراثاً فيه لإقامة الحجج من نسله على نسله، ثمّ جعل آدم لرفعة قدره وعلوّ أمره للملائكة الروحانيّين قبلة، وأقامه لهم محنة، فابتلاهم بالسجود إليه، فجعل - لا محالة - من أسجد له أعلى وأفضل ممّن أسجدهم، ولأنّ من جعل بلوى وحجّة أفضل ممّن حجّهم به، ولأنّ إسجاده جلّ وعزّ إيّاهم للخضوع ألزمهم الاتّضاع منهم له، والمأمورين بالاتّضاع بالخضوع والخشوع والاستكانة دون من أمرهم بالخضوع له، ألا ترى إلى من أبى الائتمار لذلك الخضوع ولتلك الاستكانة فأبى واستكبر ولم يخضع لمن أمره له بالخضوع كيف لعن وطرد عن الولاية، وأدخل في العداوة، فلا يرجى له من كبوته الإقالة آخر الأبد فرأينا السبب الّذي أوجب الله عزّوجلّ لآدم عليهم فضلاً، فإذا هو العلم خصّه الله عزّوجلّ دونهم، فعلّمه الأسماء، وبيّن له الأشياء، فعلا بعلمه من لا يعلم. ثمّ أمره جلّ وعزّ أن يسألهم سؤال تنبيه لا سؤال تكليف عمّا علمه بتعليم الله عزّوجلّ إيّاه ممّا لم يكن علّمهم، ليريهم جلّ وعزّ علوّ منزلة العلم ورفعة قدره، كيف خصّ العلم محلاً وموضعاً اختاره له، وأبان ذلك المحلّ عنهم بالرفعة والفضل.

ثمّ علمنا أنّ سؤال آدم إيّاهم عمّا سألهم عنه ممّا ليس في وسعهم وطوقهم الجواب عنه سؤال تنبيه لا سؤال تكليف، لأنّه جلّ وعزّ لا يكلّف ما ليس في وسع المكلّف القيام به. فلمّا لم يطيقوا الجواب عمّا سئلوا علمنا أنّ السؤال كان كالتقرير منه لهم يقرن به اتّضاعهم بالجهالة عمّا علّمه إيّاه، وعلوّ خطره وقدره، واختصاصه إيّاه بعلم لم يخصّهم به، فالتزموا الجواب بأن قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾(١). ثمّ جعل الله عزّوجلّ آدم عليه السلام معلّم الملائكة بقوله ﴿أَنبِئْهُم﴾ لأنّ الإنباء من النبأ تعليم، والأمر بالإنباء من الآمر تكليف يقتضي طاعة وعصياناً، والإصغاء من الملائكة للتعليم والتوقيف والتفهيم والتعريف تكليف يقتضي طاعة وعصياناً، فمن ذهب منكم إلى فضل المتعلّم على المعلّم، والموقّف على الموقف،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٢.

والمعرَّف على المعرِّف، كان في تفضيله تعكيس لحكمة الله عزّوجلّ ، وقلب لترتيبها الّتي رتّبها الله عزّوجلّ ، فإنّه على قياد مذهبه أن تكون الأرض الّتي هي المركز أعلى من النامي الّذي هو عليها الّذي فضّله الله عزّوجلّ بالنموّ، والنامي أفضل وأعلى من الحيوان الّذي فضّله الله جلّ جلاله بالحياة والنموّ والروح، والحيوان الأعجم الخارج عن التكليف والأمر والزجر أعلى وأفضل من الحيوان الناطق المكلّف للأمر والزجر، والحيوان الّذي هو المحجوج أعلى من الحجّة الّتي هي حجّة الله عزّوجلّ فيها، والمتعلّم أعلى من المعلّم وقد جعل الله عزّوجلّ آدم حجّة على كلّ من خلق من روحاني، وجسمانيّ إلاّ من جعل له أوّليّة الحجّة. فقد روي لنا أنّ حبيب بن مظاهر الأسديّ - بيّض الله وجهه - أنّه قال للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أيّ شيء كنتم قبل أن يخلق الله عزّوجلّ آدم عليه السلام؟ قال: كنّا أشباح نور ندور حول عرش الرحمن، فنعلّم الملائكة التسبيح والتهليل والتحميد. ولهذا تأويل دقيق ليس هذا مكان شرحه، وقد بيّنّاه في غيره.

قال مفضّلو الملائكة: إنّ مدار الخلق روحانيّاً كان أو جسمانيّاً على الدنوّ من الله عزّوجلّ والرفعة والعلوّ، والزلفة والسموّ، وقد وصف الله جلّت عظمته الملائكة من ذلك بما لم يصف به غيرهم، ثمّ وصفهم بالطاعة الّتي عليها موضع الأمر والزجر والثواب والعقاب، فقال عزّوجلّ : ﴿لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1] ثمّ جعل محلّهم الملكوت الأعلى، فبراهينهم على توحيده أكثر، وأدلّتهم عليه أشهر وأوفر، وإذا كان ذلك كذلك كان حظّهم من الزلفة أجلّ، ومن المعرفة بالصانع أفضل.

قالوا: ثمّ رأينا الذنوب والعيوب الموردة النار ودار البوار كلّها من الجنس الّذي فضّلتموه على من قال الله عزّوجلّ في نعتهم لمّا نعتهم ووصفهم بالطاعة لمّا وصفهم ﴿لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ قالوا: كيف يجوز فضل جنس فيهم كلّ عيب ولهم كلّ ذنب على من لا عيب فيهم ولا ذنب منهم لا صغائر ولا كبائر؟

والجواب: أنّ مفضّلي الأنبياء والحجج عليهم السلام قالوا: إنّا لا نفضّل ههنا الجنس على الجنس، ولكنّا فضّلنا النوع على النوع من الجنس، كما أنّ الملائكة كلّهم ليسوا كإبليس وهاروت وماروت لم يكن البشر كلّهم كفرعون الفراعنة وكشياطين الإنس المرتكبين المحارم، المقدمين على المآثم. وأمّا قولكم في الزلفة والقربة فإنّكم إن أردتم زلفة المسافات وقربة المداناة فالله عزّوجلّ أجلّ، وممّا توهّمتموه أنزه، وفي الأنبياء والحجج من هو أقرب إلى قربه بالصالحات، والقربات الحسنات، وبالنيّات الطاهرات من كلّ خلق خلقهم، والقرب والبعد من الله جلّت عظمته بالمسافة والمدى تشبيه له بخلقه، وهو من ذلك نزيه.

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

وأمّا قولهم في الذنوب والعيوب فإنّ الله جلّت أسماؤه جعل الأمر والزجر أسباباً وعللاً، والذنوب والمعاصي وجوهاً، فالله جلّ جلاله هو الّذي جعل قاعدة الذنوب من جميع المذنبين من الأوّلين والآخرين إبليس، وهو من حزب الملائكة وممّن كان في صفوفهم، وهو رأس الأبالسة، وهو الداعي إلى عصيان الصانع، والموسوس والمزيّن لكلّ من تبعه وقبل منه وركن إليه الطغيان، وقد أمهل الملعون لبلوى أهل البلوى في دار الابتلاء، فكم من بريّة نبيه، وفي طاعة الله عزّ وجلّ وجيه، وعن معصيته بعيد وقد أقمأ إبليس وأقصاه وزجره ونفاه، فلم يلو له على أمر إذا أمر ولا انتهى عن زجر إذا زجر له لمّات في قلوب الخلق مكافىء من المعاصي لمّات الرحمن، فلمّات الرحمن دافعة للمّاته ووسوسته وخطراته، ولو كانت المحنة بالملعون واقعة بالملائكة، والابتلاء به قائماً كما قام في البشر، ودائماً كما دام، لكثرت من الملائكة المعاصي، وقلّت فيهم الطاعات، إذا تمّت فيهم الآلات، فقد رأينا المبتلى من صفوف الملائكة بالأمر والزجر مع آلات الشهوات كيف انخدع بحيث دنا من طاعته، وكيف بعد ممّا لم يبعد منه الأنبياء والحجج الّذين اختارهم الله على علم على العالمين، إذ ليست هفوات البشر كهفوة إبليس في الاستكبار، وفعل هاروت وماروت في ارتكاب المزجور.

قال مفضّلو الملائكة: إنّ الله جلّ جلاله وضع الخضوع والخشوع والتضرّع والخنوع حلية، فجعل مداها وغايتها آدم عليه السلام ففازت الملائكة في هذه الحلية وأخذوا منها بنصيب الفضل والسبق، فجعل للطاعة فأطاعوا الله فيه، ولو كان هناك بنو آدم لما أطاعوه فيما أمر وزجر، كما لم يطعه قابيل، فصار إمام كلّ قاتل.

جواب مفضّلي الأنبياء والحجج عليهم السلام، قالوا: إنّ الابتلاء الّذي ابتلى به الله عزّ وجلّ الملائكة من الخشوع والخضوع لآدم عن غير شيطان مغوٍ وعدوّ مطغٍ، فاصل بغوايته بين الطائعين والعاصين؛ والمقيمين على الاستقامة عن الميل، وعن غير آلات المعاصي الّتي هي الشهوات المركّبات في عباده المبتلين، وقد ابتلى من الملائكة من ابتلى فلم يعتصم بعصمة الله الوثقى، بل استرسل للمخادع الّذي كان أضعف منها. وقد روينا عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: إنّ في الملائكة من باقة بقل خير منه، والأنبياء والحجج يعلمون ذلك لهم وفيهم ما جهلناه، وقد أقرّ مفضّلو الملائكة بالتفاضل بينهم كما أقرّ بالتفاضل بين ذوي الفضل من البشر. ومن قال: إنّ الملائكة جنس من خلق الله عزّ وجلّ تقلّ فيهم العصاة كهاروت وماروت وكإبليس اللعين، إذ الابتلاء فيهم قلّ فليس ذلك بموجب أن يكون فاضلهم أفضل من فاضل البشر الّذين جعل الله عزّ وجلّ الملائكة خدمهم إذا صاروا إلى دار المقامة الّتي ليس فيها حزن ولا همّ ولا نصب ولا سقم ولا فقر.

قال مفضّلو الملائكة: إنّ الحسن البصريّ يقول: إنّ هاروت وماروت علجان من أهل

بابل، وأنكر أن يكونا من الملائكة، فلم تعترضونا بالحجّة بهما وبإبليس فتحتجّون علينا بجنّي فيه.

قال مفضّلو الأنبياء والحجج ﷺ: ليس شذوذ الحسن عن جميع المفسّرين من الأمّة بموجب أن يكون ما يقول كما يقول، وأنتم تعلمون أنّ الشيء لا يستثنى إلاّ من جنسه، وتعلمون أنّ الجنّ سمّوا جنّاً لاجتنانهم عن الرؤية إلاّ إذا أرادوا الترائي بما جعل الله عزّ وجلّ فيهم من القدرة على ذلك، وأنّ إبليس من صفوف الملائكة وغير جائز في كلام العرب أن يقول قائل: جاءت الإبل كلّها إلاّ حماراً، ووردت البقر كلّها إلاّ فرساً، فإبليس من جنس ما استثنى. وقول الحسن في هاروت وماروت بأنّهما علجان من أهل بابل شذوذ شذّ به عن جميع أهل التفسير، وقول الله عزّ وجلّ يكذّبه إذ قال ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ ﴿بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾[1] وليس في قولكم عن قول الحسن فرج لكم، فادّعوا ما لا فائدة فيه من علّة، ولا عائدة من حجّة.

قال مفضّلو الملائكة: قد علمتم ما للملائكة في كتاب الله عزّ وجلّ من المدح والثناء ممّا بانوا به عن خلق الله جلّ وعلا، إذ لو لم يكن فيه إلاّ قوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الكفى][2].

قال مفضّلو الأنبياء والحجج ﷺ: لو استقصينا آي القرآن في تفضيل الأنبياء والحجج صلوات الله عليهم أجمعين لاحتجنا لذلك إلى التطويل والإكثار، وترك الإيجاز والاختصار، وفي ماجئنا به من الحجج النظريّة الّتي تزيح العلل من الجميع مقنع، إذ ذكرنا ترتيب الله عزّ وجلّ خلقه، فجعل الأرض دون النامي، والنامي أعلى وأفضل من الأرض، وجعل النامي دون الحيوان، والحيوان أعلى وأرفع من النامي وجعل الحيوان الأعجم دون الناطق، وجعل الحيوان الناطق أفضل من الحيوان الأعجم وجعل الحيوان الجاهل الناطق دون الحيوان العالم الناطق، وجعل الحيوان العالم الناطق المحجوج دون الحيوان العالم الحجّة، ويجب على هذا الترتيب أنّ المعرب المبين أفضل من الأعجم غير الفصيح، ويكون المأمور المزجور مع تمام الشهوات وما فيهم من طباع حبّ اللذّات ومنع النفس من الطلبات والبغيات ومع البلوى بعدوّ يمهل يمتحن بمعصيته إيّاه وهو يزيّنها له محسناً بوسوسته في قلبه وعينه أفضل من المأمور المزجور مع فقد آلة الشهوات وعدم معاداة هذا المتوصّل له بتزيين المعاصي والوسوسة إليه. ثمّ هذا الجنس نوعان: حجّة ومحجوج، والحجّة أفضل من المحجوج، ولم يحجج آدم الّذي هو أصل البشر بواحد من الملائكة تفضيلاً من الله عزّ وجلّ إيّاه عليهم، وحجج جماهير الملائكة بآدم، فجعله العالم بما لم يعلموا وخصّه بالتعليم ليبيّن لهم أنّ المخصوص بما خصّه به ممّا لم يخصّهم أفضل من غير المخصوص بما

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة الأنبياء، الآيتان: ٢٦-٢٧.

لم يخصّه به وهذا الترتيب حكمة الله عزّوجلّ، فمن ذهب يروم إفسادها ظهر منه عناد من مذهبه وإلحاد في طلبه. فانتهى الفضل إلى محمّد صلى الله عليه وآله لأنّه ورث آدم وجميع الأنبياء، ولأنّه الاصطفاء الّذي ذكره الله عزّوجلّ فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(١) فمحمّد الصفوة والخالص، نجيب النجابة من آل إبراهيم فصار خير آل إبراهيم بقوله ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾ واصطفى الله جلّ جلاله آدم ممّن اصطفاه عليهم من روحانيّ وجسمانيّ. والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله [و] حسبنا الله ونعم الوكيل.

قال الصدوق: إنّما أردت أن تكون هذه الحكاية في هذا الكتاب، وليس قولي في إبليس أنّه كان من الملائكة، بل كان من الجنّ، إلاّ أنّه كان يعبد الله بين الملائكة وهاروت وماروت ملكان، وليس قولي فيهما قول أهل الحشو، بل كانا عندي معصومين ومعنى هذه الآية ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ - الآية - إنّما هو: واتّبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وعلى ما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، وقد أخرجت في ذلك خبراً مسنداً في كتاب عيون الأخبار عن الرضا عليه السلام(٢).

توضيح: قوله «وجماد» لعلّ مراده بالجماد غير الحيوان ليشمل النبات، وكأنّه كان هكذا: حيوان، ونام وجماد، فقوله «وأفلاك» عطف على ثلاثة أو على جماد وهما قسم واحد، لأنّ الأفلاك أيضاً على مذهب أهل الحقّ من الجماد. قوله «إلى جنس الأجناس» الظرف متعلّق بـ«نظروا» ويحتمل تعلّقه بـ«منقسمة» على شبه القلب، أي هي أقسامه، كأنّه جعل جنس الأجناس مفهوم الشيئيّة ولا يقول بإطلاق الشيء على الواجب تعالى شأنه، وفيه نظر من وجوه، ويحتمل أن تكون كلمة (إذ) زائدة، فتأمّل.

قوله: «هو نوع» صفة للثلاثة، أي كلّ منها «بان بها النامي» أي من النامي «جعل النامي له» أي للحيوان «وجعل له» أي جعله له، وكأنّه كان كذلك. قوله «ومكدياً» كذا في النسخ، وكأنّه من الكدية، قال في النهاية: الكدية قطعة غليظة صلبة لا يعمل فيها الفأس، وأكدى الحافر إذا بلغها، وفيه أنّ فاطمة خرجت في تعزية بعض جيرانها، فلمّا انصرفت قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: لعلّك بلغت معهم الكدى، أراد المقابر، وذلك لأنّها كانت مقابرهم في مواضع صلبة وهي جمع كدية (انتهى) ويشبه أن يكون فيه تصحيف. والمهنة - بالكسر والفتح والتحريك وككلمة -: الحذق بالخدمة وامتهنه: استعمله للمهنة. ذكره الفيروز آباديّ. وقال: المصنعة كالحوض يجمع فيه ماء المطر كالمصنع، والمصانع: الجمع، والقرى، والمباني من القصور والحصون (انتهى).

«دون من أمرهم» أي أدون منهم، والمدى: الغاية، ويطلق على المسافة أيضاً وفي المصباح: نبه - بالضمّ - نباهة: شرف، وهو نبيه. وأقمأه: صغّره وأذلّه. وفي النهاية: فيه

---
(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٧ باب ١٨ ح ١٠.

«فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد» أي لا يلتفت ولا يعطف عليه. وقال: فيه: «لابن آدم لمّتان لمّة من الملك ولمّة من الشيطان». اللّمّة: الهمّة والخطرة تقع في القلب، أراد إلمام الملك أو الشيطان به والقرب منه، فما كان من خطرات الخير فهو من الملك، وما كان من خطرات الشرّ فهو من الشيطان.

قوله «من طاعته» أي طاعة الشيطان. والهفوة: الزلّة، وفي النهاية: الخانع الذليل الخاضع. قوله (حلية) في أكثر النسخ بالياء المثنّاة، والأظهر أنّه بالباء الموحّدة في القاموس: الحلبة - بالفتح -: الدفعة من الخيل في الرهان، وخيل تجمع للسباق من كلّ أوب لا تخرج من اصطبل واحد (انتهى).

«فجعل مداها وغايتها» أي غاية الحلبة في السباق، وعلى النسخة الأولى كان المعنى أنّه كان قبلة للخنوع والخضوع، فجعل على بناء المجهول، والضمير للسبق أو آدم. وفي الصحاح: استرسل إليه: انبسط واستأنس. وقال: الباقة من البقل: الحزمة منه. وفي المصباح: العلج: الرجل الضخم من كفّار العجم، وبعض العرب قد يطلق العلج على الكافر مطلقاً. قوله: «لاجتنانهم» أي استتارهم، وفي الصحاح: زاح الشيء يزيح زيحاً: بعد وذهب.

٤٢ - باب بدء خلق الإنسان في الرحم إلى آخر أحواله

الآيات: آل عمران: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ «١».

الأنعام: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ «٢».

هود: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ «٦١».

الرعد: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾.

النحل: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾.

مريم: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾.

الحج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ «٥».

المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ

خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾.

الروم: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

لقمان: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ «١٤».

التنزيل [السجدة]: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾.

فاطر: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

يس: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾.

الزمر: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ «٧٧».

المؤمن [غافر]: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

حمعسق [الشورى]: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾.

النجم: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾.

الواقعة: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

التغابن: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ «٣».

الملك: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

نوح: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾.

القيامة: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

الدهر [الإنسان]: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾.

المرسلات: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

النبأ: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾﴾.

عبس: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾.

الإنفطار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾.

الطارق: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾.

تفسير: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: أي يخلق صوركم ﴿فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ على أيّ صورة شاء، وعلى أيّ صفة شاء، من ذكر وأنثى أو صبيح أو دميم، أو طويل أو قصير. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أفعاله. ودلّت الآية على وحدانيّة الله سبحانه وتمام قدرته وكمال حكمته حيث صوّر الولد في رحم الأمّ على هذه الصفة، وركّب فيه أنواع البدائع من غير آلة ولا كلفة، وقد تقرّر في عقل كلّ عاقل أنّ العالم لو اجتمعوا أن يجعلوا من الماء بعوضة ويصوّروا منه صورة في حال ما يشاهدونه ويعرفونه لم يقدروا على ذلك ولا وجدوا إليه سبيلاً، فكيف يقدرون على الخلق في الأرحام؟ فتبارك الله أحسن الخالقين. وهذا الاستدلال مرويّ عن جعفر بن محمّد عليه السلام[1].

﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حوّاء كما مرّ ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ أي نشر وفرّق من هاتين النفسين على وجه التناسل رجالاً كثيراً ونساءً. وقال البيضاويّ: واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها إذ الحكمة تقتضي أن يكنّ أكثر، وذكر ﴿كَثِيرًا﴾ حملاً على الجمع[2].

﴿خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ قيل أي ابتدأ خلقكم منه، فإنّه المادّة الأولى، أو إنّ آدم الّذي هو أصل البشر خلق منه، أو خلق أباكم، فحذف المضاف إليه[3] (انتهى) ويحتمل أن يكون المراد الطين الّذي سيأتي في الأخبار أنّه يذرّ في النطفة. ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ قيل: أي هو كوّنكم منها لا غيره، فإنّه خلق آدم وموادّ النطف الّتي خلق نسله منها من الأرض. ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ قيل: أي عمّركم فيها واستبقاكم من العمر، أو أقدركم على عمارتها وأمركم بها. وقيل: هو من العمرى، بمعنى أعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام أعماركم، أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدّة عمركم ثمّ تتركونها لغيركم[4].

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٢٣٧.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٣١٨.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٤.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٧٢.

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله : يعلم ما في بطن كلّ حامل من ذكر أو أنثى تامّ أو غير تامّ، ويعلم لونه وصفاته ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ أي يعلم الوقت الّذي تنقصه الأرحام من المدّة الّتي هي تسعة أشهر ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ على ذلك، عن أكثر المفسّرين، وقيل: ما تغيض الولد الّذي تأتي به المرأة لأقلّ من ستّة أشهر، وما تزداد الولد الّذي تأتي به لأقصى مدّة الحمل، وقيل: معناه ما تنقص الأرحام من دم الحيض وهو انقطاع الحيض، وما تزداد بدم النفاس بعد الوضع(١).

وقال البيضاوي: أي وما تنقصه وما تزداد في الجثّة والمدّة والعدد. وقيل: المراد نقصان دم الحيض وازدياده، و«غاض» جاء لازماً ومتعدّياً، وكذا «ازداد»(٢).

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ قيل: أي بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه، وفي الأخبار: أي بتقدير خلق الانسان من نطفة. قال البيضاويّ: من جماد لا حسّ بها ولا حراك، سيّالة لا تحفظ الوضع والشكل ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ منطيق مجادل ﴿مُّبِينٌ﴾ للحجّة، أو خصيم مكافح لخالقه قائل: من يحيي العظام وهي رميم(٣)؟ ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ بل كان عدماً صرفاً، فإنّه أعجب من جمع الموادّ بعد التفريق الّذي ينكر منكر البعث(٤).

﴿فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ قال البيضاويّ: من إمكانه وكونه مقدوراً ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾ أي فانظروا في بدء خلقكم، فإنّه يزيح ريبكم، فإنّا خلقناكم ﴿مِّن تُرَابٍ﴾ بخلق آدم منه والأغذية الّتي يتكوّن منها المنيّ ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي من منيّ، من النطف وهو الصبّ ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ قطعة من الدم جامدة ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ قطعة من اللحم بقدر ما يمضغ ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ مسوّاة لا نقص فيها ولا عيب، وغير مسوّاة أو تامّة وساقطة، أو مصوّرة وغير مصوّرة ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا فإنّ ما قبل التغيّر والفساد والتكوّن مرّة قبلها أُخرى، وإنّ من قدر على تغييره وتصويره أوّلاً قدر على ذلك ثانياً، وحذف المفعول إيماء إلى أنّ الأفعال هذه يتبيّن بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ أن نقرّه ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو وقت الوضع، وقرىء (ونقرّ) بالنصب، وكذا قوله: «ثم نخرجكم» عطفاً على (نبيّن) كأنّ خلقهم مدرّج لغرضين: تبيين القدرة، وتقريرهم في الأرحام حتّى يولدوا وينشؤوا، أو يبلغوا حدّ التكليف، و﴿طِفْلًا﴾ حال أُجريت على تأويل كلّ واحد، أو للدلالة على الجنس، أو لأنّه في الأصل مصدر ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ أي كمالكم في القوّة والعقل، جمع شدّة. ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ عند بلوغ الأشدّ أو قبله ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ أي الهرم والخرف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ أي ليعود كهيئته الأولى في أوان الطفوليّة من سخافة العقل وقلّة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه؛ وأنه استدلال ثان على

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ١٧.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣٣٥.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣٩٢.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٥٩.

إمكان البعث بما يعتري الإنسان في أسنانه من الأمور المختلفة والأحوال المتضادّة، فإنّ من قدر على ذلك قدر على نظائره(١).

﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ من خلاصة سلّت من بين الكدر ﴿مِّن طِينٍ﴾ متعلّق بمحذوف لأنّه صفة لسلالة أو بمعنى سلالة، لأنّها في معنى مسلولة، فتكون ابتدائيّة كالأوّل، والإنسان آدم خلق من صفوة سلّت من الطين، أو الجنس فإنّهم خلقوا من سلالات جعلت نطفاً بعد أدوار، وقيل: المراد بالطين آدم لأنّه خلق منه، والسلالة نطفته ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي ثمّ جعلنا نسله، فحذف المضاف (نُطْفَةً) بأن خلقناه منها، أو ثمّ جعلنا السلالة نطفة، وتذكير الضمير على تأويل الجوهر أو المسلول أو الماء ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ أي مستقرّ حصين يعني الرحم ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ بأن أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ أي فصيّرناها قطعة لحم ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ بأن صلّبناها ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ ممّا بقي من المضغة، أو ممّا أنبتنا عليها ممّا يصل إليها، واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات، والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ هو صورة البدن والروح والقوى بنفخة فيه أو المجموع، و﴿ثُمَّ﴾ لما بين الخلقتين من التفاوت ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ أي المقدّرين تقديرا(٢). ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ﴾ أي ثمّ فاجأتم وقت كونكم بشراً منتشرين في الأرض(٣). ﴿وَهْنًا﴾ أي ذات وهن أو تهن وهناً ﴿عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي تضعف ضعفاً فوق ضعف، فإنّها لا تزال يتضاعف ضعفها، والجملة في موضع الحال ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ أي وفطامه في انقضاء عامين(٤).

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ أي خلقه موفّراً عليه ما يستعدّه ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة، و﴿خَلَقَهُۥ﴾ بدل من ﴿كُلَّ﴾ بدل الاشتمال، وقيل: علم كيف يخلقه. وقرأ نافع والكوفيّون بفتح اللام على الوصف ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ﴾ يعني آدم ﴿مِن طِينٍ﴾ ثمّ جعل نسله» أي ذرّيّته، سمّيت به لأنّها تنسلّ منه أي تنفصل ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ أي ممتهن(٥). وقال الطبرسيّ رحمه الله أي ضعيف، وقيل: حقير مهان، أشار إلى أنّه من شيء حقير لا قيمة له وإنّما يصير ذا قيمة بالعلم والعمل(٦).

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ قال البيضاويّ: أي قوّمه بتصوير أعضائه على ما ينبغي ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ أضافه إلى نفسه تشريفاً، وإظهاراً بأنّه خلق عجيب، وأن له شأناً له مناسبة إلى الحضرة الربوبيّة، ولأجله من عرف نفسه فقد عرف ربّه ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ خصوصاً لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي تشكرون شكراً قليلاً(٧).

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٣٣.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٦١.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٢٤٢.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٥٧.
(٥) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٦٥.
(٦) مجمع البيان، ج ٨ ص ١٠٢.
(٧) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٦٦.

﴿مِن تُرَابٍ﴾ بخلق آدم منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ بخلق ذرّيّته منها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً﴾ ذكراناً وإناثاً ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ أي إلاّ معلومة له ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ أي وما يمدّ في عمر من مصيره إلى الكبر ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ من عمر المعمّر لغيره بأن يعطى له عمر ناقص من عمره، أو لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصاً والضمير له وإن لم يذكر لدلالة مقابله عليه أو للمعمّر على التسامح فيه ثقةً بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبداً ولا يعاقبه إلاّ بحق وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت في اللوح مثل أن يكون فيه إن حجّ واعتمر فعمره ستّون سنة وإلاّ فأربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمرّ من عمره وينقص فإنّه يكتب في صحيفة عمره يوماً فيوماً ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ هو علم الله أو اللوح أو الصحيفة ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ إشارة إلى الحفظ أو الزيادة والنقص(١).

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ بيان لكيفيّة خلق ما ذكر من الأناسيّ والأنعام إظهاراً لما فيه من عجائب القدرة، غير أنّه غلّب أولي العقل أو خصّهم بالخطاب لأنّهم المقصودون ﴿خَلْقاً مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ حيواناً سويّاً من بعد عظام مكسوّة لحماً، من بعد عظام عارية، من بعد مُضغ، من بعد علق، من بعد نُطف ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ ظلمة البطن والرحم والمشيمة، أو الصلب والرحم والبطن(٢).

أقول: الأوّل رواه الطبرسيّ رحمه الله عن أبي جعفر عليه السلام (٣).

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا﴾ أي ثمّ يبقيكم لتبلغوا، وكذا قوله تعالى ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا﴾. ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل الشيخوخة أو بلوغ الأشدّ ﴿وَلِتَبْلُغُوا﴾ قيل: أي ويفعل ذلك لتبلغوا ﴿أَجَلاً مُّسَمًّى﴾ هو وقت الموت أو يوم القيامة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ما في ذلك من الحجج والعبر(٤).

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثاً﴾ قال البيضاويّ: المعنى يجعل أحوال العباد في الأولاد مختلفة على مقتضى المشيّة، فيهب لبعض إمّا صنفاً واحداً من ذكر أو أنثى أو الصنفين جميعاً ويعقم آخرين، ولعلّ تقديم الإناث لأنّه أكثر لتكثير النسل، أو لأنّ مساق الآية للدلالة على أنّ الواقع ما يتعلّق به مشيّة الله تعالى لا مشيّة الإنسان والإناث كذلك، أو لأنّ الكلام في البلاء والعرب تعدّهنّ بلاء، أو لتطييب قلوب آبائهنّ، أو للمحافظة على الفواصل(٥).

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ أي أعلم بأحوالكم منكم ﴿إِذْ أَنشَأَكُم﴾ أي علم أحوالكم ومصارف أموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم، وحينما صوّركم في الأرحام(٦). ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ أي تدفق في الرحم أو تخلق أو يقدّر منها الولد من منيّ إذا قدّر. ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ أي تقذفونه

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٤١٩.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٨.
(٣) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٨٧.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٦٥.
(٥) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٩٧.
(٦) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٠٨.

في الأرحام من النطف ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ أي تجعلونه بشراً سوياً[١]. ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ قيل: أي فصوَّركم من جملة ما خلق في السماوات والأرض بأحسن صورة، حيث زيّنكم بصفوة أوصاف الكائنات، وخصّكم بخلاصة خصائص المبدعات، وجعلكم أنموذج جميع المخلوقات ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ فأحسنوا سرائركم حتّى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم[٢]. ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ لتسمعوا المواعظ ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ لتنظروا صنائعه ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ لتعتبروا وتتفكّروا ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ باستعمالها في ما خلقت لأجلها[٣].

﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ قيل: أي لا تأملون له توقيراً أي تعظيماً لمن عبده وأطاعه فتكونوا على حال تأملون فيها تعظيمه إيّاكم ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ حال مقدّرة للإنكار من حيث إنّها موجبة للرجاء فإنّ خلقهم أطواراً أي تارات، إذ خلقهم أوّلاً عناصر، ثمّ مركّبات يغذي الانسان، ثمّ أخلاطاً ثمّ نُطفاً، ثمّ علقاً، ثمّ مُضغاً، ثمّ عظاماً ولحوماً، ثمّ أنشأهم خلقاً آخر، فإنّه يدلّ على أنّه يمكن أن يعيدهم تارة أُخرى فيعظّمهم بالثواب وعلى أنّه تعالى عظيم القدرة، تامّ الحكمة[٤]. وقال عليّ بن إبراهيم: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ يقول: لا تخافون لله عظمة. وقال عليّ بن إبراهيم في قوله ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ قال: على اختلاف الأهواء والإرادات والمشيّات[٥]. ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ قيل: أي أنشأكم منها، فاستعير الإنبات للإنشاء لأنّه أدلّ على الحدوث والتكوين من الأرض، وأصله: أنبتكم إنباتاً فنبتّم نباتاً، فاختصر اكتفاءً بالدلالة الالتزاميّة ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ مقبورين ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ بالحشر، وأكّده بالمصدر كما أكّد به الأوّل دلالة على أنّ الإعادة محقّقة كالابتداء وأنّها تكون لا محالة[٦]. وقال عليّ بن إبراهيم: ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي على الأرض[٧]. ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ قيل: أي قدّره فعدله ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ أي الصنفين[٨].

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ قال البيضاويّ: استفهام تقرير وتقريب، ولذلك فسّر بقد، وأصله أهل. ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ طائفة محدودة من الزمان الممتدّ الغير المحدود ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ بل كان نسياً منسيّاً غير مذكور بالانسانيّة كالعنصر، والنطفة، والجملة حال من الانسان أو وصف لحين بحذف الراجع، والمراد بالإنسان الجنس لقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أو آدم، بيّن أوّلاً خلقه، ثمّ ذكر خلق بنيه من نطفة ﴿أَمْشَاجٍ﴾ أي أخلاط، جمع مشيج أو مشج، من مشجت الشيء إذا خلطته، وجمع النطفة به لأنّ المراد بها مجموع منيّ الرجل والمرأة،

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٣٦.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٨٣.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٠٢.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٢٨.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٧٦.
(٦) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٢٨.
(٧) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٧٦.
(٨) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٥٥.

وكلّ منهما مختلفة الأجزاء في الرقّة والقوام والخواصّ، ولذلك يصير كلّ جزء منهما مادّة عضو وقيل: مفرد كأعشار، وقيل: ألوان، فإنّ ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اختلطا اخضرّا، أو أطوار، فإنّ النطفة تصير علقة ثمّ مضغة إلى تمام الخلقة ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ في موضع الحال، أي مبتلين له بمعنى مريدين اختباره، أو ناقلين له من حال إلى حال فاستعار له الابتلاء ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ ليتمكّن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبّب من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيّد به ورتّب عليه قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾[(١)].

وقال الطبرسيّ رحمه الله: قد كان شيئاً إلاّ أنّه لم يكن مذكوراً، لأنّه كان تراباً وطيناً إلى أن نفخ فيه الروح. وقيل: إنّه أتى على آدم أربعون سنة لم يكن شيئاً مذكوراً لا في السماء ولا في الأرض بل كان جسداً ملقى من طين قبل أن ينفخ فيه الروح. وروي عن ابن عبّاس أنّه تمّ خلقه بعد عشرين ومائة سنة[(٢)].

وروى العيّاشي بإسناده عن عبد الله بن بكير عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ قال: كان شيئاً ولم يكن مذكوراً. وبإسناده عن شعيب الحدّاد عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان مذكوراً في العلم ولم يكن مذكوراً في الخلق. وعن عبد الأعلى مولى آل سام عن أبي عبد الله عليه السلام مثله. وعن حمران بن أعين قال: سألته عنه فقال: كان شيئاً مقدّراً ولم يكن مكوّناً. وفي هذا دلالة على أنّ المعدوم معلوم وإن لم يكن مذكوراً، وأنّ المعدوم يسمّى شيئاً. فإذا حمل الإنسان على الجنس فالمراد أنّه قبل الولادة لا يعرف ولا يذكر ولا يدرى من هو وما يراد به، بل يكون معدوماً، ثمّ يوجد في صلب أبيه، ثمّ في رحم أمّه إلى وقت الولادة. ﴿أَمْشَاجٍ﴾ أي أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة في الرحم فأيّهما علا صاحبه كان الشبه له عن ابن عبّاس وغيره، وقيل: أمشاج أطوار، وقيل: أراد اختلاف الألوان فنطفة الرجل بيضاء وحمراء، ونطفة المرأة خضراء وحمراء فهي مختلفة الألوان، وقيل: نطفة مشجت بدم الحيض فإذا حبلت ارتفع الحيض، وقيل هي العروق الّتي تكون في النطفة، وقيل: أخلاط من الطبائع الّتي تكون في الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة جعلها الله في النطفة، ثمّ بناه البنية الحيوانيّة المعدّلة الأخلاط، ثمّ جعل فيه الحياة، ثمّ شقّ له السمع والبصر فتبارك الله أحسن الخالقين (انتهى)[(٣)].

وأقول - على سبيل الاحتمال -: لا يبعد أن يكون كونه أمشاجاً إشارة إلى الشؤون المختلفة الّتي جعلها الله في الانسان بتبعيّة ما جعل فيه من العناصر المختلفة والصفات المتضادّة، والموادّ المتباينة.

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٥٦. (٢) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢١٢.

(٣) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢١٣.

﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ نطفة قذرة ذليلة[(١)]، وقال عليُّ بن إبراهيم: منتن ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ قال: في الرحم[(٢)].

﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي إلى قدر معلوم من الوقت قدّره الله للولادة ﴿فَقَدَرْنَا﴾ على ذلك أو فقدَّرناه، ويدلّ عليه قراءة نافع والكسائيّ بالتشديد ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ نحن ف ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بقدرتنا على ذلك أو على الإعادة[(٣)]. ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي ذكراً وأنثى[(٤)] ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ قيل: دعاء عليه بأشنع الدعوات وتعجّب من إفراطه في الكفران ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ بيان لما أنعم عليه خصوصاً من مبدأ حدوثه واستفهام للتحقير، ولذلك أجاب عنه بقوله ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ أي فهيّأه لما يصلح له من الأعضاء والأشكال، أو فقدّر أطواراً إلى أن تمّ خلقه ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ أي ثمّ سهّل مخرجه من بطن أمّه بأن فتح فوهة الرحم، وألهمه أن ينتكس، أو ذلّل له سبيل الخير والشرّ، وفيه - على المعنى الأخير - إيماء بأنّ الدنيا طريق والمقصد غيرها، ولذا عقّبه بقوله: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ عدّ الإماتة والإقبار في النعم لأنّ الإماتة وصلة في الجملة إلى الحياة الأبديّة واللذّات الخالصة، والأمر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع[(٥)].

﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ أي أيّ شيء خدعك وجرّأك على عصيانه؟ قيل: ذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار والإشعار بما به يغرّه الشيطان، فإنّه يقول له: افعل ما شئت فإنّ ربّك كريم لا يعذّب أحداً[(٦)]، وقيل: إنّما قال سبحانه ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾ دون سائر أسمائه وصفاته لأنّه كأنّه لقّنه الجواب حتّى يقول: غرّني كرم الكريم. وفي مجمع البيان: روي أنّ النبيّ ﷺ لمّا تلا هذه الآية قال: غرّه جهله[(٧)].

﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ أي جعل أعضاءك سليمة مسوّاة معدَّة لمنافعها «فَعَدَّلَكَ» قيل: التعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الأعضاء، أو معدَّلة بما يستعدّها من القوى. وقرأ الكوفيّون ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بالتخفيف، أي عدل بعض أعضائك ببعض حتّى اعتدلت، أو فصرفك عن خلقة وميّزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات. ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ أي ركّبك في أيّ صورة شاءها، و(ما) مزيدة، وقيل: شرطيّة و﴿رَكَّبَكَ﴾ جوابها، والظرف صفة عدلك، وإنّما لم يعطف الجملة على ما قبلها لأنّها بيان لـ «عدلك»[(٨)].

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ قيل: ليعلم صحّة إعادته فلا يملي على حافظيه إلاّ ما ينفعه في

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٦٥.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٩٢.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٦٥.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٧٠.
(٥) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٨٤.
(٦) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٩١.
(٧) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢٨٦.
(٨) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٩١.

عاقبته[1] ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ قال الرازيّ: الدفق صبّ الماء، يقال: دفقت الماء إذا صببته فهو مدفوق ومندفق، واختلف في أنّه كيف وصف بأنّه دافق:

الأول: أنّ معناه ذو اندفاق كما يقال دارع وتارس ولابن وتامر أي ذو درع وتُرس ولبن وتمر.

الثاني: أنّهم يسمّون المفعول باسم الفاعل، قال الفرّاء: وأهل الحجاز أجعل لهذا من غيرهم، يجعلون الفاعل مفعولاً إذا كان في مذهب النعت كقولهم: سرٌّ كاتم وهمٌّ ناصب، وليلٌ نائم، وكقوله تعالى: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾.

الثالث: ذكر الخليل: دفق الماء دفقاً ودفوقاً إذا نصبّ.

الرابع: صاحب الماء لمّا كان دافقاً أُطلق ذلك على [الماء على سبيل] المجاز[2].

﴿بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ قال الجوهريّ: التريبة واحدة الترائب، وهي عظام الصدر ما بين الترقوة إلى الثندوة (انتهى) وقال الرازيّ: ترائب المرأة عظام صدرها حيث تكون القلادة، وكلّ عظم من ذلك تريبة، وهذا قول جميع أهل اللغة. ثمّ قال: في هذه الآية قولان: أحدهما أنّ الولد مخلوق من الماء الّذي يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة، وقال آخرون: إنّه مخلوق من الماء الّذي يخرج من صلب الرجل وترائبه، واحتجّ صاحب القول الثاني على مذهبه بوجهين: الأوّل أنّ ماء الرجل خارج من الصلب فقط وماء المرأة خارج من ترائب المرأة فقط، وعلى هذا التقدير لا يحصل هناك ماء خرج من بين الصلب والترائب، وذلك على خلاف الآية. الثاني أنّه تعالى بيّن أنّ الإنسان مخلوق من ماء دافق، والّذي وصف بذلك هو ماء الرجل، ثمّ وصفه بأنّه يخرج هذا الدافق من بين الصلب والترائب وذلك يدلّ على أنّ الولد مخلوق من ماء الرجل فقط. وأجاب القائلون بالقول الأوّل عن الحجّة الأولى أنّه يجوز أن يقال للشيئين المتباينين إنّه يخرج من بين هذين خير كثير، ولأنّ الرجل والمرأة عند اجتماعهما يصيران كالشيء الواحد، فحسن هذا اللفظ هناك. وعن الثانية بأنّ هذا من باب إطلاق اسم البعض على الكلّ، فلمّا كان أحد قسمي المنيّ دافقاً أُطلق هذا الاسم على المجموع. ثمّ قالوا: والّذي يدلّ على أنّ الولد مخلوق منهما أنّ منيّ الرجل وحده صغير ولا يكفي، وروي أنّه ﷺ قال: إذا غلب ماء الرجل يكون ذكراً ويعود شبهه إليه وإلى أقاربه، وإذا غلب ماء المرأة فإليها وإلى أقاربها يعود الشبه. وذلك يقتضي صحّة القول الأوّل.

ثمّ قال: واعلم أنّ الملحدين طعنوا في هذه الآية فقالوا: إن كان المراد من قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ أنّ المنيّ إنّما ينفصل من تلك المواضع فليس الأمر كذلك لأنه إنّما يتولّد عن فضلة الهضم الرابع، وينفصل عن جميع أجزاء البدن حتّى يأخذ من كلّ عضو طبيعة

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٤٠٤.

(٢) تفسير فخر الرازي، ج ٣١ ص ١٢٩.

وخاصيّة فيصير مستعداً لأن يتولّد منه مثل تلك الأعضاء، ولذلك قيل: إنّ المفرط في الجماع يستولي الضعف عليه في جميع أعضائه وإذا كان المراد أنّ معظم المنيّ يتولّد هناك فهو ضعيف بل معظم أجزائه إنّما يتولّد في الدماغ، والدليل عليه أنّه في صورته يشبه الدماغ، ولأنّ المكثر منه يظهر الضعف أوّلاً في عينيه، وإن كان المراد أنّ مستقرّ المنيّ هناك فهو ضعيف لأنّ مستقرّ المنيّ هو أوعية المنيّ وهي عروق تلتفّ بعضها ببعض عند الأنثيين، وإن كان المراد أنّ مخرج المنيّ هناك فهو ضعيف فإنّ الحسّ يدلّ على أنّه ليس كذلك.

والجواب: لا شكّ أنّ معظم الأعضاء معونة في توليد المنيّ هو الدماغ، وللدماغ خليفة وهي النخاع في الصلب، وشعب كثيرة نازلة إلى مقدّم البدن وهو التريبة، فلهذا السبب خصّص الله هذين العضوين بالذكر، على أنّ كلامكم في كيفيّة تولّد المنيّ وكيفيّة تولّد الأعضاء عن المنيّ محض الوهم والظنّ الضعيف وكلام الله أولى بالقبول (انتهى)[1].

وقال البيضاويّ: ﴿مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها، ولو صحّ أنّ النطفة تتولّد من فضلة الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الأعضاء حتّى يستعدّ أن يتولّد منها مثل تلك الأعضاء، ومقرّها عروق التفّ بعضها ببعض عند البيضتين، فالدماغ أعظم الأعضاء معونة في توليدها، ولذلك تشبهه ويسرع الإفراط في الجماع بالضعف فيه، وله خليفة وهي النخاع وهو في الصلب، وشعب كثيرة نازلة إلى الترائب وهما أقرب إلى أوعية المنيّ فلذلك خصّا بالذكر (انتهى)[2].

وأقول: على تقدير تسليم ما ذكره الأطبّاء في ذلك يمكن أن يكون المراد خروج المنيّ من الرجل والمرأة من أعضاء محصورة بين الصلب من جهة الخلف والترائب من جهة القدّام، بأن يكون الصلب والترائب مقصودين في كلّ من الرجل والمرأة، ويكون هذا التعبير لبيان كثرة مدخليّة الصلب والترائب فيهما، وكون ماء المرأة غير دافق ممنوع، بل الظاهر أنّ له أيضاً دفقاً لكنّه لمّا كان في داخل الرحم لا يظهر كثيراً وما ورد في الأخبار من تخصيص الصلب بالرجل والترائب بالمرأة لكون الصلب أدخل في منيّ الرجل والترائب في منيّ المرأة، ويؤيّده أنّ الأطبّاء ذكروا من آداب الجماع دغدغة ثدي المرأة لتهييج شهوتها، وعلّلوه بأن الثدي شديد المشاركة للرحم.

١ - **المناقب**: أبو جعفر الطوسيّ في الأمالي، وأبو نعيم في الحلية، وصاحب الروضة بالإسناد عن محمّد الصيرفيّ وعبد الرحمن بن سالم، قال: دخل أبو حنيفة على الصادق عليه السلام فقال عليه السلام له: البول أقذر أم المنيّ؟ قال: البول، قال: يجب على قياسك أن يجب الغسل من البول دون المنيّ وقد أوجب الله الغسل من المنيّ دون البول. ثمّ قال:

(١) تفسير فخر الرازي، ج ٣١ ص ١٣٠. (٢) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٤٠٤.

لأنّ المنيّ اختيار، ويخرج من جميع الجسد، ويكون في الأيّام، والبول ضرورة ويكون في اليوم مرّات. قال أبو حنيفة: كيف يخرج من جميع الجسد والله يقول ﴿مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: فهل قال لا يخرج من غير هذين الموضعين؟ ثمّ قال عليه السلام: لم لا تحيض المرأة إذا حبلت؟ قال: لا أدري، قال عليه السلام: حبس الله الدم فجعله غذاء للولد إلى آخر الخبر بطوله -(١).

٢ - **تفسير النعماني:** بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن مشابه الخلق، فقال: هو على ثلاثة أوجه: فمنه خلق الاختراع كقوله سبحانه ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ وخلق الاستحالة، قوله تعالى: ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖ﴾ وقوله ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ - الآية - وأمّا خلق التقدير فقوله لعيسى ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ﴾ - الآية -.

٣ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن أحمد بن أشيم، عن بعض أصحابه، قال: أصاب رجل غلامين في بطن، فهنّأه أبو عبد الله عليه السلام ثمّ قال: أيهما أكبر؟ فقال: الّذي خرج أوّلاً، فقال أبو عبد الله عليه السلام: الّذي خرج آخراً هو أكبر! أما تعلم أنّها حملت بذاك أوّلاً وأنّ هذا دخل على ذاك فلم يمكنه أن يخرج حتّى خرج هذا؟ فالّذي يخرج آخراً هو أكبرهما(٢).

المناقب: مرسلاً مثله. «ج ٤ ص ٢٧٠».

بيان: لم أر قائلاً به، ولعلّه ليس غرضه عليه السلام الكبر الّذي هو مناط الأحكام الشرعيّة.

٤ - **الكافي:** عن العدّة، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام: يعيش الولد لستّة أشهر ولسبعة أشهر ولتسعة أشهر، ولا يعيش لثمانية أشهر(٣).

٥ - **ومنه:** عن عليّ بن محمّد، عن صالح بن أبي حمّاد، عن يونس بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن سيابة، عمّن حدّثه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن غاية الحمل بالولد في بطن أمّه كم هو؟ فإنّ الناس يقولون: ربما يبقى في بطنها سنين، فقال: كذبوا، أقصى حدّ الحمل تسعة أشهر لا يزيد لحظة، ولو زاد ساعة لقتل أمّه قبل أن يخرج(٤).

٦ - **ومنه:** عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسن، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن مسلم، قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل يونس بن يعقوب، فرأيته يئنّ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما لي أراك تئنّ؟ قال: طفل لي تأذّيت به

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٤ ص ٢٥٢.
(٢) - (٤) الكافي، ج ٦ ص ٩٢٣ باب ٣٨ ح ٨ و٢ و٣.

الليل أجمع. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: يا يونس! حدَّثني أبي محمّد بن عليّ عن آبائه عليهم السلام عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ جبرئيل نزل عليه ورسول الله وعليٌّ يئنّان، فقال جبرئيل: يا حبيب الله! ما لي أراك تئنّ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أجل طفلين لنا تأذّينا ببكائهما. فقال جبرئيل: مه يا محمّد! فإنّه سيبعث لهؤلاء القوم شيعة إذا بكى أحدهم فبكاؤه لا إله إلاّ الله إلى أن يأتي عليه سبع سنين، فإذا جاز السبع فبكاؤه استغفار لوالديه إلى أن يأتي عليه الحدّ، فإذا جاز الحدّ فما أتى من حسنة فلوالديه وما أتى من سيّئة فلا عليهما[١].

بيان: «فبكاؤه لا إله إلاّ الله» لعلّ المعنى أنّه يعطى والداه بيكائه ثواب التهليل.

٧ - **العلل والعيون:** عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن حمزة الأشعري، عن ياسر الخادم، قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: إنّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد ويخرج من بطن أمّه فيرى الدنيا، ويوم يموت ويعاين الآخرة وأهلها، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا، وقد سلّم الله عزّ وجلّ على يحيى عليه السلام في هذه المواطن الثلاثة وآمن روعته، فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[٢] وقد سلّم عيسى بن مريم عليه السلام على نفسه في هذه المواطن الثلاثة فقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[٣].

٨ - **المناقب:** قال عمران الصابيّ للرضا عليه السلام: ما بال الرجل إذا كان مؤنّثاً والمرأة إذا كانت مذكّرة؟ قال عليه السلام: علّة ذلك أنّ المرأة إذا حملت وصار الغلام منها في الرحم موضع الجارية كان مؤنّثاً، وإذا صارت الجارية موضع الغلام كانت مذكّرة وذلك أنّ موضع الغلام في الرحم ممّا يلي ميامنها، والجارية ممّا يلي مياسرها.

وربما ولدت المرأة ولدين في بطن واحد، فإن عظم ثدياها جميعاً تحمل توأمين وإن عظم أحد ثدييها كان ذلك دليلاً على أنّه تلد واحداً، إلاّ أنّه إذا كان الثدي الأيمن أعظم كان المولود ذكراً وإن كان الأيسر أعظم كان المولود أنثى، وإذا كانت حاملاً فضمر ثديها الأيمن تسقط غلاماً، وإذا ضمر ثديها الأيسر فإنّها تسقط أنثى، وإذا ضمرا جميعاً تسقطهما جميعاً. قال: من أيّ شيء الطول والقصر في الانسان؟ فقال: من قبل النطفة، إذا خرجت من الذكر فاستدارت جاء القصر، وإن استطالت جاء الطول[٤].

٩ - **تفسير الإمام والاحتجاج:** بالإسناد إلى أبي محمّد العسكريّ عليه السلام عن جابر بن عبد الله، قال: سأل ابن صوريا النبيَّ صلى الله عليه وآله فقال: أخبرني يا محمّد الولد يكون من الرجل أو

---

(١) الكافي، ج ٦ ص ٩٢٣ باب ٣٨ ح ٥.

(٢) سورة مريم، الآية: ١٥.

(٣) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٣٣ باب ٢٦ ح ١١، الآية من سورة مريم: ٣٣.

(٤) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٤ ص ٣٥٤.

من المرأة؟ فقال النبيّ ﷺ: أمّا العظام والعصب والعروق فمن الرجل وأمّا اللحم والدم والشعر فمن المرأة. قال: صدقت يا محمّد، ثمّ قال: يا محمّد فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شيء، ويشبه أخواله ليس فيه من شبه أعمامه شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: أيّهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عمّن لا يولد له ومن يولد له. فقال: إذا مغرت النطفة لم يولد له - أي إذا احمرّت وكدرت - وإذا كانت صافية ولد له - الخبر -[١].

١٠ - **الاحتجاج:** عن ثوبان، قال: إنّ يهوديّاً جاء إلى النبيّ ﷺ فقال: يا محمد أسألك عن شيء لا يعلمه إلاّ نبيّ. قال: وما هو؟ قال: عن شبه الولد أباه وأمّه. قال: ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن الله عزّوجلّ ومن قبل ذلك يكون الشبه، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل خرج الولد أنثى بإذن الله تعالى ومن قبل ذلك يكون الشبه - الخبر -[٢].

العلل: عن عليّ بن أحمد بن محمّد، عن حمزة بن القاسم العلويّ، عن عليّ بن الحسين ابن الجنيد البزّاز، عن إبراهيم بن موسى الفرّاء، عن محمّد بن ثور، عن معمّر بن يحيى، عن يحيى بن أبي كثير، عن عبد الله بن مرّة، عن ثوبان مثله[٣].

أقول: سيأتي أخبار الخضر في هذا المعنى في باب النفس وأحوالها.

١١ - **تفسير علي بن إبراهيم:** عن أبيه، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا بلغ الولد أربعة أشهر فقد صار فيه الحياة - الخبر[٤] -.

١٢ - **ومنه:** قال عليُّ بن إبراهيم في قوله: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ قال: النطفة الّتي تخرج بقوّة ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ قال: الصلب الرجل والترائب المرأة وهي صدرها[٥].

١٣ - **الكافي:** عن عليّ بن محمّد بن عبد الله، عن إبراهيم بن إسحاق، عن محمّد بن سليمان الديلميّ، عن أبيه، عن أبي عبد الله عن أبيه عليه السلام قال: إنّ الله عزّوجلّ خلق خلاّقين، فإذا أراد أن يخلق خلقاً أمرهم فأخذوا من التربة الّتي قال في كتابه ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[٦] فعجن النطفة بتلك التربة الّتي يخلق منها بعد أن أسكنها الرحم أربعين ليلة، فإذا تمّت له أربعة أشهر قالوا: يا ربّ تخلق ماذا؟ فيأمرهم بما يريد من

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٤٥٣، الاحتجاج ص ٤٣.
(٢) الاحتجاج، ص ٥٠. (٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٨ باب ٨٥ ح ٥.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٦٦ في تفسيره لسورة المؤمنون، الآية: ٢٣.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤١١ في تفسيره لسورة الطارق.
(٦) سورة طه، الآية: ٥٥.

ذكر أو أنثى، أبيض أو أسود فإذا خرجت الروح من البدن خرجت هذه النطفة بعينها منه كائناً ما كان صغيراً أو كبيراً ذكراً أو أنثى، فلذلك يغسل الميّت غسل الجنابة[١].

بيان: «خلاّقين» أي ملائكة خلاّقين، والخلق هنا بمعنى التقدير لا الايجاد وظاهره خروج المنيّ الأوّل بعينها من فيه أو عينه، ويمكن أن يحفظ الله تعالى جزءً من تلك النطفة مدّة حياته، ويحتمل أن يكون المراد أنّ هذا الماء من جنس النطفة فعلّة الغسل مشتركة.

١٤ - **الكافي:** عن العدّة، عن سهل، عن الحجّال، عن ابن بكير، عن أبي منهال، عن الحارث بن المغيرة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ النطفة إذا وقعت في الرحم بعث الله عزّوجلّ ملكاً فأخذ من التربة الّتي يدفن فيها فماثها في النطفة فلا يزال قلبه يحنّ إليها حتّى يدفن فيها[٢].

بيان: الموث: الخلط، والحنين: الشوق.

١٥ - **العلل:** عن عليّ بن أحمد بن محمّد بن يعقوب عن عليّ بن محمّد بإسناده رفعه قال: أتى عليّ بن أبي طالب يهوديٌّ فسأله عن مسائل، فكان في ما سأله: أخبرني عن شبه الولد أعمامه وأخواله، ومن أيّ النطفتين يكون الشعر واللحم والعظم والعصب؟ فقال عليه السلام: أمّا شبه الولد أعمامه وأخواله فإذا سبق نطفة الرجل نطفة المرأة إلى الرحم خرج شبه الولد إلى أعمامه، ومن نطفة الرجل يكون العظم والعصب وإذا سبق نطفة المرأة نطفة الرجل إلى الرحم خرج شبه الولد إلى أخواله، ومن نطفتها يكون الشعر والجلد واللحم لأنّها صفراء رقيقة - الخبر -[٣].

١٦ - **ومنه:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: إنّ الرجل ربما أشبه أخواله وربما أشبه عمومته. فقال: إنّ نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة، فإن غلبت نطفة الرجل نطفة المرأة أشبه الرجل أباه وعمومته، وإن غلبت نطفة المرأة نطفة الرجل أشبه الرجل أخواله[٤].

١٧ - **ومنه:** عن عليّ بن حاتم - في ما كتب إليّ - عن القاسم بن محمّد، عن حمدان بن الحسين، عن الحسين بن الوليد، عن ابن بكير، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: المولود يشبه أباه وعمّه. قال: إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة فالولد يشبه أباه وعمّه، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل يشبه الولد أمّه وخاله[٥].

١٨ - **ومنه:** عن العبّاس بن محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقانيّ، عن محمّد بن

---

(١) الكافي، ج ٣ ص ٨٤ باب ١٠٣ ح ١. (٢) الكافي، ج ٣ ص ١٠٤ باب ١٤٠ ح ٢.
(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠ باب ١ ح ١. (٤) - (٥) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٦-٩٧ باب ١-٢.

يوسف الخلاّل عن محمّد بن خليل المحرميّ، عن عبد الله بن بكر المسمعيّ عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: سأل عبد الله بن سلام النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: ما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى امّه؟ قال صلى الله عليه وآله: إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إليه - الخبر -(١).

بيان: في القاموس: نزع أباه وإليه: أشبهه. وأقول: يحتمل أن يكون المراد بالسبق الغلبة ليوافق خبر أبي بصير، أو العلوّ ليطابق رواية ثوبان وغيره، ويمكن كون كلّ منها سبباً لذلك. وأقول: مضامين تلك الأخبار مرويّة من طرق العامّة أيضاً وفي كتبهم، ورووا أيضاً أنّ حبراً من أحبار اليهود سأل النبيّ صلى الله عليه وآله عن الولد فقال: ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة أذكر بإذن الله تعالى. وقال بعضهم: معنى العلوّ الغلبة على الآخر، ومعنى السبق الخروج أوّلاً، وزعم بعضهم أنّ العلوّ علّة شبه الأعمام والأخوال، والسبق علّة الإذكار والإيناث، وردّ ذلك التفصيل بأنّه جعل في حديث الحبر العلوّ علّة الإذكار والإيناث. وأجاب عنه بعضهم بأنّ العلوّ في حديث الحبر بمعنى السبق إلى الرحم لأنّ ما علا سبق ويتعيّن تفسيره بذلك، فإنّه في حديث آخر جعل العلوَّ علّة شبه الأعمام والأخوال وجعله في حديث الحبر علّة الإذكار والإيناث، فلو أبقينا العلوَّ في حديث الحبر على بابه لزم بمقتضى الحديث أن يكون العلوُّ علّة في شبه الأعمام والأخوال وفي الإذكار والإيناث، ولا يصحّ لأنّ الحسَّ يكذّبه، لأنا نشاهد الولد ذكراً ويشبه الأخوال ووجه الجمع بين أحاديث الباب أن يكون الشبه المذكور في هذا الحديث يعني به الشبه الأعمّ من كونه في التذكير والتأنيث وشبه الأعمام والأخوال، والسبق إلى الرحم علّة للتذكير والتأنيث، ويخرج من مجموع ذلك أنّ الأقسام أربعة: إن سبق ماء الرجل وعلا أذكر وأشبه الولد أعمامه، وإن سبق ماء المرأة وعلا ماؤه أنّث وأشبه الولد أعمامه (انتهى).

١٩ - **العلل:** عن أبيه، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب عن جعفر بن بشير، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً جمع كلّ صورة بينه وبين أبيه إلى آدم ثمّ خلقه على صورة أحدهم فلا يقولنّ أحد هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي(٢).

٢٠ - **ومنه:** عن المظفّر بن جعفر بن المظفّر العلويّ، عن جعفر بن محمّد بن مسعود العيّاشيّ، عن أبيه، عن عليّ بن الحسن، عن محمّد بن عبد الله بن زرارة، عن عليّ بن عبد الله، عن أبيه، عن جدّه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: تعتلج النطفتان في الرحم فأيّتهما كانت أكثر جاءت تشبهها، فإن كانت نطفة المرأة أكثر جاءت تشبه أخواله وإن كانت نطفة الرجل أكثر جاءت تشبه أعمامه. وقال: تحول النطفة في الرحم أربعين يوماً، فمن أراد أن يدعو الله عزّ وجلّ ففي تلك الأربعين قبل أن تخلق، ثمّ يبعث الله عزّ وجلّ ملك الأرحام فيأخذها

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٦-٩٧ باب ٣. (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٥ باب ٩٣ خ ١.

فيصعد بها إلى الله عزّ وجلّ فيقف منه ما شاء الله، فيقول: يا إلهي أذكر أم أنثى؟ فيوحي الله عز وجلّ إليه من ذلك ما يشاء ويكتب الملك، ثمّ يقول: إلهي أشقيّ أم سعيد؟ فيوحي الله عزّ وجلّ إليه من ذلك ما يشاء ويكتب الملك فيقول: اللّهمّ كم رزقه؟ وما أجله؟ ثمّ يكتبه ويكتب كلّ شيء يصيبه في الدنيا بين عينيه، ثمّ يرجع به فيردّه في الرحم، فذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[1].

بيان: [في القاموس] اعتلجوا: اتّخذوا صراعاً وقتالاً، والأرض: طال نباتها والأمواج: التطمت.

٢١ - **العلل:** عن أبيه، عن محمّد بن أبي القاسم، عن محمّد بن عليّ الكوفيّ، عن عبد الله بن عبد الرحمان الأصمّ، عن الهيثم بن واقد، عن مقرن عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأل سلمان رضي الله عنه عليّاً عليه السلام عن رزق الولد في بطن أمّه، فقال: إنّ الله تبارك وتعالى حبس عليها الحيضة فجعلها رزقه في بطن أمّه[2].

٢٢ - **ومنه:** عن الحسين بن أحمد، عن أبيه، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ عن عبد الرحمان بن حمّاد، قال: سألت أبا إبراهيم عليه السلام عن الميّت لم يغسل غسل الجنابة؟ قال: إنّ الله تبارك وتعالى أعلا وأخلص من أن يبعث الأشياء بيده، إنّ لله تبارك وتعالى ملكين خلاّقين، فإذا أراد أن يخلق خلقاً أمر أولئك الخلاّقين فأخذوا من التربة الّتي قال الله في كتابه ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ فعجنوها بالنطفة المسكنة في الرحم، فإذا عجنت النطفة بالتربة قالا: يا ربّ ما تخلق؟ قال: فيوحي الله تبارك وتعالى ما يريد من ذلك ذكراً أو أنثى، مؤمناً أو كافراً أسود أو أبيض، شقيّاً أو سعيداً. فإن مات سالت منه تلك النطفة بعينها لا غيرها، فمن ثمّ صار الميّت يغسل غسل الجنابة[3].

بيان: «أمر أولئك الخلاّقين» كأنّ الجمعيّة على المجاز، أو المراد بالملكين نوعين من الملك لكلّ امرأة شخصان، فيجري فيهما التثنية والجمع باعتبارين.

٢٣ - **المحاسن:** عن أبيه، عن هارون بن الجهم، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ يعني منتصباً في بطن أمّه، مقاديمه إلى مقاديم أمّه، ومواخيره إلى مواخير أمّه، غذاؤه ممّا تأكل أمّه ويشرب ممّا تشرب تنسّمه تنسيماً، وميثاقه الّذي أخذ الله عليه بين عينيه فإذا دنا ولادته أتاه ملك يسمّى «الزاجر» فيزجره فينقلب، فيصير مقاديمه إلى مواخير أمّه ومواخيره إلى مقدّم أمّه، ليسهّل الله على المرأة والولد أمره، ويصيب ذلك جميع الناس إلاّ إذا كان عاتياً، فإذا زجره فزع وانقلب ووقع إلى الأرض باكياً من زجرة الزاجر، ونسي الميثاق[4].

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٧ باب ٨٥ ح ٤. (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٨٣ باب ٢١٩ ح ١.
(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٩١ باب ٢٣٨ ح ٥. (٤) المحاسن، ج ٢ ص ١٤.

أقول: تمامه وشرحه في باب جوامع أحوال الدوابّ والأنعام.

٢٤ - **العياشي:** عن عبد الملك بن أعين، قال: إذا زنى الرجل أدخل الشيطان ذكره ثمّ عملا جميعاً، ثمّ تختلف النطفتان فيخلق الله منهما فيكون شرك الشيطان(١).

٢٥ - **ومنه:** عن محمّد بن مسلم، عن جعفر عليه السلام قال: سألته عن شرك الشيطان قوله ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ قال: ما كان من مال حرام فهو شرك الشيطان قال: ويكون مع الرجل حتّى يجامع، فيكون من نطفته ونطفة الرجل إذا كان حراماً(٢).

٢٦ - **العلل:** لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم: العلّة في تحويل آدم لحماً ودماً بعد أربعين سنة أنّه لم يكن في رحم ولا بطن وكان ظاهراً بارزاً فتحوّل لحماً ودماً بعد أربعين سنة.

٢٧ - **المناقب:** عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام في خبر طويل يذكر فيه خلق الولد في بطن أمّه، قال: ويبعث الله ملكاً يقال له «الزاجر» فيزجره زجرة فيفزع الولد منها وينقلب، فتصير رجلاه أسفل البطن ليسهّل الله عزّ وجلّ على المرأة وعلى الولد الخروج. قال: فإن احتبس زجره زجرة أخرى شديدة، فيفزع منها فيسقط إلى الأرض فزعاً باكياً من الزجر(٣).

٢٨ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، وعليّ بن إبراهيم عن أبيه جميعاً عن الحسن بن محبوب، عن محمّد بن النعمان، عن سلام بن المستنير، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ فقال: المخلّقة هم الذرّ الّذين خلقهم الله في صلب آدم عليه السلام أخذ عليهم الميثاق، ثمّ أجراهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، وهم الّذين يخرجون إلى الدنيا حتّى يسألوا عن الميثاق. وأمّا قوله: ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ فهم كلّ نسمة لم يخلقهم الله في صلب آدم عليه السلام حين خلق الذرّ وأخذ عليهم الميثاق، وهم النطف من العزل والسقط قبل أن ينفخ فيه الروح والحياة والبقاء(٤).

بيان: على تأويله عليه السلام يحتمل أن يكون الخلق بمعنى التقدير، أي ما قدّر في الذرّ أن ينفخ فيه الروح وما لم يقدّر.

٢٩ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز، عمّن ذكره، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾(٥) قال: الغيض كلّ حمل دون تسعة أشهر، وما يزداد كلّ شيء يزداد على تسعة أشهر، فكلّما رأت المرأة الدم الخالص في حملها فإنّها تزداد بعدد الأيّام الّتي رأت في حملها من الدم(٦).

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٢١ ح ١٠٤ و١٠٢ من سورة الإسراء.
(٣) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٤ ص ٢٠٠.
(٤) الكافي، ج ٦ ص ٩٠٢ باب ٦ ح ١.
(٥) سورة الرعد، الآية: ٨.
(٦) الكافي، ج ٦ ص ٩٠٢ باب ٦ ح ٢.

٣٠ - **ومنه:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن الحسن ابن الجهم، قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ النطفة تكون في الرحم أربعين يوماً، ثمّ تصير علقة أربعين يوماً، ثمّ تصير مضغة أربعين يوماً فإذا كمل أربعة أشهر بعث الله عزّ وجلّ ملكين خلاّقين فيقولان: يا ربّ ما تخلق؟ ذكراً أو أنثى؟ فيؤمران فيقولان: يا ربّ شقيّاً أو سعيداً؟ فيؤمران فيقولان: يا ربّ ما أجله؟ وما رزقه؟ وما كلّ شيء من حاله؟ - وعدّد من ذلك أشياء - ويكتبان الميثاق بين عينيه، فإذا أكمل الله الأجل بعث الله ملكاً فزجره زجرة فيخرج وقد نسي الميثاق. وقال الحسن بن الجهم: فقلت له: أفيجوز أن يدعو الله عزّ وجلّ فيحوّل الأنثى ذكراً أو الذكر أنثى؟ فقال: إنّ الله يفعل ما يشاء(١).

بيان: قيل: كتابة الميثاق كناية عن مفطوريّته على خلقه قابلة للتوحيد وسائر المعارف، ونسيان الميثاق كناية عن دخوله في عالم الأسباب المشتمل على موانع تعقّل ما فطر عليه.

أقول: قد مرّ بسط القول في تلك الأخبار في كتاب العدل. «في ج ٥-٢٦».

٣١ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد وعليّ بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ إذا أراد أن يخلق النطفة الّتي أخذ عليها الميثاق في صلب آدم أو ما يبدو له فيه ويجعلها في الرحم حرّك الرجل للجماع، وأوحى إلى الرحم أن افتحي بابك حتّى يلج فيك خلقي وقضائي النافذ وقدري، فتفتح الرحم بابها فتصل النطفة إلى الرحم فتردّد فيه أربعين يوماً، ثمّ تصير علقة أربعين يوماً، ثمّ تصير مضغة أربعين يوماً، ثمّ تصير لحماً تجري فيه عروق مشتبكة، ثمّ يبعث الله ملكين خلاّقين يخلقان في الأرحام ما يشاء يقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة فيصلان إلى الرحم، وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فينفخان فيها روح الحياة والبقاء(٢)، ويشقّان له السمع والبصر وجميع الجوارح، وجميع ما في البطن بإذن الله تعالى. ثمّ يوحي الله إلى الملكين: اكتبا عليه قضائي وقدري ونافذ أمري واشترطا لي البداء في ما تكتبان فيقولان: يا ربّ ما نكتب؟ قال: فيوحي الله عزّ وجلّ إليهما أن ارفعا رؤوسكما إلى رأس أمّه، فيرفعان رؤوسهما فإذا اللوح يقرع جبهة أمّه، فينظران فيه فيجدان في اللوح صورته ورؤيته وأجله وميثاقه شقيّاً أو سعيداً وجميع شأنه. قال: فيملي أحدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح، ويشترطان البداء في ما يكتبان، ثمّ يختمان الكتاب ويجعلانه بين عينيه، ثمّ يقيمانه قائماً في بطن أمّه. قال: فربما عتا فانقلب، ولا يكون ذلك إلاّ في كلّ عات أو مارد، فإذا بلغ أوان خروج الولد تامّاً أو غير تامّ أوحى الله عزّ وجلّ إلى الرحم أن افتحي بابك حتّى يخرج خلقي إلى أرضي وينفذ فيه أمري

(١) الكافي، ج ٦ ص ٩٠٢ باب ٦ ح ٣.

(٢) أقول: يستفاد منه أن روح الحياة يعرض على الروح القديمة. [النمازي].

فقد بلغ أوان خروجه. قال: فيفتح الرحم باب الولد فيبعث الله عزّوجلّ إليه ملكاً يقال له «زاجر» فيزجره فيفزع منها الولد، فينقلب فيصير رجلاه فوق رأسه ورأسه في أسفل البطن ليسهّل الله على المرأة وعلى الولد الخروج. قال: فإذا احتبس زجره الملك زجرة أُخرى فيفزع منها فيسقط الولد إلى الأرض باكياً فزعاً من الزجرة(١).

بيان: قوله «أو ما يبدو له فيه» من البداء، وقد مرّ معناه في محلّه، والمعنى: لم يؤخذ عليه الميثاق أوّلاً في صلب آدم ولكن بدا له ثانياً بعد خروجه من صلبه أن يأخذ عليه الميثاق، ويحتمل أن يكون المراد به ما فسّر به غير المخلقة في الخبر السابق فيكون مشاركاً للأوّل في بعض ما سيذكر، كما أنّ القسم الأوّل أيضاً قد يسقط قبل كماله فلا يجري فيه جميع ما في الخبر، ويحتمل أيضاً أن يراد بالأوّل من يصل إلى حدّ التكليف ويؤخذ بما أخذ عليه من الميثاق، وبالثاني من يموت قبل ذلك «حرّك الرجل» بإلقاء الشهوة عليه، والإيحاء كأنّه على سبيل الأمر التكوينيّ لا التكليفيّ أي تنفتح بقدرته وإرادته تعالى، أو كناية عن فطره إيّاها على الإطاعة طمعاً كما قيل. «فتردّد» بحذف إحدى التائين، أي تتحوّل من حال إلى حال، وقد مرّ أنّ الخلق المنسوب إلى الملك بمعنى التقدير والتصوير والتخطيط كما هو معناه المعروف في أصل اللغة، فيقتحمان أي يدخلان من غير اختيار لها وإذن منها «وفيها الروح القديمة» أي الروح المخلوق في الزمان المتقادم قبل خلق جسده، وكثيراً ما يطلق القديم في اللغة والعرف على هذا المعنى كما لا يخفى على من تتبّع كتب اللغة وموارد الاستعمالات والمراد بها النفس النباتيّة أو الروح الحيوانيّة أو الانسانيّة. قوله «رؤيته» أي ما يرى منه، ويمكن أن يقرأ بالتشديد بمعنى التفكّر والفهم، والعتوّ مجاوزة الحدّ والاستكبار.

ثمّ اعلم أنّ للعلماء في أمثال هذا الخبر مسالك: فمنهم من آمن بظاهرها ووكل علمها إلى من صدرت عنه، وهذا سبيل المتّقين؛ ومنهم من يقول: ما يفهم من ظاهره حقّ ولا عبرة باستبعاد الأوهام في ما صدر عن أئمّة الأنام عليهم السلام؛ ومنهم من قال: هذا على سبيل التمثيل، كأنّه عليه السلام شبّه ما يعلمه سبحانه من حاله وطينته وما يستحقّه من الكمالات وما أودع فيه من درجات الاستعدادات بمجيء الملكين وكتابتهما على جبهته وغير ذلك؛ وقال بعضهم: قرع اللوح جبهة أمّه كأنّه كناية عن ظهور أحوال أمّه وصفاتها وأخلاقها من ناصيتها وصورتها الّتي خلقت عليها كأنّها جميعاً مكتوبة عليها، وإنّما يستنبط الأحوال الّتي ينبغي أن يكون الولد عليها من ناصية أمّه ويكتب ذلك على وفق ما ثمّة للمناسبة الّتي تكون بينه وبينها، وذلك لأنّ جوهر الروح إنّما يفيض على البدن بحسب استعداده وقبوله إيّاه، واستعداد البدن تابع لاستعداد نفس الأبوين وصفاتهما وأخلاقهما لا سيّما الأمّ المربّية له على وفق ما جاء به من

---

(١) الكافي، ج ٦ ص ٩٠٣ باب ٦ ح ٤.

ظهر أبيه، فهي حينئذ مشتملة على أحواله الأبويّة والأمّيّة. وجعل الكتاب المختوم بين عينيه كناية عن ظهور صفاته وأخلاقه من ناصيته وصورته.

أقول: الأحوط والأولى عدم التعرّض لأمثال هذه التأويلات الواهية، والتسليم لما ورد عن الأئمّة الهادية عليهم السلام.

٣٢ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن محمّد بن إسماعيل أو غيره، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك، الرجل يدعو للحبلى أن يجعل الله ما في بطنها ذكراً سويّاً. فقال: يدعو ما بينه وبين أربعة أشهر، فإنّه أربعين ليلة نطفة، وأربعين ليلة علقة، وأربعين ليلة مضغة، فذلك تمام أربعة أشهر، ثمّ يبعث الله ملكين خلاّقين فيقولان: يا ربّ ما تخلق؟ ذكراً أو أنثى؟ شقيّاً أو سعيداً؟ فيقولان: يا ربّ ما رزقه؟ وما أجله؟ وما مدّته؟ فيقال ذلك، وميثاقه بين عينيه ينظر إليه فلا يزال منتصباً في بطن أمّه حتّى إذا دنا خروجه بعث الله عزّ وجلّ إليه ملكاً فزجره زجرة فيخرج وينسى الميثاق[١].

٣٣ - **ومنه:** عن محمّد بن يحيى وغيره، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن إسماعيل بن عمر وعن شعيب العقرقوفيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ للرحم أربعة سبل، في أيّ سبيل سلك فيه الماء كان منه الولد، واحد أو اثنان وثلاثة وأربعة، ولا يكون إلى سبيل أكثر من واحد[٢].

٣٤ - **ومنه:** عن عليّ بن محمّد، رفعه عن محمّد بن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق للرحم أربعة أوعية، فما كان في الأوّل فللأب، وما كان في الثاني فللأمّ، وما كان في الثالث فللعمومة، وما كان في الرابع فللخؤولة[٣].

بيان: فللأب أي يشبه الولد إذا وقعت فيه وكذا البواقي، فسياق هذا الخبر غير سياق الخبر المتقدّم من بيان أكثر ما يمكن من أن تلد المرأة، وإن كان يظهر ذلك منه إيماءً وتلويحاً، ولذا أوردهما الكلينيّ رحمه الله في باب أكثر ما تلد المرأة.

٣٥ - **النهج:** قال: أيّها المخلوق السويّ، والمنشأ المرعيّ، في ظلمات الأرحام ومضاعفات الأستار، بدئت من سلالة من طين، ووضعت في قرار مكين، إلى قدر معلوم وأجل مقسوم، تمور في بطن أمّك جنيناً، لا تحير دعاءً، ولا تسمع نداءً، ثمّ أخرجت من مقرّ[ك] إلى دار لم تشهدها ولم تعرف سبل منافعها، فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي أمّك، وعرّفك عند الحاجة مواضع طلبك وإرادتك؟ هيهات! إنّ من يعجز عن صفات ذي الهيئة والأدوات فهو عن صفات خالقه أعجز، ومن تناوله بحدود المخلوقين أبعد[٤].

---

(١) الكافي، ج ٦ ص ٩٠٤ باب ٦ ح ٦. (٢) - (٣) الكافي، ج ٦ ص ٩٠٤ باب ٧ ح ١-٢.
(٤) نهج البلاغة، ص ٣٢٩ خ ١٦١.

توضيح: السويّ: العدل، والوسط، ورجل سويٌّ أي مستوي الخلقة غير ناقص. وأنشأ الخلق: ابتدأ خلقهم، والرعاية: والمرعيّ: من شمله حفظ الراعي. ومضاعفات الأستار أي الأستار المضاعفة، والحجب بعضها فوق بعض. «ابدئت من سلالة...» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾[1] وقد مرّ وجوه التفسير فيه، وهي جارية ههنا. والمكين: المتمكّن، وهو في الأصل صفة للمستقرّ، وصف به المحلّ مبالغة، أو المراد تمكّن الرحم في مكانها مربوطة برباطات كما سيأتي، والمعنى: في مستقرّ حصين هي الرحم ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي مقدار معيّن من الزمان قدّره الله للولادة. وقسمه - كضربه - وقسّمه - بالتشديد - أي جزّأه وفرّقه، وقسم أمره أي قدّره. والأجل المقسوم: المدّة المقدّرة لحياة كلّ أحد، فالظرف متعلّق بمحذوف، أي منتهياً إلى أجل مقسوم أو يقال: الوضع في الرحم غايته ابتداء الأجل أي مدّة حياة الدنيا، ويحتمل أن يكون تأكيداً للقدر المعلوم. ومار الشيء - كقال -: تحرّك، أو بسرعة واضطراب، والجنين الولد في البطن لاستارة، من «جنّ» أي استتر، فإذا ولد فهو منفوس. والمحاورة: الجواب ومراجعة النطق، ويقال «كلّمته فما أحار إليّ جواباً» أي لم يجبني. ودعوته دعاءً: ناديته وطلبت إقباله. «لم تشهدها» أي لم تحضرها قبل ذلك ولم تعلم بحالها. والاجترار: الجذب. «مواضع طلبك» قيل: أي حلمة الثدي، والجمع باعتبار أنّ الطفل يمتصّ من غير ثدي أمّه أيضاً، أو عرّفك عند الحاجة إلى كلّ شيء في دار الدنيا مواضع طلبك. وفي بعض النسخ «وحرّك عند الحاجة» فالمراد بمواضع الطلب القوى والآلات الّتي يحصل بها اجترار الغذاء. «هيهات» أي بعد أن يحيط علماً بصفات خالقه الّذي هو أبعد الأشياء منه من حيث الحقيقة لعدم المشابهة والمجانسة وليس له حدود المخلوقين من لا يقدر على وصف نفسه مع أنّه أقرب الأشياء إليه وغيره من ذوي الهيئة والأدوات، المجانس له في الذات والصفات، المتّصف بحدود المخلوقين.

٣٦ - **النهج:** جعل لكم أسماعاً لتعي ما عناها، وأبصاراً لتجلو عن عَشاها، وأشلاء جامعة لأعضائها، ملائمة لأحنائها، في تركيب صورها ومدد عمرها، بأبدان قائمة بأرفاقها، وقلوب رائدة لأرزاقها، في مجلّلات نعمه، وموجبات مننه، وحواجز بليّته، وحوائز عافيته وقدّر لكم أعماراً سترها عنكم، وخلف لكم عبراً من آثار الماضين قبلكم - إلى قوله عليه السلام - أم هذا الّذي أنشأه في ظلمات الأرحام وشغف الأستار نطفة دهاقاً، وعلقة محاقاً، وجنيناً وراضعاً، ووليداً ويافعاً، ثمّ منحه قلباً حافظاً ولساناً لافظاً، وبصراً لاحظاً، ليفهم معتبراً، ويقصر مزدجراً، حتّى إذا قام اعتداله واستوى مثاله، نفر مستكبراً - إلى آخر الخطبة -[2].

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٢-١٣.
(٢) نهج البلاغة، ص ١٦٧ خ ٨٢.

توضيح: وعاه يعيه: حفظه وجمعه، وعناه الأمر يعنيه ويعنوه: أهمّه، والعشا - بالفتح والقصر -: سوء البصر بالليل والنهار، أو بالليل، أو العمى، وتجلو: بمعنى تكشف، قيل: أقيم المجلوّ مقام المجلوّ عنه، والتقدير: لتجلو عن قواها عشاها، وقيل: كلمة (عن) زائدة أو بمعنى (بعد) والمفعول محذوف، والتقدير: لتجلو الأذى بعد عشاها، وهو بعيد، والمراد جلاء العشا عن البصر الظاهر بأن ينظر إلى ما يعتبر به، أو عن بصر القلب بأن يفرق بين الضارّ والنافع، والأشلاء: جمع شلو - بالكسر - وهو العضو، وفسّره في القاموس بالجسد أيضاً، وجمعها للأعضاء على الثاني واضح، وعلى الأوّل يمكن حملها على الأعضاء الظاهرة الجامعة للباطنة كما قيل.

وأقول: يمكن أن يكون المراد بالأعضاء أجزاء الأعضاء. والملاءمة: الموافقة والأحناء: جمع حنو - بالكسر - وهو الجانب، وفي النهاية: لأحنائها أي معاطفها والغرض الإشارة إلى الحكم والمصالح المرعيّة في تركيب الأعضاء وترتيبها وجعل كلّ منها في موضع يليق بها، كما بيّن بعضها في علم التشريح وكتب منافع الأعضاء والظرف متعلّق بالملاءمة، وقيل: كأنّه قال: مركّبة ومصوّرة، فأتى بلفظة (في) كما تقول: ركب في سلاحه أو بسلاحه أي متسلّحاً، والأرفاق على هذا عبارة عن الأعضاء وسائر ما يستعين به الإنسان، والباء للاستعانة أو السببيّة بخلاف الأوّل، وروي (بأرماقها) والرمق: بقيّة الروح، والرود: الطلب. «في مجلّلات نعمه» بصيغة الفاعل أي النعم الّتي تجلّل الناس أي تغطّيهم كما يتجلّل الرجل بالثوب، وقيل: أي الّتي تجلّل الناس وتعمّهم من قولهم «سحاب مجلّل» أي يطبق الأرض، والظرف متعلّق بمحذوف والموضع نصب على الحال. والمراد بموجبات المنن - على صيغة الفاعل - النعم الّتي توجب الشكر، ويروى على صيغة المفعول أي النعم الّتي أوجبها الله على نفسه لكونه الجواد المطلق، وقيل: أي ما سقط من نعمه وأُفيض على العباد من الوجوب بمعنى السقوط.

وحواجز العافي: ما يدفع المضارّ، ويروى «حواجز بليّته» أي ما يمنعها. والامتنان بستر الأعمار لكون الاطّلاع عليها واشتغال الخاطر بخوف الموت ممّا يبطل نظام الدنيا، والغرض تنبيه الغافل عن انقضاء العمر لستر حدّه وانتهائه، وخلف العبر إبقاؤها بعد ارتحال الماضين كأنّها خليفة لهم.

«أم هذا الّذي . .» قيل: أم ههنا إمّا استفهاميّة على حقيقتها كأنّه قال: أعظكم وأذكّركم بحال الشيطان وإغوائه أم بحال الإنسان من ابتداء وجوده إلى حين مماته وإمّا أن تكون منقطعة بمعنى بل كأنّه قال عادلاً وتاركاً لما وعظهم به: بل أتلو عليكم بناء هذا الإنسان الّذي حاله كذا. والشغف - بضمّتين - جمع شغاف - بالفتح - وهو في الأصل غلاف القلب وحجابه، استعير هنا لوضع الولد. والدهاق - بكسر الدال - الّذي أُدهق أي أُفرغ إفراغاً

[شديدا]، وقيل: الدهاق المملوءة من قولهم دهق الكأس - كجعله - ملأها. ويروى «دفاقاً» من دفقت الماء أي صببته. والمحق: المحو والإبطال والنقص، وسمّيت ثلاث ليال من آخر الشهر محاقاً لأنّ القمر يقرب من الشمس فتمحقه، واستعير للعلقة لأنّها لم تتصوّر [بعد] فأشبهت ما أُبطلت صورته، وفي الأوصاف تحقير للإنسان كما أُومىء إليه بالإشارة. والراضع: الطفل يرضع أمّه - كيسمع - أي يمتصّ ثديها، والأمّ مرضعة. والوليد: المولود وكأنّ المراد به الفطيم. واليافع: الغلام الّذي شارف الاحتلام ولمّا يحتلم، يقال: أيفع الغلام فهو يافع، وهو من النوادر.

قال في «سرّ الأدب» في ترتيب أحوال الإنسان: هو ما دام في الرحم جنين، فإذا ولد فوليد، ثمّ ما دام يرضع فرضيع، ثمّ إذا قطع منه اللبن فهو فطيم، ثمّ إذا دبّ ونمى فهو دارج، فإذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو خماسيّ، فإذا سقطت رواضعه فهو مثغور، فإذا نبتت أسنانه بعد السقوط فهو متّغر، فإذا تجاوز العشر أو جازها فهو مترعرع وناشىء، فإذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع ومراهق، فإذا احتلم واجتمعت قوّته فهو حزور، واسمه في جميع هذه الأحوال غلام، فإذا اخضرّ شاربه قيل قد بقل وجهه، فإذا صار ذا فتاء فهو فتى وشارخ، فإذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه فهو مجتمع، ثمّ ما دام بين الثلاثين والأربعين فهو شابّ، ثمّ هو كهل إلى أن يستوفي الستّين، وقيل: إذا جاوز أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين، فإذا جاوزها فهو شيخ.

ثمّ «منحه» أي أعطاه. واللافظ: الناطق، ويقال: لحظ إذا نظر بمؤخّر عينيه وكأنّ المراد هنا مطلق النظر، ويقصر على بناء الإفعال أي ينتهي. والمعنى: أعطاه القوى الثلاثة ليعتبر بحال الماضين، وما نزل بساحة العاصين، وينتهي عمّا يفضيه إلى أليم النكال، وشديد الوبال، أو ليفهم دلائل الصنع والقدرة، ويستدلّ بشواهد الربوبيّة على وجوب الطاعة والانتهاء عن المعصية، فينزجر عن الخلاف والعصيان ويتخلّص عن الخيبة والخسران. والاعتدال: التناسب والاستقامة والتوسّط بين الحالين في كمّ أو كيف، وقيام الاعتدال: تمام الخلقة والصورة، وتناسب الأعضاء، وخلوّها عن النقص والزيادة، وكمال القوى المحتاج إليها في تحصيل المآرب. و(استوى) أي اعتدل، والمثال - بالكسر -: المقدار، وصفة الشيء، ويقال: استوى الرجل إذا بلغ أشدّه أي قوّته، وهو ما بين ثمانية عشر إلى ثلاثين. ونفرت الدابّة - كضرب - أي فرّ وذهب.

٣٧ - **الفقيه**: عن محمّد بن عليّ الكوفيّ، عن إسماعيل بن مهران، عن مرازم عن جابر ابن يزيد، عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا وقع الولد في جوف أمّه صار وجهه قِبل ظهر أمّه إن كان ذكراً، وإن كان أنثى صار وجهها قِبل بطن أمّها، يداه على وجنتيه، وذقنه على ركبتيه كهيئة الحزين المهموم فهو كالمصرور منوط بمعاء من

سرّته إلى سرّة أمّه، فبتلك السرّة يغتذي من طعام أمّه وشرابها إلى الوقت المقدّر لولادته، فيبعث الله تعالى ملكاً فيكتب على جبهته: شقيّ أو سعيد، مؤمن أو كافر، غنيٌّ أو فقير، ويكتب أجله ورزقه وسقمه وصحّته فإذا انقطع الرزق المقدَّر له من سرّة أمّه زجره الملك زجرة، فانقلب فزعاً من الزجرة وصار رأسه قبل المخرج فإذا وقع إلى الأرض دفع إلى هول عظيم وعذاب أليم، إن أصابته ريح أو مشقّة أو مسّته يد وجد لذلك من الألم ما يجده المسلوخ عنه جلده، يجوع فلا يقدر على استطعام ويعطش فلا يقدر على استسقاء ويتوجّع فلا يقدر على الاستغاثة، فيوكل الله تعالى به الرحمة والشفقة عليه والمحبّة له أمّه فتقيه الحرّ والبرد بنفسها، وتكاد تفديه بروحها، وتصير من التعطّف عليه بحال لا تبالي أن تجوع إذا شبع، وتعطش إذا روي، وتعرى إذا كسي، وجعل الله - تعالى ذكره - رزقه في ثديي أمّه، في إحداهما طعامه وفي الأخرى شرابه، حتّى إذا رضع آتاه الله في كلّ يوم بما قدّر له فيه من الرزق، وإذا أدرك فهّمه الأهل والمال والشره والحرص، ثمّ هو مع ذلك بعرض الآفات والعاهات والبليّات من كلّ وجه، والملائكة تهديه وترشده، والشياطين تضلّه وتغويه، فهو هالك إلاّ أن ينجيه الله تعالى وقد ذكر الله - تعالى ذكره - نسبة الانسان في محكم كتابه فقال عزّوجلّ : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾(١).

قال جابر بن عبد الله الأنصاريّ: فقلت: يا رسول الله! هذه حالنا فكيف حالك وحال الأوصياء بعدك في الولادة؟ فسكت رسول الله ﷺ مليّاً ثمّ قال: يا جابر! لقد سألت عن أمر جسيم لا يحتمله إلاّ ذو حظّ عظيم، إنّ الأنبياء والأوصياء مخلوقون من نور عظمة الله جلّ ثناؤه يودع الله أنوارهم أصلاباً طيّبة وأرحاماً طاهرة، يحفظها بملائكته، ويربّيها بحكمته، ويغذوها بعلمه، فأمرهم يجلّ عن أن يوصف، وأحوالهم تدقّ عن أن تعلم، لأنّهم نجوم الله في أرضه، وأعلامه في بريّته، وخلفاؤه على عباده، وأنواره في بلاده، وحججه على خلقه. يا جابر! هذا من مكنون العلم ومخزونه، فاكتمه إلاّ من أهله(٢).

بيان: في القاموس: الوجنة - مثلّثة وككلمة ومحرّكة -: ما ارتفع من الخدّين. والمصرور: الأسير، لأنّه مجموع اليدين، من «صررت» جمعت، وقال: صرَّ الناقة: شدَّ ضرعها. وقال: ناطه نوطاً: علقه. والشره - بالتحريك -: غلبة الحرص.

٣٨ - **الكافي:** عن العدّة، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن فضّال، ومحمّد بن

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١٢-١٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٤ ص ٨٠٢ ح ٥٩٠١.

عيسى، عن يونس، قالا: عرضنا كتاب الفرائض عن أمير المؤمنين عليه السلام على أبي الحسن الرضا عليه السلام وممّا فيه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام جعل دية الجنين مائة دينار، وجعل منيّ الرجل إلى أن يكون جنيناً خمسة أجزاء، فإذا كان جنيناً قبل أن تلجه الروح مائة دينار، وذلك أنّ الله عزّ وجلّ خلق الانسان من سلالة وهي النطفة فهذا جزء، ثمّ علقة فهو جزءان، ثمّ مضغة فهو ثلاثة أجزاء، ثمّ عظماً فهو أربعة أجزاء ثمّ يكسى لحماً فحينئذ تمّ جنيناً فكملت له خمسة أجزاء مائة دينار - إلى قوله - فإذا أنشىء فيه خلق آخر وهو الروح فهو حينئذ نفس فيه ألف دينار كاملة إن كان ذكراً وإن كان أنثى فخمسمائة دينار[1].

٣٩ - **ومنه:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن محبوب عن أبي أيّوب الخزّاز، عن محمّد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرجل يضرب المرأة فتطرح النطفة، فقال: عليه عشرون ديناراً، فقلت: فيضربها فتطرح العلقة فقال: أربعون ديناراً، قلت: فيضربها فتطرح المضغة، قال: عليه ستّون ديناراً قلت: فيضربها فتطرحه وقد صار له عظم، فقال: عليه الدية كاملة، بهذا قضى أمير المؤمنين عليه السلام قلت: فما صفة [خلقة] النطفة الّتي تعرف بها؟ فقال: النطفة تكون بيضاء مثل النخامة الغليظة، فتمكث في الرحم إذا صارت فيه أربعين يوماً ثمّ تصير إلى علقة. قلت: فما صفة خلقة العلقة الّتي تعرف بها؟ فقال: هي علقة كعلقة الدم المحجمة الجامدة، تمكث في الرحم بعد تحويلها عن النطفة أربعين يوماً ثمّ تصير مضغة. قلت: فما صفة المضغة وخلقتها الّتي تعرف بها؟ قال: هي مضغة لحم حمراء، فيها عروق خضر مشتبكة ثم تصير إلى عظم. قلت: فما صفة خلقته إذا كان عظماً؟ فقال: إذا كان عظماً شقّ له السمع والبصر، ورتّبت جوارحه، فإذا كان كذلك فإنّ فيه الدية كاملة[2].

٤٠ - **ومنه:** عن صالح بن عقبة، عن يونس الشيبانيّ، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: فإن خرج في النطفة قطرة دم؟ قال: القطرة عشر النطفة فيها اثنان وعشرون ديناراً، قلت: فإن قطرت قطرتين؟ قال: أربعة وعشرون ديناراً، قال: قلت: فإن قطرت بثلاث؟ قال: فستّ وعشرون ديناراً، قلت: فأربع؟ قال: فثمانية وعشرون ديناراً، وفي خمس ثلاثون، وما زاد على النصف فعلى حساب ذلك حتّى تصير علقة، فإذا صارت علقة ففيها أربعون ديناراً فقال له أبو شبل: - وأخبرنا أبو شبل، قال: حضرت يونس وأبو عبد الله عليه السلام يخبره بالديات، قال: قلت: - فإنّ النطفة خرجت متخضخضة بالدم؟ قال: فقال لي: فقد علقت إن كان دماً صافياً ففيها أربعون ديناراً، وإن كان دماً أسود فلا شيء عليه إلاّ التعزير، لأنّه ما كان من دم صاف فذلك للولد، وما كان من دم أسود فذلك من الجوف. قال أبو شبل: فإنّ العلقة صار فيها شبه العرق من لحم؟ قال: اثنان وأربعون العشر، قال: قلت: فإنّ عشر الأربعين أربعة،

---

(١) الكافي، ج ٧ ص ١٣٩١ باب ٢١٠ ح ١. (٢) الكافي، ج ٧ ص ١٣٩٢ باب ٢١٠ ح ١٠.

قال: لا، إنّما هو عشر المضغة، لأنّه إنّما ذهب عشرها، فكلّما زادت زيد حتّى تبلغ الستّين. قال: قلت: فإن رأيت في المضغة شبه العقدة عظماً يابساً؟ قال: فذلك عظم كذلك أوّل ما يبتدىء العظم، فيبتدىء بخمسة أشهر ففيه أربعة دنانير، فإن زاد فزدْ أربعة أربعة حتّى تتمّ الثمانين. قال: قلت: وكذلك إذا كسي العظم لحماً؟ قال: كذلك، قلت: فإذا وكزها فسقط الصبيّ فلا يدرى أحيّاً كان أم لا؟ قال: هيهات يا أبا شبل! إذا مضت الخمسة أشهر فقد صارت فيه الحياة، وقد استوجب الدية(١).

بيان: الخضخضة تحريك الماء ونحوه «إنّما هو عشر المضغة» أي عشر الدية الّتي زيدت لصيرورتها مضغة، والوكز - كالوعد -: الدفع والطعن والضرب بجمع الكفّ ثمّ إنّ الخبر يدلّ على أنّ ولوج الروح بعد الخمسة أشهر، وهو خلاف المشهور وما دلّ عليه غيره من الأخبار من أنّ ولوج الروح بعد الأربعة أشهر، ولعلّ المراد أنّه قد يكون كذلك.

٤١ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن غالب، عن أبيه، عن سعيد بن المسيّب، قال: سألت عليّ بن الحسين عليه السلام عن رجل ضرب امرأته حاملاً برجله فطرحت ما في بطنها ميّتاً، فقال: إن كان نطفة فإنّ عليه عشرين ديناراً، قلت: فما حدّ النطفة؟ فقال: هي الّتي إذا وقعت في الرحم فاستقرّت فيه أربعين يوماً، قال: وإن طرحته وهو علقة فإنّ عليه أربعين ديناراً، قلت: فما حدّ العلقة؟ فقال: هي الّتي إذا وقعت في الرحم فاستقرّت فيه ثمانين يوماً، قال: وإن طرحته وهو مضغة فإنّ عليه ستّين ديناراً، قلت: فما حدّ المضغة؟ فقال: هي الّتي إذا وقعت في الرحم فاستقرّت فيه مائة وعشرين يوماً، قال: وإن طرحته وهو نسمة مخلّقة له عظم ولحم مرتّب الجوارح قد نفخ فيه روح العقل فإنّ عليه دية كاملة. قلت له: أرأيت تحوّله في بطنها إلى حال أبروح كان ذلك أو بغير روح؟ قال: بروح عدا الحياة القديم المنقول في أصلاب الرجال وأرحام النساء، ولولا أنّه كان فيه روح عدا الحياة ما تحوّل من حال إلى حال في الرحم، وما كان إذن على من يقتلانه دية وهو في تلك الحال(٢).

---

(١) الكافي، ج ٧ ص ١٣٩٢ باب ٢١٠ ح ١١.

(٢) الكافي، ج ٧ ص ١٣٩٣ باب ٢١٠ ح ١٥. **أقول:** لعل المراد بالتحوّل من حال إلى حال تحوّله من النطفة إلى العلقة ومن العلقة إلى المضغة. أو المراد بالتحوّل تحركه من موضع إلى موضع آخر. وكيف كان هو بالروح القديم المنقول في الأصلاب والأرحام، وهو غير الحياة العارضة عليه. فلفظ القديم في هذه الرواية صفة للروح لا صفة الحياة كما هو واضح فيستفاد من هذه الرواية أنّ الروح القديم المخلوق من الطينة في النطفة ميتة وهو المنقول في الأصلاب والأرحام، فإذا تمّت خلقته، نفخ فيها روح الحياة والبقاء المعبر عنه بروح العقل. ويشهد له في الجملة دعاء مولانا سيّد الشهداء عليه السلام يوم عرفة، فارجع إلى ج ٥٧ ص ٢٧٢. [مستدرك السفينة ج ٤ لغة «روح»].

توضيح: «مرتّب الجوارح» في بعض النسخ «مزيّل الجوارح» أي امتازت وافترقت جوارحه بعضها عن بعض كما قال تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا﴾ وفي بعضها «مربّل» بالراء المهملة والباء الموحّدة، قال الجوهريّ: تربّلت المرأة كثر لحمها. «بروح غذاء الحياة» المراد إمّا روح الوالدين أو القوّة النامية، وفي بعضها (عدا) بالمهملتين من غير مدّة، فالمراد به أنّ تحوّله بروح غير الروح الّذي خلق لأجله قبل خلق الأجساد لأنّه لم يتعلّق به بعد، فالمراد بالروح الأوّل القوّة النامية أو روح الوالدين، وعلى النسختين المنقول صفة روح لا الحياة، والمراد بالقديم ما تقادم زمانه لأنّه خلق قبل خلق الأجساد كما سيأتي إن شاء الله، وإطلاق القتل على الإسقاط قبل تعلّق الروح مجاز.

٤٢ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن أبي نصر، عن الحسين ابن خالد، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إنّا روينا عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: من شرب الخمر لم يحتسب صلاته أربعين يوماً، قال: فقال: صدقوا، قلت: وكيف لا يحتسب صلاته أربعين صباحاً لا أقلّ من ذلك ولا أكثر؟ فقال: إنّ الله جلّ وعزّ قدّر خلق الإنسان فصيّره نطفة أربعين يوماً، ثمّ نقلها فصيّرها علقة أربعين يوماً ثمّ نقلها فصيّرها مضغة أربعين يوماً، فهو إذا شرب الخمر بقي في مُشاشته أربعين يوماً على قدر انتقال خلقته، ثمّ قال عليه السلام: كذلك جميع غذاء أكله وشربه يبقى في مشاشته أربعين يوماً[1].

٤٣ - **ومنه:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عمرو بن عثمان، عن عليّ بن عيسى رفعه، في ما ناجى الله به موسى عليه السلام قال: يا موسى! أنا السيّد الكبير، إنّي خلقتك من نطفة من ماء مهين، من طينة أخرجتها من أرض ممشوجة فكانت بشراً فأنا صانعها خلقاً - الخبر -[2].

٤٤ - **ومنه:** عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن أحمد، عن أحمد بن الحسن، عن عمرو بن سعيد، عن مصدّق بن صدقة، عن عمّار بن موسى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن الميّت يبلى جسده؟ قال: نعم، حتّى لا يبقى لحم ولا عظم إلاّ طينته الّتي خلق منها فإنّها لا تبلى، تبقى في القبر مستديرة حتّى يخلق الله منها كما خلق أوّل مرّة[3].

٤٥ - **ومنه:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن إبراهيم بن مسلم الحلوانيّ، عن أبي إسماعيل الصيقل الرازيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ في الجنّة لثمرة تسمّى (المزن) فإذا أراد الله أن يخلق مؤمناً أقطر منها قطرة، فلا تصيب بقلة ولا ثمرة أكل منها مؤمن أو كافر إلاّ أخرج الله من صلبه مؤمناً[4].

---

(١) الكافي، ج ٦ ص ١١١٣ باب ٢٢٠ ح ١٢. (٢) روضة الكافي، ح ٨.

(٣) الكافي، ج ٣ ص ١٢٨ باب ١٦٦ ح ٨.

(٤) الكافي، ج ٢ ص ٣٣٧ باب إذا أراد الله أن يخلق المؤمن.. ح ١.

٤٦ - **العلل:** عن عليّ بن حاتم، عن القاسم بن محمّد، عن إبراهيم بن مخلّد عن أحمد بن إبراهيم، عن محمّد بن بشير، عن محمّد بن سنان، عن أبي عبد الله القزوينيّ قال: سألت أبا جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام فقلت: لأيّ علّة يولد الانسان ههنا ويموت في موضع آخر؟ قال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق خلقه خلقهم من أديم الأرض فيرجع كلّ إنسان إلى تربته(١).

٤٧ - **تفسير الإمام:** قال عليه السلام في سياق قصّة ذبح البقرة: ثمّ ذبحوها وأخذوا قطعة وهي عجب الذنب الّذي منه خلق ابن آدم وعليه يركب إذا أراد خلقاً جديداً فضربوه بها (القصّة)(٢).

٤٨ - **البصائر:** عن الحسن بن محبوب، عن صالح بن سهل الهمدانيّ وغيره عن يونس ابن ظبيان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أراد الله أن يقبض روح إمام ويخلق من بعده إماماً أنزل قطرة من ماء تحت العرش إلى الأرض فيلقيها على ثمرة أو بقلة، فيأكل تلك الثمرة أو تلك البقلة الإمام الّذي يخلق الله منه نطفة الإمام الّذي يقوم من بعده، قال: فيخلق الله من تلك القطرة نطفة في الصلب، ثمّ يصير إلى الرحم فيمكث فيها أربعين ليلة، فإذا مضى له أربعون ليلة سمع الصوت، فإذا مضى له أربعة أشهر كتب على عضده الأيمن ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فإذا خرج إلى الأرض أوتي الحكمة، وزيّن بالعلم والوقار وألبس الهيبة، وجعل له مصباح من نور يعرف به الضمير، ويرى به أعمال العباد(٣).

أقول: قد مضت الأخبار في بدء خلق الإمام وخواصّه في المجلّدات السابقة المتعلّقة بالإمامة، فلا نعيدها حذراً من التكرار.

٤٩ - **العلل:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد البرقيّ، عن أبي هاشم الجعفريّ، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام في حديث طويل ذكر فيه إتيان الخضر أمير المؤمنين عليه السلام وسؤاله عن مسائل وأمره عليه السلام الحسن بجوابه، فقال الحسن عليه السلام في سياق الأجوبة: وأمّا ما ذكرت من أمر الرجل يشبه أعمامه وأخواله فإنّ الرجل إذا أتى أهله بقلب ساكن وعروق هادئة وبدن غير مضطرب استكنت تلك النطفة في [تلك] الرحم فخرج الولد يشبه أباه وأمّه، وإن أتاها بقلب غير ساكن وعروق غير هادئة وبدن مضطرب اضطربت تلك النطفة في جوف تلك الرحم فوقعت على عرق من العروق، فإن وقعت على عرق من عروق الأعمام أشبه الولد أعمامه، وإن وقعت على عرق من عروق الأخوال أشبه أخواله - إلى آخر ما سيأتي من الخبر الطويل -(٤).

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٩٨ باب ٢٥٩ ح ١. (٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٢٧٨.
(٣) بصائر الدرجات، ص ٤٠٠ ج ٩ باب ٧ ح ٤.
(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٧ باب ٨٥ ح ٤. تمام الخبر في ج ٥٨ ص ٢٤ ح ٨.

بيان: في القاموس: هدأ - كمنع - هدءاً وهدوءً: سكن. وأقول: يحتمل أن يكون المراد أنّه إذا لم تضطرب النطفة تحصل المشابهة التامّة، لأنّ المنيّ يخرج من جميع البدن فيقع كلّ جزء موقعه، وإذا اضطربت حصلت المشابهة الناقصة، فيشبه الأعمام إذا كان الأغلب منيّ الرجل لأنّهم أيضاً يشبهون الأب مشابهة ناقصة، وإن غلب منيُّ الأمّ أشبه الأخوال كذلك، ويمكن أن يكون بعض العروق في بدن الأب منسوباً إلى الأعمام وفي بدن الأمّ منسوباً إلى الأخوال، ففي الاضطراب يعلو المنيّ الخارج من ذلك العرق، فالمراد بالعرق منيّ العرق، وهذا لا يخلو من بعد.

٥٠ - **تفسير الإمام:** قال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ من نطفة من ماء مهين، فجعله في قرار مكين إلى قدر معلوم، فقدّره فنعم القادر ربّ العالمين، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ النطفة تثبت في الرحم أربعين يوماً نطفة، ثمّ يصير علقة أربعين يوماً، ثمّ مضغة أربعين يوماً، ثمّ يجعل بعده عظماً، ثمّ يكسى لحماً، ثمّ يلبس الله بعده جلداً، ثمّ ينبت عليه شعراً، ثمّ يبعث الله عزّ وجلّ ملك الأرحام، فيقال له: اكتب أجله وعمله ورزقه، وشقيّاً يكون أو سعيداً، فيقول الملك: يا ربّ أنّى لي بعلم ذلك؟ فيقال له: استملِ ذلك من قرّاء اللوح المحفوظ فيستمليه منهم[(١)].

٥١ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أبي محمّد المدائنيّ عن عائذ بن حبيب بيّاع الهرويّ، عن عيسى بن زيد، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: يثغر الغلام لسبع سنين، ويؤمر بالصلاة لتسع، ويفرّق بينهم في المضاجع لعشر ويحتلم لأربع عشرة وينتهي طوله إلى اثنين وعشرين سنة، وينتهي عقله إلى ثمان وعشرين سنة إلاّ التجارب[(٢)].

بيان: قال المطرزيّ: ثُغر الصبيّ فهو مثغور: سقطت رواضعه، وأمّا إذا نبت بعد السقوط فهو مثّغر بالتاء والثاء، وقد اثّغر على افتعل.

٥٢ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن أحمد، عن موسى بن عمر، عن عليّ بن الحسين، عن الحسن الضرير، عن حمّاد بن عيسى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: يشبّ الصبيّ كلّ سنة أربع أصابع بأصابع نفسه[(٣)].

٥٣ - **ومنه:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ عن أبي عبد الله عن أبيه عليهما السلام قال: الغلام لا يلقح [حتى] يتفلّك ثدياه وتسطع ريح إبطيه[(٤)].

بيان: لا يلقح: لا يجامع، وهو كناية عن البلوغ، وفي القاموس: فلك ثديها وتفلّك: استدار.

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ١٣٥. (٢) - (٤) الكافي، ج ٦ ص ٩١٩ باب ٣٢ ح ١-٣.

٥٤ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، وعليّ بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً عن ابن محبوب، عن خليل بن عمرو اليشكريّ، عن جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إذا كان الغلام ملتاث الأدرة صغير الذكر ساكن النظر فهو ممّن يرجى خيره ويؤمن شرّه، قال: وإذا كان الغلام شديد الأدرة كبير الذكر حادّ النظر فهو ممّن لا يرجى خيره ولا يؤمن شرّه[1].

توضيح: في أكثر النسخ «ملتاث الادرة» بالتاء المثنّاة ثمّ الثاء المثلّثة من اللوثة بالضمّ وهي الاسترخاء، والأدرة: نفخة في الخصية، وكأنّ المراد بها هنا نفس الخصية أي مسترخي الخصية متدلّيها، وفي بعضها «الأزرة» بالزاي، أي هيئة الائتزار، والتياثه كناية عن أنّه لا يجوّد شدّ الإزار والمنطقة بحيث يرى منه حسن الائتزار فعجب به كما هو عادة الظرفاء، وفي بعضها «ملثاث» بالثائين المثلّثين، واللثّ والإلثاث والللثلثة: الإلحاح والإقامة ودوام المطر، والللثلثة: الضعف والحبس والتردّد في الأمر، ذكرها الفيروزآباديّ، والأوّل أنسب.

٥٥ - **الكافي:** عن عليّ بن محمّد بن بندار، عن أبيه، عن محمّد بن عليّ الهمدانيّ عن أبي سعيد الشاميّ، عن صالح بن عقبة، قال: سمعت العبد الصالح يقول: تستحبّ عرامة الغلام في صغره ليكون حليماً في كبره. ثمّ قال: ما ينبغي إلاّ أن يكون هكذا[2]. وروي أنّ أكيس الصبيان أشدّهم بغضاً للكتّاب[3].

بيان: العرامة: سوء الخلق والفساد والمرح والإشرار، والمراد ميله إلى اللعب وبغضه للكُتّاب، أي عرامته في صغره علامة عقله وحلمه في كبره وينبغي أن يكون الطفل هكذا، فأمّا إذا كان منقاداً ساكناً حسن الخلق في صغره يكون بليداً في كبره كما هو المجرّب، والكُتّاب - بالتشديد -: المكتب.

٥٦ - **الدر المنثور:** عن محمّد بن كعب القرظيّ، قال: قرأت في التوراة - أو قال: في صحف إبراهيم - فوجدت فيها يقول الله تعالى: يا ابن آدم ما أنصفتني! خلقتك ولم تك شيئاً وجعلتك بشراً سويّاً، خلقتك من سلالة من طين ثمّ جعلتك نطفة في قرار مكين، ثمّ خلقت النطفة علقة، فخلقت العلقة مضغة، فخلقت المضغة عظاماً، فكسوت العظام لحماً، ثمّ أنشأتك خلقاً آخر. يا ابن آدم! هل يقدر على ذلك غيري؟ ثمّ خفّفت ثقلك على أمّك حتّى لا تتبرّم بك ولا تتأذّى، ثمّ أوحيت إلى الأمعاء أن اتّسعي وإلى الجوارح أن تفرّقي، فاتّسعت الأمعاء من بعد ضيقها، وتفرّقت الجوارح من بعد تشبيكها، ثمّ أوحيت إلى الملك الموكّل بالأرحام أن يخرجك من بطن أمّك، فاستخلصك على ريشة من جناحه، فاطّلعت عليك فإذا أنت خلق ضعيف ليس لك سنّ يقطع ولا ضرس يطحن، فاستخلصت لك في صدر أمّك ثدياً

---

(١) - (٣) الكافي، ج ٦ ص ٩٢٢ باب ٣٧ ح ١-٣.

يدرّ لك لبناً بارداً في الصيف حارّاً في الشتاء، واستخلصته من بين جلد ولحم ودم وعروق، وقذفت لك في قلب والدتك الرحمة، وفي قلب أبيك التحنّن، فهما يكدّان ويجهدان، ويربّيانك ويغذّيانك، ولم يناما حتّى ينوّمانك. ابن آدم! أنا فعلت ذلك بك لا بشيء استأهلته به منّي أو لحاجة استعنت على قضائها. ابن آدم! فلمّا قطع سنّك وطلع ضرسك أطعمتك فاكهة الصيف وفاكهة الشتاء في أوانهما، فلمّا عرفت أنّي ربّك عصيتني، فالآن إذ عصيتني فادعني وإنّي قريب مجيب، وادعني فإنّي غفور رحيم[1].

٥٧ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن بعض أصحابه رواه عن رجل من العامّة قال: كنت أجالس أبا عبد الله عليه السلام فلا والله ما رأيت مجلساً أنبل من مجالسه.

قال: فقال لي ذات يوم: من أين تخرج العطسة؟ فقلت: من الأنف، فقال لي: أصبت الخطأ، فقلت: جعلت فداك، من أين تخرج؟ فقال: من جميع البدن، كما أنّ النطفة تخرج من جميع البدن ومخرجها من الإحليل. ثمّ أما رأيت الإنسان إذا عطس نفض جميع أعضائه، وصاحب العطسة يأمن الموت سبعة أيّام[2].

٥٨ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي حمزة، قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن الخلق، فقال: إنّ الله تعالى لمّا خلق الخلق من طين أفاض بها كإفاضة القداح، فأخرج المسلم فجعله سعيداً وجعل الكافر شقيّاً، فإذا وقعت النطفة تلقّتها الملائكة فصوّروها، ثمّ قالوا: يا ربّ أذكر أو أنثى؟ فيقول الربّ جلّ جلاله أيّ ذلك شاء، فيقولان: تبارك الله أحسن الخالقين! ثمّ يوضع في بطنها فتردّد تسعة أيّام وفي كلّ عرق ومفصل منها، وللرحم ثلاثة أقفال: قفل في أعلاها ممّا يلي أعلا السرّة من الجانب الأيمن، والقفل الآخر في وسطها [والقفل الآخر] أسفل من الرحم، فيوضع بعد تسعة أيّام في القفل الأعلى فيمكث فيه ثلاثة أشهر، فعند ذلك يصيب المرأة خبث النفس والتهوّع، ثمّ ينزل إلى القفل الأوسط فيمكث فيه ثلاثة أشهر، وسرّة الصبيّ فيها مجمع العروق وعروق المرأة كلّها منها يدخل طعامه وشرابه من تلك العروق، ثمّ ينزل إلى القفل الأسفل فيمكث فيه ثلاثة أشهر، فذلك تسعة أشهر ثمّ تطلق المرأة، فكلّما طلقت انقطع عرق من سرّة الصبيّ فأصابها ذلك الوجع، ويده على سرّته حتّى يقع على الأرض ويده مبسوطة، فيكون رزقه حينئذ من فيه[3].

بيان: «أفاض بها كإفاضة القداح» قال الجوهريّ: إفاضة القداح: الضرب بها، والقداح

(١) الدر المنثور، ج ٦ ص ٣١٦.
(٢) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٦٢ باب العطاس والتسميت ح ٢٣.
(٣) الكافي، ج ٦ ص ٩٠٣ باب ٦ ح ٥.

جمع القدح - بالكسر - وهو السهم قبل أن يراش وينصل، فإنّهم كانوا يخلطونها ويقرعون بها بعدما يكتبون عليها أسماءهم. وفي التشبيه إشارة لطيفة إلى اشتباه خير بني آدم بشرّهم إلى أن يميز الله الخبيث من الطيّب، كذا ذكره بعض الأفاضل.

أقول: يمكن أن يقرأ «القدَّاح» بفتح القاف وتشديد الدال وهو صانع القداح، أي أفاض وشرع في بريها ونحتها كالقدّاح [فيراهم مختلفة كالقداح]. قوله «فتردّد...» لعلّ تردّدها كناية عمّا يؤثّر فيها من مزاج الأمّ، أو ما يختلط بها من نطفة الأمّ الخارجة من جميع عروقها. ثمّ إنّه يحتمل أن يكون نزولها إلى الأوسط والأسفل ببعضها لعظم جثّتها لا بكلّها. قوله «أسفل من الرحم» أي [هو] أسفل موضع منها. وفي القاموس: الطلق وجع الولادة، وقد طُلقت المرأة طلقاً على ما لم يسمّ فاعله و«يده» أي يد الصبيّ.

٥٩ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، وعليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن زرارة بن أعين، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إذا وقعت النطفة في الرحم استقرّت فيها أربعين يوماً وتكون علقة أربعين يوماً وتكون مضغة أربعين يوماً، ثمّ يبعث الله ملكين خلاّقين فيقال لهما: اخلقا كما يريد الله ذكراً أو أنثى، صوّراه واكتبا أجله ورزقه ومنيّته، وشقيّاً أو سعيداً، واكتبا لله الميثاق الّذي أخذه في الذرّ بين عينيه، فإذا دنا خروجه من بطن أمّه بعث الله إليه ملكاً يقال له «زاجر» فيزجره فيفزع فزعاً، فينسى الميثاق ويقع إلى الأرض يبكي من زجرة الملك[1].

٦٠ - **قرب الإسناد:** عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر قال: سألت الرضا عليه السلام أن يدعو الله عزّ وجلّ لامرأة من أهلنا بها حمل، فقال: قال أبو جعفر عليه السلام: الدعاء ما لم يمض أربعة أشهر، فقلت له: إنّما لها أقلّ من هذا، فدعا لها، ثمّ قال: إنّ النطفة تكون في الرحم ثلاثين يوماً وتكون علقة ثلاثين يوماً وتكون مضغة ثلاثين يوماً، وتكون مخلّقة وغير مخلّقة ثلاثين يوماً، فإذا تمّت الأربعة أشهر بعث الله تعالى إليها ملكين خلاّقين يصوّرانه ويكتبان رزقه وأجله، وشقيّاً أو سعيداً - الخبر -[2].

٦١ - **تفسير علي بن إبراهيم:** ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي خلقناكم في الأصلاب وصوّرناكم في أرحام النساء. ثمّ قال: وصوّر ابن مريم في الرحم دون الصلب وإن كان مخلوقاً في أصلاب الأنبياء، ورفع وعليه مدرعة من صوف.

حدّثنا أحمد بن محمّد، عن جعفر بن عبد الله المحمّديّ، عن كثير بن عيّاش، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ قال: أمّا ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ فنطفةً ثمّ علقةً، ثمّ مضغةً، ثمّ عظاماً ثمّ لحماً، وأمّا ﴿صَوَّرْنَاكُمْ﴾ فالعين، والأنف والأذنين، والفم، واليدين،

(١) الكافي، ج ٦ ص ٩٠٤ باب ٦ ح ٧. (٢) قرب الإسناد، ص ٣٥٢ ح ١٢٦٢.

والرجلين، صوّر هذا ونحوه، ثمّ جعل الدميم والوسيم والجسيم والطويل والقصير وأشباه هذا(١).

٦٢ - **ومنه:** ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني آدم وزوجته حوّاء ﴿فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ قال: البطن، والرحم، والمشيمة(٢).

٦٣ - **ومنه:** ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ يعني الظلمات الثلاث الّتي ذكرها الله، وهي المشيمة والرحم والبطن(٣).

٦٤ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسماعيل بن مرّار، عن يونس، قال: إنّما جعلت المواريث من ستّة أسهم على خلقة الإنسان، لأنّ الله عزّوجلّ بحكمته خلق الانسان من ستّة أجزاء فوضع المواريث على ستّة أسهم، وهو قوله عزّوجلّ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾(٤) ففي النطفة دية ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ ففي العلقة دية ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ وفيها دية ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ وفيها دية ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ وفيه دية أخرى ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ وفيه دية أخرى، فهذا ذكر آخر المخلوق(٥).

٦٥ - **قصص الراوندي:** بإسناده عن الصدوق، بإسناده عن شهر بن حوشب قال: لمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة أتاه رهط من اليهود فسألوه عن مسائل، منها قالوا: كيف يكون الشبه من المرأة وإنّما النطفة للرجل؟ فقال: أنشدكم بالله أتعلمون أنّ نطفة الرجل بيضاء غليظة وأنّ نطفة المرأة حمراء رقيقة، فأيّها غلب على صاحبتها كان لها الشبه؟ قالوا: اللّهمّ نعم - الخبر -(٦).

٦٦ - **ومنه:** بإسناده عن الصدوق، عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن أحمد بن يحيى عن السيّاريّ، عن إسحق بن إبراهيم، عن الرضا عليه السلام قال: إنّ الملك قال لدانيال: أشتهي أن يكون لي ابن مثلك، فقال: ما محلّي من قلبك؟ قال: أجلّ محلّ وأعظمه قال دانيال: فإذا جامعت فاجعل همّتك فيّ. قال: ففعل الملك ذلك، فولد له ابن أشبه خلق الله بدانيال(٧).

بيان: أقول: ذكر الأطباء أيضاً أنّ للتخيّل في وقت الجماع مدخلاً في كيفيّة تصوير الجنين، قال ابن سينا في القانون: قد قال قوم من العلماء ولم يعدوا عن حكم الجواز إنّ من

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٣٠ في تفسيره لسورة الأعراف، الآية: ١١.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢١٦ في تفسيره لسورة الزمر، الآية: ٦.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ١٥١ في تفسيره لسورة النساء، الآية: ٧٨.
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١٢.
(٥) الكافي، ج ٧ ص ١٢٤٤ باب ٥٠ ح ٢.
(٦) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٢٩٦.
(٧) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٢٣٠.

أسباب الشبه ما يتمثّل حال العلوق في وهم المرأة أو الرجل من الصور الإنسانية تمثّلاً متمكّناً (انتهى) وقال بعضهم: تصوّر رجل عند الجماع صورة حيّة فتولّد منه طفل كان رأسه رأس إنسان وبدنه بدن حيّة.

٦٧ - **قرب الإسناد:** عن السندي بن محمّد، عن أبي البختريّ، عن وهب القرشيّ عن جعفر عن أبيه عليه السلام أنّ رجلاً أتى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: إنّ امرأتي هذه جارية حدثة وهي عذراء وهي حامل في تسعة أشهر، ولا أعلم إلاّ خيراً، وأنا شيخ كبير ما افترعتها وإنّها لعلى حالها. فقال له علي عليه السلام: نشدتك بالله هل كنت تهريق على فرجها؟ قال: نعم، فقال عليّ عليه السلام: إنّ لكلّ فرج ثقبتين: ثقب يدخل فيه ماء الرجل وثقب يخرج منه البول، وأفواه الرحم تحت الثقب الّذي يدخل منه ماء الرجل، فإذا دخل الماء في فم واحدة من أفواه الرحم حملت المرأة بولد واحد، وإذا دخل في اثنين حملت باثنين، وإذا دخل من ثلاثة حملت بثلاثة، وإذا دخل من أربعة حملت بأربعة وليس هناك غير ذلك، وقد ألحقت بك ولدها. فشقّ عنها القوابل، فجاءت بغلام فعاش[1].

٦٨ - **التهذيب:** بإسناده عن محمّد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت: تلزمني المرأة أو الجارية من خلفي وأنا متكىء على جنب، فتتحرّك على ظهري فتأتيها الشهوة وتنزل الماء، أفعليها غسل أم لا؟ قال: نعم، إذا جاءت الشهوة وأنزلت الماء وجب عليها الغسل[2].

٦٩ - **ومنه:** بسند موثّق عن معاوية بن حكيم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا أمنت المرأة والأمة من شهوة جامعها الرجل أو لم يجامعها في نوم كان ذلك أو في يقظة فإنّ عليها الغسل[3].

٧٠ - **ومنه:** بإسناده عن يحيى بن أبي طلحة، أنّه سأل عبداً صالحاً عن رجل مسّ فرج امرأته أو جاريته يعبث بها حتّى أنزلت، عليها غسل أم لا؟ قال: أليس قد أنزلت من شهوة؟ قلت: بلى، قال: عليها غسل[4].

٧١ - **ومنه:** بسند صحيح عن ابن بزيع، قال: سألت الرضا عليه السلام عن الرجل يجامع المرأة في ما دون الفرج فتنزل المرأة، هل عليها غسل؟ قال: نعم[5].

تبيان: أقول: الأخبار في هذا المعنى كثيرة، وهي تدلّ مع ما مرّ من الأخبار في شبه الأعمام والأخوال على أنّ للمرأة منيّاً كالرجل كما ذهب إليه جالينوس وأكثر الأطبّاء، وذهب أرسطو وجماعة من الحكماء إلى أنّه ليس للمرأة منيّ وإنّما تنفصل من بيضتها رطوبة

---

(١) قرب الإسناد، ص ١٤٩ ح ٥٤١.

(٢) - (٥) تهذيب الأحكام، ج ١ ص ٦٨ باب ٦ ح ١١ و١٥ و١٦ و١٩.

شبيهة بالمنيّ يقال لها المنيّ مجازاً، إذ عندهم أنّ المنيّ ما اجتمع فيه خمس صفات: بياض اللون، وحصول اللذّة عند الخروج، والقوّة العاقدة والدفق، ورائحة شبيهة برائحة الطلع، وإذا امتزج منيّ الرجل بتلك الرطوبة تتولّد منه مادّة الجنين، ومنيّ الرجل هي العاقدة والفاعلة، ورطوبة المرأة هي المنعقدة والمنفعلة. وقال جالينوس وأتباعه: في كلّ منهما قوّة عاقدة ومنعقدة. والحقّ أنّ النزاع في إطلاق المنيّ على رطوبة المرأة وعدمه لفظيّ لا طائل تحته، وقد مرّ في الأخبار الكثيرة أنّ الولد يتكوّن من المنيّين معاً، وسيأتي بعض القول فيه أيضاً في آخر الباب إن شاء الله.

٧٢ - **تفسير علي بن إبراهيم:** قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال: فإنّه حدّثني أبي، عن النضر بن سويد، عن الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ النطفة تقع من السماء إلى الأرض على النبات والثمر والشجر، فتأكل الناس منه والبهائم، فيجري فيهم[١].

٧٣ - **العلل:** عن محمّد بن موسى بن المتوكّل، عن عليّ بن الحسين السعد آباديّ عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ، عن أبيه، عن محمّد بن يحيى، عن حمّاد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ابن آدم منتصب في بطن أمّه، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ وما سوى ابن آدم فرأسه في دبره ويداه بين يديه[٢].

٧٤ - **تفسير علي بن إبراهيم:** ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ قال: السلالة الصفوة من الطعام والشراب الّذي يصير نطفة، والنطفة أصلها من السلالة والسلالة هو من صفوة الطعام والشراب، والطعام من أصل الطين، فهذا معنى قوله: ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ أي في الأنثيين ثمّ في الرحم ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ - إلى قوله - ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ وهذه استحالة أمر إلى أمر، فحدّ النطفة إذا وقعت في الرحم أربعين يوماً ثمّ يصير علقة[٣].

٧٥ - **ومنه:** قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ - إلى قوله - ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ فهي ستّة أجزاء وستّة استحالات، وفي كلّ جزء واستحالة دية محدودة، ففي النطفة عشرون ديناراً، وفي العلقة أربعون ديناراً، وفي المضغة ستّون ديناراً، وفي العظم ثمانون ديناراً، وإذا كسي لحماً فمائة دينار، حتّى يستهلّ، فإذا استهلّ فالدية كاملة[٤].

٧٦ - وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ فهو نفخ الروح فيه[٥].

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٨٩ في تفسيره لسورة يس، الآية: ٣٦.

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٤٧١ باب ٢٤٧ ح ١.

(٣) - (٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٦٥ في تفسيره لسورة المؤمنون، الآيات: ١١-١٤.

٧٧ - **ومنه:** ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ قال: هو آدم عليه السلام ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ أي ولده ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ وهو الصفوة من الطعام والشراب ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ قال: النطفة المنيّ ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ أي استحاله من نطفة إلى علقة، ومن العلقة إلى مضغة، ثمّ نفخ فيه الروح[١].

٧٨ - **ومنه:** في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ يعني: ليس معهنّ ذكر ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ يعني: ليس معهم أنثى ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ أي يهب لمن يشاء ذكراناً وإناثاً جميعاً، يجمع له البنين والبنات[٢].

٧٩ - **ومنه:** عن أبيه، عن المحموديّ ومحمّد بن عيسى بن عبيد، عن محمّد بن إسماعيل الدارميّ عن محمّد بن سعيد، أنّ يحيى بن أكثم سأل موسى بن عليّ بن محمّد[٣] عن مسائل، وفيها: أخبرنا عن قول الله: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ فهل يزوّج الله عباده الذكران وقد عاقب قوماً فعلوا ذلك؟ فسأل موسى أخاه أبا الحسن العسكري عليه السلام فكان من جواب أبي الحسن عليه السلام: أمّا قوله: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ فإنّ الله تعالى زوّج ذكران المطيعين إناثاً من الحور العين، وإناث المطيعات من الإنس ذكران المطيعين، ومعاذ الله أن يكون الجليل عنى ما لبّست على نفسك تطلّباً للرخصة لارتكاب المآثم[٤].

بيان: لا يخفى بُعد ما ذكر في الخبر من سياق الآية، وكأنّه على سبيل التنزّل أي لو كان المراد بالتزويج ما زعمت لاحتمل محملاً صحيحاً أيضاً، أو يكون هذا بطناً من بطون الآية. ويمكن تصحيحه بوجه لا يأبى عن سياق الآية بأن يكون الغرض بيان أحوال جميع أفراد البشر أو المؤمنين في الأزواج والأولاد، فإنّهم إمّا أن يكونوا تزّوجوا في الدنيا أم لا، فعلى الأوّل إمّا يهب لهم إناثاً مع الذكران أو بدونهم أو يهب لهم ذكراناً مع الإناث وبدونهنّ على سبيل منع الخلوّ، أو يجعلهم عقيماً لا يولد لهم، وعلى الثاني يزوّج المؤمنين والمؤمنات في الآخرة.

٨٠ - **التهذيب:** عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن العبّاس بن موسى الورّاق، عن يونس بن عبد الرحمن، عن أبي جرير القميّ، قال: سألت العبد الصالح عليه السلام عن النطفة ما فيها من الدية؟ وما في العلقة؟ وما في المضغة المخلّقة وما يقرّ في الأرحام؟ قال: إنّه يخلق في بطن أمّه خلقاً من بعد خلق، يكون نطفة أربعين يوماً، ثمّ يكون علقة أربعين يوماً، ثمّ مضغة أربعين يوماً، ففي النطفة أربعون ديناراً، وفي العلقة ستّون

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٤٥ في تفسيره لسورة السجدة، الآية: ٧.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٥١ في تفسيره لسورة الشورى، الآية: ٤٩.
(٣) الصحيح موسى بن محمد بن علي وهو موسى المبرقع أخو أبي الحسن العسكري عليه السلام. [النمازي].
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٥١ في تفسيره لسورة الشورى، الآية: ٥٠.

ديناراً، وفي المضغة ثمانون ديناراً، فإذا اكتسى العظام لحماً ففيه مائة دينار، قال الله عزّوجلّ: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(١) فإن كان ذكراً ففيه الدية، وإن كان أنثى ففيها ديتها(٢).

٨١ - **معاني الأخبار:** عن أبيه، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن أحمد بن محمّد عن عليّ بن السندي، عن محمّد بن عمرو بن سعيد، عن أبيه، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام حيث دخل عليه داود الرقّيّ، فقال له: جعلت فداك، إنّ الناس يقولون إذا مضى للحمل ستّة أشهر فقد فرغ الله من خلقته. فقال أبو الحسن عليه السلام: يا داود! ادع ولو بشقّ الصفا، فقلت: وأيّ شيء الصفا؟ قال: ما يخرج مع الولد، فإنّ الله عزّوجلّ يفعل ما يشاء(٣).

٨٢ - **الإقبال:** عن الحسين بن عليّ عليه السلام في دعاء يوم عرفة: ابتدأتني بنعمتك قبل أن أكون شيئاً مذكوراً، وخلقتني من التراب، ثمّ أسكنتني الأصلاب، أمناً لريب المنون واختلاف الدهور، فلم أزل ظاعناً من صلب إلى رحم في تقادم الأيّام الماضية والقرون الخالية، لم تخرجني لرأفتك بي ولطفك لي وإحسانك إليّ في دولة أيّام الكفرة الّذين نقضوا عهدك، وكذّبوا رسلك، لكنّك أخرجتني رأفة منك وتحنّناً عليّ للّذي سبق لي من الهدى الّذي يسّرتني وفيه أنشأتني، ومن قبل ذلك رؤفت بي بجميل صنعك، وسوابغ نعمتك، فابتدعت خلقي من منيّ يمنى، ثمّ أسكنتني في ظلمات ثلاث بين لحم وجلد ودم، لم تشهرني بخلقي، ولم تجعل إليّ شيئاً من أمري ثمّ أخرجتني إلى الدنيا تامّاً سويّاً، وحفظتني في المهد طفلاً صبيّاً، ورزقتني من الغذاء لبناً مريئاً، وعطفت عليّ قلوب الحواضن، وكفّلتني الأمّهات الرحائم، وكلأتني من طوارق الجانّ، وسلّمتني من الزيادة والنقصان، فتعاليت يا رحيم يا رحمان. حتّى إذا استهللت ناطقاً بالكلام، أتممت عليّ سوابغ الإنعام، فربّيتني زائداً في كلّ عام حتّى إذا كملت فطرتي، واعتدلت سريرتي، أوجبت عليّ حجّتك، بأن ألهمتني معرفتك، وروّعتني بعجائب فطرتك، وأنطقتني لما ذرأت لي في سمائك وأرضك من بدائع خلقك، ونبّهتني لذكرك وشكرك، وواجب طاعتك وعبادتك، وفهّمتني ما جاءت به رسلك، ويسّرت لي تقبّل مرضاتك، ومننت عليّ في جميع ذلك بعونك ولطفك، ثمّ إذ خلقتني من حرّ الثرى لم ترض لي يا إلهي نعمة دون أخرى، ورزقتني من أنواع المعاش وصنوف الرياش، بمنّك العظيم عليّ، وإحسانك القديم إليّ، حتّى إذا أتممت عليّ جميع النعم، وصرفت عنّي كلّ النقم، لم يمنعك جهلي وجرأتي عليك أن دللتني على ما يقرّبني إليك، ووفّقتني لما يزلفني لديك - إلى آخر الدعاء -(٤).

بيان: «ثمّ أسكنتني الأصلاب» أي جعلت مادّة وجودي مودعة في أصلاب آبائي، فإنّ

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.
(٢) تهذيب الأحكام، ج ١٠ ص ١٩٤٥ باب ٢٥ ح ٤.
(٣) معاني الأخبار، ص ٤٠٥.
(٤) إقبال الأعمال، ص ٦٥٢.

نطفة كلّ ولد كانت في صلب والده، وكلّهم كانوا من علل وجوده. وريب المنون: حوادث الدهر، ذكره الجوهريّ، و(أمنا) مفعول له، أي حفظت مادّة وجودي في الأصلاب لأكون آمناً من حوادث الدهر «واختلاف الدهور» وهو معطوف على (ريب) أو (المنون) والظاعن: السائر، وقال الجوهريّ: قدم الشيء - بالضمّ - قدماً فهو قديم، وتقادم مثله (انتهى) فهو من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف أي الأيّام المتقادمة، والخالية: الماضية. (للذي) متعلّق بقوله (أخرجتني) ويحتمل أن يكون اللام للظرفيّة وللعلّة. «الّذي يسّرتني» أي جعلتني قابلاً له، كما قال تعالى ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾. «بين لحم وجلد ودم» الظاهر أنّه ليس تفسيراً للظلمات الثلاث، أي كوّنتني أو حال كوني بين لحم الرحم وجلدها والدم الّذي فيها، أو كنت بين تلك الأجزاء من بدني، والأوّل أظهر. «لم تشهرني بخلقي» أي لم تجعل تلك الحالات الخسيسة ظاهرة للخلق في ابتداء خلقي لأصير محقّراً مهيناً عندهم، بل سترت تلك الأحوال عنهم وأخرجتني بعد اعتدال صورتي وخروجي عن تلك الأحوال الدنيّة والطفل: المولود، والصبيّ: الغلام، وهما متقاربان في المعنى، فالصبيّ إمّا تأكيد أو إشارة إلى اختلاف مراتب المولود، بأن يكون الطفولية قبل الصبا، والأوّل أظهر إذ يطلق على المولود حين كونه في المهد طفلاً وصبيّاً، فيكون الجمع بينهما إشارة إلى حالتي المولود، فباعتبار نعومة بدنه طفل، وباعتبار قلّة عقله صبيٌّ، فلذا قال تعالى ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[1] وما قيل من أنّ الصبيّ أعمّ من الطفل لأنّ المولود إذا فطم لا يسمّى طفلاً، يضعفه قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾[2].

قال الراغب: الصبيّ من لم يبلغ الحلم، قال تعالى ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾. وقال: الطفل: الولد ما دام ناعماً، وقد يقع على الجمع، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ وقال: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ وقد يجمع على أطفال، قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾ وباعتبار النعمة قيل امرأة طفلة (انتهى)[3].

والغذاء: ما يتغذّى به من الطعام والشراب، والمريّ إمّا من المهموز أي الموافق للطبع فخفّف، أو من المعتلّ من قولهم (مريت الناقة مرياً) إذا مسحت ضرعها لتدرّ والمريّ - على فعيل -: الناقة الكثيرة اللبن. والعطف: الشفقة والإمالة، يقال: عطف العود، أي ميّله، وعلى الأوّل يكون على بناء التفعيل. والحواضن: النساء اللاتي يقمن بتربية الصبيان، والحضن ما دون الإبط إلى الكشح، وحضن الطير بيضه لأنّه يضمّه إلى نفسه تحت جناحه، ولمّا كانت الأمّهات يحضنّ الأولاد سمّين حواضن. والكافل: الحافظ لغيره، قال تعالى ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾. و(كلأتني) أي حفظتني (من طوارق الجانّ) أي جماعة من الجنّ يطرقون

---

(١) سورة مريم، الآية: ٢٩.
(٢) سورة النور، الآية: ٣١.
(٣) مفردات الراغب الاصفهاني، ص ٣٨٢.

بشرّ على الأطفال كأمّ الصبيان. والطارق - في الأصل -: الّذي يأتي بالليل لاحتياجه إلى طرق الباب ثمّ استعمل في كلّ شرّ نزل سواء كان بالليل أو بالنهار، والمراد بالزيادة والنقصان ما يصير منهما سبباً لتشويه الخلقة وضعف البنية. والاستهلال: رفع الصوت، واستهلال الصبيّ صياحه عند الولادة. وكمال الفطرة إشارة إلى قوّة الأعضاء والقوى الظاهرة، واعتدال السريرة إلى كمال القوى الباطنة. «أوجبت» أي ألزمت وأتممت، و«روّعتني» أي أفزعتني وخوّفتني، والعلم بعجائب الفطرة يصير سبباً للخوف للعلم بعظمة الربّ سبحانه ووفور نعمه وتقصير المكلّف في أداء شكره، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ أو المعنى: ألقيت في روعي أي قلبي عجائب الفطرة، لكنّه بعيد عن الشائع في إطلاق هذا اللفظ بحسب اللغة. وقال الفيروزآباديّ: الحرّ - بالضمّ -: خيار كلّ شيء، ومن الطين والرمل الطيّب، ومن الرمل وسطه. والثرى: التراب النديّ.

أقول: سيأتي شرح تلك الفقرات مستوفى عند ذكر الدعاء بتمامه في محلّه إن شاء الله تعالى.

٨٣ - **تفسير علي بن إبراهيم:** ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ قال: خلقه من قطرة من ماء منتن فيكون خصيماً متكلّماً بليغاً(١).

٨٤ - **ومنه:** ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ قال: أي ناطق عالم بليغ(٢).

٨٥ - **ومنه:** ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ قال: يعني ذكراً وأنثى، أسود وأبيض وأحمر، صحيحاً وسقيماً(٣).

٨٦ - **ومنه:** ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ قال: عرق في الظهر يكون منه الولد(٤).

٨٧ - **ومنه:** ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ أي مستقرّين، قوله ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ قال: تتحوّل النطفة إلى الدم، فتكون أوّلاً دماً، ثمّ تصير نطفة وتكون في الدماغ في عرق يقال له الوريد، وتمرّ في فقار الظهر، فلا تزال تجوز فقراً فقراً حتّى تصير إلى الحالبين فتصير أبيض، وأمّا نطفة المرأة فإنّها تنزل من صدرها(٥).

بيان: قال الجوهريّ: الحالبان عرقان مكتنفان بالسرّة.

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٨٤ في تفسيره لسورة النحل، الآية: ٤.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٩٢ في تفسيره لسورة يس، الآية: ٧٧.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ١٠٤ في تفسيره لسورة آل عمران، الآية: ٧.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٧٢ في تفسيره لسورة الحاقة، الآية: ٤٦.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣١٦ في تفسيره لسورة النجم، الآية: ٤٦.

٨٨ - **التفسير:** ﴿لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ قال: لم يكن في العلم ولا في الذكر[١].

٨٩ - وفي حديث آخر: كان في العلم ولم يكن في الذكر. ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ أي نختبره[٢].

٩٠ - وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿أَمْشَاجٍ﴾ قال: ماء الرجل وماء المرأة اختلطا جميعاً[٣].

بيان: «لم يكن في العلم» أي علم الملائكة.

٩١ - **التفسير:** ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ قال: المخلّقة إذا صارت دماً، وغير المخلّقة قال: السقط[٤].

٩٢ - وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أنكم كنتم كذلك في الأرحام ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ فلا يخرج سقطاً[٥].

٩٣ - حدّثنا محمّد بن جعفر، عن محمّد بن أحمد، عن العبّاس، عن ابن أبي نجران عن محمّد بن القاسم، عن عليّ بن المغيرة، عن أبي عبد الله عن أبيه عليه السلام قال: إذا بلغ العبد مائة سنة فذلك أرذل العمر[٦].

بيان: لا يبعد أن يكون دماً تصحيف «تامّاً».

٩٤ - **التفسير:** ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ قال: من نطفة ثمّ من علقة[٧].

٩٥ - **ومنه:** ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ قال: من دم[٨].

٩٦ - **مجمع البيان:** روي أنّ ابن صوريا وجماعة من يهود أهل فدك لمّا قدم النبيّ صلى الله عليه وآله إلى المدينة سألوه فقالوا: يا محمّد! كيف نومك؟ فقد أخبرنا عن نوم النبيّ الّذي يأتي في آخر الزمان. فقال: تنام عيناي وقلبي يقظان. قالوا: صدقت يا محمّد! فأخبرنا عن الولد يكون من الرجل أو المرأة؟ فقال: أمّا العظام والعصب والعروق فمن الرجل، وأمّا اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة، قالوا: صدقت يا محمّد! فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شيء، أو يشبه أخواله وليس فيه من شبه أعمامه شيء؟ فقال: أيّهما علا ماؤه كان الشبه له. قالوا: صدقت يا محمّد! قالوا: أخبرنا عن ربّك ما هو؟ فأنزل الله: قل هو الله أحد إلى آخر السورة - الخبر -[٩].

٩٧ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: رجل ذهبت إحدى بيضتيه فقال: إن كانت

---

(١) - (٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٩٠ في تفسيره لسورة الدهر، الآية: ١.

(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٥٣ في تفسيره لسورة الحج، الآية: ٥.

(٥) - (٦) تفسير القمي، ج ٢ ص ٥٣. (٧) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٧٥.

(٨) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٣٠. (٩) مجمع البيان، ج ١ ص ٣١٥.

اليسار ففيها الدية، قلت: ولم؟ أليس قلت: ما كان في الجسد اثنان ففيه نصف الدية؟ قال: لأنّ الولد من البيضة اليسرى[١].

٩٨ - **الفقيه:** بإسناده عن أبي يحيى الواسطيّ رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: الولد يكون من البيضة اليسرى، فإذا قطعت ففيها ثلثا الدية، وفي اليمنى ثلث الدية[٢].

بيان: قال الشهيد الثاني - قدّس سره -: انحصار التولّد في الخصية اليسرى قد أنكره بعض الأطبّاء، ونسبه الجاحظ في حياة الحيوان إلى العامّة، ولو صحّ نسبته إليهم عليهم السلام لم يلتفت إلى إنكار منكره (انتهى).

وأقول: هذا شيء لا يمكن العلم به غالباً إلاّ من طريق الوحي والإلهام، والتجربة قاصرة عنه، مع أنّه يمكن أن يحمل على أنّ اليسرى أدخل في ذلك.

٩٩ - **توحيد المفضل:** نبتدىء يا مفضّل بذكر خلق الإنسان فاعتبر به، فأوّل ذلك ما يدبّر به الجنين في الرحم وهو محجوب في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء، ولا دفع أذىً، ولا استجلاب منفعة، ولا دفع مضرّة، فإنّه يجري إليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذو الماء النبات فلا يزال ذلك غذاءه حتّى إذا كمل خلقه، واستحكم بدنه، وقوي أديمه على مباشرة الهواء، وبصره على ملاقاة الضياء، هاج الطلق بأمّه فأزعجه أشدّ إزعاج وأعنفه حتّى يولد، وإذا ولد صرف ذلك الدم الّذي كان يغذوه من دم أمّه إلى ثدييها، فانقلب الطعم واللون إلى ضرب آخر من الغذاء، وهو أشدّ موافقة للمولود من الدم، فيوافيه في وقت حاجته إليه، فحين يولد وقد تلمّظ وحرّك شفتيه طلباً للرضاع، فهو يجد ثديي أمّه كالإداوتين المعلّقتين لحاجته، فلا يزال يغتذي باللبن ما دام رطب البدن رقيق الأمعاء ليّن الأعضاء، حتّى إذا تحرّك واحتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتدّ ويقوى بدنه طلعت له الطواحن من الأسنان والأضراس ليمضغ به الطعام، فيلين عليه ويسهل له إساغته فلا يزال كذلك حتّى يدرك، فإذا أدرك وكان ذكراً طلع الشعر في وجهه، فكان ذلك علامة الذكر وعزّ الرجل الّذي يخرج به عن حدّ الصبا وشبه النساء، وإن كانت أنثى يبقى وجهها نقيّاً من الشعر لتبقى لها البهجة والنضارة الّتي تحرّك الرجال لما فيه دوام النسل وبقاؤه.

اعتبر يا مفضّل في ما يدبّر به الإنسان في هذه الأحوال المختلفة، هل ترى يمكن أن يكون بالإهمال؟ أفرأيت لو لم يجر إليه ذلك الدم وهو في الرحم ألم يكن سيذوى ويجفّ كما يجفّ النبات إذا فقد الماء؟ ولو لم يزعجه المخاض عند استحكامه ألم يكن سيبقى في الرحم

---

(١) الكافي، ج ٧ ص ١٣٧٦ باب ١٩٧ ح ٢٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ص ٦٩٦ ح ٥٣٣٩.

كالموؤود في الأرض؟ ولو لم يوافقه اللبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعاً أو يغتذي بغذاء لا يلائمه ولا يصلح عليه بدنه؟ ولو لم تطلع عليه الأسنان في وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام وإساغته، أو يقيمه على الرضاع فلا يشتدّ بدنه ولا يصلح لعمل، ثمّ كان تشتغل أمّه بنفسه عن تربية غيره من الأولاد؟ ولو لم يخرج الشعر في وجهه [في وقته] ألم يكن سيبقى في هيئة الصبيان والنساء، فلا ترى له جلالة ولا وقاراً؟

فقال المفضّل: فقلت: يا مولاي! فقد رأيت من يبقى على حالته ولا ينبت الشعر في وجهه وإن بلغ حال الكبر. فقال: ذلك بما قدّمت أيديهم وأنّ الله ليس بظلاّم للعبيد، فمن هذا الّذي يرصده حتّى يوافيه بكلّ شيء من هذه المآرب إلاّ الّذي أنشأه خلقاً بعد أن لم يكن، ثمّ توكّل له بمصلحته بعد أن كان؟ فإن كان الإهمال يأتي بمثل هذا التدبير فقد يجب أن يكون العمد والتقدير يأتيان بالخطأ والمحال، لأنّهما ضدّ الإهمال. وهذا فظيع من القول وجهل من قائله، لأنّ الإهمال لا يأتي بالصواب، والتضادّ لا يأتي بالنظام، تعالى الله عمّا يقول الملحدون علوّاً كبيراً.

ولو كان المولود يولد فهماً عاقلاً لأنكر العالم عند ولادته، ولبقي حيران تائه العقل إذا رأى ما لم يعرف وورد عليه ما لم ير مثله من اختلاف صور العالم من البهائم والطير إلى غير ذلك ممّا يشاهده ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم. واعتبر ذلك بأنّ من سبي من ولد إلى بلد وهو عاقل يكون كالواله الحيران، فلا يسرع في تعلّم الكلام وقبول الأدب كما يسرع الّذي يسبى صغيراً غير عاقل. ثمّ لو ولد عاقلاً كان يجد غضاضة إذا رأى نفسه محمولاً مرضعاً معصّباً بالخرق مسجّى في المهد، لأنّه لا يستغني عن هذا كلّه لرقّة بدنه ورطوبته حين يولد، ثمّ كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع من القلوب ما يوجد للطفل، فصار يخرج إلى الدنيا غبيّاً غافلاً عمّا فيه أهله، فيلقى الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة. ثمّ لا يزال يتزيّد في المعرفة قليلاً قليلاً وشيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال حتّى يألف الأشياء ويتمرّن ويستمرّ عليها، فيخرج من حدّ التأمّل بها والحيرة فيها إلى التصرّف والاضطراب إلى المعاش بعقله وحيلته وإلى الاعتبار والطاعة والسهو والغفلة [والمعصية].

وفي هذا أيضاً وجوه أخر، فإنّه لو كان يولد تامّ العقل مستقلاً بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الأولاد، وما قدّر أن يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة وما يوجب التربية للآباء على الأبناء من المكافأة بالبرّ والعطف عليهم عند حاجتهم إلى ذلك منهم. ثمّ كان الأولاد لا يألفون آباءهم ولا يألف الآباء أبناءهم، لأنّ الأولاد كانوا يستغنون عن تربية الآباء وحياطتهم، فيتفرّقون عنهم حين يولدون، فلا يعرف الرجل أباه وأمّه، ولا يمتنع من نكاح أمّه وأخته وذوات المحارم منه، إذ كان لا يعرفهنّ، وأقلّ ما في ذلك من القباحة، بل هو أشنع وأعظم وأفظع وأقبح وأبشع لو خرج المولود من بطن أمّه وهو يعقل أن يرى منها ما لا يحلّ له

ولا يحسن به أن يراه. أفلا ترى كيف أُقيم كلّ شيء من الخلقة على غاية الصواب، وخلا من الخطأ دقيقه وجليله؟

اعرف يا مفضّل ما للأطفال في البكاء من المنفعة، واعلم أنّ في أدمغة الأطفال رطوبة إن بقيت فيها أحدثت عليهم أحداثاً جليلة وعللاً عظيمة من ذهاب البصر وغيره فالبكاء يسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم فيعقبهم ذلك الصحّة في أبدانهم والسلامة في أبصارهم. أفليس قد جاز أن يكون الطفل ينتفع بالبكاء ووالداه لا يعرفان ذلك، فهما دائبان ليسكتانه، ويتوخّيان في الأمور مرضاته لئلاّ يبكي وهما لا يعلمان أنّ البكاء أصلح له وأجمل عاقبة؟ فهكذا يجوز أن يكون في كثير من الأشياء منافع لا يعرفها القائلون بالإهمال، ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء أنّه لا منفعة فيه من أجل أنّهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه، فإنّ كلّ ما لا يعلمه المنكرون يعلمه العارفون وكثيراً ما يقصر عنه علم المخلوقين محيط به علم الخالق جلّ قدسه وعلت كلمته.

فأمّا ما يسيل من أفواه الأطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة الّتي لو بقيت في أبدانهم لأحدثت عليهم الأمور العظيمة، كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة فأخرجته إلى حدّ البله والجنون والتخليط إلى غير ذلك من الأمراض المتلفة كالفالج واللقوة وما أشبههما، فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم لما لهم في ذلك من الصحّة في كبرهم، فتفضّل على خلقه بما جهلوه، ونظر لهم بما لم يعرفوه، ولو عرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك عن التمادي في معصيته. فسبحانه! ما أجلّ نعمته وأسبغها على المستحقّين وغيرهم من خلقه! وتعالى عمّا يقول المبطلون علوّاً كبيراً[1].

أقول: قد مرّ شرحه وتمامه في كتاب التوحيد[2].

١٠٠ - **العلل:** عن عليّ بن حاتم، عن إسماعيل بن علي بن قدامة، عن أحمد بن عليّ بن ناصح، عن جعفر بن محمّد الأرمنيّ، عن الحسن بن عبد الوهّاب، عن عليّ بن حديد المدائنيّ، عمّن حدّثه، عن المفضّل بن عمر، قال: سألت جعفر بن محمّد عليه السلام عن الطفل يضحك من غير عجب ويبكي من غير ألم، فقال: يا مفضّل! ما من طفل إلاّ وهو يرى الإمام ويناجيه، فبكاؤه لغيبة الإمام عنه، وضحكه إذا أقبل إليه، حتّى إذا أُطلق لسانه أُغلق ذلك الباب عنه، وضرب على قلبه بالنسيان[3].

بيان: لا استبعاد في ظاهر الخبر مع صحّته، ويحتمل أن يكون المراد برؤية الإمام ومناجاته توجّهه وشمول شفاعته ولطفه ودعائه له، فإنّ لهم تصرّفاً في العوالم يقصر العقل عن إدراكه.

---

(١) توحيد المفضل، ص ٤٨-٥٤. (٢) مرّ في ج ٣ و ٤ من هذه الطبعة.

(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٥٥ باب ٣٨٥ ح ٢٨.

١٠١ - **التوحيد:** عن القاسم بن محمّد السرّاج، عن جعفر بن محمّد بن موسى عن محمّد بن عبد الله بن هارون الرشيد، عن محمّد بن أكرم بن أبي اياس، عن ابن أبي ذئب، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: لا تضربوا أطفالكم على بكائهم فإنّ بكاءهم أربعة أشهر شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأربعة أشهر الصلاة على النبيّ وآله، وأربعة أشهر الدعاء لوالديه[١].

بيان: يحتمل أن يكون المراد بالخبر مع ضعفه أنّ لوالديه ثواب هذه الأذكار والأدعية، فينبغي أن لا يملّوا ولا يضربوهم. وقال بعض المحقّقين: السرّ فيه أنّ الطفل أربعة أشهر لا يعرف سوى الله عزّوجلّ الّذي فطر على معرفته وتوحيده، فبكاؤه توسّل إليه والتجاء به سبحانه خاصّة دون غيره، فهو شهادة له بالتوحيد، وأربعة أُخرى يعرف أمّه من حيث إنّها وسيلة لاغتذائه فقط لا من حيث إنّها أمّه، ولهذا يأخذ اللبن من غيرها أيضاً في هذه المدّة غالباً، فلا يعرف فيها بعد الله إلاّ من كان وسيلة بين الله وبينه في ارتزاقه الّذي هو مكلّف به تكليفاً طبيعياً من حيث كونها وسيلة لا غير وهذا معنى الرسالة، فبكاؤه في هذه المدّة بالحقيقة شهادة بالرسالة، وأربعة أُخرى يعرف أبويه وكونه محتاجاً إليهما في الرزق، فبكاؤه فيها دعاء لهما بالسلامة والبقاء في الحقيقة.

١٠٢ - **الدر المنثور:** عن ابن عبّاس، قال: حضرت عصابة من اليهود نبيّ الله ﷺ فسألوه عن مسائل، فكان في ما سألوه: كيف ماء الرجل من ماء المرأة؟ وكيف الأنثى منه والذكر؟ فقال: إنّ ماء الرجل أبيض غليظ، وإنّ ماء المرأة أصفر رقيق فأيّهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله تعالى، إن علا ماء الرجل كان ذكراً بإذن الله وإن علا ماء المرأة كان أنثى بإذن الله تعالى[٢].

١٠٣ - وعن أنس، قال: سأل عبد الله بن سلام النبيّ ﷺ فقال: ما ينزع الولد إلى أبيه وإلى أمّه؟ قال: أخبرني جبرئيل أنّه إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع إليه الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع إليها[٣].

١٠٤ - وعن ابن عبّاس، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ قال: خلقوا في ظهر آدم ثمّ صوّروا في الأرحام[٤].

١٠٥ - وفي رواية أُخرى عنه: خلقوا في أصلاب الرجال، ثمّ صوّروا في أرحام النساء[٥].

١٠٦ - وفي رواية أُخرى عنه قال: أمّا قوله ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ فآدم، وأمّا ﴿صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ فذرّيّته[٦].

---

(١) التوحيد للصدوق، ص ٣٣١ باب ٥٣ ح ١٠. (٢) - (٣) الدر المنثور، ج ١ ص ٩٠-٩١.
(٤) - (٦) الدر المنثور، ج ٣ ص ٧٢.

١٠٧ - وعن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت النبيّ ﷺ سئل عن العزل فقال: لا عليكم أن تفعلوا، إن يكن ممّا أخذ الله منها الميثاق فكانت على الصخرة نفخ فيه الروح[١].

١٠٨ - وعن ابن مسعود أنّه سئل عن العزل فقال: لو أخذ الله ميثاق نسمة من صلب رجل ثمّ أفرغه على صفا لأخرجه من ذلك الصفا، فإن شئت فاعزل وإن شئت لا تعزل[٢].

١٠٩ - وعن ابن عبّاس في قوله تعالى ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ قال: السلالة صفو الماء الرقيق الّذي يكون منه الولد[٣].

١١٠ - وعن ابن عبّاس - مرفوعاً -: النطفة الّتي يخرج منها الولد ترعد لها الأعضاء والعروق كلّها إذا خرجت وقعت في الرحم[٤].

١١١ - وعن عليّ عليه السلام قال: إذا تمّت النطفة أربعة أشهر بعث إليها ملك فنفخ فيها الروح في الظلمات الثلاث، فذلك قوله ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ﴾ يعني نفخ الروح[٥].

١١٢ - وعن ابن عبّاس في قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ﴾ يقول: خرج من بطن أمّه بعدما خلق، فكان من بدء خلقه الآخر أن استهلّ، ثمّ كان من خلقه أن دلّ على ثدي أمّه، ثمّ كان من خلقه أن علم كيف يبسط رجليه، إلى أن قعد، إلى أن حبا إلى أن قام على رجليه، إلى أن مشى، إلى أن فطم، فعلم كيف يشرب ويأكل من الطعام إلى أن بلغ الحلم، إلى أن بلغ، إلى أن يتقلّب في البلاد[٦].

١١٣ - وعن قتادة، ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ﴾ قال: يقول بعضهم هو نبات الشعر وبعضهم يقول هو نفخ الروح[٧].

١١٤ - وعن حذيفة بن أسيد، قال: قال رسول الله ﷺ: يدخل الملك على النطفة بعدما تستقرّ في الرحم بأربعة أو بخمسة وأربعين ليلة: أي ربّ أشقيّ أم سعيد؟ أذكر أم أنثى؟ فيقول الله ويكتبان، ثمّ يكتب عمله ورزقه وأجله وأثره ومصيبته ثمّ تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص منها[٨].

١١٥ - وعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا مكث المنيّ في الرحم أربعين ليلة أتاه ملك النفوس فعرج به إلى الربّ، فيقول: يا ربّ أذكر أم أنثى؟ فيقضي الله ما هو قاضٍ، فيقول: أشقيّ أم سعيد؟ فيكتب ما هو لاقٍ. وقرأ أبو ذرّ من فاتحة التغابن خمس آيات إلى قوله: ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾[٩].

---

(١) - (٢) الدر المنثور، ج ٣ ص ١٤٤. وروى العامّة عن النبيّ ﷺ أنّه سئل عن العزل فأجاز ذلك، وقال: ما كتب الله خلق نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة إلا ستكون؛ رواه في كتاب التاج ج ٢ ص ٣٠٩، قال: رواه الخمسة. [مستدرك السفينة ج ٧ لغة «عزل»].

(٣) - (٧) الدر المنثور، ج ٥ ص ٦-٨. (٨) - (٩) الدر المنثور، ج ٤ ص ٣٤٥ و٢٢٧.

١١٦ - وعن عبد الله بن مسعود قال: إذا جئناكم بحديث أتيناكم بتصديقه من كتاب الله. إنّ النطفة تكون في الرحم أربعين، ثمّ تكون علقة أربعين، ثمّ تكون مضغة أربعين، فإذا أراد الله أن يخلق الخلق نزل الملك فيقول له: اكتب، فيقول: ماذا أكتب؟ فيقول: شقيّاً أو سعيداً، ذكراً أو أنثى، وما رزقه وأثره وأجله، فيوحي الله بما يشاء ويكتبه الملك. ثمّ قرأ عبد الله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ ثمّ قال عبد الله: أمشاجها عروقها(١).

١١٧ - وعن ابن عبّاس، في قوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ قال: ماء الرجل وماء المرأة حين يختلطان(٢).

١١٨ - وعن ابن عبّاس، أنّ نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ قال: اختلاط ماء الرجل وماء المرأة إذا وقع في الرحم. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت أبا ذؤيب وهو يقول:

كأنّ الريش والفوقين منه ... خلال النسل خالطه مشيج(٣)

١١٩ - وعن ابن عبّاس في قوله ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ قال: مختلفة الألوان(٤).

١٢٠ - وعن مجاهد ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ قال: ألوان، نطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وحمراء(٥).

١٢١ - وعن قتادة ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ قال: طوراً نطفة وطوراً علقة، وطوراً مضغة، وطوراً عظاماً، ثمّ كسونا العظام لحماً، وذلك أشدّ ما يكون إذا كسي اللحم ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ قال: أنبت له الشعر ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ فأنبأه الله ممّا خلقه وأبناه، إنّما بيّن ذلك ليبتليه بذلك، ليعلم كيف شكره ومعرفته لحقّه، فبيّن الله له ما أحلّ وما حرّم عليه، ثمّ قال ﴿إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا﴾ لنعم الله ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ بها(٦).

١٢٢ - وعن عكرمة في قوله ﴿أَمْشَاجٍ﴾ قال: الظفر والعظم والعصب من الرجل واللحم والدم والشعر من المرأة(٧).

١٢٣ - وعن مالك بن الحويرث قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله أن يخلق النسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كلّ عرق وعصب منها، فإذا كان اليوم السابع أحضر الله له كلّ عرق بينه وبين آدم، ثمّ قرأ: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾(٨).

١٢٤ - وعن مجاهد ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ قال: إمّا قبيحاً وإمّا حسناً، وشبه أب أو أمّ أو خال أو عمّ(٩).

١٢٥ - وعن عليّ بن رباح، عن أبيه، عن جدّه، أنّ النبيّ ﷺ قال له: ما ولد لك؟ قال: يا رسول الله! ما عسى أن يولد لي؟ إمّا غلام وإمّا جارية. قال: فمن يشبه؟ قال: يا رسول الله!

(١) - (٧) الدر المنثور، ج ٦ ص ٢٩٧-٢٩٨. (٨) - (٩) الدر المنثور، ج ٦ ص ٣٢٣.

ما عسى أن يشبه؟ إمّا أباه وإمّا أمّه. فقال: لا تقولنّ هذا إنّ النطفة إذا استقرّت في الرحم أحضرها الله كلّ نسب بينها وبين آدم، فركّب خلقه في صورة من تلك الصور، أما قرأت هذه الآية في كتاب الله ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ من نسبك ما بينك وبين آدم(١).

١٢٦ - وعن ابن أبي حاتم في قوله: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ قال صلب الرجل وترائب المرأة، لا يكون الولد إلاّ منهما(٢).

١٢٧ - وعن ابن أبزى، قال: الصلب من الرجل، والترائب من المرأة(٣).

١٢٨ - وعن ابن عبّاس ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ قال: ما بين الجيد والنحر(٤).

١٢٩ - وعن مجاهد، قال: الترائب أسفل من التراقي(٥).

١٣٠ - وعن ابن عبّاس في قوله: ﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ قال: تريبة المرأة، وهو موضع القلادة(٦).

١٣١ - وعن ابن عبّاس أنّ نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله عزّ وجلّ: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ قال: الترائب موضع القلادة من المرأة. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

والزعفران على ترائبها شرقاً به اللبات والنحر(٧)

١٣٢ - وعن عكرمة، أنّه سئل عن قوله: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ قال: صلب الرجل وترائب المرأة، أما سمعت قول الشاعر:

نظام اللؤلؤ على ترائبها شرقاً به اللبات والنحر(٨)

١٣٣ - وعن ابن عبّاس، قال: الترائب بين ثديي المرأة(٩).

١٣٤ - وعن سعيد بن جبير، قال: الترائب الصدر(١٠).

وعن عكرمة وابن عياض مثله.

١٣٥ - وعن ابن عبّاس، قال: الترائب أربعة أضلاع من كلّ جانب من أسفل الأضلاع(١١).

١٣٦ - وعن الأعمش، قال: يخلق العظام والعصب من ماء الرجل، ويخلق اللحم والدم من ماء المرأة(١٢).

١٣٧ - وعن قتادة في قوله: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ قال: يخرج من بين صلبه ونحره ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾ قال: إنّ الله على بعثه وإعادته لقادر ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩﴾ قال: إنّ هذه السرائر مختبرة، فأسرّوا خيراً وأعلنوه ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ﴾ يمتنع بها ﴿وَلَا نَاصِرٖ﴾ ينصره من الله(١٣).

١٣٨ - وعن ابن عبّاس في قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾ قال: أن يجعل الشيخ شابّاً، والشابّ شيخاً(١٤).

(١) الدر المنثور، ج ٦ ص ٣٢٣.
(٢) - (١٤) الدر المنثور، ج ٦ ص ٣٣٦.

١٣٩ - وعن مجاهد: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ قال: على رجع النطفة في الإحليل[1].

بيان: قوله: «كأنّ الريش..» أقول: أورد الجوهريّ البيت هكذا:

كأنّ النصل والفوقين منها خلال الريش سيط به المشيج

فائدة: قال بعض المحقّقين: مبدأ عقد الصورة في منيّ الذكر، ومبدأ انعقادها في منيّ الأنثى، وهما بالنسبة إلى الجنين كالانفحة واللبن بالقياس إلى الجبن. وقيل: إنّ لكلّ من المنيّين قوّة عاقدة وقابلة وإن كانت العاقدة في الذكوريّ أقوى والمنعقدة في الأنوثيّ أقوى، ورجّح ذلك بأنّه لو لم يكن كذلك لم يمكن أن يتّحدا شيئاً واحداً ولم ينعقد منّي الذكر حتّى يصير جزءاً من الولد. وقال بعضهم: ولهذا إذا كان مزاج الأنثى قويّاً ذكوريّاً كما تكون أمزجة النساء الشريفة النفس، القويّة القوى، وكان مزاج كبدها حارّاً كان المنيّ المنفصل من الكلية اليمنى مقام منيّ الرجل في شدّة قوّة العقد، والمنفصل من اليسرى مقام منيّ الأنثى في قوّة الانعقاد، فينخلق الولد بإذن الله، وخصوصاً إذا كانت النفس متأيّدة بروح القدس متقوّمة به بحيث يسري اتّصالها به إلى الطبيعة والبدن، ويغيّر المزاج، ويمدّ جميع القوى في أفعالها بالمدد الروحانيّ فتصير أقدر على أفعالها بما لا ينضبط بالقياس، كما وقع للصدّيقة مريم بنت عمران على نبيّنا وآله وعلى ابنها وعليها السلام حيث تمثّل لها روح القدس بشراً سويّ الخلق حسن الصورة، فتأثّر نفسها به فتحرّكت على مقتضى الجبلّة، وسرى الأثر من الخيال في الطبيعة، فتحرّكت شهوتها فأنزلت، كما يقع في المنام من الاحتلام (انتهى).

وأقول: قد مرّ أن نفوذ إرادة الله سبحانه وقدرته في أمر لا يتوقّف على حصول تلك الأسباب العاديّة، حتّى يتكلّف أمثال تلك التكلّفات الّتي ربما انتهى القول به إلى نسبة أمور إلى النساء المقدّسات المطهّرات لا يرضى الله بها، والكفّ عنها أحوط وأحرى.

ثمّ قالوا: ابتداء خلقة الجنين هو حصول الماء في الرحم، وشبّه بالعجين إذا ألصق بالتنّور، ثمّ يتغيّر عن حاله قليلاً ويشبه بالبذر إذا طرح في الأرض ويسمّى نطفة، ثمّ تحصل فيه نقط دمويّة من دم الحيض ويسمّى علقة، ثمّ يظهر فيه حمرة ظاهرة منه فيصير شبيهاً بالدم الجامد، ويعظم قليلاً، ويهيج فيه ريح حارّة ويسمّى مضغة ثمّ يتمّ ويتميّز فيه الأعضاء الرئيسة الثلاثة ويظهر لسائر الأعضاء رسوم خفيّة ويسمّى جنيناً، ثمّ يظهر فيه رسوم سائر الأعضاء ويقوى ويصلب ويجري فيه الروح ويتحرّك ويسمّى صبيّاً، ثمّ تنفصل الرسوم وتظهر الصورة وينبت الشعر، ثمّ ينفتح لسانه وتتمّ خلقته. وتكمل خلقة الذكر قبل خلقة الأنثى، وإذا كمل لم يكتف بما يجيئه من الغذاء من دم الحيض، فيتحرّك حركات صعبة قويّة، وانتهكت رباطات الرحم، فكانت الولادة.

---

(١) الدر المنثور، ج ٦ ص ٣٣٦.

وقال بعضهم: الرحم موضوعة في ما بين المثانة والمعى المستقيم، وهي مربوطة برباطات على هيئة السلسلة، وجسمها عصبيّ ليمكن امتدادها واتّساعها وقت الولادة والحاجة إلى ذلك، وتنضمّ إذا استغنت، ولها بطنان ينتهيان إلى فم واحد، وزائدتان تسمّيان قرني الرحم، وخلف هاتين الزائدتين بيضتا المرأة، وهما أصغر من بيضتي الرجل وأشدّ تفرطحاً (والمفرطح: العريض) ومنهما ينصبّ منّي المرأة إلى تجويف الرحم، وللرحم رقبة منتهية إلى فرج المرأة، وتلك الرقبة من المرأة بمنزلة الذكر من الرجل، فإذا امتزج منيّ الرجل بمنيّ المرأة من تجويف الرحم كان العلوق، ثمّ ينمى من دم الطمث، ويتّصل بالجنين عروق تأتي إلى الرحم فتغذوه حتّى يتمّ ويكمل فإذا لم يكتف بما يجيئه من تلك العروق يتحرّك حركات قويّة طلباً للغذاء، فيهتك أربطة الرحم الّتي قلنا إنّها على هيئة السلسلة ويكون منها الولادة (انتهى).

واعلم أنّهم اتّفقوا على أنّ المنيّ يتولّد من فضلة الهضم الرابع في الأعضاء، قال بقراط في كتابه في المنيّ: إنّ جمهور مادّة المنيّ هو من الدماغ، فإنّه ينزل منه إلى العرقين اللّذين خلف الأذنين، ثمّ منهما إلى النخاع لئلاّ يبعد من الدماغ وما يشبهه مسافة طويلة فيغيّر مزاجه، ثمّ منه إلى الكليتين بعد نفوذه في العرقين الطالعين المتشعّبين من الأجوف إلى العروق الّتي تأتي الأنثيين، ولهذا قيل: إنّ قطعهما يقطع النسل.

ونقل الطبريّ عن بقراط أنّ الصقالبة إذا أرادوا أن يرتّبوا أولادهم للدعوة أو للناموس بتروا منهم هذين العرقين، فينقطع هذا المقطوع العرق عن الجماع ويصير بصورة النساء، فيتبرّكون به ويتوسّلون به إلى الله تعالى، ويرون أنّ دعاءه مستجاب وأنّ الله قد اصطفاه واختاره وطهّره من الخبائث! وجالينوس أنكر ذلك وخطّأ قول بقراط.

وقال الشيخ: أنا أرى أنّ المنيّ ليس يجب أن يكون من الدماغ وحده، وإن كانت خميرته منه، وصحّ ما يقوله بقراط من أمر العرقين، بل يجب أن يكون له من كلّ عضو رئيس عين، ومن الأعضاء الأخرى ترشّح أيضاً إلى هذه الأصول.

وقال القرشيّ في شرح القانون: إنّما يكون تولّد المنيّ من الرطوبة المبثوثة على الأعضاء كالطلّ، ومعلوم أنّه ليس في كلّ عضو من الأعضاء مجرى يسيل فيه ما هناك من تلك الرطوبة إلى الأنثيين ثمّ إلى القضيب، فلا يمكن أن يكون وصولها إلى هناك إلاّ بأن تتبخّر تلك الرطوبة من الأعضاء حتّى تتصعّد إلى الدماغ، وهناك تفارقها الحرارة المتبخّرة فتبرد وتتكاثف وتعود إلى قوامها قبل التبخّر، ثمّ من هناك ينزل إلى العروق الّتي خلف الأذنين وينفذ إلى النخاع في عروق هناك لئلاّ يتغيّر عن التعدّل الّذي أفاده الدماغ، فلا يتبخّر بالحرارة كرّة أخرى، فإذا نزلت من هناك حتّى وصلت إلى قرب الانثيين صادف هناك عروقاً واصلة من الكليتين إلى الانثيين، وتلك العروق مملوءة من الدم، فتتسخّن في الكليتين وتعدل، فيحيله ذلك النازل

من الدماغ إلى مشابهه بعض الاستحالة، ثمّ بعد ذلك ينفذ إلى الأنثيين ويكمل فيهما تعدّله وبياضه ونضجه، ومنهما يندفع إلى أوعيته.

وأيّد ذلك بما نقل من كتاب منسوب إلى هرمس في سرّ الخليقة قد فسّره بليناس وهو أنّ المنيّ إذا خرج من معادنه عند الجماع ائتلف بعضه إلى بعض وسما إلى الدماغ وأخذ الصورة منه، ثمّ نزل في الذكر وخرج منه.

وقال شارح الأسباب: مادّة المنيّ يأتي من الكبد إلى الكليتين في شعب من الأجوف النازل، ويتصفّى فيهما من المائيّة، ثمّ منهما إلى المجرى الّذي بينهما وبين الأنثيين، وهو عرق كثير المعاطف والاستدارات ليطول المسافة بينهما فينضج فيه المنيّ ويبيضّ بعد احمراره، ثمّ منه إلى الأنثيين، فهما يعينان على تمام تكوّن المنيّ بإسخانهما الدم النافذ في هذه العروق (انتهى).

وقالوا: ونبت من الأنثيين وعاءان مثل البربخين شبيهين بجوهر الأنثيين يصعدان أوّلاً إلى العانة وإلى معلق البيضتين، ثمّ ينزلان متورّبين إلى عنق المثانة أسفل من مجرى البول، ثمّ يتّصلان إلى المجرى الّذي في أصل القضيب، ويسمّى هذان الوعاءان أوعية المنيّ، وهذان في الرجال أطول وأوسع منهما في النساء. وفي القضيب مجارٍ ثلاثة: مجرى المنيّ، ومجرى البول، ومجرى الودي، كذا ذكر الشيخ في القانون. وقال صاحب ترويح الأرواح: في القضيب مجريان: أحدهما مجرى البول والودي والآخر مجرى المنيّ. وكلامهم في ذلك كثير اكتفينا بذلك لتطّلع في الجملة على بعض مصطلحاتهم فتستعملها في فهم ما مرّ وسيأتي من الآيات والأخبار، والله يعلم حقائق الأمور.

وفي القاموس: البربخ منفذ الماء ومجراه، وهو الأردبة والبالوعة من الخزف.





الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء الثامن و الخمسون

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب: ٧١٢٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٤٣ - باب حقيقة النفس والروح وأحوالهما

الآيات: الإسراء: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾.

الزمر: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَاۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

الواقعة: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

الملك: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ «٢».

تفسير: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾ قال الطبرسيّ - روّح الله روحه - اختلف في الروح المسؤول عنه على أقوال: أحدها أنّهم سألوه عن الروح الّذي في بدن الإنسان ما هو ولم يجبهم، وسأله عن ذلك قوم من اليهود، عن ابن مسعود وابن عبّاس وجماعة، واختاره الجبائيّ، وعلى هذا فإنّما عدل النبيّ ﷺ عن جوابهم لعلمه بأنّ ذلك أدعى لهم إلى الصلاح في الدين، ولأنّهم كانوا بسؤالهم متعنّتين لا مستفيدين، فلو صدر الجواب لازدادوا عناداً وقيل: إنّ اليهود قالت لقريش: سلوا محمّداً عن الروح، فإن أجابكم فليس بنبيّ، وإن لم يجبكم فهو نبيّ، فإنّا نجد في كتبنا ذلك، فأمر الله سبحانه بالعدول عن جوابهم، وأن يكلهم في معرفة الروح إلى ما في عقولهم، ليكون ذلك علماً على صدقه ودلالة لنبوّته.

وثانيها: أنّهم سألوه عن الروح: أهي مخلوقة محدثة أم ليست كذلك؟ فقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي من فعله وخلقه، وكان هذا جواباً لهم عمّا سألوه عنه بعينه. وعلى هذا فيجوز أن يكون الروح الّذي سألوه عنه هو الّذي به قوام الجسد على قول ابن عبّاس وغيره، أم جبرئيل على قول الحسن وقتادة، أم ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه، لكلّ وجه سبعون ألف لسان، يسبّح الله تعالى بجميع ذلك على ما روي عن عليّ عليه السلام، أم عيسى عليه السلام فإنّه سمّي بالروح.

وثالثها: أنّ المشركين سألوه عن الروح الّذي هو القرآن كيف يلقاك به الملك؟ وكيف صار معجزاً؟ وكيف صار نظمه وترتيبه مخالفاً لأنواع كلامنا من الخطب والأشعار؟ وقد سمّى الله سبحانه القرآن روحاً في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾[1] فقال سبحانه: قل يا محمّد إنّ الروح الّذي هو القرآن من أمر ربّي، أنزله عليّ دلالة على نبوّتي، وليس من

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

فعل المخلوقين، ولا ممّا يدخل في إمكانهم. وعلى هذا فقد وقع الجواب أيضاً موقعه، وأمّا على القول الأوّل فيكون معنى قوله: ﴿ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ هو الأمر الّذي يعلمه ربّي ولم يطلع عليه أحداً.

واختلف العلماء في مهيّة الروح، فقيل: إنّه جسم رقيق هوائيٌّ متردّد في مخارق الحيوان، وهو مذهب أكثر المتكلّمين، واختاره المرتضى - قدّس الله روحه -. وقيل: هو جسم هوائيٌّ على بنية حيوانيّة في كلّ جزء منه حياة، عن عليّ بن عيسى، قال: فلكلّ حيوان روح وبدن، إلاّ أنّ منهم مَن الأغلب عليه الروح، ومنهم مَن الأغلب عليه البدن. وقيل: إنّ الروح عرَض، ثمّ اختلف فيه، فقيل: هو الحياة الّتي يتهيّأ بها المحلّ لوجود العلم والقدرة والاختيار، وهو مذهب الشيخ المفيد أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان ﷺ والبلخيّ وجماعة من المعتزلة البغداديّين وقيل: هو معنى في القلب، عن الأسواريّ. وقيل: إنّ الروح الإنسان، وهو الحيّ المكلّف، عن ابن الأخشيد والنظّام.

وقال بعض العلماء: إنّ الله خلق الروح من ستّة أشياء: من جوهر النور والطيب، والبقاء، والحياة، والعلم، والعلوّ. ألا ترى أنّه ما دام في الجسد كان الجسد نورانيّاً، يبصر بالعينين، ويسمع بالأذنين، ويكون طيّباً فإذا خرج من الجسد نتن البدن، ويكون باقياً فإذا فارقه الروح بلي وفني، ويكون حيّاً وبخروجه يصير ميّتاً ويكون عالماً فإذا خرج منه الروح لم يعلم شيئاً، ويكون علويّاً لطيفاً توجد به الحياة بدلالة قوله تعالى في صفة الشهداء: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ﴾[(١)] وأجسادهم قد بليت في التراب.

وقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قيل: هو خطاب للنبيّ ﷺ وغيره، إذ لم يبيّن له الروح، ومعناه: وما أوتيتم من العلم المنصوص عليه إلاّ قليلاً، أي شيئاً يسيراً، لأنّ غير المنصوص عليه أكثر، فإنّ معلومات الله تعالى لا نهاية لها. وقيل: خطاب لليهود الّذين سألوه، فقالت اليهود عند ذلك: كيف وقد أعطانا الله التوراة؟ فقال: التوراة في علم الله قليل[(٢)].

وقال الرازيّ: للمفسّرين في الروح المذكور في هذه الآية أقوال وأظهرها أنّ المراد منه الروح الّذي هو سبب الحياة، ثمّ ذكر رواية سؤال اليهود وإبهام النبيّ ﷺ قصّة الروح، وزيّفها بوجوه ضعيفة، ثم قال: بل المختار عندنا أنّهم سألوه عن الروح وأنّه ﷺ أجابهم عنه على أحسن الوجوه. وتقريره أنّ المذكور في الآية أنّهم سألوه عن الروح، والسؤال عنه يقع على وجوه كثيرة أحدها أن يقال: ماهيّة الروح أهو متحيّز، أو حالّ في المتحيّز، أو موجود غير متحيّز ولا حالّ في المتحيّز؟ وثانيها أن يقال: الأرواح قديمة أو حادثة؟ وثالثها

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩-١٧٠. (٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ٢٨٨-٢٨٩.

أن يقال: الأرواح هل تبقى بعد موت الأجساد أو تفنى؟ ورابعها أن يقال: ما هي حقيقة سعادة الأرواح وشقاوتها؟

وبالجملة فالمباحث المتعلّقة بالروح كثيرة، وقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ ليس فيه ما يدلّ على أنّهم عن أيّ هذه المسائل سألوا. إلاّ أنّ جوابه تعالى لا يليق إلاّ بمسألتين من المسائل الّتي ذكرناها: إحداهما السؤال عن ماهيّة الروح، والثانية عن قدمها وحدوثها.

أما البحث الأوّل فهو أنّهم قالوا: ما حقيقة الروح وماهيّته؟ أهو عبارة عن أجسام موجودة في داخل هذا البدن متولّدة من امتزاج الطبائع والأخلاط، أو عبارة عن نفس هذا المزاج والتركيب، أو هو عبارة عن عرض آخر قائم بهذه الأجسام، أو هو عبارة عن موجود مغاير لهذه الأجسام ولهذه الأعراض؟ فأجاب الله عنه بأنّه موجود مغاير لهذه الأجسام ولهذه الأعراض وذلك لأنّ هذه الأجسام وهذه الأعراض أشياء تحدث من امتزاج الأخلاط والعناصر، وأمّا الروح فإنّه ليس كذلك، بل هو جوهر بسيط مجرّد لا يحدث إلاّ بمحدث قوله كن فيكون فقالوا: لم كان شيئاً مغايراً لهذه الأجسام ولهذه الأعراض؟ فأجاب الله بأنه موجود يحدث بأمر الله وتكوينه وتأثيره في إفادة الحياة لهذا الجسد، ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوصة نفيه، فإنّ أكثر حقائق الأشياء وماهيّاتها مجهولة، ولم يلزم من كونها مجهولة نفيها، وهذا هو المراد بقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وأما البحث الثاني فهو أنّ لفظ الأمر قد جاء بمعنى الفعل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ أي فعلنا، فقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ من فعل ربّي، وهذا الجواب يدلّ على أنّهم سألوا أنّ الروح قديمة أو حادثة؟ فقال: بل هي حادثة، وإنّما حصلت بفعل الله وتكوينه وإيجاده. ثمّ احتجّ على حدوث الروح بقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ بمعنى أنّ الأرواح في مبدأ الفطرة تكون خالية عن العلوم، ثمّ تحصل فيها المعارف والعلوم، فهي لا تزال تكون في التغيّر من حال إلى حال، وفي التبديل من نقصان إلى كمال، والتغيّر والتبدّل من أمارات الحدوث. فقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ يدلّ على أنّهم سألوا أنّ الروح هل هي حادثة أم لا؟ فأجاب بأنّها حادثة واقعة بتخليق الله وتكوينه، ثمّ استدلّ على حدوث الأرواح بتغيّرها من حال إلى حال، فهذا ما نقوله في هذا الباب، والله أعلم بالصواب[١].

أقول: ثمّ ذكر الأقوال الأخرى في تفسير الروح في هذه الآية فمنها أنه القرآن كما مرّ، ومنها أنّه ملك من الملائكة هو أعظمهم قدراً وقوّةً، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[٢]، ونقلوا عن عليّ عليه السلام أنّه قال: هو ملك له سبعون ألف وجه، ولكلّ

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٢١ ص ٣٧. (٢) سورة النبأ، الآية: ٣٨.

وجه سبعون ألف لسان، لكلّ لسان سبعون ألف لغة يسبّح الله تعالى بتلك اللغات كلّها، ويخلق الله من كلّ تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة. قالوا: ولم يخلق الله خلقاً أعظم من الروح غير العرش، ولو شاء الله يبتلع السماوات السبع والأرضين السبع بلقمة واحدة. ثمّ اعترض على هذا الوجه وعلى الرواية بوجوه سخيفة، ثمّ ذكر من الوجوه أنّه جبرئيل عليه السلام، ووجهاً رابعاً عن مجاهد: أنّه خلق ليسوا بالملائكة على صورة بني آدم، يأكلون ولهم أيدٍ وأرجل ورؤوس، وقال أبو صالح: يشبهون الناس وليسوا بالناس، ولم أجد في القرآن ولا في الأخبار الصحيحة شيئاً يمكن التمسّك به في إثبات هذا القول.

ثمّ قال في شرح مذاهب الناس في حقيقة الانسان: اعلم أنّ العلم الضروريّ حاصل بأنّ ههنا شيئاً إليه يشير الانسان بقوله (أنا) وإذا قال الانسان «علمت وفهمت وأبصرت وسمعت وذقت وشممت ولمست وغضبت» فالمشار إليه لكلّ أحد بقوله (أنا) إمّا أن يكون جسماً أو عرضاً، أو مجموع الجسم والعرض، أو ما تركّب من الجسم والعرض، وذلك الشيء الثالث، فهذا ضبط معقول. أما القسم الأوّل وهو أن يقال: الانسان جسم، فذلك الجسم إمّا أن يكون هو هذه البنية، أو جسماً داخلاً في هذه البنية أو جسماً خارجاً عنها. أمّا القائلون بأنّ الانسان عبارة عن هذه البنية المحسوسة وهذا الهيكل المجسّم المحسوس، فإذا أبطلنا كون الانسان عبارة عن هذا الجسم وأبطلنا كون الانسان محسوساً فقد بطل كلامهم بالكليّة.

والّذي يدلّ على أنّه لا يمكن أن يكون الانسان عبارة عن هذا الجسم وجوه:

الأول: أنّ العلم البديهيّ حاصل بأنّ أجزاء هذه الجثّة متبدّلة بالزيادة والنقصان تارةً بحسب النموّ والذبول، وتارةً بحسب السمن والهزال، والعلم الضروريّ حاصل بأنّ المتبدّل المتغيّر مغاير للثابت الباقي، ويحصل من مجموع هذه المقدّمات الثلاث العلم القطعيّ بأنّه ليس عبارةً عن مجموع هذه الجثّة.

الثاني: أنّ الانسان حال ما يكون مشتغل الفكر متوجّه الهمّة نحو أمر مخصوص، فإنّه في تلك الحالة غير غافل عن نفسه المعيّنة، بدليل أنّه في تلك الحالة قد يقول: غضبت واشتهيت وسمعت كلامك وأبصرت وجهك، و«تاء» الضمير كناية عن نفسه المخصوصة، فهو في تلك الحالة عالم بنفسه المخصوصة، وغافل عن جملة بدنه وعن كلّ واحد من أعضائه وأبعاضه.

الثالث: أنّ كلّ أحد يحكم بصريح عقله بإضافة كلّ واحد من هذه الأعضاء إلى نفسه، فيقول: رأسي، وعيني، ويدي، ورجلي، ولساني، وقلبي، وبدني. والمضاف غير المضاف إليه، فوجب أن يكون الشيء الّذي هو الانسان مغايراً لجملة هذا البدن ولكلّ واحد من هذه الأعضاء، فإن قالوا: فقد يقول: نفسي وذاتي، فيضيف النفس والذات إلى نفسه، فيلزم أنّ نفس الشيء وذاته مغايرة لنفسه وذاته وذلك محال قلنا: قد يراد بنفس الشيء وذاته هذا البدن المخصوص، وقد يراد بنفس الشيء وذاته الحقيقة المخصوصة الّتي إليها يشير كلّ

أحد بقوله (أنا) فإذا قال: نفسي وذاتي، كان المراد منه البدن. وعندنا أنّه مغاير لجوهر الانسان.

الرابع: أنّ كلّ دليل يدلّ على أنّ الانسان يمتنع أن يكون جسماً فهو أيضاً يدلّ على أنّه يمتنع أن يكون عبارةً عن هذا الجسم، وسيأتي تقرير تلك الدلائل.

الخامس: أنّ الانسان قد يكون حيّاً حال ما يكون البدن ميّتاً، فوجب كون الانسان مغايراً لهذا البدن والدليل على صحّة ما ذكرناه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1] فهذا النصّ صريح في أنّ أولئك المقتولين أحياء، والحسّ يدلّ على أنّ هذا الجسد ميتة.

السادس: أنّ قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[2] وقوله: ﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾[3] يدلّ على أنّ الانسان حيّ بعد الموت، وكذلك قوله ﷺ: «الأنبياء لا يموتون ولكن ينقلون من دار إلى دار» وكذلك قوله ﷺ: «القبر روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران» وكذلك قوله ﷺ: «من مات فقد قامت قيامته» وإنّ كلّ هذه النصوص يدلّ على أنّ الإنسان حيّ يبقى بعد موت الجسد وبديهة العقل والفطرة شاهدتان بأنّ هذا الجسد ميّت، ولو جوّزنا كونه حيّاً كان يجوز مثله في جميع الجمادات، وذلك عين السفسطة، وإذا ثبت أنّ الانسان حيّ ما كان الجسد ميّتاً لزم أنّ الانسان شيء غير هذا الجسد.

السابع: قوله ﷺ في خطبة طويلة له: «حتّى إذا حمل الميّت على نعشه رفرف روحه فوق النعش ويقول يا أهلي ويا ولدي لا تلعبنّ بكم الدنيا كما لعبت بي جمعت المال من حلّه ومن غير حلّه فالمهنأ لغيري والتبعة عليّ فاحذروا مثل ما حلّ بي. وجه الاستدلال أنّ النبي ﷺ صرّح بأنّ حال كون الجسد محمولاً على النعش بقي هناك شيء ينادي ويقول «يا أهلي ويا ولدي جمعت المال من حلّه وغير حلّه...» ومعلوم أنّ الّذي كان الأهل أهلاً له، وكان الولد ولداً له، وكان جامعاً للمال من الحرام والحلال، والّذي بقي في ربقته الوبال، ليس إلاّ ذلك الانسان فهذا تصريح بأنّ في الوقت الّذي كان الجسد ميّتاً محمولاً على النعش كان ذلك الانسان حيّاً باقياً فاهماً، وذلك تصريح بأنّ الانسان شيء مغاير لهذا الجسد والهيكل.

الثامن: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾[4] والخطاب بقوله: ﴿ٱرْجِعِىٓ﴾ إنّما يتوجّه إليها حال الموت، فدلّ هذا على أنّ الشيء الّذي يرجع إلى الله بعد موت الجسد يكون راضياً مرضيّاً عند الله، والّذي يكون راضياً مرضيّاً ليس

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.
(٢) سورة غافر، الآية: ٤٦.
(٣) سورة نوح، الآية: ٢٥.
(٤) سورة الفجر، الآيتان: ٢٧-٢٨.

إلاّ الانسان، فهذا يدلّ على أنّ الانسان بقي حيّاً بعد موت الجسد، والحيّ غير الميّت، فالانسان مغاير لهذا الجسد.

التاسع: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝٦١ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۝٦٢﴾[1] أثبت كونهم مردودين إلى الله الّذي هو مولاهم الحقّ عند كون الجسد ميّتاً، فوجب أن يكون ذلك المردود إلى الله مغايراً لذلك الجسد الميّت.

العاشر: ترى جميع فرق الدنيا من الهند والروم والعرب والعجم وجميع أرباب الملل والنحل من اليهود والنصارى والمجوس والمسلمين وسائر فرق العالم وطوائفهم يتصدّقون عن موتاهم ويدعون لهم بالخير ويذهبون إلى زياراتهم، ولولا أنّهم بعد موت الجسد بقوا أحياء لكان التصدّق لهم عبثاً، ولكان الدعاء لهم عبثاً، ولكان الذهاب إلى زيارتهم عبثاً، فإطباق الكلّ على هذه الصدقة والدعاء والزيارة يدلّ على أنّ فطرتهم الأصليّة السليمة شاهدة بأن الانسان شيء غير هذا الجسد، وأنّ ذلك الشيء لا يموت بموت هذا الجسد.

الحادي عشر: أنّ كثيراً من الناس يرى أباه وابنه في المنام ويقول له: اذهب إلى الموضع الفلانيّ فإنّ فيه ذهباً دفنته لك، وقد يراه فيوصيه بقضاء دين عنه، ثمّ عند اليقظة إذا فتّش عنه كان كما رآه في النوم من غير تفاوت، ولولا أنّ الانسان باق حيّ بعد الموت لما كان كذلك، ولمّا دلّ هذا الدليل على أنّ الإنسان حيّ بعد الموت ودلّ الحسّ على أنّ الجسد ميّت كان الانسان مغايراً لهذا الجسد.

الثاني عشر: أنّ الانسان إذا ضاع عضو من أعضائه مثل أن تقطع يداه ورجلاه وتقلع عيناه، وتقطع أذناه، إلى غيرها من الأعضاء، فإنّ ذلك الانسان يجد من قلبه وعقله أنّه هو عين ذلك الانسان من غير تفاوت البتّة، حتّى أنّه يقول: أنا ذلك الانسان الذي كنت موجوداً قبل ذلك، إلاّ أنّهم قطعوا يدي ورجلي، وذلك برهان يقينيّ على أنّ ذلك الانسان شيء مغاير لهذه الأعضاء والأبعاض، وذلك يبطل قول من يقول: الانسان عبارة عن هذه البنية المخصوصة.

الثالث عشر: أنّ القرآن والأحاديث يدلاّن على أنّ جماعة من اليهود قد مسخهم الله، وجعلهم في صورة القردة والخنازير، فنقول: ذلك الانسان هل بقي حال ذلك المسخ أو لم يبق؟ فإن لم يبق كان هذا إماتة لذلك الانسان وخلق خنزير أو قردة وليس هذا من المسخ في شيء وإن قلنا: إنّ ذلك الانسان بقي حال حصول ذلك المسخ فنقول: فعلى هذا التقدير الانسان باقٍ وتلك البنية وذلك الهيكل غير باقٍ، فوجب أن يكون ذلك الانسان شيئاً مغايراً لتلك البنية.

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٦١-٦٢.

الرابع عشر: أنّ رسول الله ﷺ كان يرى جبرئيل في صورة دحية الكلبيّ وكان يرى إبليس في صورة الشيخ النجديّ، فهنا بنية الإنسان وهيكله وشكله حاصل مع أنّ الحقيقة الإنسانيّة غير حاصلة، وهذا يدلّ على أنّ الانسان ليس عبارة عن هذه البنية وهذا الهيكل.

الخامس عشر: أنّ الزاني يزني بفرجه ويضرب على ظهره، فوجب أن يكون الإنسان شيئاً آخر سوى الفرج وسوى الظهر، ويقال: إنّ ذلك الشيء يستعمل الفرج في عمل والظهر في عمل آخر، فيكون الملتذّ والمتألّم هو ذلك الشيء، إلاّ أنّه يحصل اللذّة بواسطة ذلك العضو، ويتألّم بواسطة الضرب على هذا العضو.

السادس عشر: أنّي إذا تكلّمت مع زيد وقلت له: افعل كذا، ولا تفعل كذا! فالمخاطب بهذا الخطاب والمأمور والمنهيّ ليس هو جبهة زيد ولا حدقته ولا أنفه ولا فمه ولا شيء من أعضائه بعينه، فوجب أن يكون المأمور والمنهيّ والمخاطب شيئاً مغايراً لهذه الأعضاء، وذلك يدلّ على أنّ ذلك المأمور والمنهيّ غير هذا الجسد. فإن قالوا: لِمَ لا يجوز أن يكون المأمور والمنهيّ جملة هذا البدن لا شيء من أجزائه وأبعاضه؟ قلنا: توجيه التكليف إلى الجملة إنّما يصحّ لو كانت الجملة فاهمةً عالمةً، فنقول: لو كانت الجملة عالمةً، فإمّا أن يقوم بمجموع البدن علم واحد، أو يقوم بكلّ واحد من أجزاء البدن علم على حدة، والأوّل يقتضي قيام العرض الواحد بالمحالّ الكثيرة وهو محال، والثاني يقتضي أن يكون كلّ واحد من أجزاء البدن عالماً فاهماً على سبيل الاستقلال، وقد بيّنّا أنّ العلم الضروريّ حاصل بأنّ الجزء المعيّن من البدن ليس عالماً فاهماً مدركاً بالاستقلال، فسقط هذا السؤال.

السابع عشر: الإنسان يجب أن يكون عالماً، والعلم لا يحصل إلاّ في القلب فيلزم أن يكون الإنسان عبارة عن الشيء الموجود في القلب، وإذا ثبت هذا بطل القول بأنّ الانسان عبارة عن هذا الهيكل وهذه الجثّة. إنّما قلنا إنّ الإنسان يجب أن يكون عالماً، لأنّه فاعل مختار، والفاعل المختار هو الّذي يفعل بواسطة القصد إلى تكوينه، وهما مشروطان بالعلم، لأنّ ما لا يكون متصوّراً امتنع القصد إلى تكوينه، فثبت أنّ الانسان يجب أن يكون عالماً بالأشياء. وإنّما قلنا إنّ العلم لا يوجد إلاّ في القلب، للبرهان والقرآن، أمّا البرهان: فلأنّا نجد العلم الضروريّ بأنّا نجد علومنا من ناحية القلب. وأمّا القرآن: فآيات نحو قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾(١) وقوله: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾(٢) وقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾(٣) وإذا ثبت أنّ الانسان يجب أن يكون عالماً، وثبت أنّ العلم ليس إلاّ في القلب، [ثبت أنّ الانسان شيء في القلب] أو شيء له تعلّق بالقلب، وعلى التقديرين فإنّه بطل قول من يقول: إنّ الانسان هو هذا الجسد وهذا الهيكل.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩. (٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.
(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٣-١٩٤.

وأما البحث الثاني: وهو بيان أنّ الانسان غير محسوس، هو أنّ حقيقة الإنسان شيء مغاير للسطح واللّون، وكلّ ما هو مرئيّ فهو إمّا السطح وإمّا اللّون، وهما مقدّمتان قطعيّتان، ينتج هذا القياس أنّ حقيقة الانسان غير مرئيّة ولا محسوسة، وهذا برهان يقينيّ.

ثمّ قال في شرح مذاهب القائلين بأنّ الانسان جسم موجود في داخل البدن: اعلم أنّ الأجسام الموجودة في هذا العالم السفليّ، إمّا أن يكون أحد العناصر الأربعة أو ما يكون متولّداً من امتزاجها، ويمتنع أن يحصل في البدن الانسانيّ جسم عنصريّ خالص، بل لا بدّ وأن يكون الحاصل جسماً متولّداً من امتزاجات هذه الأربعة، فنقول: أمّا الجسم الّذي تغلب عليه الأرضيّة فهو الأعضاء الصلبة الكثيفة كالعظم والعصب والوتر والرباط والشحم واللحم والجلد، ولم يقل أحد من العقلاء الّذين قالوا إنّ الانسان شيء مغاير لهذا الجسد، بأنّه عبارة عن عضو معيّن من هذه الأعضاء، وذلك لأنّ هذه الأعضاء كثيفة ثقيلة ظلمانيّة، فلا جرم لم يقل أحد من العقلاء بأنّ الانسان عبارة عن أحد هذه الأعضاء وأمّا الجسم الّذي تغلب عليه المائيّة، فهو الأخلاط الأربعة، ولم يقع في شيء منها أنّه الانسان إلاّ في الدم، فإنّ فيهم من قال: إنّه الروح بدليل أنّه إذا خرج لزمه الموت. أمّا الجسم الّذي تغلب عليه الهوائيّة والناريّة فهي الأرواح، وهي نوعان: أحدهما أجسام هوائيّة مخلوطة بالحرارة الغريزيّة، متولّدة إمّا في القلب أو في الدماغ وقالوا: إنّها هي الروح الإنسانيّ، ثمّ إنّهم اختلفوا فمنهم من يقول: الانسان هو الروح الّذي في القلب، ومنهم من يقول: إنّه جزء لا يتجزّأ في الدماغ، ومنهم من يقول: الروح عبارة عن أجزاء ناريّة مختلطة بهذه الأرواح القلبيّة والدماغيّة، وتلك الأجزاء الناريّة هي المسمّاة بالحرارة الغريزيّة، وهي الانسان. ومن الناس من يقول: الروح عبارة عن أجسام نورانيّة سماويّة لطيفة الجوهر، على طبيعة ضوء الشمس، وهي لا تقبل التحلّل والتبدّل ولا التفرّق والتمزّق، فإذا تكوّن البدن وتمّ استعداده - وهو المراد بقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ - نفذت تلك الأجسام الشريفة السماويّة الإلهيّة في داخل أعضاء البدن نفاذ النار في الفحم، ونفاذ دهن السمسم في السمسم، ونفاذ ماء الورد في جسم الورد، ونفاذ تلك الأجسام السماويّة في جوهر البدن (وظ) هو المراد بقوله ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ ثمّ إنّ البدن ما دام يبقى سليماً قابلاً لنفاذ تلك الأجسام الشريفة فيه بقي حيّاً، فإذا تولّد في البدن أخلاط غليظة منعت تلك الأخلاط الغليظة من سريان تلك الأجسام الشريفة، فانفصلت عن هذا البدن فحينئذ يعرض الموت، فهذا مذهب قويّ وقول شريف يجب التأمّل فيه، فإنّه شديد المطابقة لما ورد في الكتب الإلهيّة من أحوال الموت والحياة، فهذا تفصيل مذاهب القائلين بأنّ الانسان جسم موجود في داخل البدن، وأمّا أنّ الانسان جسم موجود خارج البدن فلا أعرف أحداً ذهب إلى هذا القول.

وأما القسم الثاني: وهو أن يقال: الانسان عرض حالّ في البدن فهذا لا يقوله عاقل، لأنّه من المعلوم بالضرورة أنّ الانسان جوهر لأنّه موصوف بالعلم والقدرة والتدبير والتصرّف،

وكلّ من كان هذا شأنه كان جوهراً، والجوهر لا يكون عرضاً، بل الّذي يمكن أن يقال له عاقل هو الانسان بشرط أن يكون موصوفاً بأعضاء مخصوصة. وعلى هذا التقدير فللناس فيه أقوال:

القول الأول: أنّ العناصر الأربعة إذا امتزجت وانكسرت سورة كلّ واحد منها بسورة أُخرى حصلت كيفيّة معتدلة هي المزاج، ومراتب هذا المزاج غير متناهية، فبعضها هي الانسانيّة، وبعضها هي الفرسيّة، فالانسان عبارة عن أجسام موصوفة بكيفيّات مخصوصة متولّدة عن امتزاجات أجزاء العناصر بمقدار مخصوص، وهذا قول جمهور الأطبّاء ومنكري بقاء النفس، ومن المعتزلة قول أبي الحسين البصريّ.

والقول الثاني: أنّ الانسان عبارة عن أجزاء مخصوصة بشرط كونها موصوفة بصفة الحياة والعلم والقدرة، والحياة عرض قائم بالجسم، وهؤلاء أنكروا الروح والنفس وقالوا: ليس ههنا إلاّ أجسام مؤتلفة موصوفة بصفة الحياة، وبهذه الأعراض المخصوصة وهي الحياة والعلم والقدرة، وهذا مذهب أكثر شيوخ المعتزلة.

والقول الثالث: أنّ الانسان عبارة عن أجسام مخصوصة بأشكال مخصوصة وبشرط أن تكون أيضاً موصوفة بالحياة والعلم والقدرة، والانسان إنّما يمتاز عن سائر الحيوانات بشكل جسده وهيئة أعضائه وأجزائه، إلاّ أنّ هذا مشكل، فإنّ الملائكة قد يتشبّهون بصور الناس، فهنا صورة الانسان حاصلة مع عدم الانسانيّة، وفي صورة المسخ معنى الانسانيّة حاصلة مع أنّ هذه الصورة غير حاصلة، فقد بطل اعتبار هذا الشكل والصورة في حصول معنى الانسانيّة طرداً وعكساً.

أما القسم الثالث: وهو أن يقال: الإنسان موجود ليس بجسم ولا جسمانيّ، وهذا قول أكثر الإلهيّين من الفلاسفة القائلين ببقاء النفس المثبتين للنفس معاداً روحانيّاً وثواباً وعقاباً روحانيّاً، ذهب إليه جماعة من علماء المسلمين، مثل الشيخ أبي القاسم الراغب الإصفهانيّ، والشيخ أبي حامد الغزاليّ، ومن قدماء المعتزلة معمّر بن عباد السلميّ، ومن الشيعة الملقّب عندهم بالشيخ المفيد، ومن الكرّاميّة جماعة.

واعلم أنّ القائلين بإثبات النفس فريقان: الأوّل وهم المحقّقون منهم قالوا: الانسان عبارة عن هذا الجوهر المخصوص، وهذا البدن آلته ومنزله ومركبه، وعلى هذا التقدير فالانسان غير موجود في داخل العالم ولا في خارجه وغير متّصل بالعالم ولا منفصل عنه، ولكنّه متعلّق بالبدن تعلّق التدبير والتصرّف، كما أنّ إله العالم لا تعلّق له بالعالم إلاّ على سبيل التصرّف والتدبير.

والفريق الثاني الّذين قالوا: النفس إذا تعلّقت بالبدن اتّحدت بالبدن، فصارت النفس عين البدن والبدن عين النفس، ومجموعهما عند الاتّحاد هو الانسان، فإذا جاء وقت الموت بطل

هذا الاتّحاد وبقيت النفس وفسد البدن. فهذا جملة مذاهب الناس في الانسان، وكان «ثابت بن قرّة» يثبت النفس ويقول: إنّها متعلّقة بأجسام سماويّة نورانيّة لطيفة غير قابلة للكون والفساد والتفرّق والتمزّق، وأنّ تلك الأجسام تكون سارية في البدن، وهنّ موجودات في داخل البدن. وأمّا أنّ الانسان جسم موجود خارج البدن فلا أعرف أحداً ذهب إلى ذلك(١).

أقول: ثمّ ذكر حججاً عقليّة طويلة الذيل على إثبات النفس ومغايرتها للبدن.

منها: أنّ النفس واحدة ومتى كانت واحدةً وجب أن تكون مغايرة لهذا البدن ولكلّ واحد من أجزائه، أمّا كونها واحدة فتارةً ادّعى البداهة فيه، وتارةً استدلّ عليه بوجوه: منها أنّا إذا فرضنا جوهرين مستقلّين، يكون كلّ واحد منهما مستقلاً بفعله الخاص، امتنع أن يصير اشتغال أحدهما بفعله الخاصّ به مانعاً لاشتغال الآخر بفعله الخاصّ به، وإذا ثبت هذا فنقول: لو كان محلّ الادراك والفكر جوهراً ومحلّ الغضب جوهراً آخر ومحلّ الشهوة جوهراً ثالثاً، وجب أن لا يكون اشتغال القوّة الغضبيّة بفعلها مانعاً للقوّة الشهوانيّة من الاشتغال بفعلها ولا بالعكس، لكنّ التالي باطل، فإنّ اشتغال الانسان بالشهوة وانصبابه إليها يمنعه من الاشتغال بالغضب والانصباب إليه وبالعكس، فعلمنا أنّ هذه الأمور الثلاثة ليست مبادىء مستقلّة، بل هي صفات مختلفة لجوهر واحد، فلا جرم كان اشتغال ذلك الجوهر بأحد هذه الأفعال عائقاً له عن الاشتغال بالفعل الآخر.

ومنها: أنّ حقيقة الحيوان أنّه جسم ذو نفس حسّاسة متحرّكة بالإرادة فالنفس لا يمكنها أن تتحرّك بالإرادة إلاّ عند حصول الداعي، ولا معنى للداعي إلاّ الشعور بخير يرغب في جذبه، أو بشرّ يرغب في دفعه، وهذا يقتضي أن يكون المتحرّك بالارادة هو بعينه مدركاً للخير والشرّ والملذّ والمؤذي والنافع والضارّ، فثبت بما ذكرنا أنّ النفس الانسانيّة شيء واحد، وثبت أنّ ذلك الشيء هو المبصر والسامع والشامّ والذائق واللامس والمتخيّل والمتفكّر، والمتذكّر والمشتهي والغاضب، وهو الموصوف بجميع الإدراكات لكلّ المدركات، وهو الموصوف بجميع الأفعال الاختياريّة والحركات الإراديّة.

ثمّ قال: وأمّا المقدّمة الثانية فهي في بيان أنّه لمّا كانت النفس شيئاً واحداً وجب أن لا يكون النفس هذا البدن ولا شيئاً من أجزائه، وأمّا امتناع كونها جملة هذا البدن فتقريره: أنّا نعلم بالضرورة أنّ القوّة الباصرة غير سارية في كلّ البدن، وكذا القوّة السامعة وكذا سائر القوى كالتخيّل والتذكّر والتفكّر، والعلم بأنّ هذه القوى غير سارية في جملة أجزاء البدن علم بديهيّ بل هو من أقوى العلوم البديهيّة، وأمّا بيان أنّه يمتنع أن يكون النفس جزءً من أجزاء البدن: فإنّا نعلم بالضرورة أنّه ليس في البدن جزء واحد هو بعينه موصوف بالإبصار والسماع والفكر والذكر، بل الّذي يتبادر إلى الخاطر أنّ الإبصار مخصوص بالعين لا بسائر الأعضاء،

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٢١ ص ٤٣.

والسماع مخصوص بالأذن لا بسائر الأعضاء، والصوت مخصوص بالحلق لا بسائر الأعضاء، وكذلك القول في سائر الادراكات وسائر الأفعال، فأمّا أن يقال: إنّه حصل في البدن جزء واحد موصوف بكلّ هذه الادراكات وكلّ هذه الأفعال، فالعلم الضروريّ حاصل أنّه ليس الأمر كذلك، فثبت بما ذكرناه أنّ النفس الإنسانيّة شيء واحد موصوف بجملة هذه الادراكات وبجملة هذه الأفعال، وثبت بالبديهة أنّ جملة البدن ليست كذلك، وثبت أيضاً أنّ شيئاً من أجزاء البدن ليس كذلك، فحينئذ يحصل اليقين بأنّ النفس شيء مغاير لهذا البدن ولكلّ واحد من أجزائه وهو المطلوب.

ولنقرّر هذا البرهان بعبارة أُخرى، نقول: إنّا نعلم بالضرورة أنّا إذا أبصرنا شيئاً عرفناه، وإذا عرفناه اشتهيناه، وإذا اشتهيناه حرّكنا أبداننا إلى القرب منه، فوجب القطع بأنّ الّذي أبصر هو الّذي عرف، وأنّ الّذي عرف هو الّذي اشتهى، وأنّ الّذي اشتهى هو الّذي حرّك إلى القرب منه، فيلزم القطع بأنّ المبصر لذلك الشيء والعارف به والمشتهي إليه والمحرّك إلى القرب منه شيء واحد، إذ لو كان المبصر شيئاً والعارف شيئاً ثانياً والمشتهي شيئاً ثالثاً والمحرّك شيئاً رابعاً، لكان الّذي أبصر لم يعرف والّذي عرف لم يشته والّذي اشتهى لم يحرّك، لكن من المعلوم أنّ كون شيء مبصراً لشيء لا يقتضي صيرورة شيء آخر عالماً بذلك الشيء، وكذلك القول في سائر المراتب. وأيضاً فإنّا نعلم بالضرورة أنّ الرائي للمرئيّات (أنا) وإنّي لمّا رأيتها عرفتها، ولمّا عرفتها اشتهيتها، ولمّا اشتهيتها طلبتها وحرّكت الأعضاء إلى القرب منها، ونعلم أيضاً بالضرورة أنّ الموصوف بهذه الرؤية وبهذا العلم وبهذه الشهوة وبهذا التحريك (أنا) لا غيري.

وأيضاً العقلاء قالوا: الحيوان لا بدّ وأن يكون حسّاساً متحرّكاً بالإرادة، فإن لم يحسّ بشيء لم يشعر كونه ملائماً وبكونه منافراً، وإذا لم يشعر بذلك امتنع كونه مريداً للجذب أو الدفع، فثبت أنّ الشيء الّذي يكون متحرّكاً بالإرادة فإنّه بعينه يجب أن يكون حسّاساً، فثبت أنّ المدرك لجميع المدركات بجميع أنواع الادراكات وأنّ المباشر لجميع التحريكات الاختياريّة شيء واحد.

وأيضاً فإنّا إذا تكلّمنا بكلام لقصد تفهيم الغير معاني تلك الكلمات فقد عقلناها وأردنا تعريف غيرنا تلك المعاني، ولمّا حصلت هذه الإرادة في قلوبنا حاولنا إدخال تلك الحروف والأصوات في الوجود، لنتوسّل بها إلى تعريف غيرنا تلك المعاني.

إذا ثبت هذا فنقول: إن كان محلّ العلم والإرادة ومحلّ تلك الحروف والأصوات جسماً واحداً، لزم أن يقال: إنّ محلّ العلوم والإرادات هو الحنجرة واللهاة واللسان، ومعلوم أنّه ليس كذلك. وإن قلنا: إنّ محلّ العلوم والإرادات هو القلب لزم أن يكون محلّ الصوت هو القلب أيضاً، وذلك باطل أيضاً بالضرورة. وإن قلنا: إنّ محلّ الكلام هو الحنجرة واللهاة

واللسان ومحلّ العلوم والإرادات هو القلب ومحلّ القدرة هو الأعصاب والأوتار والعضلات كنّا قد وزّعنا هذه الأمور على هذه الأعضاء المختلفة، لكنّا أبطلنا ذلك وبيّنّا أنّ المدرك لجميع الإدراكات والإرادات والمحرّك لجميع الأعضاء بجميع أنواع التحريكات يجب أن يكون شيئاً واحداً، فلم يبق إلاّ أن يقال: محلّ الإدراك والقدرة على التحريك شيء سوى هذا البدن وسوى أجزاء هذا البدن، وأنّ هذه الأعضاء جارية مجرى الآلات والأدوات، فكما أنّ النجّار يفعل أفعالاً مختلفة بواسطة آلات مختلفة، فكذلك النفس تبصر بالعين وتسمع بالأذن وتتفكّر بالدماغ وتعقل بالقلب، فهذه الأعضاء آلات النفس وأدوات لها، وذات النفس جوهر مغاير لها مفارق عنها بالذات متعلّق بها تعلّق التصرّف والتدبير، وهذا البرهان برهان شريف يقينيّ في هذا المطلوب وبالله التوفيق.

ومنها: أنّه لو كان الانسان عبارة عن هذا الجسد لكان إمّا أن يقوم بكلّ واحد من الأجزاء حياة وعلم وقدرة على حدة، أو يقوم بجميع الأجزاء حياة وعلم وقدرة واحدة والقسمان باطلان، أمّا الأوّل فلأنّه يقتضي كون كلّ واحد من أجزاء الجسد حيّاً عالماً قادراً على سبيل الاستقلال، فوجب أن لا يكون الانسان الواحد حيواناً واحداً، بل أحياء عالمين قادرين، وحينئذ لا يبقى فرق بين الانسان الواحد وبين أشخاص كثيرين من الناس ربط بعضهم بالبعض بالسلسلة، لكنّا نعلم بالضرورة فساد هذا الكلام لأنّي أجد ذاتي ذاتاً واحدة وحيواناً لا حيوانات كثيرين. وأيضاً فبتقدير أن يكون كلّ واحد من أجزاء هذا الجسد حيواناً واحداً على حدة فحينئذ لا يكون لكلّ واحد منها خبر عن حال صاحبه، فلا يمتنع أن يريد هذا الجزء أن يتحرّك إلى هذا الجانب ويريد الجزء الآخر أن يتحرّك إلى الجانب الآخر، فحينئذ يقع التدافع بين أجزاء بدن الانسان الواحد كما يقع بين الشخصين، وفساد ذلك معلوم بالبديهة وأمّا الثاني فلأنّه يقتضي قيام الصفة الواحدة بالمحالّ الكثيرة وذلك معلوم البطلان بالضرورة، مع أنّه يعود المحذور السابق أيضاً(١).

ومنها: أنّا لمّا تأمّلنا في أحوال النفس رأينا أحوالها بالضدّ من أحوال الجسم وذلك يدلّ على أنّ النفس ليست جسماً، وتقرير هذه المنافاة من وجوه:

الأول: أنّ كلّ جسم حصلت فيه صورة فإنّه لا يقبل صورة أُخرى من جنس الصورة الأولى إلاّ بعد زوال الصورة الأولى عنه زوالاً تامّاً، مثاله أنّ البصر إذا حصل فيه شكل التثليث امتنع أن يحصل فيه شكل التربيع والتدوير إلاّ بعد زوال الشكل الأوّل عنه. ثمّ إنّا وجدنا الحال في قبول النفس لصور المعقولات بالضدّ من ذلك، فإنّ النفس الّتي لم تقبل صورة عقليّة البتّة يعسر قبولها لشيء من الصور العقليّة، فإذا قبلت صورة واحدة كان قبولها للصورة الثانية أسهل، وإذا قبلت الصورة الثانية صار قبولها للصورة الثالثة أسهل، ثمّ إنّ النفس لا تزال تقبل

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٢١ ص ٤٦.

صورة بعد صورة من غير أن تضعف البتّة بل كلّما كان قبولها للصور أكثر، كان قبولها للصور الآتية بعد ذلك أسهل وأسرع ولهذا السبب يزداد الانسان فهماً وإدراكاً كلّما ازداد تخريجاً وارتياضاً للعلوم، فثبت أنّ قبول النفس للصورة العقليّة على خلاف قبول الجسم للصورة، وذلك يوهم أنّ النفس ليست بجسم.

والثاني: أنّ المواظبة على الأفكار الدقيقة لها أثر في النفس وأثر في البدن، أمّا أثرها في النفس فهو تأثيرها في إخراج النفس عن القوّة إلى الفعل في التعقّلات والإدراكات، وكلّما كانت الأفكار أكثر كان حصول هذه الأحوال أكمل، وذلك غاية كمالها ونهاية شرفها وجلالتها. وأمّا أثرها في البدن فهو أنّها توجب استيلاء اليبس على البدن واستيلاء الذبول عليه، وهذه الحالة لو استمرّت لانتهت إلى الماليخوليا وموت البدن، فثبت بما ذكرنا أنّ هذه الأفكار توجب حياة النفس وشرفها، وتوجب نقصان البدن وموته فلو كانت النفس هي البدن لصار الشيء الواحد بالنسبة إلى الشيء الواحد سبباً لكماله ونقصانه معاً ولحياته وموته معاً وإنّه محال.

والثالث: أنّا شاهدنا أنّه ربما كان بدن الانسان ضعيفاً نحيفاً، فإذا لاح نور من الأنوار القدسيّة وتجلّى له سرّ من أسرار عالم الغيب حصل لذلك الانسان جرأة عظيمة وسلطنة قويّة ولم يعبأ بحضور أكبر السلاطين ولم يقم له وزناً، ولولا أنّ النفس شيء سوى البدن، والنفس إنّما تحيى وتبقى بغير ما به يقوى البدن ويحيى لما كان الأمر كذلك.

والرابع: أنّ أصحاب الرياضات والمجاهدات كلّما أمعنوا في قهر القوى البدنيّة وتجويع الجسد قويت قواهم الروحانيّة وأشرقت أسرارهم بالمعارف الإلهيّة، وكلّما أمعن الانسان في الأكل والشرب وقضاء الشهوات الجسدانيّة صار كالبهيمة وبقي محروماً عن آثار النظر والعقل والفهم والمعرفة، ولولا أنّ النفس غير البدن لما كان الأمر كذلك.

والخامس: أنّا نرى النفس تفعل أفاعيلها بآلات بدنيّة، فإنّها تبصر بالعين وتسمع بالأذن، وتأخذ باليد، وتمشي بالرجل. أمّا إذا آل الأمر إلى التعقّل والإدراك فإنّها مستقلّة بذاتها في هذا الفعل من غير إعانة شيء من الآلات، ولذلك فإنّ الانسان يمكنه أن لا يبصر شيئاً إذا غمض عينيه، وأن لا يسمع شيئاً إذا سدّ أذنيه، ولا يمكنه البتّة أن يزيل عن قلبه العلم بما كان عالماً به، فعلمنا أنّ النفس غنيّة بذاتها في العلوم والمعارف عن شيء من الآلات البدنيّة، فهذه الوجوه أمارات قويّة في أنّ النفس ليست بجسم[١].

ثمّ ذكر في إثبات أنّ النفس ليست بجسم وجوهاً من الدلائل السمعيّة:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[٢] ومعلوم أنّ أحداً من

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٢١ ص ٥٠. (٢) سورة الحشر، الآية: ١٩.

العقلاء لا ينسى هذا الهيكل المشاهد، فدلّ ذلك على أنّ النفس الّتي ينساها الانسان عند فرط الجهل شيء آخر غير هذا البدن.

الثاني: قوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ وهذا صريح في أنّ النفس غير هذا الجسد.

الثالث: أنّه تعالى ذكر مراتب الخلقة الجسمانيّة فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ - إلى قوله - ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾(١) ولا شكّ أنّ جميع هذه المراتب اختلافات واقعة في الأحوال الجسمانيّة، ثمّ إنّه تعالى لمّا أراد أن يذكر نفخ الروح قال ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ وهذا تصريح بأنّ ما يتعلّق بالروح جنس مغاير لما سبق ذكره من التغيّرات الواقعة في الأحوال الجسمانيّة، وذلك يدلّ على أنّ الروح شيء مغاير للبدن.

فإن قالوا: هذه الآية حجّة عليكم، لأنّه تعالى قال ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ وكلمة (من) للتبعيض، وهذا يدلّ على أنّ الانسان بعض من أبعاض الطين قلنا: كلمة (من) أصلها لابتداء الغاية، كقولك: خرجت من البصرة إلى الكوفة فقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ يقتضي أن يكون ابتداء تخليق الانسان حاصلاً من هذه السلالة، ونحن نقول بموجبه، لأنّه تعالى يسوّي المزاج أوّلاً ثمّ ينفخ فيه الروح، فيكون ابتداء تخليقه من سلالة.

الرابع: قوله ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾(٢) ميّز تعالى بين التسوية وبين نفخ الروح، فالتسوية عبارة عن تخليق الأبعاض والأعضاء، ثمّ أضاف الروح إلى نفسه بقوله ﴿مِن رُّوحِى﴾ دلّ ذلك على أنّ جوهر الروح شيء مغاير لجوهر الجسد.

الخامس: قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾(٣) وهذه الآية صريحة في وجود النفس موصوفةً بالادراك والتحريك معاً، لأنّ الإلهام عبارة عن الادراك، وأمّا الفجور والتقوى فهو فعل، وهذه الآية صريحة في أنّ الانسان شيء واحد وهو موصوف بالادراك والتحريك، وهو موصوف أيضاً بفعل الفجور تارةً وفعل التقوى أُخرى، ومعلوم أنّ جملة البدن غير موصوف بهذين الوصفين، وليس في البدن عضو واحد موصوف بهذين الوصفين، فلا بدّ من إثبات جوهر واحد يكون موصوفاً بكلّ هذه الأمور.

السادس: قوله تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾(٤) فهذا تصريح بأنّ الانسان شيء واحد وذلك الشيء الواحد هو المبتلى بالتكاليف الإلهيّة والأمور الربّانيّة، وهو الموصوف بالسمع والبصر، ومجموع البدن ليس كذلك، وليس عضو من أعضاء البدن كذلك، فالنفس شيء مغاير جملة البدن ومغاير أجزاء البدن وهو الموصوف بهذه الصفات.

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١٢-١٤.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٩.
(٣) سورة الشمس، الآيتان: ٧-٨.
(٤) سورة الإنسان، الآية: ٢.

واعلم أنّ الأحاديث الواردة في صفة الأرواح قبل تعلّقها بالأجساد وبعد انفصالها من الأجساد كثيرة، وكلّ ذلك يدلّ على أنّ النفس غير هذا الجسد، والعجب ممّن يقرأ هذه الآيات الكثيرة ويروي هذه الأخبار الكثيرة ثمّ يقول: توفّي رسول الله ﷺ وما كان يعرف ما الروح! وهذا من العجائب[1].

ثمّ استدلّ بهذه الآية الّتي بصدد تفسيرها على هذا المذهب، وتقريره: أنّ الروح لو كان جسماً منتقلاً من حالة إلى حالة ومن صفة إلى صفة لكان مساوياً للبدن في كونه متولّداً من أجسام اتّصفت بصفات مخصوصة بعد أن كانت موصوفة بصفات أُخر، فإذا سئل رسول الله ﷺ عن الروح وجب أن يبيّن أنّه جسم كان كذا ثمّ صار كذا وكذا حتّى صار روحاً، مثل ما ذكر في كيفيّة تولّد البدن أنّه كان نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة، فلمّا لم يقل ذلك بل قال «إنّه من أمر ربّي» بمعنى أنّه لا يحدث ولا يدخل في الوجود إلاّ لأجل أنّ الله تعالى قال له ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ دلّ ذلك على أنّه جوهر ليس من جنس الأجسام، بل هو جوهر قدسيّ مجرد. واعلم أنّ أكثر العارفين الكاملين من أصحاب الرياضات وأصحاب المكاشفات والمشاهدات مصرّون على هذا القول جازمون بهذا المذهب[2].

ثمّ قال: واحتجّ المنكرون بوجوه:

الحجة الأولى: لو كانت مساوية لذات الله تعالى في كونه ليس بجسم ولا عرض لكان مساوياً له في تمام الماهيّة، وذلك محال.

الثانية: قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾﴾ - إلى قوله - ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾[3] وهذا تصريح بأنّ الانسان شيء مخلوق من نطفة، وأنّه يموت ويدخل القبر، ثمّ إنّه تعالى يخرجه من القبر، ولو لم يكن الانسان عبارةً عن هذه الجثّة لم تكن الأحوال المذكورة في هذه الآية صحيحةً.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ - إلى قوله - ﴿يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ﴾ وهذا يدلّ على أنّ الروح جسم، لأنّ الإرتزاق والفرح من صفات الأجسام.

والجواب عن الأول: أنّ المساواة في أنّه ليس بمتحيّز ولا حالّ في المتحيّز مساواة في صفات سلبيّة، والمساواة في الصفات السلبيّة لا توجب المماثلة. واعلم أنّ جماعةً من الجهّال يظنّون أنّه لمّا كان الروح موجوداً ليس بمتحيّز ولا حالّ في المتحيّز وجب أن يكون مثلاً للإله أو جزءً من الإله، وذلك جهل فاحش وغلط قبيح، وتحقيقه ما ذكرنا من أنّ المساواة في السلوب لو أوجبت المماثلة لوجب القول باستواء كلّ المختلفات، فإنّ كلّ ماهيّتين مختلفتين لا بدّ وأن يشتركا في سلب كلّ ما عداهما عنهما.

---

(١) - (٢) تفسير الفخر الرازي، ج ٢١ ص ٥١ و٥٢.

(٣) سورة عبس، الآيات: ١٧-٢٢.

والجواب عن الثاني: أنّه لمّا كان الانسان في العرف والظاهر عبارة عن هذه الجثّة أطلق عليه اسم الانسان، وأيضاً فلقائل أن يقول: هب أنّا نجعل اسم الانسان عبارةً عن هذه الجثّة إلاّ أنّا قد دللنا على أنّ محلّ العلم والقدرة ليس هو هذه الجثّة.

والجواب عن الثالث: أنّ الرزق المذكور في الآية محمول على ما يقوّي حالهم ويكمل كمالهم، وهو معرفة الله ومحبّته، بل نقول: هذا من أدلّ الدلائل على صحّة قولنا، لأنّ أبدانهم قد بليت تحت التراب والله تعالى يقول: إنّ أرواحهم تأوي إلى قناديل معلّقة تحت العرش. فهذا يدلّ على أنّ الروح غير البدن.

وقال في قوله سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴿١٩٤﴾﴾[(١)]: فيه قولان:

الأول: أنّه إنّما قال ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ وإن كان إنّما أنزله عليه، ليؤكّد به أنّ ذلك المنزل محفوظ والمرسول متمكّن في قلبه لا يجوز عليه التغيّر، فيوثق عليه بالإنذار الواقع مع الّذي بيّن الله تعالى أنّه المقصود، ولذلك قال ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾.

الثاني: أنّ القلب هو المخاطب في الحقيقة لأنّه موضع التميز والاختيار، وأمّا سائر الأعضاء فمسخّرة له، والدليل عليه القرآن والحديث والمعقول، أمّا القرآن فآيات: إحداها في سورة البقرة ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[(٢)]، وقال ههنا: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴿١٩٤﴾﴾ وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾[(٣)] وثانيها أنّ استحقاق الجزاء ليس إلاّ على ما في القلب من المساعي، فقال: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[(٤)] وقال: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾[(٥)] والتقوى في القلب لأنّه تعالى قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾[(٦)] وقال تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ وثالثها قوله حكايةً عن أهل النار: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[(٧)] ومعلوم أنّ العقل في القلب والسمع منفذ إليه، وقال: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[(٨)] ومعلوم أنّ السمع والبصر لا يستفاد منهما إلاّ ما يؤدّيانه إلى القلب، فكان السؤال عنهما في الحقيقة سؤالاً عن القلب. وقال: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[(٩)] ولم تخن الأعين إلاّ بما تضمر القلوب عند التحديق بها. ورابعها قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[(١٠)] فخصّ هذه الثلاثة بإلزام الحجّة واستدعاء الشكر عليها، وقد قلنا لا طائل في السمع والإبصار إلاّ بما يؤدّيانه إلى القلوب ليكون القلب

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٣-١٩٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٧.
(٣) سورة ق، الآية: ٣٧.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٥.
(٥) سورة الحج، الآية: ٣٧.
(٦) سورة الحجرات، الآية: ٣.
(٧) سورة الملك، الآية: ١٠.
(٨) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.
(٩) سورة غافر، الآية: ١٩.
(١٠) سورة الملك، الآية: ٢٣.

هو القاضي والمتحكّم عليه. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ﴾(١) فجعل هذه الثلاثة تمام ما ألزمهم من حجّة، والمقصود من ذلك هو الفؤاد القاضي فيما يؤدّي إليه السمع والبصر.

وأمّا الحديث فما روى النعمان بن بشير قال: سمعته ﷺ يقول: ألا وإنّ في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب.

وأمّا المعقول فوجوه: أحدها أنّ القلب إذا غشي عليه فلو قطع سائر الأعضاء لم يحصل الشعور به، وإذا أفاق القلب فإنّه يشعر بجميع ما ينزل بالأعضاء من الآفات، فدلّ ذلك على أنّ الأعضاء تبع للقلب، ولذلك فإنّ القلب إذا فرح أو حزن فإنّه يتغيّر حال الأعضاء عند ذلك، وكذا القول في سائر الأعراض النفسانيّة.

وثانيها: أنّ القلب منبع المشيئات الباعثة على الأفعال الصادرة من سائر الأعضاء وإذا كانت المشيئات مبادىء الأفعال ومنبعها هو القلب فالآمر المطلق هو القلب.

وثالثها: أنّ معدن العقل هو القلب، وإذا كان كذلك كان الآمر المطلق هو القلب، أمّا المقدمة الأولى ففيها النزاع، فإنّ طائفةً من القدماء ذهبوا إلى أنّ معدن العقل هو الدماغ، والّذي يدلّ على قولنا وجوه:

الأول: قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾(٢) وقوله ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي عقل، أطلق على العقل لما أنّه معدن له.

الثاني: أنّه تعالى أضاف أضداد العقل إلى القلب، فقال: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾(٣)، ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾(٤)، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾(٥)، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(٦)، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(٧) فدلّت هذه الآيات على أنّ موضع الجهل والغفلة هو القلب، فوجب أن يكون موضع العقل والفهم أيضاً هو القلب.

الثالث: أنّا إذا جرّبنا أنفسنا وجدنا علومنا حاصلةً في ناحية القلب، ولذلك فإنّ الواحد منّا إذا أمعن في الفكر والرويّة أحسّ من قلبه ضيقاً وضجراً حتّى كأنّه يتألّم بذلك، وكلّ ذلك

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٢٦.
(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٨.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٦٤.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.
(٦) سورة محمد، الآية: ٢٤.
(٧) سورة الحج، الآية: ٤٦.

يدلّ على أنّ موضع العقل هو القلب، وإذا ثبت ذلك وجب أن يكون المكلّف هو القلب، لأنّ التكليف مشروط بالعقل والفهم.

الرابع: أنّ القلب هو أوّل الأعضاء تكوّناً وآخرها موتاً، وقد ثبت ذلك بالتشريح ولأنّه متمكّن في الصدر الّذي هو الأوسط في الجسد، ومن شأن الملوك المحتاجين إلى الخدم أن يكونوا في وسط المملكة، لتكتنفهم الحواشي من الجوانب ليكونوا أبعد من الآفات.

واحتجّ من قال: العقل في الدماغ، بوجوه: أحدها أنّ الحواسّ الّتي هي الآلات للإدراك نافذة إلى الدماغ دون القلب. وثانيها أنّ الأعضاء الّتي هي آلات الحركات الاختياريّة نافذة من الدماغ دون القلب. وثالثها أن الآفة إذا دخلت في الدماغ اختلّ العقل. ورابعها أنّ في العرف كلّ من أريد وصفه بقلّة العقل يقال: إنّه خفيف الدماغ خفيف العقل. وخامسها أنّ العقل أشرف فيكون مكانها أشرف، والأعلى هو الأشرف وذلك هو الدماغ لا القلب، فوجب أن يكون محلّ العقل الدماغ لا القلب.

والجواب عن الأول: لمَ لا يجوز أن يقال: الحواسّ تؤدّي آثارها إلى الدماغ، ثمّ إنّ الدماغ يؤدّي تلك الآثار إلى القلب، والدماغ آلة قريبة للقلب والحواسّ آلة بعيدة، والحسّ يخدم الدماغ، والدماغ يخدم القلب؟ وتحقيقه أنّا ندرك من أنفسنا أنّا إذا عقلنا أنّ الأمر الفلانيّ يجب فعله أو يجب تركه، فإنّ الأعضاء تتحرّك عند ذلك، ونحن عند التعقّلات نحسّ من جانب الدماغ.

وعن الثاني: أنّه لا يبعد أن يتأدّى الأثر من القلب إلى الدماغ، ثمّ الدماغ يحرّك الأعضاء بواسطة الأعصاب النابتة منه.

وعن الثالث: لا يبعد أن تكون سلامة الدماغ شرطاً لوصول تأثير القلب إلى سائر الأعضاء.

وعن الرابع: أنّ ذلك العرف إنّما كان لأنّ القلب إنّما يعتدل مزاجه بما يستمدّه من الدماغ من برودته، فإذا لحق الدماغ خروج عن الاعتدال خرج القلب عن الاعتدال أيضاً، إمّا لزيادة حرارته عن القدر الواجب، أو لنقصان حرارته عن ذلك القدر، فحينئذ يختلّ العقل.

وعن الخامس: أنّه لو صحّ ما قالوه لوجب أن يكون موضع القلب هو القحف ولمّا بطل ذلك ثبت فساد قولهم - انتهى[(١)] -.

وأقول: بعد تسليم مقدّمات دلائله وعدم التعرّض لتزييفها ومنعها إنّما تدلّ على أنّ الروح غير البدن وأجزائه والحواسّ الظاهرة والباطنة، ولا تدلّ على تجرّدها، لمَ لا يجوز أن تكون جسماً لطيفاً من عالم الملكوت تتعلّق بالبدن أو تدخله وتخرج عند الموت وتبقى محفوظة إلى النشور؟ كما سنحقّقه إن شاء الله تعالى.

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٣ ص ١٦٦.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ قال الطبرسي - قدّس الله سرّه - أي يقبضها إليه وقت موتها وانقضاء آجالها، والمعنى: حين موت أبدانها وأجسادها على حذف المضاف ﴿وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ أي يتوفّى الأنفس الّتي لم تمت في منامها والّتي تتوفّى عند النوم هي النفس الّتي يكون بها العقل والتميز، فهي الّتي تفارق النائم فلا يعقل، والّتي تتوفّى عند الموت هي نفس الحياة الّتي إذا زالت زال معها النفَس والنائم يتنفّس، فالفرق بين قبض النوم وقبض الموت أنّ قبض النوم يضادُّ اليقظ وقبض الموت يضادّ الحياة، وقبض النوم يكون الروح معه، وقبض الموت يخرج الروح من البدن ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ إلى يوم القيامة ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ يعني الأنفس الّتي لم يقض على موتها، يريد نفس النائم ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قد سمّي لموته ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ أي دلالات واضحات على توحيد الله وكمال قدرته ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في الأدلّة، إذ لا يقدر على قبض النفوس تارةً بالنوم وتارةً بالموت غير الله تعالى. قال ابن عبّاس: في بني آدم نفس وروح، وبينهما مثل شعاع الشمس، فالنفس الّتي بها العقل والتميز، والروح الّتي بها النفَس والتحريك، فإذا نام قبض الله نفسه ولم يقبض روحه، وإذا مات قبض الله نفسه وروحه. ويؤيّده ما رواه العياشي بالإسناد عن الحسن بن محبوب، عن عمرو بن ثابت بن أبي المقدام، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما من أحد ينام إلاّ عرجت نفسه إلى السماء وبقيت روحه في بدنه وصار بينهما سبب كشعاع الشمس، فإذا أذن الله في قبض الأرواح أجابت الروح والنفس، وإن أذن الله في ردّ الروح أجابت النفس والروح وهو قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ فمهما رأت في ملكوت السماوات فهو ممّا له تأويل، وما رأت فيما بين السماء والأرض فهو ممّا يخيّله الشيطان ولا تأويل له[١].

وقال الرازي: النفس الانسانيّة عبارة عن جوهر مشرق روحانيّ إذا تعلّق بالبدن حصل ضوؤه في جميع الأعضاء وهو الحياة، فنقول: إنّ وقت الموت ينقطع تعلّقه عن ظاهر البدن وعن باطنه وذلك هو الموت، وأمّا في وقت النوم فإنّه ينقطع تعلّقه عن ظاهر البدن، فثبت أنّ النوم والموت من جنس واحد إلاّ أنّ الموت انقطاع تامّ كامل، والنوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه، إذا ثبت هذا ظهر أنّ القادر العالم القديم الحكيم دبّر تعلّق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أوجه: أحدها أن يقع ضوء النفس على جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه، وذلك هو اليقظة. وثانيها أن ينقطع ضوء النفس عن البدن بالكلّيّة، وهو الموت. وثالثها أن ينقطع ضوء النفس عن ظاهر البدن دون باطنه وهو النوم[٢].

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: أي فهلاّ إذا بلغت النفس الحلقوم عند الموت ﴿وَأَنتُمْ﴾ يا أهل الميّت ﴿حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ أي ترون تلك الحال وقد صار إلى أن تخرج نفسه،

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٥٠٣. (٢) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٦ ص ٢٨٤.

وقيل: معناه تنظرون لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئاً[١].

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ قال الرازيّ: قالوا: الحياة هي الصفة الّتي يكون الموصوف بها بحيث يصحّ أن يعلم ويقدر، واختلفوا في الموت فقال قوم: إنّه عبارة عن عدم هذه الصفة، وقال أصحابنا: إنّه صفة وجودية مضادّة للحياة، واحتجّوا بهذه الآية لأنّ العدم لا يكون مخلوقاً[٢].

[الأخبار] ١ -معاني الأخبار: قال: حدّثني غير واحد من أصحابنا، عن محمّد بن أبي عبد الله الكوفي، عن محمّد بن إسماعيل عن الحسين بن الحسن، عن بكر، عن القاسم بن عروة عن عبد الحميد الطائيّ، عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ كيف هذا النفخ؟ فقال: إنّ الروح متحرّك كالريح، وإنّما سمّي روحاً لأنّه اشتقّ اسمه من الريح، وإنّما أخرجه على لفظة الريح لأنّ الروح مجانس للرّيح وإنّما أضافه إلى نفسه لأنّه اصطفاه على سائر الأرواح، كما اصطفى بيتاً من البيوت فقال: بيتي، وقال لرسول من الرسل: خليلي، وأشباه ذلك، وكلّ ذلك مخلوق مصنوع محدث مربوب مدبّر[٣].

الكافي: عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن خالد، عن القاسم بن العروة مثله[٤].

الاحتجاج: عن محمّد بن مسلم مثله. «ص ٣٢٣».

بيان: لعلّ إخراجه على لفظة الريح كما في الكافي عبارة عن التعبير عن إيجاده في البدن بالنفخ فيه، لمناسبة الروح للريح ومجانسته إيّاه. واعلم أنّ الروح قد تطلق على النفس الناطقة الّتي تزعم الحكماء أنّها مجرّدة، وهي محلّ العلوم والكمالات، ومدبّرة للبدن؛ وقد تطلق على الروح الحيوانيّ وهو البخار اللطيف المنبعث من القلب الساري في جميع الجسد، وهذا الخبر وأمثاله يحتملهما وإن كانت بالأخيرة بعضها أنسب، وقيل: الروح وإن لم تكن في أصل جوهرها من هذا العالم، إلاّ أنّ لها مظاهر ومجالي في الجسد، وأوّل مظهر لها فيه بخار لطيف دخانيّ شبيه في لطافته واعتداله بالجرم السماويّ، ويقال له «الروح الحيوانيّ» وهو مستوى الروح الربّانيّ الّذي هو من عالم الأمر ومركبه ومطيّة قواه، فعبّر عليه السلام عن الروح بمظهره، تقريباً إلى الأفهام، لأنّها قاصرة عن فهم حقيقته كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ولأنّ مظهره هذا هو المنفوخ دون أصله.

وقال البيضاويّ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ عدلت خلقه وهيّأته لنفخ الروح ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣٧٧.

(٢) تفسير الفخر الرازي، ج ٣٠ ص ٥٤.

(٣) معاني الأخبار، ص ١٧.

(٤) أصول الكافي، ج ١ باب الروح، ح ٣.

حتّى جرى آثاره في تجاويف أعصابه فحيي، وأصل النفخ إجراء الريح في تجويف جسم آخر، ولمّا كان الرّوح يتعلّق أوّلاً بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوّة الحيوانيّة فيسري حاملاً لها في تجاويف الشرايين إلى أعماق البدن جعل تعلّقه نفخاً(١).

وقال النيسابوريّ: النفخ إجراء الريح في تجاويف جسم آخر، فمن زعم أنّ الروح جسم لطيف كالهواء سارٍ في البدن فمعناه ظاهر، ومن قال: إنّه جوهر مجرّد غير متحيّز ولا حالّ في متحيّز فمعنى النفخ عنده تهيئة البدن لأجل تعلّق النفس الناطقة به. قال جار الله: ليس ثمّ نفخ ولا منفوخ، وإنّما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه ولا خلاف في أنّ الإضافة في قوله ﴿رُّوحِي﴾ للتشريف والتكريم مثل ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ و«بيت الله».

وقال الرازيّ: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ يدلّ على أنّ تخليق البشر لا يتمّ إلاّ بأمرين: التسوية أوّلاً ثمّ نفخ الروح ثانياً، وهذا حقّ لأنّ الانسان مركّب من جسد ونفس، أمّا الجسد فإنّه يتولّد من المنيّ، والمنيّ إنّما يتولّد من دم الطمث، وهو إنّما يتولّد من الأخلاط، وهي إنّما تتولّد من الأركان الأربعة، فلا بدّ في حصول هذه التسوية من رعاية المدّة الّتي في مثلها يحصل ذلك المزاج الّذي لأجله يحصل الاستعداد لقبول النفس الناطقة. فأمّا النفس فإليها الإشارة بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ ولمّا أضاف الروح إلى نفسه دلّ على أنّه جوهر شريف علويّ قدسيّ. وذهبت الحلولية إلى أنّ كلمة (من) تدلّ على التبعيض وهذا يوهم أنّ الروح جزء من أجزاء الله، وهذا في غاية الفساد، لأنّ كل ما له جزء فهو مركّب وممكن الوجود لذاته ومحدث. وأمّا كيفيّة نفخ الروح فاعلم أنّ الأقوى أنّ جوهر النفس عبارة عن أجرام شفّافة نورانيّة علويّة العنصر قدسيّة الجواهر وهي تسري في هذا البدن سريان الضوء في الهواء والنار في الفحم، فهذا القدر معلوم، أمّا كيفيّة ذلك النفخ فممّا لا يعلمه إلاّ الله تعالى(٢).

٢ - **قرب الإسناد:** عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن زياد، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام: إنّ روح آدم عليه السلام لمّا أمرت أن تدخل فيه كرهته، فأمرها أن تدخل كرهاً وتخرج كرهاً(٣).

بيان: لا يبعد أن يكون المعنى أنّ الروح لمّا كانت من عالم الملكوت وهي لا تناسب البدن، فلمّا خلقها الله خلقاً تحتاج في تصرّفها وأعمالها وترقّياتها إلى البدن فكأنّها تعلّقت به كرهاً، فلمّا أنست به ونسيت ما كانت عليه صعبت عليها مفارقتها للبدن أو أنّه لمّا كانت محتاجة إلى البدن ورأته ضائعة مختلّة لا يمكنها إعمالها فيما تريد فارقته كرهاً.

٣ - **العلل والخصال:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن عيسى اليقطينيّ،

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣٧٧. (٢) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٥ ص ٢٢٨.
(٣) قرب الإسناد، ص ٧٩ ح ٢٥٧.

عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن، عن أبي بصير، ومحمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا ينام الرجل وهو جنب، ولا ينام إلاّ على طهور، فإن لم يجد الماء فليتيمّم بالصعيد، فإنّ روح المؤمن ترفع إلى الله تبارك وتعالى فيقبلها ويبارك عليها، فإن كان أجلها قد حضر جعلها في كنوز رحمته وإن لم يكن أجلها قد حضر بعث بها مع أمنائه من ملائكته فيردّونها في جسدها[1].

٤ - **مجالس الصدوق:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد عن بعض أصحابه، عن زكريّا بن يحيى، عن معاوية بن عمّار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ العباد إذا ناموا خرجت أرواحهم إلى السماء، فما رأت الروح في السماء فهو الحقّ، وما رأت في الهواء فهو الأضغاث، ألا وإنّ الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، فإذا كانت الروح في السماء تعارفت وتباغضت، فإذا تعارفت في السماء تعارفت في الأرض، وإذا تباغضت في السماء تباغضت في الأرض[2].

٥ - **التوحيد:** عن محمّد بن أحمد السنانيّ وغيره، عن محمّد بن أبي عبد الله الكوفيّ عن محمّد بن إسماعيل البرمكيّ، عن عليّ بن العبّاس، عن عبيس بن هشام، عن عبد الكريم بن عمرو، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق خلقاً وخلق روحاً، ثمّ أمر ملكاً فنفخ فيه فليست بالّتي نقصت من قدرة الله شيئاً، هي من قدرته[3].

٦ - **مجالس الصدوق:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد وعبد الله ابني محمّد بن عيسى، ومحمّد بن الحسين، عن الحسن بن محبوب، عن محمّد بن القاسم النوفليّ قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: المؤمن يرى الرؤيا فتكون كما رآها، وربما رأى الرؤيا فلا تكون شيئاً. فقال إنّ المؤمن إذا نام خرجت من روحه حركة ممدودة صاعدة إلى السماء، فكلّ ما رآه روح المؤمن في ملكوت السماء في موضع التقدير والتدبير فهو الحقّ، وكلّ ما رآه في الأرض فهو أضغاث أحلام. فقلت له: وتصعد روح المؤمن إلى السماء؟ قال: نعم، قلت: حتّى لا يبقى شيء في بدنه؟ فقال: لا، لو خرجت كلّها حتّى لا يبقى منها شيء إذاً لمات. قلت: فكيف تخرج؟ فقال: أما ترى الشمس في السماء في موضعها وضوؤها وشعاعها في الأرض؟ فكذلك الروح أصلها في البدن وحركتها ممدودة[4].

بيان: فقه هذه الأخبار موقوف على تحقيق حقيقة الروح، وقد مضى بعض القول فيها وسيأتي تمامه إن شاء الله.

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٨٦ باب ٢٣٠ ح ١، الخصال ص ٦١٣ حديث الأربعمائة.

(٢) أمالي الصدوق، ص ٢٠٩ مجلس ٢٩ ح ١٦. (٣) التوحيد ص ١٧٢.

(٤) أمالي الصدوق، ص ٢٠٨ مجلس ٢٩ ح ١٥.

٧ - **الاحتجاج:** عن هشام بن الحكم أنّه سأل الصادق عليه السلام قال: فأخبرني عمّن قال بتناسخ الأرواح من أيّ شيء قالوا ذلك؟ وبأيّ حجّة قاموا على مذاهبهم؟ قال: إنّ أصحاب التناسخ قد خلّفوا وراءهم منهاج الدين، وزيّنوا لأنفسهم الضلالات، وأمرجوا أنفسهم في الشهوات، وزعموا أنّ السماء خاوية ما فيها شيء ممّا يوصف، وأنّ مدبّر هذا العالم في صورة المخلوقين، بحجّة من روى «أنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته» وأنّه لا جنّة ولا نار ولا بعث ولا نشور، والقيامة عندهم خروج الروح من قالبه وولوجه في قالب آخر، إن كان محسناً في القالب الأوّل أعيد في قالب أفضل منه حسناً في أعلا درجة الدنيا، وإن كان مسيئاً أو غير عارف صار في بعض الدوابّ المتعبة في الدنيا، أو هوامّ مشوّهة الخلقة، وليس عليهم صوم ولا صلاة ولا شيء من العبادة أكثر من معرفة من تجب عليهم معرفته، وكلّ شيء من شهوات الدنيا مباح لهم: من فروج النساء وغير ذلك من الأخوات والبنات والخالات وذوات البعولة، وكذلك الميتة والخمر والدّم. فاستقبح مقالتهم كلّ الفرق ولعنهم كلّ الأمم، فلمّا سئلوا الحجّة زاغوا وحادوا، فكذّب مقالتهم التوراة ولعنهم الفرقان وزعموا مع ذلك أنّ إلههم ينتقل من قالب إلى قالب، وأنّ الأرواح الأزليّة هي الّتي كانت في آدم ثمّ هلمّ جرّاً إلى يومنا هذا في واحد بعد آخر، فإذا كان الخالق في صورة المخلوق فبما يستدلّ على أنّ أحدهما خالق صاحبه؟ وقالوا: إنّ الملائكة من ولد آدم، كلّ من صار في أعلا درجة دينهم خرج من منزلة الامتحان والتصفية فهو ملك، فطوراً تخالهم نصارى في أشياء، وطوراً دهريّة. يقولون: إنّ الأشياء على غير الحقيقة، فقد كان يجب عليهم أن لا يأكلوا شيئاً من اللّحمان، لأنّ الدوابّ عندهم كلّها من ولد آدم حوّلوا في صورهم، فلا يجوز أكل لحوم القربات!

وساق الحديث الطويل إلى أن قال: أخبرني عن السراج إذا انطفى أين يذهب نوره؟ قال: يذهب فلا يعود. قال: فما أنكرت أن يكون الانسان مثل ذلك إذا مات وفارق الروح البدن لم يرجع إليه أبداً كما لا يرجع ضوء السراج إليه أبداً إذا انطفى؟ قال: لم تصب القياس، إنّ النار في الأجسام كامنة والأجسام قائمة بأعيانها كالحجر والحديد، فإذا ضرب أحدهما بالآخر سطعت من بينهما نار يقتبس منها سراج له الضوء، فالنار ثابتة في أجسامها والضوء ذاهب، والروح جسم رقيق قد ألبس قالباً كثيفاً وليس بمنزلة السراج الّذي ذكرت أنّ الّذي خلق في الرحم جنيناً من ماء صاف وركّب فيه ضروباً مختلفة من عروق وعصب وأسنان وشعر وعظام وغير ذلك هو يحييه بعد موته ويعيده بعد فنائه. قال: فأين الروح؟ قال: في بطن الأرض حيث مصرع البدن إلى وقت البعث. قال: فمن صلب أين روحه؟ قال: في كفّ الملك الّذي قبضها حتّى يودعها الأرض.

قال: فأخبرني عن الروح أغير الدم؟ قال: نعم، الروح على ما وصفت لك مادّته من الدّم، ومن الدم رطوبة الجسم وصفاء اللون وحسن الصوت وكثرة الضحك فإذا جمد الدم

فارق الروح البدن، قال: فهل يوصف بخفّة وثقل ووزن؟ قال: الروح بمنزلة الريح في الزقّ إذا نفخت فيه امتلأ الزقّ منها فلا يزيد في وزن الزقّ وُلوجها فيه ولا ينقصها خُروجها منه، كذلك الروح ليس لها ثقل ولا وزن.

قال: فأخبرني ما جوهر الريح؟ قال: الريح هواء إذا تحرّك سمّي ريحاً فإذا سكن سمّي هواءً، وبه قوام الدنيا، ولو كفّ الريح ثلاثة أيّام لفسد كلّ شيء على وجه الأرض ونتن، وذلك أنّ الريح بمنزلة المروحة تذبّ وتدفع الفساد عن كلّ شيء وتطيبه، فهي بمنزلة الروح إذا خرج من البدن نتن البدن وتغيّر، تبارك الله أحسن الخالقين.

قال: أفيتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باقٍ؟ قال: بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصور، فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى فلا حسّ ولا محسوس، ثمّ أعيدت الأشياء كما بدأها مدبّرها، وذلك أربعمائة سنة يسبت فيها الخلق وذلك بين النفختين قال: وأنّى له بالبعث والبدن قد بلي والأعضاء قد تفرّقت: فعضو ببلدة تأكله سباعها وعضو بأخرى تمزّقه هوامّها، وعضو قد صار تراباً بني به مع الطين حائط؟! قال: إنّ الّذي أنشأه من غير شيء وصوّره على غير مثال كان سبق إليه قادر أن يعيده كما بدأه. قال: أوضح لي ذلك، قال: إنّ الروح مقيمة في مكانها، روح المحسن في ضياء وفسحة، وروح المسيء في ضيق وظلمة، والبدن يصير تراباً كما منه خلق، وما تقذف به السباع والهوامّ من أجوافها ممّا أكلته ومزّقته كلّ ذلك في التراب محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرّة في ظلمات الأرض ويعلم عدد الأشياء ووزنها، وإنّ تراب الروحانيّين بمنزلة الذهب في التراب، فإذا كان حين البعث مطرت الأرض مطر النشور، فتربو الأرض ثمّ تمخض مخض السقاء، فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء، والزبد من اللبن إذا مخض، فيجتمع تراب كلّ قالب فينقل بإذن [الله] القادر إلى حيث الروح، فتعود الصور بإذن المصوّر كهيئتها، وتلج الروح فيها، فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئاً(١).

بيان: «من فروج النساء» أي الأجانب غير ذات البعولة، وظاهر الخبر أنّ الروح جسم لطيف، وأوّله بعض القائلين بالتجرّد بتأويلات ستأتي الإشارة إلى بعضها وكذا أوّلوا ما روي عن الصادق عليه السلام في وصف الروح أنّه قال «وبها يؤمر البدن وينهى ويثاب ويعاقب ويلبسها الله سبحانه غيره كما تقتضيه حكمته» وقال بعضهم: قوله عليه السلام «وقد تفارقه ويلبسها الله غيره» صريح في أنّها مجرّدة عن البدن مستقلّة، وأنّه ليس المراد بها الروح البخاريّة، قال: وأمّا إطلاق الجسم عليه فلأنّ نشأة الملكوت أيضاً جسمانيّة من حيث الصورة وإن لم تكن مادّية.

٨ - **العلل والعيون:** عن أبيه ومحمّد بن الحسن، عن سعد بن عبد الله وعبد الله بن جعفر الحميريّ ومحمّد بن يحيى العطّار وأحمد بن إدريس جميعاً عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ،

(١) الإحتجاج، ص ٣٤٤.

عن أبي هاشم داود بن قاسم الجعفريّ، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الثاني عليه السلام قال: أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم ومعه الحسن بن عليّ عليه السلام وسلمان الفارسيّ رضي الله عنه وأمير المؤمنين متكىء على يد سلمان، ودخل مسجد الحرام، إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس فسلّم على أمير المؤمنين عليه السلام فردّ عليه السلام فجلس، ثمّ قال: يا أمير المؤمنين أسألك عن ثلاث مسائل، إن أخبرتني بهنّ علمت أنّ القوم ركبوا من أمرك ما أقضي عليهم أنّهم ليسوا مأمونين في دنياهم ولا في آخرتهم، وإن تكن الأخرى علمت أنّك وهم شرع سواء. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سلني عمّا بدا لك. فقال: أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه؟ وعن الرجل كيف يذكر وينسى؟ وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال؟

فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى أبي محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام فقال: يا أبا محمّد أجبه، فقال عليه السلام: أمّا ما سألت عنه من أمر الانسان إذا نام أين تذهب روحه، فإنّ روحه متعلّقة بالريح، والريح متعلّقة بالهواء إلى وقت ما يتحرّك صاحبها لليقظة فإن أذن الله عزّ وجلّ بردّ تلك الروح على صاحبها جذبت تلك الروح الريح وجذبت تلك الريح الهواء، فرجعت الروح فاستكنّت في بدن صاحبها، فإن لم يأذن الله عزّ وجلّ بردّ تلك الروح على صاحبها جذب الهواء الريح، فجذبت الريح الروح، فلم تردّ على صاحبها إلى وقت ما يبعث.

وأمّا ما ذكرت من أمر الذكر والنسيان: فإنّ قلب الرجل في حُقّ وعلى الحُقّ طبق، فإن صلّى الرجل عند ذلك على محمّد وآل محمّد صلاةً تامّةً انكشف ذلك الطبق عن ذلك الحقّ فأضاء القلب وذكر الرجل ما كان نسي، وإن هو لم يصلّ على محمّد وآل محمّد أو نقص من الصلاة عليهم انطبق ذلك الطبق على ذلك الحقّ فأظلم القلب ونسي الرجل ما كان ذكره.

وأمّا ما ذكرت من أمر المولود الّذي يشبه أعمامه وأخواله، فإنّ الرجل إذا أتى أهله فجامعها بقلب ساكن وعروق هادئة وبدن غير مضطرب فاستكنّت تلك النطفة في جوف الرحم خرج الولد يشبه أباه وأمّه، وإن هو أتاها بقلب غير ساكن وعروق غير هادئة وبدن مضطرب اضطربت النطفة فوقعت في حال اضطرابها على بعض العروق فإن وقعت على عرق من عروق الأعمام أشبه الولد أعمامه، وإن وقعت على عرق من عروق الأخوال أشبه الولد أخواله.

فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلاّ الله، ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله ولم أزل أشهد بذلك، وأشهد أنّك وصيّ رسوله والقائم بحجّته - وأشار إلى أمير المؤمنين عليه السلام - ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنك وصيّه والقائم بحجّته - وأشار إلى الحسن عليه السلام - وأشهد أنّ الحسين بن عليّ وصيّ أبيك والقائم بحجّته بعدك، وأشهد على عليّ بن الحسين أنّه القائم بأمر الحسين بعده، وأشهد على محمّد بن عليّ أنّه القائم بأمر عليّ

ابن الحسين، وأشهد على جعفر بن محمّد أنّه القائم بأمر محمّد بن عليّ، وأشهد على موسى ابن جعفر أنّه القائم بأمر جعفر بن محمّد، وأشهد على عليّ بن موسى أنّه القائم بأمر موسى بن جعفر، وأشهد على محمّد بن عليّ أنّه القائم بأمر عليّ بن موسى، وأشهد على عليّ بن محمّد أنّه القائم بأمر محمّد بن عليّ، وأشهد على الحسن بن عليّ أنّه القائم بأمر عليّ بن محمّد، وأشهد على رجل من ولد الحسن بن عليّ لا يسمّى ولا يكنّى حتّى يظهر أمره فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً أنّه القائم بأمر الحسن بن عليّ، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ثمّ قام ومضى فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا محمّد اتبعه فانظر أين يقصد؟ فخرج الحسن بن عليّ عليه السلام في أثره، قال فما كان إلاّ أن وضع رجله خارج المسجد فما دريت أين أخذ من أرض الله عزّ وجلّ، فرجعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأعلمته، فقال يا أبا محمّد أتعرفه؟ قلت: الله ورسوله وأمير المؤمنين أعلم، فقال: هو الخضر(١).

الاحتجاج: مرسلاً مثله. «ص ٢٦٦».

المحاسن: عن أبيه، عن داوود بن القاسم مثله. «ج ٢ ص ٥٩».

بيان: «فإنّ روحه متعلّقة بالريح» يحتمل أن يكون المراد بالروح الروح الحيوانيّة، وبالريح النفَس، وبالهواء الهواء الخارج المنجذب بالنفَس؛ وأن يكون المراد بالروح النفس، مجرّدة كانت أم مادّيّة، وبالريح الروح الحيوانيّة لشباهتها بالريح في لطافتها وتحرّكها ونفوذها في مجاري البدن، وبالهواء النفس. والحقّ جمع حقّة - بالضمّ فيهما - وهي وعاء من خشب ولعلّ الجمعيّة هنا لاشتمال القلب الصنوبريّ على تجاويف وأغشية، أو لاشتمال محلّه عليها، أو هي باعتبار الأفراد والحقّ مخفّف حقّة، والطبق - محرّكة -: غطاء كلّ شيء ولا يبعد أن يكون الكلام مبنيّاً على الاستعارة والتمثيل، فإنّ الصلاة على محمّد وآل محمّد لمّا كانت سبباً للقرب من المبدأ واستعداد النفس لإفاضة العلوم عليها، فكأنّ الشواغل النفسانيّة الموجبة للبعد عن الحقّ تعالى طبق عليها فتصير الصلاة سبباً لكشفه وتنوّر القلب واستعداده لفيض الحقّ إمّا بإفاضة الصور ثانية أو باستردادها من الخزانة.

٩ - **تفسير علي بن إبراهيم:** عن أبيه، عن داود بن القاسم الجعفريّ، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: أقبل أمير المؤمنين عليه السلام يوماً ويده على عاتق سلمان ومعه الحسن عليه السلام حتّى دخل المسجد، فلمّا جلس جاء رجل عليه برد حسَن، فسلّم وجلس بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أريد أن أسألك عن مسائل فإن أنت أجبت منها علمت أنّ القوم نالوا منك وأنت أحقّ بهذا الأمر من غيرك، وإن لم تجبني عنها علمت أنّك والقوم شرع سواء. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سل ابني هذا - يعني الحسن - فأقبل الرجل بوجهه على الحسن عليه السلام فقال له: يا بنيّ أخبرني عن الرجل إذا نام أين يكون روحه؟ وعن

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٨ باب ٨٥ ح ٦، عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٦٧ باب ٦ ح ٣٥.

الرجل يسمع الشيء فيذكره دهراً ثمّ ينساه في وقت الحاجة إليه كيف هذا؟ وأخبرني عن الرجل يلد له الأولاد، منهم من يشبه أباه وعمومته، ومنهم من يشبه أمّه وأخواله فكيف هذا فقال له الحسن عليه السلام : نعم أمّا الرجل إذا نام فإنّ روحه يخرج مثل شعاع الشمس فيتعلّق بالريح، والريح بالهواء فإذا أراد الله أن ترجع جذب الهواء الريح وجذب الريح الروح فرجعت إلى البدن وإذا أراد الله أن يقبضها جذب الهواء الريح وجذب الريح الروح فقبضها. وأمّا الرجل الّذي ينسى الشيء ثمّ يذكره فما من أحد إلاّ على رأس فؤاده حقّة مفتوحة الرأس فإذا سمع الشيء وقع فيها، فإذا أراد الله أن ينساه طبق عليها، وإذا أراد أن يذكره فتحها وهذا دليل الإلهيّة. وأمّا الرجل الّذي يلد له الأولاد، فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة فإنّ الولد يشبه أباه وعمومته، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل يشبه أمّه وأخواله فالتفت الرجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله ولم أزل أقولها، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله ولم أزل أقولها، وأشهد أنّك وصيّ محمّد وخليفته في أمّته وأمير المؤمنين حقّاً، وأنّ الحسن القائم بأمرك، وأنّ الحسين القائم من بعده بأمره، وأنّ عليّ بن الحسين القائم بأمره من بعده وأنّ محمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد وموسى بن جعفر وعليّ بن موسى ومحمّد بن عليّ وعليّ بن محمّد والحسن بن عليّ ووصيّ الحسن بن عليّ القائم بالقسط المنتظر الّذي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. ثمّ قام وخرج من باب المسجد، فقال أمير المؤمنين عليه السلام للحسن: هذا أخي الخضر[1].

بيان: «وهذا دليل الإلهيّة» أي كون الذكر والنسيان بيد الله ومن قبله دليل على وجود الصانع، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : عرفت الله بفسخ العزائم. وفي بعض النسخ «الإلهاميّة» أي العلوم الإلهاميّة، فإنّه إذا كان الذكر من قبله تعالى فالعلوم كلّها منه؛ ويجوز أن يلهم من يشاء من عباده ما يشاء، والأوّل أظهر.

١٠ - **التوحيد:** عن أحمد بن الحسن القطّان، عن الحسن بن عليّ السكرانيّ عن محمّد بن زكريّا الجوهريّ، عن جعفر بن محمّد بن عمارة، عن أبيه، عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ للجسم ستّة أحوال: الصحّة، والمرض والموت، والحياة، والنوم، واليقظة. وكذلك الروح، فحياتها علمها، وموتها جهلها ومرضها شكّها، وصحّتها يقينها، ونومها غفلتها، ويقظتها حفظها[2].

١١ - **منتخب البصائر:** عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن الحسين وموسى بن عمر عن محمّد بن سنان، عن المفضّل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مثل روح المؤمن وبدنه كجوهرة في صندوق إذا أخرجت الجوهرة منه طرح الصندوق ولم يعبأ به. وقال: إنّ الأرواح لا تمازج البدن ولا تداخله وإنّما هي كلل للبدن محيطة به.

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٨ في تفسيره لسورة الكهف. (٢) التوحيد، ص ٣٠٠.

البصائر: عن بعض أصحابنا، عن المفضّل مثله[١].

بيان: استدلّ بآخر هذه الرواية على تجرّد الروح، إذ لم يقل أحد بكونها جسماً خارجاً من البدن، ويمكن أن يكون هذا بيان حالها بعد الموت فإنّ أوّل الخبر ظاهره الدخول.

١٢ - **المناقب لابن شهرآشوب:** سأل أبا بكر نصرانيّان: ما الفرق بين الحبّ والبغض ومعدنهما واحد؟ وما الفرق بين الرؤيا الصادقة والرؤيا الكاذبة ومعدنهما واحد؟ فأشار إلى عمر، فلمّا سألاه أشار إلى عليّ، فلمّا سألاه عن الحبّ والبغض قال: إنّ الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فأسكنها الهواء، فمهما تعارف هناك ائتلف ههنا، ومهما تناكر هناك اختلف ههنا. ثمّ سألاه عن الحفظ والنسيان فقال: إنّ الله تعالى خلق ابن آدم وجعل لقلبه غاشية، فمهما مرّ بالقلب والغاشية منفتحة حفظ وأحصى، ومهما مرّ بالقلب والغاشية منطبقة لم يحفظ ولم يحص. ثمّ سألاه عن الرؤيا الصادقة والرؤيا الكاذبة فقال عليه السلام: إنّ الله تعالى خلق الروح وجعل لها سلطاناً فسلطانها النفس، فإذا نام العبد خرج الروح وبقي سلطانه، فيمرّ به جيل من الملائكة وجيل من الجنّ، فمهما كان من الرؤيا الصادقة فمن الملائكة، ومهما كان من الرؤيا الكاذبة فمن الجنّ، فأسلما على يديه وقتلا معه يوم صفّين[٢].

بيان: يحتمل أن تكون الغاشية كناية عمّا يعرض القلب من الخيالات الفاسدة والتعلّقات الباطلة، لأنّها شاغلة للنفس عن إدراك العلوم والمعارف كما ينبغي وعن حفظها كما مرّ. والمراد بالنفس هنا إمّا الروح البخاريّة الحيوانيّة وبالروح النفس الناطقة فالمراد بقوله «سلطانها» السلطان المنسوب من قبلها على البدن، وأنّها مسلّطة على الروح من جهة أنّ تعلّقها بالبدن مشروطة بها وتابعة لها، فإذا زالت الحيوانيّة انقطع تعلّق الناطقة أو خرجت عن البدن، ويحتمل العكس فالمراد بخروج الروح خروجها من الأعضاء الظاهرة وميلها إلى الباطن، وتسلّط الناطقة على الحيوانيّة ظاهر لكونها المدبّرة للبدن وجميع أجزائه. والتفريع في قوله عليه السلام «فيمرّ به» على الوجهين ظاهر، فإنّه لبقاء السلطان في البدن لم تذهب الحياة بالكلّيّة وبقيت الحواسّ الباطنة مدركة، فإلهام الملائكة ووساوس الشياطين أيضاً باقية.

١٣ - **العياشي:** عن زرارة، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ قال: خلق من خلق الله، والله يزيد في الخلق ما يشاء[٣].

بيان: يمكن حمل الخبر على الروح الانسانيّ وإن كان ظاهره الملك أو خلق أعظم منه كما مرّ.

١٤ - **العياشي:** عن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام قال: سألته عن قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٤٢٤ ج ٩ باب ١٨ ح ١٣. (٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٢ ص ٣٥٧.
(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٣٩ ح ١٥٩.

ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ قال: الّتي في الدوابّ والناس. قلت: وما هي؟ قال: هي من الملكوت، من القدرة(١).

١٥ - وعن أسباط بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، وهو مع الأئمّة يفقّههم. وهو من الملكوت.(٢)

١٦ - **المناقب:** يونس في حديثه قال: سأل ابن أبي العوجاء أبا عبد الله عليه السلام: لم يميل القلب إلى الخضرة أكثر ممّا يميل إلى غيرها؟ قال: من قبل أنّ الله تعالى خلق القلب أخضر، ومن شأن الشيء أن يميل إلى شكله(٣).

١٧ - **جامع الأخبار:** سأل أبو بصير أبا عبد الله عليه السلام: الرجل نائم هنا والمرأة النائمة يريان أنّهما بمكّة أو بمصر من الأمصار، أرواحهما خارج من أبدانهما؟ قال: لا يا أبا بصير، فإنّ الروح إذا فارقت البدن لم تعد إليه غير أنّها بمنزلة عين الشمس هي مركبة في السماء في كبدها وشعاعها في الدنيا(٤).

١٨ - عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ العباد إذا ناموا خرجت أرواحهم إلى السماء الدنيا، فما رأت الروح في السماء الدنيا فهو الحقّ، وما رأت في الهواء فهو الأضغاث(٥).

١٩ - روي عن أبي الحسن عليه السلام يقول: إنّ المرء إذا نام فإنّ روح الحيوان باقية في البدن، والّذي يخرج منه روح العقل. فقال عبد الغفّار الأسلميّ: يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ - إلى قوله - ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أفليس ترى الأرواح كلّها تصير إليه عند منامها فيمسك ما يشاء ويرسل ما يشاء؟ فقال له أبو الحسن عليه السلام: إنّما تصير إليه أرواح العقول، فأمّا أرواح الحياة فإنّها في الأبدان لا يخرج إلاّ بالموت، ولكنّه إذا قضى على نفسٍ الموت قبض الروح الّذي فيه العقل ولو كانت روح الحياة خارجةً لكان بدناً ملقى لا يتحرّك، ولقد ضرب الله لهذا مثلاً في كتابه في أصحاب الكهف حيث قال: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ أفلا ترى أنّ أرواحهم فيهم بالحركات؟(٦).

توضيح: الظاهر أنّ الروح الّتي في خبر أبي بصير المراد بها «روح الحياة» أو المراد بالخروج في الأخبار الأخر إعراضها عن البدن وتوجّهها إلى عالمها الأصليّ وهو عالم الملكوت، كما يظهر من التمثيل بالشمس. قوله عليه السلام ولكنّه إذا قضى... أي بالنوم، وكأنّ فيه سقطاً.

٢٠ - **الكافي:** عن العدّة، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن خالد، عن أبي نهشل عن محمّد بن إسماعيل، عن أبي حمزة الثماليّ، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ الله خلقنا من أعلى علّيّين، وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا منه، وخلق أبدانهم من دون ذلك

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٣٩-٣٤٠ ح ١٦٣ و١٦٥.
(٣) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٤ ص ٢٥٦. (٤) - (٦) جامع الأخبار، ص ٤٨٨-٤٨٩.

فقلوبهم تهوي إلينا لأنّها خلقت ممّا خلقنا منه، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾[1]. وخلق عدوّنا من سجّين، وخلق قلوب شيعتهم ممّا خلقهم منه وأبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إليهم لأنّها خلقت ممّا خلقوا منه، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾﴾[2].

بيان: اختلف المفسّرون في تفسير «علّيين» فقيل: إنّها مراتب عالية محفوفة بالجلالة، وقيل: السماء السابعة، وقيل: سدرة المنتهى، وقيل: الجنّة، وقيل: أعلى مراتبها، وقيل: لوح من زبرجد أخضر معلّق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه. و«السجّين» الأرض السابعة، أو أسفل منها، أوجبّ في جهنّم. والمراد أنّ كتابة أعمالهم أو ما يكتب منها في «علّيين» أي في دفتر أعمالهم، أو المراد أنّ دفتر أعمالهم في تلك الأمكنة الشريفة، وعلى الأخير فيه حذف مضاف، أي: وما أدراك ما كتاب علّيين. وأمّا الاستشهاد بالآيتين في الخبر فيحتمل وجهين: أحدهما: أنّ دفتر أعمالهم موضوع في مكان أُخذت منه طينتهم. وثانيهما: أن يكون على تفسيره عليه السلام المراد بالكتاب الروح، لأنّ الروح هو الكتاب الّذي فيه علوم المقرّبين ومعارفهم، وجهالات المضلّين وخرافاتهم.

٢١ - **الكافي:** عن العدّة، عن أحمد بن محمّد، عن أبي يحيى الواسطيّ، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله خلقنا من علّيين وخلق أرواحنا من فوق ذلك، وخلق أرواح شيعتنا من علّيين وخلق أجسادهم من دون ذلك، فمن أجل ذلك القرابة بيننا وبينهم وقلوبهم تحنّ إلينا[3].

بيان: «خلقنا» أي أبداننا، «من فوق ذلك» أي أعلى علّيين، «من دون ذلك» أي أدنى علّيين. «فمن أجل ذلك» أي من أجل كون أبداننا وأرواحنا مخلوقة من علّيين، وكون أرواحهم وأجسادهم أيضاً مخلوقة من علّيين. ويحتمل أن يكون المراد بقوله: «من فوق ذلك» من مكان أرفع من علّيين، وبقوله: «من دون ذلك» من مكان أسفل من علّيين، فالقرابة من حيث كون أرواحنا وأبدانهم من علّيين. قوله «تحنّ» أي تهوي كما قال تعالى: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾.

---

(١) سورة المطففين، الآيات: ١٨-٢١.

(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٣١ باب خلق أبدان الأئمة عليهم السلام ... ح ٤. أقول: امتزجت الطينة الطيبة علّيين مع الخبيثة سجّين، فخلقت الدنيا منهما ممزوجاً، ولم يمتزج طينة الأئمة صلوات الله عليهم الكائنة من أعلى عليّين مع شيء من السجّين، ولذلك قلوبهم وأبدانهم طينة طاهرة مطهّرة لا يكون فيها ومنها شيء خبيث. [مستدرك السفينة ج ٧ لغة «علا»].

(٣) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٣١ باب خلق أبدان الأئمة عليهم السلام ... ح ١.

٢٢ - **الكافي**: عن العدّة، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن الحسن، عن محمّد بن عيسى بن عبيد، عن محمّد بن شعيب، عن عمران بن إسحاق الزعفرانيّ، عن محمّد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ الله خلقنا من نور عظمته، ثمّ صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة، فأسكن ذلك النور فيه، فكنّا نحن خلقاً وبشراً نورانيّين لم يجعل لأحد في مثل الّذي خلقنا نصيب، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينة[1]، ولم يجعل الله لأحد في مثل الّذي خلقهم منه نصيباً إلاّ للأنبياء، فلذلك صرنا نحن وهم الناس، وسائر الناس همج، للنار وإلى النار[2].

توضيح: «إنّ الله خلقنا» أي أرواحنا «من نور عظمته» أي من نور يدلّ على كمال عظمته وقدرته «ثمّ صوّر خلقنا» أي خلق لنا أجساداً مثاليّة شبيهةً بالأجساد الأصليّة، فهي صور خلقهم وأمثلته، فيدلّ على أنّ لهم أجساداً مثاليّة قبل تعلّق أرواحهم المقدّسة بأبدانهم المطهّرة وبعد مفارقتها إيّاه بل معها أيضاً، كما أنّ لنا بعد موتنا أجساداً مثاليّة تتعلّق أرواحنا بها كما مرّ في كتاب المعاد؛ بل يمكن أن تكون أجسادنا المثاليّة أيضاً كذلك ويكون ما نرى في المنام فيها كما هو أي جماعة، ومن فسّر التصوير في هذا الخبر بتصوير الأجساد الأصليّة فقد أبعد. «فكنّا خلقاً وبشراً نورانيّين» فالخلق للروح، والبشر للجسد المثاليّ، فإنّه بصورة البشر، وكونهما نورانيّين بناءً على كونهما جسمين لطيفين منوّرين من عالم الملكوت بناءً على كون الروح جسماً وعلى القول بتجرّدها كناية عن خلوّه عن الظلمة الهيولائيّة وقبوله للأنوار القدسيّة والإفاضات الربّانيّة. «في مثل الّذي خلقنا» أي خلق أرواحنا منه. «من طينتنا» أي طينة أجسادنا. والخبر يدلّ على فضلهم على الأنبياء عليهم السلام بل يومىء إلى مساواة شيعتهم لهم. والمراد بالناس أوّلاً الناس بحقيقة الإنسانيّة، وثانياً ما يطلق عليه الانسان في العرف العامّ. والهَمَج - محرّكة -: ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الأغنام والحمير، ولعلّه عليه السلام شبّههم بهم، لازدحامهم دفعةً على كلّ ناعق ويراحهم عنه بأدنى سبب. «للنار» أي خُلقوا لها، واللاّم للعاقبة. «وإلى النار» أي مصيرهم إليها.

٢٣ - **الكافي**: عن عليّ بن إبراهيم، عن عليّ بن حسّان؛ ومحمّد بن يحيى، عن سلمة بن خطّاب وغيره، عن عليّ بن حسان؛ عن عليّ بن عطيّة، عن عليّ بن رئاب رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ لله نهراً دون عرشه ودون النهر الّذي دون عرشه نور نوّره، وإنّ في حافتي النهر روحين مخلوقين: روح القدس، وروح من أمره. وإنّ لله عشر طينات، خمسة من الجنّة، وخمسة من الأرض. ففسّر الجنان وفسّر الأرض، ثمّ قال: ما من نبيّ ولا ملك

---

(١) يظهر من هذه الروايات أنّ الروح والقلب جوهر بسيط من عالم الجواهر البسيطة من علّيّن او سجّين. [النمازي].

(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٣١، ح ٢.

من بعده جبله إلاّ نفخ فيه من إحدى الروحين، وجعل النبيّ من إحدى الطينتين. قلت لأبي الحسن الأوّل عليه السلام: ما الجبل؟ فقال: الخلق غيرنا أهل البيت، فإنّ الله عزّوجلّ خلقنا من العشر طينات ونفخ فينا من الروحين جميعاً فأطيب بها طيباً(١).

وروى غيره عن أبي الصامت قال: طين الجنان: جنّة عدن، وجنّة المأوى والنعيم، والفردوس، والخلد، وطين الأرض: مكّة، والمدينة، والكوفة، وبيت المقدس، والحير.

بيان: «دون عرشه» أي عنده. (نوّره) ماض من التفعيل، والمستتر فيه راجع إلى النور، والبارز إلى النهر أو العرش، أو المستتر إلى الله، والبارز إلى النور مبالغة في إضاءته ولمعانه. وفي البصائر «نور من نوره» وكأنّه أصوب، أي من الأنوار الّتي خلقها الله سبحانه. وحافتا النهر - بالتخفيف - جانباه «مخلوقين» إبطال لقول النصارى أنّ عيسى روح الله غير مخلوق. «روح القدس» أي هما روح القدس وروح من أمره أي الروح الّذي قال الله فيه ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ وسيأتي الأقوال فيه. وظاهر الخبر إمّا الروح الانسانيّ أو الروح الّذي يؤيّد الله به الأئمّة عليهم السلام. «ففسّر الجنان» الظاهر أنّه كلام ابن رئاب، والضمير المستتر لأمير المؤمنين عليه السلام وقيل: لأبي الحسن عليه السلام، والتفسير إشارة إلى ما ذكر بعده في خبر أبي الصامت «ثم قال» أي أمير المؤمنين عليه السلام «ولا ملك» بالتحريك، وقد يقرؤها بكسر اللام أي إمام كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا﴾ وهو بعيد، وجملة «من بعده جبله» نعت «ملك» وضمير «بعده» للنبيّ، وضمير «جبله» للملك، إشارة إلى أنّ النبيّ أفضل من الملك فالمراد بالبعديّة ما هي بحسب الرتبة وجعل النبيّ. إنّما لم يذكر الملك هنا لذكره سابقاً وقيل: لأنّه ليس للملك جسد مثل جسد الانسان. قوله: «ما الجبل؟» هو - بفتح الجيم وسكون الباء - سؤال عن مصدر الفعل المتقدّم، وهو كلام ابن رئاب، ففسّره عليه السلام بالخلق، والأظهر عندي أنّ «غيرنا» تتمّة الكلام السابق على الاستثناء المنقطع، واعتراض السؤال والجواب بين الكلام قبل تمامه، وليس تتمّة لتفسير الجبل كما توهّمه الأكثر.

قال الشيخ البهائيّ - قدّس سرّه -: يعني مادّة بدننا لا تسمّى جبلة بل طينة لأنّها خلق من العشر طينات (انتهى). قال الفيروز آباديّ: الجبلة مثلّثة ومحرّكة وكطمرة: الخلقة والطبيعة، وككتاب: الجسد والبدن، وجبلهم الله يجبُل ويجبِل خلقهم، وعلى الشيء: طبعه وجبره كأجبله (انتهى).

«وأطيب بها» صيغة التعجّب و«طيّباً» منصوب على الاختصاص. وفي بعض نسخ البصائر «قال» بالنون، فالنصب على التميز أي ما أطيبها من طينة. «وروى غيره» كأنّه كلام ابن عطيّة، ويحتمل بعض أصحاب الكتب قبله. وضمير «غيره» لابن رئاب، وأبو الصامت راوي الباقر والصادق عليهما السلام والظاهر أنّه رواه عن أحدهما. و«الحير» حائر الحسين عليه السلام. وقال

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٣١، ح ٣.

بعضهم: كأنّه عليه السلام شبّه علم الأنبياء عليهم السلام بالنهر لمناسبة ما بينهما في كون أحدهما مادّة حياة الروح، والآخر مادّة حياة الجسم وعبّر عنه بالنور لإضاءته، وعبّر عن علم من دونهم من العلماء بنور النور لأنّه من شعاع ذلك النور، وكما أنّ حافتي النهر يحفظان الماء في النهر ويحيطان به فيجري إلى مستقرّه كذلك الروحان يحفظان العلم ويحيطان به ليجري إلى مستقرّه وهو قلب النبيّ أو الوصيّ. والطينات الجنانيّة كأنّها من الملكوت والأرضيّة من الملك، فإنّ من مزجهما خلق أبدان نبيّنا صلى الله عليه وآله والأوصياء عليهم السلام من أهل البيت، بخلاف سائر الأنبياء والملائكة فإنّهم خلقوا من إحدى الطينتين كما أنّ لهم إحدى الروحين خاصّة.

٢٤ - **الكافي:** عن العدّة، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن سليمان، عن سدير الصيرفيّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك يا ابن رسول الله هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال: لا والله، [إنّه] إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك، فيقول له ملك الموت: يا وليّ الله لا تجزع، فوالّذي بعث محمّداً لأنا أبرّ بك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك، افتح عينيك فانظر، قال: يتمثّل له رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ذرّيّتهم عليهم السلام فيقال له: هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة عليهم السلام رفقاؤك، قال: فيفتح عينيه فينظر، فينادي روحه مناد من قبل ربّ العزّة فيقول: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ إلى محمّد وأهل بيته ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾ بالولاية ﴿مَّرۡضِيَّةً﴾ بالثواب ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ يعني محمّداً وأهل بيته ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ فما شيء أحبّ إليه من استلال روحه واللحوق بالمنادي[1].

٢٥ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن خالد بن عمّار، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا حيل بينه وبين الكلام أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله ومن شاء الله، فجلس رسول الله عن يمينه والآخر عن يساره، فيقول رسول الله: أمّا ما كنت ترجو فهو ذا أمامك، وأمّا ما كنت تخاف فقد أمنت منه ثمّ يفتح له باب إلى الجنّة فيقول: هذا منزلك من الجنّة فإن شئت رددناك إلى الدنيا ولك فيها ذهب وفضّة، فيقول: لا حاجة لي في الدنيا - وساق إلى قوله .. فإذا خرجت النفس من الجسد فيعرض عليها كما عرض عليه وهي في الجسد فيختار الآخرة، فيغسله فيمن يغسله ويقلبه فيمن يقلبه، فإذا أدرج في أكفانه ووضع على سريره خرجت روحه تمشي بين أيدي القوم قدماً وتلقّاه أرواح المؤمنين يسلّمون عليه ويبشّرونه بما أعدّ الله له - جلّ ثناؤه - من النعيم، فإذا وضع في قبره ردّ إليه الروح إلى وركيه، ثمّ يسأل عمّا يعلم فإذا جاء بما يعلم فتح له ذلك الباب الّذي أراه رسول الله صلى الله عليه وآله فيدخل عليه من نورها وبردها وطيب ريحها (الحديث)[2].

٢٦ - **ومنه:** عن العدّة، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن عليّ، عن محمّد بن الفضيل،

---

(١) الكافي، ج ٣ ص ٦٧ باب ٨٣ ح ٢. (٢) الكافي، ج ٣ ص ٦٨ باب ٨٤ ح ٢.

عن أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ آية المؤمن إذا حضره الموت يبياضّ وجهه أشدّ من بياض لونه، ويرشح جبينه ويسيل من عينيه كهيئة الدموع، فيكون ذلك خروج نفسه، وإنّ الكافر تخرج نفسه سيلاً من شدقه كزبد البعير، أو كما تخرج نفس البعير(١).

٢٧ - **ومنه:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ إنّ ملك الموت إذا نزل لقبض روح الكافر نزل ومعه سفّود من نار فينزع روحه فتصيح جهنّم (الحديث)(٢).

٢٨ - **الفقيه:** قال: قال الصادق عليه السلام: إذا قبضت الروح فهي مظلّة فوق الجسد - روح المؤمن وغيره - ينظر إلى كلّ شيء يصنع به، فإذا كفّن ووضع على السرير وحمل على أعناق الرجال عادت الروح إليه فدخلت فيه فيمدّ له في بصره فينظر إلى موضعه من الجنّة أو من النار، فينادي بأعلى صوته إن كان من أهل الجنّة: عجّلوني! عجّلوني! وإن كان من أهل النار: ردّوني! ردّوني! وهو يعلم كلّ شيء يصنع به ويسمع الكلام(٣).

٢٩ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن أبي ولّاد الحنّاط، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك، يروون أنّ أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش، فقال: لا، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، لكن في أبدان كأبدانهم(٤).

٣٠ - **ومنه:** بإسناده عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: فإذا قبضه الله عزّ وجلّ صيّر تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة الّتي كانت في الدنيا(٥).

٣١ - **ومنه:** بسند موثّق عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّا نتحدّث عن أرواح المؤمنين أنّها في حواصل طيور خضر ترعى في الجنّة وتأوي إلى قناديل تحت العرش، فقال: لا، إذاً ما هي في حواصل طير. قلت: فأين هي؟ قال: في روضة كهيئة الأجساد في الجنّة(٦).

٣٢ - وفي رواية أخرى عن أبي بصير عنه عليه السلام قال: إنّ الأرواح في صفة الأجساد في شجر في الجنّة تعارف وتساءل(٧).

٣٣ - **ومنه:** بسند صحيح عن ضريس الكناسيّ عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ لله جنّة خلقها الله في المغرب وماء فراتكم هذه يخرج منها، وإليها تخرج أرواح المؤمنين من حفرهم

(١) الكافي، ج ٣ ص ٧٠ باب ٨٤ ح ١١. (٢) الكافي، ج ٣ ص ١٢٩ باب ١٦٦ ح ١٠.
(٣) من لا يحضره الفقيه، ص ٧٧ ح ٥٩٢.
(٤) - (٧) الكافي، ج ٣ ص ١٢٤-١٢٥ باب ١٦٢ ح ١ و٦ و٧ و٣.

عند كلّ مساء، فتسقط على ثمارها وتأكل منها وتتنعّم فيها وتتلاقى وتتعارف فإذا طلع الفجر هاجت من الجنّة فكانت في الهواء فيما بين السماء والأرض تطير ذاهبة وجائية، وتعهد حفرها إذا طلعت الشمس وتتلاقى في الهواء وتتعارف. قال: وإنّ لله ناراً في المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفّار، ويأكلون من زقّومها ويشربون من حميمها ليلهم، فإذا طلع الفجر هاجت إلى واد باليمن يقال له «برهوت» أشدّ حرّاً من نيران الدنيا كانوا فيها يتلاقون ويتعارفون، فإذا كان المساء عادوا إلى النار، فهم كذلك إلى يوم القيامة (الحديث)[١].

٣٤ - **ومنه**: بإسناده عن حبّة العرنيّ قال: خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظّهر، فوقف بوادي السلام كأنّه مخاطب لأقوام، فقمت بقيامه حتّى أعييت، ثمّ جلست حتّى مللت، ثمّ قمت حتّى نالني مثل ما نالني أوّلاً، ثمّ جلست حتّى مللت ثمّ قمت وجمعت ردائي فقلت: يا أمير المؤمنين! إنّي قد أشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة، ثمّ طرحت الرّداء ليجلس عليه، فقال لي: يا حبّة، إن هو إلاّ محادثة مؤمن أو مؤانسته. قال: قلت: يا أمير المؤمنين وإنّهم كذلك؟ قال: نعم، ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون. فقلت: أجسام أم أرواح؟ فقال: أرواح، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلاّ قيل لروحه: الحقي بوادي السلام، وإنّها لبقعة من جنّة عدن[٢].

٣٥ - **المحاسن**: عن ابن فضّال، عن حمّاد بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر الأرواح أرواح المؤمنين، فقال: يلتقون، فقلت: يلتقون؟ قال: يلتقون ويتساءلون ويتعارفون حتّى إذا رأيته قلت: فلان[٣].

٣٦ - **الفقيه**: بسنده الصحيح عن الحلبيّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى يرفع إلى إبراهيم وسارة أطفال المؤمنين يغذّونهم بشجر في الجنّة لها أخلاف كأخلاف البقر في قصر من درّ، فإذا كان يوم القيامة أُلبسوا وطيّبوا وهدوا إلى آبائهم، فهم ملوك في الجنّة مع آبائهم، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[٤].

٣٧ - **الكافي**: عن عليّ بن إبراهيم، عن أخيه إسحاق، عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع، عن الرضا عليه السلام قال: قلت له: بلغني أنّ يوم الجمعة أقصر الأيّام، قال: كذلك هو، قلت: جعلت فداك كيف ذلك؟ قال: إنّ الله تبارك وتعالى يجمع أرواح المشركين تحت عين الشمس، فإذا ركدت الشمس عذّب الله أرواح المشركين بركود الشمس ساعة، فإذا كان يوم الجمعة لا يكون الشمس ركود، رفع الله عنهم العذاب لفضل يوم الجمعة. فلا يكون للشمس ركود[٥].

---

(١) الكافي، ج ٣ ص ١٢٦ باب ١٦٤ ح ١.
(٢) الكافي، ج ٣ ص ١٢٤ باب ١٦١ ح ١.
(٣) المحاسن، ج ١ ص ٢٨٥.
(٤) من لا يحضره الفقيه، ص ٥٩٨ ح ٤٧٣٤.
(٥) الكافي، ج ٣ ص ٢١٦ باب ٢٣٧ ح ١٤.

٣٨ - **ومنه:** عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ المؤمن ليزور أهله فيرى ما يحبّ ويستر عنه ما يكره، وإنّ الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره ويستر عنه ما يحبّ، قال: وفيهم من يزور كلّ جمعة، ومنهم من يزور على قدر عمله[1].

٣٩ - **ومنه:** عن العدّة، عن سهل، عن ابن محبوب، عن إسحاق بن عمّار، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: سألته عن الميّت يزور أهله؟ قال: نعم، فقلت: في كم يزور؟ قال: في الجمعة، وفي الشهر، وفي السنة على قدر منزلته. فقلت: في أيّ صورة يأتيهم؟ قال: في صورة طائر لطيف يسقط على جدرهم ويشرف عليهم، فإن رآهم بخير فرح، وإن رآهم بشرّ وحاجة حزن واغتمّ[2].

وفي رواية أخرى عن إسحاق [قال:] قلت: في أيّ صورة؟ قال: في صورة العصفور أو أصغر من ذلك[3].

أقول: قد أوردت أمثال هذه الأخبار مشروحة في كتاب المعاد «في ج ٢٧»، وإنّما أوردت قليلاً منها ههنا لدلالتها على حقيقة الروح والنفس وأحوالهما.

٤٠ - **دعوات الراوندي:** روي أنّ في العرش تمثالاً لكلّ عبد، فإذا اشتغل العبد بالعبادة رأت الملائكة تمثاله، وإذا اشتغل بالمعصية أمر الله بعض الملائكة حتّى يحجبوه بأجنحتهم لئلاّ تراه الملائكة، فذلك معنى قوله صلى الله عليه وآله «يا من أظهر الجميل وستر القبيح»[4].

بيان: ربّما يستدلّ به على أنّ الجسد المثاليّ موجود في حال الحياة أيضاً.

٤١ - **الكافي:** عن عليّ بن محمّد، عن صالح بن أبي حمّاد، عن الوشّاء، عن كرّام، عن عبد الله بن طلحة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الوزغ، فقال: رجس وهو مسخ كلّه، فإذا قتلته فاغتسل. وقال: إنّ أبي كان قاعداً في الحجر ومعه رجل يحدّثه، فإذا هو بوزغ يولول بلسانه، فقال أبي للرجل: أتدري ما يقول هذا الوزغ؟ فقال: لا علم لي بما يقول، قال: فإنّه يقول: والله لئن ذكرتم عثمان بشتيمة لأشتمنّ عليّاً حتّى يقوم من ههنا، قال: وقال أبي: ليس يموت من بني أميّة ميّت إلاّ مسخ وزغاً. قال: وقال: إنّ عبد الملك بن مروان لمّا نزل به الموت مسخ وزغاً فذهب من بين يدي من كان عنده، وكان عنده ولده، فلمّا أن فقدوه عظم ذلك عليهم فلم يدروا كيف يصنعون، ثمّ اجتمع أمرهم على أن يأخذوا جذعاً فيصنعوه كهيئة الرجل، قال: ففعلوا ذلك وألبسوا الجذع درع حديد ثمّ ألقوه في الأكفان، فلم يطّلع عليه أحد من الناس إلاّ أنا وولده[5].

---

(١) - (٣) الكافي، ج ٣ ص ١١٧ باب ١٥٦ ح ١ و٣ و٥.

(٤) الدعوات للراوندي، ص ٦٠ ح ١٧٣. (٥) روضة الكافي، ح ٣٠٥.

بيان: المشهور استحباب ذلك الغسل، واستندوا في ذلك إلى رواية مرسلة رواها الصدوق في الفقيه، وقيل: إنّ العلّة في ذلك أنّه يخرج من ذنوبه فيغتسل كغسل التوبة وقال المحقّق في المعتبر: وعندي أنّ ما ذكره ابن بابويه ليس بحجّة، وما ذكره المعلّل ليس طائلاً.

أقول: كأنّهم غفلوا عن هذا الخبر إذ لم يذكروه في مقام الاحتجاج وإن كان مجهولاً.

«يولول» أي يصوّت. «الشتيمة» الاسم من الشتم. «إلاّ مسخ وزغاً» إمّا بمسخه قبل موته، أو بتعلّق روحه بجسد مثاليّ على صورة الوزغ، وهما ليسا تناسخاً كما مرّ وسيأتي، أو بتغيير جسده الأصليّ إلى تلك الصورة، كما هو ظاهر آخر الخبر لكن يشكل تعلّق الروح به قبل الرجعة والبعث. ويمكن أن يكون قد ذهب بجسده إلى الجحيم أو أحرق وتصوّر لهم جسده المثاليّ. وإلباس الجذع درع الحديد ليصير ثقيلاً، أو لأنّه إن مسّه أحد فوق الكفن لا يحسّ بأنّه خشب.

٤٢ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال: والله ما من عبد من شيعتنا ينام إلاّ أصعد الله روحه إلى السماء فيبارك عليها، فإن كان قد أتى عليها أجلها جعلها في كنوز رحمته وفي رياض جنّته وفي ظلّ عرشه، وإن كان أجلها متأخّراً بعث بها مع أمنته من الملائكة ليردّها إلى الجسد الّذي خرجت منه لتسكن فيه (الحديث)[1].

مجالس الصدوق: عن محمّد بن الحسن، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن الحسين ابن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن محمّد بن أبي عمير، عن عليّ بن أبي حمزة عن أبي بصير، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام مثله[2].

٤٣ - **ومنه:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن بن راشد، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله - وساق الحديث إلى أن قال -: يا عليّ إنّ أرواح شيعتك لتصعد إلى السماء في رقادهم ووفاتهم، فتنظر الملائكة إليها كما ينظر الناس إلى الهلال، شوقاً إليهم ولما يرون منزلتهم عند الله عزّ وجلّ (الخبر)[3].

٤٤ - **الفقيه:** بإسناده عن أبي عبيدة الحذّاء وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ فقال: لعلّك ترى أنّ القوم لم يكونوا ينامون؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. فقال: لا بدّ لهذا البدن أن تريحه حتّى تخرج نفسه، فإذا خرج النفس استراح البدن ورجعت الروح فيه وفيه قوّة على العمل (الحديث)[4].

بيان: قال بعض المحقّقين: الفرق بين الموت والنوم أنّ في الموت ينقطع تعلّق النفس

(١) روضة الكافي، ح ٢٥٩. (٢) أمالي الصدوق، ص ٥٠١ مجلس ٩١ ح ٤.
(٣) أمالي الصدوق، ص ٤٥٠ مجلس ٨٣ ح ٢. (٤) من لا يحضره الفقيه، ص ١٧٩ ح ١٣٩٢.

الناطقة، وفي النوم يبطل تصرّفها، فالمراد من خروج النفس الناطقة هنا بطلان تصرّفها في البدن، والمراد من الروح هذا الجسم البخاريّ اللطيف الّذي يكون من لطافة الأغذية وبخاراتها وله مدخل عظيم في نظام البدن.

٤٥ - في رسالة الإهليلجة الّتي كتب الصادق عليه السلام إلى المفضّل بن عمر وذكر فيها احتجاجه في إثبات الصانع تعالى على الطبيب الهنديّ قال عليه السلام: قلت: أفتقرّ بأنّ الله خلق الخلق أم قد بقي في نفسك شيء من ذلك؟ قال: إنّي من ذلك على حدّ وقوف ما أتخلّص إلى أمر ينفذ لي فيه الأمر. قلت: أمّا إذا أبيت إلاّ الجهالة وزعمت أنّ الأشياء لا تدرك إلاّ بالحواسّ فإنّي أخبرك أنّه ليس للحواسّ دلالة على الأشياء ولا فيها معرفة إلاّ بالقلب، فإنّه دليلها ومعرّفها الأشياء الّتي تدّعي أنّ القلب لا يعرفها إلاّ بها، فقال: أمّا إذا نطقت بهذا فما أقبل منك إلاّ بالتخليص والتفحّص منه بإيضاح وبيان وحجّة وبرهان.

قلت: فأوّل ما أبدأ به أنّك تعلم أنّه ربما ذهبت الحواسّ أو بعضها ودبّر القلب للأشياء الّتي فيها المضرّة والمنفعة من الأمور العلانية والخفيّة فأمر بها ونهى، فنفذ فيها أمره وصحّ فيها قضاؤه. قال: إنّك تقول في هذا قولاً يشبه الحجّة، ولكنّي أحبّ أن توضحه لي غير هذا الإيضاح. قلت: ألست تعلم أنّ القلب يبقى بعد ذهاب الحواسّ؟ قال: نعم، ولكن يبقى بغير دليل على الأشياء الّتي تدلّ عليها الحواسّ. قلت: فلست تعلم أنّ الطفل تضعه أمّه مضغة ليس تدلّه الحواسّ على شيء يسمع ولا يبصر ولا يذاق ولا يلمس ولا يشمّ؟ قال: بلى. قلت: فأيّة الحواسّ دلّته على طلب اللبن إذا جاع، والضحك بعد البكاء إذا روي من اللبن، وأيّ حواسّ سباع الطير ولاقط الحبّ منها دلّها على أن تلقي بين أفراخها اللحم والحبّ فتأوي سباعها إلى اللحم والآخرون إلى الحبّ؟

وأخبرني عن فراخ طير الماء ألست تعلم أنّ فراخ طير الماء إذا طرحت فيه سبحت وإذا طرحت فيه فراخ طير البرّ غرقت والحواسّ واحدة، فيكف انتفع بالحواسّ طير الماء وأعانته على السباحة ولم ينتفع طير البرّ في الماء بحواسّها؟ وما بال طير البرّ إذا غمستها في الماء ساعة ماتت وإذا أمسكت طير الماء عن الماء ساعة ماتت؟ فلا أرى الحواسّ في هذا إلاّ منكسراً عليك، ولا ينبغي ذلك أن يكون إلاّ من مدبّر حكيم جعل للماء خلقاً وللبرّ خلقاً.

أم أخبرني ما بال الذرّة الّتي لا تعاين الماء قطّ تطرح في الماء فتسبح وتلقى الإنسان ابن خمسين سنة من أقوى الرجال وأعقلهم لم يتعلّم السباحة فيغرق كيف لم يدلّه عقله ولبّه وتجاربه وبصره بالأشياء مع اجتماع حواسّه وصحّتها أن يدرك ذلك بحواسّه كما أدركته الذرّة، إن كان ذلك إنّما يدرك بالحواسّ؟ أفليس ينبغي لك أن تعلم أنّ القلب الّذي هو معدن العقل في الصبيّ الّذي وصفت وغيره ممّا سمعت من الحيوان هو الّذي يهيج الصبيّ إلى طلب الرضاع والطير اللاقط على لقط الحبّ والسباع على ابتلاع اللحم؟!

قال: لست أجد القلب يعلم شيئاً إلاّ بالحواسّ.

قلت: أمّا إذا أبيت إلاّ النزوع إلى الحواسّ فإنّا نقبل نزوعك إليها بعد رفضك لها ونجيبك في الحواسّ حتّى يتقرّر عندك أنّها لا تعرف من سائر الأشياء إلاّ الظاهر ممّا هو دون الربّ الأعلى سبحانه وتعالى، فأمّا ما يخفى ولا يظهر فلست تعرفه. وذلك أنّ خالق الحواسّ جعل لها قلباً احتجّ به على العباد، وجعل الحواسّ الدلالات على الظاهر الّذي يستدلّ بها على الخالق سبحانه، فنظرت العين إلى خلق متّصل بعضه ببعض فدلّت القلب على ما عاينت، وتفكّر القلب حين دلّته العين على ما عاينت من ملكوت السماء وارتفاعها في الهواء بغير عمد يرى ولا دعائم تمسكها، لا تؤخّر مرّة فتنكشط، ولا تقدّم أخرى فتزول، ولا تهبط مرّة فتدنو، ولا ترتفع أخرى فتنأى، لا تتغيّر لطول الأمل ولا تخلق لاختلاف الليالي والأيّام، ولا يتداعى منها ناحية، ولا ينهار منها طرف، مع ما عاينت من النجوم الجارية السبعة المختلفة بمسيرها لدوران الفلك وتنقّلها في البروج يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وسنة بعد سنة، منها السريع ومنها البطيء ومنها المعتدل السير، ثمّ رجوعها واستقامتها وأخذها عرضاً وطولاً وخنوسها عند الشمس وهي مشرقة وظهورها إذا غربت، وجري الشمس والقمر في البروج دائبين لا يتغيّران في أزمنتهما وأوقاتهما، يعرف ذلك من يعرف بحساب موضوع وأمر معلوم بحكمته، يعرف ذوو الألباب أنّها ليست من حكمة الإنس ولا تفتيش الأوهام ولا تقليب التفكّر، فعرف القلب حين دلّته العين على ما عاينت أنّ لذلك الخلق والتدبير والأمر العجيب صانعاً يمسك السماء المنطبقة أن تهوي إلى الأرض، وأنّ الّذي جعل الشمس والنجوم فيها خالق السماء، ثمّ نظرت العين إلى ما استقلّها من الأرض فدلّت القلب على ما عاينت فعرف القلب بعقله أنّ ممسك الأرض الممهّدة أن تزول أو تهوي في الهواء، أو هو يرى الريشة ترمى بها فتسقط مكانها وهي في الخفّة على ما هي عليه هو الّذي يمسك السماء التي فوقها وأنّه لولا ذلك لخسفت بما عليها من ثقلها وثقل الجبال والأنام والأشجار والبحور والرّمال، فعرف القلب بدلالة العين أنّ مدبّر الأرض هو مدبّر السماء. ثمّ سمعت الأذن صوت الرياح الشديدة العاصفة واللّيّنة الطيّبة، وعاينت العين ما يقلع من عظام الشجر ويهدم من وثيق البنيان وتسفي من ثقال الرمال تخلّي منها ناحية وتصبّها في أخرى بلا سائق تبصره العين ولا تسمعه الأذن ولا يدرك بشيء من الحواسّ، وليست مجسّدة تلمس، ولا محدودة تعاين، فلم تزد العين والأذن وسائر الحواسّ على أن دلّت القلب أنّ لها صانعاً، وذلك أنّ القلب يفكّر بالعقل الّذي فيه، فيعرف أنّ الريح لم تتحرّك من تلقائها، ولم تقلع شجرة وتدع أخرى إلى جنبها، ولم تصب أرضاً وتنصرف عن أخرى فلمّا تفكّر القلب في أمر الريح علم أنّ لها محرّكاً هو الّذي يسوقها حيث يشاء ويسكنها إذا شاء ويصيب بها من يشاء ويصرفها عمّن يشاء، فلمّا نظر القلب إلى ذلك وجدها متّصلة بالسماء وما فيها من الآيات، فعرف أنّ المدبّر القادر على أن يمسك الأرض والسماء هو خالق الريح ومحرّكها إذا شاء وممسكها كيف شاء ومسلّطها على من يشاء.

وكذلك دلّت العين والأذن القلب على هذه الزلزلة، وعرف ذلك بغيرهما من حواسّه حين حركته، فلمّا دلّ الحواسّ على تحريك هذا الخلق العظيم من الأرض في غلظها وثقلها وطولها وعرضها وما عليها من ثقل الجبال والمياه والأنام وغير ذلك وإنّما يتحرّك في ناحية ولم يتحرّك في ناحية أُخرى وهي ملتحمة جسداً واحداً وخلقاً متّصلاً بلا فصل ولا وصل تهدم ناحية وتخسف بها وتسلم أُخرى، فعندها عرف القلب أنّ محرّك ما حرّك منها هو ممسك ما أمسك منها، وهو محرّك الريح وممسكها، وهو مدبّر السماء والأرض وما بينهما، وأنّ الأرض لو كانت هي المتزلزلة لنفسها لما تزلزلت ولما تحرّكت، ولكنّه الّذي دبّرها وخلقها حرّك منها ما شاء. ثمّ نظر العين إلى العظيم من الآيات من السحاب المسخّر بين السماء والأرض بمنزلة الدخان لا جسد له يلمس بشيء من الأرض والجبال يتخلّل الشجرة، فلا يحرّك منها شيئاً، ولا يهصر منها غصناً، ولا يعلق منها بشيء، يعترض الركبان فيحول بعضهم من بعض من ظلمته وكثافته، ويحتمل من ثقل الماء وكثرته ما لا يقدر على صفته، مع ما فيه من الصواعق الصادعة، والبروق اللامعة والرعد والثلج والبرد والجليد ما لا تبلغ الأوهام صفته، ولا تهتدي القلوب إلى كنه عجائبه، فيخرج مستقلاً في الهواء يجتمع بعد تفرّقه، ويلتحم بعد تزايله، تفرّقه الرياح من الجهات كلّها إلى حيث تسوقه بإذن الله ربّها، يسفل مرّة ويعلو أُخرى متمسّك بما فيه من الماء الكثير الّذي إذا أزجاه صارت منه البحور، يمرّ على الأراضي الكثيرة والبلدان المتنائية لا تنقص منه نقطة حتّى ينتهي إلى ما لا يحصى من الفراسخ فيرسل ما فيه قطرة بعد قطرة، وسيلاً بعد سيل، متتابع على رسله حتّى ينقع البرك وتمتلىء الفجاج، وتعتلي الأودية بالسيول كأمثال الجبال غاصّة بسيولها، مصمخة الآذان لدويّها وهديرها، فتحيى بها الأرض الميتة فتصبح مخضرّة بعد أن كانت مغبرّة ومعيشة بعد أن كانت مجدبة، قد كسيت ألواناً من نبات عشب ناضرة زاهرة مزيّنة معاشاً للناس والأنعام. فإذا أفرغ الغمام ماءه أقلع وتفرّق وذهب حيث لا يعاين ولا يدرى أين توارى، فأدّت العين ذلك إلى القلب أنّ ذلك السحاب لو كان بغير مدبّر وكان ما وصفت من تلقاء نفسه ما احتمل نصف ذلك من الثقل من الماء، وإن كان هو الّذي يرسله لما احتمله ألفي فرسخ أو أكثر ولأرسله فيما هو أقرب من ذلك، ولما أرسله قطرة بعد قطرة بل كان يرسله إرسالاً فكان يهدم البنيان، ويفسد النبات، ولما جاز إلى بلد وترك آخر دونه، فعرف القلب بالأعلام المنيرة الواضحة أنّ مدبّر الأمور واحد، وأنّه لو كان اثنين أو ثلاثة لكان في طول هذه الأزمنة والأبد والدهر اختلاف في التدبير، وتناقض في الأمور، ولتأخّر بعض وتقدّم بعض، ولكان تسفل بعض ما قد علا، ولعلا بعض ما قد سفل، ولطلع شيء وغاب فتأخّر عن وقته أو تقدّم ما قبله، فعرف القلب بذلك أنّ مدبّر الأشياء ما غاب منها وما ظهر هو [الله] الأوّل خالق السماء وممسكها، وفارش الأرض وداحيها، وصانع ما بين ذلك ممّا عددنا وغير ذلك ممّا لم يحص.

وكذلك عاينت العين اختلاف الليل والنهار دائبين جديدين لا يبليان في طول كرّهما، ولا يتغيّران لكثرة اختلافهما، ولا ينقصان عن حالهما، النهار في نوره وضيائه والليل في سواده وظلمته، يلج أحدهما في الآخر حتّى ينتهي كلّ واحد منهما إلى غاية محدودة معروفة في الطول والقصر على مرتبة واحدة ومجرى واحد، مع سكون من يسكن في الليل وانتشار من ينتشر في النهار، وانتشار من ينتشر في الليل وسكون من يسكن في النهار. ثمّ الحرّ والبرد وحلول أحدهما بعقب الآخر حتّى تكون الحرّ برداً والبرد حرّاً في وقته وإبّانه، فكلّ هذا ممّا يستدلّ به القلب على الربّ سبحانه وتعالى، فعرف القلب بعقله أنّ مدبّر هذه الأشياء هو الواحد العزيز الحكيم الّذي لم يزل ولا يزال، وأنّه لو كان في السماوات والأرضين آلهة معه سبحانه لذهب كلّ إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض، ولفسد كلّ واحد منهم على صاحبه.

وكذلك سمعت الأذن ما أنزل المدبّر من الكتب تصديقاً لما أدركته القلوب بعقولها وتوفيق الله إيّاها، وما قاله من عرفه كنه معرفته بلا ولد ولا صاحبة ولا شريك فأدّت الأذن ما سمعت من اللسان بمقالة الأنبياء إلى القلب.

فقال: قد أتيتني من أبواب لطيفة بما لم يأتني به أحد غيرك، إلاّ أنّه لا يمنعني من ترك ما في يدي إلاّ الإيضاح والحجّة القويّة بما وصفت لي وفسّرت. قلت: أمّا إذا حجبت عن الجواب واختلف منك المقال فسيأتيك من الدلالة من قبل نفسك خاصّة ما يستبين لك أنّ الحواسّ لا تعرف شيئاً إلاّ بالقلب، فهل رأيت في المنام أنّك تأكل وتشرب حتّى وصلت لذّة ذلك إلى قلبك؟ قال: نعم، قلت: فهل رأيت أنّك تضحك وتبكي وتجول في البلدان الّتي لم ترها والّتي قد رأيتها حتّى تعلم معالم ما رأيت منها؟ قال: نعم، ما لا أحصي. قلت: فهل رأيت أحداً من أقاربك من أخ أو أب أو ذي رحم قدمات قبل ذلك حتّى تعلمه وتعرفه كمعرفتك إيّاه قبل أن يموت؟ قال: أكثر من الكثير. قلت: فأخبرني أيُّ حواسّك أدرك هذه الأشياء في منامك حتّى دلّت قلبك على معاينة الموتى وكلامهم وأكل طعامهم والجولان في البلدان والضحك والبكاء وغير ذلك؟ قال: ما أقدر أن أقول لك أيّ حواسّي أدرك ذلك أو شيئاً منه، وكيف تدرك وهي بمنزلة الميّت لا تسمع ولا تبصر؟! قلت: فأخبرني حيث استيقظت ألست قد ذكرت الّذي رأيت في منامك تحفظه وتقصّه بعد يقظتك على إخوانك لا تنسى منه حرفاً؟ قال: إنّه كما تقول، وربّما رأيت الشيء في منامي ثمّ لا أمسي حتّى أراه في يقظتي كما رأيته في منامي قلت: فأخبرني أيّ حواسّك قرّرت علم ذلك في قلبك حتّى ذكرته بعد ما استيقظت؟ قال: إنّ هذا الأمر ما دخلت فيه الحواسّ. قلت: أفليس ينبغي لك أن تعلم حيث بطلت الحواسّ في هذا أنّ الّذي عاين تلك الأشياء وحفظها في منامك قلبك الّذي جعل الله فيه العقل الّذي احتجّ به على العباد؟! قال: إنّ الّذي رأيت في منامي ليس بشيء، إنّما هو بمنزلة السراب الّذي يعاينه صاحبه وينظر إليه لا يشكّ أنّه ماء فإذا انتهى إلى مكانه لم يجده شيئاً، فما رأيت في منامي فبهذه المنزلة.

قلت: كيف شبّهت السراب بما رأيت في منامك من أكلك الطعام الحلو والحامض وما رأيت من الفرح والحزن؟ قال: لأنّ السراب حيث انتهيت إلى موضعه صار لا شيء وكذلك صار ما رأيت في منامي حين انتبهت. قلت: فأخبرني إن أتيتك بأمر وجدت لذّته في منامك وخفق لذلك قلبك ألست تعلم أنّ الأمر على ما وصفت لك؟ قال: بلى قلت: فأخبرني هل احتلمت قطّ حتّى قضيت في امرأة نهمتك عرفتها أم لم تعرفها؟ قال: بلى، ما لا أحصيه. قلت: ألست وجدت لذلك لذّة على قدر لذّتك في يقظتك فتنتبه وقد أنزلت الشهوة حتّى يخرج منك بقدر ما يخرج في اليقظة؟ هذا كسر بحجّتك في السراب.

قال: ما يرى المحتلم في منامه شيئاً إلاّ ما كانت حواسّه دلّت عليه في اليقظة. قلت: ما زدت على أن قوّيت مقالتي وزعمت أنّ القلب يعقل الأشياء ويعرفها بعد ذهاب الحواسّ وموتها، فكيف أنكرت أنّ القلب يعرف الأشياء وهو يقظان مجتمعة له حواسّه؟ وما الّذي عرّفه إيّاها بعد موت الحواسّ وهو لا يسمع ولا يبصر؟ ولكنت حقيقاً أن لا تنكر له المعرفة وحواسّه حيّة مجتمعة إذا أقررت أنّه ينظر إلى الامرأة بعد ذهاب حواسّه حتّى نكحها وأصاب لذّته منها، فينبغي لمن يعقل حيث وصف القلب بما وصفه به من معرفته بالأشياء والحواسّ ذاهبة أن يعرف أنّ القلب مدبّر الحواسّ وملكها ورأسها والقاضي عليها، فإنّه ما جهل الانسان من شيء فما يجهل أنّ اليد لا تقدر على العين أن تقلعها ولا على اللسان أن تقطعه، وأنّه ليس يقدر شيء من الحواسّ أن يفعل بشيء من الجسد شيئاً بغير إذن القلب ودلالته وتدبيره، لأنّ الله تبارك وتعالى جعل القلب مدبّراً للجسد، به يسمع، وبه يبصر، وهو القاضي والأمير عليه، لا يتقدّم الجسد إن هو تأخّر، ولا يتأخّر إن هو تقدّم، وبه سمعت الحواسّ وأبصرت، إن أمرها ائتمرت، وإن نهاها انتهت، وبه ينزل الفرح والحزن، وبه ينزل الألم، إن فسد شيء من الحواسّ بقي على حاله، وإن فسد القلب ذهب جميعها حتّى لا يسمع ولا يبصر. قال: لقد كنت أظنّك لا تتخلّص من هذه المسألة وقد جئت بشيء لا أقدر على ردّه! قلت: وأنا أعطيك تصاديق ما أنبأتك به وما رأيت في منامك في مجلسك الساعة.

قال: افعل، فإنّي قد تحيّرت في هذه المسألة. قلت: أخبرني هل تحدّث نفسك من تجارة أو صناعة أو بناء أو تقدير شيء وتأمر به إذا أحكمت تقديره في ظنّك؟ قال: نعم. قلت: فهل أشركت قلبك في ذلك الفكر شيئاً من حواسّك؟ قال: لا. قلت: أفلا تعلم أنّ الّذي أخبرك به قلبك حقّ؟ قال: اليقين هو، فزدني ما يذهب الشكّ عنّي ويزيل الشبهة من قلبي[(١)].

أقول: قد عرفت أنّ القلب يطلق في لسان الشرع في الآيات والأخبار على النفس الناطقة، ولمّا كان السائل منكراً لإدراك ما سوى الحواسّ الظاهرة نبّهه عليه السلام على خطئه بمدركات الحواسّ الباطنة الّتي هي من آلات النفس. وقد مرّ شرح الفقرات وتمام الحديث في كتاب التوحيد[(٢)].

---

(١) رسالة الإهليلجة ص ٨٤-١٠٠.

(٢) مرّت الرسالة كاملة في ج ٣ من هذه الطبعة.

٤٦ - **الدر المنثور:** عن ابن عبّاس في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ - الآية - قال: نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس، فتيوفّى الله النفس في منامه ويدع الروح في جوفه يتقلّب ويعيش، فإن بدا لله أن يقبضه قبض الروح فمات، وإن أخّر أجله ردّ النفس إلى مكانها من جوفه[1].

٤٧ - وعن ابن عبّاس في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ - الآية - قال: كلّ نفس لها سبب تجري فيه، فإذا قضى عليها الموت نامت حتّى ينقطع السبب والّتي لم تمت تترك[2].

٤٨ - وعن ابن عبّاس في الآية قال: سبب ممدود ما بين المشرق والمغرب بين السماء والأرض، فأرواح الموتى وأرواح الأحياء تأوي إلى ذلك السبب، فتعلق النفس الميتة بالنفس الحيّة، فإذا أذن لهذه الحيّة بالانصراف إلى جسدها تستكمل رزقها أمسكت النفس الميتة وأرسلت الأخرى[3].

٤٩ - وعن أبي جحيفة قال: كان رسول الله ﷺ في سفره الّذي ناموا فيه حتّى طلعت الشمس، ثمّ قال: إنّكم كنتم أمواتاً فردّ الله إليكم أرواحكم[4].

٥٠ - **شهاب الأخبار:** قال النبيّ ﷺ: الأرواح جنود مجنّدة، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

ضوء الشهاب: هذا الحديث ممّا تسكب فيه العبرات، ولا تؤمن في تفسيره العثرات، وأنا مورد فيه بقدر ما رزقني الله تعالى من العلم به، فأقول: إنّ أصل كلمة «روح» موضوع للطيب والطهارة، فتسمّى روح الانسان «روحاً» والملائكة المطهّرون «أرواحاً» وروح القدس «جبرئيل» عليه السلام «والروح» اسم ملك آخر، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[5] وعيسى عليه السلام «روح الله» والنسبة إلى الملائكة والجنّ «روحانيّ» بالضمّ وهم الروحانيّون، ويقال لكلّ ذي روح: «روحانيّ» قاله أبو عبيدة والروح: الراحة، ومكان روحانيّ: طيّب، والريح: واحدة الرياح، والأرواح أصلها «روح» فقلبت الواو ياءً لمكان كسرة الراء، والراح والرياح - بفتح الراء -: الخمر، وروح وريحان: أي رحمة ورزق، والروح: النسيم، والريحان: المشموم ومن ذلك الروح الّتي يحيى بها الانسان، سميّت بذلك لطهارتها وطيبها في الخلقة وفي مبدأ التكوين. وقال أصحاب الأصول: الروح النفس المتردّد في مخارق الحيّ وعلى ذلك قال الشاعر:

فقلت له ارفعها إليك وأحيها بروحك واجعلها له قبة قدرا

وما يقوله قوم من أنّ الأرواح قائمة بالأجساد، وأنّها كانت قبل الأجساد بكذا وكذا عاماً، وأنّها غير داخلة في الأجساد ولا خارجة منها، وأنّها تفنى إلى غير ذلك، فنحن مستغنون عن ذكره فيما نحن بصدده، وكتب الأصول والجدل أولى بذكر ذلك. فقال بعض من تكلّم في

(١) - (٤) الدر المنثور، ج ٥ ص ٣٢٩. (٥) سورة النبأ، الآية: ٣٨.

هذا الحديث: إنّه على حذف المضاف، والتقدير: ذوو الأرواح، وهذا قريب المأخذ، وعند جماعة من محقّقي أصحاب الأصول: أنّه يجوز عقلاً أن يكون الله تعالى إذا استشهد الشهيد أو توفّي النبيّ أو الصالح من بني آدم ينتزع من جسده أجزاء بقدر ما تحلّ الحياة الّتي كانت الجملة بها حيّة فيها فيردّها إلى تلك الأجزاء فتصير حيّاً وإن كانت جثّة صغيرة، فيرفعه إلى حيث شاء فإنّه لا اعتبار في الحيّ بالجثّة، وظاهر الكتاب يشهد بصحّة ذلك حيث يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] وفي الحديث: أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تعلق من ورق الجنّة ثمّ تأوي إلى قناديل معلّقة بالعرش. وهذا [الحديث] ممّا يعضد هذه المقالة، فعلى هذا تتعارف هذه الأجساد اللطيفة بعد موت صاحبها، كما كانت في دار الدنيا تعرف بعضها بعضاً فتتباشر فتأتلف وبالعكس.

وروت عائشة في سبب هذا الحديث أنّ مخنّثاً قدم المدينة فنزل على مخنّث من غير أن يعلم أنّه مخنّث، فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فقال: الأرواح جنود مجنّدة (الحديث) وروي عنه ﷺ: الأرواح جنود مجنّدة فتشامّ كما تشامّ الخيل، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف. فلو أنّ مؤمناً جاء إلى مجلس فيه مائة منافق ليس فيهم إلاّ مؤمن واحد لجاء حتّى يجلس إليه، أو كما قال، وروي عن عائشة أنّها قالت: كانت امرأة بمكّة تدخل على نساء قريش تضحكهنّ فلمّا هاجرت إلى المدينة فدخلت عليّ قلت: فلانة! ما أقدمك؟ قالت: إليكنّ، قلت: فأين نزلت؟ قالت: على فلانة، امرأة مضحكة بالمدينة، فدخل رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله دخلت فلانة المضحكة. قال ﷺ: فعلى من نزلت؟ قلت: على فلانة. قال: المضحكة؟ قلت: نعم، قال: الحمد لله، إنّ الأرواح جنود مجنّدة (الحديث).

وفي كلامهم بعضهم: الروح نقاب، أي يعلم بالأشياء، وهذه كناية عن العلم والفطنة والذكاء والمعرفة والدهاء، والعرب تعبّر بالروح عن الحياة والله الموفّق.

وأقول: إنّ تحقيق أمر الروح عسير، ولا يعلم حقيقة ذلك إلاّ من خلقه وأوجده وركّبه، وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً، ولو أراد الله تعالى أن يعلم حقيقته وماهيّته بكنهه لأعلمناه، وقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ فقال حتّى نسكت عمّا أسكت الله عنه، وقد أوردت بعض ما سمعت فيه وعلمت وأنت محكّم، فانظر فيه واحكم، والتوقّف فيه فرض من لا فرض له، والله أعلم وأحكم ثمّ رسوله ﷺ وفائدة الحديث إعلام أنّ الجنس إلى الجنس أميل، وإليه أسوق وأشوق، والتعارف ممّا يجرّ الائتلاف وبالعكس، وراوية الحديث عائشة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

٥١ - **شهاب الأخبار:** قال النبيّ ﷺ: الناس معادن كمعادن الذهب والفضّة.

الضوء: المعدن، مستقرّ الجوهر، من قولك: عدن بالمكان إذا أقام فيه، ومنه ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ أي إقامة. والذهب: الجسد المعروف الّذي ذهب الناس فيه، والقطعة ذهبة. وذهب الرجل: إذا رأى القطعة الكبيرة من الذهب في المعدن فدهش. والفضّة: أحد الثمنين، وهو أحد الأجساد أيضاً، فيقول ﷺ: الناس متفاوتون كتفاوت المعادن متفاضلون كتفاضل الجواهر المجلوبة منها، فمنها الذهب والفضّة والنحاس والحديد والاسرب والرصاص والزرنيخ والفيروزج وغير ذلك. وكان الغرض النبويّ أن يعلمك أنّ الناس متفاوتون أمثال الفلزّ والخرز ليسوا بأمثال وإن كانوا من جنس واحد، ومورد هذا الحديث على العكس من مورد الحديث الّذي قبله - يعني قوله ﷺ «الناس كأسنان المشط» - فكأنّه ﷺ يقول: إذا صادفت أحداً فتعرَّف أحواله وتجسّس أفعاله وأقواله، فإن كان صالحاً فعليك به فهو من المعدن النفيس، فإن كان طالحاً فالهرب الهرب منه فهو من المعدن الخسيس. وفائدة الحديث الاعلام بتفاوت الناس على أنّهم بنو الرجل، وراوي الحديث أبو هريرة، وتمام الحديث: خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الإسلام إذا فقهوا. يعني أنّ الخيار منهم في الجاهليّة إذا تفقّهوا فهم الخيار في الاسلام والله أعلم.

وبيان: قال الطيبيّ: هو تشبيه بليغ، فكمعادن الذهب تأكيد أو مجاز عن التفاوت أي الناس متفاوتون في النسب بالشرف والضعة كتفاوت المعدن في الذهب والفضّة وما دونهما وتفاوتهم في الاسلام بالقبول لفيض الله بحسب العلم والحكمة على مراتب وعدم قبوله. وقيد «إذا فقهوا» يفيد أنّ الايمان يرفع تفاوت الجاهليّة، فإذا تحلّى بالعلم استجلب النسب الأصليّ فيجتمع شرف النسب والحسب، وفيه أنّ الوضيع العالم أرفع من الشريف الجاهل.

٥٢ - **الشهاب:** الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة واحدة.

الضوء: الناس أصله «أناس» فخفّف وليس الألف واللام عوضاً من الهمزة المحذوفة، لأنّهما تجتمعان مع الهمزة كقوله «إنّ المنايا يطلعنّ على الأناس الآمنينا» والناس ابن مضر بن نزار اسم قيس عيلان. والإبل: البعران الكثيرة، ولا واحد له من لفظه، وأبل الوحشيّ يأبُل أبولاً، وأبل يأبِل أبْلاً: اجتزأ عن الماء[1]، شبّهت بالإبل في الصبر عن الماء، وتأبّل الرجل عن امرأته: إذا ترك مقاربتها، ورجل أبِلٌ [وآبل]: حسن القيام على إبله، وإبل مؤبّلة: [أي] مجموعة. والراحلة: البعير الّذي يصلح للارتحال، وراحله: عاونه على رحلته، والمعنى - والله أعلم -: أنّه ذمّ للناس، وأنّه قلّما يقع فيهم من هو كامل في بابه وقال أبو عبيد: يعني أنّهم متساوون ليس لأحد منهم فضل على أحد في النسب، ولكنّهم أشباه وأمثال كإبل مائة ليس فيها راحلة تتبيّن فيها وتتميّز منها بالتمام وحسن المنظر. والراحلة عند العرب تكون الجمل

(١) في اللسان زيادة: بالرُّطب.

النجيب والناقة النجيبة يختارها الرجل لمركبه، ودخول الهاء في الراحلة للمبالغة، كما تقول: رجل داهية، وراوية للشعر، وعلاّمة ونسّابة. ويقال: إنّها إنّما سمّيت راحلة لأنّها ترحل، كما قال تعالى: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي مرضيّة. وكما قال تعالى: ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ أي مدفوق، قال: ويقال: لفلان إبل إذا كانت له مائة من الإبل. وإبلان: إذا كانت له مائتان، ويقال للمائة منها «هنيدة» معرفة لا تنصرف. وقال أبو سليمان الخطّابيّ: يقال للمأتين «هنيد» بغير هاء، والعهدة عليه وقال ابن قتيبة: الراحلة هي الّتي يختارها الرجل لمركبه ورحله على النجابة وتمام الخلق وحسن المنظر، فإذا كانت في جماعة الإبل عرفت، يقول: الناس متساوون ليس لأحد منهم فضل في النسب ولكنّهم أشباه كإبل مائة ليس فيها راحلة، وقد خطّأه أبو منصور الأزهريّ لفظاً ومعنى أمّا اللفظة فمن حيث جعل الناقة هي الراحلة، قال: وليس الجمل عنده راحلة، والراحلة عند العرب تكون الجمل النجيب والناقة النجيبة، وأمّا المعنى أنّه يعزّ فيهم الكامل الفاضل زهداً في الدنيا ورغبة في الآخرة. هذا معنى كلام الأزهريّ. وفائدة الحديث ذمّ الناس وأنّ الكامل فيهم قلّما يوجد. وراوي الحديث عبد الله ابن عمر.

بيان: قال في النهاية: يعني أنّ المرضيّ المنتجب من الناس في عزّه وجوده كالنجيب من الإبل القويّ على الأحمال والأسفار الّذي لا يوجد في كثير من الإبل. قال الأزهريّ: الّذي عندي فيه أنّ الله تعالى ذمّ الدنيا وحذّر العباد سوء مغبّتها وضرب لهم فيها الأمثال ليعتبروا ويحذروا، وكان النبي ﷺ يحذّرهم ما حذّرهم الله ويزهّدهم فيها، فرغب أصحابه بعده فيها وتنافسوا عليها، حتّى كان الزهد في النادر القليل منهم، فقال ﷺ: تجدون الناس من بعدي كإبل مائة ليس فيها راحلة، أي أنّ الكامل في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة قليل كقلّة الراحلة في الإبل، والراحلة: هي البعير القويّ على الأسفار والأحمال النجيب التامّ الخلق الحسن المنظر، ويقع على الذكر والأنثى، والهاء فيه للمبالغة (انتهى). وقال الكرمانيّ: وقيل: أي الناس في أحكام الدين سواء، لا فضل فيها لشريف على مشروف، ولا لرفيع على وضيع، كإبل لا راحلة فيها، وهي الّتي ترحل لتركب، أي كلّها تصلح للحمل لا للركوب.

أقول: قد مرّ بعض الأخبار المناسبة لهذا الباب في أبواب المعاد وأبواب خلق أرواح النبيّ ﷺ والأئمّة ﵈، وسيأتي بعضها في الأبواب الآتية إن شاء الله [تعالى].

تذييل وتفصيل: في بيان أقوال الحكماء والصوفيّة والمتكلّمين من الخاصّة والعامّة في حقيقة النفس والروح، ثمّ بيان ما ظهر من الآيات والأخبار في ذلك.

قال شارح المقاصد في بيان آراء الحكماء والمتكلّمين في النفس: لمّا عرفت أنّ الجوهر المجرّد إن تعلّق بالبدن تعلّق التدبير والتصرّف فنفس، وإلاّ فعقل. وقد يطلق لفظ النفس على

ما ليس بمجرّد بل ماديّ كالنفس النباتيّة الّتي هي مبدأ أفاعيله من التغذية والتنمية والتوليد، والنفس الحيوانيّة الّتي هي مبدأ الحسّ والحركة الإراديّة ويجعل النفس الأرضيّة اسماً لها، والنفس الناطقة الانسانيّة، فيفسّر بأنّها كمال أوّل لجسم طبيعيّ إلى ذي حياة بالقوّة ثمّ قال: مقتضى قواعدهم - أي الفلاسفة - أن يكون في الانسان نفس هي مبدأ تعقّل الكليّات، وأُخرى مبدأ الحركات والإحساسات وأخرى مبدأ التغذية والتنمية وتوليد المثل. لكن ذكر في شرح الإشارات وغيره: أن ليس الأمر كذلك، بل المركّبات منها ما له صورة معدنيّة يقتصر فعلها على حفظ الموادّ المجتمعة من الأسطقسات المتضادّة بكيفيّاتها المتداعية إلى الانفكاك، لاختلاف ميولها إلى أمكنتها المختلفة. ومنها: ما له صورة تسمّى نفساً نباتيّة يصدر عنها مع الحفظ المذكور جمع أجزاء أُخر من الأسطقسات وإضافتها إلى موادّ المركّب وصرفها في وجوه التغذية والإنماء والتوليد. ومنها: ما له صورة تسمّى نفساً حيوانيّة يصدر عنها مع الأفعال النباتيّة والحفظ المذكور، الحسّ والحركة الإراديّة. ومنها ما له نفس مجرّدة يصدر عنها مع الأفعال السابقة كلّها النطق وما يتبعه.

ثمّ قال: ولمّا لم يثبت عند المتكلّمين اختلاف أنواع الأجسام واستناد الآثار إليها ليحتاج إلى فصول منوّعة ومباد مختلفة، بنوا إثبات النفس على الأدلّة السمعيّة والتنبّهات العقليّة، مثل أنّ البدن وأعضاءه الظاهرة والباطنة دائماً في التبدّل والتحلّل والنفس بحالها؛ وأنّ الانسان الصحيح العقل قد يغفل عن البدن وأجزائه، ولا يغفل بحال عن وجود ذاته؛ وأنّه قد يريد ما يمانعه البدن مثل الحركة إلى العلو.

وبالجملة قد اختلفت كلمة الفريقين في حقيقة النفس، فقيل: هي النار السارية في الهيكل المحسوس، وقيل الهواء، وقيل: الماء، وقيل: العناصر الأربعة والمحبّة والغلبة أي الشهوة والغضب، وقيل: الأخلاط الأربعة وقيل: الدم، وقيل: نفس كلّ شخص مزاجه الخاصّ، وقيل: جزء لا يتجزّأ في القلب، وكثير من المتكلّمين على أنّها الأجزاء الأصليّة الباقية من أوّل العمر إلى آخره، وكأنّ هذا مراد من قال: هي هذا الهيكل المخصوص والبنية المحسوسة، أي الّتي من شأنها أن يحسّ بها، وجمهورهم على أنّه جسم مخالف بالماهيّة للجسم الّذي يتولّد منه الأعضاء، نورانيّ علويّ خفيف حيّ لذاته، نافذ في جواهر الأعضاء، سارٍ فيها سريان ماء الورد في الورد والنار في الفحم، لا يتطرّق إليه تبدّل ولا انحلال، بقاؤه في الأعضاء حياة، وانتقاله عنها إلى عالم الأرواح موت. وقيل: إنّها أجسام لطيفة متكوّنة في القلب سارية في الأعضاء من طريق الشرايين - أي العروق الضاربة - أو متكوّنة في الدماغ نافذة في الأعصاب النابتة منه إلى جملة البدن.

واختار المحقّقون من الفلاسفة وأهل الاسلام أنّها جوهر مجرّد في ذاته متعلّق بالبدن تعلّق التدبير والتصرّف، ومتعلّقه أولاً هو ما ذكره المتكلّمون من الروح القلبيّ المتكوّن في

جوفه الأيسر من بخار الأغذية ولطيفه، ويفيده قوّة بها يسري في جميع البدن، فيفيد كلّ عضو قوّة بها يتمّ نفعه من القوى المذكورة فيما سبق.

احتجّ القائلون بأنّها من قبيل الأجسام بوجوه: **الأول**: أنّ المدرك للكليّات - أعني النفس - هو بعينه المدرك للجزئيّات، لأنّا نحكم بالكلّيّ على الجزئيّ كقولنا: هذه الحرارة حرارة، والحاكم بين الشيئين لا بدّ أن يتصوّرهما، والمدرك للجزئيّات جسم، لأنّا نعلم بالضرورة أنّا إذا لمسنا النار كان المدرك لحرارتها هو العضو اللاّمس ولأنّ غير الانسان من الحيوانات يدرك الجزئيّات مع أنّ الاتّفاق على أنّا لا نثبت لها نفوساً مجرّدة.

وردّ بأنّا لا نسلّم أنّ المدرك لهذه الحرارة هو العضو اللامس، بل النفس بواسطته ونحن لا تنازع في أنّ المدرك للكليّات والجزئيّات هو النفس، لكن للكلّيات بالذات وللجزئيّات بالآلات. وإذا لم نجعل العضو مدركاً أصلاً لا يلزم أن يكون الإدراك مرّتين والانسان مدركين على ما قيل.

ويمكن دفعه بأنّه يستلزم إمّا إثبات النفوس المجرّدة للحيوانات الأُخر، وإمّا جعل احساساتها للقوى والأعضاء، وإحساسات الانسان للنفس بواسطتها، مع القطع بعدم التفاوت.

الثاني: أنّ كلّ واحد منّا يعلم قطعاً أنّ المشار إليه بـ«أنا» وهو النفس يتّصف بأنّه حاضر هناك وقائم وقاعد وماشٍ وواقف ونحو ذلك من خواصّ الأجسام، والمتّصف بخاصّة الجسم جسم. وقريب من ذلك ما يقال: إنّ للبدن إدراكات هي بعينها إدراكات المشار إليه بأنا أعني النفس، مثل إدراك حرارة النار وبرودة الجمد وحلاوة العسل وغير ذلك من المحسوسات، فلو كانت النفس مجرّدة أو مغايرة للبدن امتنع أن تكون صفتها غير صفته.

والجواب: أنّ المشار إليه بـ«أنا» وإن كان هو النفس على الحقيقة، لكن كثيراً ما يشار به إلى البدن أيضاً لشدّة ما بينهما من التعلّق، فحيث يوصف بخواصّ الأجسام كالقيام والقعود وكإدراك المحسوسات عند من يجعل المدرك نفس الأعضاء والقوى لا النفس بواسطتها، فالمراد به البدن، وليس معنى هذا الكلام أنّها لشدّة تعلّقها بالبدن واستغراقها في أحواله يغفل فيحكم عليها بما هو من خواصّ الأجسام كما فهمه صاحب الصحائف ليلزم كونها في غاية الغفلة.

الثالث: أنّها لو كانت مجرّدة لكانت نسبتها إلى جميع البدن على السواء فلم يتعلّق ببدن دون آخر، وعلى تقدير التعلّق جاز أن ينتقل من بدن إلى بدن آخر وحينئذ لم يصحّ الحكم بأنّ زيداً الآن هو الّذي كان بالأمس.

وردّ بأنّا لا نسلّم أنّ نسبتها إلى الكلّ على السواء، بل لكلّ نفس بدن لا يليق بمزاجه واعتداله إلاّ لتلك النفس الفائضة عليه، بحسب استعداده الحاصل باعتداله الخاصّ.

الرابع: النصوص الظاهرة من الكتاب والسنّة تدلّ على أنّها تبقى بعد خراب البدن وتتّصف بما هو من خواصّ الأجسام كالدخول في النار وعرضها عليها، وكالترفرف حول الجنازة، وككونها في قناديل من نور أو في جوف طيور خضر وأمثال ذلك. ولا خفاء في احتمال التأويل وكونها على طريق التمثيل، ولهذا تمسّك بها القائلون بتجرّد النفوس زعماً منهم أنّ مجرّد مغايرتها للبدن يفيد ذلك.

وقد يستدلُّ: بأنّه لا دليل على تجرّدها فيجب أن لا تكون مجرّدة، لأنّ الشيء إنّما يثبت بدليل. وهو مع ابتنائه على القاعدة الواهية معارض بأنّه لا دليل على كونها جسماً أو جسمانياً، فيجب أن لا يكون كذلك.

ثمّ قال: واحتجّ القائلون بتجرّد النفس بوجوه:

الأول: أنّها تكون محلاً لأمور يمتنع حلولها في المادّيات، وكلّ ما هو كذلك يكون مجرّداً بالضرورة. أمّا بيان كونها محلاً لأمور هذا شأنها فلأنّها تتعقّلها وقد سبق أنّ التعقّل إنّما يكون بحلول الصورة وانطباع المثال، والمادّي لا يكون صورة لغير المادّيّ ومثالاً له.

وأمّا بيان تلك الأمور وامتناع حلولها في المادّة فهو أنّ من جملة معقولاتها الواجب وإن لم تعقله بالكنه، والجواهر المجرّدة وإن لم نقل بوجودها في الخارج إذ ربما تعقل المعنى فتحكم عليه بأنّه موجود أو ليس بموجود ولا خفاء في امتناع حلول صورة المجرّد في المادّي.

ومنها المعاني الكليّة الّتي لا تمنع نفس صورها الشركة، كالانسانية المتناولة لزيد وعمرو، فإنّها يمتنع اختصاصها بشيء من المقادير والأوضاع والكيفيّات وغير ذلك ممّا لا ينفكُّ عنه الشيء المادّي في الخارج، بل يجب تجرّدها عن جميع ذلك وإلاّ لم تكن متناولة لما ليس له ذلك. والحاصل أنّ الحلول في المادّة يستلزم الاختصاص بشيء من المقادير والأوضاع والكيفيّات، والكليّة تنافي ذلك، فلو لم تكن النفس مجرّدة لم تكن محلاً للصورة الكليّة، عاقلة لها. واللازم باطل.

ومنها المعاني الّتي لا تقبل الانقسام كالوجود والوحدة والنقطة وغير ذلك، وإلاّ لكان كلّ معقول مركّباً من أجزاء غير متناهية بالفعل وهو محال، ومع ذلك فالمطلوب وهو وجود ما لا ينقسم حاصل، لأنّ الكثرة عبارة عن الوحدات، وإذا كان من المعقولات ما هو واحد غير منقسم لزم أن يكون محلّه العاقل له غير جسم بل مجرّداً، لأنّ الجسم والجسماني منقسم، وانقسام المحلّ مستلزم لانقسام الحالّ فيما يكون الحلول لذات المحلّ كحلول السواد والحركة والمقدار في الجسم لا لطبيعة تلحقه كحلول النقطة في الخطّ لتناهيه، وكحلول الشكل في السطح لكونه ذا نهاية أو أكثر، وكحلول المحاذاة في الجسم من حيث وجود جسم آخر على وضع ما منه، وكحلول الوحدة في الأجزاء من حيث هي مجموع.

ومنها: المعاني الّتي لا يمكن اجتماعها إلاّ في المجرّدات دون الجسم كالضدّين وكعدّة من الصور والأشكال، فإنّه لا تزاحم بينها في التعقّل، بل يتصوّرها ويحكم فيما بينها بامتناع الاجتماع في محلّ واحد من الموادّ الخارجيّة حكماً ضروريّاً. وهذا الوجه من الاحتجاج يمكن أن يجعل وجوهاً أربعة: بأن يقال: لو كانت النفس جسماً لما كانت عاقلة للمجرّدات، أو للكليّات، أو للبسائط، أو للمتمانعين.

والجواب: أنّ مبنى هذا الاحتجاج على مقدّمات غير مسلّمة عند الخصم. منها أنّ تعقّل الشيء يكون بحلول صورة في العاقل لا بمجرّد إضافة بين العاقل والمعقول. ومنها: أنّ النفس لو لم تكن مجرّدة لكانت منقسمة ولم يجز أن يكون جوهراً وضعيّاً غير منقسم كالجزء الّذي لا يتجزّأ. ومنها: أنّ الشيء إذا كان مجرّداً كانت صورته الإدراكيّة مجرّدة يمتنع حلولها في الماديّ، ولم يجز أن تكون حالّة في جسم عاقل لكنّها إذا وجدت في الخارج كانت ذلك الشيء المجرّد ومنها: أنّ صورة الشيء إذا اختصّت بوضع ومقدار وكيفيّة بحلولها في جسم كذلك كان الشيء أيضاً مختصّاً بذلك، ولم يجز أن يكون في ذاته غير مختصّ بشيء من الأوضاع والكيفيّات والمقادير. ومنها: أنّ الشيء إذا لم يقبل الانقسام كانت صورته الحاصلة في العاقل كذلك ولم يجز أن تكون منقسمة بانقسام [المحلّ] العاقل مع كون الشيء غير منقسم لذاته ولا لحلوله في منقسم. ومنها أنّ الشيئين إذا كانا بحيث يمتنع اجتماعهما في محلّ كالسواد والبياض كانت الصورتان الحاصلتان منهما في الجوهر العاقل كذلك، وقد سبق أنّ صورة الشيء قد تخالفه في كثير من الأحكام. ومنها: أنّ اجتماعهما في العاقل لا يجوز أن يكون بقيام كلّ منهما بجزء منه. ومنها: أنّ انقسام المحلّ يستلزم انقسام الحالّ فيه لذاته ليمتنع حلول البسيط في العاقل الجسمانيّ المنقسم البتّة بناءً على نفي الجزء الّذي لا يتجزّأ. ولا يخفى أنّ بعض هذه المقدّمات ممّا قامت عليه الحجّة.

أقول: ثمّ ذكر حججاً أُخرى لهم أعرضنا عنها وعن أجوبتها حذراً من الاطناب.

وقال شارح المواقف: مذاهب المنكرين لتجرد النفس الناطقة كثيرة، لكن المشهور منها تسعة:

الأول: لابن الراونديّ: أنّه جزء لا يتجزّأ في القلب، بدليل عدم الانقسام مع نفي المجرّدات الممكنة.

الثاني: للنظّام أنه أجزاء هي أجسام لطيفة سارية في البدن سريان ماء الورد في الورد، باقية من أوّل العمر إلى آخره لا يتطرّق إليها تحلّل وتبدّل. حتّى إذا قطع جزء من البدن انقبض ما فيه من تلك الأجزاء إلى سائر الأعضاء، إنّما المتحلّل والمتبدّل من البدن فضل ينضمّ إليه وينفصل عنه، إذ كلّ أحد يعلم أنّه باقٍ من أوّل عمره إلى آخره، ولا شكّ أنّ المتبدّل ليس كذلك.

الثالث: أنّه قوّة في الدماغ، وقيل في القلب.

الرابع: أنّه ثلاث قوى: إحداها في القلب وهي الحيوانيّة، والثانية في الكبد وهي النباتيّة، والثالثة في الدماغ وهي النفسانيّة.

الخامس: أنّه الهيكل المخصوص، وهو المختار عند جمهور المتكلّمين.

السادس: أنّها الأخلاط الأربعة المعتدلة كمّاً وكيفاً.

السابع: أنّه اعتدال المزاج النوعيّ.

الثامن: أنّه الدم المعتدل، إذ بكثرته واعتداله تقوى الحياة وبالعكس.

التاسع: أنّه الهواء، إذ بانقطاعها طرفة عين تنقطع الحياة، فالبدن بمنزلة الزقّ المنفوخ فيه.

ثم قال: واعلم أنّ شيئاً من ذلك لم يقم عليه دليل، وما ذكروه لا يصلح للتعويل عليه ثمّ قال: تعلّق النفس بالبدن ليس تعلّقاً ضعيفاً يسهل زواله بأدنى سبب مع بقاء المتعلّق بحاله كتعلّق الجسم بمكانه، وإلاّ تمكّنت النفس من مفارقة البدن بمجرّد المشيئة من غير حاجة إلى أمر آخر، وليس أيضاً تعلّقاً في غاية القوّة بحيث إذا زال التعلّق بطل المتعلّق، مثل تعلّق الأعراض والصور المادّيّة بمحالّها، لما عرفت من أنّها مجرّدة بذاتها غنيّة عمّا يحلّ فيه، بل هو تعلّق متوسّط بين بين كتعلّق الصانع بالآلات الّتي يحتاج إليها في أفعاله المختلفة، ومن ثمّ قيل: هو تعلّق العاشق بالمعشوق عشقاً جليّاً إلهاميّاً، فلا ينقطع ما دام البدن صالحاً لأن يتعلّق به النفس، ألا ترى أنّه تحبّه ولا تملّه مع طول الصحبة وتكره مفارقته، وذلك لتوقّف كمالاتها ولذّاتها العقليّة والحسيّة عليه، فإنّها في مبدأ خلقتها خالية عن الصفات الفاضلة كلّها، فاحتاجت إلى آلات تعينها على اكتساب تلك الكمالات، وإلى أن تكون تلك الآلات مختلفة فيكون لها بحسب كلّ آلة فعل خاصّ، حتّى إذا حاولت فعلاً خاصّاً كالإبصار مثلاً التفتت إلى العين فتقوى بها على الابصار التامّ، وكذا الحال في سائر الأفعال، ولو اتّحدت الآلة لاختلطت الأفعال، ولم يحصل لها شيء منها على الكمال. وإذا حصلت لها الاحساسات توصّلت منها إلى الادراكات الكلّية، ونالت حظّها من العلوم والأخلاق المرضيّة، وترقّت إلى لذّاتها العقليّة، بعد احتظائها باللّذات الحسّيّة، فتعلّقها بالبدن على وجه التدبير كتعلّق العاشق في القوّة بل أقوى منه بكثير. وإنّما تتعلّق من البدن أوّلاً بالروح القلبيّ المتكوّن في جوفه الأيسر من بخار الغذاء ولطيفه، فإنّ القلب له تجويف في جانبه الأيسر يجذب إليه لطيف الدم فيبخّره بحرارته المفرطة فذلك البخار هو المسمّى بالروح عند الأطبّاء، وعرف كونه أوّل متعلّق للنفس بأنّ شدّ الأعصاب يبطل قوى الحسّ والحركة عمّا وراء موضع الشدّ، ولا يبطلهما ممّا يلي جهة الدماغ. وأيضاً التجارب الطبّيّة تشهد بذلك وتفيد النفس الروح بواسطة التعلّق قوّة بها يسري الروح إلى جميع البدن، فيفيد الروح الحامل

لتلك القوّة كلّ عضو قوّة بها يتمّ نفعه من القوى الّتي فصّلناها فيما قبل، وهذا كلّه عندنا للقادر المختار ابتداءً إلى اثبات القوى كما مرّ مراراً (انتهى).

وقال المحقّق القاسانيّ في روض الجنان: اعلم أنّ المذاهب في حقيقة النفس كما هي الدائرة في الألسنة والمذكورة في الكتب المشهورة أربعة عشر مذهباً:

الأول: هذا الهيكل المحسوس المعبّر عنه بالبدن.

الثاني: أنّها القلب أعني العضو الصنوبريّ اللحمانيّ المخصوص.

الثالث: أنّها الدماغ.

الرابع: أنّها أجزاء لا تتجزّأ في القلب، وهو مذهب النظّام ومتابعيه.

الخامس: أنّها الأجزاء الأصليّة المتولّدة من المنيّ.

السادس: أنّها المزاج.

السابع: أنّها الروح الحيوانيّ، ويقرب منه ما قيل: إنّها جسم لطيف سارٍ في البدن سريان الماء في الورد والدهن في السمسم.

الثامن: أنّها الماء.

التاسع: أنّها النار والحرارة الغريزيّة.

العاشر: أنّها النفس.

الحادي عشر: أنّها هي الواجب تعالى عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

الثاني عشر: أنّها الأركان الأربعة.

الثالث عشر: أنّها صورة نوعيّة قائمة بمادّة لبدن وهو مذهب الطبيعيّين.

الرابع عشر: أنّها جوهر مجرد عن المادّة الجسميّة وعوارض الجسم، لها تعلّق بالبدن تعلّق التدبير والتصرّف، والموت إنّما هو قطع هذا التعلّق، وهذا هو مذهب الحكماء الإلهيّين وأكابر الصوفيّة والإشراقيّين، وعليه استقرّ رأي المحقّقين المتكلّمين كالرازي والغزاليّ والمحقّق الطوسيّ وغيرهم من الأعلام، وهو الّذي أشارت إليه الكتب السماويّة وانطوت عليه الأنباء النبويّة، وقادت عليه الأمارات الحدسيّة والمكاشفات الذوقيّة (انتهى).

وقال في الصحائف الإلهيّة: النفس إمّا أن يكون جسماً، أو جسمانيّاً، أولا هذا ولا ذاك. فإن كان جسماً فإمّا أن يكون هذا الهيكل المحسوس ومال إليه كثير من المتكلّمين وهو ضعيف، وإمّا أن يكون جسماً داخلاً فيه، وفيه عشرة أقوالٍ:

الأول: قول «أفلو طرخس» أنّه النار السارية فيه، لأنّ خاصيّة النار الاشراق والحركة، وخاصيّة النفس الحركة والادراك، والادراك إشراق، ويتأيّد بقول الأطبّاء: مدبّر البدن الحرارة الغريزيّة.

الثاني: قول «ديوجانس» أنّه الهواء، لأنّه لطيف نافذ في المنافذ الضيّقة قابل للأشكال المختلفة، ويحرّك الجسم الّذي هو فيه كالزقّ المنفوخ فيه، والنفس كذلك فالنفس الهواء.

الثالث: قول «ثاليس الملطيّ» أنّه الماء، لأنّ الماء سبب النموّ والنشوء والنفس كذلك وهذه الوجوه ضعيفة، لأنّها مركّبة من موجبتين في الشكل الثاني.

الرابع: قول «أنباذ قلس» أنّه العناصر الأربعة والمحبّة والغلبة.

الخامس: قول طائفة من الطبيعيّين: أنّه الأخلاط الأربعة، لأنّ بقاءها بكيفيّاتها وكمّياتها المخصوصة سبب لبقاء الحياة بالدوران. وهو ضعيف إذ الدوران لا يفيد اليقين.

السادس: أنّه الدم، لأنه أشرف الأخلاط.

السابع: أنّه أجسام لطيفة حيّة لذواتها سارية في الأعضاء والأخلاط لا يتطرّق إليها انحلال وتبدّل، وبقاؤها فيها هو الحياة، وانفصالها عنها هو الموت.

الثامن: أنّه أجسام لطيفة متكوّنة في البطن يشوب القلب وينفذ من الشرايين إلى جملة البدن.

التاسع: أنّه أرواح متكوّنة في الدماغ تصلح لقبول قوى الحسّ والحركة تنفذ في الأعصاب إلى جملة البدن.

العاشر: أنّه أجزاء أصليّة باقية من أوّل العمر إلى آخره، وهو اختيار محقّقي المتكلّمين. وإن كان جسمانيّاً ففيها أقوال: الأول: أنّه المزاج وهو قول أكثر الأطبّاء. الثاني: أنّه صفة للحياة. الثالث: أنّه الشكل والتخطيط. الرابع: أنّه تناسب الأركان والأخلاط.

وإن لم يكن جسماً ولا جسمانيّاً فهو إما متحيّز وهو قول ابن الراونديّ، لأنّه قال: إنّه جزء لا يتجزّأ في القلب، أو غير متحيّز وهو قول جمهور الفلاسفة، ومعمر من قدماء المعتزلة، وأكثر الإماميّة، والغزاليّ، والراغب. وذهب فرفوريوس إلى اتّحاد النفس بالبدن.

ثمّ قال بعد إيراد بعض الدلائل والأجوبة من الجانبين: فالحقّ أنّها جوهر لطيف نورانيّ مدرك للجزئيّات والكلّيّات، حاصل في البدن، متصرّف فيه، غنيّ عن الاغتذاء، بريء عن التحلّل والنماء، ولم يبعد أن يبقى مثل هذا الجوهر بعد فناء البدن ويلتذّ بما يلائمه، ويتألّم بما يباينه. هذا تحقيق ما تحقّق عندي من حقيقة النفس (انتهى).

وقال الصدوق رحمه الله في رسالة العقائد: اعتقادنا في النفوس أنّها الأرواح الّتي بها الحياة، وأنّها الخلق الأوّل لقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «أوّل ما أبدع الله سبحانه وتعالى هي النفوس المقدّسة المطهّرة فأنطقها بتوحيده، ثمّ خلق بعد ذلك سائر خلقه» واعتقادنا فيها أنّها خلقت للبقاء ولم تخلق للفناء لقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «ما خلقتم للفناء بل خلقتم للبقاء، وإنّما تنقلون من دار إلى دار» وأنها في الأرض غريبة وفي الأبدان مسجونة. واعتقادنا فيها أنّها إذا فارقت الأبدان فهي باقية منها منعّمة ومنها معذّبة إلى أن يردّها الله عزّ وجلّ بقدرته إلى أبدانها. وقال

عيسى بن مريم للحواريّين: بحقّ أقول لكم إنّه لا يصعد إلى السماء إلاّ ما نزل منها. وقال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾(١) فما لم ترفع منها إلى الملكوت بقي يهوي في الهاوية، وذلك لأنّ الجنّة درجات، والنار دركات، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾(٢) وقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾(٣) وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾(٤) وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾(٥) وقال النبيّ ﷺ: الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف» وقال الصادق عليه السلام: إنّ الله تعالى آخى بين الأرواح في الأظلّة قبل أن يخلق الأبدان بألفي عام، فلو قد قام قائمنا أهل البيت لورّث الأخ الّذي آخى بينهما في الأظلّة ولم يرث الأخ من الولادة. وقال الصادق عليه السلام: إنّ الأرواح لتلتقي في الهواء فتتعارف وتساءل، فإذا أقبل روح من الأرض قالت الأرواح: دعوه، فقد أفلت من هول عظيم، ثمّ سألوه ما فعل فلان؟ وما فعل فلان؟ فكلّ ما قال: قد بقي، رجوه أن يلحق بهم، وكلّ ما قال: قد مات، قالوا: هوى، هوى.

ثمّ قال قدّس سرّه: والاعتقاد في الروح أنّه ليس من جنس البدن، فإنّه خلق آخر لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾(٦) واعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمّة عليهم السلام أنّ فيهم خمسة أرواح: روح القدس، وروح الايمان وروح القوّة، وروح الشهوة، وروح المدرج؛ وفي المؤمنين أربعة أرواح: روح الايمان وروح القوّة، وروح الشهوة، وروح المدرج؛ وفي الكافرين والبهائم ثلاثة أرواح: روح القوّة، وروح الشهوة، وروح المدرج. وأمّا قوله تعالى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾(٧) فإنّه خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلّى الله عليه وآله ومع الأئمّة عليهم السلام وهو من الملكوت(٨).

وقال الشيخ المفيد - نوّر الله ضريحه - في شرحه على العقائد: كلام أبي جعفر في النفس والروح على مذهب الحدس دون التحقيق، ولو اقتصر على الأخبار ولم يتعاط ذكر معانيها كان أسلم له من الدخول في باب يضيق عنه سلوكه ثمّ قال رحمه الله: النفس عبارة عن معان أحدها ذات الشيء، والآخر الدم السائل، والآخر النفس الّذي هو الهواء، والرابع هو الهوى وميل الطبع، فأمّا شاهد المعنى الأوّل فهو قولهم: هذا نفس الشيء، أي ذاته، وعينه؛ وشاهد

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.
(٢) سورة المعارج، الآية: ٤.
(٣) سورة القمر، الآيتان: ٥٤-٥٥.
(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩-١٧٠.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٥٤.
(٦) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.
(٧) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.
(٨) اعتقادات الصدوق، ص ٤٧-٥٠.

الثاني قولهم: كلّما كانت النفس سائلة فحكمه كذا وكذا؛ وشاهد الثالث قولهم: فلان هلكت نفسه إذا انقطع نفسه ولم يبق في جسمه هواء يخرج من حواسّه؛ وشاهد الرابع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾(١) يعني الهوى داع إلى القبيح، وقد يعبّر بالنفس عن النقم قال الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾(٢) يريد نقمته وعقابه. فأمّا الروح فعبارة عن معان: أحدها الحياة، والثاني القرآن، والثالث ملك من ملائكة الله تعالى، والرابع جبرئيل عليه السلام فشاهد الأوّل قولهم: كلّ ذي روح فحكمه كذا، يريدون كلّ ذي حياة؛ وقولهم فيمن مات: قد خرجت منه الروح، يعنون الحياة؛ وقولهم في الجنين: صورة لم يلجه الروح، يريدون لم تلجه الحياة؛ وشاهد الثاني قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾(٣) يعني القرآن؛ وشاهد الثالث قوله ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾(٤) - الآية - وشاهد الرابع قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾(٥) يعني جبرئيل عليه السلام(٦). وأمّا ما ذكره أبو جعفر ورواه: أنّ الأرواح مخلوقة قبل الأجساد بألفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، فهو حديث من أحاديث الآحاد وخبر من طرق الأفراد، وله وجه غير ما ظنّه من لا علم له بحقائق الأشياء، وهو أنّ الله تعالى خلق الملائكة قبل البشر بألفي عام، فما تعارف منها قبل خلق البشر ائتلف عند خلق البشر، وما لم يتعارف منها إذ ذاك اختلف بعد خلق البشر، وليس الأمر كما ظنّه أصحاب التناسخ ودخلت الشبهة فيه على حشويّة الشيعة، فتوهّموا أنّ الذوات الفعّالة المأمورة المنهيّة كانت مخلوقة في الذرّ وتتعارف وتعقل وتفهم وتنطق ثمّ خلق الله لها أجساداً من بعد ذلك فركّبها فيها، ولو كان ذلك كذلك لكنّا نعرف نحن ما كنّا عليه، وإذا ذُكّرنا به ذكرناه، ولا يخفى علينا الحال فيه. ألا ترى أنّ من نشأ ببلد من البلاد فأقام فيه حولاً ثمّ انتقل إلى غيره لم يذهب عنه علم ذلك وإن خفي عليه لسهوه عنه فيذكر به ذكره، ولولا أنّ الأمر كذلك لجاز أن يولد منّا إنسان ببغداد وينشأ بها ويقيم عشرين سنة فيها ثمّ ينتقل إلى مصر آخر فينسى حاله ببغداد ولا يذكر منها شيئاً، وإن ذكر به وعدد عليه علامات حاله ومكانه ونشوئه، وهذا ما لا يذهب إليه عاقل. والّذي صرّح به أبو جعفر رحمه الله في معنى الروح والنفس هو قول التناسخية بعينه من غير أن يعلم أنّه قولهم، فالجناية بذلك على نفسه وغيره عظيمة. فأمّا ما ذكره من أنّ الأنفس باقية فعبارة مذمومة ولفظ يضادّ ألفاظ القرآن، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾(٧) والّذي حكاه من ذلك وتوهّمه هو مذهب

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٥٣.
(٢) سورة آل عمران، الآيات: ٢٨-٣٠.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٥٢.
(٤) سورة النبأ، الآية: ٣٨.
(٥) سورة النحل، الآية: ١٠٢.
(٦) أقول: ويشهد للرابع قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ يعني جبرئيل تمثّل لمريم. [النمازي].
(٧) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦-٢٧.

كثير من الفلاسفة الملحدين الّذين زعموا أنّ الأنفس لا يلحقها الكون والفساد، وأنّها باقية وإنّما تفنى وتفسد الأجسام المركّبة، وإلى هذا ذهب بعض أصحاب التناسخ، وزعموا أنّ الأنفس لم تزل تتكرّر في الصور والهياكل لم تحدث ولم تفن ولن تعدم وأنّها باقية غير فانية، وهذا من أخبث قول وأبعده من الصواب وما دونه في الشناعة والفساد شنع به الناصبة على الشيعة ونسبوهم به إلى الزندقة، ولو عرف مثبته ما فيه لما تعرّض له، لكنّ أصحابنا المتعلّقين بالأخبار أصحاب سلامة وبعد ذهن وقلّة فطنة، يمرّون على وجوههم فيما سمعوه من الأحاديث، ولا ينظرون في سندها ولا يفرقون بين حقّها وباطلها، ولا يفهمون ما يدخل عليهم في إثباتها، ولا يحصّلون معاني ما يطلقونه منها.

والّذي ثبت من الحديث في هذا الباب أنّ الأرواح بعد موت الأجساد على ضربين: منها ما ينقل إلى الثواب والعقاب، ومنها ما يبطل فلا يشعر بثواب ولا عقاب وقد روي عن الصادق عليه السلام ما ذكرنا في هذا المعنى وبيّناه، وسئل عمّن مات في هذه الدار: أين تكون روحه؟ فقال: من مات وهو ماحض للايمان محضاً أو ماحض للكفر محضاً نقلت روحه من هيكله إلى مثله في الصورة وجوزي بأعماله إلى يوم القيامة، فإذا بعث الله من في القبور أنشأ جسمه وردّ روحه إلى جسده وحشره ليوفّيه أعماله، فالمؤمن ينتقل روحه من جسده إلى مثل جسده في الصورة، فيجعل في جنان من جنان الله يتنعّم فيها إلى يوم المآب، والكافر ينتقل روحه من جسده إلى مثله بعينه ويجعل في النار فيعذّب بها إلى يوم القيامة. وشاهد ذلك في المؤمن قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴿٢٧﴾﴾[1] وشاهد ما ذكرناه في الكافر قوله تعالى ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[2] فأخبر سبحانه أنّ مؤمناً قال بعد موته وقد أدخل الجنّة: يا ليت قومي يعلمون، وأخبر أنّ كافراً يعذّب بعد موته غدوّاً وعشيّاً، ويوم يقوم الساعة يخلد في النار.

والضرب الآخر من يلهى عنه ويعدم نفسه عند فساد جسمه فلا يشعر بشيء حتّى يبعث، وهو من لم يمحض الايمان محضاً ولا الكفر محضاً، وقد بيّن الله ذلك عند قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾[3] فبيّن أنّ قوماً عند الحشر لا يعلمون مقدار لبثهم في القبور حتّى يظنّ بعضهم أنّ ذلك كان عشراً، ويظنّ بعضهم أنّ ذلك كان يوماً وليس يجوز أن يكون ذلك من وصف من عذّب إلى بعثه ونعّم إلى بعثه، لأنّ من لم يزل منعّماً أو معذّباً لا يجهل عليه حاله فيما عومل به ولا يلتبس عليه الأمر في بقائه بعد وفاته، وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: إنّما يسأل في قبره من محض الايمان محضاً أو محض الكفر محضاً، فأمّا ما سوى هذين فإنّه يلهى عنه. وقال في الرجعة: إنّما يرجع إلى الدنيا عند قيام القائم من محض الايمان أو محض الكفر محضاً، فأمّا ما سوى هذين فلا رجوع لهم إلى يوم المآب.

---

(١) سورة يس، الآيتان: ٢٦-٢٧. (٢) سورة غافر، الآية: ٤٦.

(٣) سورة طه، الآية: ١٠٤.

وقد اختلف أصحابنا فيمن ينعّم ويعذّب بعد موته، فقال بعضهم: المعذّب والمنعّم هو الروح الّتي توجّه إليها الأمر والنهي والتكليف، سمّوها جوهراً. وقال آخرون: بل الروح الحياة، جعلت في جسد كجسده في دار الدنيا. وكلا الأمرين يجوزان في العقل، والأظهر عندي قول من قال: إنّها الجوهر المخاطب، وهو الّذي يسمّيه الفلاسفة «البسيط» وقد جاء في الحديث أنّ الأنبياء خاصّة والأئمّة من بعدهم ينقلون بأجسادهم وأرواحهم من الأرض إلى السماء، فيتنعّمون في أجسادهم الّتي كانوا فيها عند مقامهم في الدنيا، وهذا خاصّ لحجج الله دون سواهم من الناس وقد روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال من صلّى عليّ من عند قبري سمعته، ومن صلّى عليّ من بعيد بُلّغته وقال ﷺ: من صلّى عليّ مرّة صلّيت عليه عشراً، ومن صلّى عليّ عشراً صلّيت عليه مائة مرّة، فليكثر امرؤ منكم الصلاة عليّ، أو فليقلّ. فبيّن أنّه ﷺ بعد خروجه من الدنيا يسمع الصلاة عليه ولا يكون كذلك إلاّ وهو حيّ عند الله تعالى، وكذلك أئمّة الهدى يسمعون سلام المسلّم عليهم من قرب ويبلغهم سلامه من بعد، وبذلك جاءت الآثار الصادقة عنهم، وقد قال الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ - الآية - إلى آخر ما مرّ في كتاب المعاد(١).

أقول: وقد تكلّمنا عليه هناك فلا نعيده.

وقال المفيد - قدّس الله روحه - في كتاب المسائل: القول في تنعّم أصحاب القبور وتعذيبهم: على أيّ شيء يكون الثواب لهم والعقاب ومن أيّ وجه يصل إليهم ذلك وكيف تكون صورهم في تلك الأحوال؟

وأقول: إنّ الله تعالى يجعل لهم أجساماً كأجسامهم في دار الدنيا ينعّم مؤمنيهم فيها، ويعذّب كفارهم وفسّاقهم فيها، دون أجسامهم الّتي في القبور يشاهدها الناظرون تتفرّق وتندرس وتبلى على مرور الأوقات، وينالهم ذلك في غير أماكنهم من القبور وهذا يستمرّ على مذهبي في النفس، ومعنى الانسان المكلّف عندي، وهو الشيء المحدث القائم بنفسه الخارج عن صفات الجواهر والأعراض، ومضى به روايات عن الصادقين من آل محمّد عليهم السلام ولست أعرف لمتكلّم من الإماميّة قبلي فيه مذهباً فأحكمه ولا أعلم بيني وبين فقهاء الامامية وأصحاب الحديث فيه اختلافاً(٢).

وقال السيّد المرتضى رضي الله عنه في أجوبة المسائل العكبريّة حين سئل عن قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. وقال: فهل يكون الرزق لغير جسم؟ وما صورة هذه الحياة؟ فإنّا مجمعون على أنّ الجواهر لا تتلاشى، فما الفرق حينئذ في الحياة بين المؤمن والكافر؟ فأجاب - قدّس الله لطيفه -: إنّ الرزق لا يكون عندنا إلاّ للحيوان، والحيوان عندنا ليسوا بأجسام بل ذوات أُخرجوا في هذه الدار إلى الأجساد،

---

(١) تصحيح الاعتقاد، ص ٧٩.

(٢) أوائل المقالات، ص ٧٧.

وتعذّر عليهم كثير من الأفعال إلاّ بها وصارت آلتهم في الأفعال الأجساد، فإن أغنوا عنها بعد الوفاة جاز أن يرزقوا مع عدمها رزقاً تحصل لهم اللذّات، وإن ردّوا إليها كان الرزق لهم حينئذ بحسبه في الدنيا على السواء.

فأمّا قوله: «ما صورة هذه الحياة؟» فالحياة لا صورة لها، لأنّها عرض من الأعراض وهي تقوم بالذات الفعّال دون الأجساد الّتي تقوم بها حياة النموّ دون الحياة الّتي هي شرط في العلم والقدرة ونحوهما من الأعراض.

وقوله: «إنّا مجمعون على أنّ الجواهر لا تتلاشى» فليس ذلك كما ظنّ، ولو كان الأمر فيه ما توهّم لامتنع أن يوجد الحياة لبعض الجواهر ويرفع عن بعض، كما يوجد حياة النموّ لبعض الأجساد ويرفع عن بعض على الاتّفاق. ولو قلنا: إنّ الحياة بعد النقلة من هذه الدار يعمّ أهل الكفر والايمان لم يفسد ذلك علينا أصلاً في الدين فكانت الحياة لأهل الايمان شرطاً في وصول اللذّات إليهم، والحياة لأهل الكفر شرطاً في وصول الآلام إليهم بالعقاب.

وقال رحمه الله في أجوبة المسائل الّتي وردت عليه من الريّ حين سئل عن الروح: الصحيح عندنا أنّ الروح عبارة عن الهواء المتردّد في مخارق الحيّ منّا الّذي لا يثبت كونه حيّاً إلاّ مع تردّده، ولهذا لا يسمّى ما يتردّد في مخارق الجماد روحاً فالروح جسم على هذه القاعدة.

أقول: وقد روى بعض الصوفيّة في كتبهم عن كميل بن زياد أنّه قال: سألت مولانا أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين أريد أن تعرّفني نفسي. قال: يا كميل! وأيّ الأنفس تريد أن أعرّفك؟ قلت: يا مولاي هل هي إلاّ نفس واحدة؟ قال: يا كميل إنّما هي أربعة: النامية النباتيّة، والحسّيّة الحيوانيّة، والناطقة القدسيّة، والكليّة الإلهيّة، ولكلّ واحدة من هذه خمس قوى وخاصيّتان؛ فالنامية النباتيّة لها خمس قوى: ماسكة، وجاذبة، وهاضمة، ودافعة، ومربّية، ولها خاصيّتان: الزيادة والنقصان، وانبعاثها من الكبد. والحسّيّة الحيوانيّة لها خمس قوى: سمع وبصر، وشمّ، وذوق، ولمس، ولها خاصيّتان: الرضا والغضب، وانبعاثها من القلب. والناطقة القدسيّة لها خمس قوى: فكر، وذكر، وعلم، وحلم، ونباهة، وليس لها انبعاث، وهي أشبه الأشياء بالنفوس الفلكيّة، ولها خاصيّتان: النزاهة والحكمة. والكليّة الإلهيّة لها خمس قوى: بهاء في فناء، ونعيم في شقاء، وعزّ في ذلّ، وفقر في غناء، وصبر في بلاء، ولها خاصيّتان: الرضا والتسليم، وهذه الّتي مبدؤها من الله وإليه تعود، قال الله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ والعقل في وسط الكلّ.

أقول: هذه الاصطلاحات لم تكد توجد في الأخبار المعتبرة المتداولة، وهي شبيهة بأضغاث أحلام الصوفيّة، وقال بعضهم في شرح هذا الخبر: النفسان الأوليان في كلامه عليه السلام مختصّان بالجهة الحيوانيّة الّتي هي محلّ اللذّة والالم في الدنيا والآخرة والأخيرتان بالجهة الانسانيّة، وهما سعيدة في النشأتين وسيّما الأخيرة، فإنّها لاحظّ لها من

الشقاء، لأنّها ليست من عالم الشقاء، بل هي منفوخة من روح الله فلا يتطرّق إليها ألم هناك من وجه وليست هي موجودة في أكثر الناس، بل ربما لم يبلغ من ألوف كثيرة واحد إليها، وكذلك الأعضاء والجوارح بمعزل عن اللذّة والألم، الا ترى إلى المريض إذا نام وهو حيّ والحسّ عنده موجود والجرح الّذي يتألّم به في يقظته موجود في العضو ومع هذا لا يجد ألماً؟ لأنّ الواجد للألم قد صرف وجهه عن عالم الشهادة إلى البرزخ فما عنده خبر، فإذا استيقظ المريض أي رجع إلى عالم الشهادة ونزل منزل الحواسّ قامت به الأوجاع والآلام، فإن كان في البرزخ في ألم كما في رؤيا مفزعة مؤلمة أو في لذّة كما في رؤيا حسنة ملذّة انتقل منه الألم واللّذة حيث انتقل، وكذلك حاله في الآخرة - انتهى -.

وقال العلاّمة الحليّ - نوّر الله مرقده - في كتاب معارج الفهم: اختلف الناس في حقيقة النفس ما هي، وتحرير الأقوال الممكنة فيها أنّ النفس إمّا أن تكون جوهراً أو عرضاً أو مركّباً منهما؛ وإن كانت جوهراً فإمّا أن تكون متحيّزة؛ أو غير متحيّزة وإن كانت متحيّزة فإمّا أن تكون منقسمة، أو لا تكون؛ وقد صار إلى كلّ من هذه الأقوال قائل والمشهور مذهبان: أحدهما أنّ النفس جوهر مجرّد ليس بجسم ولا حالّ في الجسم، وهو مدبّر لهذا البدن، وهو قول جمهور الحكماء، ومأثور عن شيخنا المفيد وبني نوبخت من أصحابنا. والثاني أنّها جوهر أصليّة في هذا البدن حاصلة فيه من أوّل العمر إلى آخره لا يتطرّق إليها التغيّر ولا الزيادة ولا النقصان. وعند المعتزلة عبارة عن الهيكل المشاهد المحسوس، وههنا مذاهب أُخرى منها أنّ النفس هو الله تعالى، ومنها أنّها هي المزاج، ومنها أنّها النَفَس، ومنها أنّها النار، ومنها أنّها الهواء، وغير ذلك من المذاهب السخيفة - انتهى؟.

وقال المحقّق الطوسيّ - قدّس الله روحه - في التجريد: هي جوهر مجرّد وقال العلاّمة - رفع الله مقامه - في شرحه: اختلف الناس في ماهيّة النفس وأنّها هل هي جوهر أم لا، والقائلون بأنّها جوهر اختلفوا في أنّها هل هي مجرّدة أم لا، والمشهور عند الأوائل وجماعة من المتكلّمين كبني نوبخت من الاماميّة والمفيد منهم والغزاليّ من الأشاعرة أنّها جوهر مجرّد ليس بجسم ولا جسمانيّ، وهو الّذي اختاره المصنّف - انتهى -[1].

وقال المحقّق الطوسي رحمه الله أيضاً في كتاب الفصول: الّذي يشير إليه الانسان حال قوله (أنا) لو كان عرضاً لاحتاج إلى محلّ يتّصف به، لكن لا يتّصف بالانسان شيء بالضرورة بل يتّصف هو بأوصاف هي غيره، فيكون جوهراً، ولو كان هو البدن أو شيء من جوارحه لم يتّصف بالعلم، لكنّه يتّصف به بالضرورة فيكون جوهراً عالماً والبدن وسائر الجوارح آلاته في أفعاله، ونحن نسمّيه ههنا الروح - انتهى -[2].

---

(١) كشف المراد، ص ١٨٤.

(٢) فصول العقائد ضمن كتاب نصوص الدراسة في الحوزة العلمية، ص ٤٥٥.

وتوقّف كَلَلله في رسالة «قواعد العقائد» واكتفى بذكر الأقوال حيث قال: المسألة الثانية في أقوال الناس في حقيقة الانسان وأنّها أيّ شيء هي؟ اختلفوا في حقيقته، فبعضهم قالوا إنّ الانسان هو الهيكل المشاهد، وبعضهم قالوا: هو أجزاء أصليّة داخليّة في تركيب الانسان لا يزيد بالنموّ ولا ينقص بالذبول، وقال النظّام: هو جسم لطيف في داخل الانسان سارٍ في أعضائه، فإذا قطع منه عضو تقلّص ما فيه إلى باقي ذلك الجسم، وإذا قطع بحيث انقطع ذلك الجسم مات الانسان. وقال ابن الراونديّ: هو جوهر لا يتجزّأ في القلب. وبعضهم قالوا: هو الأخلاط الأربعة، وبعضهم قالوا: هو الروح، وهو جوهر مركّب من بخاريّة الأخلاط ولطيفها، مسكنه الأعضاء الرئيسة الّتي هي القلب والدماغ والكبد، ومنها ينفذ الروح في العروق والأعصاب إلى سائر الأعضاء، وجميع ذلك جواهر جسمانيّة، وبعضهم قالوا: هو المزاج المعتدل الانسانيّ. وبعضهم قالوا: تخاطيط الأعضاء وتشكيل الانسان الّذي لا يتغيّر من أوّل عمره إلى آخره. وبعضهم قالوا: العرض المسمّى بالحياة، وجميع ذلك أعراض، والحكماء وجمع من المحقّقين من غيرهم قالوا: إنّه جوهر غير جسمانيّ لا يمكن أن يشار إليه إشارة حسيّة، وهذه هي المذاهب، وبعضها ظاهر الفساد - انتهى..

وقال الشيخ السديد المفيد - طيّب الله تربته - حين سأله السائل في المسائل السرويّة: ما قوله - أدام الله تعالى علوّه - في الأرواح ومائيتها وحقيقة كيفيّاتها وما لها عند مفارقتها الأجساد - وهي حياة النموّ وقبول الغذاء -؟ والحياة الّتي في الذوات الفعّالة هي معنى أم لا؟ الجواب: أنّ الأرواح عندنا هي أعراض لا بقاء لها وإنّما عبد الله تعالى منها الحيّ حالاً بحال، فإذا قطع امتداد المحيى بها جاء الموت الّذي هو ضدّ الحياة، ولم يكن للأرواح وجود، فإذا أحيى الله تعالى الأموات ابتدأ فيهم الحياة الّتي هي الروح. والحياة الّتي في الذوات الفعّالة هي معنى يصحّح العلم والقدرة. وهي شرط في كون العالم عالماً والقادر قادراً، وليست من نوع الحياة الّتي تكون.

ثمّ قال - قدّس سرّه - حين سأل السائل: ما قوله - حرس الله تعالى عزّه - في الانسان؟ أهو هذا الشخص المرئيّ المدرك على ما يذكره أصحاب أبي هاشم، أم جزء حالّ في القلب حسّاس درّاك كما يحكى عن أبي بكر بن الأخشاد؟ والجواب: أنّ الانسان هو ما ذكره بنو نوبخت، وقد حكي عن هشام بن الحكم، والأخبار عن موالينا عليهم السلام تدلّ على ما أذهب إليه، وهي شيء قائم بنفسه لا حجم له ولا حيّز، لا يصحّ عليه التركيب، ولا الحركة والسكون، ولا الاجتماع ولا الافتراق، وهو الشيء الّذي كانت تسمّيه الحكماء الأوائل «الجوهر البسيط» وكذلك كلّ حيّ فعّال محدث فهو جوهر بسيط، وليس كما قال الجبائيّ وابنه وأصحابهما أنّه جملة مؤلّفة، ولا كما قال ابن الأخشاد أنّه جسم متخلخل في الجملة الظاهرة، ولا كما قال الأعوازيّ أنّه جزء لا يتجزّأ.

وقولي فيه قول معمر من المعتزلة وبني نوبخت من الشيعة على ما قدّمت ذكره وهو شيء

يحتمل العلم والقدرة والحياة والإرادة والكراهة والبغض والحبّ قائم بنفسه، محتاج في أفعاله إلى الآلة الّتي هي الجسد. والوصف له بأنّه حيّ يصحّ عليه القول بأنّه عالم قادر، وليس الوصف له بالحياة كالوصف للأجساد بالحياة حسب ما قدّمناه، وقد يعبّر عنه بالروح. وعلى هذا المعنى جاءت الأخبار أنّ الروح إذا فارقت الجسد نعّمت وعذّبت، والمراد الانسان الّذي هو الجوهر البسيط يسمّى الروح وعليه الثواب والعقاب، وإليه يوجّه الأمر والنهي والوعد والوعيد، وقد دلّ القرآن على ذلك بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾(١) فأخبر تعالى أنّه غير الصورة وأنّه مركّب فيها، ولو كان الانسان هو الصورة لم يكن لقوله تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ معنى، لأنّ المركّب في الشيء غير الشيء المركّب فيه، ومحال أن تكون الصورة مركّبة في نفسها وعينها لما ذكرناه، وقد قال سبحانه في مؤمن آل يس ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى ﴿٢٧﴾﴾(٢) فأخبر أنّه حيّ ناطق منعّم وإن كان جسمه على ظهر الأرض أو في بطنها، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ فأخبر أنّهم أحياء وإن كانت أجسادهم على وجه الأرض مواتاً لا حياة فيها. وروي عن الصادقين عليهم السلام أنّهم قالوا: إذا فارقت أرواح المؤمنين أجسادهم أسكنها الله تعالى في [مثل] أجسادهم الّتي فارقوها فينعّمهم في جنّة وأنكروا ما ادّعته العامّة من أنّها تسكن في حواصل الطيور الخضر، وقالوا: المؤمن أكرم على الله من ذلك، ولنا على المذهب الّذي وصفناه أدلّة عقليّة لا يطعن المخالف فيها، ونظائر لما ذكرناه من الأدلّة السمعيّة، وبالله أستعين - انتهى كلامه رفع الله مقامه..

وقال الغزاليّ في الأربعين: الروح هي نفسك وحقيقتك، وهي أخفى الأشياء عليك، وأعني بنفسك روحك الّتي هي خاصّة الانسان، المضافة إلى الله تعالى بقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ وقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ دون الروح الجسمانيّ اللطيف الّذي هو حامل قوّة الحسّ والحركة، الّتي تنبعث من القلب وتنتشر في جملة البدن في تجويف العروق والضوارب، فيفيض منها نور حسّ البصر على العين ونور السمع على الأذن وكذلك سائر القوى والحركات والحواسّ، كما يفيض من السراج نور على حيطان البيت إذا أدير في جوانبه، فإنّ هذه الروح تتشارك البهائم فيها وتنمحق بالموت، لأنّه بخار اعتدل نضجه عند اعتدال مزاج الأخلاط، فإذا انحلّ المزاج بطل كما يبطل النور الفائض من السراج عند إطفاء السراج بانقطاع الدهن عنه أو بالنفخ فيه، وانقطاع الغذاء عن الحيوان يفسد هذه الروح، لأنّ الغذاء له كالدهن للسراج والقتل له كالنفخ في السراج، وهذه الروح هي الّتي يتصرّف في تقويمها وتعديلها علم الطبّ، ولا تحمل هذه الروح المعرفة والأمانة، بل الحامل للأمانة

---

(١) سورة الإنفطار، الآيات: ٦-٨. (٢) سورة يس، الآيتان: ٢٦-٢٧.

الروح الخاصّة للانسان، ونعني بالأمانة تقلّد عهدة التكليف بأن تعرض لخطر الثواب والعقاب بالطاعة والمعصية.

وهذه الروح لا تفنى ولا تموت، بل تبقى بعد الموت، إمّا في نعيم وسعادة أو في جحيم وشقاوة، فإنّه محلّ المعرفة، والتراب لا يأكل محلّ المعرفة والايمان أصلاً، وقد نطقت به الأخبار، وشهدت له شواهد الاستبصار، ولم يأذن الشارع في تحقيق صفته - إلى أن قال - وهذه الروح لا تفنى ولا تموت، بل يتبدّل بالموت حالها فقط ولا يتبدّل منزلها، والقبر في حقّها إمّا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النار إذ لم يكن لها مع البدن علاقة سوى استعمالها للبدن، أو اقتناصها أوائل المعرفة بواسطة شبكة الحواسّ، فالبدن آلتها ومركبها وشبكتها، وبطلان الآلة والشبكة والمركَب لا يوجب بطلان الصائد نعم إن بطلت الشبكة بعد الفراغ من الصيد فبطلانها غنيمة، إذ يتخلّص من حمله وثقله، ولذا قال عليه السلام «تحفة المؤمن الموت» وإن بطلت الشبكة قبل الصيد عظمت فيه الحسرة والندامة والألم، ولذلك يقول المقصّر ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا ﴿١٠٠﴾﴾ بل من كان ألف الشبكة وأحبّها وتعلّق قلبه بحسن صورتها وصنعتها وما يتعلّق بسببها كان له من العذاب ضعفين: أحدهما حسرة فوات الصيد الّذي لا يقتنص إلاّ بشبكة البدن، والثاني زوال الشبكة مع تعلّق القلب بها وإلفه لها وهذا مبدأ من مبادىء معرفة عذاب القبر - انتهى..

أقول: لمّا كانت رسالة «الباب المفتوح إلى ما قيل في النفس والروح» للشيخ الفاضل الرضيّ عليّ بن يونس العامليّ - روّح الله روحه - جمّة الفوائد، كثيرة العوائد مشتملة على جلّ ما قيل في هذا الباب من غير إسهاب وإطناب أوردت ههنا جميعها وهي هذه:

الحمد لله الّذي خلق النفوس وحجب حقيقتها عنّا، فإنّ العين تبصر غيرها ويتعذّر إدراك نفسها منها، فأوجب ذلك خبط العلماء فيها، ولم يصل أكثرهم بدقيق الفكر إليها، وقد قال العالم الربّانيّ الّذي أوجب الله حقّه «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» أشار بامتناع معرفة نفسه مع قربه إلى امتناع الإحاطة بكنه ربّه، وما قيل في تفسيره: من عرفها بالمخلوقيّة عرفه بالخالقيّة، لا يدفع ما قصدناه، ولا يمتنع ما ذكرناه، إذ معرفتها بصفة حدوثها لا يستلزم معرفة عينها، فإنّ معرفتها ليست ضروريّاً بلا خلاف لوجود الخلاف فيها، ولا كسبيّة لامتناع صدق الجنس والفصل عليها، بل الاعتراف بالعجز عن وجدانها أسهل من الفحص عن كنهها وبرهانها، والانسان ضعيف القوّة محدود الجملة، معلومه أقلّ من مظنونه، وتخمينه أكثر من يقينه، لكن من كان نظره أعلا، ونقده أجلا، ونوره أصنع، وفكره أشيع، كان من الشكّ أنجى، ومن الشبهة أنأى، وثاقب بصره الأسنى إلى النفس أدنى. وهذا الانسان الضعيف الصغير فيه ذلك البسيط اللطيف جزء يسير، فكيف يدرك بجزء منه كلّه، ويقبل منه جميعه وهذا يتعذّر أن يكون معلوماً، ويبعد وإن لم يكن معدوماً، بل يكفي أن يعلم أنّها قوّة

إلهية مسبّبة واسطة بين الطبيعة المصرفة والعناصر المركّبة، المثير لها، الطالع عليها، السائغ فيها، الممتزج بها، فالانسان ذو طبيعة لآثارها البادية في بدنه، وذو نفس لآثارها الظاهرة في مطلبه ومأربه، وذو عقل لتميّزه وغضبه وشكّه ويقينه، وها أنا ذا واضع لك في هذا المختصر المسمّى بـ«الباب المفتوح إلى ما قيل في النفس والروح» ما بلغني من أقاويل الأوائل، وما أوردوا من الشبهات والدلائل، راج من واهب المواهب، الإشارة إلى مأخذ تلك المذاهب، مورد ما حضرني من دخل فيها.

فهنا مقصدان: الأول في النفس

مقدمة: اسم النفس مشترك بالاشتراك اللفظيّ بين معانٍ: منها ذات الشيء «فعل ذلك بنفسه» ومنها الأنفة «ليس لفلان نفس» ومنها الارادة «نفس فلان في كذا» ومنها العين، قال ابن القيس:

يتّقي أهلها النفوس عليها فعلى نحرها الرقى والتميم

ومنها مقدار دبغة من الدباغ، تقول: أعطني نفساً، أي قدر ما أدبغ به مرّة ومنها العيب «إنّي لا أعلم نفس فلان» أي عيبه، ومنها العقوبة ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ ومنها ما يفوت الحياة بفواته كنفس الحيوان ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ وهذه هي المبحوث عنها المختلف فيها.

واعلم أنّ الاحتمالات الّتي اقتضاها التقسيم بمناسبة إمّا جوهر مادّيّ، أو جوهر مجرّد، أو مادّي وعرض، أو مجرّد وعرض، أو مادّيّ ومجرّد وعرض.

المذهب الأول: الجوهر المادّي قال به جماعة المعتزلة وكثير من المتكلّمين ثمّ اختلفوا على مذاهب: ذهب جمهور المسلمين إلى أنّه مجموع الهيكل المحسوس وهذا كما ترى ليس هو جوهر فقط بل مضاف إليه عرض لأنّ الجسم كذلك، واختاره القزوينيّ. قال: لإجماع أهل اللّغة أنّهم عند إطلاق نفسه يشيرون إليه، واتّفاق الأمّة على وقوع الإدراكات بالبصر عليه، ونصوص القرآن أيضاً واردة فيه، مثل ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ﴿إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ وإنّه هو الّذي يمات ويقبر في قوله: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ فمن يخرج عن هذه النصوص إلى غير مدلولاتها كيف يكون مسلماً؟! وقد أجمعت الأمّة على أنّ من رأى هذه البنية وحلف أنّه ما رأى إنساناً حنث، ولكن اختلف في أنّ الانسان هل هو هذه الجملة، أو شيء له هذه الجملة؟ قال: الأقرب الثاني، والفائدة في الملك إذا جاء فيها فإنّه ليس بإنسان، وكذلك المصوّر لها من خشب وغيره وإنّما جرى اسم الانسان على الهيكل تبعاً لذلك الشيء الّذي له الهيكل آدم وأولاده وهذا الّذي قرّبه مخالف لما صوّره.

وقال شارح النظم: أطبق العقلاء على بطلان هذا القول، لأنّ مقطوع اليد باقٍ ويمتنع بقاء الماهيّة عند عدم جزئها؛ ولأنّها دائماً تتحلّل وتستخلف، فالفائت له ثواب وعليه عقاب، فإن

حشرت كلّها لزم المحال، وإن لم تحشر لزم الظلم والإضلال. ذهب أهل هذا التقسيم إلى أنّه بعض الهيكل، ثمّ اختلفوا على أقوال:

قال ابن الراونديّ: إنّه جزء في القلب، قال النظّام: إنّه أجزاء لطيفة في القلب، وكأنّهما نظرا إلى أنّ الانسان إذا رجع إلى نفسه وجد قلبه محلّ ذكره فظنّاها ذلك. وهو خطأ لعدم إنتاج الشكل الثاني من الموجبتين. قال الأطبّاء: إنّه الروح الّذي في القلب من الجانب الأيسر، نظراً إلى أنّ جانب الانسان الأيسر أخطر من الأيمن وهو ضعيف لجواز كون محلّه غير القلب، وسلامة القلب شرط فيه. قال بعضهم: إنّه الدمّ لفوات الحياة بفواته، وعليه قول السموأل: «تسيل على حدّ الظباة نفوسنا» قلنا: لا يلزم من عدم شيء عند عدم آخر اتّحادهما كالجوهر والعرض؛ ولا حجّة في الشعر لاحتماله المجاز. وقيل: هو الأخلاط بشرط أن يكون لكلّ واحد منها قدر معيّن ومأخذ هذا وجوابه قريب ممّا سلف.

قال بعض الفلاسفة: إنّه الجزء الناريّ، لأنّ خاصّة النار الاشراق والحركة وخاصّة النفس الادراك والحركة، والادراك من جنس الاشراق، ولذلك قالت الأطبّاء: إنّ مدبّر هذا البدن الحرارة الغريزيّة. قلنا: لا يلزم من الاشتراك في الخاصّة الاشتراك في ذي الخاصّة، فإنّ العناصر مع اختلاف ماهيّاتها تشترك في كيفيّاتها.

قال البلاقلانيّ: هو الجزء الهوائيّ، وهو النفَس المتردّد في المخارق، وإنّه متى انقطع انقطعت الحياة، فالنَفَس هو النَفس. قلنا: قد أسلفنا أنّ التلازم لا يستلزم الاتّحاد.

قيل: هو الجزء المائيّ لأنّه سبب النموّ فالنفس كذلك. قلنا: وهذا من موجبتين في الشكل الثاني فهو عقيم؛ ولا ينحصر النموّ في الماء فإنّه يوجد في الشمس والهواء.

قيل: هو أجزاء لطيفة سارية في البدن كسريان الدهن في السمسم، وماء الورد في ورقه. قلنا: هذا مجرّد خيال خال عن دليل.

قال النّظام وابن الأخشيد: إنّه روح الدماغيّ الصالح لقبول الحسّ والفكر والحفظ والذكر؛ وهو الحيّ المكلّف الفاعل للأفعال؛ وهو مركّب من بخاريّة الأخلاط ولطيفها، ومسكنه الأعضاء الرئيسة الّتي هي القلب والدماغ والكبد وما ينفذ في العروق والأعصاب إلى سائر الأعضاء. قلنا: قد علمنا أنّ الأذن هي السامعة والعين هي الباصرة، والبدن راكع وساجد، فكيف يقال: الفاعل غيرها، ولم حدّ الزاني ولم قتل المرتدّ، إذا كان هو غير [هذا] المشاهد؟

قال النظّام أيضاً: إنّه جزء لطيف داخل البدن، سارٍ في أعضائه، فإذا قطع منه عضو تقلّص ذلك اللطيف، فإذا قطع اللطيف معه مات الانسان. وهذا نظر إلى فقد الحياة بفقدانه، وقد عرفت ضعفه.

قال هشام بن الحكم: هو جسم لطيف يختصّ بالقلب وسمّاه نوراً، وإنّ الجسد موات، وإنّ الروح هو الحيّ الفعّال المدرك. وقد عرفت مأخذه وضعفه ممّا سلف.

قال ابن الأخشيد أيضاً: إنّه جسم منبثّ في الجملة وفيه ما فيما قبله.

قالت الصوفيّة: إنّه جسم لطيف كهيئة الانسان ملبس كالثوب على الجسد، وكأنّهم نظروا إلى الأفعال الصادرة عنه؛ وإلى أنّه إذا قطع بعضه لم يمت، فجعلوه شيئاً ملازماً للجملة. وهذا خرص محض.

قالت الثنويّة: هو جوهران ممتزجان: أحدهما خير هو من النور، والآخر شرّ هو من الظلمة، بناءً منهم على قدم هذين وتدبيرهما. وقد عرفت بطلان مبناه في الكلام.

قالت المرقونيّة: إنّه ثلاثة جواهر: نور وظلمة وثالث بينهما، وهو الفاعل دونهما.

قالت الصابئة هو الحواسّ الخمس، لأنّه شاعر وهذه مشاعر. وهو من موجبتين في الثاني؛ ويلزمهم أنّه متى ذهب بعضها ذهب الانسان لبطلان المركّب ببطلان جزئه والحسّ يكذّبه.

قال قوم من الدهريّة: هو الطبائع الأربع، فهذا الضرب من الاختلاف كان إنساناً. قال بعض الدهريّة: هو الطبائع الأربع وخامس آخر هو المنطق والتمييز والفعل.

قال بعض أصحاب الهيولى: هو الجوهر الحيّ الناطق، وهو في هذا الجوهر شيء ليس بمماسّ ولا مباين وهو المدبّر له.

قالت الملكائيّة من النصارى: هو النفس والعقل والجرم.

قال معمر: هو عين من الأعيان لا يجوز عليه الانتقال، ولا يجوز له محلّ ولا مكان، يدبّر هذا العالم ويحرّكه، ولا يجوز إدراكه ورؤيته. فقد قيل: إنّه جعل الانسان بمثابة القديم غير أنّه لمّا سئل: كيف يختصّ تدبيره بهذا البدن دون غيره؟ دهش وقال: إنّه مدبّر لسائر أبدان العالم، وهذه صفة الإله سبحانه فزعم حينئذ أنّه ربّه، وهذا هو الّذي عناه شارح نظم البراهين بقوله وقيل: «إنّ النفس هو الإله». قالوا: يجوز كون النفس مختلفة بالحقيقة، والأبدان مختلفة بالمزاج، فتعلّق كلّ نفس بما يناسبها من المزاج. قلنا: الأبدان الانسانيّة قريبة المزاج، وربما اتّحد أكثرها في المزاج، فيلزم أن يتعلّق بالجميع. وهذه الأقوال لإدراكها مأخذ إلّا أنّها عند تحرير المبحث، منها ما يرجع إلى الجوهر المجرّد، ومنها ما يرجع إلى الأجزاء الأصليّة.

قال أكثر المحقّقين كأبي الحسين البصريّ وجمال الدين الحلّيّ وكمال الدين البحرانيّ وسالم بن عزيزة السوراويّ: إنّ الانسان أجزاء أصليّة في البدن باقية من أوّل العمر إلى آخره، لا يجوز عليها التبدّل والتغيّر، لا مجموع البدن، لأنّه دائماً في التبدّل والاستخلاف مع بقاء النفس، والباقي غير الزائل. ولو كان هو جملة البدن لزم الظلم، حيث إنّ المعدوم منه لا يمكن إعادته، لما عرفت من امتناع إعادة المعدوم فلا يصل إليه ما يستحقّه، ولأنّا متى استحضرنا العلوم وجدناها في ناحية صدورنا، فلو كان محلّ علومنا شيء خارج عن شيء من

أجسامنا لزم قيام صفاتنا بغيرنا؛ ولأنّ الانسان لو كان مجرّداً - كما قيل - لزم أن لا يعلم الانسان الآخر، لأنّه لو علم الانسان الآخر علم ذلك المجرّد وهو ظاهر البطلان؛ ولأنّا نعلم هذا الانسان والانسان المطلق جزء منه، فلو لم نعلم الجزء لم نعلم الكلّ، وينعكس إلى أنّا لمّا علمنا الكلّ علمنا الجزء، والمجرّد لا يعلم فليس بجزء؛ ولأنّا ندرك الألم بأجسامنا عند تقريبنا إلى النار مثلاً ونحكم عليها به، والمحكوم عليه هو الانسان، فهو معلوم والمجرّد غير معلوم.

قالوا: الانسان يدرك الكلّيات لامتناع حصر الكلّ الّذي لا ينحصر في الجسم المنحصر فيكون هو المجرّد. قلنا: إنّ العلم ليس صورة حالّة في العالم، وإنّما هو الوصول إلى المعلوم والنظر إليه، ولا نسلّم له أنّ العلم بالكلّ كلّيّ، إنّما الكلّي في الحقيقة هو المعلوم، وإن أطلق عليه فبالمجاز، لأنّ عروض جميع الأفراد مستحيلة على القوّة العقليّة، وإنّما يحصل لها لقيامها بالجسم بعوارض محصورة، لأنّها صور جزئيّة في نفس جزئيّة موصوفة بالحدوث في وقت مخصوص، وإذا كانت في النفس بهذه العوارض فهي ليست كلّيّة.

قالوا: القوّة العقليّة تقوى من الأفعال على ما لا يتناهى، والجسميّة لا تقوى على ما لا يتناهى، أنتج من الشكل الثاني: القوّة العقليّة ليست جسميّة. قلنا: لا نسلّم أنّ القوّة العقليّة تقوى على فعل، فضلاً عن أن يقوى على ما لا يتناهى، لأنّ تعلّقها بالمعقول عندكم حصول صورة فيها، وذلك انفعال لا فعل؛ ولو سلّمنا أصل قوّتها منعنا عدم تناهيها، لأنّكم إن أردتم أنّها تقوى في الوقت الواحد على ما لا يتناهى منعناه فإنّا نجد في أنفسنا تعذّر ذلك علينا؛ وإن أردتم بعدم النهاية أنّه ما من وقت إلاّ ويمكننا أن نفعل فيه، فالقوّة الجسميّة تقوى لذلك، إذ ما من آنٍ يفرض إلاّ ويمكن أو يجب أن يحصل لها فيه فعل فيقوى على ما لا يتناهى، فتكون القوّة العاقلة جسميّة.

قالوا: لو قويت الجسميّة على ما لا يتناهى وكان جزؤها يقوى على ما لا يتناهى ساوى الجزء الكلّ، وإن قوي على ما يتناهى تناهى الكلّ، لأنّ نسبة الكلّ إلى الجزء معلومة، فيكون نسبة تأثيره إلى تأثير الجزء معلومة، ونسبة تأثير الجزء متناهية فنسبة تأثير الكلّ متناهية. قلنا: لا يلزم من كون تأثير الجزء أقلّ تناهية، فإنّ الجزء المؤثّر الدائم الأثر له تأثير دائم، ولا يلزم من دوامه مساواته الكلّ، لأنّ له تأثيراً دائماً لكنّه ضعيف قليل لأنّه واقف على حدّ.

قال جمهور الفلاسفة، ومعمر بن عباد السلميّ من قدماء المعتزلة، والغزاليّ، وأبو القاسم الراغب، والشيخ المفيد، وبنو نوبخت، والأسواريّ، ونصير الدين الطوسيّ: إنّه جوهر مجرّد عن المكان والجهة والمحلّ، متعلّق بالبدن تعلّق العاشق بمعشوقه، والملك بمدينته، ويفعل أفعاله بواسطته؛ وإنّ النفس تدرك حقائق الموجودات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات؛ وإنّ النفس الفلكيّة تفيض على الأشخاص، كالشمس تدخل عند

طلوعها كلّ كوّة. بل قال الغزاليّ: لا هو داخل البدن ولا خارج عنه ولا متّصل به ولا منفصل عنه، لأنّ مصحّح ذلك الجسميّة والتحيّز المنفيّان عنه، كما أنّ الجماد لا عالم ولا جاهل، لنفي المصحّح عنه وهو الحياة. قال: ومن نفاه نفاه لغلبة العاميّة على طبعه. ولهذا إنّ الكراميّة والحنبليّة جعلوا الإله جسماً موجوداً، إذ لم يعقلوا إلاّ جسماً يشار إليه، ومن ترقّى عن ذلك قليلاً نفى الجسميّة ولم يطق ينظر في عوارضها، فأثبت الجهة لله سبحانه، فإذا منعوا ذلك في صفات الله كيف يجيزونه في غيره؟! قالوا: لو تجرّد شيء شاركه القديم في أخصّ صفاته فيشاركه في ذاته. قلنا: نمنع كون التجرّد أخصّ الصفات، بل كونه قيّوماً لقيامه بذاته وقيام غيره به.

احتجوا على اثبات المجرد بأنّ هنا معلومات بسيطة كالوحدة والنقطة، فالعلم بها بسيط، إذ لو تركّب فإن تعلق جزؤه به أجمع ساوى الجزء الكلّ؛ ولزم وجود العلم قبل وجوده؛ وإن تعلّق ببعضه لزم تركّب ما فرض بساطته؛ وإن لم يتعلّق بشيء ظهر أنّه ليس بعلم، إذ الكلام في باقي الأجزاء كالكلام فيه، فعند الجمع بينهما إن لم تحصل هيئة جديدة كان العلم المفروض محض ما ليس بعلم؛ وإن حصلت الهيئة المفروضة علماً فإن كانت من الجزئين فالتركيب في فاعلهما، وإن حصلت عندهما قائمة بهما فالتركيب في قابلهما لا فيهما، إذ لو كانت مركّبةً عاد الكلام في أجزائها، فمحلّ هذه المفروضة علماً هو النفس وهي بسيطة، لأنّها لو تركّبت فإن حلّ العلم البسيط في مجموعها انقسم العلم، إذ الحالّ في أحد الجزئين غير الحالّ في الآخر، ولو كان هو الحالّ في الآخر لزم حلول العرض الواحد في محلّين، وإن حلّ في أحد الجزئين فإن كان هو النفس فالمطلوب، وإن كان هو جزؤها فالجزء الآخر خال منه، فلزم أن نعلم شيئاً ونجهله في وقت واحد، فظهر أنّ المحلّ وهو النفس بسيط، ولا شيء من الجسم والجسمانيّ ببسيط ينتج من الشكل الثاني أنّ محلّ العلم ليس بجسم ولا جسمانيّ.

والجواب: أمّا المقدّمة الأُولى وهي أنّ هنا معلوماً بسيطاً فمسلّم، أمّا الباقيات فممنوعات، أمّا الثانية فلأنّ الجزء يجوز مساواته للكلّ في التعلّق وإن لم يساوه في الحقيقة كالأدلّة المتواترة على شيء واحد وإنّ واحدها تعلّق بما تعلّق به مجموعها. وفيه نظر، لأنّ الجزء الثاني من العلم إن زاد المعلوم به انكشافاً تعلّق بغير ما تعلّق به الأوّل، وإن لم يزد كان وجوده مثل عدمه. والأصوب في المنع أنّ قولهم: إن لم يتعلّق الجزء بشيء ظهر أنّه ليس بعلم فعند الجمع إن لم يحصل هيئة كان المفروض علماً محض ما ليس بعلم وإن حصلت منه - إلخ - نفي كلّ مركّب، فيقال في الحيوان مثلاً ليس بمركّب لأنّ جزءه إمّا حيوان فيتقدّم الحيوان على نفسه وساوى الجزء الكلّ، أو ليس بحيوان فبعد الجمع بالجزء الآخر إن لم تحصل هيئة كان الحيوان محض ما ليس بحيوان، وإن حصلت فهي بسيطة، لأنّه لو كان لها جزء عاد التقسيم المذكور فيكون التركيب في فاعلها أو قابلها لا فيها، وليس لهم عن هذه المعارضة مذهب.

وأمّا الثالثة وهو أنّه يلزم من بساطة الحالّ بساطة المحلّ، فلأنّا لا نسلّم أنّ العلم على هيئة الحلول والصورة، وإنّما هو إدراك ووصول ونظر إلى المعلوم، ولو سلّم لم يلزم من بساطة الحالّ بساطة المحلّ، فإنّ النقطة والوحدة موجودتان في الجسم المركّب. نعم إنّما يلزم ذلك إذا كان الحلول على نعت السريان، ولم يقم على السريان في محلّ النزاع برهان.

ويلزم ممّا قالوا كون النفس جسماً أو جسمانيّة، لأنّها تعلم المركّب في صورة المركّبة مركّبة، فيلزم كون محلّها مركّباً لامتناع حلول المركّب في البسيط، وهذه معارضة أُخرى لا محيص عنها. وأمّا الرابعة فنمنع انقسام كلّ جسم وجسمانيّ، لما ثبت في الكلام جواهر لا تقبل الانقسام.

المذهب الثاني: أنّها عرض، فذهب جالينوس إلى أنّه المزاج الّذي هو اعتدال الأركان. وهذا نظر إلى فوات الحياة بفواته وقد سلف جوابه.

وقيل: إنّه تشكيل البدن وتخطيطه. وهذا قول سخيف جدّاً منقوض بمقطوع اليد مثلاً، فإنّ فوات تخطيطها يلزم منه عدم النفس، لعدم الكلّ بعدم الجزء.

وقيل: إنّه الحياة، وهذا مأخوذ من التلازم بينهما وقد عرفت أنّه لا يوجب الاتّحاد.

وقيل: إنّه النسبة الواقعة بين الأركان في الكميّات والكيفيّات.

أمّا تركّبه من الجسم والمجرّد، أو من العرض والمجرَّد أو من الجسم والعرض والمجرّد فقال سديد الدين محفوظ: لا أعلم به قائلاً، إلاّ أنّ تفسير الفلاسفة لحقيقة الانسان بأنّه الحيوان الناطق يقتضي كون الانسان عبارة عن البدن والنفس معاً، لأنّ الحياة جنس حلّته أعراض والناطق هو النفس، فعلى هذا يكون الانسان مركّباً من هذه تركيباً ثلاثيّاً وهذا مذهب تاسع وعشرون.

والثلاثون: قال بشر بن معتمر وهشام النوطيّ: إنّه الجسم والروح الّذي هو الحياة، وإنّهما الفاعلان للأفعال، وعلى هذا قيل: في الانسان نفس وروح؛ فإذا نام خرجت نفسه، وإذا مات خرجتا معاً، وهذا يؤدّي إلى أنّ النفس والروح غير الإنسان.

خاتمة: قوله عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» قال بعض العلماء: الروح لطيفة لاهوتيّة في صفة ناسوتيّة، دالّة من عشرة أوجه على وحدانيّة ربّانية:

١ - لما حرّكت الهيكل ودبّرته علمنا أنّه لا بدّ للعالم من محرّك ومدبّر.

٢ - دلّت وحدتها على وحدته.

٣ - دلّ تحريكها للجسد على قدرته.

٤ - دلّ اطّلاعها على ما في الجسد على علمه.

٥ - دلّ استواؤها إلى الأعضاء على استوائه إلى خلقه.

٦ - دلّ تقدّمها عليه وبقاؤها بعده على أزله وأبده.

٧ - دلّ عدم العلم بكيفيّتها على عدم الإحاطة به.

٨ - دلّ عدم العلم بمحلّها من الجسد على عدم أينيّته.

٩ - دلّ عدم مسّها على امتناع مسّه.

١٠ - دلّ عدم إبصارها على استحالة رؤيته.

المقصد الثاني: الروح

فزعمت الفلاسفة أنّ في البدن أرواحاً وأنفساً يعبّرون عنها بالقوى: منها الروح الطبيعيّ الّتي يشترك فيها جميع الأجساد النامية، ومحلّها الكبد. ومنها الروح الحيوانيّ وهي الّتي يشترك فيها الحيوانات، ومحلّها من الانسان القلب. ومنها النفسانيّ وهي من فيض النفس الناطقة أو العقل، ومحلّها الدماغ، وهي المدبّرة للبدن. وعندنا أنّ هذه الأرواح معان يخلقها الله تعالى في هذه المحالّ، ثمّ أثبتوا قوى أُخر في المعدة: الماسكة، والهاضمة، والجاذبة، والدافعة. وعندنا أيضاً أنّها معان وليست جواهر، لتماثل الجواهر، ولو كان بعض الجواهر روحاً لنفسه لكان كلّ جوهر كذلك فيستغني كلّ جزء عن أن يكون له روح غير نفسه، فبطل بذلك كون روح الجسد من نفسه.

إن قالوا الروح الباقي عرض واعترض في الروح الأوّل. قلنا: فلم لا يجوز أن يكون روح هذا الجسد الظاهر عرضاً هو الحياة؟ والله خالق الموت والحياة، فإن كانت جوهراً والموت عرض امتنع أن يبطل حكمها، لأنّ العرض لا يضادّ الجوهر، وعند معظم أهل الفلاسفة والطبّ: أنّ الروح من بخار الدم تتصاعد فتبقى ببقائها.

واعلم أنّ اسم الروح مشترك باللّفظ بين عشر معان: (أ) الوحي (ب) جبرئيل (ج) عيسى (د) الاسم الأعظم (ه) ملك عظيم الجثّة (و) الرحمة (ز) الراحة (ح) الإنجيل (ط) القرآن (ى) الحياة أو سببها.

وقال الباقلانيّ والإسفرايينيّ وابن كيّال وغيرهم: إنّ الروح هي الحياة، وهي عرض خاصّ، وليست شيئاً من بقيّة الأعراض المعتدلة والمحسوسة. لجواز زوالها مع بقاء الروح.

إن قيل: فكيف يكون الروح هو الحياة والله له حياة وليس له روح؟

قلنا: أسماء الله تعالى سبحانه توقيفيّة لا تبلغ من الآراء، فإنّ الله تعالى عليم ولا يسمّى دارياً ولا شاعراً ولا فقيهاً ولا فهيماً، والله تعالى قادر مبين ولا يسمّى شجاعاً ولا مستطيعاً.

إن قيل: كيف يكون الروح هو الحياة وفي الأخبار أنّ الأرواح تنتقل إلى علّيّين وإلى سجّين وإلى قناديل تحت العرش وإلى حواصل طير خضر، والحياة لا تنتقل؟

قلنا: يجوز أن تنتقل أجزاء أحياء وتسمّى أرواحاً لأنّها محالّ الروح وهي الحياة تسميةً للمحلّ باسم معنى فيه، كما يسمّى المسجد صلاة في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾[1] أو نقول: المنتقل أمثال الأرواح، يخلقها الله وتسمّى «أرواحاً نورانيّة» إن كانت قائمة بذوات المطيعين طيّبة تصلّي عليها الملائكة، و«ظلمانيّة منتنة» إن كانت قائمة بذوات المسيئين تلعنها الملائكة، مثل ما ورد في الأخبار: تصعد صلاة المحسن طيّبة مضيئة، وصلاة المسيء منتنة مظلمة؛ وأنّ سورة البقرة وآل عمران تأتيان كأنّهما غمامتان؛ والله يبعث الأيّام على هيئتها؛ ويبعث يوم الجمعة أزهر؛ وأنّه يؤتى بكبش أملح فيذبح ويقال: هذا الموت، وإنّ الأعمال توزن. وإنّما هي أمثلة يخلقها الله.

إن قيل: إنّ الله وصف النفس الّتي هي الروح بالإرسال والامساك في قوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ - الآية - والحياة لا توصف بذلك.

قلنا: قد سلف أنّ النفس يقال على معان منها الروح، ومنها العقل والتميز وهذان هما المراد من قوله: ﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ - الآية - وأطلق على النائم لعدم الدفع والنفع، ومنه سمّى الله الكفّار أمواتاً في قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لعدم النفع.

إن قيل: في الحديث: أنّ الأرواح جنود في الهواء، والحياة لا تكون في الهواء.

قلنا: محمول على الذريّة الّتي خرجت من آدم. وفي هذا نظر لمخالفة ظاهر الآية، إذ فيها: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾[2] أو أنّ الأرواح هنا القلوب، لأنّ التعارف والتساكن فيها.

إن قيل: في الحديث: خلق الله الأرواح قبل الأجساد، ولا يصحّ ذلك في الحياة.

قلنا: لا يعلم صحّته، أو المراد بالأرواح الملائكة، فإنّ جبرئيل روح والملك العظيم الجثّة روح، والروحانيّون صنف منهم أيضاً.

والظاهر من كلام أبي الحسن وجماعة أنّ الروح أجسام لطيفة. فقيل: ليست معيّنة. وقال الجوينيّ: هي ماسكة الأجسام المحسوسة، أجرى الله العادة باستمرار الحياة ما استمرّت. وكان ابن فورك يقول: هو ما يجري في تجاويف الأعضاء، ولهذا جوّز «أبو منصور البغداديّ» قيام الحياة بالشعر، إذ لا يشترط في محلّها التجويف، ولم يجوّز قيام الروح لاشتراط التجويف، وليس في الشعر تجويف. واستدلّوا على كونها جسماً بوصف الله لها ببلوغ الحلقوم، وبالارسال، وبالرجوع، وبالفزع، وبقوله: من نام على وضوء يؤذن لروحه أن تسجد عند العرش. وعلى هذا اختلف في تكليفها: فقيل: ليست مكلّفة، وقيل: بل مكلّفة بأفعال غير أفعال البدن: المحبّة وضدّها، وأنّ له حياة وأفعالها اقتناء الأفعال الحميدة

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

واجتناب الذميمة، وأوردوا في ذلك ما أورده الخيريّ في تفسيره قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾(١) أنّ النفس والروح يجيئان بين يدي الله فيختصمان، فتقول النفس: كنت كالثوب لم أقترف ذنباً ما لم تدخل فيّ، ويقول الروح: كنت مخلوقاً قبلك بدهور ولم أدر ما الذنب إلى أن دخلت فيك، فيتمثّل الله لهما أعمى ومقعداً وكرماً على الجدار ويأمرهما بالاقتطاف، فيقول الأعمى: لا أبصر، ويقول المقعد: لا أمشي. فيقول له: اركب الأعمى واقتطف. فيقول: هذا مثالكما، فكما صار العنب بكما مقطوفاً صار الذنب بكما معروفاً.

ومن قال الروح هي الحياة قال المراد بالروح في هذا القول القلب، لأنّه به حياة الجسد. وقد روى في حلية الأولياء عن سلمان ﷺ أنّه قال: مثل القلب والجسد مثل الأعمى والمقعد، قال المقعد: أرى ثمرة ولا أستطيع القيام فاحملني، فحمله فأكل وأطعمه. وهذا أولى لأنّ فعل الجسد إنّما يكون طاعة ومعصية بعزيمة القلب، ولهذا قال عليه السلام: إنّ في الجسم لمضغة إذا صلحت صلح سائره، وإذا فسدت فسد سائره وهي القلب.

تذنيب: قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ إن قيل: كيف أبهم الله الجواب؟ قلنا: فيه وجوه.

(أ) قال الكتابيّون للمشركين: اسألوا محمّداً عنه فإن توقّف فيه فهو نبيّ فسألوه فأجاب بذلك، وقوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ عنى اليهود، قالوا: أوتينا التوراة وفيها علم كلّ شيء.

(ب) كان قصدهم بالسؤال تخجيل النبيّ ﷺ فإنّ الروح لمّا قيل على معان مختلفة كما سلف، حتّى لو أجاب بواحد منها قالوا ما نريد هذا، فأبهموا السؤال فأبهم الجواب بما ينطبق على الجميع بأنّه من أمر الله، أي أنّه أحدثه بقوله ﴿كُن﴾ أو هو من شأنه وخلقه.

(ج) عن ابن عبّاس أنّهم سألوا عن جبرئيل لأنّهم كانوا يدّعون معاداته.

(د) عن عليّ عليه السلام: أنّهم سألوا عن الملك العظيم الجثّة.

(هـ) لو أريد الروح الّتي في البدن لم يكن في الآية دليل على أنّه لا يعلمها إلاّ الله.

هذا آخر ما وجدنا من الرسالة، ولم نتكلّم على ما فيها إحالةً على أفهام الناظرين فخذ منها ما صفا، ودع ما كدر.

تتمة: أقول: بعدما أحطت خبراً بما قيل في هذا الباب من الأقوال المتشتّتة، والآراء المتخالفة، وبعض دلائلهم عليها، لا يخفى عليك أنّه لم يقم دليل عقليّ على التجرّد، ولا على المادّيّة، وظواهر الآيات والأخبار تدلّ على تجسّم الروح والنفس وإن كان بعضها قابلاً للتأويل؛ وما استدلّوا به على التجرّد لا يدلّ دلالة صريحة عليه وإن كان في بعضها إيماء إليه،

---

(١) سورة النحل، الآية: ١١١.

فما يحكم به بعضهم من تكفير القائل بالتجرّد إفراط وتحكّم كيف وقد قال به جماعة من علماء الإماميّة ونحاريرهم؟! وجزمُ القائلين بالتجرّد أيضاً بمحض شبهات ضعيفة مع أنّ ظواهر الآيات والأخبار تنفيه أيضاً جرأة وتفريط فالأمر مردّد بين أن يكون جسماً لطيفاً نورانيّاً ملكوتيّاً داخلاً في البدن، تقبضه الملائكة عند الموت، وتبقى معذّباً أو منعّماً بنفسه أو بجسد مثاليّ يتعلّق به كما مرّ في الأخبار؛ أو يلهى عنه إلى أن ينفخ في الصور - كما في المستضعفين - ولا استبعاد في أن يخلق الله جسماً لطيفاً يبقيه أزمنةً متطاولة، كما يقول المسلمون في الملائكة والجنّ؛ ويمكن أن يرى في بعض الأحوال بنفسه أو بجسده المثاليّ، ولا يرى في بعض الأحوال بنفسه أو بجسده بقدرة الله سبحانه. أو يكون مجرّداً يتعلّق بعد قطع تعلّقه عن جسده الأصليّ بجسد مثاليّ، ويكون قبض الروح وبلوغها الحلقوم وأمثال ذلك تجوّزاً عن قطع تعلّقها، أو أجري عليها أحكام ما تعلّقت أوّلاً به - وهو الروح الحيوانيّ البخاريّ - مجازاً.

ثمّ الظاهر من الأخبار أنّ النفس الانسانيّ غير الروح الحيوانيّ، وغير سائر أجزاء البدن المعروفة وأمّا كونها جسماً لطيفاً خارجاً من البدن محيطاً به أو متعلّقاً به فهو بعيد، ولم يقل به أحد، وإن كان يستفاد من ظواهر بعض الأخبار كما عرفت.

وقد يستدلّ على بطلان القول بوجود مجرّد سوى الله بقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ وهو ضعيف، إذ يمكن أن يكون تجرّده سبحانه مبايناً لتجرّد غيره، كما القول في السمع والبصر والقدرة وغيرها.

وقد يستدلّ على نفيه بما سبق من الأخبار الدالّة على أنّ الوحدة مختصّة به تعالى، وأنّ غيره سبحانه متجزّىء كخبر فتح بن يزيد، عن أبي الحسن عليه السلام وقال في آخره: والانسان واحد في الاسم، لا واحد في المعنى، والله جلّ جلاله هو واحد لا واحد غيره، ولا اختلاف فيه ولا تفاوت، ولا زيادة ولا نقصان، وأمّا الانسان المخلوق المصنوع المؤلّف من أجزاء مختلفة وجواهر شتّى، غير أنّه بالاجتماع شيء واحد. وعن أبي جعفر الثاني عليه السلام في حديث طويل: ولكنّه القديم في ذاته، وما سوى الواحد متجزّىء، والله الواحد لا متجزّىء ولا متوهّم بالقلّة والكثرة، وكلّ متجزّىء أو متوهّم بالقلّة والكثرة فهو مخلوق دالّ على خالق له. وعن أمير المؤمنين عليه السلام: لا تشبهه صورة، ولا يحسّ بالحواسّ، ولا يقاس بالناس، قريب في بعده، بعيد في قربه، فوق كلّ شيء، ولا يقال شيء فوقه، أمام كلّ شيء ولا يقال له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء داخل، وخارج من الأشياء لا كشيء خارج، سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره. فإنّ هذه الأخبار وغيرها ممّا مرّ في كتاب التوحيد تدلّ على اختصاص تلك الصفات بالله تعالى، وعلى القول بوجود مجرّد سوى الله كانت مشتركة مع الله سبحانه فيها، لا سيّما في العقول الّتي ينفون عنها التغيّر والتبدّل. ولا يخلو من قوّة، لكن للكلام فيه مجال والله يعلم حقائق الأمور وحججه عليهم السلام.

وأقول: لمّا انتهى الكلام في هذا الباب إلى بعض الاطناب لكونه من أهمّ المطالب وأقصى المآرب فلا بأس بأن نذكر بعض المطالب المهمّة من أحوال النفس وشؤونها في فوائد:

الأولى: في بيان اتّحاد حقيقة النفوس البشريّة بالنوع. قال نصير الملّة والدين ﷺ في التجريد: ودخولها تحت حدّ واحد يقتضي وحدتها. وقال العلاّمة - رفع الله مقامه -: اختلف الناس في ذلك فذهب الأكثر إلى أنّ النفوس البشريّة متّحدة في النوع، متكثّرة بالشخص، وهو مذهب أرسطو؛ وذهب جماعة من القدماء إلى أنّها مختلفة بالنوع؛ واحتجّ المصنّف على وحدتها بأنّها يشملها حدّ واحد والأمور المختلفة يستحيل اجتماعها تحت حدّ واحد، وعندي في هذا نظر[1]. وقال شارح المقاصد: ذهب جمع من قدماء الفلاسفة إلى أنّ النفوس الحيوانيّة والانسانيّة متماثلة متّحدة الماهيّة، واختلاف الأفعال والادراكات عائد إلى اختلاف الآلات، وهذا لازم على القائلين بأنّها أجسام، والأجسام متماثلة، إذ لا تختلف إلاّ بالعوارض. وأمّا القائلون بأنّ النفوس الانسانيّة مجرّدة فذهب الجمهور منهم إلى أنّها متّحدة الماهيّة، وإنّما تختلف في الصفات والملكات واختلاف الأمزجة والأدوات؛ وذهب بعضهم إلى أنّها مختلفة بالماهيّة، بمعنى أنّها جنس تحته أنواع مختلفة، تحت كلّ نوع أفراد متّحدة الماهيّة، بمعنى أنّها جنس تحته أنواع مختلفة، تحت كلّ نوع أفراد متّحدة الماهيّة، متناسبة الأحوال، بحسب ما يقتضيه الروح العلويّ، المسمّى بالطباع التامّ لذلك النوع. ويشبه أن يكون قوله عليه السلام: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضّة» وقوله عليه السلام: «الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» إشارة إلى هذا. وذكر الامام في المطالب العالية أنّ هذا المذهب هو المختار عندنا.

وأمّا بمعنى أن يكون كلّ فرد منها مخالفاً بالماهيّة لسائر الأفراد، حتّى لا يشترك منهم اثنان في الحقيقة، فلم يقل به قائل تصريحاً، كذا ذكره أبو البركات في المعتبر.

احتجّ الجمهور: بأنّ ما يعقل من النفس ويجعل لها حدّاً معنى واحد مثل الجوهر المجرّد المتعلّق بالبدن، والحدّ تمام الماهيّة. وهذا ضعيف، لأنّ مجرّد التحديد بحدّ واحد لا يوجب الوحدة النوعيّة، إذ المعاني الجنسيّة أيضاً كذلك كقولنا: الحيوان جسم حسّاس متحرّك بالارادة. وإن ادّعى أنّ هذا مقول في جواب السؤال بما هو عن أيّ فرد وأيّ طائفة فهو ممنوع، بل ربما يحتاج إلى ضمّ مميّز جوهريّ. وقد يحتجّ بأنّها مشاركة في كونها نفوساً بشريّة، فلو تخالفت بفصول مميّزة لكانت من المركّبات دون المجرّدات. والجواب بعد تسليم كون النفسيّة من الذاتيّات دون العرضيّات: أنّ التركيب العقليّ من الجنس والفصل لا ينافي التجرّد ولا يستلزم الجسميّة.

---

(١) كشف المراد، ص ١٨٧.

واحتج الآخرون: بأنّ اختلاف النفوس في صفاتها لو لم يكن لاختلاف ماهيّاتها بل لاختلاف الأمزجة والأحوال البدنيّة والأسباب الخارجيّة لكانت الأشخاص المتقاربة جدّاً في أحوال البدن والأسباب الخارجة متقاربة البتّة في الملكات والأخلاق من الرحمة والقسوة والكرم والبخل والعفّة والفجور وبالعكس، واللازم باطل، إذ كثيراً ما يوجد الأمر بخلاف ذلك، بل ربما يوجد الانسان الواحد يبدّل مزاجه جدّاً وهو على غريزته الأولى. ولا خفاء في أنّ هذا من الاقناعيّات الضعيفة، لجواز أن يكون ذلك لأسباب أخر لا نطّلع على تفاصيلها.

الثانية: تساوي الأرواح والأبدان. قال شارح المقاصد: كلّ نفس يعلم بالضرورة أن ليس معها في هذا البدن نفس أُخرى تدبّر أمره، وأن ليس لها تدبير وتصرّف في بدن آخر، فالنفس مع البدن على التساوي، ليس لبدن واحد إلاّ نفس واحدة، ولا تتعلّق نفس واحدة إلاّ ببدن واحد. أمّا على سبيل الاجتماع فظاهر، وأمّا على سبيل التبادل والانتقال من بدن إلى آخر فلوجوه:

الأول: أنّ النفس المتعلّقة بهذا البدن لو كانت منتقلة إليه من بدن آخر لزم أن يتذكّر شيئاً من أحوال ذلك البدن، لأنّ العلم والحفظ والتذكّر من الصفات القائمة بجوهرها الّذي لا يختلف باختلاف أحوال البدن، واللازم باطل قطعاً.

الثاني: أنّها لو تعلّقت بعد مفارقة هذا البدن ببدن آخر لزم أن يكون عدد الأبدان الهالكة مساوياً لعدد الأبدان الحادثة، لئلاّ يلزم تعطّل بعض النفوس، أو اجتماع عدّة منها على التعلّق ببدن واحد، أو تعلّق واحد منها بأبدان كثيرة معاً لكنّا نعلم قطعاً بأنّه قد يهلك في مثل الطوفان العامّ أبدان كثيرة لا يحدث مثلها إلاّ في أعصار متطاولة.

الثالث: أنّه لو انتقل نفس إلى بدن لزم أن يجتمع فيه نفسان: منتقلة، وحادثة؛ لأنّ حدوث النفس عن العلّة القديمة يتوقّف على حصول الاستعداد في القابل أعني البدن، وذلك بحصول المزاج الصالح، وعند حصول الاستعداد في القابل يجب حدوث النفس، لما تقرّر من لزوم وجود المعلول عند تمام العلّة.

لا يقال: لا بدّ مع ذلك من عدم المانع، ولعلّ تعلّق المنتقلة مانع، وتكون لها الأولويّة في المنع لما لها من الكمال.

لأنا نقول: لا دخل للكمال في اقتضاء التعلّق، بل ربما يكون الأمر بالعكس فإذن ليس منع الانتقال للحدوث أولى من منع الحدوث للانتقال.

واعترض على الوجوه الثلاثة بعد تسليم مقدّماتها: بأنّها إنّما تدلّ على أنّ النفس بعد مفارقة البدن لا تنتقل إلى بدن آخر إنسانيّ، ولا يدلّ على أنّها لا تنتقل إلى حيوان آخر من البهائم والسباع وغيرهما على ما جوّزه بعض التناسخيّة وسمّاه مسخاً؛ ولا إلى نبات على ما

جوّزه بعضهم وسمّاه فسخاً؛ ولا إلى جماد على ما جوّزه آخر وسمّاه رسخاً؛ ولا إلى جرم سماويّ على ما يراه بعض الفلاسفة.

وإنّما قلنا: بعد تسليم المقدّمات، لأنّه ربما يعترض على الوجه الأوّل بمنع لزوم التذكّر، وإنّما يلزم لو لم يكن التعلّق بذلك البدن شرطاً، والاستغراق في تدبير البدن الآخر مانعاً، أو طول العهد منسياً. وعلى الثاني بمنع لزوم التساوي، وإنّما يلزم لو كان التعلّق ببدن آخر لازماً البتّة وعلى الفور، وأمّا إذا كان جائزاً أو لازماً ولو بعد حين فلا، لجواز أن لا يتنقل نفوس الهالكين الكثيرين، أو يتنقل بعد حدوث الأبدان الكثيرة. وما توهّم من التعطيل مع أنّه لا حجّة على بطلانه فليس بلازم، لأنّ الابتهاج بالكمالات أو التألّم بالجهالات شغل. وعلى الثالث: بأنّه مبنيّ على حدوث النفس وكون المزاج مع الفاعل تمام العلّة، بحيث لا مانع أصلاً والكلّ في حيّز المنع.

ثم قال: وليس للتناسخيّة دليل يعتدّ به، وغاية ما تمسّكوا به في إثبات التناسخ على الاطلاق أي انتقال النفس بعد المفارقة إلى جسم آخر إنسانيّ أو غيره وجوه:

الأول: أنّها لو لم تتعلّق لكانت معطّلة، ولا تعطيل في الوجود. وكلتا المقدّمتين ممنوعة.

الثاني: أنّها مجبولة على الاستكمال، والاستكمال لا يكون إلاّ بالتعلّق، لأنّ ذلك شأن النفوس، وإلاّ كانت عقلاً لا نفساً. وردّ بأنّه ربما كان الشيء طالباً لكماله ولا يحصل لزوال الأسباب والآلات، بحيث لا يحصل لها البدن.

الثالث: أنّها قديمة، فتكون متناهية العدد، لامتناع وجود ما لا يتناهى بالفعل بخلاف ما لا يتناهى من الحوادث كالحركات والأوضاع وما يستند إليها، فإنّها إنّما تكون على سبيل التعاقب دون الاجتماع، والأبدان مطلقاً بل الأبدان الانسانيّة خاصّة غير متناهية، لأنّها من الحوادث المتعاقبة، المستندة إلى ما لا يتناهى من الدورات الفلكيّة وأوضاعها. فلو لم يتعلّق كلّ نفس إلاّ ببدن واحد لزم توزّع ما يتناهى على ما لا يتناهى، وهو محال بالضرورة.

وردّ بمنع قدم النفوس، ومنع لزوم تناهي القدماء لو ثبت، فإن الأدلّة إنّما تمّت فيما له وضع وترتيب، ومنع لاتناهي الأبدان وعللها، ومنع لزوم أن يتعلّق بكلّ بدن نفس. وإن أريد الأبدان الّتي صارت إنساناً بالفعل اقتصر على منع لاتناهيها.

ثم قال: وقد يتوهّم أنّ من شريعتنا القول بالتناسخ، فإنّ مسخ أهل المائدة قردة وخنازير ردّ لنفوسهم إلى أبدان حيوانات أخر، والمعاد الجسمانيّ ردّ لنفوس الكلّ إلى أبدان أخر إنسانيّة، للقطع بأنّ الأبدان المحشورة لا تكون الأبدان الهالكة بعينها، لتبدّل الصور والأشكال بلا نزاع.

والجواب: أنّ المتنازع هو أنّ النفوس بعد مفارقتها الأبدان تتعلّق في الدنيا بأبدان أخر

للتدبير والتصرّف والاكتساب، لا أن تتبدّل صور الأبدان كما في المسخ أو أن تجتمع أجزاؤها الأصليّة بعد التفرّق، فتردّ إليها النفوس كما في المعادن على الاطلاق، وكما في إحياء عيسى عليه السلام بعض الأشخاص.

وقال السيّد المرتضى رحمه الله حين سأله سائل: تأوّل سيّدنا - أدام الله نعماءه - ما ورد في المسوخ مثل الدبّ والقرد والفيل والخنزير وما شاكل ذلك، على أنّها كانت على خلق جميلة غير منفور عنها، ثمّ جعلت هذه الصور المسيئة على سبيل التنفير عنها والزيادة في الصدّ عن الانتفاع بها وقال: لأنّ بعض الأحياء لا يجوز أن يصير حيّاً آخر غيره، إذا أريد بالمسخ هذا فهو باطل؛ وإن أريد غيره نظرنا فيه، فما جواب من سأل عند سماع هذا عن الأخبار الواردة عن النبيّ والأئمّة عليهم السلام بأنّ الله تعالى يمسخ قوماً من هذه الأمّة قبل يوم القيامة كما مسخ في الأمم المتقدّمة، وهي كثيرة لا يمكن الاطالة بحصرها في كتاب. وقد سلّم الشيخ المفيد رحمه الله صحّتها وضمّن ذلك الكتاب الّذي وسمه بالتمهيد، وأحال القول بالتناسخ، وذكر أنّ الأخبار المعوّل عليها لم ترد إلاّ بأنّ الله تعالى يمسخ قوماً قبل يوم القيامة. وقد روى النعمانيّ كثيراً من ذلك، يحتمل النسخ والمسخ معاً، فمما رواه ما أورده في كتاب «التسلّي والتقوّي» وأسنده إلى الصادق عليه السلام حديث طويل يقول في آخره: وإذا احتضر الكافر حضره رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام وجبرئيل وملك الموت عليه السلام، فيدنو إليه عليّ عليه السلام فيقول: يا رسول الله! إنّ هذا كان يبغضنا أهل البيت فأبغضه. فيقول رسول الله: يا جبرئيل! إنّ هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأبغضه. فيقول جبرئيل لملك الموت: إنّ هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيته فأبغضه واعنف به، فيدنو منه ملك الموت فيقول: يا عبد الله! أخذت فكاك رقبتك؟ أخذت أمان براءتك؟ تمسّكت بالعصمة الكبرى في دار الحياة الدنيا؟ فيقول: وما هي؟ فيقول: ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام فيقول: ما أعرفها ولا أعتقد بها. فيقول له جبرئيل: يا عدوّ الله وما كنت تعتقد؟ فيقول: كذا وكذا، فيقول له جبرئيل: أبشر يا عدوّ الله بسخط الله وعذابه في النار! أمّا ما كنت ترجو فقد فاتك، وأمّا الّذي كنت تخافه فقد نزل بك، ثمَّ يسلُّ نفسه سلاًّ عنيفاً، ثمَّ يوكل بروحه مائة شيطان كلّهم يبصق في وجهه ويتأذّى بريحه، فإذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب النار، يدخل عليه من فوح ريحها ولهبها. ثمّ إنّه يؤتى بروحه إلى جبال برهوت، ثمَّ إنّه يصير في المركّبات حتّى أنّه يصير في دودة بعد أن يجري في كلّ مسخ مسخوط عليه، حتّى يقوم قائمنا أهل البيت فيبعثه الله ليضرب عنقه وذلك قوله: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[1] والله لقد أتي بعمر بن سعد بعدما قتل، وإنّه لفي صورة قرد في عنقه سلسلة فجعل يعرف أهل الدار وهم لا يعرفونه، والله لا يذهب الدنيا حتّى يمسخ عدوّنا مسخاً ظاهراً، حتّى أنّ الرجل منهم

(١) سورة غافر، الآية: ١١.

ليمسخ في حياته قرداً أو خنزيراً، ومن ورائهم عذاب غليظ ومن ورائهم جهنّم وساءت مصيراً.

والأخبار في هذا المعنى كثيرة قد جازت عن حدّ الآحاد، فإن استحال النسخ وعوّلنا على أنّه أُلحق بها ودلّس فيها وأُضيف إليها فماذا يحيل المسخ وقد صرّح به فيها وفي قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾(١) وقوله ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾(٢) وقوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾(٣)؟

والأخبار ناطقة بأنّ معنى هذا المسخ هو إحالة التغيير عن بنية الانسانيّة إلى ما سواها. وفي الخبر المشهور عن حذيفة أنّه كان يقول: أرأيتم لو قلت لكم إنّه يكون فيكم قردة وخنازير أكنتم مصدّقيّ؟ فقال رجل: يكون فينا قردة وخنازير؟! قال: وما يؤمنك من ذلك لا أمّ لك. وهذا تصريح بالمسخ، وقد تواتر الأخبار بما يفيد أنّ معناه تغيير الهيئة والصورة. وفي الأحاديث أنّ رجلاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام وقد حكم عليه بحكم: والله ما حكمت بالحقّ! فقال له: إخسأ كلباً، وإنّ الأثواب تطايرت عنه وصار كلباً يمصع بذنبه. وإذا جاز أن يجعل الله جلّ وعزّ الجماد حيواناً فمن ذا الّذي يحيل جعل حيوان في صورة حيوان آخر؟

فأجاب - قدّس سرّه -: اعلم أنّا لم نحل المسخ، وإنّما أحلنا أن يصير الّذي كان إنساناً يصير بهيمةً، لا أنّه يتغيّر صورته إلى صورة البهيمة والأصل في المسخ قوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ وقد تأوّل قوم من المفسّرين آيات القرآن الّتي في ظاهرها المسخ على أنّ المراد بها أنّا حكمنا بنجاستهم، وخسّة منزلتهم، وإيضاع أقدارهم لمّا كفروا وخالفوا، فجروا بذلك مجرى القرود الّتي لها هذه الأحكام، كما يقول أحدنا لغيره: ناظرت فلاناً وأقمت عليه الحجّة حتّى مسخته كلباً، على هذا المعنى. وقال آخرون: بل أراد بالمسخ أنّ الله تعالى غيّر صورهم وجعلهم على صور القرود على سبيل العقوبة لهم والتنفير عنهم وذلك جائز مقدور لا مانع له. وهو أشبه بالظاهر وأمرّ عليه، والتأويل الأوّل ترك الظاهر وإنّما تترك الظواهر لضرورة، وليست ههنا.

فإن قيل: فكيف يكون ما ذكرتم عقوبة؟ قلنا: هذه الخلقة إذا ابتدئت لم تكن عقوبة، وإذا غيّر الحيّ المخلوق على الخلقة التامّة الجميلة إليها كان ذلك عقوبة لأنّ تغيّر الحال إلى ما ذكرناه يقتضي الغمّ والحسرة.

فإن قيل: فيجب أن يكون مع تغيّر الصورة ناساً قردة، وذلك متناف. قلنا: متى تغيّرت صورة الانسان إلى صورة القرد لم يكن في تلك الحال إنساناً، بل كان انساناً مع البِنية

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٥.
(٣) سورة يس، الآية: ٦٧.

الأولى، واستحقّ الوصف بأنّه قرد لمّا صار على صورته، وإن كان الحيّ واحداً في الحالين لم يتغيّر، ويجب فيمن مسخ قرداً على سبيل العقوبة له أن يذمّه مع تغيّر الصورة على ما كان منه من القبائح، لأنّ تغيّر الهيئة والصورة لا يوجب الخروج عن استحقاق الذمّ، كما لا يخرج المهزول إذا سمن عمّا كان يستحقّه من الذمّ؛ وكذا السمين إذا هزل.

فإن قيل: فيقولون إنّ هؤلاء الممسوخين تناسلوا، وإنّ القردة في أزماننا هذه من نسل أولئك. قلنا: ليس يمتنع أن يتناسلوا بعد أن مسخوا، لكنّ الاجماع حاصل على أنّه ليس شيء من البهائم من أولاد آدم، ولولا هذا الاجماع لجوّزنا ما ذكر. وعلى هذه الجملة الّتي قرّرناها لا ينكر صحّة الأخبار الواردة من طرقنا بالمسخ لأنها كلّها يتضمّن وقوع ذلك على من يستحقّ العقوبة والذمّ من الأعداء والمخالفين.

فإن قيل: أفتجوّزون أن يغيّر الله تعالى صورة حيوان جميلة إلى صورة أُخرى غير جميلة، بل مشوّهة منفور عنها، أم لا تجوّزون؟ قلنا: إنّما أجزنا في الأوّل ذلك على سبيل العقوبة لصاحب هذه الخلقة الّتي كانت جميلة ثمّ تغيّرت، لأنّه يغتمّ بذلك ويتأسّف، وهذا الغرض لا يتمّ في الحيوان الّذي ليس بمكلّف، فتغيير صورهم عبث، فإن كان في ذلك غرض يحسن لمثله جاز (انتهى).

وظاهر كلامه رحمه الله أوّلاً وآخراً أنّه عند المسخ يخرج عن حقيقة الانسانيّة ويدخل في نوع آخر، وفيه نظر، والحقّ أنّ امتياز نوع الانسان إذا كان بهذا الهيكل المخصوص وهذا الشكل والتخطيط والهيئة فلا يكون هذا إنساناً، بل قرداً وخنزيراً وإن كان امتيازه بالروح المجرّد أو الساري في البدن - كما هو الأصوب - كانت الانسانيّة باقية غير ذاهبة، وكان إنساناً في صورة حيوان، ولم يخرج من نوع الانسان ولم يدخل في نوع آخر. وقد روي عن أبي جعفر عليه السلام أنّ الفرقة المعتزلة عن أهل السبت لمّا دخلوا قريتهم بعد مسخهم، عرفت القردة أنسابها من الإنس، ولم يعرف الإنس أنسابها من القردة، فقال القوم للقردة: ألم ننهكم؟. وفي تفسير العسكريّ عليه السلام: فمسخهم الله كلّهم قردة وبقي باب المدينة مغلقاً لا يخرج منهم أحد ولا يدخل إليهم أحد، وتسامع بذلك أهل القرى، فقصدوهم وتسنّموا حيطان البلد فاطّلعوا عليهم، فإذا كلّهم رجالهم ونساؤهم قردة يموج بعضهم في بعض، يعرف هؤلاء الناظرون معارفهم وقراباتهم وخلطاءهم يقول المطّلع لبعضهم: أنت فلان، أنت فلان؟ فتدمع عينه ويومىء برأسه، أي نعم. فهذان الخبران يدلان على أنّهم لم يتخلّعوا من الانسانيّة، وكان فيهم العقل والشعور إلاّ أنّهم كانوا لا يقدرون على التكلّم.

قال النيسابوريّ في قوله سبحانه: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾: عن مجاهد أنّه مسخ قلوبهم، بمعنى الطبع والختم، لا أنّه مسخ صورهم، وهو مثل قوله: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾.

واحتجّ بأنّ الانسان هو هذا الهيكل المحسوس، فإذا أبطله وخلق مكانه تركيب القرد

رجع حاصل المسخ إلى إعدام الأعراض الّتي باعتبارها كان ذلك الجسم إنساناً وإيجاد أعراض أُخر باعتبارها صار قرداً. وأيضاً لو جوّزنا ذلك لم نؤمن في كلّ ما نراه قرداً وكلباً أنّه كان إنساناً عاقلاً، وذلك شكّ في المشاهدات.

وأجيب: بأنّ الانسان ليس هذا الهيكل، لتبدّله بالسمن والهزال، فهو أمر وراء ذلك، إمّا جسمانيّ سارٍ في جميع البدن، أو جزء في جانب من البدن كقلب أو دماغ، أو مجرّد كما تقوله الفلاسفة، وعلى التقادير فلا امتناع في بقاء ذلك الشيء مع تطرّق التغيّر إلى هذا الهيكل، وهذا هو المسخ، وبهذا التأويل يجوز في الملك الّذي تكون جثّته في غاية العظم أن يدخل حجرة الرسول ﷺ ولأنّه لم يتغيّر منهم إلاّ الخلقة والصورة، والعقل والفهم باقٍ، فإنّهم يعرفون ما نالهم بشؤم المعصية من تغيّر الخلقة، وتشويه الصورة، وعدم القدرة على النطق، وسائر الخواصّ الانسانيّة، فيتألّمون بذلك ويتعذّبون. ثمّ أولئك القرود بقوا أو أفناهم الله؟ وإن بقوا فهذه القرود الّتي في زماننا من نسلهم أم لا؟ الكلّ جائز عقلاً، إلاّ أنّ الرواية عن ابن عبّاس: أنّهم ما مكثوا إلاّ ثلاثة أيّام، ثمّ هلكوا (انتهى).

وأقول: قد ورد في أخبارنا أيضاً موافقاً لما روي عن ابن عبّاس، كما في تفسير العسكريّ عليه السلام: كانوا كذلك ثلاثة أيّام، ثمّ بعث الله عليهم ريحاً ومطراً فجرّ بهم إلى البحر وما بقي مسخ بعد ثلاثة أيّام: وأمّا الّتي ترون من هذه المصوّرات بصورها فإنّما هي أشباهها لا هي بأعيانها ولا من نسلها.

وروى الصدوق في العلل بإسناده عن عبد الله بن الفضل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال: إنّ أولئك مسخوا ثلاثة أيّام، ثمّ ماتوا ولم يتناسلوا، وإنّ القردة اليوم مثل أولئك؛ وكذلك الخنزير وسائر المسوخ ما وجد منها اليوم من شيء فهو مثله، لا يحلّ أن يؤكل لحمه (الخبر).

وروى في العيون بإسناده عن عليّ بن محمّد بن الجهم قال: سمعت المأمون يسأل الرضا عليه السلام عمّا يرويه الناس من أمر الزهرة، وأنّها كانت امرأةً فتن بها هاروت وماروت؛ وما يروونه من أمر سهيل أنّه كان عشّاراً باليمن. فقال عليه السلام: كذبوا في قولهم أنّهما كوكبان، وإنّهما كانتا دابّتين من دوابّ البحر، فغلط الناس وظنّوا أنّهما الكوكبان، وما كان الله ليمسخ أعداءه أنواراً مضيئة، ثمّ يبقيهما ما بقيت السماء والأرض؛ وإنّ المسوخ لم يبق أكثر من ثلاثة أيّام حتّى ماتت، وما تناسل منها شيء، وما على وجه الأرض اليوم مسخ، وإنّ الّتي وقعت عليها اسم المسوخيّة مثل القرد والخنزير والدبّ وأشباهها، إنّما هي مثل ما مسخ الله عزّ وجلّ على صورها قوماً غضب الله عليهم ولعنهم، بإنكارهم توحيد الله وتكذيبهم رسله (الخبر).

أقول: فقد ثبت بهذه الأخبار أنّ هذه الحيوانات ليست من نسل هؤلاء المسوخ ولا من

نوعهم، وإنّما هي على صورهم. وقد عرفت أنّ المسخ ليس تناسخاً، لأنّ الروح لم ينتقل إلى بدن آخر، وإنّما تغيّرت صورة البدن؛ وأمّا التناسخ بمعنى انتقال الروح من بدن إلى بدن غير الأبدان المثاليّة، فممّا أجمع على نفيه جميع المسلمين وأمّا الأخبار الشاذّة الواردة في ذلك فيشكل التعلّق بظواهرها، كالخبر الّذي أورده السائل؛ فهي إمّا مؤوّلة بالمسخ، أو بتصوّر الأجساد المثاليّة بتلك الصور، كما ذكرنا سابقاً؛ وأمّا في الأجساد المثاليّة فقد تقدّم القول فيها في كتاب المعاد، والله الهادي إلى الرشاد.

قال شارح المقاصد: القول بالتناسخ في الجملة محكيّ عن كثير من الفلاسفة إلاّ أنّه حكاية لا تعضدها شبهة فضلاً عن حجّة، ومع ذلك فالنصوص القاطعة من الكتاب والسنّة ناطقة بخلافها، وذلك أنّهم ينكرون المعاد الجسمانيّ، أعني حشر الأجساد وكون الجنّة والنار داري ثواب وعقاب، ولذّات وآلام حسّيّة، ويجعلون المعاد عبارة عن مفارقة النفوس الأبدان، والجنّة عن ابتهاجها بكمالاتها، والنار عن تعلّقها بأبدان حيوانات أُخر يناسبها فيما اكتسب من الأخلاق وتمكّنت فيها من الهيئات، معذّبة بما يلقى فيها من الذلّ والهوان، مثلاً تتعلّق نفس الحريص بالخنزير؛ والسارق بالفأر والمعجب بالطاووس، والشرير بالكلب، ويكون لها تدريج في ذلك بحسب الأنواع والأشخاص، أي ينزل من بدن إلى بدن هو أدنى في تلك الهيئة المناسبة، مثلاً يبتدىء نفس الحريص من التعلّق ببدن الخنزير ثمّ إلى ما دونه في ذلك، حتّى ينتهي إلى النمل ثمّ يتّصل بعالم العقول عند زوال تلك الهيئة بالكلّيّة.

ثمّ إنّ من المنتمين من التناسخيّة إلى دين الاسلام يروّجون هذا الرأي بالعبارات المهذّبة، والاستعارات المستعذبة، ويصرفون به إليه بعض الآيات الواردة في أصحاب العقوبات اجتراء على الله وافتراء على ما هو دأب الملاحدة والزنادقة، ومن يجري مجراهم من الغاوين المغوين، الّذين هم شياطين الانس الّذين يوحون إلى العوامّ والقاصرين من المحصّلين زخرف القول غروراً.

فمن جملة ذلك ما قالوا في قوله تعالى ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ - أي بالفساد - ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ - أي بالكون - وفي قوله تعالى ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ أي من دركات جهنّم الّتي هي أبدان الحيوانات، وكذا في قوله ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ وفي قوله تعالى ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ - الآية - معناه: أنّهم كانوا مثلكم في الخلق والعلوم والمعايش والصناعات، فانتقلوا إلى أبدان هذه الحيوانات؛ وفي قوله تعالى ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ أي بعد المفارقة؛ وفي قوله تعالى ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي على صور الحيوانات المتنكّسة الرؤوس، إلى غير ذلك من الآيات. ومن نظر في كتب التفسير بل في سياق الآيات لا يخفى عليه فساد هذه الهذيانات.

وجوّز بعض الفلاسفة تعلّق النفوس المفارقة ببعض الأجرام السماويّة للاستكمال

وبعضهم على أنّ نفوس الكاملين تتّصل بعالم المجرّدات؛ ونفوس المتوسّطين تتخلّص إلى عالم المُثُل المعلّقة في مظاهر الأجرام العلويّة على اختلاف مراتبهم في ذلك؛ ونفوس الأشقياء إلى هذا العالم في مظاهر الظلمانيّات في الصور المستكرهة بحسب اختلاف مراتبهم في الشقاوة، فيبقى بعضهم في تلك الظلمات أبداً لكون الشقاوة في الغاية، وبعضهم ينتقل بالتدريج إلى عالم الأنوار المجرّدة.

الثالثة: أنّ النفس لا تفنى بفناء البدن. قال في شرح المقاصد: فناء البدن لا يوجب فناء النفس المغايرة له مجرّدة كانت أو ماديّة أي جسماً حالاً فيه، لأنّ كونها مدبّرة له متصرفة فيه لا يقتضي فناءها بفنائه، لكن مجرّد ذلك لا يدلّ على كونها باقية البتّة، فلهذا احتيج في ذلك إلى دليل، وهو عندنا النصوص من الكتاب والسنّة وإجماع الأمّة، وهي من الكثرة والظهور بحيث لا يفتقر إلى الذكر. وقد أورد الامام في المطالب العالية من الشواهد العقليّة والنقليّة في هذا الباب ما يفضي ذكره إلى الاطناب وأمّا الفلاسفة فزعموا أنّه يمتنع فناء النفس.

أقول: ثمّ ذكر بعض دلائلهم على ذلك، لا حاجة بنا إلى إيرادها.

الرابعة: في كيفيّة تعقّل النفس وإدراكها، قال في التجريد: وتعقل بذاتها وتدرك بالآلات. وقال شارح المقاصد: لا نزاع في أنّ مدرك الكليّات من الانسان هو النفس، وأمّا مدرك الجزئيّات على وجه كونها جزئيّات فعندنا النفس وعند الفلاسفة الحواسّ. ثمّ قال بعد إيراد الحجج من الجانبين: لمّا كان إدراك الجزئيّات مشروطاً عند الفلاسفة بحصول الصورة في الآلات، فعند مفارقة النفس وبطلان الآلات لا تبقى مدركة للجزئيّات، ضرورة انتفاء المشروط بانتفاء الشرط. وعندنا لمّا لم تكن الآلات شرطاً في إدراك الجزئيّات، إمّا لأنّه ليس بحصول الصورة لا في النفس ولا في الحسّ؛ وإمّا لأنّه لا يمتنع ارتسام صورة الجزئيّ في النفس، بل الظاهر من قواعد الاسلام أنّه يكون للنفس بعد المفارقة إدراكات متجدّدة جزئيّة؛ واطّلاع على بعض جزئيّات أحوال الأحياء، سيّما الّذين كان بينهم وبين الميّت تعارف في الدنيا، ولهذا ينتفع بزيارة القبور والاستعانة بنفوس الأخيار من الأموات، في استنزال الخيرات، واستدفاع الملمّات فإنّ للنفس بعد المفارقة تعلّقاً ما بالبدن، وبالتربة الّتي دفنت فيها، فإذا زار الحيّ تلك التربة وتوجّهت تلقاءه نفس الميّت حصل بين النفسين علاقات وإفاضات.

الخامسة: في كمالات النفس ومراتبها. قال في شرح المقاصد: قد سبق أنّ لفظ القوّة كما يطلق على مبدأ التغيير والفعل فكذا يطلق على مبدأ التغيّر والانفعال، فقوّة النفس باعتبار تأثرها في البدن لتكميل جوهره - وإن كان ذلك أيضاً عائداً إلى تكميل النفس من جهة أنّ البدن آلة لها في تحصيل العلم والعمل - يسمّى عقلاً عمليّاً والمشهور أنّ مراتب النفس أربع، لأنّه إمّا كمال، وإمّا استعداد نحو الكمال قويّ أو متوسّط، أو ضعيف. فالضعيف وهو

محض قابليّة النفس للادراكات يسمّى عقلاً هيولانيّاً، تشبيهاً بالهيولى الأولى الخالية في نفسها عن جميع الصور القابلة لها، بمنزلة قوّة الطفل للكتابة. والمتوسّط وهو استعدادها لتحصيل النظريّات بعد حصول الضروريّات تسمّى عقلاً بالملكة، لما حصل لها من ملكة الانتقال إلى النظريّات، بمنزلة الشخص المستعدّ لتعلّم الكتابة. وتختلف مراتب الناس في ذلك اختلافاً عظيماً بحسب اختلاف درجات الاستعدادات. والقويّ وهو الاقتدار على استحضار النظريّات متى شاءت من غير افتقار إلى كسب جديد لكونها مكتسبة مخزونة تحضر بمجرّد الالتفات، بمنزلة القادر على الكتابة حين لا يكتب، وله أن يكتب متى شاء، ويسمّى عقلاً بالفعل لشدّة قربه من الفعل. وأمّا الكمال فهو أن يحصل النظريّات مشاهدة بمنزلة الكاتب حين يكتب، ويسمّى عقلاً مستفاداً، أي من خارج هو العقل الفعّال الّذي يُخرج نفوسنا من القوّة إلى الفعل فيما له من الكمالات، ونسبته إلينا نسبة الشمس إلى أبصارنا. وتختلف عبارات القوم في أنّ المذكورات أسام لهذه الاستعداد والكمال، أو للنفس باعتبار اتّصافها بها، أو لقوى في النفس هي مبادئها، مثلاً يقال تارة: إنّ العقل الهيولانيّ هو استعداد النفس لقبول العلوم الضروريّة. وتارة: إنّها قوّة استعداديّة، أو قوّة من شأنها الاستعداد المحض. وتارة: إنّه النفس في مبدأ الفطرة من حيث قابليّتها للعلوم وكذا في البواقي. وربّما يقال: إنّ العقل بالملكة هو حصول الضروريّات من حيث يتأدّى إلى النظريّات.

وقال ابن سينا: هو صورة المعقولات الأولى، وتتبعها القوّة على كسب غيرها بمنزلة الضوء للإبصار؛ والمستفاد هو المعقولات المكتسبة عند حصولها بالفعل.

وقال في كتاب «المبدأ والمعاد»: إنّ العقل بالفعل والعقل المستفاد واحد بالذات مختلف بالاعتبار، فإنّه من جهة تحصيله للنظريّات عقل بالفعل، ومن جهة حصولها فيه بالفعل عقل مستفاد؛ وربما قيل: هو عقل بالفعل بالقياس إلى ذاته، ومستفاد بالقياس إلى فاعله.

واختلفوا أيضاً في أنّ المعتبر في المستفاد هو حصول النظريّات الممكنة للنفس بحيث لا يغيب أصلاً، حتّى قالوا: إنّه آخر المراتب البشريّة، وأوّل منازل الملكيّة وأنّه يمتنع أو يستبعد جدّاً ما دامت النفس متعلّقة بالبدن، أو مجرّد الحضور حتّى يكون قبل العقل بالفعل بحسب الوجود - على ما صرّح به الامام - وإن كان بحسب الشرف هو الغاية والرئيس المطلق الّذي يخدمه سائر القوى الانسانيّة والحيوانيّة والنباتيّة ولا يخفى أنّ هذا أشبه بما اتّفقوا عليه من حصر المراتب في الأربع، نعم حضور الكلّ بحيث لا يغيب أصلاً هو كمال مرتبة المستفاد.

ثمّ قال أمّا العمليّ فهو قوّة بها يتمكّن الانسان من استنباط الصناعات والتصرّفات في موضوعاتها الّتي هي بمنزلة الموادّ، كالخشب للنجّار، وتميز مصالحه الّتي يجب الاتيان بها من المفاسد الّتي يجب الاجتناب عنها لينتظم بذلك أمر معاشه ومعاده، وبالجملة هي مبدأ حركة بدن الانسان إلى الأفاعيل الجزئيّة الخاصّة بالرؤية على مقتضى آراء تخصّها صلاحيته،

ولها نسبة إلى القوّة النزوعيّة، ومنها يتولّد الضحك والخجل والبكاء ونحوها؛ ونسبة إلى الحواسّ الباطنة وهي استعمالها في استخراج أمور مصلحة وصناعات وغيرها؛ ونسبة إلى القوّة النظريّة وهي أنّ أفاعيله أعني أعماله الاختياريّة تنبعث عن آراء جزئيّة تستند إلى آراء كلّية تستنبط من مقدّمات أوّلية أو تجربيّة أو ذائعة أو ظنّية تحكم بها القوة النظريّة، مثلاً يستنبط من قولنا: بذل الدرهم جميل والفعل الجميل ينبغي أن يصدر عنّا، ينتج أنّ بذل الدرهم ينبغي أن يصدر عنّا، ثمّ يحكم بأنّ هذا الدرهم ينبغي أن أبذله لهذا المستحقّ، فينبعث من ذلك شوق وإرادة إلى بذله، فتقدم القوّة المحرّكة على دفعه إلى المستحقّ.

ثم قال: وكما القوّة النظريّة معرفة أعيان الموجودات وأحوالها وأحكامها كما هي أي على الوجه الّذي هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشريّة، وسمّي حكمة نظريّة، وكمال القوّة العمليّة القيام بالأمور على ما ينبغي، أي على الوجه الّذي يرتضيه العقل الصحيح بقدر الطاقة البشريّة، وسمّي حكمة عمليّة. وفسّروا الحكمة على ما يشمل القسمين بأنّها خروج النفس من القوّة إلى الفعل في كمالها الممكن علماً وعملاً. إلاّ أنّه لمّا كثر الخلاف وفشا الباطل والضلال في شأن الكمال، وفي كون الأشياء كما هي والأمور على ما ينبغي، لزم الاقتداء في ذلك بمن ثبت بالمعجزات الباهرة أنّهم على هدى من الله تعالى، وكانت الحكمة الحقيقيّة هي الشريعة، لكن لا بمعنى مجرّد الأحكام العمليّة، بل بمعنى معرفة النفس ما لها وما عليها والعمل بها، على ما ذهب إليه أهل التحقيق: من أنّ المشار إليها في قوله ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(١) هو الفقه، وأنّه اسم للعلم والعمل جميعاً.

وقد تقسم الحكمة المفسّرة بمعرفة الأشياء كما هي إلى النظريّة والعمليّة، لأنّها إن كانت علماً بالأصول المتعلّقة بقدرتنا واختيارنا فعمليّة، وغايتها العمل وتحصيل الخير؛ وإلاّ فنظريّة وغايتها إدراك الحقّ وكلّ منهما ينقسم بالقسمة الأوّليّة إلى ثلاثة أقسام، فالنظرية إلى الإلهيّ والرياضيّ والطبيعيّ، والعمليّة إلى علم الأخلاق وعلم تدبير المنزل وعلم سياسة المدينة. لأنّ النظريّة إن كان علماً بأحوال الموجودات من حيث يتعلّق بالمادّة تصوّراً وقواماً فهي العلم الطبيعيّ؛ وإن كان من حيث يتعلّق بها قواماً لا تصوّراً فالرياضيّ، كالبحث عن الخطوط والسطوح وغيرهما ممّا يفتقر إلى المادّة في الوجود لا في التصوّر؛ وإن كان من حيث لا يتعلّق بها لا قواماً ولا تصوّراً فالإلهيّ ويسمّى العلم الأعلى وعلم ما بعد الطبيعة، كالبحث عن الواجب والمجرّدات وما يتعلق بذلك.

والحكمة العمليّة إن تعلّقت بآراء ينتظم بها حال الشخص وذكاء نفسه فالحكمة الخلقيّة، وإلاّ فإن تعلّقت بانتظام المشاركة الانسانيّة الخاصّة فالحكمة المنزليّة والعامّة فالحكمة المدنيّة والسياسة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

ثمّ قال: للانسان قوّة شهويّة هي مبدأ جذب المنافع ودفع المضارّ من المآكل والمشارب وغيرها، وتسمّى القوّة البهيميّة والنفس الأمّارة؛ وقوّة غضبيّة هي مبدأ الإقدام على الأهوال والشوق إلى التسلّط والترفّع، وتسمّى السبعيّة والنفس اللوّامة؛ وقوّة نطقيّة هي مبدأ إدراك الحقائق والشوق إلى النظر في العواقب ليتميّز بين المصالح والمفاسد. ويحدث من اعتدال حركة الأولى العفّة، وهي أن تكون تصرّفات البهيميّة على وفق اقتضاء النطقيّة، ليسلم عن أن تستعبدها الهوى، وتستخدمها اللذّات ولها طرف إفراط هي الخلاعة والفجور، أي الوقوع في ازدياد اللذّات على ما لا ينبغي وطرف تفريط هي الخمود، أي السكون عن طلب ما رخّص فيه العقل والشرع من اللذّات إيثاراً لا خلقة. ومن اعتدال حركة السبعيّة الشجاعة، وهي انقيادها للنطقيّة ليكون إقدامها على حسب الروية من غير اضطراب في الأمور الهائلة، ولها طرف إفراط هو التهوّر أي الاقدام على ما لا ينبغي، وتفريط وهو الجبن أي الحذر عمّا لا ينبغي. ومن اعتدال حركة النطقيّة وهي معرفة الحقائق على ما هي عليه بقدر الاستطاعة، وطرف إفراطها الجربزة، وهي استعمال الفكر فيما لا ينبغي، وطرف تفريطها الغباوة وهي تعطيل الفكر بالارادة والوقوف على اكتساب العلوم، فالأوساط فضائل والأطراف رذائل، وإذا امتزجت الفضائل حصل من اجتماعها حالة متشابهة هي العدالة. فأصول الفضائل: العفّة، والشجاعة، والحكمة، والعدالة. ولكلّ منها شعب وفروع مذكورة في كتب الأخلاق، وكذا الرذائل الستّة(انتهى).

تتميم: قال الرازيّ في «المطالب العالية» في تعديد خواصّ النفس الانسانيّة: ونحن نذكر منها عشرة: القسم الأوّل من الخواصّ النطق وفيه أبحاث:

الأول: أنّ الانسان الواحد لو لم يكن في الوجود إلاّ هو وإلاّ الأمور الموجودة في الطبيعة لهلك أو ساءت معيشته، بل الانسان محتاج إلى أمور أزيد ممّا في الطبيعة مثل الغذاء المعمول، فإنّ الأغذية الطبيعيّة لا يلائم الانسان، والملابس أيضاً لا يصلح للانسان إلاّ بعد صيرورتها صناعيّة، فكذلك يحتاج الانسان إلى جملة من الصناعات حتّى تنتظم أسباب معيشته، والانسان الواحد لا يمكنه القيام بمجموع تلك الصناعات بل لا بدّ من المشاركة حتّى يخبز هذا لذاك، وينسج ذاك لهذا، فلهذه الأسباب احتاج الانسان إلى أن تكون له قدرة على أن يعرّف الآخر الّذي هو شريكه ما في نفسه بعلامة وضعيّة، وهي أقسام: فالأوّل أصلحها وأشرفها الأصوات المركّبة، والسبب في شرفها أنّ بدن الانسان لا يتمّ ولا يكمل إلاّ بالقلب الّذي هو معدن الحرارة الغريزيّة، ولا بدّ من وصول النسيم البارد إليه ساعة فساعة حتّى يبقى على اعتداله ولا يحترق، فخلقت آلات في بدنه بحيث يقدر الانسان على استدخال النسيم البارد في قلبه، فإذا مكث ذلك النسيم لحظة تسخّن وفسد فوجب إخراجه، فالصانع الحكيم جعل النفس الخارج سبباً لحدوث الصوت، فلا جرم سهل تحصيل الصوت بهذا الطريق، ثمّ إنّ ذلك الصوت سهل تقطيعه في المحابس المختلفة فحصلت هيئات مخصوصة

بسبب تقطيع ذلك الصوت في تلك المحابس، وتلك الهيئات المخصوصة هي الحروف، فحصلت الحروف والأصوات بهذا الطريق، ثمّ تركّب الحروف فحصلت الكلمات بهذا الطريق، ثمّ جعلوا كلّ كلمة مخصوصة معرّفة لمعنى مخصوص، فلا جرم صار تعريف المعاني المخصوصة بهذا الطريق في غاية السهولة من وجوه: الأوّل: أنّ إدخالها في الوجود في غاية السهولة. والثاني أن تكون الكلمات الكثيرة الواقعة في مقابلة المعلومات الكثيرة في غاية السهولة. والثالث: أنّ عند الحاجة إلى التعريف تدخل في الوجود وعند الاستغناء عن ذكرها تعدم، لأنّ الأصوات لا تبقى.

والقسم الثاني من طرق التعريف الاشارة، والنطق أفضل بوجوه: الأوّل: أنّ الاشارة إنّما تكون إلى موجود حاضر عند المشير محسوس؛ وأمّا النطق فإنّه يتناول المعدوم ويتناول ما لا يصحّ الاشارة إليه، ويتناول ما يصحّ الاشارة إليه أيضاً. والثاني: أنّ الاشارة عبارة عن تحريك الحدقة إلى جانب معيّن، فالاشارة نوع واحد. أو نوعان فلا يصحّ لتعريف الأشياء المختلفة، بخلاف النطق، فإنّ الأصوات والحروف البسيطة والمركّبة كثيرة، والثالث: أنّه إذا أشار إلى شيء فذلك الشيء ذات قامت به صفات كثيرة، فلا يعرف بسبب تلك الاشارة أنّ المراد تعريف الذات وحدها أو الصفة الفلانيّة أو الصفة الثانية أو الثالثة أو الرابعة أو المجموع؛ وأمّا النطق فإنّه واف بتعريف كلّ واحدة من هذه الأحوال بعينها.

والقسم الثالث: الكتابة، وظاهر أنّ المؤنة في إدخالها في الوجود صعبة، ومع ذلك فإنّها مفرّعة على النطق، وذلك لأنّا لو افتقرنا إلى أن نضع لتعريف كلّ معنى من المعاني البسيطة والمركّبة نقشاً لافتقرنا إلى حفظ نقوش غير متناهية، وذلك غير ممكن، فدبّروا فيه طريقاً لطيفاً وهو أنّهم وضعوا بإزاء كلّ واحد من الحروف النطقيّة البسيطة نقشاً خاصّاً، ثمّ جعلوا النقوش المركّبة في مقابلة الحروف المركّبة فسهلت المؤونة في الكتابة بهذا الطريق، إلاّ أنّ على هذا التقدير صارت الكتابة مفرّعة على النطق، إلاّ أنّه حصل في الكتابة منفعة عظيمة، وهي أنّ عقل الانسان الواحد لا يفي باستنباط العلوم الكثيرة، فالانسان الواحد إذا استنبط مقداراً من العلم وأثبته في الكتاب بواسطة الكتابة فإذا جاء بعده إنسان آخر ووقف عليه قدر على استنباط أشياء أُخر زائدة على ذلك الأوّل، فظهر أنّ العلوم إنّما كثرت بإعانة الكتابة، فلهذا قال عليه السلام: قيّدوا العلم بالكتابة. فهذا بيان حقيقة النطق والاشارة والكتابة.

البحث الثاني: ممّا يتعلّق بهذا الباب أنّ المشهور أنّه يقال في حدّ الانسان: إنّه حيوان ناطق فقال بعضهم: إنّ هذا التعريف باطل طرداً وعكساً. أمّا الطرد فلأنّ بعض الحيوانات قد تنطق؛ وأمّا العكس فلأنّ بعض الناس لا ينطق، فأجيب عنه: بأنّ المراد منه النطق العقليّ، ولم يذكروا لهذا النطق العقليّ تفسيراً ملخصاً، فنقول الحيوان نوعان: منه ما إذا عرف شيئاً فإنّه لا يقدر على أن يعرّف غيره حال نفسه مثل البهائم وغيرها، فإنّها إذا وجدت من نفسها أحوالاً مخصوصة لا

تقدر على أن تعرّف غيرها تلك الأحوال، وأمّا الانسان فإذا وجد من نفسه حالة مخصوصة قدر على أن يعرّف غيره تلك الحالة الموجودة في نفسه، فالناطق الّذي جعل فصلاً مقوّماً هو هذا المعنى، والسبب فيه أنّ أكمل طرق التعريف هو النطق، فعبّر عن هذه القدرة بأكمل الطرق الدالّة عليها، وبهذاالتقرير فإنّ تلك السؤال لا يتوجّه والله أعلم بالصواب.

البحث الثالث: أنّ هذه الألفاظ والكلمات لها أسماء كثيرة، فالأوّل اللفظ، وفيه وجهان أحدهما أنّ هذه الألفاظ إنّما تولد بسبب أنّ ذلك الانسان لفظ ذلك الهواء من حلقه، فلمّا كان سبب حدوث هذه الأصوات هو لفظ ذلك الهواء لا جرم سمّيت باللفظ. والثاني أنّ تلك المعاني كانت كامنة في قلب ذلك الانسان فلمّا ذكر هذه الألفاظ صارت تلك المعاني الكامنة معلومة، فكأنّ ذلك الانسان لفظها من الداخل إلى الخارج.

والاسم الثاني: الكلام، واشتقاق هذه اللفظة من الكلم وهو الجرح، والسبب أنّ الانسان إذا سمع تلك اللفظة تأثّر جسمه بسماعها، وتأثّر عقله بفهم معناها فلهذا السبب سمّي بالكلمة.

والاسم الثالث: العبارة، وهي مأخوذة من العبور والمجاوزة، وفيه وجهان: الأوّل: أنّ ذلك النفس لمّا خرج منه فكأن جاوزه وعبر عليه. الثاني: أنّ ذلك المعنى عبر من القائل إلى فهم المستمع.

والاسم الرابع: القول، وهذا التركيب يفيد الشدّة والقوّة، ولا شكّ أنّ تلك اللفظة لها قوّة، إمّا لسبب خروجها إلى الخارج؛ وإمّا لسبب أنّها تقوى على التأثير في السمع وعلى التأثير في العقل، والله أعلم.

النوع الثاني: من خواصّ الانسان قدرته على استنباط الصنائع العجيبة، ولهذه القدرة مبدأ وآلة. أمّا المبدأ فهو الخيال القادر على تركيب الصور بعضها ببعض؛ وأمّا الآلة فهي اليدان، وقد سمّاهما الحكيم أرسطا طاليس «الآلة المباحة» وسنذكر هذه اللفظة في علم التشريح إن شاء الله، وقد يحصل ما يشبه هذه الحالة للحيوانات الأُخر كالنحل في بناء البيوت المسدّسة، إلاّ أنّ ذلك لا يصدر من استنباط وقياس، بل إلهام وتسخير، ولذلك لا يختلف ولا يتنوّع. هكذا قاله الشيخ، وهو منقوض بالحركة الفلكيّة وسنفرد لهذا البحث فصلاً على الاستقصاء.

النوع الثالث: من خواصّ الانسان الأعراض النفسانيّة المختلفة، وهي على أقسام: فأحدها أنّه إذا رأى شيئاً لم يعرف سببه حصلت حالة مخصوصة في نفسه مسمّاة بالتعجّب. وثانيها: أنّه إذا أحسّ بحصول الملائم حصلت حالة مخصوصة وتتبعها أحوال جسمانيّة، وهي تمدّد في عضلات الوجه مع أصوات مخصوصة وهي الضحك، فإن أحسّ بحصول المنافي والمؤذي حزن فانعصر دم قلبه في الداخل فينعصر أيضاً دماغه، وتنفصل عنه قطرة من الماء وتخرج من العين وهي البكاء. وثالثها: أنّ الانسان إذا اعتقد في غيره أنّه اعتقد فيه أنّه

أقدم على شيء من القبائح حصلت حالة مخصوصة تسمّى بالخجالة. ورابعها: أنّه إذا اعتقد في فعل مخصوص أنّه قبيح فامتنع عنه لقبحه حصلت حالة مخصوصة هي الحياء. وبالجملة فاستقصاء القول في تعديد الأحوال النفسانيّة مذكور في باب الكيفيّات النفسانيّة.

والنوع الرابع: من خواصّ الانسان الحكم بحسن بعض الأشياء وقبح بعضها إمّا لأنّ صريح العقل يوجب ذلك عند من يقول به، وإمّا لأجل أنّ المصلحة الحاصلة بسبب المشاركة الانسانيّة اقتضت تقريرها، لتبقى مصالح العالم مرعيّة. وأمّا سائر الحيوانات فإنّها إن تركت بعض الأشياء مثل الأسد فإنّه لا يفترس صاحبه فليس ذلك مشابهاً للحالة الحاصلة للانسان، بل هيئة أخرى، لأنّ كلّ حيوان فهو يحبّ بالطبع كلّ من ينفعه، فلهذا السبب الشخص الّذي أطعمه محبوب عنده، فيصير ذلك مانعاً له عن افتراسه.

النوع الخامس: من خواصّ الانسان تذكّر الأمور الماضية، وقيل: إنّ هذه الحالة لا تحصل لسائر الحيوانات، والجزم في هذا الباب بالنفي والاثبات مشكل.

والنوع السادس: الفكر والرويّة، وهذا الفكر على قسمين: أحدهما أن يتفكّر لأجل أن يعرف حاله. وهذا النوع من الفكر ممكن في الماضي والمستقبل والحاضر.

والنوع الثاني: التفكّر في كيفيّة إيجاده وتكوينه. وهذا النوع من الفكر لا يمكن في الواجب والممتنع، وإنّما يمكن في الممكن، ثمّ لا يمكن في الممكن الماضي والحاضر، وإنّما يمكن في الممكن المستقبل، وإذا حكمت هذه القوّة تبع حكمها حصول الارادة الجازمة، ويتبعها تأثير القوّة والقدرة في تحريك البدن. وهل لشيء من الحيوانات شيء من الكيفيّات؟ المشهور إنكاره، وفيه موضع بحث، فإنّها راغبة في كلّ ما يكون لذيذاً عندها نافرة عن كلّ ما يكون مؤلماً عندها، فوجب أن يتقرّر عندها أنّ كلّ لذيذ مطلوب؛ وأنّ كلّ مؤلم مكروه. فأجيب عنه: بأنّ رغبتها إنّما يكون في هذا اللذيذ، فكلّ لذيذ حضر عنده فإنّه يرغب فيه من حيث إنّه ذلك الشيء، فأمّا أن يعتقد أنّ كلّ لذيذ فهو مطلوب فهذا ليس عنده.

واعلم أنّ الحكم في هذه الأشياء بالنفي والإثبات حكم على الغيب؛ والعلم بها ليس إلاّ لله العليّ العليم، والله أعلم.

الفصل الثاني والعشرون: في بيان أنّ اللذّات العقليّة أشرف وأكمل من اللذّات الحسّيّة.

اعلم أنّ الغالب على الطباع العاميّة أنّ أقوى اللذّات وأكمل السعادات لذّة المطعم والمنكح، ولذلك فإنّ جمهور الناس لا يعبدون الله إلاّ ليجدوا المطاعم اللذيذة في الآخرة؛ وإلاّ ليجدوا المناكح الشهيّة هناك. وهذا القول مردود عند المحقّقين من أهل الحكمة وأرباب الرياضة، ويدلّ عليه وجوه:

الحجة الأولى: لو كانت سعادة الانسان متعلّقة بقضاء الشهوة وإمضاء الغضب لكان الحيوان الّذي يكون أقوى في هذا الباب من الانسان أشرف منه، لكون الجمل أكثر أكلاً من

الناس، والذئب أقوى في الإيذاء من الانسان؛ والعصفور أقوى على السفاد من الانسان، فوجب كون هذه الأشياء أشرف من الانسان، لكنّ التالي معلوم البطلان بالضرورة، فوجب الجزم بأنّ سعادة الانسان غير متعلّقة بهذه الأمور.

الحجة الثانية: كلّ شيء يكون سبباً لحصول السعادة والكمال فكلّما كان ذلك الشيء أكثر حصولاً كانت السعادة والكمال أكثر حصولاً، فلو كان قضاء شهوة البطن والفرج سبباً لكمال حال الانسان ولسعادته لكان الانسان كلّما أكثر اشتغالاً بقضاء شهوة البطن والفرج وأكثر استغراقاً فيه كان أعلى درجة وأكمل فضيلة، لكنّ التالي باطل، لأنّ الانسان الّذي جعل عمره وقفاً على الأكل والشرب والبعال يعدّ من البهيمة ويقضى عليه بالدناءة والخساسة، وكلّ ذلك يدلّ على أنّ الاشتغال بقضاء هاتين الشهوتين ليس من باب السعادات والكمالات، بل من باب دفع الحاجات والآفات.

الحجة الثالثة: أنّ الانسان يشاركه في لذّة الأكل والشرب جميع الحيوانات الخسيسة، فإنّه كما أنّ الانسان يلتذّ بأكل السكّر فكذلك الجعل يلتذّ بتناول السرقين، فلو كانت هذه اللذّات البدنيّة هي السعادة الكبرى للانسان لوجب أن لا يكون للانسان فضيلة على هذه الحيوانات الخسيسة، بل نزيد ونقول: لو كانت سعادة الانسان متعلّقة بهذه اللذّات الخسيسة لوجب أن يكون الانسان أخسّ الحيوانات، والتالي باطل فالمقدّم مثله. وبيان وجه الملازمة أنّ الحيوانات الخسيسة مشاركة للانسان في هذه اللذّات الخسيسة البدنيّة، إلاّ أنّ الانسان يتنغّص عليه المطالب بسبب العقل فإنّ العقل سمّي عقلاً لكونه عقالاً له وحبساً له عن أكثر ما يشتهيه ويميل طبعه إليه فإذا كان التقدير أنّ كمال السعادة ليس إلاّ في هذه اللذّات الخسيسة ثمّ بيّنّا أنّ هذه اللذّات الخسيسة حاصلة على سبيل الكمال والتمام للبهائم والسباع من غير معارض ومدافع وهي حاصلة للانسان مع المنازع القويّ والمعارض الكامل وجب أن يكون الانسان أخسّ الحيوانات، ولمّا كان هذا معلوم الفساد بالبديهة ثبت أنّ هذه اللذّات الخسيسة ليست موجبة للبهجة والسعادة.

الحجة الرابعة: أنّ هذه اللذّات الخسيسة إذا بحث عنها فهي في الحقيقة ليست لذّات، بل حاصلها يرجع إلى دفع الألم، والدليل عليه أنّ الانسان كلّما كان أكثر جوعاً كان التذاذه بالأكل أكمل، وكلّما كان ألم الجوع أقلّ كان الالتذاذ بالأكل أقلّ وأيضاً إذا طال عهد الانسان بالوقاع واجتمع المنيّ الكثير في أوعية المنيّ حصلت في تلك الأوعية دغدغة شديدة وتمدّد وثقل، وكلّما كانت هذه الأحوال المؤذية أكثر كانت اللذّة الحاصلة عند اندفاع ذلك المنيّ أقوى، ولهذا السبب فإنّ لذّة الوقاع في حقّ من طال عهده بالوقاع يكون أكمل منها في حقّ من قرب عهده به. فثبت أنّ هذه الأحوال الّتي يظنّ أنّها لذّات جسمانيّة فهي في الحقيقة ليست إلاّ دفع الألم؛ وهكذا القول في اللذّة الحاصلة بسبب لبس الثياب، فإنّه لا حاصل لتلك اللذّة إلاّ دفع ألم الحرّ والبرد. وإذا ثبت أنّه لا حاصل لهذه اللذّات إلاّ دفع الآلام

فنقول: ظهر أنّه ليس فيها سعادة، لأنّ الحالة السابقة هي حصول الألم، والحالة الحاضرة عدم الألم، وهذا العدم كان حاصلاً عند العدم الأصليّ، فثبت أنّ هذه الأحوال ليست سعادات ولا كمالات البتّة.

الحجة الخامسة: أنّ الانسان من حيث يأكل ويشرب ويجامع ويؤذي يشاركه سائر الحيوانات، وإنّما يمتاز عنها بالانسانيّة، وهي مانعة من تكميل تلك الأحوال وموجبة لنقصانها وتقليلها، فلو كانت هذه الأحوال عين السعادة لكان الانسان من حيث إنّه إنسان ناقصاً شقيّاً خسيساً، ولمّا حكمت البديهة بفساد هذا التالي ثبت فساد المقدّم.

الحجة السادسة: أنّ العلم الضروريّ حاصل بأنّ بهجة الملائكة وسعادتهم أكمل وأشرف من بهجة الحمار وسعادته ومن بهجة الديدان والذباب وسائر الحيوانات والحشرات، ثمّ لا نزاع أنّ الملائكة ليس لها هذه اللذّات، فلو كانت السعادة القصوى ليست إلاّ هذه اللذّات لزم كون هذه الحيوانات الخسيسة أعلى حالاً وأكمل درجة من الملائكة المقرّبين، ولمّا كان هذا التالي باطلاً كان المقدّم مثله، بل ههنا ما هو أعلى وأقوى ممّا ذكرناه، وهو أنّه لا نسبة لكمال واجب الوجود وجلاله وشرفه وعزّته إلى أحوال غيره، مع أنّ هذه اللذّات الحسيّة ممتنعة عليه، فثبت أنّ الكمال والشرف قد يحصلان سوى هذه اللذّات الجسميّة. فإن قالوا: ذلك الكمال لأجل حصول الالهيّة، وذلك في حقّ الخلق محال. فنقول: لا نزاع أنّ حصول الإلهيّة في حقّ الخلق محال، إلاّ أنّه قال عليه السلام «تخلّقوا بأخلاق الله» والفلاسفة قالوا: «الفلسفة عبارة عن التشبّه بالإله بقدر الطاقة البشريّة» فيجب عليه أن يعرف تفسير هذا التخلّق وهذا التشبّه، ومعلوم أنّه لا معنى لهما إلاّ تقليل الحاجات وإضافة الخيرات والحسنات لا بالاستكثار من اللذّات والشهوات.

الحجة السابعة: أنّ هؤلاء الّذين حكموا بأنّ سعادة الانسان ليس إلاّ في تحصيل هذه اللذّات البدنيّة والراحات الجسمانيّة إذا رأوا انساناً أعرض عن طلبها مثل أن يكون مواظباً للصوم مكتفياً بما جادت به الأرض عظم اعتقادهم فيه، وزعموا أنّه ليس من جنس الانسان بل من زمرة الملائكة، ويعدّون أنفسهم بالنسبة إليه أشقياء أراذل؛ وإذا رأوا انساناً مستغرق الفكر والهمّة في طلب الأكل والشرب والوقاع، مصروف الهمّة إلى تحصيل أسباب هذه الأحوال، معرضاً عن العلم والزهد والعبادة قضوا عليه بالبهيميّة والخزي والنكال، ولولا أنّه تقرّر في عقولهم أنّ الاشتغال بتحصيل هذه اللذّات الجسدانيّة نقص ودناءة، وأنّ الترفّع عن الالتفات إليها كمال وسعادة لما كان الأمر على ما ذكرنا، ولكان يجب أن يحكموا على المعرض عن تحصيل هذه اللذّات بالخزي والنكال، وعلى المستغرق فيها بالسعادة والكمال، وفساد التالي يدلّ على فساد المقدّم.

الحجة الثامنة: كلّ شيء يكون في نفسه كمالاً وسعادة وجب أن لا يستحيى من إظهاره، بل يجب أن يفتخر بإظهاره ويتبجّح بفعله، ونحن نعلم بالضرورة أنّ أحداً من العقلاء لا يفتخر

بكثرة الأكل، ولا بكثرة المباشرة، ولا بكونه مستغرق الوقت والزمان في هذه الأعمال؛ وأيضاً فالعاقل لا يقدر على الوقاع إلاّ في الخلوة، فأمّا عند حضور الناس فإنّ أحداً من العقلاء لا يجد في نفسه تجويز الإقدام عليه، وذلك يدلّ على أنّه تقرّر في عقول الخلق أنّه فعل خسيس وعمل قبيح فيجب إخفاؤه عن العيون؛ وأيضاً فقد جرت عادة السفهاء بأنّه لا يشتم بعضهم بعضاً إلاّ بذكر ألفاظ الوقاع، وذلك يدلّ على أنّه مرتبة خسيسة ودرجة قبيحة؛ وأيضاً لو أنّ واحداً من السفهاء أخذ يحكي عند حضور الجمع العظيم فلاناً كيف يواقع زوجته، فإنّ ذلك الرجل يستحيي من ذلك الكلام ويتأذّى من ذلك القائل، وكلّ هذا يدلّ على أنّ ذلك الفعل ليس من الكمالات والسعادات، بل هو عمل باطل وفعل قبيح.

الحجة التاسعة: كلّ فرس وحمار كان ميله إلى الأكل والشرب والإيذاء أكثر وكان قبوله للرياضة أقلّ، كان قيمته أقلّ؛ وكلّ حيوان كان أقلّ رغبة في الأكل والشرب وكان أسرع قبولاً للرياضة كانت قيمته أكثر. ألا ترى أنّ الفرس الّذي يقبل الرياضة في الكرّ والفرّ والعدو الشديد فإنّه يشترى بثمن رفيع، وكلّ فرس لا يقبل هذه الرياضة يوضع على ظهره الإكاف، ويسوّى بينه وبين الحمار، ولا يشترى إلاّ بثمن قليل، فلمّا كانت الحيوانات الّتي هي غير ناطقة لا تظهر فضائلها بسبب الأكل والشرب والوقاع، بل بسبب تقليلها وبسبب قبول الأدب وحسن الخدمة لمولاه، فما ظنّك بالحيوان الناطق العاقل؟

الحجة العاشرة: أنّ سكّان أطراف الأرض لمّا لم تكمل عقولهم ومعارفهم وأخلاقهم لا جرم كانوا في غاية الخسّة والدناءة، ألا ترى أنّ سكّان الإقليم السابع وهم الصقالبة لما قلّ نصيبهم من المعارف الحقيقيّة والأخلاق الفاضلة فلا جرم تقرّر في عقول العقلاء خسّة درجاتهم ودناءة مراتبهم. وأمّا سكّان وسط المعمورة لمّا فازوا بالمعارف الحقيقيّة والأخلاق الفاضلة لا جرم أقرّ كلّ أحد بأنّهم أفضل طوائف البشر وأكملهم وذلك يدلّ على أنّ فضيلة الانسان وكماله لا يظهر إلاّ بالعلوم الحقيقيّة والأخلاق الفاضلة.

٤٤ - باب في خلق الأرواح قبل الأجساد، وعلة تعلقها بها، وبعض شؤونها من ائتلافها واختلافها وحبها وبغضها وغير ذلك من أحوالها

١ - **البصائر**: عن محمّد بن الحسين، عن جعفر بن بشير، عن آدم أبي الحسين عن إسماعيل بن أبي حمزة، عمّن حدّثه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: والله يا أمير المؤمنين إنّي لأحبّك، فقال: كذبت. فقال الرجل: سبحان الله! كأنّك تعرف ما في قلبي. فقال عليّ عليه السلام: إنّ الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام ثمّ عرضهم علينا، فأين كنت لم أرك؟![1]

(١) بصائر الدرجات، ص ٩٦ ج ٢ باب ١٥ ح ٣.

٢ - **ومنه:** عن عبد الله بن محمّد، عن إبراهيم بن محمّد، عن عبد الرحمان بن أبي هاشم عن سلام بن أبي عمير، عن عمارة، قال: كنت جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام إذ أقبل رجل فسلّم عليه، ثمّ قال: يا أمير المؤمنين والله إنّي لأحبّك، فسأله ثمّ قال له: إنّ الأرواح خلقت قبل الأبدان بألفي عام، ثمّ أسكنت الهواء، فما تعارف منها ثمّ ائتلف ههنا، وما تناكر منها ثمّ اختلف ههنا، وإنّ روحي أنكر روحك[١].

٣ - **ومنه:** عن أبي محمّد، عن عمران بن موسى، عن يونس بن جعفر، عن عليّ بن أسباط، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي حمزة الثماليّ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ رجلاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام: والله إنّي لأحبّك - ثلاث مرّات - فقال عليّ عليه السلام: والله ما تحبّني، فغضب الرجل فقال: كأنّك والله تخبرني ما في نفسي! قال له عليّ عليه السلام: لا، ولكنّ الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام، فلم أر روحك فيها[٢].

٤ - **الكشي:** وجدت في كتاب جبرئيل بن أحمد بخطّه: حدّثني محمّد بن عيسى عن محمّد بن الفضيل، عن عبد الله بن عبد الرحمان، عن الهيثم بن واقد، عن ميمون بن عبد الله، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، ثمّ أسكنها الهواء، فما تعارف منها ثمّ ائتلف ههنا، وما تناكر ثمّ اختلف ههنا[٣].

أقول: قد أوردنا أمثال هذه الأخبار في باب إخبار أمير المؤمنين عليه السلام بشهادته؛ وباب أنّهم عليهم السلام يعرفون الناس بحقيقة الايمان والنفاق؛ وباب أنّهم المتوسّمون.

٥ - **البصائر:** عن بعض أصحابنا، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن مسلم، عن إبراهيم بن أيّوب، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام فلمّا ركّب الأرواح في أبدانها كتب بين أعينهم مؤمن أو كافر، وما هم به مبتلون، وما هم عليه من سيّىء أعمالهم وحسنها في قدر أذن الفأرة، ثمّ أنزل بذلك قرآناً على نبيّه فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ وكان رسول الله صلى الله عليه وآله هو المتوسّم وأنا بعده. والأئمّة من ذرّيّتي هم المتوسّمون[٤].

تفسير الفرات: عن أحمد بن يحيى، معنعناً عن أبي جعفر عليه السلام مثله. «ص ٢٢٩».

٦ - **العلل:** عن عليّ بن أحمد، عن محمّد بن أبي عبد الله، عن محمّد بن إسماعيل البرمكيّ عن جعفر بن سليمان، عن أبي أيّوب الخزّاز، عن عبد الله بن الفضل الهاشميّ، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لأيّ علّة جعل الله عزّ وجلّ الأرواح في الأبدان بعد كونها في ملكوته الأعلى في أرفع محلّ؟ فقال عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى علم أنّ الأرواح في شرفها

---

(١) - (٢) بصائر الدرجات، ص ٩٦-٩٧ ج ٢ باب ١٥ ح ٥ و٦.

(٣) رجال الكشي، ص ٣٩٦ ح ٧٤١.

(٤) بصائر الدرجات، ص ٣٣٣ ج ٧ باب ١٧ ح ٩.

وعلوّها متى ما تركت على حالها نزع أكثرها إلى دعوى الربوبيّة دونه عزّوجلّ فجعلها بقدرته في الأبدان الّتي قدّر لها في ابتداء التقدير نظراً لها ورحمة بها، وأحوج بعضها إلى بعض، وعلّق بعضها على بعض، ورفع بعضها على بعض، ورفع بعضها فوق بعض درجات، وكفى بعضها ببعض، وبعث إليهم رسله، واتّخذ عليهم حججه مبشّرين ومنذرين، يأمرون بتعاطي العبوديّة والتواضع لمعبودهم بالأنواع الّتي تعبّدهم بها، ونصب لهم عقوبات في العاجل وعقوبات في الآجل، ومثوبات في العاجل ومثوبات في الآجل ليرغّبهم بذلك في الخير ويزهّدهم في الشرّ، وليذلهم بطلب المعاش والمكاسب، فيعلموا بذلك أنّهم بها مربوبون وعباد مخلوقون، ويقبلوا على عبادته فيستحقّوا بذلك نعيم الأبد وجنّة الخلد، ويأمنوا من النزوع إلى ما ليس لهم بحق.

ثمّ قال عليه السلام: يا ابن الفضل! إنّ الله تبارك وتعالى أحسن نظراً لعباده منهم لأنفسهم، ألا ترى أنّك لا ترى فيهم إلاّ محبّاً للعلوّ على غيره حتّى أنّه يكون منهم لمن قد نزع إلى دعوى الربوبيّة، ومنهم من نزع إلى دعوى النبوّة بغير حقّها، ومنهم من نزع إلى دعوى الامامة بغير حقّها، وذلك مع ما يرون في أنفسهم من النقص والعجز والضعف والمهانة والحاجة والفقر والآلام والمناوبة عليهم والموت الغالب لهم والقاهر لجميعهم - يا ابن الفضل إنّ الله تبارك وتعالى لا يفعل بعباده إلاّ الأصلح لهم، ولا يظلم الناس شيئاً ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون[1].

بيان: في القاموس: نزع إلى أهله نزاعاً ونزاعة ونزوعاً - بالضمّ - اشتاق. وفي المصباح: نزع إلى الشيء نزاعاً: ذهب إليه. والمناوبة عليهم أي إنزال المصائب عليهم بالنوبة نوعاً بعد نوع؛ أو معاقبتهم بذلك. قال في القاموس: النوب: نزول الأمر كالنوبة، والنوبة: الدولة، وناوبه: عاقبه. ويحتمل أن يكون المنادبة بالدال من الندبة والنوحة.

٧ - **الاختصاص:** بإسناده عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد عن الحسين بن علوان، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نُباتة قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام فأتاه رجل فسلّم عليه ثمّ قال: يا أمير المؤمنين: إنّي والله لأحبّك في الله؛ وأحبّك في السرّ كما أحبّك في العلانية؛ وأدين الله بولايتك في السرّ كما أدين بها في العلانية - وبيد أمير المؤمنين عود - فطأطأ رأسه ثمّ نكت بالعود ساعة في الأرض ثمّ رفع رأسه إليه فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حدّثني بألف حديث، لكلّ حديث ألف باب، وإنّ أرواح المؤمنين تلتقي في الهواء فتشمّ وتتعارف، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، وبحقّ الله لقد كذبت، فما أعرف في الوجوه وجهك، ولا اسمك في الأسماء. ثمّ دخل عليه رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين إنّي لأحبّك في الله، وأحبّك في السرّ كما أحبّك في العلانية. قال:

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٣ باب ١٣ ح ١.

فنكت الثانية بعوده في الأرض ثمّ رفع رأسه إليه فقال له: صدقت، إنّ طينتنا طينة مخزونة أخذ الله ميثاقها من صلب آدم، فلم يشذّ منها شاذّ، ولا يدخل فيها داخل من غيرها، اذهب فاتخذ للفقر جلباباً، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا عليّ بن أبي طالب! والله الفقر أسرع إلى محبّينا من السيل إلى بطن الوادي(١).

بيان: في النهاية: شاممت فلاناً [إذا] قاربته وعرفت ما عنده بالاختبار والكشف وهي مفاعلة من الشمّ كأنّك تشمّ ما عنده ويشمّ ما عندك لتعملا بمقتضى ذلك. وقال في حديث عليّ عليه السلام: من أحبّنا أهل البيت فليعدّ للفقر جلباباً، أي ليزهد في الدنيا وليصبر على الفقر والقلّة (الحديث). والجلباب: الإزار والرداء. وقيل: هو كالمقنعة تغطّي به المرأة رأسها وظهرها وصدرها، وجمعه جلابيب، كنّى به عن الصبر لأنّه يستر [عن] الفقر كما يستر الجلباب البدن. وقيل: إنّما كنى بالجلباب عن اشتماله بالفقر، أي فليلبس إزار الفقر ويكون منه على حالة تعمّه وتشتمله، لأنّ الغناء من أحوال أهل الدنيا ولا يتهيّأ الجمع بين حبّ الدنيا وحبّ أهل البيت.

٨ - **العلل:** لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم قال: العلّة في خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام قال إنّما عنى به أنّ الأرواح خلقت قبل آدم بألفي عام.

٩ - **كتاب محمّد بن المثنّى الحضرميّ:** عن جعفر بن محمّد بن شريح الحضرميّ عن حميد بن شعيب، عن جابر بن يزيد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها عند الله ائتلف في الأرض، وما تناكر عند الله اختلف في الأرض(٢).

١٠ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن بكير بن أعين، قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذرّ يوم أخذ الميثاق على الذرّ بالإقرار بالربوبيّة ولمحمّد ﷺ بالنبوّة، وعرض الله عزّ وجلّ على محمّد أمّته في الطين وهم أظلّة، وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم وخلق الله أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام، عرضهم عليه وعرّفهم رسول الله، وعرّفهم عليّاً، ونحن نعرفهم في لحن القول(٣).

بيان: «في الطين» أي حين كان النبيّ ﷺ في الطين، أو الأمّة، أو هما معاً وهو أظهر والمراد قبل خلق الجسد. «وعرضهم عليه» أي على الله أو على النبيّ «في لحن القول» إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾(٤) قال البيضاويّ: لحن القول أسلوبه وإمالته إلى

(١) الإختصاص، ص ٣١١.
(٢) الأصول الستة عشر، ص ٦٨.
(٣) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦١ باب فيه نتف وجوامع... ح ٩.
(٤) سورة محمد، الآية: ٣٠.

جهة تعريض وتورية، منه قيل للمخطئ «لاحن» لأنّه يعدل الكلام عن الصواب[١].

١١ - **معاني الأخبار:** عن أحمد بن محمّد بن الهيثم، عن أحمد بن يحيى بن زكريّا عن بكر بن عبد الله، عن تميم بن بهلول، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة بعدهم عليهم السلام فعرضها على السماوات والأرض والجبال فغشيها نورهم (الحديث)[٢].

١٢ - **البصائر:** عن إبراهيم بن هاشم، عن عمرو بن عثمان، عن أبي محمّد المشهديّ من آل رجاء البجليّ؛ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام: أنا والله لأحبّك. فقال له: كذبت إنّ الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام فأسكنها الهواء ثمّ عرضها علينا أهل البيت، فوالله ما منها روح إلاّ وقد عرفنا بدنه، فوالله ما رأيتك فيها فأين كنت؟ (الخبر)[٣].

١٣ - **البصائر:** عن عباد بن سليمان، عن محمّد بن سليمان، عن هارون بن الجهم، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بينا أمير المؤمنين جالس في مسجد الكوفة وقد احتبى بسيفه وألقى ترسه خلف ظهره إذ أتته امرأة تستعدي على زوجها، فقضى للزوج عليها، فغضبت فقالت: والله ما هو كما قضيت، والله ما تقضي بالسويّة، ولا تعدل في الرعيّة، ولا قضيّتك عند الله بالمرضيّة. قال: فغضب أمير المؤمنين عليه السلام فنظر إليها مليّاً ثمّ قال: كذبت يا جريّة! يا بذيّة! يا سلسع! يا سلفع[٤]! يا الّتي لا تحيض مثل النساء! قال: فولّت هاربةً وهي تقول: ويلي! ويلي! فتبعها عمرو بن حريث فقال: يا أمة الله، قد استقبلت ابن أبي طالب بكلام سررتني به، ثمّ نزغك بكلمة فولّيت منه هاربةً تولولين! قال: فقالت: يا هذا، ابن أبي طالب أخبرني بالحقّ، والله ما رأيت حيضاً كما تراه المرأة قال: فرجع عمرو بن حريث إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا ابن أبي طالب ما هذا التكهّن؟ قال: ويلك يا ابن حريث ليس هذا منّي كهانة، إنّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام، ثمّ كتب بين أعينها مؤمن أو كافر، ثمّ أنزل بذلك قرآناً على محمّد صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ فكان رسول الله صلى الله عليه وآله من المتوسّمين، وأنا بعده والأئمّة من ذرّيّتي منهم[٥].

ومنه: عن إبراهيم بن هاشم، عن عمرو بن عثمان، عن إبراهيم بن أيّوب، عن عمرو بن

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ١٥٣.
(٢) معاني الأخبار، ص ١٠٨. وتمام الحديث مرّ في ج ١١ ص ١٣٠ ح ١٩.
(٣) بصائر الدرجات، ص ٩٦ ج ٢ باب ١٥ ح ٢.
(٤) وفي المجمع: سلفع من تحيض من حيث لا تحيض النساء.
(٥) بصائر الدرجات، ص ٣٣٢ ج ٧ باب ١٧ ح ٧.

شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام مثله - إلى قوله -: يا عمرو ويلك! إنّها ليست بالكهانة، ولكنّ الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام، فلمّا ركّب الأرواح في أبدانها كتب بين أعينهم: مؤمن أم كافر، وما هم به مبتلون، وما هم عليه من شرّ أعمالهم وحسنه في قدر أذن الفأرة، ثمّ أنزل بذلك قرآناً على نبيّه فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ فكان رسول الله صلى الله عليه وآله هو المتوسّم، ثمّ أنا من [بعده والأئمة من] ذرّيّتي من بعدي هم المتوسّمون، فلمّا تأمّلتها عرفت ما هي عليها بسيماها[١].

الاختصاص: عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب وإبراهيم بن هاشم، عن عمرو بن عثمان مثله[٢].

١٤ - **البصائر:** عن أبي محمّد، عن عمران بن موسى، عن إبراهيم بن مهزيار عن محمّد ابن عبد الوهّاب، عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قال: دخل عبد الرحمان بن ملجم - لعنه الله - على أمير المؤمنين عليه السلام - وساق الحديث إلى أن قال: - قال عليه السلام: إنّ الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فأسكنها الهواء، فما تعارف منها هنالك ائتلف في الدنيا، وما تناكر منها هناك اختلف في الدنيا، وإنّ روحي لا تعرف روحك (الخبر)[٣].

١٥ - **ومنه:** عن أحمد بن محمّد، عن الحسن بن محبوب، عن صالح بن سهل عن أبي عبد الله عليه السلام: إنّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو مع أصحابه فسلّم عليه ثمّ قال أنا والله أحبّك وأتولاّك، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ما أنت كما قلت، ويلك إنّ الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام ثم عرض علينا المحبّ لنا فوالله ما رأيت روحك فيمن عرض علينا، فأين كنت؟ فسكت الرجل عند ذلك ولم يراجعه[٤].

١٦ - **ومنه:** عن الحسن بن عليّ بن عبد الله، عن عيسى بن هشام، عن عبد الكريم عن سماعة بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة إذ أتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين والله إنّي لأحبّك. قال: ما تفعل. قال: بلى والله الّذي لا إله إلاّ هو، قال: والله الّذي لا إله إلاّ هو ما تحبّني. فقال: يا أمير المؤمنين إنّي أحلف بالله أنّي أحبّك وأنت تحلف بالله ما أحبّك! والله كأنّك تخبرني أنّك أعلم بما في نفسي! قال: فغضب أمير المؤمنين عليه السلام - وإنّما كان الحديث العظيم يخرج منه عند الغضب - قال: فرفع يده إلى السماء وقال كيف يكون ذلك وهو ربّنا تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام، ثمّ عرض علينا المحبّ من المبغض فوالله ما رأيتك فيمن أحبّ، فأين كنت؟[٥]

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٣٣٢ ج ٧ باب ١٧ ح ٢. (٢) الإختصاص، ص ٣١٠.
(٣) - (٤) بصائر الدرجات، ص ٩٧ ج ٢ باب ١٥ ح ٧ و١.
(٥) بصائر الدرجات، ص ٩٧ ج ٢ باب ١٥ ح ٤.

بيان: «ما تفعل» أي ما تحبّ، أو ما تعمل بمقتضاه، أو للاستفهام أي: أيّ شيء تقصد بإظهار الحبّ؟ فيكون تعريضاً بالنفي، والأوّل أظهر.

١٧ - **العلل** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن عبد الكريم بن عمرو، عن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها في الميثاق ائتلف ههنا، وما تناكر منها في الميثاق اختلف ههنا، والميثاق هو في هذا الحجر الأسود (الخبر)[1].

١٨ - **ومنه:** بهذا الاسناد، عن محمّد بن الحسين، عن جعفر بن بشير، عن الحسين بن أبي العلا، عن حبيب قال: حدّثنا الثقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق العباد وهم أظلّة قبل الميلاد، فما تعارف من الأرواح ائتلف، وما تناكر منها اختلف[2].

١٩ - **ومنه:** بهذا الاسناد عن حبيب، عمّن رواه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما تقول في الأرواح أنّها جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف؟ قال: فقلت إنّا نقول ذلك. قال: فإنّه كذلك، إنّ الله عزّ وجلّ أخذ على العباد ميثاقهم وهم أظلّة قبل الميلاد، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ - إلى آخر الآية قال: فمن أقرّ له يومئذ جاءت ألفته ههنا، ومن أنكره يومئذ جاء خلافه ههنا[3].

بيان: قال في النهاية: فيه «الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» مجنّدة أي مجموعة، كما يقال: ألوف مؤلّفة، وقناطير مقنطرة، ومعناه الإخبار عن مبدأ كون الأرواح وتقدّمها على الأجساد، أي إنّها خلقت أوّل خلقها على قسمين: من ائتلاف واختلاف، كالجنود المجموعة إذا تقابلت وتواجهت، ومعنى تقابل الأرواح ما جعلها الله عليه من السعادة والشقاوة والأخلاق في مبدأ الخلق، يقول: إنّ الأجساد الّتي فيها الأرواح تلتقي في الدنيا فتأتلف وتختلف على حسب ما خلقت عليه، ولهذا ترى الخيّر يحبّ الأخيار ويميل إليهم، والشرير يحبّ الأشرار ويميل إليهم (انتهى).

وقال الكرمانيّ في شرح البخاريّ: أي خلقت مجتمعة ثمّ فرّقت في أجسامها فمن وافق الصفة ألفه، ومن باعد نافره. وقال الخطابي: خلقت قبلها فكانت تلتقي فلمّا التبست بها تعارفت بالذكر الأوّل فصار كلّ إنّما يعرف وينكر على ما سبق له من العهد. وقال النوويّ: مجنّدة أي جموع مجتمعة، وأنواع مختلفة، وتعارفها لأمر جعلها الله عليه، وقيل: موافقة صفاتها وتناسبها في شيمها. وقال الطيبيّ: الفاء في «فما تعارف» تدلّ على تقدّم اشتباك في

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٤٠٧ باب ١٦١ ح ٧.
(٢) - (٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٨٧ باب ٧٩ ح ١-٢.

الأزل، ثمّ تفرّق فيما لا يزال أزمنةً متطاولة ثمّ ائتلاف بعد تناكر كمن فقد أنيسه ثمّ اتّصل به فلزمه وأنس به، وإن لم يسبق له اختلاط معه اشمأزّ منه. ودلّ التشبيه بالجنود على أنّ ذلك الاجتماع في الأزل كان لأمر عظيم من فتح بلاد، وقهر أعداء؛ ودلّ على أنّ أحد الحزبين حزب الله، والآخر حزب الشيطان، وهذا التعارف إلهامات من الله من غير إشعار منهم بالسابقة (انتهى). وقد مرّ كلام قطب الدين الراونديّ رحمه الله في هذا الخبر.

اعلم أنّ ما تقدّم من الأخبار المعتبرة في هذا الباب وما أسلفناه في أبواب بدء خلق الرسول صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام - وهي قريبة من التواتر - دلّت على تقادم خلق الأرواح على الأجساد، وما ذكروه من الأدلّة على حدوث الأرواح عند خلق الأبدان مدخولة لا يمكن ردّ تلك الروايات لأجلها.

٢٠ - **الكافي:** عن الحسين بن محمّد، عن عبد الله، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل، عن جابر بن يزيد قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام : يا جابر، إنّ الله أوّل ما خلق خلق محمّداً وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله. قلت: وما الأشباح؟ قال: ظلّ النور، أبدان نوريّة بلا أرواح، وكان مؤيّداً بروح واحد وهي روح القدس فيه كان يعبد الله وعترته، لذلك خلقهم حلماء علماء بررة أصفياء، يعبدون الله بالصلاة والصوم والسجود والتسبيح والتهليل، ويصلّون الصلاة ويحجّون ويصومون[1].

بيان: «أوّل» منصوب بالظرفيّة و«المهتدين» صفة، وكونه مفعول الهداة بعيد «فكانوا أشباح نور» الإضافة إمّا بيانيّة أي أشباحاً هي أنوار، والأشباح: جمع الشبح - بالتحريك - وهو سواد الإنسان أو غيره تراه من بعيد، فالمراد إمّا الأجساد المثاليّة فالمراد بقوله: «بلا أرواح» بلا أرواح الحيوانيّة، أو الروح مجرّداً كان أو جسماً لطيفاً، فيستقيم أيضاً، لأنّ الأرواح ما لم تتعلّق بالأبدان فهي مستقلّة بنفسها، أرواح من جهة وأجساد من جهة، فهي أبدان نورانيّة لم تتعلّق بها أرواح أخر، وعلى هذا فظلّ النور أيضاً إضافته للبيان أو لاميّة، والمراد بالنور نور ذاته تعالى، فإنّها من آثار ذلك النور الأقدس وظلاله، والمعنى دقيق. وربما يؤوّل النور بالعقل الفعّال على طريقة الفلاسفة.

«وكان مؤيّداً بروح واحد» [أي] في عالم الأرواح، أو في عالم الأجساد، والأوّل أظهر «ولذلك» أي لتأيّدهم بذلك الروح في أوّل الفطرة الروحانيّة خلقهم في الفطرة الجسمانيّة حلماء علماء - إلخ «ويصلّون» كأنّه تأكيد لما مرّ، أو المراد بقوله «خلقهم» خلقهم في عالم الأرواح، أي كانوا يعبدون الله في هذا العالم وكانوا فيه علماء بخلاف سائر الأرواح لتأيّدهم حينئذ بروح القدس، فقوله عليه السلام «ويصلّون» أي في عالم الأجساد فلا تكرار.

---

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٤ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ح ١٠.

أقول: قد مرّت أخبار كثيرة في ذلك في باب حدوث العالم. «في ج ٥٤».

قال شارح المقاصد: النفوس الانسانيّة سواء جعلناها مجرّدة أو مادّية، حادثة عندنا لكونها أثر القادر المختار. وإنّما الكلام في أنّ حدوثها قبل البدن لقوله ﷺ: «خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام» أو بعده لقوله تعالى - بعد ذكر أطوار البدن -: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾[1] إشارة إلى إفاضة النفس، ولا دلالة في الحديث مع كونه خبر واحدٍ على أنّ المراد بالأرواح النفس البشريّة أو الجوهر العلويّة؛ ولا في الآية على أنّ المراد إحداث النفس أو إحداث تعلّقها بالبدن. وأمّا الفلاسفة فمنهم من جعلها قديمة، وذهب أرسطو وشيعته إلى أنّها حادثة. ثمّ ذكر دلائل الطرفين واعترض عليها بوجوه أعرضنا عن ذكرها.

وقال الشيخ المفيد - قدّس الله نفسه - في أجوبة المسائل السرويّة: فأمّا الخبر بأنّ الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فهو من أخبار الآحاد، وقد روته العامّة كما روته الخاصّة، وليس هو مع ذلك ممّا يقطع على الله بصحّته، وإن ثبت القول فالمعنى فيه أنّ الله تعالى قدّر الأرواح في علمه قبل اختراع الأجساد، واخترع الأجساد واخترع لها الأرواح، فالخلق للأرواح قبل الأجساد خلق تقدير في العلم كما قدّمناه وليس بخلق لذواتها كما وصفناه، والخلق لها بالإحداث والاختراع بعد خلق الأجسام والصور الّتي تدبّرها الأرواح. ولولا أنّ ذلك كذلك لكانت الأرواح تقوم بأنفسها ولا تحتاج إلى آلات تعلّقها، ولكنّا نعرف ما سلف لنا من الأرواح قبل خلق الأجساد كما نعلم أحوالنا بعد خلق الأجساد، وهذا محال لاخفاء بفساده. وأمّا الحديث بأنّ الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، فالمعنى فيه أنّ الأرواح الّتي هي الجواهر البسائط تتناصر بالجنس وتتخاذل بالعوارض، فما تعارف منها باتّفاق الرأي والهوى ائتلف، وما تناكر منها بمباينة في الرأي والهوى اختلف، وهذا موجود حسّاً ومشاهد، وليس المراد بذلك أنّ ما تعارف منها في الذرّ ائتلف كما ذهبت إليه الحشويّة كما بيّناه من أنّه لا علم للانسان بحال كان عليها قبل ظهوره في هذا العالم، ولو ذكّر بكلّ شيء ما ذكر ذلك، فوضح بما ذكرناه أنّ المراد بالخبر ما شرحناه والله الموفّق للصواب (انتهى)[2].

وأقول: قيام الأرواح بأنفسها أو تعلّقها بالأجساد المثاليّة ثمّ تعلّقها بالأجساد العنصريّة ممّا لا دليل على امتناعه، وأمّا عدم تذكّر الأحوال السابقة فلعلّه لتقلّبها في الأطوار المختلفة، أو لعدم القوى البدنيّة، أو كون تلك القوى قائمة بما فارقته من الأجساد المثاليّة، أو لإذهاب الله تعالى تذكّر هذه الأمور عنها لنوع من المصلحة كما ورد أنّ الذكر والنسيان من صنعه تعالى، مع أنّ الإنسان لا يتذكّر كثيراً من أحوال الطفوليّة والولادة. والتأويل الّذي ذكره للحديث في غاية البعد لا سيّما مع الاضافات الواردة في الأخبار المتقدّمة.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.
(٢) أجوبة المسائل السروية، ص ٥٢.

٢١ - **العلل:** عن أبيه، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن محمّد بن أحمد بن يحيى عن الحسن بن عليّ، عن عبّاس، عن أسباط، عن أبي عبد الرحمان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي ربما حزنت فلا أعرف في أهل ولا مال ولا ولد، وربما فرحت فلا أعرف في أهل ولا مال ولا ولد. فقال: إنّه ليس من أحد إلاّ ومعه ملك وشيطان، فإذا كان فرحه كان دنوّ الملك منه، وإذا كان حزنه كان دنوّ الشيطان منه، وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

بيان: لعلّ المراد أنّ هذا لهم من أجل وساوس الشيطان وأمانيّه في أمور الدنيا الفانية وإن لم يتفطّن به الإنسان فيظنّ أنّه لا سبب له، أو يكون غرض السائل فوت الأهل والمال والولد في الماضي، فلا ينافي الهمّ للتفكّر فيها لأجل ما يستقبل؛ أو المراد أنّه لمّا كان شأن الشيطان ذلك يصير محض دنوّه سبباً للهمّ، وفي الملك بعكس ذلك في الوجهين.

٢٢ - **العلل:** عن أبيه، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن جعفر بن محمّد بن مالك، عن أحمد بن مدين من ولد مالك بن الحارث الأشتر، عن محمّد بن عمّار، عن أبيه، عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ومعي رجل من أصحابنا فقلت له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إني لأغتمّ وأحزن من غير أن أعرف لذلك سبباً، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ ذلك الحزن والفرح يصل إليكم منّا، لأنّا إذا دخل علينا حزن أو سرور كان ذلك داخلاً عليكم، ولأنّا وإيّاكم من نور الله عزّ وجلّ، فجعلنا وطينتنا وطينتكم واحدة، ولو تركت طينتكم كما أخذت لكنّا وأنتم سواء، ولكن مزجت طينتكم بطينة أعدائكم، فلولا ذلك ما أذنبتم ذنباً أبداً. قال: قلت: جعلت فداك فتعود طينتنا ونورنا كما بدىء؟ فقال: إي والله يا عبد الله، أخبرني عن هذا الشعاع الزاخر من القرص إذا طلع أهو متّصل به أو بائن منه؟ فقلت له: جعلت فداك بل هو بائن منه. فقال: أفليس إذا غابت الشمس وسقط القرص عاد إليه فاتّصل به كما بدأ منه؟ فقلت له: نعم. فقال: كذلك والله شيعتنا من نور الله خلقوا وإليه يعودون، والله إنّكم لملحقون بنا يوم القيامة، وإنّا لنشفع فنشفّع، ووالله إنّكم لتشفعون فتشفّعون، وما من رجل منكم إلاّ وسترفع له نار عن شماله وجنّة عن يمينه فيدخل أحبّاءه الجنّة وأعداءه النار[2].

بيان: «يا عبد الله» ليس هذا اسم أبي بصير، فإنّ المشهور بهذا اللقب اثنان: أحدهما ليث المراديّ، والآخر يحيى بن القاسم، وليس كنية واحد منهما أبا عبد الله حتّى يمكن أن يقال: كان أبا عبد الله فسقط «أبا» من النسّاخ، ولكن كنيتهما «أبو محمّد» فالظاهر أنّ أبا بصير هذا ليس شيئاً منهما، بل هو عبد الله بن محمّد الأسديّ الكوفيّ المكنّى بأبي بصير، كما ذكره

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٥ باب ٨٤ ح ١، والآية من سورة البقرة: ٢٦٨.

(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٦ باب ٨٤ ح ٢.

الشيخ في الرجال وإن كان ذكره في أصحاب الباقر عليه السلام لأنّه كثيراً ما يذكر الرجل في أصحاب إمام ثمّ يذكره في أصحاب إمام آخر، وكثيراً ما يكتفي بأحدهما، ولو كان أحد المشهورين يمكن أن يكون المراد المركّب الاضافيّ لا التسمية، وقد شاع النداء بهذا عند الضجر في عرف العرب والعجم، وفي القاموس: زخر البحر - كمنع -: طما وتملأ، والوادي: مدّ جدّاً وارتفع، والشيء: ملأه، والقوم جاشوا لنفير أو حرب، والقدر والحرب: جاشتا، والنبات: طال، والرجل بما عنده فخر (انتهى) وأكثر المعاني مناسبة. وفي بعض النسخ بالجيم، ولا يستقيم إلاّ بتكلّف.

قوله «عاد إليه» كأنّه على المجاز، كما أنّ في المشبّه أيضاً كذلك، فإنّ الظاهر عود الضمير في «إليه» إلى الله؛ ويحتمل عوده إلى النور، والمراد بنور الله النور المشرق [و] المكرم الّذي اصطفاه وخلقه، ولا يبعد أن يكون المراد أنوار الأئمّة عليهم السلام كما قال عليه السلام: إنكم لملحقون بنا، أو المراد بنور الله رحمته. والتشفيع قبول الشفاعة.

٢٣ - **المحاسن**: عن أبيه، عن فضالة، عن عمر بن أبان، عن جابر الجعفيّ قال: تنفست بين يدي أبي جعفر عليه السلام ثمّ قلت: يا ابن رسول الله أهتمّ من غير مصيبة تصيبني أو أمر نزل بي حتّى تعرف ذلك أهلي في وجهي ويعرفه صديقي. قال: نعم يا جابر. قلت: وممّ ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: وما تصنع بذلك؟ قلت: أحبّ أن أعلمه. فقال: يا جابر إنّ الله خلق المؤمنين من طينة الجنان، وأجرى فيهم من ريح روحه، فلذلك المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمّه، فإذا أصاب تلك الأرواح في بلد من البلدان شيء حزنت عليه الأرواح لأنّها منه[1].

بيان: «تنفّست» أي تأوّهت، وفي الكافي «تقبّضت» بمعنى الانبساط كما سيأتي. «من ريح روحه» بالضمّ أي من رحمة ذاته، أو نسيم روحه الّذي اصطفاه كما مرّ؛ أو بالفتح أي رحمته، كما ورد خبر آخر: وأجرى فيهم من روح رحمته. ويؤيّد الأوّل بعض الأخبار. «لأبيه وأمّه» لأنّ الطينة بمنزلة الأمّ، والروح بمنزلة الأب وهما متّحدان نوعاً أو صنفاً فيهما.

٢٤ - **الكافي**: عن العدّة، عن أحمد بن محمّد البرقيّ، عن أبيه، عن فضالة بن أيّوب، عن عمر بن أبان، عن جابر الجعفيّ قال: تقبّضت بين يدي أبي جعفر عليه السلام فقلت: جعلت فداك، ربما حزنت من غير مصيبة تصيبني أو ألم ينزل بي حتّى يعرف ذلك أهلي في وجهي وصديقي. فقال: نعم يا جابر، إنّ الله عزّ وجلّ خلق المؤمنين من طينة الجنان وأجرى فيهم من ريح روحه، فلذلك المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمّه، فإذا أصاب روحاً من تلك الأرواح في بلد من البلدان حزن، حزنت هذه لأنّها منها[2].

(١) المحاسن، ج ١ ص ٢٢٦.

(٢) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٢١ باب أخوة المؤمنين بعضهم لبعض، ح ٢.

٢٥ – **ومنه:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى: وعدّة من أصحابنا عن سهل بن زياد، جميعاً عن ابن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد، إن اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة، وإنّ روح المؤمن لأشدّ اتّصالاً بروح الله من اتّصال شعاع الشمس بها(١).

الاختصاص: عنه عليه السلام مرسلاً مثله(٢).

تبيين: قوله عليه السلام «كالجسد الواحد» كأنّه عليه السلام ترقّى عن الأخوّة إلى الاتّحاد أو بيّن أنّ أخوّتهم ليست مثل سائر الأخوّات، بل هم بمنزلة أعضاء جسد واحد تعلّق بها روح واحد، فكما أنّه بتألّم عضو واحد تتألّم وتتعطّل سائر الأعضاء، فكذا بتألّم واحد من المؤمنين يحزن ويتألّم سائرها كما مرّ، فقوله عليه السلام «كالجسد الواحد» تقديره: كعضوي جسد واحد، وقوله «إن اشتكى» ظاهره أنّه بيان لحال المشبّه به والضميران المستتران فيه وفي «وجد» راجعان إلى المرء والإنسان؛ أو الروح الّذي يدلّ عليه الجسد. وضمير «منه» للجسد. وضمير «أرواحهما» لشيء وسائر الجسد والجمعيّة باعتبار جمعيّة السائر؛ أو من إطلاق الجمع على التثنية مجازاً. وفي الاختصاص: «وأنّ روحهما» وهو أظهر. والمراد بالروح الواحد إن كان الروح الحيوانيّة فمن للتبعيض؛ وإن كان النفس الناطقة فمن للتعليل، فإنّ روحهما الروح الحيوانيّة هذا إذا كان قوله «وأرواحهما» من تتمّة بيان المشبّه به، ويحتمل تعلّقه بالمشبّه فالضمير للأخوين المذكورين في أوّل الخبر، والغرض إمّا بيان شدّة اتّصال الروحين كأنّهما روح واحدة، أو أنّ روحيهما من روح واحدة هي روح الأئمّة عليهم السلام وهو نور الله كما مرّ في خبر أبي بصير الّذي هو كالشرح لهذا الخبر؛ ويحتمل أن يكون «إن اشتكى» أيضاً لبيان حال المشبّه لاتّضاح وجه الشبه، وعلى التقادير المراد بروح الله أيضاً الروح الّتي اصطفاها الله وجعلها في الأئمّة عليهم السلام كما مرّ في قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ ويحتمل أن يكون المراد بروحه ذاته سبحانه إشارة إلى شدّة ارتباط أرواح المقرّبين والمحبّين من الشيعة المخلصين بجناب الحقّ تعالى، حيث لا يغفلون عن ربّهم ساعة، ويفيض عليهم منه سبحانه آناً فآناً وساعةً فساعةً العلم والحكم والكمالات والهدايات، بل الإرادة أيضاً لتخلّيهم عن إرادتهم وتفويضهم جميع أمورهم إلى ربّهم كما قال فيهم: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ وقال في الحديث القدسيّ «فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه» وسيأتي تمام القول فيه في محلّه إن شاء الله تعالى بحسب فهمي والله الموفق.

٢٦ – **قرب الإسناد:** عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن زياد قال: سمعت

---

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٢١ باب أخوة المؤمنين بعضهم لبعض، ح ٤.
(٢) الإختصاص، ص ٣٢.

جعفراً عليه السلام وسئل: هل يكون أن يحبّ الرجل الشيء ولم يره؟ قال: نعم، فقيل له: مثل أيّ شيء؟ فقال: مثل اللون من الطعام يوصف للانسان ولم يأكله فيحبّه، وما أشبه ذلك مثل الرجل يحبّ الشيء يذكر لأصحابه، وما لك أكثر ممّا تدع[1].

بيان: لعلّ المعنى: إذا تفكّرت في أمثلة ذلك كان ما لك منها أكثر ممّا تتركه كناية عن كثرة أمثلة ذلك وظهورها؛ ويمكن أن يكون تصحيف «تُسْمِعُ» ويمكن أن يكون غرض السائل السؤال عن حبّ المؤمن أخاه من غير سابقة كما في سائر الأخبار.

٢٧ - **مجالس الشيخ:** عن جماعة، عن أبي المفضّل، عن جعفر بن محمّد العلويّ عن عبد الله بن أحمد بن نهيك، عن عبد الله بن جبلة، عن حميد بن شعيب، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا احتضر أمير المؤمنين عليه السلام جمع بنيه فأوصاهم ثمّ قال: يا بنيّ إنّ القلوب جنود مجنّدة، تتلاحظ بالمودّة وتتناجى بها، وكذلك هي في البغض، فإذا أحببتم الرجل من غير خير سبق منه إليكم فارجوه، وإذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق منه إليكم فاحذروه[2].

٢٨ - **مجالس ابن الشيخ:** عن أبيه، عن أحمد بن محمّد بن الوليد، عن أبيه عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن حنان بن سدير، عن أبيه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي لألقى الرجل لم أره ولم يرني فيما مضى قبل يومه ذلك فأحبّه حبّاً شديداً، فإذا كلّمته وجدته لي مثل ما أنا عليه له، ويخبرني أنّه يجد لي مثل الّذي أجد له. فقال: صدقت يا سدير، إنّ ائتلاف قلوب الأبرار إذا التقوا وإن لم يظهروا التودّد بألسنتهم كسرعة اختلاط قطر الماء على مياه الأنهار؛ وإنّ بُعد ائتلاف قلوب الفجّار إذا التقوا وإن أظهروا التودّد بألسنتهم كبعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها على مزود واحد[3].

بيان: المزود - كمنبر - وعاء الزاد.

٢٩ - **الشهاب:** قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مثل المؤمن (المؤمنين ظ) في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى بعضه تداعى سائره بالسهر والحمّى.

٣٠ - وقال صلى الله عليه وآله: مثل القلب مثل ريشة بأرض تقلبها الرياح.

٣١ - **الضوء:** يقال «تداعت الحيطان» إذا تهادمت أو تهيّأت للسقوط بأن تميل أو تتهوّر. يقول صلى الله عليه وآله: المؤمنون متّحدون متآزرون متضافرون كأنّهم نفس واحدة ولذلك قال صلى الله عليه وآله: المؤمن للمؤمن بمنزلة البنيان يشدّ بعضه بعضاً. وقال صلى الله عليه وآله: المؤمنون يد واحدة على من

---

(١) قرب الإسناد، ص ٧٩ ح ٢٥٦. (٢) أمالي الطوسي، ص ٥٩٥ مجلس ٢٦ ح ١٢٣٢.
(٣) أمالي الطوسي، ص ٤١١ مجلس ١٤ ح ٩٢٤.

سواهم شبّه ﷺ المؤمنين في اتّحادهم ومؤازرتهم بالجسد المجتمع من آلات وأعضاء، إذا اشتكى بعضه كانت الجملة ألمة سقيمة مساهرة محمومة لاتّصال بعضه ببعض، ولأنّ الألم هو الجملة وهو في حكم الجزء الواحد بسبب الحياة الّتي هي كالمسمار يضمّ أجزاءها وينتظمها، ولفظ الحديث خبر وتشبيه، والمعنى أمرٌ يأمرهم به أن يتوادّوا ويتحابّوا ويرحم بعضهم بعضاً، وفائدة الحديث الأمر بالتناصر والتعاون، وراوي الحديث النعمان بن بشير.

وقال ﷺ في الحديث الثاني وروي بأرض فلاة -: شبّه ﷺ القلب بريشة ساقطة بأرض عراء لا حاجز بها ولا مانع، فالريح تطيرها هنا وثمّ، وذلك للاعتقادات والأحوال الّتي يتقلّب لها، ولسرعة انقلابه وقلّة ثبوته ودوامه على حالة واحدة. وقد قيل: إنّما سمّي قلباً لتقلّبه. وفائدة الحديث إعلام أنّ القلب سريع الانقلاب لا يبقى على وجه واحد. وراوي الحديث أنس بن مالك.

٤٥ - باب حقيقة الرؤيا وتعبيرها وفضل الرؤيا الصادقة وعلتها وعلة الكاذبة

الآيات: يونس: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾.

يوسف: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَـٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ ﴿٥﴾﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ ﴿٢١﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ ﴿٣٧﴾﴾ - إلى قوله - ﴿يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ - إلى قوله - ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَـٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَـٰتٍ ۖ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَـٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَـٰمِ بِعَـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَـٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَـٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

الإسراء: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ «٦٠».

الروم: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ «٢٣».

الصافات: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ «١٠٢».

الفتح: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ «٢٧».

المجادلة: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

النبأ: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾﴾.

تفسير: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي بجميع ما يجب الايمان به ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ مع ذلك معاصيه ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: قيل فيه أقوال: أحدها أنّ البشرى في الحياة الدنيا هي ما بشّرهم الله تعالى به في القرآن على الأعمال الصالحة. وثانيها أنّ البشارة في الحياة الدنيا بشارة الملائكة للمؤمنين عند موتهم بأن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون. وثالثها: أنّها في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو ترى له، وفي الآخرة بالجنّة وهي ما تبشّرهم الملائكة عند خروجهم من القبور وفي القيامة إلى أن يدخلوا الجنّة، يبشّرونهم بها حالاً بعد حال. وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام، وروي ذلك في حديث مرفوعاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله (١).

﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾ قال البيضاوي الرُّؤيا كالرؤية غير أنّها مختصّة بما يكون في النوم وفرق بينهما بحرف التأنيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من أفق المتخيلة إلى الحسّ المشترك، والصادقة منها إنّما تكون باتّصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن أدنى فراغ فتتصوّر بما فيها ممّا يليق من المعاني الحاصلة هناك، ثمّ إنّ المتخيّلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها إلى الحسّ المشترك فتصير مشاهدة ثمّ إن كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت إلاّ بالكليّة والجزئيّة استغنت الرؤيا عن التعبير وإلاّ احتاجت إليه.

﴿مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ أي من تعبير الرؤيا، لأنها أحاديث الملك إن كانت صادقة، وأحاديث النفس والشيطان إن كانت كاذبة؛ أو من تأويل غوامض كتب الله وسنن الأنبياء وكلمات الحكماء(٢).

وقال الطبرسيّ رحمه الله قيل: إنّه كان بين رؤياه وبين مصير أبيه وإخوته إلى مصر أربعون سنة، عن ابن عبّاس وأكثر المفسّرين. وقيل: ثمانون، عن الحسن(٣)، وقال النيسابوريّ: قال علماء التعبير: إنّ الرؤيا الرديّة يظهر أثرها عن قريب لكيلا يبقى المؤمن في الحزن والغمّ، والرؤيا الجيّدة يبطىء تأثيرها لتكون بهجة المؤمن أدوم.

---

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٠٥.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٢٩٤.
(٣) مجمع البيان، ج ٥ ص ٣٥٩.

﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: هو من رؤيا المنام. كان يوسف عليه السلام لمّا دخل السجن قال لأهله: إنّي أعبر الرؤيا، فقال أحد العبدين وهو الساقي: رأيت أصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته إيّاها، وقال صاحب الطعام إنّي رأيت كأنّ فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وأنواع الأطعمة وسباع الطير تنهش منه ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ﴾ أي أخبرنا بتعبيره وما يؤل إليه أمره ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ﴾ في منامكما ﴿إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ في اليقظة قبل أن يأتيكما التأويل ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ﴾ روي أنّه قال: أمّا العناقيد الثلاثة فإنّها ثلاثة أيّام تبقى في السجن ثمّ يخرجك الملك في يوم الرابع وتعود إلى ما كنت عليه والربّ المالك. وأمّا الآخر أي صاحب الطعام روي أنّه قال: بئس ما رأيت، أمّا السلال الثلاث فإنّها ثلاثة أيّام تبقى في السجن فيخرجك الملك فيصلبك فتأكل الطير من رأسك، فقال عند ذلك: ما رأيت شيئاً وكنت ألعب فقال يوسف ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ أي فرغ من الأمر الّذي تسألان وتطلبان معرفته وما قلته لكما فإنّه نازل بكما وهو كائن لا محالة(١).

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ﴾ قال النيسابوريّ: لمّا دنا فرج يوسف أراه الله في المنام سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس، وسبع بقرات عجاف، فابتلعت العجاف السمان؛ ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبّها، وسبعاً أُخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتّى غلبن عليها، فاضطرب الملك بسببه لأنّ فطرته قد شهدت بأنّ استيلاء الضعيف على القويّ منذر بنوع من أنواع الشرّ، إلاّ أنّه لم يعرف تفصيله فجمع الكهنة والمعبّرين وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ﴾ ثمّ إنّه تعالى إذا أراد أمراً هيّأ أسبابه، فأعجز الله أولئك الملأ عن جواب المسألة وعمّاه عليهم حتّى قالوا: إنّها أضغاث أحلام ونفوا عن أنفسهم كونهم عالمين بتأويلها.

واعلم أنّه سبحانه خلق جوهر النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود إلى عالم الأفلاك ومطالعة اللوح المحفوظ، والمانع لها من ذلك هو اشتغالها بتدبير البدن وما يرد عليها من طريق الحواسّ، وفي وقت النوم تقلّ تلك الشواغل فتقوى النفس على تلك المطالعة، فإذا وقفت النفس على حالة من تلك الأحوال فإن بقيت في الخيال كما شوهدت لم تحتج إلى التأويل، وإن نزلت آثار مخصوصة مناسبة للإدراك الروحانيّ إلى عالم الخيال فهناك يفتقر إلى المعبّر. ثمّ منها ما هي متّسقة منتظمة يسهل على المعبّر الانتقال من تلك المتخيّلات إلى الحقائق الروحانيّات؛ ومنها ما تكون مختلطة مضطربة لا يضبط تحليلها وتركيبها لتشويش وقع في ترتيبها وتأليفها فهي المسمّاة بالأضغاث وبالحقيقة الأضغاث ما يكون مبدءها تشويش القوّة المتخيّلة لفساد وقع في القوى البدنيّة ولو ورد أمر غريب عليه من خارج، لكنّ

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٠١.

القسم المذكور قد تعدّ من الأضغاث من حيث أنّها أعيت المعبّر عن تأويلها (انتهى).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾ قال البيضاويّ: أي من صاحبي السجن وهو الشرابيّ ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ وتذكّر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة أو مدّة طويلة ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ إلى من عنده علمه، أو إلى السجن ﴿لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي إلى الملك ومن عنده ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ تأويله أو فضلك ومكانك ﴿دَأَبًا﴾ أي على عادتكم المستمرّة. وانتصابه على الحال بمعنى دائبين، أو المصدر بإضمار فعله أي تدأبون دأباً وتكون الجملة حالاً ﴿فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ لئلاّ يأكله السوس ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ في تلك السنين ﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ ما ادّخرتم لأجلهنّ، فنسب إليهنّ على المجاز تطبيقاً بين المعبّر والمعبّر به ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ أي تحرزون لبذور الزراعة ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ أي يمطرون من الغيث، أو يغاثون من القحط من الغوث ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل: يحلبون الضروع(١).

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا﴾ قيل: المراد رؤية العين، والأكثر على أنّه رؤية المنام. وقال الطبرسيّ ﷺ: روي عن ابن عبّاس أنّها رؤيا نوم رآها أنّه سيدخل مكّة وهو بالمدينة، فقصدها، فصدّه المشركون في الحديبية عن دخولها حتّى شكّ قوم ودخلت عليهم الشبهة فقالوا: يا رسول الله أليس قد أخبرتنا أنّا ندخل المسجد الحرام آمنين؟! فقال: أوقلت لكم أنكم تدخلونها العام؟ قالوا: لا فقال: لندخلنّها إن شاء الله ورجع ثمّ دخل مكّة في العام القابل فنزل: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ وقيل: رأى ﷺ في منامه أنّ قروداً تصعد منبره وتنزل فساءه ذلك واغتمّ به، فلم ير بعد ذلك ضاحكاً حتّى توفّي(٢).

أقول: وقد مرّت أخبار كثيرة في ذلك. وقال الرازيّ: قال سعيد بن المسيّب: رأى رسول الله ﷺ بني أميّة ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك، وهذا قول ابن عبّاس في رواية عطا(٣).

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانيّة، وقوّة القوى الطبيعيّة، وطلب معاشكم فيهما؛ أو منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار، فلفّ وضمّ بين الزمانين والفعلين بعاطفين إشعاراً بأنّ كلاً من الزمانين وإن اختصّ بأحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة، ويؤيّده سائر الآيات الواردة فيه(٤).

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ﴾ يدلّ على أنّ نوم الأنبياء ﷺ بمنزلة الوحي، وكذا الآية التالية. ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ قال الطبرسيّ ﷺ يعني نجوى المنافقين والكفّار بما يسوء المؤمنين

(١) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣١٠.
(٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ٢٦٥.
(٣) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٠ ص ٢٣٦.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٤٣.

ويغمّهم من وساوس الشيطان وبدعائه وإغوائه. وقيل: المراد بها أحلام المنام الّتي يراها الإنسان في منامه ويحزنه[١].

أقول: سيأتي ذلك في الرواية:

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ قال السيّد المرتضى ﷺ: إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ فقال: إذا كان المراد بالسبات هو النوم فكأنّه قال: وجعلنا نومكم نوماً، وهذا ممّا لا فائدة فيه. الجواب: قلنا: في هذه الآية وجوه: منها أن يكون المراد بالسبات الراحة والدعة، وقد قال قوم: إنّ اجتماع الخلق كان في يوم الجمعة والفراغ منه في يوم السبت، فسمّي اليوم بالسبت للفراغ الّذي كان فيه؛ ولأنّ الله تعالى أمر بني إسرائيل فيه بالاستراحة من الأعمال. قيل: وأصل السبات التمدّد يقال «سبتت المرأة شعرها» إذا حلّته من العقص وأرسلته. قال الشاعر:

وإن سبتته مال جثلاً كأنّه ... سدى واهلات من نواسج خثعما

أراد: إن أرسلته. ومنها: أن يكون المراد بذلك القطع. والسبت أيضاً الحلق يقال: سبت شعره إذا حلقه، وهو يرجع إلى معنى القطع، والنعال السبتيّة: الّتي لا شعر عليها. قال عنترة:

بطل كأنّ ثيابه في سرحة ... يحذي نعال السبت ليس بتوأم

ويقال لكلّ أرض مرتفعة منقطعة ممّا حولها «سبتاء» وجمعها سباتى. فيكون المعنى على هذا الجواب: جعلنا نومكم قطعاً لأعمالكم وتصرّفكم. ومنها: أن يكون المراد بذلك: إنا جعلنا نومكم سباتاً ليس بموت، لأنّ النائم قد يفقد من علومه وقصوده وأحواله أشياء كثيرة يفقدها الميّت، فأراد سبحانه أن يمتنّ علينا بأن جعل نومنا الّذي يضاهي فيه بعض أحوالنا أحوال الميّت ليس بموت على الحقيقة ولا يخرج لنا عن الحياة والادراك، فجعل التأكيد بذكر المصدر قائماً مقام نفي الموت وساداً مسدّ قوله: وجعلنا نومكم ليس بموت. ويمكن في الآية وجه آخر لم يذكر فيها هو أنّ السبات ليس هو كلّ نوم، وإنما هو من صفات النوم إذا وقع على بعض الوجوه، والسبات هو النوم الممتدّ الطويل السكون، ولهذا يقال فيمن وصف بكثرة النوم: إنّه مسبوت وبه سبات ولا يقال ذلك في كلّ نائم، وإذا كان الأمر على هذا لم يجر قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾[٢] مجرى أن يقول: وجعلنا نومكم نوماً. والوجه في الامتنان علينا بأن جعل نومنا ممتدّاً طويلاً ظاهر، وهو لما في ذلك لنا من المنفعة والراحة، لأنّ التهويم والنوم الغرار لا يكسبان شيئاً من الراحة، بل يصحبهما في الأكثر القلق والانزعاج، والهموم هي الّتي تقلّل النوم وتنزّره، وفراغ القلب ورخاء البال تكون معهما غزارة النوم وامتداده، وهذا واضح.

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٤١٥.

(٢) سورة النبأ، الآية: ٩.

قال السيّد - قدّس الله روحه -: وجدت أبا بكر محمّد بن القاسم الأنباريّ يطعن على الجواب الّذي ذكرناه أوّلاً ويقول: إنّ ابن قتيبة أخطأ في اعتماده، لأنّ الراحة لا يقال لها: سبات؛ ولا يقال: سبت الرجل بمعنى استراح وأراح، ويعتمد على الجواب الّذي ثنّينا بذكره، ويقول في ما استشهد به ابن قتيبة من قوله «سبتت المرأة شعرها» أنّ معناه أيضاً القطع، لأنّ ذلك إنّما يكون بإزالة الشداد الّذي كان مجموعاً به وقطعه. والمقدار الّذي ذكره ابن الأنباريّ لا يقدح في جواب ابن قتيبة، لأنّه لا ينكر أن يكون السبات هو الراحة والدعة إذا كانتا عن نوم، وإن لم توصف كلّ راحة بأنّها سبات، ويكون هذا الاسم يخصّ الراحة إذا كانت على هذا الوجه، ولهذا نظائر كثيرة في الأسماء، وإذا أمكن ذلك لم يكن في امتناع قولهم سبت الرجل، بمعنى استراح في كلّ موضع دلالة على أنّ السبات لا يكون اسماً للراحة عند النوم، والّذي يبقى على ابن قتيبة أن يبيّن أنّ السبات هو الراحة والدعة، ويستشهد على ذلك بشعر أو لغة فإنّ البيت الّذي ذكره يمكن أن يكون المراد به القطع، دون التمدّد والاسترسال.

فإن قيل: فما الفرق بين جواب ابن قتيبة وجوابكم الّذي ذكرتموه أخيراً؟ قلنا: الفرق بينهما بيّن، لأنّ ابن قتيبة جعل السبات نفسه راحة، وجعله عبارةً عنها وأخذ يستشهد على ذلك بالتمدّد دون غيره، ونحن جعلنا السبات نفسه من صفات النوم والراحة واقعة عنده للامتداد وطول السكون فيه، فلا يلزمنا أن نقول: سبت الرجل بمعنى استراح، لأنّ الشيء لا يسمّى بما يقع عنده حقيقة، والاستراحة تقع على جوابنا عند السبات، وليس السبات إيّاها بعينها. على أنّ في الجواب الّذي اختاره ابن الأنباريّ ضرباً من الكلام، لأنّ السبت وإن كان القطع على ما ذكره فلم يسمع فيه البناء الّذي ذكره وهو السبات، ويحتاج في إثبات مثل هذا البناء إلى سمع عن أهل اللغة، وقد كان يجب أن يورد من أيّ وجه إذا كان السبت هو القطع جاز أن يقال سبات على هذا المعنى، ولم نره فَعلَ ذلك[(١)].

١ - **مجالس الصدوق:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن عيسى بن عبد الله، عن أبيه عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عليه السلام قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الرجل ينام فيرى الرؤيا فربما كانت حقّاً، وربما كانت باطلاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليُّ ما من عبد ينام إلاّ عرج بروحه إلى ربّ العالمين، فما رأى عند ربّ العالمين فهو حقّ، ثمّ إذا أمر الله العزيز الجبّار بردّ روحه إلى جسده، فصارت الروح بين السماء والأرض، فما رأته فهو أضغاث أحلام[(٢)].

---

(١) أمالي المرتضى، ج ٢ ص ١٥.

(٢) أمالي الصدوق، ص ١٢٥ مجلس ٢٩ ح ١٧.

٢ - **ومنه:** بإسناده عن عليّ بن الحكم، عن أبان بن عثمان - قال: وحدّثني محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن محسن بن أحمد، عن أبان بن عثمان - عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ لإبليس شيطاناً يقال له «هزع» يملأ المشرق والمغرب، في كلّ ليلة يأتي الناس في المنام[١].

٣ - **قرب الإسناد:** عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن زياد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من رأى أنّه في الحرم وكان خائفاً أمن[٢].

٤ - **تفسير علي بن إبراهيم:** في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ قال: في الحياة الدنيا الرؤيا الحسنة يراها المؤمن وفي الآخرة عند الموت[٣].

٥ - **المحاسن:** عن أبيه، عن صفوان، عن داود، عن أخيه عبد الله قال: بعثني إنسان إلى أبي عبد الله عليه السلام زعم أنّه يفزع في منامه من امرأة تأتيه، قال: فصحت حتّى سمع الجيران، فقال أبو عبد الله عليه السلام: اذهب فقل: إنّك لا تؤدّي الزكاة، قال: بلى والله إنّي لأؤدّيها، فقال: قال له: إن كنت تؤدّيها لا تؤدّيها إلى أهلها[٤].

٦ - **الخرائج:** روي أنّ أبا عمارة المعروف بالطيّان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رأيت في النوم كأنّ معي قناة، قال كان فيها زجّ؟ قلت: لا، قال: لو رأيت فيها زجّاً لولد لك غلام، لكنّه تولد جارية، ثمّ سكت ساعة، ثمّ قال: كم في القناة من كعب؟ قلت: اثنا عشر كعباً، قال: تلد الجارية اثني عشر بنتاً.

قال محمّد بن يحيى: فحدّثت بهذا الحديث العبّاس بن الوليد، فقال: أنا من واحدة منهنّ، ولي أحد عشر خالة، وأبو عمارة جدّي[٥].

٧ - **المناقب:** عن ياسر الخادم قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: رأيت في النوم كأنّ قفصاً فيه سبعة عشر قارورة، إذ وقع القفص فتكسّرت القوارير. فقال: إن صدقت رؤياك يخرج رجل من أهل بيتي يملك سبعة عشر يوماً ثمّ يموت. فخرج محمّد بن إبراهيم بالكوفة مع أبي السرايا، فمكث سبعة عشر يوماً ثمّ مات[٦].

الكافي: عن الحسين، عن أحمد بن هلال، عن ياسر مثله. «ج ٨ ح ٣٧٠».

بيان: «إن صدقت رؤياك» أي لم تكن من أضغاث الأحلام الّتي لا تعبير لها أو لم تكذب في نقلها، والأوّل أظهر. و«محمّد بن إبراهيم» هو طباطبا، بايعه أوّلاً أبو السرايا وخرج،

---

(١) أمالي الصدوق، ص ١٢٥ مجلس ٢٩ ح ١٨.
(٢) قرب الإسناد، ص ٨٢ ح ٢٧١.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٣١٤ في تفسيره لسورة يونس.
(٤) المحاسن، ج ١ ص ١٦٨.
(٥) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٦٣٨.
(٦) المناقب لابن شهرآشوب، ج ٢ ص ٢٦٤.

ولمّا مات بايع محمّد بن محمّد بن زيد وقال الطبريّ في تاريخه: كان اسم أبي السرايا «سريّ ابن منصور» وكان من أولاد هاني بن قبيصة الّذي عصى على كسرى أبرويز، وكان أبو السرايا من أمراء المأمون، ثمّ عصى في الكوفة على أمير العراق وبايع محمّد بن محمّد بن زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام ثمّ أرسل إليه حسن بن سهل أمير العراق جنداً فقاتلوه وأسر وقتل(١).

٨ - **الكشي:** عن عليّ بن محمّد، عن محمّد بن أحمد، عن محمّد بن عيسى قال: قال لي ياسر الخادم: إنّ أبا الحسن الثاني عليه السلام أصبح في بعض الأيّام، قال: فقال لي: رأيت البارحة مولى لعليّ بن يقطين وبين عينيه غرّة بيضاء فتأوّلت ذلك على الدين(٢).

٩ - **دعوات الراوندي:** حدّث أبو بكر بن عيّاش قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فجاءه رجل فقال: رأيتك في النوم كأنّي أقول لك: كم بقي من أجلي؟ فقلت لي بيدك: هكذا - وأومأ إلى خمس - وقد شغل ذلك قلبي. فقال عليه السلام: إنّك سألتني عن شيء لا يعلمه إلاّ الله عزّ وجلّ، وهي خمس تفرّد الله بها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾(٣).

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: جاء في الحديث: إنّ مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهنّ إلاّ الله وقرأ هذه الآية. وقد روي عن أئمّة الهدى: أنّ هذه الأشياء الخمسة لا يعلمها على التفصيل والتحقيق غيره تعالى.

أقول: هذا لا ينافي ما أخبروا عليهم السلام به من هذه الأشياء على سبيل الإعجاز لأنّه كان بالوحي والإلهام، وكان عدم الإخبار في هذا المقام لعدم وصول الخبر من الله تعالى إليه في تلك الواقعة أو لمصلحة، وقد مرّ القول فيه في كتاب الإمامة. «في ج ٢٦».

١٠ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، أنّ رجلاً دخل على أبي عبد الله عليه السلام فقال: رأيت كأنّ الشمس طالعة على رأسي دون جسدي. فقال: تنال أمراً جسيماً، ونوراً ساطعاً، وديناً شاملاً، فلو غطّتك لانغمست فيه، ولكنّها غطّت رأسك. أما قرأت ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾(٤) فلمّا أفلت تبرّأ منها إبراهيم عليه السلام. قال: قلت: جعلت فداك إنّهم يقولون إنّ الشمس خليفة أو ملك. فقال: ما أراك تنال الخلافة، ولم يكن في آبائك وأجدادك ملك، وأيّ خلافة وملوكيّة أكثر من الدين والنور ترجو به دخول الجنّة، إنّهم يغلطون. فقلت: صدقت جعلت فداك(٥).

بيان: ﴿بَازِغَةً﴾ أي طالعة، ولعلّ استشهاده عليه السلام كان بأنّ إبراهيم عليه السلام بعد رؤية

(١) تاريخ الطبري، ج ٥ ص ١٢٢. (٢) رجال الكشي، ص ٤٩١ ح ٩٣٩.
(٣) الدعوات للراوندي، ص ٢٨٨ ح ٧٤٥ والآية من سورة لقمان، الآية: ٣٤.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٧٨. (٥) روضة الكافي، ح ٤٤٥.

الشمس واختلاف أحوالها اهتدى، أو أظهر الاهتداء وهدى قومه إلى التوحيد فطلوع الشمس على رأسك علامة لاهتدائك إلى الدين القويم، أو بأنّ الشمس لمّا كان في عالم المحسوسات أضوء الأنوار، حتّى أنّ إبراهيم عليه السلام قال لموافقة قومه وإتمام الحجّة عليهم: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ لغلبة نورها وظهورها، ووصفها بالكبر ثمّ تبرّأ منها لتغيّر أحوالها الدالّة على إمكانها وحدوثها، وفي الرؤيا تتمثّل الأمور المعنويّة بالأمور المحسوسة المناسبة لها، فينبغي أن يكون هذا النور أضوء الأنوار المعنويّة فليس إلاّ الدين الحقّ، والأوّل أظهر لفظاً، والثاني معنىً. قوله عليه السلام «ولم يكن في آبائك» يظهر منه أنّ تعبير الرؤيا يختلف باختلاف الأشخاص، ويحتمل أن يكون الغرض بيان خطأ أصل تعبيرهم، بأنّ ذلك غير محتمل لا أنّه لا يستقيم في خصوص تلك المادّة.

١١ - **الكافي:** بالاسناد المتقدّم، عن ابن أذينة، عن رجل رأى كأنّ الشمس طالعة على قدميه دون جسده، قال: مال يناله من نبات الأرض من بُرّ أو تمر يطأه بقدميه ويتّسع فيه وهو حلال إلاّ أنّه يكدّ فيه كما كدّ آدم عليه السلام [(١)].

١٢ - **ومنه:** عن عليّ، عن أبيه، عن الحسن بن عليّ، عن أبي جعفر الصائغ عن محمّد بن مسلم قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعنده أبو حنيفة، فقلت له: جعلت فداك رأيت رؤيا عجيبةً، فقال: يا ابن مسلم هاتها، فإنّ العالم بها جالس - وأومأ بيده إلى أبي حنيفة.. قال: فقلت: رأيت كأنّي دخلت داري وإذا أهلي قد خرجت عليّ فكسرت جوزاً كثيراً ونثرته عليّ، فتعجبت من هذه الرؤيا. فقال أبو حنيفة: أنت رجل تخاصم وتجادل لئاماً في مواريث أهلك، فبعد نصب شديد تنال حاجتك منها إن شاء الله. فقال أبو عبد الله عليه السلام: أصبت والله يا أبا حنيفة. قال: ثمّ خرج أبو حنيفة من عنده، فقلت: جعلت فداك إنّي كرهت تعبير هذا الناصب، فقال: يا ابن مسلم لا يسوءك الله، فما يواطيء تعبيرهم تعبيرنا، ولا تعبيرنا تعبيرهم، وليس التعبير كما عبّره. قال: فقلت له: جعلت فداك، فقولك أصبت وتحلف عليه وهو مخطيء؟! قال: نعم، حلفت عليه أنّه أصاب الخطأ، قال: فقلت له: فما تأويلها؟ قال: يا ابن مسلم إنّك تتمتّع بامرأة فتعلم بها أهلك فتخرق عليك ثياباً جدداً فإنّ القشر كسوة اللبّ. قال ابن مسلم: فوالله ما كان بين تعبيره وتصحيح الرؤيا إلاّ صبيحة الجمعة، فلمّا كان غداة الجمعة أنا جالس بالباب إذ مرّت بي جارية فأمرت غلامي فردّها ثمّ أدخلها داري فتمتّعت بها، فأحسّت بي وبها أهلي، فدخلت علينا البيت، فبادرت الجارية نحو الباب فبقيت أنا، فمزّقت عليّ ثياباً جدداً كنت ألبسها في الأعياد.

وجاء موسى الزوّار العطّار إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال له: يا ابن رسول الله رأيت رؤيا هالتني: رأيت صهراً لي ميّتاً وقد عانقني، وقد خفت أن يكون الأجل قد اقترب. فقال: يا

(١) روضة الكافي، ح ٤٤٦.

موسى توقّع الموت صباحاً ومساءً فإنّه ملاقينا، ومعانقة الأموات للأحياء أطول لأعمارهم، فما كان اسم صهرك؟ قال: حسين، فقال: أما إنّ رؤياك تدلّ على بقائك وزيارتك أبا عبد الله عليه السلام، فإنّ كلّ من عانق سميّ الحسين عليه السلام يزوره إن شاء الله تعالى(١).

وذكر إسماعيل بن عبد الله القرشيّ قال: أتى إلى أبي عبد الله عليه السلام رجل فقال: يا ابن رسول الله، رأيت في منامي كأنّي خارج من مدينة الكوفة في موضع أعرفه، وكأنّ شيخاً من خشب أو رجلاً منحوتاً من خشب على فرس من خشب يلوّح بسيفه وأنا أشاهده فزعاً مذعوراً مرعوباً. فقال عليه السلام: أنت رجل تريد اغتيال رجل في معيشته، فاتّق الله الّذي خلقك ثمّ يميتك فقال الرجل: أشهد أنّك قد أوتيت علماً واستنبطته من معدنه، أخبرك يا ابن رسول الله عمّا قد فسّرت لي: إنّ رجلاً من جيراني جاءني وعرض عليّ ضيعته، فهممت أن أملكها بوكس كثير لما عرفت أنّه ليس لها طالب غيري، فقال أبو عبد الله عليه السلام: وصاحبك يتولّانا ويبرأ من عدوّنا؟ فقال: نعم، يا ابن رسول الله، رجل جيّد البصيرة مستحكم الدين، وأنا تائب إلى الله عزّ وجلّ وإليك ممّا هممت به ونويته. فأخبرني يا ابن رسول الله لو كان ناصبيّاً حلّ لي اغتياله؟ فقال: أدّ الأمانة لمن ائتمنك وأراد منك النصيحة، ولو إلى قاتل الحسين عليه السلام(٢).

بيان: الظاهر أنّ الراوي عن الزوّار والقرشيّ هو محمّد بن مسلم، ويحتمل الإرسال من الكلينيّ. قوله «أو رجلاً» كأنّ الترديد من الراوي ويقال: لوّح بسيفه - على بناء التفعيل - أي لمع به.

١٣ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن ابن فضّال، عن الحسن بن الجهم قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: الرؤيا على ما تعبّر، فقلت له: إنّ بعض أصحابنا روى أنّ رؤيا الملك كانت أضغاث أحلام، فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ امرأةً رأت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ جذع بيتها انكسر، فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله فقصّت عليه الرؤيا فقال لها النبيّ صلى الله عليه وآله يقدم زوجك ويأتي وهو صالح - وقد كان زوجها غائباً - فقدم كما قال النبيّ، ثمّ غاب عنها زوجها غيبةً أخرى، فرأت في المنام كأنّ جذع بيتها قد انكسر، فأتت النبيّ صلى الله عليه وآله فقصّت عليه الرؤيا فقال لها: يقدم زوجك ويأتي صالحاً، فقدم على ما قال، ثمّ غاب زوجها ثالثةً فرأت في منامها أنّ جذع بيتها قد انكسر، فلقيت رجلاً أعسر فقصّت عليه الرؤيا، فقال لها الرجل السوء: يموت زوجك، فبلغ النبيّ فقال: ألا كان عبّر لها خيراً؟!(٣).

توضيح: «أضغاث الحلم» أي لم تكن لها حقيقة، وإنّما وقعت كذلك لتعبير يوسف عليه السلام، وإنّما أورد الراوي تلك الرواية تأييداً لما ذكره. قوله صلى الله عليه وآله «يقدم زوجك» لعلّه صلى الله عليه وآله عبّر انكسار أسطوانة بيتها بفوات ما كان لها من التمكّن والتصرّف في غيبته. وقال الفيروز آباديّ: يوم عسر وعسير وأعسر: شديد أو شؤم، وأعسر يسر: يعمل بيديه جميعاً،

---

(١) - (٢) روضة الكافي، ح ٤٤٧-٤٤٨. (٣) روضة الكافي، ح ٥٢٨.

فإن عمل بالشمال فهو أعسر. والمراد هنا الشؤم، أو من يعمل باليسار فإنّه أيضاً مشوم. ويظهر من أخبار المخالفين أنّ هذا الأعسر كان أبا بكر ولعلّه ﷺ لم يصرّح باسمه تقيّةً. قال في النهاية فيه: إنّ امرأةً أتت النبيّ ﷺ فقالت: رأيت كأنّ جائز بيتي انكسر، فقال: يردّ الله غائبك، فرجع زوجها ثمّ غاب فرأت مثل ذلك فأتت النبيّ ﷺ فلم تجده ووجدت أبا بكر فأخبرته، فقال: يموت زوجك، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: هل قصصتها على أحد؟ قالت: نعم، قال: هو كما قيل لك. الجائز الخشبة الّتي توضع عليها أطراف العوارض في سقف البيت والجمع أجوزة.

١٤ - **الكافي:** عن العدّة، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن الحلبيّ، عن ابن مسكان، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: رأيت كأنّي على رأس جبل والناس يصعدون إليه من كلّ جانب، حتّى إذا كثروا عليه تطاول بهم في السماء وجعل الناس يتساقطون عنه من كلّ جانب حتّى لم يبق منهم أحد إلاّ عصابة يسيرة، ففعل ذلك خمس مرّات في كلّ ذلك يتساقط عنه الناس وتبقى تلك العصابة أما إنّ قيس بن عبد الله بن عجلان في تلك العصابة. فما مكث بعد ذلك إلاّ نحواً من خمس حتّى هلك[1].

بيان: كأنّ تأويل الرؤيا الفتن الّتي حدثت بعده - صلوات الله عليه - في الشيعة فارتدّوا.

وأقول: وروى الكشيّ عن حمدويه بن نصير، عن محمّد بن عيسى، عن النضر مثله. وفيه: أما إنّ ميسر بن عبد العزيز وعبد الله بن عجلان في تلك العصابة، فما مكث بعد ذلك إلاّ نحواً من سنتين حتّى هلك عليه السلام وقيس غير مذكور في كتب الرجال[2].

١٥ - **المحاسن:** عن أبيه، عن حمزة بن عبد الله، عن جميل بن درّاج قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ المؤمنين إذا أخذوا مضاجعهم صعّد الله بأرواحهم إليه، فمن قضى عليه بالموت جعله في رياض الجنّة بنور رحمته ونور عزّته، وإن لم يقدّر عليه الموت بعث بها مع أمنائه من الملائكة إلى الأبدان الّتي هي فيها[3].

١٦ - **العياشي:** عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: رأت فاطمة عليها السلام في النوم كأنّ الحسن والحسين عليهما السلام ذبحا أو قتلا، فأحزنها ذلك، فأخبرت به رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: يا رؤيا، فتمثّلت بين يديه قال: أنت أريت فاطمة هذا البلاء؟ قالت: لا. فقال: يا أضغاث وأنت أريت فاطمة هذا البلاء؟ قالت: نعم يا رسول الله، قال: ما أردت بذلك؟ قالت: أردت أحزنها، فقال ﷺ لفاطمة عليها السلام: اسمعي ليس هذا بشيء[4].

---

(١) روضة الكافي، ح ٢٠٦.
(٢) رجال الكشي، ص ٢٤٢ ح ٤٤٤.
(٣) المحاسن، ج ١ ص ٢٨٥.
(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٨٩ ح ٣١. تفصيله سيأتي في هذا الباب ح ٥٣.

بيان: كأنّ خطابه ﷺ كان الملك الرؤيا وشيطان الأضغاث، لقوله سبحانه ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾(١)، أو تمثّل بإعجازه ﷺ لكلّ منهما مثال وتعلّق به روح فسأله، ومثل هذا التسلّط الّذي يذهب أثره سريعاً من الشيطان ولم يوجب معصية على المعصومين عليهم السلام لم يدلّ دليل على نفيه، ولا ينافيه قوله تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾(٢) وقد مرّ بعض القول فيه في كتاب النبوّة وسيأتي أيضاً إن شاء الله تعالى.

١٧ - **فرج المهموم:** نقلاً من كتاب تعبير الرؤيا للكلينيّ، بإسناده عن محمّد بن سالم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: [عندنا] قوم يقولون: النجوم أصحُّ من الرؤيا، وذلك كانت صحيحةً حين لم يردّ الشمس على يوشع بن نون وعلى أمير المؤمنين عليه السلام فلمّا ردّ الله عزّ وجلّ الشمس عليهما ضلّ فيهما علماء النجوم، فمنهم مصيب ومنهم مخطئ(٣).

١٨ - **البصائر:** عن عليّ بن حسّان، عن ابن بكير، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: من الرسول؟ ومن النبيّ؟ ومن المحدَّث؟ فقال: الرسول الّذي يأتيه جبرئيل فيكلّمه قُبلاً فيراه كما يرى أحدكم صاحبه الّذي يكلّمه، فهذا الرسول والنبيّ الّذي يؤتى في النوم نحو رؤيا إبراهيم، ونحو ما كان يأخذ رسول الله ﷺ من السبات إذا أتاه جبرئيل في النوم فهكذا النبيّ، ومنهم من تجمع له الرسالة والنبوّة فكان رسول الله ﷺ رسولاً نبيّاً يأتيه جبرئيل قبلاً فيكلّمه ويراه ويأتيه في النوم. وأمّا المحدَّث فهو الّذي يسمع كلام الملك فيحدّثه من غير أن يراه ومن غير أن يأتيه في النوم(٤).

أقول: قد مضى مثله بأسانيد جمّة في كتاب النبوّة وكتاب الامامة وغيرهما.

١٩ - **الاختصاص:** قال الصادق عليه السلام: إذا كان العبد على معصية الله عزّ وجلّ وأراد الله به خيراً أراه في منامه رؤيا تروعه فينزجر بها عن تلك المعصية، وإنّ الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوّة(٥).

٢٠ - **ومنه:** عن أبي الفرج، عن سهل بن زياد، عن رجل، عن عبد الله بن جبلة عن أبي المغرا، عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: من كانت له إلى الله حاجة وأراد أن يرانا وأن يعرف موضعه فليغتسل ثلاثة ليال يناجي بنا فإنّه يرانا ويغفر له بنا ولا يخفى عليه موضعه. قلت: سيّدي فإنّ رجلاً رآك في المنام وهو يشرب النبيذ؟ قال: ليس النبيذ يفسد عليه دينه، إنّما يفسد عليه تركنا وتخلّفه عنّا (الخبر)(٦).

٢١ - **مجالس الصدوق:** عن الحسين بن إبراهيم بن ناتانة، عن عليّ بن إبراهيم، عن

(١) سورة المجادلة، الآية: ١٠.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٢.
(٣) فرج المهموم، ص ٨٦.
(٤) بصائر الدرجات، ص ٣٤٧ ج ٨ باب ١ ح ١٠.
(٥) - (٦) الإختصاص، ص ٢٤١.

أبيه، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم الكرخيّ قال: قلت للصادق جعفر بن محمّد عليه السلام: إنّ رجلاً رأى ربّه عزّ وجلّ في منامه فما يكون ذلك؟ فقال: ذلك رجل لا دين له، إنّ الله تبارك وتعالى لا يرى في اليقظة ولا في المنام ولا في الدنيا ولا في الآخرة(١).

٢٢ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن حديد عن جميل ابن درّاج، عن زرارة، عن أحدهما عليهما السلام قال: أصبح رسول الله يوماً كئيباً حزيناً، فقال له عليّ عليه السلام: ما لي أراك يا رسول الله كئيباً حزيناً؟ فقال صلى الله عليه وآله: وكيف لا أكون كذلك وقد رأيت في ليلتي هذه أنّ بني تيم وبني عديّ وبني أميّة يصعدون منبري هذا يردّون الناس عن الاسلام القهقرى؟! فقلت: يا ربّ في حياتي أو بعد موتي؟ فقال: بعد موتك(٢).

٢٣ - **ومنه:** عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحسين، عن محمّد بن الوليد، ومحسن ابن أحمد، عن يونس بن يعقوب، عن عليّ بن عيسى القمّاط، عن عمّه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله بني أميّة يصعدون على منبره من بعده ويضلّون الناس عن الصراط القهقرى، فأصبح كئيباً حزيناً، قال: فهبط عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله ما لي أراك كئيباً حزيناً؟ قال: يا جبرئيل إنّي رأيت بني أميّة في ليلتي هذه يصعدون منبري من بعدي ويضلّون الناس عن الصراط القهقرى، فقال: والّذي بعثك بالحقّ نبيّاً إنّ هذا شيء ما اطّلعت عليه، فعرج إلى السماء فلم يلبث أن نزل عليه بآي من القرآن يؤنسه بها قال: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾(٣) وأنزل عليه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ جعل الله عزّ وجلّ ليلة القدر لنبيّه صلّى الله عليه وآله خيراً من ألف شهر ملك بني أميّة(٤).

٢٤ - **كتاب سليم بن قيس:** عن عبد الله بن جعفر قال: كنت عند معاوية - وساق الحديث إلى أن قال: - قلت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسئل عن هذه الآية ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾(٥) فقال: إنّي رأيت اثني عشر رجلاً من أئمّة الضلال يصعدون منبري وينزلون، يردّون أمّتي على أدبارهم القهقرى، فيهم رجلان من حيّين من قريش مختلفين وثلاثة من بني أميّة وسبعة من ولد الحكم بن العاص، إذا بلغوا خمسة عشر رجلاً جعلوا كتاب الله دخلاً وعباد الله خولاً (الحديث)(٦).

٢٥ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن أبي نصر، عن ابن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الفرق من السنّة؟ قال: لا. قلت: هل

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٤٨٨ مجلس ٨٩ ح ٥.
(٢) روضة الكافي، ح ٣٤٥.
(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٢٠٥-٢٠٧.
(٤) الكافي، ج ٤ ص ٣٧٨ باب ١١٣ ح ١٠.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.
(٦) كتاب سليم بن قيس، ص ٢١٣.

فرق رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قلت: كيف ذلك؟ قال: إنّ رسول الله ﷺ حين صدّ عن البيت وقد كان ساق الهدي وأحرم أراه الله الرؤيا الّتي أخبر الله في كتابه إذ يقول: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾(١) فعلم رسول الله ﷺ أنّه سيفي له بما أراه، فمن ثمّ وفّر ذلك الشعر الّذي كان على رأسه حين أحرم انتظاراً لحلقه في الحرم حيث وعده الله عزّ وجلّ، فلمّا حلقه لم يعد توفير الشعر ولا كان ذلك من قبله(٢).

٢٦ - **مجالس الصدوق:** بإسناده عن ابن عبّاس قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خروجه إلى صفّين، فلمّا نزل نينوى - وهو بشطّ الفرات - توضّأ وصلّى ثمّ نعس فانتبه فقال: رأيت في منامي كأنّي برجال قد نزلوا من السماء معهم أعلام بيض قد تقلّدوا سيوفهم وهي بيض تلمع، وقد خطّوا حول هذه الأرض خطّة، ثمّ رأيت كأنّ هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الأرض يضطرب بدم عبيط، وكأنّي بالحسين فرخي ومضغتي ومخّي قد غرق فيه يستغيث فلا يغاث، وكأنّ الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقولون: صبراً آل الرسول، فإنّكم تقتلون على أيدي شرار الناس، وهذه الجنّة يا أبا عبد الله إليك مشتاقة، ثم يعزّونني ويقولون: يا أبا الحسن أبشر، فقد أقرّ الله عينك به يوم يقوم الناس لربّ العالمين، ثمّ انتبهت هكذا والّذي نفس عليّ بيده لقد نبّأني الصادق المصدّق أبو القاسم ﷺ أنّي سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا، وهذه أرض كرب وبلاء يدفن فيها الحسين وسبعة عشر رجلاً من ولدي وولد فاطمة (والحديث مختصر)(٣).

٢٧ - **المكارم:** روي أنّ عليّ بن الحسين عليه السلام قال: كنت أدعو الله سنة عقيب كلّ صلاة أن يعلّمني الاسم الأعظم، فإنّي ذات يوم قد صلّيت الفجر فغلبتني عيناى وأنا قاعد، إذا أنا برجل قائم بين يدي يقول لي: سألت الله تعالى أن يعلّمك الاسم الأعظم؟ قلت: نعم. قال: قل: «اللّهم إنّي أسألك باسم الله الله الله الّذي لا إله إلاّ هو ربّ العرش العظيم» قال: فوالله ما دعوت بها لشيء إلاّ رأيت نجحه(٤).

أقول: قد مرّ رؤيا عبد المطّلب في بشارة النبيّ ﷺ أنّه رأى أنّ شجرةً قد نبتت على ظهره قد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها الشرق والغرب، وأنّ نوراً يزهر منها أعظم من نور الشمس، وأنّ العرب والعجم ساجدة لها وهي كلّ يوم تزداد عظماً ونوراً، وأنّ رهطاً من قريش يريدون قطعها فإذا دنوا منها يأخذهم شابّ من أحسن الناس وجهاً ويكسر ظهورهم ويقلع أعينهم، فقالت الكاهنة: لئن صدقت ليخرجنّ من صلبك ولد يملك الشرق والغرب وينبأ في الناس. وقد مرّ أيضاً رؤياه في حفر زمزم والسيوف، وهي طويلة. وقد مرّت منامات

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٧. (٢) الكافي، ج ٦ ص ١١٦١ باب ٣٧٥ ح ٥.
(٣) أمالي الصدوق، ص ٤٧٨ مجلس ٨٧ ح ٥. (٤) مكارم الأخلاق، ص ٣٣٧.

آمنة في ولادة النبيّ ﷺ ومضى رؤيا العبّاس في بشارة النبيّ ﷺ أنّه رأى أنّه خرج من منخر عبد الله بن عبد المطّلب طائر أبيض فطار وبلغ المشرق والمغرب، ثمّ رجع حتّى سقط على بيت الكعبة فسجدت له قريش كلّها، فصار نوراً بين السماء والأرض وامتدّ حتّى بلغ المشرق والمغرب، فقالت كاهنة بني مخزوم: يا عبّاس لئن صدقت رؤياك ليخرجنّ من صلبه ولد يصير أهل المشرق والمغرب تبعاً له. وتقدّم في غزوة بدر أنّ عاتكة بنت عبد المطّلب رأت أنّ راكباً قد دخل مكّة ينادي ثلاث مرّات: يا آل عدي! يا آل فهر! اغدوا إلى مصارعكم. فأخذ حجراً فدهدهه من الجبل فما ترك داراً من دور قريش إلاّ أصابته منه فلذة، وكأنّ وادي مكّة قد صار من أسفله دماً، فوافى زمزم بعد ثلاث ونادى فيهم: أدركوا العير، فكانت غزوة بدر. ومرّ في ولادة الحسين عليه السلام أنّ أمّ أيمن قالت: يا رسول الله رأيت في ليلتي هذه كأنّ بعض أعضائك ملقىً في بيتي، فقال رسول الله ﷺ: تلد فاطمة الحسين فتربيّنه وتلقّينه فيكون بعض أعضائي في بيتك. وتقدّم أيضاً أنّ امرأة حنظلة بن أبي عامر الراهب رأت في المنام كأنّ السماء انفرجت فوقع فيها حنظلة ثمّ انضمّت، فذهب حنظلة إلى أحد فاستشهد. وتقدّم أيضاً منامات غريبة من بخت نصر، منها: أنّه رأى في المنام كأنّ ملائكة السماء هبطت إلى الأرض أفواجاً إلى الجبّ الّذي حبس فيه دانيال عليه السلام مسلّمين عليه يبشّرونه بالفرج، فندم على ما فعل وأخرجه من الجبّ. ومنها: أنّه رأى في نومه كأنّ رأسه من حديد ورجليه من نحاس وصدره من ذهب، فعبّرها دانيال بأنّه يذهب ملكه ويقتل بعد ثلاث يقتله رجل من ولد فارس، فكان كذلك ورأى المؤبدان في ولادة النبيّ ﷺ في المنام إبلاً صعاباً يقود خيلاً عراباً.

٢٨ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل فدعا الله أن يرزقه غلاماً ثلاث سنين، فلمّا رأى أنّ الله لا يجيبه قال: يا ربّ أبعيد أنا منك فلا تسمعني أم قريب أنت منّي فلا تجيبني؟ قال: فأتاه آت في منامه فقال: إنّك تدعو الله عزّ وجلّ منذ ثلاث سنين بلسان بذيّ وقلب عاتٍ غير تقيّ ونيّة غير صادقة، فأقلع عن بذائك وليتّق الله قلبك ولتحسن نيّتك. قال: ففعل الرجل ذلك ثمّ دعا الله فولد له الغلام[١].

٢٩ - **مجالس الشيخ:** بإسناده عن شمر بن عطيّة قال: كان أبي ينال من عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأُتي في المنام فقيل له: أنت السابّ عليّاً؟ فخنق حتّى أحدث في فراشه ثلاثاً[٢].

٣٠ - **قصص الراوندي:** بإسناده عن طربال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أمر الملك بحبس يوسف عليه السلام في السجن ألهمه الله تأويل الرؤيا، فكان يعبّر لأهل السجن رؤياهم[٣].

---

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٠٠ باب البداء ح ٧.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٦١٩ مجلس ٦٩ ح ١٢٧٧.
(٣) قصص الراوندي، ص ١٢٩.

٣١ - **مجالس ابن الشيخ:** عن والده، عن ابن مخلد، عن أبي عمرو، عن الحسن بن سلام، عن قبيصة، عن سفيان، عن هشام، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: إذا تقارب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً(١).

بيان: هذه الرواية رواها من طرق المخالفين. قال في النهاية: فيه «إذا تقارب الزمان - وفي رواية: اقترب الزمان - لم تكد رؤيا المؤمن تكذب» أراد: اقتراب الساعة وقيل: اعتدال الليل والنهار، وتكون الرؤيا فيه صحيحة لاعتدال الزمان. و«اقترب» افتعل من القرب، و«تقارب» تفاعل منه، ويقال للشيء إذا ولّى وأدبر: تقارب، ومنه حديث المهديّ: يتقارب الزمان حتّى تكون السنة كالشهر (انتهى).

وقال الخطابيّ في أعلام الحديث: قوله «إذا اقترب الزمان» فيه قولان: أحدهما أن يكون معناه تقارب زمان الليل والنهار وقت استوائهما أيّام الربيع، وذلك وقت اعتدال الطبائع الأربع غالباً، وكذلك هو في الخريف، والمعبّرون يقولون: أصدق الرؤيا ما كان وقت اعتدال الليل والنهار وإدراك الثمار وينعها. والوجه الآخر: أنّ اقتراب الزمان انتهاء مدّة إذا دنا قيام الساعة.

«وأصدقهم رؤيا» قال النوويّ في شرح الصحيح: ظاهره الإطلاق، وقيّد القاضي بآخر الزمان عند انقطاع العلم بموت العلماء والصالحين، فجعله الله جابراً ومنبّهاً لهم والأوّل أظهر، لأنّ غير الصادق في حديثه يتطرّق الخلل إلى رؤياه وحكايته إيّاها.

٣٢ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن معمر بن خلّاد قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ربّما رأيت الرؤيا فأعبرها، والرؤيا على ما تعبّر.

بيان: قال في النهاية: فيه «الرؤيا لأوّل عابر» يقال: عبرت الرؤيا أعبرها عبراً وعبّرتها تعبيراً إذا أوّلتها وفسّرتها وخبّرت بآخر ما يؤول إليه أمرها. يقال: هو عابر الرؤيا وعابر للرؤيا، وهذه اللام تسمّى لام التعقيب لأنّها عقّبت الاضافة. والعابر: الناظر في الشيء، والمعبّر: المستدلّ بالشيء على الشيء، ومنه الحديث: للرؤيا كنى وأسماء فكنّوها بكناها واعتبروها بأسمائها. ومنه حديث ابن سيرين كان يقول: إنّي أعتبر الحديث، المعنى فيه أنّه يعبّر الرؤيا على الحديث ويعتبر به كما يعتبرها بالقرآن في تأويلها، مثل أن يعبّر الغراب بالرجل الفاسق، والضلع بالمرأة، لأنّ النبيّ ﷺ سمّى الغراب فاسقاً وجعل المرأة كالضلع ونحو ذلك من الكنى والأسماء (انتهى). قوله عليه السلام «على ما تعبّر» أي تقع موافقة لما عبّرت به.

٣٣ - **الكافي:** عن عدّة من أصحابه، عن سهل بن زياد؛ وعليّ بن إبراهيم عن أبيه، عن

(١) أمالي الطوسي، ص ٢٨٦ مجلس ١٣ ح ٨٣٤.

ابن محبوب، عن عبد الله بن غالب، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: إنّ رؤيا المؤمن ترفّ بين السماء والأرض على رأس صاحبها حتّى يعبّرها لنفسه أو يعبّرها له مثله، فإذا عبّرت لزمت الأرض فلا تقصّوا رؤياكم إلاّ على من يعقل[1].

بيان: في القاموس «رفّ الطائر» أي بسط جناحيه كرفرف، والرفرفة تحريك الظليم جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه (انتهى). وفي تشبيه الرؤيا بالطير وإثبات الرفرفة وترشيحه بالقصّ الّذي هو قطع الجناح وبلزوم الأرض لطائف لا تخفى. وفي النهاية: في حديث «الرؤيا لا تقصّها إلاّ على وادّ» يقال: قصصت الرؤيا على فلان إذا أخبرته بها أقصّها قصّاً، والقصّ: البيان.

٣٤ - **الكافي:** عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن خالد، عن القاسم بن عروة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الرؤيا لا تقصّ إلاّ على مؤمن خلا من الحسد والبغي[2].

بيان: إنّما اشترط عليه السلام ذلك لئلاّ يتعمّد المعبّر تعبيرها بالسوء حسداً وبغياً.

أقول: روى البغويّ في شرح السنّة عن جابر قال: أتى النبيّ صلى الله عليه وآله رجل وهو يخطب فقال: يا رسول الله رأيت فيما يرى النائم البارحة كأنّ عنقي ضربت فسقط رأسي فاتّبعته فأخذته ثمّ أعدته مكانه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يحدّثنّ به الناس. وعن أبي سلمة قال: كنت أرى الرؤيا فيهمّني، حتّى سمعت أبي قتادة يقول: كنت أرى الرؤيا فيمرضني حتّى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الرؤيا الصالحة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحبّ فلا يحدّث به إلاّ من يحبّ، وإذا رأى ما يكره فلا يحدّث به وليتفل عن يساره وليتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شرّ ما رأى فإنّها لم تضرّه. ثمّ قال: فيه إرشاد للمستعبر لموضع رؤياه، فإن رأى ما يكره لا يحدّث به حتّى لا يستقبله في تعبيرها ما يزداد به همّاً، فإن رأى ما يحبّه فلا يحدّث به إلاّ من يحبّه، لأنّه لا يأمن ممّن لا يحبّه أن يعبّره حسداً على غير وجهه فيغمّه أو يكيده بأمر، كما أخبر الله تعالى عن يعقوب حين قصّ عليه يوسف رؤياه: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾[3]. وروي عن أبي رزين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الرؤيا جزء من ستّة وأربعين جزءً من النبوّة، وهي على رجل طائر فإذا حدّثت بها وقعت، وأحسبه قال: لا تحدّث بها إلاّ حبيباً أو لبيباً. وفي رواية أُخرى: الرؤيا على رجل طائر ما لم يعبّر، فإذا عبّرت وقعت، قال: وأحسبه قال: ولا تقصّها إلاّ على وادّ أو ذي رأي. الوادّ لا يحبّ أن يستقبلك في تفسيرها إلاّ بما تحبّ وإن لم يكن عالماً بالعبارة لم يعجل لك بما يغمّك، وأمّا ذو الرأي فمعناه ذو العلم بعبارتها، فهو يخبرك بحقيقة تفسيرها أو

(١) - (٢) روضة الكافي، ح ٥٢٩-٥٣٠. (٣) سورة يوسف، الآية: ٥.

بأقرب ممّا تعلم منها، ولعلّه أن يكون في تفسيرها موعظة يردعك عن قبيح ما أنت عليه، أو يكون فيها بشرى فتشكر الله عليها. قال: وروى أبو أيّوب مرسلاً أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ الرؤيا يقع على ما عبّر ومثّل ذلك مثل رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها، وإذا رأى أحدكم رؤيا فلا يحدّث بها إلاّ ناصحاً أو عالماً (انتهى).

وقال في النهاية: فيه «الرؤيا لأوّل عابر وهي على رجل طائر». «لأوّل عابر» أي إذا عبّرها برّ صادق عالم بأصولها وفروعها واجتهد فيها وقعت له دون غيره ممّن فسّرها بعده «وهي على رجل طائر» أي إنّها على رجل قدر جارٍ وقضاء ماض من خير أو شرّ، وأنّ ذلك هو الّذي قسمه الله تعالى لصاحبها، من قولهم «اقتسموا داراً فطار سهم فلان في ناحيتها» أي وقع سهمه وخرج، وكلّ حركة من كلمة أو شيء يجري لك فهو طائر. والمراد أنّ الرؤيا هي الّتي يعبّرها المعبّر الأوّل، فكأنّها كانت على رجل طائر فسقطت ووقعت حيث عبّرت، كما يسقط الّذي يكون على رجل الطائر بأدنى حركة.

٣٥ - **غوالي اللئالي:** قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بينا أنا نائم إذ أُتيت بقدح من لبن فشربت منه حتّى أنّي لأرى الريّ يخرج من بين أظافيري. قالوا: بما أوّلت ذلك يا رسول الله؟ قال: العلم[1].

بيان: قال في فتح الباري: وفي رواية «من أطرافي» ويحتمل أن يكون بصر به وهو الظاهر، وأن يكون علمه، ويؤيّد الأوّل ما في رواية أُخرى «فشربت منه حتّى رأيته يجري في عروقي بين الجلد واللحم» على أنّه محتمل أيضاً. وقال في حديث أبي هريرة: اللبن في المنام فطرة. وفي رواية أبي بكرة: من رأى أنّه يشرب لبناً فهو الفطرة وفي حديث الإسراء حين أتي بقدح خمر وقدح لبن، فأخذ اللبن فقال له جبرئيل: أخذت الفطرة. وقال: إنّ من الرؤيا ما يدلّ على الماضي والحال والمستقبل وهذه أوّلت على الماضي، فإنّ رؤياه هذه تمثيل بأمر قد وقع، لأنّ الّذي أعطيه من العلم كان قد حصل له. قال: وذكر الدينوريّ أنّ اللبن المذكور فيها يختصّ بالإبل وإنّه لشاربه مال حلال وعلم وحكمة. قال: ولبن البقر خصب السنة ومال حلال وفطرة، ولبن السباع غير محمود، إلاّ أنّ لبن اللبؤة مال مع عداوة لذي أمر.

٣٦ - **جامع الأخبار:** في كتاب التعبير عن الأئمّة عليهم السلام أنّ رؤيا المؤمن صحيحة لأنّ نفسه طيّبة، ويقينه صحيح، وتخرج فتتلقّى من الملائكة، فهي وحي من الله العزيز الجبّار. وقال عليه السلام: انقطع الوحي وبقي المبشّرات ألا وهي نوم الصالحين والصالحات. ولقد حدّثني أبي عن جدّي عن أبيه عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رآني في منامه فقد رآني،

(١) غوالي اللئالي، ج ١ ص ١٤٩.

فإنّ الشيطان لا يتمثّل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي ولا في صورة أحدٍ من شيعتهم، وإنّ الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوّة[(١)].

٣٧ - **كمال الدين:** يروى في الأخبار الصحيحة عن أئمّتنا عليهم السلام أنّ من رأى رسول الله صلى الله عليه وآله أو أحداً من الأئمّة عليهم السلام قد دخل مدينة أو قرية في منامه فإنّه أمن لأهل المدينة أو القرية ممّا يخافون ويحذرون، وبلوغ لما يأملون ويرجون[(٢)].

٣٨ - **الفقيه:** قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل من أهل البادية له جسم وجمال فقال يا رسول الله أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ﴿٦٤﴾﴾[(٣)] فقال: أمّا قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فهي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن فيبشّر بها في دنياه، وأمّا قول الله عزّ وجلّ ﴿وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ فإنّها بشارة المؤمن عند الموت، يبشّر بها عند موته أنّ الله قد غفر لك ولمن يحملك إلى قبرك[(٤)].

٣٩ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن معمر بن خلاّد عن الرضا قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أصبح قال لأصحابه: هل من مبشّرات؟ يعني به الرؤيا[(٥)].

بيان: روت العامّة أيضاً هذه الرواية باسنادهم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لم يبق من النبوّة إلاّ المبشّرات، قالوا: وما المبشّرات؟ قال: الرؤيا الصالحة.

٤٠ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: رأي المؤمن ورؤياه في آخر الزمان على سبعين جزءاً من أجزاء النبوّة[(٦)].

بيان: لمّا غيّب الله تعالى في آخر الزمان عن الناس حجّتهم، تفضّل عليهم وأعطاهم رأياً في استنباط الأحكام الشرعيّة ممّا وصل إليهم من أئمّتهم عليهم السلام ولمّا حجب عنهم الوحي وخزّانه أعطاهم الرؤيا الصادقة أزيد ممّا كان لغيرهم، ليظهر عليهم بعض الحوادث قبل حدوثها. وقيل: إنّما يكون هذا في زمان القائم عليه السلام «على سبعين جزءاً» لعلّ المراد أنّ للنبوّة أجزاء كثيرة، سبعون منها من قبل الرأي أي الاستنباط اليقينيّ، لا الاجتهاد والتظنّي، والرؤيا الصادقة، فهذا المعنى الحاصل لأهل آخر الزمان على نحو تلك السبعين ومشابه لها وإن كان في النبيّ أقوى. ويحتمل أن يكون المعنى: على نحو بعض أجزاء السبعين، كما ورد أنّ رؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءً من النبوّة. وقد روت العامّة بأسانيد عن أنس عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستّة وأربعين جزءً من النبوّة.

---

(١) جامع الأخبار، ص ٤٩٠.
(٢) كمال الدين، ص ٢٢٠.
(٣) سورة يونس، الآيتان: ٦٣-٦٤.
(٤) من لا يحضره الفقيه، ص ٥٢ ح ٣٥٣.
(٥) - (٦) روضة الكافي، ح ٥٨-٥٩.

قال البغويّ في شرح السنّة: أراد تحقيق أمر الرؤيا وتأكيده، وإنّما كانت جزءً من النبوّة في حقّ الأنبياء دون غيرهم. قال عبيد بن عمير: رؤيا الأنبياء وحي وقرأ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ﴾ - الآية - وقيل: إنّها جزء من أجزاء علم النبوّة، وعلم النبوّة باق، والنبوّة غير باقية؛ أو أراد به أنّها كالنبوّة في الحكم بالصحّة، كما قال ﷺ: الهدى الصالح، والسمت الصالح، والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءً من النبوّة. أي هذه الخصال في الحسن والاستحباب كجزء من أجزاء النبوّة، وهذه الخلال جزء من شمائل الأنبياء وجزء من أجزاء فضائلهم فاقتدوا فيها بهم، لا أنّها حقيقةً نبوّة، لأنّ النبوّة لا تتجزّأ ولا نبوّة بعد محمّد ﷺ وهو معنى قوله ﷺ: ذهبت النبوّة وبقيت المبشّرات، الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو يرى له. وقيل: معنى قوله «جزء من ستّة وأربعين» أنّ مدّة الوحي على رسول الله من حين بدأ إلى أن فارق الدنيا كان ثلاثاً وعشرين سنة، وكان ستّة أشهر منها في أوّل الأمر يوحى إليه في النوم - وهو نصف سنة - فكانت مدّة وحيه في النوم جزء من ستّة وأربعين جزءً من أيّام الوحي (انتهى).

وقال الجزريّ في النهاية: الجزء القطعة والنصيب من الشيء، ومنه الحديث «الرؤيا الصالحة جزء من ستّة وأربعين جزءً من النبوّة» وإنّما خصّ هذا العدد لأنّ عمر النبيّ ﷺ في أكثر الروايات الصحيحة كان ثلاثاً وستّين سنة، وكانت مدّة نبوّته منها ثلاثاً وعشرين سنة، لأنّه بعث عند استيفاء الأربعين وكان في أوّل العمر يرى الوحي في المنام ودام كذلك نصف سنة، ثمّ رأى الملك في اليقظة، فإذا نسب مدّة الوحي في النوم - وهي نصف سنة - إلى مدّة نبوّته - وهي ثلاث وعشرون سنة - كانت نصف جزء من ثلاثة وعشرين جزءً، وذلك جزء واحد من ستّة وأربعين جزءً، وقد تعاضدت الروايات في أحاديث الرؤيا بهذا العدد، وجاء في بعضها «من خمسة وأربعين جزءً» ووجه ذلك أنّ عمره لم يكن قد استكمل ثلاثاً وستّين، ومات في أثناء السنة الثالثة والستّين، ونسبة نصف السنة إلى اثنتين وعشرين سنة وبعض الأخرى نسبة جزء من خمسة وأربعين. وفي بعض الروايات: «جزء من أربعين» ويكون محمولاً على من روى أنّ عمره كان ستّين سنة، فيكون نسبة نصف سنة إلى عشرين سنة كنسبة جزء إلى أربعين (انتهى).

وقال الخطابيّ في أعلام الحديث: هذا وإن كان وجهاً قد يحتمله الحساب والعدد فإنّ أوّل ما يجب من الشرط فيه أن يثبت ما قاله من ذلك بخبر أو رواية، ولم نسمع فيه خبراً ولا ذكر قائل هذه المقالة فيما بلغني عنه في ذلك أثراً، فهو كأنّه ظنّ وحسبان والظنّ لا يغني من الحقّ شيئاً، ولئن كانت هذه المدّة محسوبة من أجزاء النبوّة على ما ذهب إليه من هذه القسمة، لقد كان يجب أن يلحق بها سائر الأوقات الّتي كان يوحى إليه في منامه في تضاعيف أيّام حياته، وأن تلتقط وتلفق وتزداد في أصل الحساب، وإذا صرنا إلى أصل هذه القضيّة بطلت هذه القسمة وسقط هذا الحساب من أصله، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ في عدّة أحاديث من روايات كثيرة أنّه كان يرى الرؤيا المختلفة في أمور الشريعة ومهمّات أسباب الدين

فيقصّها على أصحابه، فكان يقول لهم إذا أصبح: من رأى منكم رؤياً؟ فيقصّونها عليه، وقال لهم يوم أحد: رأيت في سيفي ثلمة ورأيت كأنّي مردف كبشاً، فتأوّلت ثلمة السيف أنّه يصاب في أصحابه، وأنّه يقتل كبش القوم. - ثمّ ذكر رؤيا كثيرة فقال: وهذه كلّها بعد الهجرة، وأعلى هذه كلّها ما نطق به الكتاب من رؤيا الفتح في قوله جلّ وعزّ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾[(١)] - الآية - وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[(٢)] - الآية - فدلّ ما ذكرناه من هذا وما تركناه من هذا الباب على ضعف هذا التأويل. ونقول: إنّ هذا الحديث صحيح وجملة ما فيه حقّ، وليس كلّ ما يخفى علينا علّته لا تلزمنا حجّته، وقد نرى أعداد ركعات الصلوات وأيّام الصيام ورمي الجمار محصورة في حساب معلوم، وليس يمكننا أن نصل من علمها إلى أمر يوجب حصرها تحت هذه الأعداد دون ما هو أكثر منها أو أقلّ فلم يكن ذهابنا عن معرفة ذلك قادحاً في موجب الاعتقاد منّا في اللازم من أمرها، ومعنى الحديث تحقيق أمر الرؤيا وأنّها ممّا كان الأنبياء يثبتونه ويحقّقونه، وأنّها كانت جزءً من أجزاء الّذي كان يأتيهم والأنباء الّتي كان ينزل بها الوحي عليهم (انتهى).

وقال بعض شرّاح البخاريّ «الرؤيا جزء من النبوّة» أي في حقّ الأنبياء فإنّهم يوحى إليهم في المنام، وقيل: الرؤيا تأتي على وفق النبوّة، لا أنّها جزء باق منها، وقيل: هي من الإنباء، أي إنباء صدق من الله لا كذب فيه، ولا حرج في الأخذ بظاهره، فإنّ أجزاء النبوّة لا تكون نبوّة، فلا ينافي حينئذ: ذهبت النبوّة. ثمّ رؤيا الكافر قد يصدق لكن لا يكون جزءً منها، إذ المراد الرؤيا الصالحة من المؤمن الصالح جزء منها.

وقال النوويّ في شرح صحيح المسلم: وجّه الطبريُّ اختلاف الراويات في عدد ما هو جزء منه باختلاف حال الرائي بالصلاح والفسق، وقيل: باعتبار الخفيّ والجليّ من الرؤيا، وقيل: إنّ للمنامات شبهاً بما حصل له وميّز به من النبوّة بجزء من ستّة وأربعين.

٤١ - **الكافي**: عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن أبي جميلة عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رجل لرسول الله صلّى الله عليه وآله في قول الله عزّ وجلّ ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: هي الرؤيا الحسنة يرى المؤمن فيبشّر بها في دنياه[(٣)].

بيان: روى في شرح السنّة بإسناده عن عبادة بن الصامت قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو يرى له. ولا تنافي بينه وبين ما ورد في بعض الأخبار أنّها هي البشارة عند الموت، لاحتمال شمولها لهما.

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٧. (٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

(٣) روضة الكافي، ح ٦٠.

٤٢ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن عمير، عن سعد بن أبي خلف، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الرؤيا على ثلاثة وجوه: بشارة من الله للمؤمن وتحذير من الشيطان، وأضغاث أحلام(١).

بيان: لعلّ المراد بتحذير الشيطان أنّه يحذّر ويخوّف عن ارتكاب الأعمال الصالحة، أو المراد به الأحلام الهائلة المخوفة. والظاهر أنّه تصحيف «تحزين» لآية النجوى وقوله ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ولرواية محمّد بن الأشعث الآتية، ولما رواه في شرح السنّة بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان آخر الزمان لم يكد رؤيا المؤمن يكذب، وأصدقهم رؤياً أصدقهم حديثاً، والرؤيا ثلاثة: رؤيا بشرى من الله، ورؤيا ممّا يحدّث به الرجل نفسه، ورؤيا من تحزين الشيطان، فإذا رأى أحدكم ما يكره فلا يحدّث به وليقم وليصلّ، والقيد في المنام ثبات في الدين، والغلّ أكرهه.

ثمّ قال: قوله «والقيد ثبات في الدين» لأنّ القيد يمنع عن النهوض والتقلّب [و] كذلك الورع يمنعه ممّا لا يوافق الدين، وهذا إذا كان مقيّداً في مسجد أو سبيل الخير، وإن رآه مسافر فهو إقامة عن السفر، وكذلك إذا رأى دابّته مقيّدة. وإن رآه مريض أو محبوس طال مرضه وحبسه، أو مكروب طال كربه والغلّ كفر لقوله تعالى ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾(٢) ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾(٣) وقد يكون بخلاً قال تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ وقد يكون كفّاً عن المعاصي إذا كان في الرؤيا ما يدلّ على الصلاح بأن يرى ذلك لرجل صالح.

٤٣ - **مجالس ابن الشيخ:** عن والده، عن أحمد بن محمّد بن الصلت، عن ابن عقدة، عن عليّ بن محمّد الحسنيّ، عن جعفر بن محمّد بن عيسى، عن عبيد الله بن عليّ، عن الرضا عن عليّ عليه السلام قال: رؤيا الأنبياء وحي(٤).

٤٤ - **ومنه:** عن والده، عن أبي القاسم بن شبل، عن ظفر بن حمدون، عن إبراهيم بن إسحاق، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ومحمّد بن خالد، عن عليّ بن النعمان عن يزيد بن إسحاق شعر، عن هارون بن حمزة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ منّا لمن ينكت في قلبه، وإنّ منّا لمن يؤتى في منامه، وإنّ منّا لمن يسمع الصوت مثل صوت السلسلة في الطشت، وإنّ منّا لمن يأتيه صورة أعظم من جبرئيل وميكائيل عليهما السلام(٥).

٤٥ - **المكارم:** قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله كثير الرؤيا، ولا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح.

٤٦ - **مجالس الصدوق:** عن محمّد بن عمر البغداديّ، عن الحسن بن عثمان، عن

---

(١) روضة الكافي، ح ٦١.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٤.
(٣) سورة يس، الآية: ٨.
(٤) أمالي الطوسي، ص ٣٣٨ مجلس ١٢ ح ٦٨٩.
(٥) أمالي الطوسي، ص ٤٠٧ مجلس ١٤ ح ٩١٥.

إبراهيم بن عبيد الله بن موسى، عن مريسة بنت موسى بن يونس، عن صفيّة بنت يونس، عن بهجة بنت الحارث، عن خالها عبد الله بن منصور قال: سألت جعفر بن محمّد عليه السلام عن مقتل الحسين ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: حدّثني أبي، عن أبيه، وساق الحديث الطويل في قصّة كربلاء وسفره [صلوات الله عليه] إلى العراق إلى أن قال: فهمَّ بالخروج من أرض الحجاز إلى أرض العراق فلمّا أقبل الليل راح إلى مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله ليودِّع القبر، فقام يصلّي فأطال، فنعس وهو ساجد، فجاء النبيّ صلى الله عليه وآله وهو في منامه، فأخذ الحسين عليه السلام وضمّه إلى صدره وجعل يقبّل عينيه ويقول: بأبي أنت، كأنّي أراك مرمّلاً بدمك بين عصابة من هذه الأمّة يرجون شفاعتي! ما لهم عند الله من خلاق. يا بنيّ إنّك قادم على أبيك وأمّك وأخيك وهم مشتاقون إليك، وإنّ لك في الجنّة درجات لا تنالها إلاّ بالشهادة فانتبه الحسين عليه السلام من نومه باكياً، فأتى أهل بيته فأخبرهم بالرؤيا وودّعهم - وساق إلى أن قال -: ثمّ سار حتّى نزل العذيب، فقال فيها قائلة الظهيرة، ثمّ انتبه من نومه باكياً فقال له ابنه: ما يبكيك يا أبه؟ فقال: يا بنيّ إنّها ساعة لا تكذب الرؤيا فيها، وإنّه عرض لي في منامي عارض فقال: تسرعون السير والمنايا تسير بكم إلى الجنّة (الحديث)[١].

٤٧ - **ثواب الأعمال:** عن محمّد بن الحسن، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن يعقوب ابن يزيد، عن محمّد بن الحسن المثنّى[٢]، عن هشام بن أحمد وعبد الله بن مسكان ومحمّد ابن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاثة يعذّبون يوم القيامة: من صوّر صورة من الحيوان حتّى ينفخ فيها وليس بنافخ فيها، والّذي يكذب في منامه يعذّب حتّى يعقد بين شعيرتين وليس بعاقدهما، والمستمع من قوم وهم له كارهون يصبّ في أذنيه الآنك وهو الأسرب[٣].

٤٨ - **الكافي:** عن العدّة، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن حمّاد بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ رجلاً كان على أميال من المدينة، فرأى في منامه، فقيل له: انطلق فصلّ على أبي جعفر، فإنّ الملائكة تغسله في البقيع. فجاء الرجل فوجد أبا جعفر عليه السلام قد توفّي[٤].

٤٩ - **توحيد المفضل:** فكّر يا مفضّل في الأحلام كيف دبّر الأمر فيها، فمزج صادقها بكاذبها، فإنّها لو كانت كلّها تصدق لكان الناس كلّهم أنبياء، ولو كانت كلّها تكذب لم يكن فيها منفعة، بل كانت فضلاً لا معنى له، فصارت تصدق أحياناً فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدى لها، أو مضرّة يتحذّر منها، وتكذب كثيراً لئلاً يعتمد عليها كلّ الاعتماد[٥].

٥٠ - **مناقب الخوارزمي:** قال: لمّا كان وقت السحر في اللّيلة الّتي حوصر فيها

(١) أمالي الصدوق، ص ١٢٩ مجلس ٣٠ ح ١.
(٢) في المصدر: الميثمي بدل المثنى.
(٣) ثواب الأعمال، ص ٢٦٦.
(٤) روضة الكافي، ح ٢٠٧.
(٥) توحيد المفضل، ص ٨٤.

الحسين عليه السلام خفق برأسه خفقة ثمّ استيقظ فقال: رأيت في منامي الساعة كأنّ كلاباً قد شدّت عليّ لتنهشني، وفيها كلب أبقع رأيته أشدّها عليّ، وأظنّ أنّ الّذي يتولّى قتلي رجل أبرص من بين هؤلاء القوم (الخبر)(١).

٥١ - **دعوات الراوندي:** حدّث أبو عمر القاضي أنّ أبا يوسف اعتلّ فقال ليلة: رأيت قائلاً يقول: كل لا واشرب لا، فإنّك تبرأ. فأرسلنا إلى أبي عليّ الخيّاط فقال: ما سمعت بأعجب من هذا، والمنامات تعبر من القرآن والحديث، فأنظروني حتّى أفكّر. فلمّا كان من الغد جاءنا فقال: مررت البارحة على هذه الآية ﴿شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾(٢) فنظرت إلى ﴿لَّا﴾ يتردّد فيها وهي شجرة الزيتون، أسقوه زيتاً وأطعموه زيتاً. قال: ففعلنا هذا فكان سبب عافيته(٣).

٥٢ - وعن سمرة بن جندب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى منكم أحد رؤيا؟ فيقصّ عليه من شاء الله أن يقصّ، وإنّه قال لنا ذات غداة: إنّه أتاني الليلة آتيان، فقالا لي: انطلق، فانطلقت معهم، فأخرجاني إلى الأرض المقدّسة، فأتينا على رجل مضطجع، وإذا آخرُ قائم عليه بصخرة، فإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر ههنا، فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتّى يصحّ رأسه كما كان، ثمّ يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل في المرّة الأولى. قلت لهما: سبحان الله ما هذان؟! قالا لي: انطلق، فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه وإذا آخرُ قائم عليه بكلّوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقّي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه، ثمّ يتحوّل إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل في الجانب الأوّل، فما يفرغ من ذلك الجانب حتّى يصحّ ذلك الجانب كما كان، ثمّ يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرّة الأولى. قلت: سبحان الله ما هذان؟! قالا لي: انطلق، فانطلقنا فأتينا على مثل التنّور، فإذا فيه لغط وأصوات فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة، فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا. قلت لهما: ما هؤلاء؟ قالا لي: انطلق، فانطلقنا فأتينا على نهر أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شاطيء النهر رجل عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثمّ يأتي الّذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجراً، فينطلق فيسبح ثمّ يرجع إليه، وكلّما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجراً. قلت لهما: ما هذان؟ قالا لي: انطلق، فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة كأكره ما أنت راء، وإذا هو عنده نار له يحشّها ويسعى حولها، قلت لهما: ما هذا؟ فقالا لي: انطلق، فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة فيها من كلّ نَور الربيع وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء،

(١) مقتل الحسين للخوارزمي، ص ٢٥١.
(٢) سورة النور، الآية: ٣٥.
(٣) الدعوات للراوندي، ص ١٦٢ ح ٤٠٦.

وإذا حول الرجل من أكثر ولدان [ما] رأيتهم قطّ، قلت لهما: ما هؤلاء؟ قالا لي: انطلق، فانطلقنا فانتهينا إلى روضة عظيمة لم أر روضة قطّ أعظم منها ولا أحسن، قالا لي: ارق فيها فارتقينا فيها فانتهينا إلى مدينة مبنيّة بلبن ذهب ولبن فضّة، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا، ففتح لنا فدخلناها فتلقّانا فيها رجال، شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ وشطر كأقبح ما أنت راء، قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، فإذا نهر معترض يجري كأن ماءه المحض في البياض، فذهبوا فوقعوا فيه ثمّ رجعوا إلينا، فذهب السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة. قالا لي: هذه جنّة عدن وهناك منزلك، فسما بصري صُعُداً، فإذا قصر مثل الربابة البيضاء، قالا لي: هذا منزلك، قلت لهما: بارك الله فيكما، ذراني أدخله، قالا: أمّا الآن فلا، وأنت داخله، قلت لهما: فإنّي رأيت منذ الليلة عجباً، فما هذا الّذي رأيت؟! قالا لي: أما إنّا سنخبرك: أمّا الرجل الأوّل الّذي أتيت عليه فيثلغ رأسه بالحجر فإنّه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة، يفعل به إلى يوم القيامة. وأمّا الرجل الّذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه فإنّه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة. وأمّا الرجال والنساء العراة الّذين في مثل التنّور فإنّهم الزناة والزواني. وأمّا الرجل الّذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجارة فإنّه آكل الربا. وأمّا الرجل الكريه المرآة الّذي عنده النار يحشّها فإنّه مالك، خازن النار. وأمّا الرجل الطويل الّذي في الروضة فإنّه إبراهيم عليه السلام وأمّا الولدان الّذين حوله فكلّ مولود مات على الفطرة. وأمّا القوم الّذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فإنّهم قوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً تجاوز الله عنهم، وأنا جبرئيل وهذا ميكائيل[1].

تبيين: أقول: هذه الرواية رواها الخطابيّ في كتاب أعلام الدين وزاد بعد قوله «مات على الفطرة» قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وأولاد المشركين. وقال الجزريّ في النهاية: الثلغ: الشدخ، وهو ضربك الشيء الرطب بالشيء اليابس حتّى يتشدّخ، ومنه حديث الرؤيا «وإذا هو يهوي بالصخرة فيثلغ بها رأسه» وقال في حديث الرؤيا «فيتدهدى الحجر» فيتبعه فيأخذه أي يتدحرج، يقال: دهديت الحجر ودهدهته. وقال «الكلّوب» بالتشديد حديدة معوجّة الرأس. وقال «فيشرشر شدقه» أي يشقّه ويقطعه، والشدق طرف الفم. وقال «اللغط» صوت وضجّة لا يفهم معناه. وقال «ضوضوا» أي ضجّوا واستغاثوا، والضوضاة أصوات الناس وجلبتهم، وهي مصدر. وقال «فيفغر فاه» أي يفتحه. وقال «كريه المرآة» أي قبيح المنظر يقال: رجل حسن المنظر والمرآة، وحسن في مرآة العين وهي مفعلة من الرؤية. وقال «يحشّها» أي يوقدها، يقال: حششت النار أحشّها إذا ألهبتها وأضرمتها. وقال «على روضة معتمة» أي وافية النبات طويلة (انتهى).

(١) الدعوات للراوندي، ص ٣٤٢ ح ٨٩٩ نقلاً عن مسند أحمد ج ٥ ص ٨ وصحيح البخاري ج ٢ ص ١٠٤.

وقال الخطابيّ: يعني كافية النبات، والعميم الطويل من النبات كقول الأعشى «مؤزّر بعميم النبت مكتهل» ويقال: جارية عميمة أي طويلة القدّ. وفي النهاية: المحض في اللغة اللبن الخالص غير مشوب بشيء. وقال: الربابة - بالفتح -: السحابة الّتي ركب بعضها بعضاً. وقال الخطابيّ: وأمّا قوله ﷺ «وأولاد المشركين» فظاهره أنّه ألحقهم بأولاد المسلمين في حكم الآخرة، وإن كان قد حكم بحكم آبائهم في الدنيا وذلك أنّه سئل عن ذراري المشركين فقال: هم من آبائهم. وللناس فيهم اختلاف وعامّة أهل السنّة على أنّ حكمهم حكم آبائهم في الكفر، وقد ذهبت طائفة منهم إلى أنّهم في الآخرة من أهل الجنّة. وقد رويت آثار عن نفر من الصحابة، واحتجّوا لهذه المقالة بحديث النبيّ ﷺ: «كلّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه» واحتجوا بقول الله عزّوجلّ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ واحتجّوا بقول الله عزّوجلّ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ قال بعض أهل التفسير: إنّهم أطفال الكفّار؛ واحتجّوا لذلك بأن اسم الولدان يشتقّ من الولادة ولا ولادة في الجنّة، فكانوا هم الّذين نالتهم الولادة في الدنيا، وروي عن بعضهم أنّهم إن كانوا سبياً وخدماً للمسلمين في الدنيا فهم كذلك خدم لهم في الجنّة.

٥٣ - **تفسير علي بن إبراهيم**: في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ حدّثني أبي، عن محمّد بن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان سبب نزول هذه الآية أنّ فاطمة عليها السلام رأت في منامها أنّ رسول الله ﷺ همّ أن يخرج هو وفاطمة وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام من المدينة، فخرجوا حتّى جاوزوا من حيطان المدينة فتعرّض لهم طريقان، فأخذ رسول الله ﷺ ذات اليمين حتّى انتهى بهم إلى موضع فيه نخل وماء، فاشترى رسول الله ﷺ شاة كبراء وهي الّتي في إحدى أذنيها نقط بيض، فأمر بذبحها فلمّا أكلوا ماتوا في مكانهم، فانتبهت فاطمة باكية ذعرة فلم تخبر رسول الله بذلك. فلمّا أصبحت جاء رسول الله ﷺ بحمار فأركب عليه فاطمة عليها السلام وأمر أن يخرج أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام من المدينة كما رأت فاطمة عليها السلام في نومها. فلمّا خرجوا من حيطان المدينة عرض له طريقان، فأخذ رسول الله ذات اليمين كما رأت فاطمة عليها السلام حتّى انتهوا إلى موضع فيه نخل وماء فاشترى رسول الله ﷺ شاة كبراء كما رأت فاطمة، فأمر بذبحها فذبحت وشويت فلمّا أرادوا أكلها قامت فاطمة وتنحّت ناحية منهم تبكي مخافة أن يموتوا، فطلبها رسول الله ﷺ حتّى وقع عليها وهي تبكي، فقال: ما شأنك يا بنيّة؟ قالت يا رسول الله [إنّي] رأيت كذا وكذا في نومي وقد فعلت أنت كما رأيته فتنحّيت عنكم فلا أراكم تموتون. فقام رسول الله ﷺ فصلّى ركعتين ثمّ ناجى ربّه، فنزل عليه جبرئيل فقال: يا محمّد هذا شيطان يقال له الدهار، وهو الّذي أرى فاطمة هذه الرؤيا ويؤذي المؤمنين في نومهم ما يغتمّون به، فأمر جبرئيل فجاء به إلى رسول الله ﷺ فقال له: أنت أريت فاطمة هذه الرؤيا؟ فقال: نعم يا محمّد، فبزق عليه ثلاث بزقات، فشجّه في ثلاث مواضع. ثمّ قال

جبرئيل لمحمّد: قل يا محمّد إذا رأيت في منامك شيئاً تكرهه، أو رأى أحد من المؤمنين، فليقل: أعوذ بما عاذت به ملائكة الله المقرّبون وأنبياؤه المرسلون وعباده الصالحون من شرّ ما رأيت ومن رؤياي وتقرأ الحمد والمعوّذتين وقل هو الله أحد وتتفل عن يسارك ثلاث تفلات، فإنّه لا يضرّه ما رأى، وأنزل الله على رسوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ - الآية -[1].

بيان: ما رأيت الكبراء بهذا المعنى فيما عندنا من كتب اللّغة. وتعرّض الشيطان لفاطمة عليها السلام وكون منامها المضاهي للوحي شيطانياً وإن كان بعيداً، لكن باعتبار عدم بقاء الشبهة وزوالها سريعاً وترتّب المعجز من الرسول صلى الله عليه وآله في ذلك، والمنفعة المستمرّة للأمّة ببركتها يقلّ الاستبعاد. والحديث مشهور ومتكرّر في الأصول، والله يعلم.

٥٤ - **البصائر:** عن إبراهيم بن إسحاق، عن محمّد بن فلان الواقفيّ، قال: كان لي ابن عمّ يقال له الحسن بن عبد الله، وكان زاهداً، وكان من أعبد أهل زمانه وكان يلقاه السلطان، وربما استقبل السلطان بالكلام الصعب يعظه ويأمر بالمعروف وكان السلطان يحتمل له ذلك لصلاحه، فلم يزل هذه حاله حتّى كان يوماً دخل أبو الحسن موسى عليه السلام المسجد فرآه فدنا إليه ثمّ قال له: يا أبا علي، ما أحبّ إليّ ما أنت فيه وأسرّني بك! إلاّ أنّه ليست بك معرفة، فاذهب فاطلب المعرفة. قال: جعلت فداك وما المعرفة؟ قال له: اذهب وتفقّه واطلب الحديث، قال: عمّن؟ قال: عن مالك بن أنس وعن فقهاء أهل المدينة، ثمّ اعرض الحديث عليّ. قال: فذهب فتكلّم معهم ثمّ جاءه فقرأه عليه، فأسقطه كلّه، ثمّ قال له: اذهب واطلب المعرفة، وكان الرجل معنيّاً بدينه، فلم يزل يترصّد أبا الحسن عليه السلام حتّى خرج إلى ضيعة له فتبعه ولحقه في الطريق، فقال له: جعلت فداك، إنّي أحتجُّ عليك بين يدي الله، فدلّني على المعرفة. قال فأخبره بأمير المؤمنين وقال له: كان أمير المؤمنين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره بأمر أبي بكر وعمر فقبل منه، ثمّ قال: فمن كان بعد أمير المؤمنين؟ قال: الحسن، ثمّ الحسين، حتّى انتهى إلى نفسه عليه السلام ثمّ سكت. قال: جعلت فداك، فمن هو اليوم؟ قال: إن أخبرتك تقبل؟ قال: بلى جعلت فداك، فقال أنا هو قال: جعلت فداك، فشيء أستدلّ به. قال: اذهب إلى تلك الشجرة - وأشار إلى أمّ غيلان - فقل لها: يقول لك موسى بن جعفر أقبلي. قال فأتيتها، قال: فرأيتها والله تجبّ الأرض جبوباً حتّى وقفت بين يديه، ثمّ أشار إليها فرجعت. قال: فأقرّ به ثمّ لزم السكوت، فكان لا يراه أحد يتكلّم بعد ذلك، وكان من قبل ذلك يرى الرؤيا الحسنة وترى له، ثمّ انقطعت عنه الرؤيا، فرأى ليلة أبا عبد الله عليه السلام فيما يرى النائم فشكى إليه انقطاع الرؤيا، فقال: لا تغتمّ فإنّ المؤمن إذا رسخ في الايمان رفع عنه الرؤيا[2].

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٣٥ في تفسيره لسورة المجادلة، الآية: ١٠.

(٢) بصائر الدرجات، ص ٢٤٤ ج ٥ باب ١٣ ح ٦.

بيان: الجبّ القطع.

٥٥ - **الكافي:** عن بعض أصحابه، عن عليّ بن العبّاس، عن الحسن بن عبدالرحمان، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: إنّ الأحلام لم تكن في ما مضى في أوّل الخلق، وإنّما حدثت. فقلت: وما العلّة في ذلك؟ فقال: إنّ الله - عزّ ذكره - بعث رسولاً إلى أهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته، فقالوا: إن فعلنا ذلك فما لنا؟ فوالله ما أنت بأكثرنا مالاً ولا بأعزّنا عشيرةً. فقال: إن أطعتموني أدخلكم الله الجنّة وإن عصيتموني أدخلكم الله النار. فقالوا: وما الجنّة وما النار؟ فوصف لهم ذلك فقالوا: متى نصير إلى ذلك؟ فقال: إذا متّم. فقالوا: لقد رأينا أمواتنا صاروا عظاماً ورفاتاً، فازدادوا له تكذيباً وبه استخفافاً، فأحدث الله عزّ وجلّ فيهم الأحلام، فأتوه فأخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك، فقال: إنّ الله عزّ ذكره أراد أن يحتجّ عليكم بهذا، هكذا تكون أرواحكم إذا متّم، وإن بليت أبدانكم تصير الأرواح إلى عقاب حتّى تبعث الأبدان[1].

بيان: الرفات: كلُّ ما دُقّ وكسّر. «وما أنكروا من ذلك» أي استغرابهم من ذلك، أو ما أصابوا من المنكر والعذاب في النوم، أو ما أنكروا أوّلاً من عذاب البرزخ، والأوّل أظهر. «هكذا تكون أرواحكم» كما أنّ في النوم تتألّم أرواحكم بما لم يظهر أثره على أجسادكم ولا يطّلع من ينظر إليكم عليه، كذلك نعيم البرزخ وعذابه. وقد مرّ الكلام فيه في كتاب المعاد.

٥٦ - **الدرة الباهرة:** قال أبو محمّد العسكريّ عليه السلام: من أكثر المنام رأى الأحلام[2].

بيان: قال مؤلّفه - قدّس سرّه - الظاهر أنّه عليه السلام يعني أنّ طلب الدنيا كالنوم وما يصير منها كالحلم (انتهى)[3].

وأقول: يتحمل أن يكون المعنى: أنّ كثرة الغفلة عن ذكر الله وعن الموت وأمور الآخرة موجبة للأمانيّ الباطلة والخيالات الفاسدة الّتي هي كأضغاث الأحلام ولا يلتفت إليها الكرام. مع أنّ الحمل على ظاهره أظهر وأصوب بحمل الأحلام على الفاسدة منها، كما ورد أنّ الحلم من الشيطان.

٥٧ - **كتاب الغايات** لجعفر بن أحمد القمّيّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خياركم أولو النهى. قيل: يا رسول الله، ومن أولو النهى؟ فقال: أولو النهى أولو الأحلام الصادقة.

٥٨ - **كتاب التبصرة** لعليّ بن بابويه: عن سهل بن أحمد، عن محمّد بن محمّد بن الأشعث، عن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الرؤيا ثلاثة: بشرى من الله، وتحزين من الشيطان، والّذي يحدّث به الإنسان نفسه فيراه في منامه. وقال صلى الله عليه وآله: الرؤيا من الله والحلم من الشيطان.

---

(١) روضة الكافي، ح ٥٥. (٢) - (٣) الدرة الباهرة، ص ٦٢-٦٣.

٥٩ - كتاب المؤمن للحسين بن سعيد: بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: رأي المؤمن ورؤياه جزء من سبعين جزءاً من النبوّة، ومنهم من يعطى على الثلث.

بيان: «ومنهم من يعطى» لعلّ المعنى أنّ بعض الكمّل من المؤمنين يكون رأيه ورؤياه ثلثاً من أجزاء النبوّة.

٦٠ - **الدر المنثور:** من عدّة كتب بأسانيد عن أبي الدرداء، عن النبيّ صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ قال: هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، فهي بشراه في الحياة الدنيا، وبشراه في الآخرة الجنّة.

وروى مثله بأسانيد عن عبادة بن الصامت وأبي هريرة وجابر بن عبد الله وغيرهم(١).

٦١ - وعن عبد الله بن عمر، عن النبيّ صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: الرؤيا الصالحة يبشّر بها المؤمن جزء من ستّة وأربعين جزءاً من النبوّة فمن رأى ذلك فليخبر بها وادّاً، ومن رأى سوى ذلك فإنّما هو من الشيطان ليحزنه فلينفث عن يساره ثلاثاً ولا يخبر بها أحداً(٢).

٦٢ - وعن أبي جعفر عليه السلام عن جابر بن عبد الله قال: أتى رجل من أهل البادية رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، أخبرني عن قول الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمّا قوله: لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فهي الرؤيا الحسنة ترى للمؤمن فيبشّر بها في دنياه، وأمّا قوله ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ فإنّها بشارة المؤمن عند الموت أنّ الله قد غفر لك ولمن يحملك إلى قبرك(٣).

٦٣ - وعن ابن عبّاس: لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: هي الرؤيا الحسنة يراها المسلم لنفسه أو لبعض إخوانه(٤).

٦٤ - وعن ابن عبّاس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله: قال: ألا إنّه لم يبق من مبشّرات النبوّة إلاّ الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له(٥).

٦٥ - وعن أبي الطفيل عنه صلى الله عليه وآله قال: لا نبوّة بعدي إلاّ المبشّرات. قيل: يا رسول الله، وما المبشّرات؟ قال: الرؤيا الصالحة(٦).

٦٦ - وعن أبي قتادة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الرؤيا الصالحة بشرى من الله وهي جزء من أجزاء النبوّة(٧).

٦٧ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقهم رؤياً أصدقهم حديثاً، ورؤيا المسلم جزء من ستّة وأربعين جزءاً من النبوّة. والرؤيا ثلاث: فالرؤيا الصالحة بشرى من الله، والرؤيا من تحزين الشيطان، والرؤيا ممّا

---

(١) - (٧) الدر المنثور، ج ٣ ص ٣١١-٣١٣.

يحدّث الرجل نفسه. وإذا رأى أحدكم ما يكره فليقم وليتفل ولا يحدّث به الناس. وأحبّ القيد في النوم، وأكره الغلّ، القيد ثبات في الدين. فإن رأى أحدكم رؤيا تعجبه فليقصّها إن شاء، وإن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصّه على أحد وليقم يصلّي(١).

٦٨ - وعن عبادة بن الصامت أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: رؤيا المؤمن جزء من ستّة وأربعين جزءً من النبوّة. وعن أنس مثله(٢).

٦٩ - وعن أبي سعيد الخدريّ عنه صلى الله عليه وآله قال: إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبّها فإنّما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدّث بها، وإذا رأى غيره ممّا يكره فإنّما هي من الشيطان فليستعذ بالله من شرّها ولا يذكرها لأحد فإنّها لا تضرّه(٣).

٧٠ - وعن أبي سعيد أيضاً عنه صلى الله عليه وآله قال: الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزء من النبوّة(٤).

٧١ - وعن عبادة بن الصامت عنه صلى الله عليه وآله في قوله تعالى ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو ترى له، وهو كلام يكلّم به ربّك عبده في المنام(٥).

٧٢ - وعن أبي قتادة قال: الرؤيا من الله والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرّات ثمّ ليستعذ بالله من شرّها فإنّها لا تضرّه(٦).

٧٣ - وعن عوف بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الرؤيا على ثلاثة: منها تخويف من الشيطان ليحزن به ابن آدم، ومنها الأمر يحدّث به نفسه في اليقظة فيراه في المنام، ومنها جزء من ستّة وأربعين جزءً من النبوّة(٧).

٧٤ - وعن سليم بن عامر أنّ عمر بن الخطّاب قال: العجب من رؤيا الرجل إنّه يبيت فيرى الشيء لم يخطر على بال، فيكون رؤياه كأخذ باليد. ويرى الرجل الرؤيا فلا يكون رؤياه شيئاً. فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أفلا أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين؟ إنّ الله يقول: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾(٨) فالله يتوفّى الأنفس كلّها، فما رأت وهي عنده في السماء فهي الرؤيا الصادقة، وما رأت إذا أرسلت إلى أجسادها تلقّتها الشياطين في الهواء فكذبتها وأخبرتها بالأباطيل فكذبت فيها. فعجب عمر من قوله(٩).

بيان: «فلينفث» أي فليتفل تفلاً خفيفاً وإن لم يخرج معه شيء من البزاق.

٧٥ - **الكافي:** عن العدّة، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن درست بن أبي منصور، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك،

(١) - (٧) الدر المنثور، ج ٣ ص ٣١٢-٣١٣.
(٨) سورة الزمر، الآية: ٤٢.
(٩) الدر المنثور، ج ٥ ص ٣٢٩.

الرؤيا الصادقة والكاذبة مخرجهما من موضع واحد، قال: صدقت، أمّا الكاذبة المختلفة فإنّ الرجل يراها في أوّل ليلة في سلطان المردة الفسقة، وإنّما هي شيء يخيّل إلى الرجل وهي كاذبة مخالفة لا خير فيها، وأمّا الصادقة إذا رآها بعد الثلثين من الليل مع حلول الملائكة - وذلك قبل السحر - فهي صادقة لا تختلف إن شاء الله، إلاّ أن يكون جنباً أو يكون على غير طهر أو لم يذكر الله عزّ وجلّ حقيقة ذكره، فإنّها تختلف وتبطىء على صاحبها[1].

بيان: قوله «مخرجهما من موضع واحد» لعلّ المراد أنّ ارتسامهما في محلّ واحد، أو أنّ علّتهما معاً الارتسام لكن علّة الارتسام فيهما مختلفة، وقيل: يعني كليهما صورة علميّة يخلقها الله تعالى في قلب عباده بأسباب روحانيّة أو شيطانيّة أو طبيعيّة. قوله عليه السلام «في سلطان المردة الفسقة» أي في أوّل الليل يستولي على الإنسان شهوات ما رآه في النهار، وكثرت في ذهنه الصور الخياليّة واختلطت بعضها ببعض، وبسبب كثرة مزاولة الأمور الدنيويّة بعد عن ربّه وغلبت عليه القوى النفسانيّة والطبيعيّة فبسبب هذه الأمور تبعد عنه ملائكة الرحمان وتستولي عليه جنود الشيطان، فإذا كان وقت السحر سكنت قواه وزالت عنه ما اعتراه من الخيالات الشهوانيّة، فأقبل عليه مولاه بالفضل والاحسان، وأرسل عليه ملائكته ليدفعوا عنه أحزاب الشيطان، فلذا أمره الله تعالى في ذلك الوقت بعبادته ومناجاته، وقال: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾[2] فما يراه في الحالة الأولى فهو من التسويلات والتخييلات الشيطانيّة، ومن الوساوس النفسانيّة، وما يراه في الحالة الثانية فهو من الإفاضات الرحمانيّة بتوسّط الملائكة الروحانيّة. ثمّ ذكر عليه السلام علّة تخلّف بعض الرؤيا مع كونها في السحر، فقال: إنّه إمّا بسبب جنابة أو حدث أو غفلة عن ذكر الله تعالى، فإنّها توجب البعد عن الله واستيلاء الشيطان.

وقال في شرح السنّة: قال أرباب التعبير: رؤيا الليل أقوى من رؤيا النهار، وأصدق ساعات الرؤيا وقت السحر. وروي عن أبي سعيد قال: أصدق الرؤيا بالأسحار.

وقال ابن حجر - في فتح الباري -: ذكر الدينوريّ أنّ رؤيا أوّل الليل يبطىء تأويلها، ومن النصف الثاني يسرع، وإنّ أسرعها تأويلاً وقت السحر ولا سيّما عند طلوع الفجر، وعن جعفر الصادق عليه السلام: أسرعها تأويلاً رؤيا القيلولة[3].

تفصيل وتبيين: لمّا كان أمر الرؤيا وصدقها وكذبها ممّا اختلفت فيه أقاويل الناس، فلا بأس أن نذكر ههنا بعض أقوال المتكلّمين والحكماء، ثمّ نبيّن ما ظهر لنا فيه من أخبار أئمّة الأنام عليهم السلام.

---

(١) روضة الكافي، ح ٦٢.

(٢) سورة المزمل، الآية: ٦.

(٣) وعن أمالي الصدوق في حديث طويل في مقتل الحسين عليه السلام؛ إلى أن قال: بعد قيلولته قائلة الظهر، قال الحسين عليه السلام: يا بني إنّها ساعة لا تكذب فيها الرؤيا. [النمازي].

فأمّا الحكماء فقد بنوا ذلك على ما أسّسوه من انطباع صور الجزئيّات في النفوس المنطبعة الفلكيّة، وصور الكليّات في العقول المجرّدة، وقالوا: إنّ النفس في حالة النوم قد تتّصل بتلك المبادىء العالية فتحصل لها بعض العلوم الحقّة الواقعة، فهذه هي الرؤيا الصادقة، وقد يركّب المتخيّلة بعض الصور المخزونة في الخيال ببعض، فهذه هي الرؤيا الكاذبة. وقال بعضهم: إنّ للنفوس الإنسانيّة اطّلاعاً على الغيب في حال المنام وليس أحد من الناس إلاّ وقد جرّب ذلك من نفسه تجارب أوجبته التصديق، وليس ذلك بسبب الفكر، فإنّ الفكر في حال اليقظة الّتي هو فيها أمكن يقصر عن تحصيل مثل ذلك، فكيف في حال النوم، بل بسبب أنّ النفوس الإنسانيّة لها مناسبة الجنسيّة إلى المبادىء العالية المنتقشة بجميع ما كان وما سيكون وما هو كائن في الحال، ولها أن تتّصل بها اتّصالاً روحانيّاً وأن تنتقش بجميع ما كان وما سيكون وما هو كائن في الحال، ولها أن تتّصل بها اتّصالاً روحانيّاً وأن تنتقش بما هو مرتسم فيها، لأنّ اشتغال النفس ببعض أفاعيلها يمنعها عن الاشتغال بغير تلك الأفاعيل، وليس لنا سبيل إلى إزالة عوائق النفس بالكليّة عن الانتقاش بما في المبادىء العالية، لأنّ أحد العائقين هو اشتغال النفس بالبدن، ولا يمكن لنا إزالة هذا العائق بالكليّة ما دام البدن صالحاً لتدبيرها، إلاّ أنّه قد يسكن أحد الشاغلين في حالة النوم، فإنّ الروح ينتشر إلى ظاهر البدن بواسطة الشرايين وينصب إلى الحواسّ الظاهرة حالة الانتشار ويحصل الادراك بها، وهذه الحالة هي اليقظة فتشتغل النفس بتلك الإدراكات، فإذا انخنس الروح إلى الباطن تعطّلت هذه الحواسّ وهذه الحالة هي النوم، وبتعطّلها يخفّ إحدى شواغل النفس عن الاتّصال بالمبادىء العالية والانتقاش ببعض ما فيها، فيتّصل حينئذ بتلك المبادىء اتّصالاً روحانيّاً، ويرتسم في النفس بعض ما انتقش في تلك المبادىء ممّا استعدّت هي لأن تكون منتقشة به، كالمرايا إذا حوذي بعضها ببعض، والقوّة المتخيّلة جبلت محاكية لما يرد عليها، فتحاكي تلك المعاني المنتقشة في النفس بصور جزئيّة مناسبة لها، ثمّ تصير تلك الصور الجزئيّة في الحسّ المشترك فتصير مشاهدة، وهذه هي الرؤيا الصادقة.

ثمّ إنّ الصور الّتي تركّبها القوّة المتخيّلة إن كانت شديدة المناسبة لتلك المعاني المنطبعة في النفس حتّى لا يكون بين المعاني الّتي أدركتها النفس وبين الصور الّتي ركّبتها القوّة المتخيّلة تفاوت إلاّ أنّه مع ذلك تكون بينهما مناسبة بوجه ما، كانت الرؤيا محتاجة إلى التعبير، وهو أن يرجع من الصورة الّتي في الخيال إلى المعنى الّذي صوّرته المتخيّلة بتلك الصورة. وأمّا إذا لم تكن بين المعنى الّذي أدركته النفس وبين الصورة الّتي ركّبتها القوّة المتخيّلة مناسبة أصلاً لكثرة انتقالات المتخيّلة من صورة إلى صورة لا تناسب المعنى الّذي أدركته النفس أصلاً، فهذه الرؤيا من قبيل أضغاث الأحلام، ولهذا قالوا: لا اعتماد على رؤيا الشاعر والكاذب، لأنّ قوّتهما المتخيّلة قد تعوّدت الانتقالات الكاذبة الباطلة (انتهى).

ولا يخفى أنّ هذا رجم بالغيب، وتقوّل بالظنّ والريب، ولم يستند إلى دليل وبرهان، ولا

إلى مشاهدة وعيان، ولا إلى وحي إلهيّ، مع ابتنائه على إثبات العقول المجرّدة والنفوس الفلكيّة المنطبعة، وهما ممّا نفتهما الشريعة المقدّسة، كما تقرّر في محلّه.

وقال الرازيّ - في المطالب العالية - في بيان طريقة الفلاسفة في كيفيّة صدور المعجزات والكرامات عن الأنبياء والأولياء: قالوا: قد عرفت أنّ انطباع الصور في الحسّ المشترك على وجهين: أحدهما أنّ الحواسّ الظاهرة إذا أخذت صور المحسوسات الموجودة في الخارج وأدّتها إلى الحسّ المشترك فحينئذ تنطبع في الحسّ المشترك وتصير مشاهدة له. والثاني: أنّ القوّة المتخيّلة الّتي من شأنها تركيب الصور بعضها بالبعض إذا ركّبت صورة فإنّ تلك الصورة قد تنطبع في الحسّ المشترك، ومتى حصل الانطباع وجب أن تصير مشاهدة، وذلك لأنّ في القسم الأوّل إنّما صارت تلك الصورة مشاهدة لأجل أنّ تلك الصور انطبعت في الحسّ المشترك، لا لأجل أنّها وردت عليه من الخارج، وإذا كان كذلك وجب أيضاً في الصور المنحدرة عليه من جانب المتخيّلة أن تصير مشاهدة. ومثال الحسّ المشترك المرآة، فإنّ كلّ صورة تنطبع فيها من أيّ جانب كان صارت مشاهدة، فكذلك الصور المنطبعة في الحسّ المشترك إذا انطبعت فيه من أيّ جانب كان وجب أن تصير محسوسة.

إذا عرفت هذا فنقول: الصور الّتي تشاهدها الأبرار والكهنة والنائمون والممروون ليست موجودة في الخارج. فإنّها لو كانت موجودة في الخارج لوجب أن يراها كلّ من كان سليم الحسّ، بناءً على أنّه متى كانت الحاسّة سليمة وكان الشيء الحاضر بحيث تصحّ رؤيته ولم يحصل القرب القريب والبعد البعيد واللطافة والصغر وحصلت المقابلة فعند حضور هذه الشرائط يكون الادراك عند حضور هذه الشرائط لجاز أن يصير عندنا جبال عظيمة وأصوات هائلة ولا نراها ولا نسمعها، ومعلوم أنّ تجويزه يوجب الجهالات العظيمة. فثبت بهذا أنّ تلك الصور غير موجودة في الخارج، فيجب الجزم بأنّ ورودها على الحسّ المشترك إنّما كان من الداخل، وهو أنّ القوّة المتخيّلة ركّبت تلك الصور فانحدرت إلى الحسّ المشترك فصارت مرئيّة. وقدكان الواجب أن تحصل هذه الحاصلة أبداً، إلاّ أنّ العائق عنه أمران: الأول أنّ الحسّ المشترك إذا حصلت فيه الصور المأخوذة من الخارج لم يتّسع للصور الّتي يركّبها المتخيّلة، فحينئذ تصير الصور الّتي يركّبها المتخيّلة بحيث لا يمكن انطباعها في الحسّ المشترك. والثاني أنّ القوّة العاقلة تكون مسلّطة على القوّة المتخيّلة فيمنعها عن تركيب تلك الصور.

إذا عرفت هذا فنقول: إنّه إذا انتفى الشاغلان معاً أو أحدهما فإنّه يحصل ذلك التلويح وذاك التشبيح، أمّا في وقت النوم فقد زال أحد الشاغلين وهو الحسّ الظاهر، فلا ينتقل من الحواسّ الظاهرة إلى الحسّ المشترك شيء من الصور، فيبقى لوح الحسّ المشترك خالياً عن النقوش الخارجيّة، فيستعدّ لقبول الصور الّتي تركّبها المتخيّلة، فتنحدر تلك الصورة من المتخيّلة إلى لوح الحسّ المشترك، فتصير محسوسةً.

وأمّا في وقت المرض فإنّ النفس تصير مشغولةً بتدبير البدن فلا تتفرّغ لمنع القوّة المتخيّلة من تركيب تلك الصور، فحينئذ تقوى القوّة المتخيّلة على عملها، وإذا قويت على هذا العمل عصت الحسّ المشترك عن قبول الصور الخارجيّة، فوردت عليه هذه الصور، فتصير مشاهدة محسوسة. والصور الهائلة الّتي تصير مشاهدة في حال الخوف فهي من هذا الباب، فإنّ الخوف المستولي على النفس يصدّها عن تأديب المتخيّلة، فلا جرم تقدر المتخيّلة على رسم صورها في الحسّ المشترك كصورة الغول وغيرها. وكذلك قد يستولي على النفوس الضعيفة العقل قوى أُخرى كشهوة شيء، فتشتدّ تلك الشهوة حتّى تغلب العقل، فالمتخيّلة تركّب صورة ذلك المشتهى، وتنطبع تلك الصورة في لوح الحسّ المشترك فتصير محسوسة.

إذا عرفت هذا فنقول: إنّه يتفرّع عليه أشياء كثيرة:

الفرع الأول: في سبب المنامات الصادقة والكاذبة. اعلم أنّ الصور الّتي تركّبها المتخيّلة قد تكون كاذبةً وقد تكون صادقة، أمّا الكاذبة فوقوعها على ثلاثة أوجه: الأوّل أنّ الإنسان إذا أحسَّ بشيء وبقيت صورة ذلك المحسوس في خزانة الخيال فعند النوم ترتسم تلك الصورة في الحسّ المشترك فتصير مشاهدة محسوسة. والثاني أنّ القوّة المفكّرة إذا ألفت صورة ارتسمت تلك الصورة في الخيال، ثمّ وقت النوم تنتقل تلك إلى الحسّ المشترك فتصير محسوسةً، كما أنّ الإنسان إذا تفكّر في الانتقال من بلد إلى بلد وحصل في خاطره شيء أو خوف عن شيء فإنّه يرى تلك الأحوال في النوم. والثالث أنّ مزاج الروح الحامل للقوّة المفكّرة إذا تغيّر فإنّه تتغيّر أحوال القوّة المفكّرة، ولهذا السبب فإنّ الّذي يميل مزاجه إلى الحرارة يرى في النوم النيران والحريق والدخان ومن مال مزاجه إلى البرودة يرى الثلوج، ومن مال مزاجه إلى الرطوبة يرى الأمطار، ومن مال مزاجه إلى اليبوسة يرى التراب والألوان المظلمة. فهذه الأنواع الثلاثة لا عبرة بها البتّة، بل هي من قبيل أضغاث الأحلام.

وأمّا الرؤيا الصادقة فالكلام في ذكر سببها متفرّع على مقدّمتين: **إحداهما** أنّ جميع الأمور الكائنة في هذا العالم الأسفل ممّا كان وممّا سيكون وممّا هو كائن موجود في علم الباري تعالى وعلم الملائكة العقليّة والنفوس السماويّة. **والثانية**: أنّ النفس الناطقة من شأنها أن تتّصل بتلك المبادىء وتنتقش فيها الصور المنتقشة في تلك المبادىء وعدم حصول هذا المعنى ليس لأجل البخل من تلك المبادىء، أو لأجل أنّ النفس الناطقة غير قابلة لتلك الصور، بل لأجل أنّ استغراق النفس في تدبير البدن صار مانعاً من ذلك الاتّصال العامّ.

إذا عرفت هذا فنقول: النفس إذا حصل لها أدنى فراغ من تدبير البدن اتّصلت بطباعها بتلك المبادىء، فينطبع فيها بعض تلك الصور الحاضرة عند تلك المبادىء وهو الصور الّتي هي أليق بتلك النفس، ومعلوم أنّ أليق الأحوال بها ما يتعلّق بأحوال ذلك الإنسان وبأصحابه وبأهل بلده وإقليمه. وأمّا إن كان ذلك الإنسان منجذب الهمّة إلى تحصيل علوم المعقولات

لاحت له منها أشياء، ومن كانت همّته مصالح الناس رآها. ثمّ إذا انطبعت تلك الصور في جوهر النفس الناطقة أخذت المتخيّلة الّتي من طباعها محاكاة الأمور، في حكاية تلك الصور المنطبعة في النفس بصور جزئيّة تناسبها. ثمّ إنّ تلك الصور تنطبع في الحسّ المشترك فتصير مشاهدة، فهذا هو سبب الرؤيا في المنام. ثمّ إنّ تلك الصور الّتي ركّبتها المتخيّلة لأجل تلك المعاني قد تكون شديدة المناسبة لتلك المعاني، فتكون هذه الرؤيا غنيّةً عن التعبير، وقد لا تكون كذلك إلاّ أنّها أيضاً مناسبة لتلك المعاني من بعض الوجوه، وههنا تحتاج هذه المنامات إلى التعبير. وفائدة التعبير التحليل بالعكس، يعني أن يرجع المعبّر من هذه الصور الحاضرة في الخيال إلى تلك المعاني. والقسم الثالث أن لا تكون هذه الصور مناسبةً لتلك المعاني البتّة، وذلك يكون لأحد وجهين: أحدهما أن يكون حدوث هذا الخيال الغريب إنّما كان لوجهٍ واحد من الوجوه الثلاثة المذكورة في سبب أضغاث الأحلام. والثاني: أن يكون ذلك لأجل أنّ القوّة المتخيّلة ركّبت لأجل ذلك المعنى صورة، ثمّ ركبت لأجل تلك الصورة صورة ثانية، وللثانية ثالثة، وأمعنت في هذه الانتقالات، فانتهت بالأخرة إلى صورة لا تناسب المعنى الّتي أدركته النفس أوّلاً البتّة، وحينئذ يصير هذا القسم أيضاً من باب أضغاث الأحلام، ولهذا السبب قيل: إنّه لا اعتماد على رؤيا الكاذب والشاعر، لأنّ القوّة المتخيّلة منهما قد عوّدت الانتقالات الكاذبة الباطلة - والله أعلم..

الفرع الثاني: في كيفيّة الإخبار عن الغيب. اعلم أنّ النفس الناطقة إذا كانت كاملة القوّة وافيةً في الوصول إلى الجوانب العالية والسافلة، وتكون في القوّة بحيث لا يصير اشتغالها بتدبير البدن عائقاً لها عن الاتّصال بالمبادىء المفارقة، ثمّ اتّفق أيضاً أن كانت قوّته الفكريّة [قويّة] قادرة على انتزاع لوح الحسّ المشترك عن الحواسّ الظاهرة، فحينئذ لا يبعد أن يقع لمثل هذه النفس في حال اليقظة مثل ما يقع للنائمين من الاتّصال بالمبادىء المفارقة، فحينئذ يرتسم عن بعض تلك المفارقات صور تدلّ على وقائع هذا العالم في جوهر النفس الناطقة. ثمّ إنّ القوّة [المتخيّلة] لأجل قوّتها تركّب صورة مناسبة لها، ثمّ تنحدر تلك الصورة إلى لوح الحسّ المشترك فتصير مشاهدة، وعند هذه الحال يسمع ذلك الإنسان كلاماً منظوماً من هاتف، وقد يشاهد منظراً في أكمل هيئة وأجلّ صورة تخاطبه تلك الصورة بما يهمّه من أحوال من يتّصل به. ثمّ إن كانت هذه الصورة المحسوسة منطبقةً على تلك المعاني الّتي أدركتها النفس الناطقة كان ذلك وحياً صريحاً، وإن كانت الثورة الخياليّة مخالفةً لذلك المعنى العقليّ من بعض الوجوه كان ذلك وحياً محتاجاً إلى التأويل. والصارف للقوّة المتخيّلة عن هذا التغير والتبديل أمران:

الأوّل: أنّ الصورة المنطبعة في النفس الناطقة الفائضة من جانب المبادىء العالية لمّا فاضت على غاية الجلاء والوضوح صارت تلك القوّة مانعة للخيال عن التصرّف فيها، كما أنّ

الصور المحسوسة المأخوذة من الخارج إذا كانت في غاية القوّة فحينئذ يقوى على منع القوّة المتخيّلة من التصرّف في تلك الصورة بالتغيير والتبديل.

النوع الثاني: أنّ النفوس الّتي ليس لها من القوّة ما يقوى على الاتّصال بعالم الغيب في حال اليقظة فربما استعانت في حال اليقظة بما يدهش الحسّ ويحيّر الخيال كما يستعين بعضهم بشدّ حثيث، وبعضهم بتأمّل شيء شفّاف أو برق لامع يورث البصر ارتعاشاً، فإنّ كلّ ذلك ممّا يدهش الخيال فيستعدّ النفس بسبب حيرتها وانقطاعها في تلك اللحظة عن تدبير البدن لانتهاز فرصة إدراك الغيب. والشرط في هذا أن يكون ذلك الإنسان ضعيف العقل مصدّقاً لكلّ ما يحكى له من مسيس الجنّ، مثل الصبيان والنسوان والبله، فهؤلاء إذا ضعفت حواسّهم وكانت أوهامهم شديدة الانجذاب إلى مطلوب معيّن، فحينئذ يقع لنفوسهم التفات في تلك اللحظة إلى عالم الغيب، ويتأمّل ذلك المطلوب، فتارة يسمع خطاباً ويظنّ أنّه جنّيّ، وتارة تتراءى له صور مشاهدة فيظنّ أنّها من إخوان الجنّ، فيلقى إليه من الغيب ما ينطق به في أثناء الغشي فيأخذه السامعون ويبنون عليه تدابيرهم في مهمّاتهم. فهذا ما قرّره الشيخ الرئيس في هذا الباب.

واعلم أنّ الأصل في جملة هذه التفاريع أمران:

الأوّل أن يقال: هذه الصور الّتي تشاهدها الأنبياء والأولياء وغيرهم ليست موجودةً في الخارج، لأنّها لو كانت موجودةً في الخارج لوجب أن يدركها كلّ من كان [له] سليم الحسّ، إذ لو جوّزنا أن لا يحصل الإدراك مع حصول هذه الشرائط لجاز أن تكون بحضرتنا جبال ورعود ونحن لا نراها ولا نسمعها، وذلك يوجب السفسطة. ولا يخفى أنّ الجهالات الّتي ألزمتموها على هذا القول هي على قولكم ألزم، وذلك لأنّا لو جوّزنا أن يرى الإنسان صوراً ويشاهدها ويتكلّم معها ويسمع أصواتها ويرى أشكالها، ثمّ إنّها لا تكون موجودة البتّة في الخارج، جاز أيضاً في كلّ هذه الأشياء الّتي نراها ونسمعها من صور الناس والجبال والبحار وأصوات الرعود أن لا يكون لشيء منها وجود في الخارج، بل يكون محض الخيالات ومحض الصور المرتسمة في الحسّ المشترك، ومعلوم أنّ القول به محض السفسطة. بل نقول: هذا في البعد عن الحقّ والغوص في الجهالة أشدّ من الأوّل، لأنّ على القول الّذي نقول نحن جازمون بأنّ كلّ ما رأيناه فهو موجود حقّ، إلاّ أنّه يلزمنا تجويز أن يكون قد حضر عندنا أشياء ونحن لا نراها، وتجويز هذا لا يوجب الشكّ في وجود ما رأيناه وسمعناه، أمّا على القول الّذي يقولونه فإنّه يلزم وقوع الشكّ في وجود كلّ صورة رأيناها وكلّ صوت سمعناه وذلك هو الجهالة التامّة والسفسطة الكاملة. فثبت أنّ القول الّذي اخترتموه في غاية الفساد.

فإن قالوا: إنّ حصول هذه الحالة لحصول أحوال، منها أن يكون كامل النفس قويّ العقل كما في حقّ الأنبياء والأولياء، فإذا لم يحصل شيء من هذه الأحوال وكان الإنسان باقياً على

مقتضى المزاج المعتدل لم يحصل شيء من هذه الأحوال، فحينئذ يحصل القطع بوجود هذه الأشياء في الخارج. فنقول في الجواب: إنّ بالطريق الّذي ذكرتم ظهر أنّه لا يمتنع أن يحسّ الإنسان بوجود صور مع أنّه لا تكون موجودة أصلاً وإذا ظهر جواز هذا المعنى فنحن إنّما يمكننا انتفاء هذه الحالة إذا دللنا على أنّ الأسباب الموجبة لحصول هذه الحالة محصورة في كذا وكذا، ونقيم على هذا الحصر برهاناً يقينيّاً، ثمّ نبيّن في المقام الثاني أنّها بأسرها منتفية زائلة بالبرهان اليقينيّ ثمّ نبيّن في المقام الثالث أنّ الممكن حال بقائه لا يستغني عن السبب، فإنّ بتقدير أن يكون الأمر كذلك لم يلزم من زوال تلك الأسباب زوال هذه الحالة، ثمّ على تقدير إقامة البراهين القاطعة الجازمة على صحّة هذه المقدّمات يصير جزمنا بحصول هذه المحسوسات في الخارج موقوفاً على إثبات هذه المقدّمات النظريّة الغامضة، والموقوف على النظريّ الغامض أولى أن يكون نظريّاً غامضاً، وحينئذ تبطل هذه العلوم المستفادة من الحواس بطلاناً كلّياً، فثبت أنّ القول الّذي ذكرتموه قول باطل يوجب التزام السفسطة.

واعلم أنّ الّذي حمل هؤلاء الفلاسفة على ذكر هذه العلل والأسباب إطباقهم على إنكار الملائكة وعلى إنكار الجنّ، وقد بيّنّا في كتاب الأرواح أنّه ليس لهم شبهة ولا خيال يدلّ على نفي هذه الأشياء، وإذا كان أصل هذه الأقوال نفي الملائكة والجنّ - وقد عرفت أنّه ليس لهم فيه دليل وفرعه ممّا يوجب القول بالسفسطة - كان هذا القول في غاية الفساد والبطلان. فهذا تمام الكلام في هذا الأصل.

وأمّا الأصل الثاني فهو أنّ هذه الكلمات متفرّعة على إثبات إدراك الحواسّ الباطنة، ونحن قد بيّنّا بالبرهان القاهر القاطع أنّ المدرك لجميع الادراكات هو النفس الناطقة، وأنّ القول بتوزيع الإدراكات على قوى متفرّقة قول باطل وكلام فاسد، فثبت بهذه البيانات أنّ كلامهم في غاية الضعف والفساد.

والحقّ أنّ هذا الباب يحتمل وجوهاً كثيرةً: فأحدها أنا بيّنّا أنّ النفوس الناطقة أنواع كثيرة ذو طوائف مختلفة، ولكلّ طائفة منها روح فلكيّ كلّي هو العلّة لوجودها، وهو المتكفّل بإصلاح أحوالها، وذلك الروح الفلكيّ كالأصل والمعدن والينبوع بالنسبة إليها، وسمّيناه بالطباع التامّ، فلا يمتنع أن يكون الّذي يراها في المنامات [تارة] وفي اليقظة أُخرى، وعلى سبيل الإلهامات ثالثاً هو ذلك الطباع التامّ، ولا يمتنع كون ذلك الطباع التامّ قادراً على أن يتشكّل بأشكال مختلفة بحسب جسم مخصوص هوائيّ في جميع أعماله. وثانيها أن تثبت طوائف الملائكة وطوائف الجنّ، ونحكم بكونها قادرةً على أن تأتي بأعمال مخصوصة عندها يظهرون للبشر، وعلى أعمال أُخرى عندها يحتجبون عن البشر، فهذا ما نقوله في هذا الباب (انتهى).

وقال في المواقف وشرحه: وأمّا الرؤيا فخيال باطل عند المتكلّمين أي جمهورهم أمّا عند المعتزلة فلفقد شرائط الادراك حالة النوم من المقابلة وإثبات الشعاع وتوسّط الهواء

الشفّاف والبنية المخصوصة وانتفاء الحجاب، إلى غير ذلك من الشرائط المعتبرة في الادراكات، فما يراه النائم ليس من الادراكات في شيء بل هو من قبيل الخيالات الفاسدة والأوهام الباطلة. وأمّا عند الأصحاب إذ لم يشترطوا في الادراك شيئاً من ذلك فلأنّه خلاف العادة: أي لم تجر عادته تعالى بخلق الإدراكات في الشخص وهو نائم ولأنّ النوم ضدّ للادراك فلا يجامعه، فلا يكون الرؤيا إدراكاً حقيقةً، بل هو من قبيل الخيال الباطل.

وقال الأُستاذ أبو إسحاق: إنّه إدراك حقّ بلا شبهة، إذ لا فرق بين ما يجده النائم من نفسه في نومه من إبصار المبصرات وسمع المسموعات وذوق [المذوقات] وغيرها من الادراكات، وبين ما يجده اليقظان في إدراكاته، فلو جاز التشكيك فيه لجاز التشكيك فيما يجده اليقظان، ولزم السفسطة والقدح في الأمور المعلومة حقيقتها بالبديهة، ولم يخالف الأستاذ في كون النوم ضدّاً للإدراك، لكنّه زعم أنّ الادراك يقوم بجزء من أجزاء الإنسان غير ما يقوم به النوم من أجزائه، فلا يلزم اجتماع الضدّين في محلّ واحد.

أقول: ثمّ ذكر ما زعمته الفلاسفة في ذلك نحواً ممّا مرّ. وقال بعض المحقّقين من الحكماء والصوفيّة الجامعين بزعمهم بين الشرع والحكمة: سبب الرؤيا انخناس الروح البخاريّ من الظاهر إلى الباطن بأسباب شتّى، مثل طلب الاستراحة عن كثرة الحركة؛ وميل الاشتغال بتأثيره في الباطن لينفتح السدّ، ولهذا يغلب النوم عند امتلاء المعدة؛ ومثل أن يكون الروح قليلاً ناقصاً فلا يفي بالظاهر والباطن جميعاً. ولزيادته ونقصانه أسباب طبيّة مذكورة في كتب الأطبّاء. فإذا انخنس الروح إلى الباطن وركدت الحواسّ بسبب من الأسباب بقيت النفس فارغة عن شغل الحواسّ، لأنّها لا تزال مشغولة بالتفكّر فيما تورده الحواسّ عليها، إذا وجدت فرصة الفراغ وارتفعت عنها الموانع فإن كانت عاليةً معتادةً بالصدق أو مائلةً إلى العالم الروحانيّ العقليّ، متوجّهةً إلى الحقّ، مطهّرة عن النقائص، معرضةً عن الشواغل البدنيّة، متّصفةً بالمحامد أو غير ذلك ممّا يوجب تنويرها وتقويتها وقدرتها على خرق العالم الحسيّ من الإتيان بالطاعات والعبادات، واستعمال القوى والآلات بموجب الأوامر الإلهيّة، وحفظ الاعتدال بين طرفي الافراط والتفريط فيها، ودوام الوضوء والذكر خصوصاً من أوّل الليل إلى وقت النوم، وصحّة البدن، واعتدال مزاجه الشخصيّ والدماغيّ، اتّصلت بالجواهر الروحانيّة الشريفة الّتي فيها نقوش جميع الموجودات كليّة وجزئيّة، المسمّاة بالكتاب المبين وأمّ الكتاب، فانتقشت بما فيها من صور الأشياء، لا سيّما ما ناسب أغراضها ويكون مهمّاً لها، فإنّ النفس بمنزلة مرآة ينطبع فيها كلّ ما قابلها من مرآة أُخرى عند حصول الأسباب وارتفاع الحجاب بينهما، والحجاب ههنا اشتغال النفس بما تورده الحواسّ، فإذا ارتفع ظهر فيها من تلك المرائي ما يناسبها ويحاذيها، فإن كانت تلك الصور جزئيّة وبقيت في النفس بحفظ الحافظة إيّاها على وجهها ولم تتصرّف فيه القوّة المتخيّلة الحاكية للأشياء بمثلها فتصدق هذه الرؤيا ولا تحتاج إلى

التعبير، وإن كانت المتخيّلة غالبةً وإدراك النفس للصورة ضعيفاً صارت المتخيّلة بطبعها إلى تبديل ما رأته النفس بمثال، كتبديل العلم باللبن، وتبديل العدوّ بالحيّة، وتبديل الملك بالبحر والجبل، إلى غير ذلك، وذلك لما دريت أنّ لكلّ معنى صورة في نشأة غير صورته في النشأة الأخرى، وأنّ النشآت متطابقة.

نقل أنّ رجلاً جاء إلى ابن سيرين وقال: رأيت كأنّ في يدي خاتماً أختم به أفواه الرجال وفروج النساء، فقال: إنّك مؤذّن تؤذّن في شهر رمضان قبل الفجر فقال: صدقت. وجاء آخر فقال: كأنّي صببت الزيت في الزيتون، فقال: إن كانت تحتك جارية اشتريتها ففتّش عن حالها فإنّها أمّك، لأنّ الزيتون أصل الزيت فهو ردّ إلى الأصل، فنظر فإذا جاريته كانت أمّه وقد سبيت في صغره. وقال آخر له: كأنّي أعلق الدرّ في أعناق الخنازير، فقال: كأنّك تعلّم الحكمة غير أهلها، وكان كما قال.

وربما تبدّل المتخيّلة الأشياء المرئيّة في النوم بما يشابهها ويناسبها مناسبةً ما أو ما يضادّها، كما من رأى أنّه ولد له ابن فتولد له بنت، وبالعكس، وهذه الرؤيا تحتاج إلى مزيد تصرّف في تعبيره فيحلّل بالعكس، أي يرجع من الصور الخيالية الجزئيّة إلى المعاني النفسانيّة الكليّة. وربما لم تكن انتقالات المتخيّلة مضبوطة بنوع مخصوص فانشعبت وجوه التعبير فصار مختلفاً بالأشخاص والأحوال والصناعات وفصول السنة وصحّة النائم ومرضه، وصاحب التعبير لا ينال إلاّ بضرب من الحدس، ويغلط فيه كثيراً للالتباس. وإن كانت النفس سفلية متعلّقة بالدنيا، منهمكة في الشهوات حريصة على المخالفات مستعملة للمتخيّلة في التخيّلات الفاسدة وغير ذلك ممّا يوجب الظلمة وازدياد الحجب أو سوء مزاج الدماغ، فلا تتّصل بالجواهر الروحانيّة بمجرّد ذلك، فتفعل باختراعها بقوّتها المتخيّلة في مملكتها وعالمها الباطنيّ صوراً وأشخاصاً جسمانيّة بعضها مطابقة لما يوجد في الخارج، وبعضها خرافات لا أصل لها في شيء من العوالم، بل هو من دعابات المتخيّلة واضطراباتها الّتي لا تفتر عنها في أكثر الأحوال، ثمّ انتقلت منها وحاكتها بأمور أُخرى في النوم، فبقيت مشغولة بمحاكاتها كما تبقى مشغولة بالحواسّ في اليقظة، وخصوصاً إذا كانت ضعيفة منفعلة عن آثار القوى، وهي أضغاث الأحلام. ولمحاكاتها أسباب من أحوال البدن ومزاجه، فإن غلبت على مزاجه الصفراء حاكاها بالأشياء الصفر وإن كان فيه الحرارة حاكاها بالنار والحمّام الحارّ، وإن غلبت البرودة حاكاها بالثلج والشتاء ونظائرهما، وإن غلبت السوداء حاكاها بالأشياء السود والأمور الهائلة. قال بعض العلماء: وإنّما حصلت صورة النار مثلاً في التخيّل عند غلبة الحرارة، لأنّ الحرارة الّتي في موضع تتعدّى إلى المجاور لها كما يتعدّى نور الشمس إلى الأجسام، بمعنى أنّه سيكون سبباً لحدوثه إذ خلقت الأشياء موجودة وجوداً فائضاً بأمثاله على غيره والقوّة المتخيّلة منطبعة في الجسم الحارّ، فيتأثّر به تأثّراً يليق بطبعها، لأنّ كلّ شيء قابل يتأثّر من شيء فإنّما يتأثّر منه بشيء يناسب جوهر هذا القابل وطبعه،

فالمتخيّلة ليست بجسم حتّى تقبل نفس الحرارة فتقبل من الحرارة ما في طبعها القبول وهو صورة الحارّ فهذا هو السبب فيه.

ثمّ قال: والاتصال بالجواهر الروحانيّة كما يكون في المنام فكذلك قد يكون في اليقظة أيضاً، كما أنّ الاختراعات الخياليّة تكون في الحالتين، وذلك لأنّ رفع الحجاب بين مرآة النفس وذلك العالم كما يكون في المنام فكذلك قد يكون بأسباب أُخر، مثل صفاء النفس بسبب أصل الفطرة؛ ومثل انزعاج النفس وانزجارها عن هذا العالم بسبب ما يكدّرها وينغص عيشها الدنياويّ من المؤلمات والمنفرات، فيتوجّه إلى عالمها هرباً من هذه الأمور الموحشة. فيرتفع الحجاب بينها وبين عالمها؛ ومثل الرياضات العمليّة والعمليّة الّتي توجب المكاشفات الصوريّة والمعنويّة، أي ظهور الحوادث والحقائق؛ ومثل الموت الاراديّ الّذي يكون للأولياء ومثل الموت الطبيعيّ الّذي يوجب كشف الغطاء للجميع، سواء كانوا سعداء أو أشقياء؛ ومثل ما لو غلب على المزاج اليبوسة والحرارة وقلّ الروح البخاريّ حتّى صرفت النفس لغلبة السوداء وقلّة الروح عن موارد الحواسّ، فيكون مع فتح العين وسائر أبواب الحواس كالمبهوت الغافل الغائب عمّا يرى ويسمع، وذلك لضعف خروج الروح إلى الظاهر فهذا أيضاً لا يستحيل أن ينكشف لنفسه من الجواهر الروحانيّة شيء من الغيب، فيحدّث به ويجري على لسانه فكأنّه أيضاً غافل عمّا يحدّث به، وهذا يوجد في بعض المجانين والمصروعين وبعض الكهنة، فيحدّثون بما يكون موافقاً لما سيكون.

ثمّ ما تتلقّاه النفس في اليقظة على وجهين: فإن كانت النفس قويّةً وافيةً بضبط الجوانب، لا تشغلها المشاعر السفليّة عن المدارك العالية، وتكون متخيّلتها قويّةً على استخلاص الحسّ المشترك عن مشاهدة الظواهر إلى مشاهدة ما يراها في الباطن، فلا يبعد أن يقع لها ما يقع للنائم من غير تفاوت، فمنه ما هو وحي صريح لا يفتقر إلى التأويل ومنه ما ليس كذلك فيفتقر إليه، أو يكون شبيهاً بالمنامات الّتي هي أضغاث أحلام إن أمعنت المتخيّلة في الانتقال والمحاكاة. وإن لم يكن كذلك فلا يخلو إمّا أن يستعين بما يقع للحسّ دهشة وللخيال حيرة، أو لا، بل كانت لضعف طبيعيّ في الحواسّ أو مرض طارئ، فالأوّل كفعل المستنطقين المشغلين للصبيان والنساء ذوات المدارك الضعيفة بأمور مترقرقة أو بأشياء ملطخة سود مدهشة محيّرة للحسّ مرعشة للبصر برجرجتها أو شفيفها، وكاستعانة بعض المتصوّفة والمتكهّنة برقص وتصفيق وتطريب، فكلّ هذه موهنة للحواسّ مخلّة بها، وربما يستعينون أيضاً بالإبهام بالعزائم وبأدعية غير مفهومة الألفاظ يوجب الترهيب بالحسّ إذا استنطقوا غيرهم. والثاني كما للمصروعين والممرورين ومن في قواه ضعف وفي دماغه رطوبة قابلة، وقد يجتمع الشيئان: ضعف الفائق وقوّة النفس بتطريب وغيره كالكثير من المرتاضين من أولي الكدّ، وهذا حسن، وما للكهنة والممرورين نقص أو ضلال أو تعطيل للقوى كما خلقت لأجله، وأمّا الفضلاء فرياضاتهم وعلومهم مرموزة مكتومة عن المحجوبين.

وقال الكراجكيّ رحمه الله في كتاب كنز الفوائد: وجدت لشيخنا المفيد رحمه الله في بعض كتبه أنّ الكلام في باب رؤيا المنامات عزيز، وتهاون أهل النظر به شديد، والبليّة بذلك عظيمة، وصدق القول فيه أصل جليل. والرؤيا في المنام يكون من أربع جهات:

أحدها حديث النفس بالشيء والفكر فيه حتّى يحصل كالمنطبع في النفس فيتخيّل إلى النائم ذلك بعينه وأشكاله ونتائجه، وهذا معروف بالاعتبار.

الجهة الثانية من الطباع وما يكون من قهر بعضها لبعض، فيضطرب له المزاج ويتخيّل لصاحبه ما يلائم ذلك الطبع الغالب من مأكول ومشروب ومرئيّ وملبوس ومبهج ومزعج. وقد ترى تأثير الطبع الغالب في اليقظة والشاهد، حتّى أنّ من غلب عليه الصفراء يصعب عليه الصعود إلى المكان العالي، [بما] يتخيّل له من وقوعه منه، ويناله من الهلع والزمع ما لا ينال غيره، ومن غلبت عليه السوداء يتخيّل له أنّه قد صعد في الهواء وناجته الملائكة، ويظنّ صحّة ذلك، حتّى أنّه ربما اعتقد في نفسه النبوّة وأنّ الوحي يأتيه من السماء وما أشبه ذلك.

والجهة الثالثة ألطاف من الله عزّ وجلّ لبعض خلقه من تنبيه وتيسير، وإعذار وإنذار، فيلقي في روعه ما ينتج له تخييلات أمور تدعوه إلى الطاعة، والشكر على النعمة، وتزجره عن المعصية، وتخوّفه الآخرة، ويحصل لها بها مصلحة، وزيادة فائدة وفكر يحدث له معرفة.

والجهة الرابعة أسباب من الشيطان، ووسوسة سيفعلها للإنسان، يذكّره بها أموراً تحزنه، وأسباباً تغمّه فيما لا يناله، أو يدعوه إلى ارتكاب محظور يكون فيه عطبه، أو تخيّل شبهة في دينه يكون منها هلاكه، وذلك مختصّ بمن عدم التوفيق لعصيانه وكثرة تفريطه في طاعات الله سبحانه، ولن ينجو من باطل المنامات وأحلامها إلاّ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام ومن رسخ في العلم من الصالحين.

وقد كان شيخي رحمه الله قال لي: إنّ كلّ من كثر علمه واتّسع فهمه قلّت مناماته، فإن رأى مع ذلك مناماً وكان جسمه من العوارض سليماً فلا يكون منامه إلاّ حقّاً. يريد بسلامة الجسم عدم الأمراض المهيّجة للطباع وغلبة بعضها على ما تقدّم به البيان. والسكران أيضاً لا يصحّ منامه، وكذلك الممتلىء من الطعام لأنّه كالسكران ولذلك قيل: إنّ المنامات قلّ ما يصحّ في ليالي شهر رمضان. فأمّا منامات الأنبياء عليهم السلام فلا تكون إلاّ صادقة، وهي وحي في الحقيقة، ومنامات الأئمّة عليهم السلام جارية مجرى الوحي وإن لم تسمّ وحياً، ولا تكون قطّ إلاّ حقّاً وصدقاً. وإذا صحّ منام المؤمن فإنّه من قبل الله تعالى كما ذكرناه، وقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: رؤيا المؤمن جزء من سبعة وسبعين جزءاً من النبوّة. وروي عنه عليه السلام أنّه قال: رؤيا المؤمن تجري مجرى كلام تكلّم به الربّ عنده.

فأمّا وسوسة شياطين الجنّ فقد ورد السمع بذكرها، قال الله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾﴾ وقال: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ

أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾(١) وقال: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾(٢) وورد السمع به فلا طريق إلى دفعه.

فأمّا كيفيّة وسوسة الجنّي للإنسيّ فهو أنّ الجنّ أجسام رقاق لطاف، فيصحّ أن يتوصّل أحدهم برقّة جسمه ولطافته إلى غاية سمع الإنسان ونهايته، فيوقع فيه كلاماً يلبس عليه إذا سمعه ويشتبه عليه بخواطره، لأنّه لا يرد عليه ورود المحسوسات من ظاهر جوارحه. ويصحّ أن يفعل هذا بالنائم واليقظان جميعاً، وليس هو في العقل مستحيلاً. روى جابر بن عبد الله أنّه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب إذ قام إليه رجل فقال: يا رسول الله إنّي رأيت كأنّ رأسي قد قطع، وهو يتدحرج وأنا أتبعه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تحدّث بلعب الشيطان بك، ثمّ قال: إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يحدثنّ به أحداً.

وأمّا رؤية الإنسان للنبيّ صلى الله عليه وآله أو لأحد الأئمّة عليهم السلام في المنام فإنّ ذلك عندي على ثلاثة أقسام: قسم أقطع على صحّته، وقسم أقطع على بطلانه، وقسم أجوّز فيه الصحّة والبطلان، فلا أقطع فيه على حال. فأمّا الّذي أقطع على صحّته فهو كلّ منام رأى فيه النبيّ صلى الله عليه وآله أو أحد الأئمّة عليهم السلام وهو الفاعل لطاعة أو آمر بها، وناه عن معصية أو مبيّن لقبحها، وقائل لحقّ أو داع إليه، وزاجر عن باطل أو ذامّ لمن هو عليه، وأمّا الّذي أقطع على بطلانه فهو كلّ ما كان ضدّ ذلك، لعلمنا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام صاحبا حقّ، وصاحب الحقّ بعيد عن الباطل وأمّا الّذي أجوّز فيه الصحّة والبطلان فهو المنام الّذي يرى فيه النبيّ والإمام عليهما السلام وليس هو آمراً ولا ناهياً ولا على حال يختصّ بالديانات، مثل أن يراه راكباً أو ماشياً أو جالساً ونحو ذلك. وأمّا الخبر الّذي يروى عن النبيّ صلى الله عليه وآله من قوله «من رآني فقد رآني فإنّ الشيطان لا يتشبّه بي» فإنّه إذا كان المراد به المنام يحمل على التخصيص دون أن يكون في كلّ حال ويكون المراد به القسم الأوّل من الثلاثة الأقسام، لأنّ الشيطان لا يتشبّه بالنبيّ صلّى الله عليه وآله في شيء من الحقّ والطاعات، وأمّا ما روي عنه صلى الله عليه وآله من قوله «من رآني نائماً رآني يقظاناً» فإنّه يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون المراد به رؤية المنام، ويكون خاصّاً كالخبر الأوّل على القسم الّذي قدّمناه والثاني أن يكون أراد به رؤية اليقظة دون المنام، ويكون قوله «نائماً» حالاً للنبيّ وليست حالاً لمن رآه فكأنّه قال: من رآني وأنا نائم فكأنّما رآني وأنا منتبه. والفائدة في هذا المقال أن يعلمهم بأنّه يدرك في الحالتين إدراكاً واحداً، فيمنعهم ذلك إذا حضروا عنده وهو نائم أن يفيضوا فيما لا يحسن أن يذكروه بحضرته وهو منتبه، وقد روي عنه عليه السلام أنّه غفا ثمّ قام يصلّي من غير تجديد وضوء، فسئل عن ذلك فقال: إنّي لست كأحدكم، تنام عيناي ولا ينام قلبي.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢١. (٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

وجميع هذه الروايات أخبار آحاد، فإن سلمت فعلى هذا المنهاج، وقد كان شيخي رحمه الله يقول: إذا جاز من بشر أن يدّعي في اليقظة أنّه إله كفرعون ومن جرى مجراه مع قلّة حيلة البشر وزوال اللبس في اليقظة، فما المانع من أن يدّعي إبليس عند النائم بوسوسة له أنّه نبيّ؟ مع تمكّن إبليس ممّا لا يتمكّن منه البشر وكثرة اللبس المعترض في المنام. وممّا يوضح لك أنّ من المنامات الّتي يتخيّل للانسان أنّه قد رأى فيها رسول الله والأئمّة منها ما هو حقّ، ومنها ما هو باطل، أنّك ترى الشيعي يقول: رأيت في المنام رسول الله صلّى الله عليه وآله ومعه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو يأمرني بالاقتداء به دون غيره، ويعلمني أنّه خليفته من بعده وأنّ أبا بكر وعمر وعثمان ظالموه وأعداؤه، وينهاني عن موالاتهم ويأمرني بالبراءة منهم، ونحو ذلك ممّا يختصّ بمذهب الشيعة؛ ثمّ يرى الناصبيّ يقول: رأيت رسول الله في النوم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، وهو يأمرني بمحبّتهم وينهاني عن بغضهم، ويعلمني أنّهم أصحابه في الدنيا والآخرة، وأنّهم معه في الجنّة. ونحو ذلك ممّا يختصّ بمذهب الناصبيّة فنعلم لا محالة أنّ أحد المنامين حقّ والآخر باطل، فأولى الأشياء أن يكون الحقّ منهما ما ثبت الدليل في اليقظة على صحّة ما تضمّنه، والباطل ما أوضحت الحجّة عن فساده وبطلانه. وليس يمكن الشيعيّ أن يقول للناصبيّ: إنّك كذبت في قولك: إنّك رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّه يقدر أن يقول له مثل هذا بعينه، وقد شاهدنا ناصبياً يتشيّع وأخبرنا في حال تشيّعه بأنّه يرى منامات بالضدّ ممّا كان يراه في حال نصبه فبان بذلك أنّ أحد المنامين باطل، وأنّه من نتيجة حديث النفس، أو من وسوسة إبليس ونحو ذلك، وأنّ المنام الصحيح هو لطف من الله تعالى بعبده على المعنى المتقدّم وصفه، وقولنا في المنام الصحيح أنّ الإنسان رأى في نومه النبيّ صلى الله عليه وآله إنّما معناه أنّه كأن قد رآه، وليس المراد به التحقّق في اتّصال شعاع بصره بجسد النبيّ صلى الله عليه وآله، وأيّ بصر يدرك به في حال نومه؟ وإنّما هي معاني تصوّرت، وفي نفسه تخيّل له فيها أمر لطف الله تعالى له به قام مقام العلم، وليس هذا بمناف للخبر الّذي روي من قوله «من رآني فقد رآني» لأنّ معناه: فكأنّما رآني، وليس يغلط في هذا المكان إلاّ من ليس له من عقله اعتبار[١].

قال المازريّ من العامّة، في شرح قول النبيّ: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان»: مذهب أهل السنّة في حقيقة الرؤيا أنّ الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات، كما يخلقها في قلب اليقظان، وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا يمنعه النوم واليقظة فإذا خلق هذه الاعتقادات فكأنّه جعلها علماً على أمور أخر يخلقها في ثاني الحال أو كان قد خلقها، فإذا خلق في قلب النائم الطيران وليس بطائر فأكثر ما فيه أنّه اعتقد أمراً على خلاف ما هو، فيكون ذلك الاعتقاد علماً على غيره، كما يكون خلق الله تعالى الغيم علماً على المطر، والجميع

(١) كنز الفوائد للكراجكي، ج ٢ ص ٦٠.

خلق الله تعالى، ولكن يخلق الرؤيا والاعتقادات الّتي جعلها علماً على ما يسرّ بغير حضرة الشيطان، وخلق ما هو علم على ما يضرّ بحضرة الشيطان فنسب إلى الشيطان مجازاً لحضوره عندها وإن كان لا فعل له حقيقةً.

وقال البغويّ في شرح السنّة: ليس كلّ ما يراه الإنسان صحيحاً ويجوز تعبيره بل الصحيح ما كان من الله يأتيك به ملك الرؤيا من نسخة أمّ الكتاب، وما سوى ذلك أضغاث أحلام لا تأويل لها، وهي على أنواع: قد تكون من فعل الشيطان يلعب بالإنسان، أو يريه ما يحزنه، وله مكائد يحزن بها بني آدم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾(١) ومن لعب الشيطان به الاحتلام الّذي يوجب الغسل، فلا يكون له تأويل؛ وقد يكون من حديث النفس كما يكون في أمر أو حرفة يرى نفسه في ذلك الأمر، والعاشق يرى معشوقه ونحوه؛ وقد يكون من مزاج الطبيعة، كمن غلب عليه الدم يرى الفصد والحجامة والحمرة والرعاف والرياحين والمزامير والنشاط ونحوه ومن غلب الصفراء يرى النار والشمع والسراج والأشياء الصفر والطيران في الهواء ونحوه، ومن غلب عليه السوداء يرى الظلمة والسواد والأشياء السود وصيد الوحش والأحوال والأموات والقبور والمواضع الخربة وكونه في مضيق لا منفذ له أو تحت ثقل ونحوه، ومن غلب عليه البلغم يرى البياض والمياه والأنداء والثلج والوحل فلا تأويل لشيء منها.

وقال السيّد المرتضى رحمه الله في كتاب الغرر والدرر في جواب سائل سأله: ما القول في المنامات؟ أصحيحة هي أم باطلة؟ ومن فعل مَن هي؟ وما وجه صحّتها في الأكثر؟ وما وجه الإنزال عند رؤية المباشرة في المنام؟ وإن كان فيها صحيح وباطل فما السبيل إلى تمييز أحدهما من الآخر؟:

الجواب: اعلم أنّ النائم غير كامل العقل، لأنّ النوم ضرب من السهو، والسهو ينفي العلوم، ولهذا يعتقد النائم الاعتقادات الباطلة لنقصان عقله وفقد علومه، وجميع المنامات إنّما هي اعتقادات يبتدئها النائم في نفسه، ولا يجوز أن تكون من فعل غيره فيه، لأنّ من عداه من المحدّثين، سواء كانوا بشراً أو ملائكةً أو جنّاً، أجسام والجسم لا يقدر أن يفعل في غيره اعتقاداً ابتداء بل ولا شيئاً من الأجناس على هذا الوجه، وإنّما يفعل ذلك في نفسه على سبيل الابتداء. وإنّما قلنا: إنّه لا يفعل في غيره جنس الاعتقادات متولّداً، لأنّ الّذي يعدي الفعل من محلّ القدرة إلى غيرها من الأسباب إنّما هو الاعتمادات، وليس في جنس الاعتمادات ما يولّد الاعتقادات، ولهذا لو اعتمد أحدنا على قلب غيره الدهر الطويل ما تولّد فيه شيء من الاعتقادات، وقد بيّن ذلك وشرح في مواضع كثيرة. والقديم تعالى هو القادر أن يفعل في قلوبنا ابتداء من غير سبب أجناس الاعتقادات، ولا يجوز أن يفعل في قلب النائم اعتقاداً،

(١) سورة المجادلة، الآية: ١٠.

لأنّ أكثر اعتقادات النائم جهل، ويتأوّل الشيء على خلاف ما هو به، لأنّه يعتقد أنّه يرى ويمشي وأنّه راكب وعلى صفات كثيرة، وكلّ ذلك على خلاف ما هو به، وهو تعالى لا يفعل الجهل فلم يبق إلاّ أنّ الاعتقادات كلّها من جهة النائم. وقد ذكر في المقالات أنّ المعروف بصالح قبة كان يذهب إلى أنّ ما يراه النائم في منامه على الحقيقة، وهذا جهل منه يضاهي جهل السوفسطائيّة، لأنّ النائم يرى أنّ رأسه مقطوع وأنّه قدمات وأنّه قد صعد إلى السماء، ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك كلّه. وإذا جاز عند صالح هذا أن يعتقد اليقظان في السراب أنّه ماء، وفي المُردي إذا كان في الماء أنّه مكسور، وهو على الحقيقة صحيح، لضرب من الشبهة واللبس فألا جاز ذلك في النائم وهو من الكمال أبعد ومن النقص أقرب؟

وينبغي أن يقسم ما يتخيّل النائم أنّه يراه إلى أقسام ثلاثة: منها ما يكون من غير سبب يقتضيه ولا داع يدعو إليه اعتقاداً مبتدأ ومنها ما يكون من وسواس الشيطان يفعل في داخل سمعه كلاماً خفيّاً يتضمّن أشياء مخصوصة، فيعتقد النائم إذا سمع ذلك الكلام أنّه يراه. فقد نجد كثيراً من النيّام يسمعون حديث من يتحدّث بالقرب منهم فيعتقدون أنّهم يرون ذلك الحديث في منامهم. ومنها ما يكون سببه والداعي إليه خاطراً يفعله الله تعالى، أو يأمر بعض الملائكة بفعله، ومعنى هذا الخاطر أن يكون كلاماً يفعل في داخل السمع، فيعتقد النائم أيضاً أنّه ما يتضمّن ذلك الكلام. والمنامات الداعية إلى الخير والصلاح في الدين يجب أن تكون إلى هذا الوجه مصروفة، كما أنّما يقتضي الشرّ منها الأولى أن تكون إلى وسواس الشيطان مصروفة. وقد يجوز على هذا في ما يراه النائم في منامه ثمّ يصحّ ذلك حتّى يراه في يقظته على حدّ ما يراه في منامه وفي كلّ منام يصحّ تأويله، أن يكون سبب صحّته أنّ الله تعالى يفعل كلاماً في سمعه لضرب من المصلحة بأنّ شيئاً يكون أو قد كان على بعض الصفات، فيعتقد النائم أنّ الّذي يسمعه هو يراه. فإذا صحّ تأويله على ما يراه، فما ذكرناه إن لم يكن ممّا يجوز أن تتّفق فيه الصحّة اتّفاقاً فإنّ في المنامات ما يجوز أن يصحّ بالاتّفاق وما يضيق فيه مجال نسبته إلى الاتّفاق فهذا الّذي ذكرناه يمكن أن يكون وجهاً فيه.

فإن قيل: أليس قد قال أبو عليّ الجبائيّ في بعض كلامه في المنامات: إنّ الطبائع لا يجوز أن تكون مؤثّرة فيها، لأنّ الطبائع لا يجوز على المذاهب الصحيحة أن تؤثّر في شيء، وأنّه غير ممتنع مع ذلك أن يكون بعض المآكل يكثر عندها المنامات بالعادة، كما أنّ فيها ما يكثر عنده بالعادة تخييل الإنسان وهو مستيقظ ما لا أصل له؟ قلنا: قد قال ذلك أبو عليّ وهو خطأ، لأنّ تأثيرات المآكل بمجرى العادة على المذاهب الصحيحة إذا لم تكن مضافةً إلى الطبائع فهو من فعل الله تعالى، فكيف نضيف التخيّل الباطل والاعتقاد الفاسد إلى فعل الله تعالى؟ فأما المستيقظ الّذي استشهد به فالكلام فيه والكلام في النائم واحد، ولا يجوز أن نضيف التخيّل الباطل إلى فعل الله تعالى في نائم ولا يقظان. فأمّا ما يتخيّل من الفاسد وهو غير نائم فلا بدّ من أن الأصل له كما قلناه في النائم.

فإن قيل: فما قولكم في منامات الأنبياء عليهم السلام؟ وما السبب في صحّتها حتّى عدّ ما يرونه في المنام مضاهياً لما يسمعونه من الوحي؟

قلنا: الأخبار الواردة بهذا الجنس غير مقطوع على صحّتها، ولا هي ممّا توجب العلم، وقد يمكن أن يكون الله تعالى أعلم النبيّ بوحي يسمعه من الملك على الوجه الموجب للعلم أنّي سأريك في منامك في وقت كذا ما يجب أن تعمل عليه، فيقطع على صحّته من هذا الوجه، لا بمجرّد رؤيته له في المنام. وعلى هذا الوجه يحمل منام إبراهيم عليه السلام في ذبح ابنه، ولولا ما أشرنا إليه كيف كان يقطع إبراهيم عليه السلام بأنّه متعبّد بذبح ولده؟

فإن قيل: فما تأويل ما يروى عنه صلى الله عليه وآله من قوله «من رآني فقد رآني فإنّ الشيطان لا يتخيّل بي» وقد علمنا أنّ المحقّ والمبطل والمؤمن والكافر قد يرون النبيّ صلى الله عليه وآله في النوم ويخبر كلّ واحد منهم عنه بضدّ ما يخبر به الآخر فكيف يكون رائياً له في الحقيقة مع هذا؟

قلنا: هذا خبر واحد ضعيف من أضعف أخبار الآحاد، ولا معوّل على مثل ذلك. على أنّه يمكن مع تسليم صحّته أن يكون المراد به: من رآني في اليقظة فقد رآني على الحقيقة، لأنّ الشيطان لا يتمثّل بي لليقظان. فقد قيل: إنّ الشيطان ربما تمثّل بصورة البشر. وهذا التشبيه أشبه بظاهر ألفاظ الخبر، لأنّه قال من رآني فقد رآني، فأثبت غيره رائياً له ونفسه مرئيّة، وفي النوم لا رائي له في الحقيقة ولا مرئيّ، وإنّما ذلك في اليقظة. ولو حملناه على النوم لكان تقدير الكلام: من اعتقد أنّه يراني في منامه، وإن كان غير راءٍ له على الحقيقة، فهو في الحكم كأنّه قد رآني. وهذا عدول عن ظاهر لفظ الخبر وتبديل لصيغته.

وهذا الّذي رتّبناه في المنامات وقسمناه أسدُّ تحقيقاً من كلّ شيء قيل في أسباب المنامات، وما سطر في ذلك معروف غير محصّل ولا محقّق. فأمّا ما يهذي إليه الفلاسفة في هذا الباب فهو ممّا يضحك الثكلى، لأنّهم ينسبون ما صحّ من المنامات - لمّا أعيتهم الحيل في ذكر سببه - إلى أنّ النفس اطّلعت إلى عالمها فأشرفت على ما يكون، وهذا الّذي يذهبون إليه في حقيقة النفس غير مفهوم ولا مضبوط، فكيف إذا أضيف إليه الاطّلاع على عالمها، وما هذا الاطّلاع؟ وإلى أيّ شيء يشيرون بعالم النفس؟ ولم يجب أن تعرف الكائنات عند هذا الاطّلاع؟ فكلّ هذا زخرفة ومخرقة، وتهاويل لا يتحصّل منها شيء. وقول صالح قبة مع أنّه تجاهل محض أقرب إلى أن يكون مفهوماً من قول الفلاسفة، لأنّ صالحاً ادّعى أنّ النائم يرى على الحقيقة ما ليس يراه فلم يشر إلى أمر غير معقول ولا مفهوم، بل ادّعى ما ليس بصحيح وإن كان مفهوماً، وهؤلاء عوّلوا على ما لا يفهم مع الاجتهاد، ولا يعقل مع قوّة التأمّل، والفرق بينهما واضح.

فأمّا سبب الإنزال فيجب أن يبنى على شيء يحقّق سبب الانزال في اليقظة مع الجماع، ليس هذا ممّا يهذي به أصحاب الطبائع، لأنّا قد بيّنّا في غير موضع أنّ الطبع لا أصل له وأنّ الإحالة فيه على سراب لا يتحصّل، وإنّما سبب الانزال أنّ الله تعالى أجرى العادة بأن يخرج

هذا الماء من الظهر عند اعتقاد النائم أنّه يجامع وإن كان هذا الاعتقاد باطلاً[(١)] (انتهى كلامه قدّس الله روحه).

ولنكتف بذكر هذه الأقوال ولا نشتغل بنقدها وتفصيلها، ولا بردّها وتحصيلها، لأنّ ذلك ممّا يؤدّي إلى التطويل الخارج عن المقصود في الكتاب. ولنذكر ما ظهر لنا في هذا الباب من الأخبار المنتمية إلى الأئمّة الأخيار عليهم السلام فهو أنّ الرؤيا تستند إلى أمور شتّى:

فمنها: أنّ للروح في حالة النوم حركة إلى السماء، إمّا بنفسها بناء على تجسّمها كما هو الظاهر من الأخبار؛ أو بتعلّقها بجسد مثاليّ إن قلنا به في حال الحياة أيضاً بأن يكون للروح جسدان أصليّ ومثاليّ يشتدّ تعلّقها في حال اليقظة بهذا الجسد الأصليّ، ويضعف تعلّقها بالآخر، وينعكس الأمر في حال النوم؛ أو بتوجّهها وإقبالها إلى عالم الأرواح بعد ضعف تعلّقها بالجسد بنفسها من غير جسد مثاليّ، وعلى تقدير التجسّم أيضاً يحتمل ذلك كما يوميء إليه بعض الأخبار، بأن يكون حركتها كناية عن إعراضها عن هذا الجسد وإقبالها إلى عالم آخر وتوجّهها إلى نشأة أخرى، وبعد حركتها بأيّ معنى كانت ترى أشياء في الملكوت الأعلى، وتطالع بعض الألواح الّتي أثبتت فيها التقديرات. فإن كان لها صفاء ولعينها ضياء يرى الأشياء كما أثبتت، فلا تحتاج رؤياه إلى تعبير؛ وإن استدلت على عين قلبه أغطية أرماد التعلّقات الجسمانيّة والشهوات النفسانيّة فيرى الأشياء بصور شبيهة لها، كما أنّ ضعيف البصر ومؤوف العين يرى الأشياء على غير ما هي عليه، والعارف بعلّته يعرف أنّ هذه الصورة المشبّهة الّتي اشتبهت عليه صورة لأيّ شيء. فهذا شأن المعبّر العارف بداء كلّ شخص وعلّته ويمكن أيضاً أن يظهر الله عليه الأشياء في تلك الحالة بصور يناسبها لمصالح كثيرة، كما أنّ الإنسان قد يرى المال في نومه بصورة حيّة، وقد يرى الدراهم بصورة عذرة، ليعرف أنّهما يضرّان وهما مستقذران واقعاً، فينبغي أن يتحرّز عنهما ويجتنبهما. وقد ترى في الهواء أشياء فهي الرؤيا الكاذبة الّتي لا حقيقة لها، ويحتمل أن يكون المراد بما يراه في الهواء ما أنس به من الأمور المألوفة والشهوات والخيالات الباطلة، وقد مضى ما يدلّ على هذين النوعين في رواية محمّد بن القاسم ورواية معاوية بن عمّار وغيرهما.

ومنها: ما هو بسبب إفاضة الله تعالى عليه في منامه إمّا بتوسّط الملائكة أو بدونه كما يوميء إليه خبر أبي بصير وسعد بن أبي خلف.

ومنها: ما هو بسبب وسواس الشيطان واستيلائه عليه بسبب المعاصي الّتي عملها في اليقظة أو الطاعات الّتي تركها فيها أو الكثافات والنجاسات الظاهريّة والباطنيّة الّتي لوّث نفسه بها، كما مرّ في رواية هزع ورواية تارك الزكاة وغيرهما، وتدلّ عليه آية النجوى على بعض الوجوه.

---

(١) رسائل الشريف المرتضى، ج ٢ ص ٩.

ومنها: ما هو بسبب ما بقي في ذهنه من الخيالات الواهية والأمور الباطلة ويومىء إليه خبر ابن أبي خلف وغيره.

وأمّا ما وراء ذلك ممّا سبق ذكره وإن كان بعضها محتملاً ويمكن تطبيق الآيات والأخبار عليه، لكن لم يدلّ عليه دليل، والتجويز والامكان لا يقومان مقام البرهان مع أنّه ليس من الأمور الّتي يجب تحقيقها والإذعان بكيفيّتها.

خاتمة: نورد فيها بعض ما ذكره أرباب التعبير والتأويل، وإن لم يكن لأكثرها مأخذ يصلح للتعويل.

قال بعضهم: السحاب حكمة، فمن ركبه علا في الحكمة، وإن أصاب منها شيئاً أصاب حكمةً، وإن خالطه ولم يصب شيئاً خالط الحكماء. فإن كان في السحاب سواد أو ظلمة أو رياح أو شيء من هيئته العذاب فهو عذاب، وإن كان فيه غيث فهو رحمة.

والسمن والعسل قد يكون مالاً في التأويل، وقد يكون علماً وحكمة. روي أنّ رجلاً سأل ابن سيرين قال: رأيت كأنّي ألعق عسلاً من جام من جوهر، فقال: اتّق الله وعاود القرآن، فقد قرأته ثمّ نسيته.

والعلوّ إلى السماء رفعة، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ومن رأى أنّه صعد السماء ودخلها نال شرفاً وذكراً وشهادةً.

والطيران في الهواء: عزم سفر أو نيل شرف. وقال بعضهم: من رأى أنّه يطير فإن كان إلى جهة السماء من غير تعريج ناله ضرر، وإن غاب في السماء ولم يرجع مات وإن رجع أفاق من مرضه، وإن كان يطير عرضاً سافر ونال رفعةً بقدر طيرانه، وإن كان بجناح فهو مال وسلطان يسافر في كنفه، وإن كان بغير جناح دلّ على التعزير في ما يدخل فيه. وقالوا: إنّ الطيران للشرار دليل رديّ والحبل: العهد والأمان لقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾.

واعلم أنّ التأويل قد يكون بدلالة كتاب أو سنّة أو من الأمثال السائرة بين الناس، وقد يقع التأويل على الأسماء والمعاني، وقد يقع على الضدّ، فالتأويل بدلالة القرآن كالحبل يعبّر بالعهد كما مرّ، والسفينة بالنجاة قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾(١) والخشبة بالنفاق لقوله تعالى ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ والحجارة بالقسوة لقوله تعالى ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ والمرض بالنفاق لقوله ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ والماء بالفتنة في حال، لقوله: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ ﴿١٧﴾﴾(٢) وأكل اللحم النيّ بالغيبة لقوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ ودخول الملك محلّةً أو بلداً أو داراً يصغر عن قدره وينكر دخول مثله مثلها يعبّر بمصيبة وذلّ ينال أهله، لقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ والبيض بالنساء لقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ

(١) سورة العنكبوت، الآية: ١٥. (٢) سورة الجن، الآيتان: ١٦، ١٧.

مَّكْنُونٌ﴾ وكذلك اللباس لقوله ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ واستفتاح الباب بالدعاء لقوله ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ﴾ أي تدعوا.

والتأويل بدلالة الحديث كالغراب بالرجل الفاسق، لأنّ النبيّ ﷺ سمّاه فاسقاً. والفارة بالمرأة الفاسقة، لأنّه ﷺ سمّاه فويسقة. والضلع بالمرأة لقوله صلّى الله عليه وآله: خلقت من ضلع أعوج. والقوارير بالنساء لقوله ﷺ: رويدك سوقاً بالقوارير.

والتأويل بالأمثال كالصائغ بالكذّاب، لقولهم: أكذب الناس الصوّاغون وحفر الحفرة بالمكر لقولهم: من حفر حفرةً لأخيه وقع فيها، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾(١) والحاطب بالنمّام لقولهم لمن نمّ ووشى: إنّه يحطب عليه، وفسّروا قوله ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ بالنميمة وطول اليد بصنائع المعروف لقولهم فلان أطول يداً من فلان. ويعبّر الرمي بالحجارة والسهم بالقذف، لقولهم: رمى فلاناً بفاحشة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ وغسل اليد باليأس عمّا يؤمّل، لقولهم: غسلت يدي عنك. والتأويل بالأسامي كمن رأى من يسمّى راشداً يعبّر بالرشد وسالماً بالسلامة. وروي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأنّا في دار عقبة بن رافع فأُتينا برطب ابن طاب، فأوّلت الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الآخرة وأنّ ديننا قد طاب وقال ابن سيرين: نوى التمر نيّة السفر، وقد يعبّر السفرجل بالسفر إذا لم يكن في الرؤيا ما يدلّ على المرض والسوسن بالسوء، لأنّ أوّله سوء إذا عدل به ممّا ينسب إليه في التأويل.

والتأويل بالمعنى كالأترجّ يعبّر بالنفاق لمخالفة باطنه ظاهره، إذا لم يكن في الرؤيا ما يدلّ على المال. وكالورد والنرجس بقلّة البقاء إن عدل به عمّا نسب إليه لسرعة ذهابه. والآس بالبقاء لأنّه يدوم. روي أنّ امرأة بالأهواز رأت كأنّ زوجها ناولها نرجساً وناول ضرّتها آساً. فقال المعبّر: يطلّقك ويتمسّك بضرّتك، أما سمعت قول الشاعر: ليس للنرجس عهد إنّما العهد للآس.

وأمّا التأويل بالضدّ فكما أنّ الخوف يعبّر بالأمن، لقوله ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾(٢) والأمن بالخوف والبكاء بالفرح إذا لم يكن معه رنّة، والضحك بالحزن إلاّ أن يكون تبسّماً، والطاعون بالحرب، والحرب بالطاعون، والعجلة بالندم [والندم بالعجلة]، والعشق بالجنون، والجنون بالعشق، والنكاح بالتجارة، والتجارة بالنكاح، والحجامة بكتبة الصكّ، والصكّ بالحجامة، والتحوّل عن المنزل بالسفر والسفر بالتحوّل عن المنزل. ومن هنا أنّ العطش خير من الريّ، والفقر من الغنا والمضروب والمجروح والمقذوف أحسن حالاً من الفاعل.

وقد يتغيّر بالزيادة والنقصان، كالبكاء إنّه فرح، وإن كان معه صوت ورنّة فمصيبة؛ وفي

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٥.

الضحك إنّه حزن، فإن كان تبسّماً فصالح؛ وفي الجوز مال مكنون فإن سمعت له قعقعة فهو خصومة؛ والدهن في الرأس زينة، فإن سال عن الوجه فهو غمّ والزعفران ثناء حسن، فإن ظهر له لون فهو مرض أو همّ؛ والمريض يخرج من منزله ولا يتكلّم فهو موته فإن تكلّم برئ؛ والفأر نساء، فإن اختلفت ألوانها إلى البيض والسود فهي الأيّام والليالي؛ والسمك نساء، فإذا عرف عددها فإن كثر فغنيمة.

وقد يتغيّر التأويل عن أصله باختلاف حال الرائي كالغلّ في النوم مكروه، وهو في حقّ الرجل الصالح قبض اليد عن الشرّ. وقال ابن سيرين: نقول في الرجل يخطب على المنبر يصيب سلطاناً، فإن لم يكن من أهله يصلب، وسأل رجل ابن سيرين عن الأذان فقال: الحجّ، وسأله آخر فأوّل بقطع السرقة، وقال رأيت الأوّل في سيماء حسنة فتأوّلت ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾[1] ولم أرض هيئة الثاني فأوّلت: ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾[2].

وقد يرى فيصيبه عين ما رأى حقيقة من ولاية أو حجّ أو قدوم غائب أو خير أو نكبة وقد رأى النبيّ ﷺ عام الفتح فكان كذلك، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا﴾[3] وروى الزهريّ عن ابن خزيمة بن ثابت عن عمّه: أنّ خزيمة رأى أنّه سجد على جبهة النبيّ ﷺ فأخبره، فاضطجع له وقال: صدّق رؤياك، فسجد على جبهته. وقد يرى في المنام الشيء فيكون لولده أو قريبه أو سميّه. فقد رأى النبيّ ﷺ متابعة أبي جهل معه فكان لابنه عكرمة، فلمّا أسلم قال ﷺ: هو هذا. ورأى لأسيد بن العاص ولاية مكّة فكان لابنه عتّاب ولاّه النبيّ ﷺ مكّة. وروى البخاريّ بإسناده عن ابن سيرين عن قيس بن عباد قال: كنت جالساً في مسجد المدينة في ناس فيهم بعض أصحاب النبيّ ﷺ فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع، فقال بعض القوم: هذا رجل من أهل الجنّة، فصلّى ركعتين تجوّز فيهما ثمّ خرج، وتبعته فقلت له: إنّك حين دخلت المسجد قالوا: هذا من أهل الجنّة. قال: والله ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، وسأحدّثك بم ذاك: رأيت رؤيا على عهد النبيّ ﷺ فقصصتها عليه: رأيت كأنّي في روضة، ذكر من سعتها وخضرتها، في وسطها عمود من حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء وأعلاه عروة فقيل لي: ارقه، قلت: لا أستطيع، فأتاني مِنصف، فرفع ثيابي من خلفي، فرقيت حتّى كنت في أعلاها فأخذت بالعروة، فقيل: استمسك، فاستيقظت وإنّها لفي يدي. فقصصتها على النبيّ ﷺ فقال: تلك الروضة الاسلام، وذلك العمود عمود الاسلام وتلك العروة العروة الوثقى، فأنت على الاسلام حتّى تموت. والرجل عبد الله بن سلام.

قال في النهاية: في الحديث «تجوّزوا في الصلاة» أي خفّفوها وأسرعوا بها وقيل: إنّه من

(١) سورة الحج، الآية: ٢٧. (٢) سورة يوسف، الآية: ٧٠.
(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

الجواز، القطع والسير. وقال: المنصف - بكسر الميم -: الخادم، وقد يفتح.

وقال في شرح السنّة: من رأى في النوم أنّه قد صعد السماء فدخلها نال شرفاً وذكراً ونال الشهادة، فإن رأى نفسه فيها لا يدري متى صعد إليها فهو شرف معجّل وشهادة مؤجّلة. والشمس ملك عظيم، ومن رأى فيها من تغيّر أو كسوف فهو حدث بالملك من همّ أو مرض أو نحوه. والقمر وزير الملك في التأويل. والزهرة امرأته. وعطارد كاتبه. والمرّيخ صاحب حربه، وزحل صاحب عذابه، والمشتري صاحب ماله وسائر النجوم العظام أشراف الناس. وإنّما يكون القمر وزيراً ما رئي في السماء، فإن رآه عنده أو في حجره أو في بيته تزوّج زوجاً يغلب ضوءه، رجلاً كان أو امرأة. وكانت الشمس في تأويل رؤيا يوسف أباه، والقمر أمّه أو خالته، والكواكب الأحد عشر إخوته، كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[1] - الآية - وكان رؤياه في صباه فظهر تأويلها بعد أربعين سنة. ويقال: بعد ثمانين سنة.

وروي أنّ ابن سيرين رأى في المنام كأنّ الجوزاء تقدّمت الثريّا، فأخذ في الوصيّة وقال: يموت الحسن، وأموت بعده وهو أشرف منّي. وسأل رجل ابن سيرين فقال: رأيت كأنّي أطير بين السماء والأرض، فقال: أنت رجل كثير المُنى، وقالوا: من رأى القيامة قد قامت في موضع فإنّ العدل يبسط في ذلك المكان، فإن كانوا مظلومين نصروا، وإن كانوا ظالمين انتقم منهم، لأنّه العدل، ويوم القيامة يوم الفصل والعدل. قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[2]. ومن رأى دخل الجنّة فهو البشرى من الله بالجنّة، فإن أكل شيئاً من ثمارها أو أصابها فهو خير يناله في دينه ودنياه وعلم ينتفع به، فإن أعطاها غيره ينتفع بعلمه غيره. ودخول جهنّم إنذار للعاصي ليتوب، فإن رأى أنّه تناول شيئاً من طعامها أو شرابها فهو خلاف أعمال البرّ منه، أو علم يصير عليه وبالاً. والغسل والوضوء بالماء البارد توبة، وشفاء من المرض وخروج من الحبس، وقضاء للدّين، وأمن من الخوف، غير أنّ الغسل أقوى من الوضوء قال تعالى لأيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ فلمّا اغتسل خرج من المكاره. والغسل والوضوء بالماء المسخّن همٌّ أو مرض. والأذان حجٌّ لقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ وربما كان سلطاناً في الدين وقوّة. والصلاة في النوم استقامة الرأي في الدين والسنّة إذا كانت إلى الكعبة. والإمامة رئاسة وولاية إن استقامت قبلته وتمّت صلاته. والركوع توبة لقوله تعالى: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ والسجود قربة لقوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾. وإن صلّى منحرفاً عن سمت القبلة شرقاً أو غرباً فانحراف عن السنّة، فإن جعلها وراء ظهره فهو نبذه الاسلام لقوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فإن رأى أنّه لا يعرف القبلة فهو حيرة منه في الدين. ومن رأى نفسه فوق الكعبة فلا دين له، والكعبة الإمام العادل، فمن أمّ الكعبة فقد أمّ الإمام. والمسجد الجامع هو السلطان. ومن رأى نفسه يطوف بالكعبة أو يأتي بشيء من

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٠. (٢) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

المناسك فهو صلاح في دينه بقدر عمله. ودخول الحرم أمن لقوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ والأضحيّة فكّ الرقبة، فمن ضحّى وكان عبداً أُعتق، وإن كان أسيراً نجا، أو خائفاً أمن، أو مديوناً قضى دينه، أو مريضاً شفاه الله أو صرورة حجّ.

وقال: من رأى في المنام أنّه تزوّج امرأة عاينها أو عرفها أو نسبت إليه أصاب سلطاناً، وإن تزوّج امرأة لم يعاينها ولم يعرفها ولم تنسب إليه إلاّ أنّه يسمّى عروساً فهو موته أو يقتل إنساناً. ومن طلّق امرأة عزل عن سلطنته، ومن تزوّج امرأة ميتة ظفر بأمر ميّت. ومن رأى أنّه نكح امرأةً من محارمه يصل رحمها. ومن أصاب زانيةً أصاب دنياً حراماً. فإن رآه رجل من الصالحين أصاب علماً. فإن رأت امرأة أنّها تزوّجت أصابت خيراً، فإن رأت أنّ زانياً نكحها فهو نقصان مالها وتشتّت أمرها.

وروى البخاريّ عن ابن عمر: أنّ النبيّ ﷺ قال: رأيت امرأةً سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتّى نزلت مهيعة، فتأوّلتها أنّ وباء المدينة نقل إلى مهيعة وهي الجحفة.

وقال أصحاب التعبير: الرجل المعروف في النوم هو ذلك الرجل أو سميّه أو نظيره، والمجهول إن كان شابّاً فهو عدوّ، وإن كان شيخاً فهو جدة. والمرأة العجوز المجهولة هي الدنيا، فإن كانت ذات هيئة وسمت حسن كانت حلالاً، وإن كانت على غير سمت الاسلام كانت دنياً حراماً، وإن كانت شعثة قبيحة فلا دين ولا دنيا، والمرأة سنة، والجارية خير، والصبيّ همّ. والمرأة الزانية هي الدنيا لطالب الدنيا، وعلم لأهل الصلاح والعلم. والخصيان هم الملائكة إذا رآهم في سمت حسن. وسأل رجل ابن سيرين فقال: رأيت في النوم صبيّاً في حِجري يصيح، فقال: اتّق الله ولا تضرب بالعود.

فأمّا الأعضاء: فرأس الرجل رئيسه، والوجه جاهه، والشيب وقاره وطول الشعر همّ، إلاّ أن يكون ممّن يلبس السلاح، فهو له زينة. وحلق الرأس كفّارة الذنوب إن كان في حرم أو أيّام موسم، وإن كان مديوناً أو في كرب ففرج، وإن لم يكن شيئاً منها فهو هتك أو عزل رئيسه، وطول اللحية فوق القدر دين أو همّ، وخضاب الرأس واللحيه تغطية أمر، وشعر الشارب والإبط زيادته مكروهة، ونقصانه محمود والأذن امرأة الرجل وابنته، والسمع والبصر دينه، والصوت صيته في الناس، وما حدث عن شي، منه كان ذلك فيما ينسب إليه. والعين دين فإن رأى أنّه أعمى ضلّ عن الاسلام، وإن رأى أنّه أعور ذهب نصف دينه، أو أصاب إثماً عظيماً، والرمد حدث في الدين، وأشفار العين وقاية الدين، وكذا الاكتحال. والجبهة والأنف من الجاه والفم مفتاح أمره وخاتمته، والقلب القائم بأمره ومدبّره، واللّسان ترجمانه والمبلّغ عنه وقد يكون حجّته، وقطعه انقطاع حجّته في المنازعة. وقد يكون اللسان ذكره، قال تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ (١) وقطع اللسان للنساء محمود يدلّ على الستر والحياء،

(١) سورة الشعراء، الآية: ٨٤.

والأسنان أهل البيت والقرابات، لتقاربها وتلاصقها، والثنايا أقربهم، والأبعد منها أبعدهم، والعليا رجال القرابة، والسفلى نساؤها وما حدث فيها من حسن أو فساد أو كلال ففي القرابة، فإن رأى أنّ أسنانه سقطت فصارت في يده تكثر نساء أهله، فإن سقطت وذهبت فهو موتهم قبله، والعنق موضع الأمانة والدين، وضعفه عجز عن احتمال الأمانة والدين. والعضد أخ أو ولد قد أدرك، واليد أخ، وقطعها موته، وقد يؤوّل طول اليد بصنائع المعروف، وإذا نسبت اليد إلى الأخ كانت الأصابع أولاداً لأخ وإذا انفردت الأصابع عن ذكر اليد فهي الصلوات الخمس، ونقصانها حدث في الصلاة فالإبهام الصبح، والسبّابة الظهر، والوسطى العصر، والبنصر المغرب، والخنصر العشاء والصدر حلم الرجل [واحتماله]. والثدي البنت، والبطن والأمعاء مال وولد، فإن رأى ظهور شيء من أمعائه من جوفه فهو ظهور ماله. والكبد كنز، وفي الحديث: يخرج الأرض أفلاذ كبدها، أي كنوزها، وكذلك الدماغ والمخّ. والأضلاع النساء لأنّ المرأة خلقت من ضلع. والظهر سند الرجل وقوّته، ومن المملوك سيّده. والصلب القوّة، وقد يكون الولد، لأنّ الولد يخرج منه. والذكر ذكره، وقد يكون ولده. والخصيتان الأعداء، فإن رأى قطعهما ظفر به أعداؤه، فإن عظمتا كان منيعاً، وقد يكون انقطاع الخصيتين انقطاع إناث الولد. والفخذ عشيرة الرجل وقومه والركبة موضع كدّه ونصبه في المعيشة. والقروح، والبثر، والجراح، والورم في البدن، والجنون، والجذام كلّها مال. والبرص مال وكسوة، وروي أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله سأل عن ورقة، فقالت خديجة: إنّه قد صدقك ولكن مات قبل أن تظهر. فقال رسول الله ﷺ: رأيته في المنام وعليه ثياب بيض، ولو كان من أهل النار لكان عليه لباس غير ذلك.

قال المعبّرون: القميص على الرجل دينه على لسان صاحب الشرع، وقد يعبّر القميص بشأنه في مكسبه ومعيشته. وما رأى في قميصه صفاقة أو خرق أو وسخ فهو صلاح معيشته أو فساده. والسراويل جارية أعجميّة. والإزار امرأة. وأفضل الثياب ما كان جديداً صفيقاً واسعاً. والبياض في الثياب جمال في الدين والدنيا. والحمرة في الثياب صالحة للنساء، وتكره للرجال إلاّ أن تكون في ملحفة أو إزار أو فراش، فهو حينئذ سرور وفرح. والصفرة في الثياب مرض. والخضرة حياة في الدين، لأنّها لباس أهل الجنّة. والسواد سود وسلطان لمن يلبس السواد في اليقظة، ولمن لا يلبسها مكروه. والصوف مال كثير، والبرد من القطن يجمع خير الدين والدنيا، وأجود البرود الحبرة. فإن كان البرد من إبريسم فهو مال حرام وفساد من الدين. والقطن والكتّان والشعر والوبر كلّها مال والعمامة ولاية، والفراش امرأة حرّة أو أمة، والوسائد والمرافق والمقادم والمناديل خدم، والسرير سلطان إذا كان ممّن يصلح لذلك وإلاّ فهو شهرة.

ويقال: المرأة فضيحة. والستور على الأبواب همّ وحزن، والنعل امرأة، وخمار المرأة زوجها، فإن لم يكن لها زوج فوليّها.

وروي عن أمّ العلا الأنصاريّة قالت: رأيت في النوم لعثمان بن مظعون رحمه الله بعد موته عيناً تجري، فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ذاك علمه.

وقال أصحاب التعبير: الساقية الّتي لا يغرق في مثلها حياة طيّبة، والبحر الملك الأعظم، فإن استقى منه ماءً أصاب من الملك مالاً، والنهر رجل يقدر عظمته، والماء الصافي إذا شرب خير وحياة طيّبة، وإن كان كدراً أصابه مرض، وشرب الماء المسخّن ودخول الحمّام همٌّ ومرض، والماء الراكد أضعف في التأويل من الجاري. والمطر غياث ورحمة إن كان عامّاً، وإن كان خاصّاً في موضع فهو أوجاع يكون في ذلك الموضع. والطين والوحل والماء الكدر همٌّ وحزن، والسيل عدوّ يتسلّط، والثلج والبرد والجليد همٌّ وعذاب إلاّ أن يكون الثلج قليلاً في موضعه وحينه، فيكون خصباً لأهل ذلك الموضع. والسباحة احتباس أمر، والمشي على الماء قوّة نفس، ومن غمره الماء أصابه همٌّ غالب، والغرق فيه إذا لم يمت غرق في أمر الدنيا. وانفجار العيون من الدار والحائط وحيث ينكر انفجارها همٌّ وحزن ومصيبة بقدر قوّة العين. والخمر مال حرام، فإن سكر منها أصاب معه سلطاناً. والسكر من غير الشراب خوف. ومن اعتصر خمراً خدم السلطان وأخصب وجرت على يده أمور عظام، قال تعالى ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ فأوّله يوسف بأنّه يسقي ربّه خمراً. وشرب اللبن فطرة، وهو يكون مالاً حلالاً. وقد ورد في الخبر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أوّل اللبن بالعلم. وروي أنّ امرأةً رأت في المنام أنّها كانت تحلب حيّةً، فسألت ابن سيرين فقال: هذه يدخل عليها أهل الأهواء.

اللبن فطرة، والحيّة عدوّ وليست من الفطرة في شيء والأشجار رجال أحوالهم كأحوال الشجر في الطبع والنفع وطيب الريح، فمن رأى شجراً أو أصاب شيئاً من ثمره أصاب من رجل في مثل حال ذلك الشجر. والنخل رجل شريف. والثمر مال. وشجر الجوز رجل أعجميّ شحيح، والجوز نفسه مال مكنون. وشجرة السدر رجل شريف، وشجرة الزيتون رجل مبارك نفّاع، وثمر الزيتون همّ وحزن. والكرم والبستان امرأة. والعنب الأبيض في وقته غضارة الدنيا وخيرها، وفي غير وقته مال يناله قبل وقته الّذي يرجوه. والأشجار العظام الّتي لا ثمر لها كالدلب والصنوبر إن رئي فهو رجل ضخم بعيد الصوت قليل الخير والمال والشجرة ذات الشوك رجل صعب المرام. والصفر من الثمار مثل المشمش والكمّثرى والزعرور الأصفر ونحوها أمراض والحامض منها همٌّ وحزن. والحبوب كلّها مال. والحشيش مال. والزرع عمله في دينه أو دنياه. والثوم والبصل والجزر والشلجم همٌّ وحزن. والرياحين كلّها بكاء وحزن إلاّ ما يرى منها ثابتاً في موضعه من غير أن يمسّه وهو يجد ريحه.

وروى البخاريّ وغيره من المخالفين بإسنادهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: رأيت في المنام أنّي أهاجر من مكّة إلى أرض لها نخل، فذهب وهلي إلى أنّها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب. ورأيت في رؤياي هذه أنّي هززت سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين

يوم أحد، ثمّ هززته أخرى فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين. ورأيت أيضاً فيها بقراً والله خير فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد، وثواب الصدق الّذي أتانا الله بعد يوم بدر.

قال في النهاية: وهل إلى الشيء بالفتح، يهل بالكسر، وهلاً بالسكون، إذا ذهب وهمه إليه (انتهى). وضبطه النووي بالتحريك، وقال: الوهل - بالتحريك - معناه الوهم والاعتقاد. وسائر اللغويّين على الأوّل.

ورووا أيضاً عن جابر في خبر غزوة أحد أنّ النبيّ ﷺ قال: رأيت كأنّي في درع حصينة، ورأيت بقراً تنحر، فأوّلت الدرع الحصينة بالمدينة، والبقر بقرة والله خير. وأوّلوا ذبح البقرة بالمسلمين الّذين استشهدوا يوم أحد.

قال ابن حجر: هذه اللفظة الأخيرة هي بفتح الموحّدة وسكون القاف مصدر بقره يبقره بقراً. ومنهم من ضبطها بفتح النون والفاء.

وقال أهل التعبير: السيف سلطان في المنام، وإن رآه قد رفعه فوق رأسه نال سلطاناً مشهوراً، وإن لم يكن ممّن ينبغي له فهو ولد. وكذلك كلٌّ من أعطي سكّيناً أو رمحاً أو قوساً ليس معه سلاح فهو ولد، وإن كان معه سلاح فهو سلطان. وما حدث في السيف من انكسار أو ثلمة أو كدورة فهو حدث فيما ينسب السيف إليه. وإن رأى أنّه سلّ سيفاً من غمد ولدت امرأته غلاماً، فإن انكسر السيف في الغمد مات الولد فإن انكسر الغمد دون السيف ماتت الأمّ وسلم الولد. والرمي عن القوس نفوذ كتبه في السلطان بالأمر والنهي، وانكسار القوس مصيبة. والبقر سنون، فإن كانت سماناً كانت مخاصب، وإن كانت عجافاً كانت مجادب كما في تأويل يوسف عليه السلام ومن ركب ثوراً أصاب مالاً من عمل السلطان، أو استمكن من عامل، وإن رأى ثوراً من العوامل ذبح وقسم لحمه فهو موت عامل وقسمة تركته، فإن كان من غير العوامل كان رجلاً ضخماً. والبعير رجل ضخم، والناقة امرأة، ومن رأى أنّه راكب بعير مجهول سافر، وإن نزل عنه مرض، وإن دخل جماعة من الإبل أرضاً دخلها عدوّ، وربما كان أوجاعاً. ومن رأى أنّه يرعى غنماً سوداً فهو أناس من أناس العرب وإن كانت بيضاً فمن العجم. وروي عن رسول الله ﷺ قال: رأيت غنماً كثيرة سوداً دخل فيها غنم كثير بيض. قالوا: فما أوّلته يا رسول الله؟ قال: العجم يشاركونكم في دينكم وأنسابكم، والّذي نفسي بيده لو كان الايمان معلّقاً بالثريّا لناله رجال من العجم فأسعدهم به فارس.

والكبش رجل ضخم والنعجة امرأة شريفة، والعنز يجري مجرى النعجة إذا كان في الرؤيا ما يدلّ على المرأة، إلاّ أنّ العنز دون النعجة في الشرف والحسب، وقد يجري مجرى النعجة في كونها سنة مخصبة إن كانت سمينة، ومجدبة إن كانت عجافاً. والفرس عزّ وسلطان، والأنثى امرأة شريفة. والبغل سفر. والحمار جدّ الرجل الّذي يسعى به، فمن رأى أنّه ذبح

حماره ليأكل من لحمه أصاب مالاً يجده. والفيل سلطان أعجميّ، فإن ركبه في أرض حرب كانت الدبرة على أصحاب الفيل، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ ومن أصاب حمار وحش أو وعلاً وضميره أنّه يريد أكله يصيب غنيمة، ومن رأى أنّه راكب حمار وحش يصرفه كيف شاء فهو راكب معصية أو يفارق رأي الجماعة. والأسد عدوّ قاهر. والخنزير رجل دنيّ شديد الشوكة. والضبع امرأة قبيحة سوء، والدبّ عدوّ دنيّ أحمق. والذئب سلطان غشوم، أو لصّ ضعيف كذّاب والثعلب كثير الاختلاف، فمن رأى أنّه ينازعه خاصم ذا قرابة، وإن طلب ثعلباً أصابه وجع، وإن طلبه ثعلب أصابه فزع، ومن رأى ثعلباً يهرب منه فهو غريم يراوغه، ومن أصاب ثعلباً أصاب امرأة يحبّها حبّاً ضعيفاً، وابن آوى كالثعلب وأضعف. والسنّور لصّ، وابن عرس في معناه وأضعف. والكلب عدوّ دنيّ غير مبالغ في العداوة. والقرد عدوٌّ ملعون. والحيّة عدوّ مكاتم للعداوة، والعقرب عدوّ ضعيف لا تجاوز عداوته لسانه وكذلك سائر الهوامّ أعداء على منازلهم، وذو السمّ أبلغ. والنسر والعقاب سلطان قويّ. والحدأة ملك خامل الذكر شديد الشوكة، والبازي سلطان غشوم. والصقر قريب منه. والغراب إنسان فاسق كذوب. والعقعق إنسان لا عهد له ولا حفاظ ولا دين والطاووس الذكر ملك أعجميّ، والأنثى امرأة حسناء أعجميّة. والحمامة امرأة أو خادمة. والفاختة امرأة غير آلفة. والدجاج خدم. والديك رجل أعجميّ من نسل الملوك.

قال عمر: رأيت أنّ ديكاً نقر بي نقرتين، فأوّلت أنّ رجلاً من العجم سيقتلني فقتله أبو لؤلؤة. والعصفور رجل صخّاب دنيّ. والبلبل غلام صغير، والببغاء ولد يناغي. والخفّاش عابد مجتهد، والزرزور صاحب أسفار. والهدهد كاتب يتعاطى دقيق العلم ولا دين له، والثناء عليه قبيح لنتن ريحه. والزنابير والذباب سفلة الناس وغوغاؤهم والنحلة إنسان كسوب عظيم الخطر والبركة. وطير الماء أفضل الطير في التأويل، لأنّها أكثرها ريشاً وأقلّها غائلة، ولها سلطانان في البرّ والماء. والسمك الطريّ الكبار إذا كثر عددها مال وغنيمة، وصغارها هموم كالصبيان. ومن أصاب سمكة طريّة أو سمكتين أصاب امرأة أو امرأتين، فان أصاب في بطنها لؤلؤة أصاب منها غلاماً. والضفدع إنسان عابد مجتهد، فإن كثر من الضفادع فعذاب والجراد جند، والجنود إذا دخلوا موضعاً فهو خراب. وروى مسلم والبخاريّ في صحيحهما بإسنادهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: نحن الآخرون السابقون بينا أنا نائم إذ أوتيت خزائن الأرض، فوضع في يدي سواران من ذهب فكبرا عليّ وأهمّاني، فأوحي إليّ أن انفخهما. فنفختهما فطارا. فأوّلتهما الكذّابين اللّذين أنا بينهما، صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة. وفي رواية الترمذيّ قال: رأيت في المنام كأنّ في يدي سوارين، فأوّلتهما كاذبين يخرجان من بعدي، يقال لأحدهما مسيلمة صاحب اليمامة، والعبسيّ صاحب صنعاء.

وقال علماء التعبير: من رأى عليه سوارين من ذهب أصابه ضيق في ذات يده، ومن الفضّة

خير من الذهب، فإن رأى عليه خلخالاً من ذهب أو فضّة أصابه حبس أو خوف أو قيد، وليس يصلح للرجال في المنام من الحليّ إلاّ القلادة والتاج والعقد والقرط والخاتم وللنساء كلّه زينة. والقلادة ولاية وأمانة، واللؤلؤ المنظوم كلام الله أو من كلام البرّ وإن كان منثوراً فهو ولد وغلمان، وربما كان اللؤلؤ جارية أو امرأة. والقرط زينة وجمال، والخاتم إذا كان معروف الصياغة والنقش سلطان صاحبه، فإن أُعطي خاتماً فتختّم به ملك شيئاً وربما كان الخاتم امرأة ومالاً أو ولداً.

وفصّ الخاتم وجه ما يعبّر الخاتم به. وإن كان الخاتم من ذهب كان ما نسب إليه حراماً، فإن رأى حلقته انكسرت وسقطت وبقي الفصّ ذهب سلطانه وبقي الذكر والجمال. ومن رأى أنّه أصاب ذهباً يصيبه غرم ويذهب ماله، فإن كان الذهب معمولاً من إناء أو نحوه كان أضعف في التأويل. والدراهم مختلفة التأويل على اختلاف الطبائع، فمنهم من يراها في المنام فيصيبها في اليقظة، ومنهم من يعبّرها بالكلام، فإن كانت بيضاً فهي كلام حسن، وإن كانت رديّة فكلام سوء ومنهم من لا يوافقه شيء منهما. والدراهم في الجملة خير من الدنانير، فقد يكون الدينار الواحد والدرهم الواحد يكون ولداً صغيراً.

انتهى ما أخرجناه من كتبهم المعتبرة عندهم، ولا يعتمد على أكثرها، لابتنائها على مناسبات خفيّة وأوهام رديّة، والأخبار الّتي رووها أكثرها غير ثابتة. وقد جرت التجربة في كثير منها على خلاف ما ذكروه، فكثيراً ما رأينا ماءً صافياً فأصبنا علماً ودخلنا بستاناً أخضر فأصبنا معرفة، ووجدنا الحيّة دنياً كما شبّه أمير المؤمنين عليه السلام الدنيا بها: فإنّها ليّن لمسها، وفي جوفها السمّ الناقع، يهوي إليها الصبيّ الجاهل ويهرب منها الفطن العاقل. وكثيراً ما ترى العذرة في المنام يقع على الإنسان أو يتلوّث يده بها فيصيب مالاً، وسقوط الأسنان العليا لموت أقارب الأب، والسفلى لأقارب الأمّ وكسر الظهر لفوت الأخ، كما قال سيّد الشهداء عليه السلام حين استشهد العبّاس - قدّس الله روحه -: الآن انكسر ظهري. وكثيراً ما يرى الإنسان أنّه يدخل الحمّام. فيوفّق لزيارة أحد الأئمّة عليهم السلام فإنّها موجبة لتطهير الأرواح عن لوث الخطايا والذنوب، كالحمّام لتطهير الأجساد. وتناثر النجوم لكثرة فوت العلماء ولذا سمّوا ابتداء الغيبة الكبرى سنة تناثر النجوم، لفوت كثير من أكابر العلماء فيها كالكلينيّ وعليّ بن بابويه والسمريّ آخر السفراء وغيرهم رحمهم الله.

ثمّ إنّها تختلف كثيراً باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمان، ولذا كان هذا العلم من معجزات الأنبياء والأولياء عليهم السلام وليس لغيرهم من ذلك إلاّ حظّ يسير لا يسمن ولا يغني من جوع.

وأمّا أضغاث الأحلام الناشئة من الأغذية الرديّة والأخلاط البدنيّة فهي كثيرة معلومة بالتجارب، ولقد أتى رجل والدي - قدّس سرّه - فزعاً مهموماً وقال: رأيت الليلة أسداً

أبيض في عنقه حيّة سوداء يحملان عليّ ويريدان قتلي، فقال والدي رحمه الله: لعلّك أكلت البارحة طعام الأقط مع ربّ الرمّان؟ قال: نعم، قال: لا بأس عليك، الطعامان المؤذيان صوّرا لك في المنام. وأمثال ذلك كثيرة جرّبها كلّ إنسان من نفسه، والله وليّ التوفيق.

٤٦ - باب في رؤية النبي صلى الله عليه وآله وأوصيائه عليهم السلام وسائر الأنبياء والأولياء في المنام

١ - **العيون والمجالس للصدوق:** عن محمّد بن إبراهيم الطالقانيّ، عن ابن عقدة، عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال له رجل من أهل خراسان: يابن رسول الله، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام كأنّه يقول لي: كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بضعتي واستحفظتم وديعتي وغيّب في ترابكم نجمي؟ فقال له الرضا عليه السلام: أنا المدفون في أرضكم، وأنا بضعة من نبيّكم، وأنا الوديعة والنجم. ألا فمن زارني وهو يعرف ما أوجب الله تبارك وتعالى من حقّي وطاعتي فأنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة، ومن كنّا شفعاءه يوم القيامة نجا، ولو كان عليه مثل وزر الثقلين: الجنّ، والإنس.

ولقد حدّثني أبي عن جدّي عن أبيه عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رآني في منامه فقد رآني، لأنّ الشيطان لا يتمثّل في صورتي، ولا في صورة أحدٍ من أوصيائي، ولا في صورة أحد من شيعتهم. وإنّ الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوّة[1].

تبيان: يدلّ الخبر على عدم تمثّل الشيطان في المنام بصورة النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة، بل بصورة شيعتهم أيضاً، ولعلّه محمول على خلّص شيعتهم كسلمان وأبي ذرّ والمقداد وأضرابهم. وقد روى المخالفون أيضاً مثله بأسانيد عن ابن عمر وأبي هريرة وابن مسعود وجابر وأبي سعيد وأبي قتادة عن النبيّ صلى الله عليه وآله برواية أبي داود والبخاريّ ومسلم والترمذيّ بألفاظ مختلفة، منها: من رآني في المنام فكأنّما رآني في اليقظة، ولا يتمثّل الشيطان بي. ومنها: من رآني في النوم فقد رآني فإنّه لا ينبغي للشيطان أن يتمثّل في صورتي. وفي رواية: أن يتشبّه بي. ومنها: من رآني فقد رأى الحقّ فإنّ الشيطان لا يتراءى بي.

وقال في النهاية: الحقّ ضدّ الباطل. ومنه الحديث «من رآني فقد رأى الحقّ» أي رؤيا صادقة ليست من أضغاث الأحلام. وقيل: فقد رآني حقيقة غير مشتبه. (انتهى).

واعلم أنّ العلماء اختلفوا في أنّ المراد رؤيتهم عليهم السلام في صورهم الأصليّة، أو بأيّ صورة كانت. ولا يخفى أنّ ظاهر حديث الرضا عليه السلام التعميم، لأنّ الرائي لم يكن رأى النبيّ صلى الله عليه وآله ولم يسأله عليه السلام: في أيّ صورة رأيته؟ وحمله على أنّه عليه السلام علم أنّه رآه بصورته الأصليّة بعيد عن السياق، فإنّ من رأى أحداً من الأئمّة عليهم السلام في المنام لم يحصل له علم في

(١) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٢٨٧ باب ٦٦ ح ١١، أمالي الصدوق، ص ٦١ مجلس ١٥ ح ١٠.

المنام بأنّه رآه، ويقال في العرف واللغة أنّه رآهم، وإن رأى الشخص الواحد بصور مختلفة، فيقال: رآه بصورة فلان، ولا يعدّون هذا الكلام من المتناقض.

والعامّة أيضاً اختلفوا في ذلك، فمنهم من قال: المراد رؤيته ﷺ بصورته الأصليّة وأيّدوه عن ابن سيرين أنّه إذا قصّ عليه رجل أنّه رأى النبيّ ﷺ قال: صف لي الّذي رأيته، فإن وصف له صفة لا يعرفها قال: لم تره. وبعضهم قال بالتعميم وأيّده بما رووه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: من رآني في المنام فقد رآني، فإنّي أرى في كلّ صورة.

وقال القرطبيّ: اختلف في معنى الحديث، فقال قوم: هو على ظاهره، فمن رآه في النوم رأى حقيقته كمن رآه في اليقظة سواء قال: وهذا قول يدرك فساده بأوائل العقول ويلزم عليه أن لا يراه أحد إلاّ على صورته الّتي مات عليها، وأن لا يراه رائيان في آن واحد في مكانين، وأن يحيى الآن، ويخرج من قبره، ويمشي في الأسواق، ويخاطب الناس ويخاطبونه، ويلزم من ذلك أن يخلو قبره عن جسده، فلا يبقى فيه منه شيء ويزار مجرّد القبر ويسلّم على غائب، لأنّه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتّصال الأوقات على حقيقته في غير قبره، وهذه جهالات لا يلتزمها من له أدنى مسكة من العقل. وقالت طائفة: معناه أنّ من رآه على صورته الّتي كان عليها، ويلزم منه أنّ من رآه على غير صفته أن يكون رؤياه من الأضغاث، ومن المعلوم أنّه يرى في النوم على حالة تخالف حاله في الدنيا من الأحوال اللائقة، وتقع تلك الرؤيا حقّاً، كما لو رئي ملأ داراً بجسمه مثلاً، فإنه يدلّ على امتلاء تلك الدار بالخير، ولو تمكّن الشيطان من التمثّل بشيء ممّا كان عليه أو ينسب إليه لعارض عموم قوله «فإنّ الشيطان لا يتمثّل بي» فالأولى تنزّه رؤياه، وكذا رؤيا شيء منه أو ممّا ينسب إليه عن ذلك، فهو أبلغ في الحرمة وأليق بالعصمة كما عصم من الشيطان في يقظته. قال: والصحيح في تأويل هذا الحديث أن مقصوده أنّ رؤيته في كلّ حالة ليست باطلة، ولا أضغاث أحلام، بل هي حقّ في نفسها، ولو رئي على غير صورته، فتصوّر تلك الصورة ليس من الشيطان، بل هو من قبل الله. قال: وهذا قول القاضي أبي بكر وغيره، ويؤيّده قوله «فقد رأى الحقّ» أي رأى الحقّ الّذي قصد إعلام الرائي فيه، فإن كانت على ظاهرها وإلاّ سعى في تأويلها ولا يهمل أمرها، لأنّها إمّا بشرى بخير أو إنذار من شرّ، وإمّا تنبيه على حكم ينفع له في دينه أو دنياه.

وقال الغزاليّ: لا يريد أنّه رأى، بل رأى مثالاً صار آلة يتأدّى بها معنى في نفسي إليه وصار واسطة بيني وبينه في تعريف الحقّ إيّاه، بل البدن في اليقظة أيضاً ليس إلاّ آلة النفس، والحقّ أنّ ما يراه حقيقة روحه المقدّس ﷺ ويعلم الرائي كونه ﷺ بخلق علم لا غير.

وقال الكرمانيّ في شرح البخاريّ: «فقد رآني» أي رؤيته ليست أضغاث أحلام ولا تخيلات الشيطان، كما روي: فقد رأى الحقّ. ثمّ الرؤية بخلق الله لا يشترط فيها مواجهة ولا مقابلة. فإن قيل: كثيراً ما يرى على خلاف صفته، ويراه شخصان في حالة في مكانين.

قلت: ذلك ظنّ الرائي أنّه كذلك، وقد يظنّ الظانّ بعض الخيالات مرئيّاً لكونه مرتبطاً بما يراه عادةً، فذاته الشريفة هي مرئيّة قطعاً لا خيال فيه ولا ظنّ فإن قلت: الجزاء هو الشرط. قلت: أراد لازمه، أي فليستبشر فإنّه رآني. وقال الطيبيّ: اتّحاد الشرط والجزاء يدلّ على المبالغة، أي رأى حقيقتي على كمالها. قال: وقال القاضي: لعلّه مقيّد بما رآه على صفته، فإن خالف كان رؤيا تأويل رؤيا حقيقة، وهو ضعيف. انتهى كلماتهم الواهية.

والظاهر أنّها ليست رؤية بالحقيقة، وإنّما هو بحصول الصورة في الحسّ المشترك أو غيره بقدرة الله تعالى. والغرض من هذه العبارة بيان حقيقة الرؤيا وأنّها من الله لا من الشيطان، وهذا المعنى هو الشائع في مثل هذه العبارة، كأن يقول رجل: من أراد أن يراني فلير فلاناً، أو من رأى فلاناً فقد رآني، أو من وصل فلاناً فقد وصلني فإنّ كلّ هذه محمولة على التجوّز والمبالغة، ولم يرد بها معناها حقيقة.

وأمّا التأويل الّذي ذكره المفيد - قدّس الله روحه - فيما نقلنا عنه في الباب السابق فلا يخفى بعده، مع أنّه غير محتمل في خبر الرضا أصلاً، بل في بعض ألفاظ الروايات العاميّة أيضاً.

بقي الكلام في أنّه هل يكون حجّة في الأحكام الشرعيّة؟ فيه إشكال، فإنّه قد ورد بأسانيد صحيحة عن الصادق عليه السلام في حديث الأذان أنّ دين الله تبارك وتعالى أعزّ من أن يرى في النوم. ويمكن أن يقال: المراد أنّه لا يثبت أصل شرعيّة الأحكام بالنوم، بل إنّما هي بالوحي الجليّ، ومع ذلك ينبغي أن يخصّ بنوم غير الأنبياء والأئمّة عليهم السلام لما مرّ أنّ نومهم بمنزلة الوحي، لكن هذه الأخبار ليست بصريحة في وجوب العمل به، إذ لعلّه مع العلم بكونه منهم عليهم السلام لم يجب العمل به، إذ مناط الأحكام الشرعيّة العلوم الظاهرة، كما أنّ النبيّ والأئمّة عليهم السلام كانوا يعرفون كفر المنافقين وفسق الفاسقين ونجاسة أكثر الأشياء، لكنّ الظاهر أنّهم لم يكونوا مأمورين بالعمل بهذا العلم، بل كانوا يستندون في تلك الأحكام إلى الأمور الظاهرة من المشاهدة وسماع البيّنة. مع أنّ الظاهر أنّ هذا من مسائل الأصول، ولا بدّ فيه من العلم، ولا يثبت بأخبار الآحاد المفيدة للظنّ وأيضاً ما يرى في المنام قد يحتاج إلى تعبير وتأويل، فلعلّ ما رآه ممّا له تعبير وهو لا يعرفه وإن لم يكن من قبيل الأضغاث.

ولقد سأل السيّد مهنّا بن سنان العلاّمة الحلّيّ - قدّس الله روحه -: ما يقول سيّدنا فيمن رأى في منامه رسول الله صلى الله عليه وآله أو بعض الأئمّة عليهم السلام وهو يأمره بشيء وينهاه عن شيء؟ هل يجب عليه امتثال ما أمره به أو اجتناب ما نهاه عنه أم لا يجب ذلك؟ مع ما صحّ عن سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: من رآني في منامه فقد رآني فإنّ الشيطان لم يتمثّل بي. وغير ذلك من الأحاديث.

وما قولكم لو كان ما أمر به أو نهى عنه على خلاف ما في أيدي الناس من ظاهر الشريعة؟ هل بين الحالين فرق أم لا؟ أفتنا في ذلك مبيّناً، جعل الله كلّ صعب عليك هيّناً.

فأجاب - نوّر الله ضريحه -: أمّا ما يخالف الظاهر فلا ينبغي المصير إليه، وأمّا ما يوافق الظاهر فالأولى المتابعة من غير وجوب، لأنّ رؤيته لا يعطي وجوب الاتّباع في المنام (انتهى).

وقال البغويّ في شرح السنّة: رؤية النبيّ ﷺ في المنام حقّ، وكذلك جميع الأنبياء والملائكة، وكذلك الشمس والقمر والنجوم المضيئة والسحاب الّذي فيه الغيث ومن رأى نزول الملائكة بمكان فهو نصرة لأهله إن كانوا في كرب وجدب، وكذلك رؤية الأنبياء، ومن رأى ملكاً يكلّمه ببرّ أو عظة أو بصلة أو يبشّره فهو شرف في الدنيا وشهادة في العاقبة، ورؤية الأنبياء كالملائكة، إلاّ في الشهادة، لأنّ الأنبياء كانوا يخالطون الناس كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[1] - الآية - وقال في الشهداء: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[2] ورؤية النبيّ ﷺ في مكان سعة لأهله إن كانوا في ضيق ونصرة إن كانوا في ظلم، وكذلك الصحابة والتابعين لهم بإحسان. ورؤية أهل الدين بركة وخير على قدر منازلهم في الدين، ومن رأى النبيّ كثيراً في المنام لم يزل خفيف الحال مقلاً في دنيا من غير حاجة فادحة ولا خذلان، قال النبيُّ ﷺ: إنّ الفقر أسرع إلى من يحبّني من السيل إلى منتهاه. ورؤية الامام إصابة خير وشرف.

٢ - **قرب الإسناد:** عن معاوية بن حكيم، عن الحسن بن عليّ ابن بنت الياس قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام بخراسان: رأيت رسول الله ﷺ والتزمته[3].

٣ - وبهذا الاسناد عنه عليه السلام قال: قال لي ابتداءً: إنَّ أبي كان عندي البارحة قلت: أبوك؟ قال: أبي، قلت: أبوك؟! قال: في المنام، إنَّ جعفراً كان يجيء إلى أبي فيقول: يا بنيّ افعل كذا، يا بنيّ افعل كذا. قال: فدخلت عليه بعد ذلك فقال لي: يا حسن، إنّ منامنا ويقظتنا واحدة[4].

٤ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن عليّ بن النعمان عن سويد القلا، عن بشير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنّي رأيت في المنام أنّي قلت لك: إنّ القتال مع غير الامام المفترض الطاعة حرام مثل الميتة والدمّ ولحم الخنزير، فقلت لي: نعم، هو كذلك؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: هو كذلك[5].

٥ - **تفسير الفرات:** عن سعيد بن عمر القرشيّ، عن الحسين بن عمر الجعفري عن أبيه قال: كنت أدمن الحجّ فأمرّ على عليّ بن الحسين عليه السلام فأسلّم عليه، فدخلت في بعض حججي عليه فقال: رأيت رسول الله ﷺ في ليلتي هذه حتّى أخذ بيدي فأدخلني الجنّة

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٦.
(٢) سورة الحديد، الآية: ١٩.
(٣) - (٤) قرب الإسناد، ص ٤٣٨ ح ١٢٥٨-١٢٥٩.
(٥) الكافي، ج ٥ ص ٦٠٣ باب ٦ ح ٣.

فزوّجني حوراء فواقعتها فعلقت فصاح بي رسول الله ﷺ يا عليّ بن الحسين سمّ المولود منها زيداً، قال: فما قمنا من ذلك المجلس حتّى أرسل المختار بن أبي عبيد هديّة إلى عليّ بن الحسين عليه السلام شراها بثلاثين ألفاً، فلمّا رأينا إشعافه بها تفرّقنا من المجلس فلمّا كان من قابل حججت ومررت على عليّ بن الحسين لأسلّم عليه، فخرج بزيد على كتفه الأيسر وله ثلاثة أشهر وهو يتلو هذه الآية ويومىء بيده إلى زيد، وهو يقول: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾[1].

٦ - **مجالس الصدوق:** عن محمّد بن بكران النقّاش، عن أحمد بن محمّد البرد الهمدانيّ، عن المنذر بن محمّد، عن أحمد بن رشيد، عن عمّه سعيد بن خثيم، عن أبي حمزة الثماليّ، قال: حججت فأتيت عليّ بن الحسين فقال: يا أبا حمزة، ألا أحدّثك عن رؤيا رأيتها؟ رأيت كأنّي أدخلت الجنّة، فأوتيت بحوراء لم أر أحسن منها فبينا أنا متّكىء على أريكتي إذ سمعت قائلاً يقول: يا عليّ بن الحسين ليهنئك زيد ليهنئك زيد. قال أبو حمزة: ثمّ حججت بعده فأتيت عليّ بن الحسين، فقرعت الباب، ففتح لي ودخلت فإذا هو حامل زيداً على يده - أو قال: حاملاً غلاماً على يده فقال لي: يا أبا حمزة، ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾[2].

٧ - **كتاب سليم بن قيس:** قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لعبد الله بن عمر: ما قال لك أبوك حين دعانا رجلاً رجلاً؟ فقال: أمّا أدنى شهادتي فإنّه قال: إن بايعوا أصلع بني هاشم حملهم على المحجّة البيضاء وأقامهم على كتاب ربّهم وسنّة نبيّهم. ثمّ قال: يا ابن عمر، فما قلت أنت عند ذلك؟ قال: قلت له: فما يمنعك أن تستخلفه؟ قال: فما ردّ عليك؟ قال: وردّ عليّ شيئاً أكتمه، قال عليّ عليه السلام: فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قد أخبرني به ليلة مات أبوك في منامي، ومن رأى رسول الله ﷺ فقد رآه في اليقظة. قال فما أخبرك؟ قال: أنشدك الله يا ابن عمر لئن حدّثتك لتصدقنّ؟ قال: أو أسكت قال: فإنّه قال لك حين قلت له: فما يمنعك أن تستخلفه؟ قال: الصحيفة الّتي كتبناها بيننا والعهد في الكعبة في حجّة الوداع. فسكت ابن عمر وقال: أسألك بحقّ رسول الله ﷺ لمّا أمسكت عنّي (الخبر)[3].

٨ - **ومنه:** عن عبد الرحمان بن غنم الأزديّ - وساق قصّة وفاة معاذ بن جبل وأبي بكر إلى أن قال: - دعا بالويل والثبور وقال: هذا محمّد وعليّ صلوات الله عليهما يبشّراني بالنار، بيده الصحيفة الّتي تعاهدنا عليها في الكعبة، وهو يقول: لقد وفيت بها، فظاهرت على وليّ الله وأصحابك، فأبشر بالنار في أسفل السافلين. قال سليم: فقلت لمحمّد بن أبي

(١) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ٢٠٠ ح ٢٦١، والآية من سورة يوسف: ١٠٠.
(٢) أمالي الصدوق، ص ٢٧٥ مجلس ٥٤ ح ١٢.
(٣) كتاب سليم بن قيس، ص ٢٠٤.

بكر: فمن ترى حدّث أمير المؤمنين عن هؤلاء الخمسة بما قالوا؟ قال: رسول الله ﷺ إنّه يراه في منامه كلّ ليلة، وحديثه إيّاه في المنام مثل حديثه إيّاه في اليقظة، فإنّ رسول الله ﷺ قال: من رآني في المنام فقد رآني، فإنّ الشيطان لا يتمثّل بي في نوم ولا يقظة، ولا بأحد من أوصيائي إلى يوم القيامة. قال سليم: فقلت لمحمّد بن أبي بكر: من حدّثك بهذا؟ قال: عليّ عليه السلام فقلت: سمعت أنا أيضاً كما سمعت أنت، قلت لمحمّد: فلعلّ ملكاً من الملائكة حدّثه. قال: أو ذاك - وساقه إلى أن قال سليم: - فلمّا قتل محمّد بن أبي بكر بمصر وعزّينا أمير المؤمنين عليه السلام حدّثته بما حدّثني به محمّد وخبّرته بما خبّرني به عبد الرحمان بن غنم، قال: صدق محمّد رحمه الله أما إنّه شهيد يرزق (الحديث)[١].

٩ - **مجالس ابن الشيخ:** عن أبيه، عن المفيد، عن الصدوق، عن أبيه، عن محمّد بن القاسم، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ، عن أبيه، عمّن سمع حنان بن سدير الصيرفي قال: سمعت أبي يقول: رأيت رسول الله ﷺ فيما يرى النائم وبين يديه طبق مغطّى بمنديل، فدنوت منه وسلّمت عليه، فردّ السلام ثمّ كشف المنديل عن الطبق، فإذا فيه رطب فجعل يأكل منه، فدنوت منه فقلت: يا رسول الله، ناولني رطبة. فناولني واحدة، فأكلتها ثمّ قلت: يا رسول الله ناولني أُخرى، فناولنيها فأكلتها، فجعلت كلّما أكلت واحدة سألته أُخرى، حتّى أعطاني ثمانية رطبات فأكلتها ثمّ طلبت منه أُخرى، فقال لي: حسبك. قال: فانتبهت من منامي، فلمّا كان من الغد دخلت على جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام وبين يديه طبق مغطّى بمنديل كأنّه الذي رأيته في المنام بين يدي رسول الله ﷺ فسلّمت عليه، فردّ عليّ السلام ثمّ كشف الطبق فإذا فيه رطب. فجعل يأكل منه، فعجبت لذلك وقلت: جعلت فداك، ناولني رطبة. فناولني فأكلتها، ثمّ طلبت أُخرى حتّى أكلت ثماني رطبات، ثمّ طلبت منه أُخرى فقال لي: لو زادك جدّي رسول الله ﷺ لزدناك. فأخبرته فتبسّم تبسّم عارف بما كان[٢].

١٠ - **ومنه:** بإسناده عن سلمان في أجوبة أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل الجاثليق - وساق إلى أن طلب الجاثليق منه المعجز - فقال أمير المؤمنين: خرجت أيّها النصرانيّ من مستقرّك مضمراً خلاف ما أظهرت الآن من الطلب والاسترشاد فأُريت في منامك مقامي، وحدّثت فيه كلامي، وحذّرت فيه من خلافي، وأُمرت فيه باتّباعي. قال: صدقت والله الّذي بعث المسيح، ما اطّلع على ما أخبرتني به غير الله تعالى. ثمّ أسلم وأسلم الّذين كانوا معه[٣].

أقول: قد مرّ في أبواب معجزات الأئمّة عليهم السلام أخبار كثيرة في ذلك تركناها مخافة الإطناب والتكرار، وستأتي رؤيا أمّ داود في باب عمل الاستفتاح. «في ج ٩٤».

(١) كتاب سليم بن قيس، ص ٢٠٦. (٢) أمالي الطوسي، ص ١١٤ مجلس ٤ ح ١٧٤.

(٣) أمالي الطوسي، ص ٢٢١ مجلس ٨ ح ٣٨٢.

١١ - **التوحيد للصدوق:** بإسناده عن وهب بن وهب القرشيّ، عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: رأيت الخضر عليه السلام قبل بدر بليلة فقلت له: علّمني شيئاً أنصر به على الأعداء، فقال: يا هو يا من لا هو إلاّ هو. فلمّا أصبحت قصصتها على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا عليّ علّمت الاسم الأعظم. وكان على لساني يوم بدر (الخبر)[1].

١٢ - **مجالس ابن الشيخ:** عن أبيه، عن ابن حشيش، عن محمّد بن عبد الله، عن عليّ ابن محمّد بن مخلّد، عن أحمد بن ميثم، عن يحيى بن عبد الحميد الحمّانيّ، عن أبي بكر بن عيّاش، قال: إنّي رأيت في منامي حين وجّه موسى بن عيسى إلى قبر الحسين عليه السلام من كربه وكرب جميع أرض الحائر وزرع الزرع فيها: كأنّي خرجت إلى قومي بني غاضرة، فلمّا صرت بقنطرة الكوفة اعترضتني خنازير عشرة تريدني فأغاثني الله برجل كنت أعرفه من بني أسد، فدفعها عنّي، فمضيت لوجهي فلمّا صرت إلى شاهي ضللت الطريق، فرأيت هناك عجوزاً، فقالت لي: أين تريد أيّها الشيخ؟ قلت: أريد الغاضريّة، قالت لي: تنظر هذا الوادي، فإنّك إذا أتيت إلى آخره اتّضح لك الطريق. فمضيت وفعلت ذلك، فلمّا صرت إلى نينوى إذا أنا بشيخ كبير جالس هناك، فقلت: من أين أنت أيّها الشيخ؟ فقال لي: أنا من أهل هذه القرية فقلت: كم تعدّ من السنين؟ قال: ما أحفظ ما مرّ من سنيّ وعمري، ولكن أبعد ذكري أنّي رأيت الحسين بن عليّ عليه السلام ومن كان معه من أهله ومن تبعه يُمنعون الماء الّذي تراه ولا تمنع الكلاب ولا الوحوش شربه. فاستفظعت ذلك وقلت له: ويحك أنت رأيت هذا؟ قال: إي والّذي سمك السماء لقد رأيت هذا أيّها الشيخ وعاينته، وإنّك وأصحابك الّذين تعينون على ما قد رأينا ممّا أقرح عيون المسلمين إن كان في الدنيا مسلم. فقلت: ويحك ما هو؟ قال: حيث لم تنكروا ما أجرى سلطانكم إليه. قلت: وما جرى؟ قال: أيكرب قبر ابن النبيّ صلى الله عليه وآله ويحرث أرضه؟ قلت: وأين القبر؟ قال: ها هو ذا أنت واقف في أرضه، وأمّا القبر فقد عمي عن أن يعرف موضعه.

قال ابن عيّاش: وما كنت رأيت القبر قبل ذلك الوقت قطّ، ولا أتيته في طول عمري. فقلت: من لي بمعرفته؟ فمضى معي الشيخ حتّى وقف بي على حير له باب وآذن، وإذا جماعة كثيرة على الباب، فقلت للآذن: أريد الدخول على ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: لا تقدر على الوصول في هذا الوقت. قلت: ولم؟ قال: هذا وقت زيارة إبراهيم خليل الله ومحمّد رسول الله ومعهما جبرئيل وميكائيل في رعيل من الملائكة كثير.

قال ابن عيّاش: فانتبهت وقد دخلني روع شديد وحزن وكآبة، ومضت بي الأيّام حتّى كدت أن أنسى المنام، ثمّ اضطررت إلى الخروج إلى بني غاضرة لدين كان لي على رجل

(١) التوحيد، ص ٨٩.

منهم، فخرجت وأنا لا أذكر الحديث حتّى صرت بقنطرة الكوفة ولقيني عشرة من اللصوص، فحين رأيتهم ذكرت الحديث ورعبت من خشيتي لهم. فقالوا لي: ألق ما معك وانج بنفسك. وكان معي نُفيقة، فقلت: ويحكم أنا أبو بكر بن عيّاش وإنّما خرجت في طلب دين لي، والله لا تقطعوني عن طلب ديني وتصرّفاتي في نفقتي فإنّي شديد الإضافة. فنادى رجل منهم: مولاي وربّ الكعبة لا تعرض له، ثمّ قال لبعض فتيانهم: كن معه حتّى تصير به إلى الطريق الأيمن.

قال أبو بكر: فجعلت أتذكّر ما رأيته في المنام، وأتعجّب من تأويل الخنازير حتّى صرت إلى نينوى، فرأيت والله الّذي لا إله إلاّ هو، الشيخ الّذي كنت رأيته في منامي بصورته وهيئته، رأيته في اليقظة كما رأيته في المنام سواء، فحين رأيته ذكرت الأمر والرؤيا، فقلت: لا إله إلاّ الله ما كان هذا إلّا وحياً، ثمّ سألته كمسألتي إيّاه في المنام، فأجابني بما كان أجابني، ثمّ قال لي: امض بنا، فمضيت فوقفت معه على الموضع وهو مكروب، فلم يفتني شيء من منامي إلاّ الآذن والحير، فإنّي لم أر حيراً ولم أر آذناً. ثمّ قال أبو بكر: إنّ أبا حصين حدّثني أنّ رسول الله ﷺ قال: من رآني في المنام فإيّاي رأى، فإنّ الشيطان لا يتشبّه بي تمام الخبر[١].

بيان: تقول «كرب الأرض» إذا قلبتها للحرث. والرعيل القطعة من الخيل. والإضافة الضيافة.

أقول: وقد مضت أخبار كثيرة من هذا الباب في أبواب معجزات الأئمّة ومعجزات ضرائحهم المقدّسة.

٤٧ - باب قوى النفس ومشاعرها من الحواس الظاهرة والباطنة وسائر القوى البدنية

الآيات: البقرة: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

النحل: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

المؤمنون: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

الروم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

تفسير: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ قال النيسابوريّ: القلب تارة يراد به اللحم الصنوبريّ المودع في التجويف الأيسر من الصدر، وهو محلّ الروح الحيوانيّ الّذي هو منشأ الحسّ

(١) أمالي الطوسي، ص ٣٢١ مجلس ١١ ح ٦٥٠.

والحركة، وينبعث منه إلى سائر الأعضاء بتوسّط الأوردة والشرايين ويراد به تارة اللطيفة الربّانيّة الّتي بها يكون الإنسان إنساناً، وبها يستعدّ لامتثال الأوامر والنواهي والقيام بموجب التكليف. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾(١) وهي من عالم الأمر الّذي لا يتوقّف وجوده على مادّة ومدّة بعد إرادة موجده ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(٢) كما أنّ البدن بل اللحم الصنوبريّ من عالم الخلق وهو نقيض ذلك ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾(٣) وقد يعبّر عنها بالنفس الناطقة ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾(٤) وبالروح ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ - ثمّ قال بعد تفسير السمع والبصر -: والحقّ عندي أنّ نسبة البصر إلى العين نسبة البصيرة إلى القلب، ولكلّ من القلب والعين نور، أمّا نور العين فمنطبع فيها لأنّه من عالم الخلق، فهو نور جزئيّ، [أما نور القلب فمفارق، لأنه من عالم الأمر وهو نور كلّيّ. وإدراك كل نوع منهما عبارة عن وقوع] ومدركه في ذلك النور. ولكلّ منهما بل لكلّ فرد منهما حدّ ينتهي إليه بحسب شدّته وضعفه ويتدرّج في الضعف بحسب تباعد المرئيّ حتّى لا يدركه أو يدركه أصغر ممّا هو عليه - انتهى..

أقول: وقد مضى تفسير الختم وتأويله في كتاب العدل.

﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ قال الزمخشريّ: هو في موضع الحال، أي غير عالمين شيئاً من حقّ المنعم الّذي خلقكم في البطون وسوّاكم ثمّ أخرجكم من الضيق إلى السعة ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ معناه: وركّب فيكم هذه الأشياء آلات لإزالة الجهل الّذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقّي إلى ما يسعدكم(٥).

وقال النيسابوريّ، اعلم أنّ جمهور الحكماء زعموا أنّ الإنسان في مبدأ فطرته خالٍ عن المعارف والعلوم، إلاّ أنّه تعالى خلق السمع والبصر والفؤاد وسائر القوى المدركة حتّى ارتسم في خياله بسبب كثرة ورود المحسوسات عليه حقائق تلك الماهيّات وحضرت صورها في ذهنه. ثمّ إنّ مجرّد حضور تلك الحقائق إن كان كافياً في جزم الذهن بثبوت بعضها لبعض أو انتفاء بعضها عن بعض فتلك الأحكام علوم بديهيّة. وإن لم يكن كذلك بل كانت متوقّفة على علوم سابقة عليها - ولا محالة تنتهي إلى البديهيّات قطعاً للدور أو التسلسل - فهي علوم كسبيّة. فظهر أنّ السبب الأوّل لحدوث هذه المعارف في النفوس الإنسانيّة هو أنّه تعالى أعطى الحواسّ والقوى الداركة للصور الجزئية. وعندي أنّ النفس قبل البدن موجودة عالمة بعلوم جمّة هي الّتي ينبغي أن تسمّى بالبديهيّات، وإنّما لا يظهر آثارها عليها، حتّى إذا قوي وترقّى ظهرت آثارها شيئاً فشيئاً وقد برهنّا على هذه المعاني في كتبنا الحكميّة، فالمراد بقوله

(١) سورة ق، الآية: ٣٧.
(٢) سورة يس، الآية: ٨٢.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٨٢.
(٤) سورة الشمس، الآيتان: ٧-٨.
(٥) تفسير الكشاف، ج ٢ ص ٦٢٤.

﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ أنّه لا يظهر أثر العلم عليهم، ثمّ إنّه بتوسّط الحواسّ الظاهرة والباطنة يكتسب سائر العلوم، ومعنى ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أن تصرفوا كلّ آلة في ما خلق لأجله، وليس الواو للترتيب حتّى يلزم من عطف «جعل» على «أخرج» أن يكون جعل السمع والبصر والأفئدة متأخّراً عن الاخراج من البطن.

﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ قال الرازيّ: لمّا أشار إلى دلائل الأنفس والآفاق ذكر ما هو من صفات الأنفس بالاختلاف الّذي بين ألوان الإنسان. فإنّ واحداً منهم مع كثرة عددهم وصغر حجمهم، خدودهم وقدودهم لا تشتبه بغيرهم. والثاني اختلاف كلامهم فإنّ عربيّين هما أخوان إذا تكلّما بلغة واحدة يعرف أحدهما من الآخر، حتّى أنّ من يكون محجوباً عنهما لا يبصرهما يقول: هنا صوت فلان. وفيه حكمة بالغة، وذلك لأنّ الإنسان يحتاج إلى التمييز بين الأشخاص ليعرف صاحب الحقّ من غيره، والعدوّ من الصديق، ليحترز قبل وصول العدوّ إليه، وليقبل على الصديق قبل أن يفوته الاقبال عليه، وذلك قد يكون بالبصر فخلق اختلاف الصور، وقد يكون بالسمع فخلق اختلاف الأصوات وأمّا اللمس والشمّ والذوق فلا يفيد فائدة في معرفة العدوّ والصديق فلا يقع بها التمييز ومن الناس من قال: إنّ المراد اختلاف اللغات كالعربيّة والفارسيّة والروميّة وغيرها، والأوّل أصحّ - انتهى -[1].

وعلى الثاني المراد أنّه علّم كلّ صنف لغته، أو ألهمه وضعها وأقدره عليها.

الأخبار: ١ - مجالس الصدوق: عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن إبراهيم بن هاشم عن إسماعيل بن مرّار، عن يونس بن عبد الرحمن، عن يونس بن يعقوب، قال: كان عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام جماعة من أصحابه فيهم حمران بن أعين، ومؤمن الطاق وهشام بن سالم، والطيّار، وجماعة من أصحابه فيهم هشام بن الحكم وهو شابّ. فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام، قال: لبّيك يا ابن رسول الله، قال: ألا تحدّثني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته؟ قال هشام: جعلت فداك يا ابن رسول الله، إنّي أُجلّك وأستحييك ولا يعمل لساني بين يديك، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أمرتكم بشيء فافعلوا. قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، وعظم ذلك عليّ، فخرجت إليه ودخلت البصرة في يوم الجمعة، فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة، وإذا أنا بعمرو بن عبيد عليه شملة سوداء متّزر بها من صوف، وشملة مرتدٍ بها. فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثمّ قعدت في آخر القوم على ركبتيّ ثمّ قلت: أيّها العالم، أنا رجل غريب، تأذن لي فأسألك عن مسألة؟ قال: فقال: نعم، قال: قلت له: ألك عين؟ قال: يا بنيّ أيّ شيء هذا من السؤال؟! فقلت: هكذا مسألتي. فقال: يا بنيّ سل وإن كانت مسألتك حمقاء. قلت: أجبني فيها، قال: فقال لي: سل، قلت: ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما ترى بها؟ قال: الألوان

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٥ ص ١١١.

والأشخاص قال: قلت: فلك أنف؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أتشمّم بها الرائحة. قال: قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قال قلت: وما تصنع به؟ قال: أعرف به طعم الأشياء. قال: قلت: ألك لسان؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع به؟ قال: أتكلّم به، قال: قلت: ألك أذن؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الأصوات. قال: قلت: ألك يد؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع بها؟ قال: أبطش بها. قال: قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: وما تصنع به؟ قال: أميّز كلّ ما ورد على هذه الجوارح. قال: قلت: أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ قال: لا، قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟ قال: يا بنيّ إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته أو لمسته ردّته إلى القلب فيبقّن اليقين ويبطل الشكّ. قال: فقلت: إنّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح؟ قال: نعم، قال: قلت: فلا بدّ من القلب وإلاّ لم تستقم الجوارح؟ قال: نعم، قال: فقلت: يا أبا مروان إنّ الله - تعالى ذكره - لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح ويقّن ما شكّ فيه ويترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم ويقيم لك إماماً لجوارحك تردّ إليه حيرتك وشكّك؟! قال: فسكت ولم يقل شيئاً. قال: ثمّ التفت إليّ فقال: أنت هشام؟ فقلت: لا، فقال لي: أجالسته؟ فقلت: لا، قال: فمن أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة. قال: فأنت إذاً هو، قال: ثمّ ضمّني إليه وأقعدني في مجلسه وما نطق حتّى قمت. فضحك أبو عبد الله الصادق عليه السلام ثمّ قال: يا هشام من علّمك هذا؟ قال: قلت: يا ابن رسول الله جرى على لساني. قال: يا هشام هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى(١).

٢ - **العلل:** عن محمّد بن موسى البرقيّ، عن عليّ بن محمّد ماجيلويه، عن أحمد ابن أبي عبد الله، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول لرجل: اعلم يا فلان أنّ منزلة القلب من الجسد بمنزلة الامام من الناس الواجب الطاعة عليهم، ألا ترى أنّ جميع جوارح الجسد شُرَط للقلب وتراجمة له مؤدّية عنه: الأذنان والعينان والأنف واليدان والرجلان والفرج فإنّ القلب إذا همّ بالنظر فتح الرجل عينيه، وإذا همّ بالاستماع حرّك أذنيه وفتح مسامعه فسمع، وإذا همّ القلب بالشمّ استنشق بأنفه فأدّى تلك الرائحة إلى القلب وإذا همّ بالنطق تكلّم باللسان، وإذا همّ بالحركة سعت الرجلان، وإذا همّ بالشهوة تحرّك الذكر، فهذه كلّها مؤدّية عن القلب بالتحريك، وكذا ينبغي للإمام أن يطاع للأمر منه(٢).

بيان: قال في القاموس: الشرطة - بالضمّ -: واحد الشرط - كصرد - وهم أوّل كتيبة تشهد الحرب وتتهيّأ للموت، وطائفة من أعوان الولاة.

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٤٧٢ مجلس ٨٦ ح ١٥. (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١١١ باب ٩٦ ح ٨.

٣ - **التوحيد والخصال:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن القاسم بن محمّد الاصبهانيّ، عن سليمان بن داود المنقريّ، عن سفيان بن عيينة، عن الزهريّ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام في حديث طويل يقول فيه: ألا إنّ للعبد أربع أعين: عينان يبصر بهما أمر دينه ودنياه، وعينان يبصر بهما أمر آخرته، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح له العينين اللّتين في قلبه فأبصر بهما الغيب وأمر آخرته، وإذا أراد به غير ذلك ترك القلب بما فيه[١].

أقول: أوردت الأخبار في أحوال القلب وصلاحه وفساده وكذا أحوال النفس ودرجاتها في الصلاح والفساد في أبواب مكارم الأخلاق من كتاب الكفر والايمان.

٤ - **المناقب** لابن شهر آشوب: ممّا أجاب الرضا عليه السلام بحضرة المأمون لضباع ابن نصر الهنديّ وعمران الصابيّ عن مسائلهما: قال عمران: العين نور مركّبة أم الروح تبصر الأشياء من منظرها؟ قال عليه السلام: العين شحمة، وهو البياض والسواد، والنظر للروح. دليله أنّك تنظر فيه فترى صورتك في وسطه، والإنسان لا يرى صورته إلاّ في ماء أو مرآة وما أشبه ذلك. قال ضباع: فإذا عميت العين كيف صارت الروح قائمة والنظر ذاهب؟ قال: كالشمس طالعة يغشاها الظلام. قالا: أين تذهب الروح؟ قال: أين يذهب الضوء الطالع من الكوّة في البيت إذا سدّت الكوّة؟ قال: أوضح لي ذلك قال: الروح مسكنها في الدماغ وشعاعها منبثّ في الجسد بمنزلة الشمس دارتها في السماء وشعاعها منبسط على الأرض، فإذا غابت الدارة فلا شمس، وإذا قطعت الرأس فلا روح[٢].

بيان: «نور مركّبة» أي مدرك ركّب في هذا العضو وهو يدرك المبصرات، أم المدرك الروح وهذا منظره؟ واختار عليه السلام الثاني، ويدلّ على أنّ المدرك النفس وهذه آلاتها كما مرّ أنّه المشهور. ويحتمل أن يكون المراد به الروح الحيوانيّ بأن يكون المراد أنّ المدرك هو الروح الّذي في العين لا نفس الضوء فلا ينفي المذهب الآخر كما يومىء إليه قوله «الروح مسكنها في الدماغ» وهو يدلّ على أنّ محلّ الروح ومنشأه الدماغ كما قيل، وكأنّ النزاع لفظيّ، والمراد هنا الروح النفسانيّ النازل من الدماغ بتوسّط الأعصاب إلى جميع البدن، ومنشأ الجميع القلب.

قال بعض المحقّقين: خلق الله سبحانه بلطيف صنعه جرماً حارّاً لطيفاً نورانياً شفّافاً يسمّى بالروح البخاريّ، وجعله مركباً للنفس وقواها، وكرسيّاً لملائكتها حيّاً بحياتها، باقياً بتعلّقها به، فانياً برحلتها عنه لا كسائر الأجرام الّتي تزول عنها الحياة وهي باقية، وبه حياة البدن من الواهب بواسطة النفس. فكلّ موضع يفيض عليه من سلطان نوره يحيى وإلاّ فيموت. واعتبر بالسدد، فلولا أنّ قوّة الحسّ والحركة قائمة بهذا الجسم اللطيف لما كانت السدد يمنعها،

(١) التوحيد، ص ٣٦٦، الخصال ص ٢٤٠ باب ٤ ح ٨٩.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٤ ص ٣٥٣.

وقد يخدر العضو بالسدّة بحيث لا يتألّم بجرح وضرب، وربما ينقطع فتبطل الحياة منه، ولولا أنّه شديد اللطافة لما نفذ في شباك العصب. ومن أخذ بعض عروقه يحسّ بجري جسم لطيف حارّ فيه وتراجعه عنه، وهذا هو الروح، ومنبعه القلب الصنوبريّ، ومنه يتوزّع على الأعضاء العالية والسافلة من البدن، فما يصعد إلى معدن الدماغ على أيدي خوادم الشرايين معتدلاً بتبريده فائضاً إلى الأعضاء المدركة المتحرّكة منبثّاً في جميع البدن يسمّى روحاً نفسانيّاً، وما يسفل منه إلى الكبد بأيدي سفراء الأوردة الّذي هو مبدأ القوى النباتيّة منبثّاً في أعراق البدن يسمّى روحاً طبيعيّاً - انتهى -.

قوله: «دليله أنّك تنظر فيه» كأنّ الغرض التنبيه على أنّ هذا العضو بنفسه ليس شاعراً لشيء، لأنّه مثل سائر الأجسام الصقيلة الّتي يرى فيها الوجه كالماء والمرآة فكما أنّها ليست مدركة لما ينطبع فيها فكذا العين وغيرها من المشاعر، أو دفع لتوهّم كون الانطباع دليلاً على كونها شاعرة، فيكون سنداً للمنع.

قوله: «دارتها» أي جرمها المستدير. في القاموس: الدار: المحلّ. يجمع البناء والعرصة، كالدارة، وبالهاء ما أحاط بالشيء كالدائرة، ومن الرمل ما استدار منه وهالة القمر. وفي المصباح: الدارة دارة القمر وغيره، سمّيت بذلك لاستدارتها - انتهى.. والرأس مذكّر، وتأنيث الفعل كأنّه لاشتماله على الأعضاء الكثيرة إن لم يكن من تصحيف النسّاخ.

٥ - **التوحيد:** عن محمّد بن موسى بن المتوكّل، عن عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن أبي إسحاق، عن عدّة من أصحابنا أنّ عبد الله الديصانيّ أتى هشام بن الحكم فقال له: ألك ربّ؟ فقال: بلى، قال: قادر؟ قال: بلى قادر قاهر، قال: يقدر أن يدخل الدنيا كلّها في البيضة لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا؟ فقال هشام: النظرة. فقال له: قد أنظرتك حولاً! ثمّ خرج عنه، فركب هشام إلى أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له، فقال: يا ابن رسول الله، أتاني عبد الله الديصانيّ بمسألة ليس المعوّل فيها إلاّ على الله وعليك، فقال أبو عبد الله عليه السلام: عمّاذا سألك؟ فقال: قال لي كيت وكيت. فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام، كم حواسّك؟ قال: خمس، فقال: أيّها أصغر؟ فقال: الناظر. قال: وكم قدر الناظر؟ قال: مثل العدسة أو أقلّ منها، فقال: يا هشام فانظر أمامك وفوقك وأخبرني بما ترى. فقال: أرى سماءً وأرضاً ودوراً وقصوراً وتراباً وجبالاً وأنهاراً، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الّذي قدر أن يدخل الّذي تراه العدسة أو أقلّ منها قادر أن يدخل الدنيا كلّها البيضة ولا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة. فانكبّ هشام عليه وقبّل يديه ورأسه ورجليه وقال: حسبي يا ابن رسول الله. فانصرف إلى منزله وغدا عليه الديصانيّ فقال له: يا هشام، إنّي جئتك مسلّماً ولم أجئك متقاضياً للجواب. فقال له هشام: إن كنت جئت متقاضياً فهاك الجواب[1] - الخبر..

---

(١) التوحيد، ص ١٢٣.

تبيين: أقول: في حلّ هذا الخبر وجوه أوردتها في كتاب التوحيد، وعلى التقادير يدلّ على أنّ الإبصار بالانطباع، وعلى بعض الوجوه المتقدّمة يحتمل أن يكون إقناعياً مبنيّاً على المقدّمة المشهورة بين الجمهور أنّ الرؤية بدخول صور المرئيّات في العضو البصريّ، فلا ينافي كون الإبصار حقيقة بخروج الشعاع.

٦ - **الاختصاص:** قال العالم عليه السلام: خلق الله عالمين متّصلين: فعالم علويّ وعالم سفليّ. وركّب العالمين جميعاً في ابن آدم، وخلقه كريّاً مدوّراً، فخلق الله رأس ابن آدم كقبّة الفلك، وشعره كعدد النجوم، وعينيه كالشمس والقمر، ومنخريه كالشمال والجنوب، وأذنيه كالمشرق والمغرب، وجعل لمحه كالبرق، وكلامه كالرعد ومشيه كسير الكواكب، وقعوده كشرفها، وغفوه كهبوطها، وموته كاحتراقها. وخلق في ظهره أربعة وعشرين فقرة كعدد ساعات الليل والنهار، وخلق له ثلاثين معىً كعدد الهلال ثلاثين يوماً، وخلق له اثني عشر وصلاً كعدد السنة اثني عشر شهراً، وخلق له ثلاثمائة وستّين عرقاً كعدد السنة ثلاثمائة وستّين يوماً، وخلق له سبعمائة عصبة واثني عشر عضواً وهو مقدار ما يقيم الجنين في بطن أمّه. وعجنه من مياه أربعة: فخلق المالح في عينيه، فهما لا يذوبان في الحرّ ولا يجمدان في البرد، وخلق المرّ في أذنيه لكي لا تقربهما الهوامّ، وخلق المنيّ في ظهره لكيلا يعتريه الفساد، وخلق العذب في لسانه ليجد طعم الطعام والشراب. وخلقه بنفس وجسد وروح، فروحه الّتي لا تفارقه إلّا بفراق الدنيا، ونفسه الّتي تريه الأحلام والمنامات، وجسمه هو الّذي يبلى ويرجع إلى التراب[(١)].

بيان: «وغفوه» أي نومه. وفي بعض النسخ «فقره» وكأنّه تصحيف. «وهو مقدار ما يقيم» أي الاثنا عشر، فإنّ أكثر الحمل اثنا عشر شهراً على الأشهر. وكأنّ الروح هو الحيوانيّ، والنفس هي الناطقة.

٧ - **تحف العقول:** سأل يحيى بن أكثم عن قول عليّ عليه السلام «إنّ الخنثى يورث من المبال» وقال: فمن ينظر إذا بال إليه؟ مع أنّه عسى أن تكون امرأة وقد نظر إليها الرجال، أو عسى أن يكون رجلاً وقد نظرت إليه النساء، وهذا ما لا يحلّ فأجاب أبو الحسن الثالث عليه السلام: إنّ قول عليّ عليه السلام حقٌّ، وينظر قوم عدول يأخذ كلّ واحد منهم مرآة وتقوم الخنثى خلفهم عريانة، فينظرون في المرايا فيرون الشبح فيحكمون عليه[(٢)].

بيان: ظاهره أنّ الرؤية بالانطباع لا بخروج الشعاع، لقوله عليه السلام «فيرون الشبح» ولأنّه إذا كان بخروج الشعاع فلا ينفع النظر في المرآة، لأنّ المرئي حينئذ هو الفرج أيضاً. ويمكن الجواب بوجهين:

الأول: أنّ مبنى الأحكام الشرعيّة الحقائق العرفيّة واللغويّة لا الدقائق الحكميّة، ومن

---

(١) الإختصاص، ص ١٤٢. (٢) تحف العقول، ص ٣٥٢.

رأى امرأة في الماء لا يقال لغة ولا عرفاً: أنّه رآها، وإنّما يقال: رأى صورتها وشبحها. والنصوص الدالّة على تحريم النظر إلى العورة إنّما تدلّ على تحريم الرؤية المتعارفة، وشمولها لهذا النوع من الرؤية غير معلوم. فيمكن أن يكون كلامه مبنيّاً على ذلك لا على كون الرؤية بالانطباع، ويكون قوله «فيرون الشبح» مبنيّاً على ما يحكم به أهل العرف، وذكره لبيان أنّ مثل تلك الرؤية لا تسمّى رؤية حقيقيّة لا عرفاً ولا لغة.

والثاني: أنّه يحتمل أن يكون الحكم مبنيّاً على الضرورة، ويجوز في حال الضرورة ما لا يجوز في غيرها، فيجوز النظر إلى العورة كنظر الطبيب والقابلة وأمثالهما ولمّا كان هذا النوع من الرؤية أخفّ شناعة وأقلّ مفسدة اختاره عليه السلام لدفع الضرورة هناك بها، فلا يدلّ على الجواز عند فقد الضرورة، وعلى الانطباع. والأوّل أظهر. ومع ذلك لا يمكن دفع كون ظاهر الخبر الانطباع، وستتكلّم في أصل الحكم في موضعه إن شاء الله تعالى.

٨ - **توحيد المفضل:** قال الصادق عليه السلام: فكّر يا مفضّل في الأفعال الّتي جعلت في الإنسان من الطعم والنوم والجماع وما دبّر فيها، فإنّه جعل لكلّ واحد منها في الطباع نفسه محرّك يقتضيه ويستحثّ به. فالجوع يقتضي الطعم الّذي به حياة البدن وقوامه، والكرى يقتضي النوم الّذي فيه راحة البدن وإجمام قواه، والشبق يقتضي الجماع الّذي فيه دوام النسل وبقاؤه، ولو كان الإنسان إنّما يصير إلى أكل الطعام لمعرفته بحاجة بدنه إليه ولم يجد من طباعه شيئاً يضطرّه إلى ذلك كان خليقاً أن يتوانى عنه أحياناً بالتثقّل والكسل، حتّى ينحل بدنه فيهلك، كما يحتاج الواحد إلى الدواء لشيء ممّا يصلح به بدنه فيدافع به حتّى يؤدّيه ذلك إلى المرض والموت. وكذلك لو كان إنّما يصير إلى النوم بالتفكّر في حاجته إلى راحة البدن وإجمام قواه كان عسى أن يتثاقل عن ذلك فيدفعه حتّى ينهك بدنه. ولو كان إنّما يتحرّك للجماع بالرغبة في الولد كان غير بعيد أن يفتر عنه حتى يقلّ النسل أو ينقطع. فإنّ من الناس من لا يرغب في الولد ولا يحفل به. فانظر كيف جعل لكلّ واحد من هذه الأفعال الّتي بها قوام الإنسان وصلاحه محرّك من نفس الطبع يحرّكه كذلك ويحدوه عليه.

واعلم أنّ في الإنسان قوى أربعاً: قوّة جاذبة تقبل الغذاء وتورده على المعدة وقوّة ممسكة تحبس الطعام حتّى تفعل فيه الطبيعة فعلها، وقوّة هاضمة وهي الّتي تطبخه وتستخرج صفوه وتبثّه في البدن، وقوّة دافعة تدفعه وتحدر الثفل الفاضل بعد أخذ الهاضمة حاجتها. ففكّر في تقدير هذه القوى الأربع الّتي في البدن وأفعالها وتقديرها للحاجة إليها والإرب فيها وما في ذلك من التدبير والحكمة. ولولا الجاذبة كيف يتحرّك الإنسان لطلب الغذاء الّذي به قوام البدن؟ ولولا الماسكة كيف كان يلبث الطعام في الجوف حتّى تهضمه المعدة؟ ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ منه حتّى يخلص منه الصفو الّذي يغذو البدن ويسدّ خلله؟ ولولا الدافعة كيف كان الثفل الّذي تخلفه الهاضمة يندفع ويخرج أوّلاً فأوّلاً؟ أفلا ترى كيف وكل الله سبحانه بلطيف صنعه وحسن تقديره هذه القوى بالبدن والقيام بما فيه صلاحه؟

وسأمثّل في ذلك مثالاً: إنّ البدن بمنزلة دار الملك، وله فيها حشم وصبية وقوّام موكّلون بالدار، فواحد لإقضاء حوائج الحشم وإيرادها عليهم، وآخر لقبض ما يرد وخزنه إلى أن يعالج ويهيّأ، وآخر لعلاج ذلك وتهيئته وتفريقه، وآخر لتنظيف ما في الدار من الأقذار وإخراجه منها فالملك هو الخلاّق الحكيم ملك العالمين والدار هي البدن، والحشم هي الأعضاء، والقوّام هي هذه القوى الأربع.

ولعلّك ترى ذكرنا هذه القوى الأربع وأفعالها بعد الّذي وصفت فضلاً وتزداداً وليس ما ذكرته من هذه القوى على الجهة الّتي ذُكرت في كتب الأطبّاء، ولا قولنا فيه كقولهم، لأنّهم ذكروها على ما يحتاج إليه في صناعة الطبّ وتصحيح الأبدان، وذكرناها على ما يحتاج في صلاح الدين وشفاء النفوس من الغيّ، كالّذي أوضحته بالوصف الثاني والمثل المضروب من التدبير والحكمة فيها.

تأمّل يا مفضّل هذه القوى الّتي في النفس وموقعها من الإنسان أعني الفكر والوهم والعقل والحفظ وغير ذلك، أفرأيت لو نقص الإنسان من هذه الخلال الحفظ وحده كيف كانت تكون حاله؟ وكم من خلل كان يدخل عليه في أموره ومعاشه وتجاربه إذا لم يحفظ ما له و[ما] عليه، وما أخذه وما أعطى، وما رأى وما سمع، وما قال وما قيل له ولم يذكر من أحسن إليه ممّن أساء به، وما نفعه ممّا ضرّه. ثمّ كان لا يهتدي لطريق لو سلكه ما لا يحصى، ولا يحفظ علماً ولو درسه عمره، ولا يعتقد ديناً، ولا ينتفع بتجربة، ولا يستطيع أن يعتبر شيئاً على ما مضى، بل كان حقيقاً أن ينسلخ من الإنسانيّة أصلاً!

فانظر إلى النعمة على الإنسان في هذه الخلال أو كيف موقع الواحدة منها دون الجميع. وأعظم من النعمة على الإنسان في الحفظ، النعمة في النسيان! فإنّه لولا النسيان لما سلا أحد عن مصيبة، ولا انقضت له حسرة، ولا مات له حقد، ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكّر الآفات، ولا رجاء غفلة من سلطان، ولا فترة من حاسد، أفلا نرى كيف جعل في الإنسان الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادّان، جعل له في كلّ منهما ضرب من المصلحة؟! وما عسى أن يقول الّذين قسموا الأشياء بين خالقين متضادّين في هذه الأشياء المتضادّة المتباينة وقد تراها تجمع على ما فيه الصلاح والمنفعة؟

انظر يا مفضّل إلى ما خصّ به الإنسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق الجليل قدره، العظيم غناؤه، أعني الحياء، فلولاه لم يُقرَ ضيف، ولم يوف بالعدات، ولم تقض الحوائج، ولم يتحرّ الجميل، ولم يتنكّب القبيح في شيء من الأشياء، حتّى أنّ كثيراً من الأمور المفترضة أيضاً إنّما يفعل للحياء، فإنّ من الناس لولا الحياء لم يرع حقّ والديه ولم يصل ذا رحم، ولم يؤدّ أمانة، ولم يعفّ عن فاحشة. أفلا ترى كيف وفّى الإنسان جميع الخلال الّتي فيها صلاحه وتمام أمره.

تأمّل يا مفضّل ما أنعم الله - تقدّست أسماؤه - به على الإنسان من هذا النطق الّذي يعبّر به عمّا في ضميره وما يخطر بقلبه وينتجه فكره، وبه يفهم من غيره ما في نفسه، ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة الّتي لا تخبر عن نفسها بشيء ولا تفهم عن مخبر شيئاً. وكذلك الكتابة الّتي بها تقيّد أخبار الماضين للباقين وأخبار الباقين للآتين، وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها، وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب، ولولاه لانقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض، وأخبار الغائبين عن أوطانهم، ودرست العلوم، وضاعت الآداب، وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم، وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم، وما روي لهم ممّا لا يسعهم جهله، ولعلّك تظنّ أنّها ممّا يخلص إليه بالحيلة والفطنة، وليست ممّا أُعطيه الإنسان من خلقه وطباعه، وكذلك الكلام إنّما هو شيء يصطلح عليه الناس فيجري بينهم، ولهذا صار يختلف في الأمم المختلفة بألسن مختلفة، وكذلك الكتابة ككتابة العربيّ والسريانيّ والعبرانيّ والروميّ وغيرها من سائر الكتابة الّتي هي متفرّقة في الأمم، إنّما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام فيقال لمن ادّعى ذلك: إنّ الإنسان وإن كان له في الأمرين جميعاً فعل أو حيلة فإنّ الشيء الّذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة عطيّة وهبة من الله عزّوجلّ له في خلقه فإنّه لو لم يكن له لسان مهيّأ للكلام وذهن يهتدي به للأمور لم يكن ليتكلّم أبداً ولو لم يكن له كفّ مهيّأة وأصابع للكتابة لم يكن ليكتب أبداً. واعتبر ذلك من البهائم الّتي لا كلام لها ولا كتابة. فأصل ذلك فطرة الباريء جلّ وعزّ، وما تفضّل به على خلقه. فمن شكر أُثيب، ومن كفر فإنّ الله غنيّ عن العالمين.

فكّر يا مفضّل في ما أعطي الإنسان علمه وما منع، فإنّه أعطي علم جميع ما فيه صلاح دينه ودنياه. فممّا فيه صلاح دينه معرفة الخالق تبارك وتعالى بالدلائل والشواهد القائمة في الخلق، ومعرفة الواجب عليه من العدل على الناس كافّة، وبرّ الوالدين، وأداء الأمانة، ومواساة أهل الخلّة، وأشباه ذلك ممّا قد توجب معرفته والإقرار والاعتراف به في الطبع والفطرة من كلّ أمّة موافقة أو مخالفة. وكذلك أعطي علم ما فيه صلاح دنياه كالزراعة، والغراس، واستخراج الأرضين، واقتناء الأغنام والأنعام، واستنباط المياه، ومعرفة العقاقير الّتي يستشفى بها من ضروب الأسقام، والمعادن الّتي يستخرج منها أنواع الجواهر، وركوب السفن، والغوص في البحر. وضروب الحيل في صيد الوحش والطير والحيتان، والتصرّف في الصناعات ووجوه المتاجر والمكاسب وغير ذلك ممّا يطول شرحه ويكثر تعداده ممّا فيه صلاح أمره في هذه الدار. فأعطي علم ما يصلح به دينه ودنياه ومُنع ما سوى ذلك ممّا ليس فيه شأنه ولا طاقته أن يعلم، كعلم الغيب وما هو كائن، وبعض ما قد كان أيضاً كعلم ما فوق السماء، وما تحت الأرض، وما في لجج البحار وأقطار العالم، وما في قلوب الناس، وما في الأرحام، وأشباه هذا ممّا حجب على الناس علمه. وقد ادّعت طائفة من

الناس هذه الأمور فأبطل دعواهم ما يبين من خطئهم في ما يقضون عليه ويحكمون به في ما ادّعوا علمه. فانظر كيف أعطي الإنسان علم جميع ما يحتاج إليه لدينه ودنياه، وحُجب عنه ما سوى ذلك ليعرف قدره ونقصه! وكلا الأمرين فيها صلاحه.

تأمّل الآن يا مفضّل ما ستر عن الإنسان علمه من مدّة حياته، فإنّه لو عرف مقدار عمره وكان قصير العمر لم يتهنّأ بالعيش مع ترقّب الموت وتوقّعه لوقت قد عرفه بل كان يكون بمنزلة من قد فني ماله أو قارب الفناء، فقد استشعر الفقر والوجل من فناء ماله وخوف الفقر. على أنّ الّذي يدخل على الإنسان من فناء العمر أعظم ممّا يدخل عليه من فناء المال، لأنّ من يقلّ ماله يأمل أن يستخلف منه فيسكن إلى ذلك، ومن أيقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس. وإن كان طويل العمر ثمّ عرف ذلك وثق بالبقاء، وانهمك في اللذّات والمعاصي، وعمل على أنّه يبلغ من ذلك شهوته ثمّ يتوب في آخره عمره، وهذا مذهب لا يرضاه الله من عباده ولا يقبله. ألا ترى لو أنّ عبداً لك عمل على أنّه يسخطك سنة ويرضيك يوماً أو شهراً لم تقبل ذلك منه، ولم يحلّ عندك محلّ العبد الصالح دون أن يضمر طاعتك ونصحك في كلّ الأمور في كلّ الأوقات على تصرّف الحالات.

فإن قلت: أوليس قد يقيم الإنسان على المعصية حيناً ثمّ يتوب فتقبل توبته؟ قلنا: إنّ ذلك شيء يكون من الإنسان لغلبة الشهوات له وتركه مخالفتها من غير أن يقدّرها في نفسه ويبني عليه أمره، فيصفح الله عنه ويتفضّل عليه بالمغفرة. فأمّا من قدّر أمره على أن يعصي ما بدا له ثمّ يتوب آخر ذلك فإنّما يحاول خديعة من لا يخادع، بأن يتسلّف التلذّذ في العاجل، ويعد ويمنّي نفسه التوبة في الآجل، ولأنّه لا يفي بما يعد من ذلك، فإنّ النزوع من الترفّه والتلذّذ ومعاناة التوبة ولا سيّما عند الكبر وضعف البدن أمر صعب، ولا يؤمن على الإنسان مع مدافعته بالتوبة أن يرهقه الموت فيخرج من الدنيا غير تائب، كما قد يكون على الواحد دين إلى أجل وقد يقدر على قضائه فلا يزال يدافع بذلك حتّى يحلّ الأجل وقد نفد المال، فيبقى الدين قائماً عليه. فكان خير الإنسان أن يستر عنه مبلغ عمره، فيكون طول عمره يترقّب الموت، فيترك المعاصي ويؤثر العمل الصالح.

فإن قلت: وها هو الآن قد ستر عنه مقدار حياته وصار يترقّب الموت في كلّ ساعة يقارف الفواحش وينتهك المحارم. قلنا: إنّ وجه التدبير في هذا الباب هو الّذي جرى عليه الأمر فيه، فإن كان الإنسان مع ذلك لا يرعوي ولا ينصرف عن المساوي فإنّما ذلك من مرحه ومن قساوة قلبه، لا من خطأ في التدبير. كما أنّ الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به، فإن كان المريض مخالفاً لقول الطبيب لا يعمل بما يأمره ولا ينتهي عمّا ينهاه عنه لم ينتفع بصفته، ولم يكن الإساءة في ذلك للطبيب، بل للمريض حيث لم يقبل منه. ولئن كان الإنسان مع ترقّبه للموت كلّ ساعة لا يمتنع عن المعاصي فإنّه لو وثق بطول البقاء كان أحرى بأن يخرج إلى

الكبائر القطعيّة فترقّب الموت على كلّ حال خير له من الثقة بالبقاء. ثمّ إنّ ترقّب الموت وإن كان صنف من الناس يلهون عنه ولا يتّعظون به فقد يتّعظ به صنف آخر منهم، وينزعون عن المعاصي، ويؤثرون العمل الصالح، ويجودون بالأموال والعقائل النفيسة في الصدقة على الفقراء والمساكين، فلم يكن من العدل أن يحرم هؤلاء الانتفاع بهذه الخصلة لتضييع أولئك حظّهم منها(١).

تذنيب: ولنذكر بعض ما ذكره الحكماء في تحقيق القوى البدنيّة الإنسانيّة، لتوقّف فهم الآيات والأخبار عليها في الجملة، واشتمالها على الحكم الربّانيّة.

قالوا: الحيوان جسم مركّب مختصّ من بين المركّبات بالنفس الحيوانيّة لكون مزاجه أقرب إلى الاعتدال جدّاً من النباتات والمعادن، فبعد أن يستوفي درجة الجماد والنبات يقبل صورة أشرف من صورتهما. وعرّفوا النفس الحيوانيّة بأنّها كمال أوّل لجسم طبيعيّ آليّ من جهة ما يدرك الجزئيّات ويتحرّك بالارادة. ولها قوّتان: مدركة، ومحرّكة. أمّا المدركة فهي إمّا في الظاهر أو في الباطن. أمّا الّتي في الظاهر فهي خمس بحكم الاستقراء. وقيل: لأنّ الطبيعة لا تنتقل من درجة الحيوانيّة إلى درجة فوقها إلاّ وقد استكملت جميع ما في تلك المرتبة، فلو كان في الامكان حسٌّ آخر لكان حاصلاً للانسان، فلمّا لم يحصل علمنا أنّ الحواسّ منحصرة في الخمس.

فمنها السمع: وهو قوّة مودعة في العصب المفروش في مقعّر الصماخ، ويتوقّف على وصول الهواء المنضغط بين القارع والمقروع والقالع والمقلوع مع مقاومة المتكيّف بكيفيّة الصوت المعلول لتموّج ذلك الهواء إلى الصماخ. وليس مرادهم بوصوله ما هو المتبادر منه، بل إنّ ذلك الهواء بتموّجه يموّج الهواء المجاور له ويكيّفه بالصوت، ثمّ يتموّج المجاور لهذا المجاور وهكذا إلى أن يتموّج الهواء الراكد في الصماخ. وقيل: لا ينحصر المتوسّط في الهواء، بل كلّ جسم سيّال كالماء أيضاً.

ومنها البصر: وهو قوّة مودعة في ملتقى العصبتين المجوّفتين النابتتين من غور البطنين المقدّمين من الدماغ، يتيامن النابت منهما يساراً، ويتياسر النابت منهما يميناً، فيلتقيان ويصير تجويفهما واحداً، ثمّ ينعطف النابت منهما يميناً إلى الحدقة اليمنى، والنابت منهما يساراً إلى الحدقة اليسرى، ويسمّى الملتقى بمجمع النور.

والفلاسفة اختلفوا في كيفيّة الإبصار؛ فالطبيعيّون منهم ذهبوا إلى أنّه بانطباع شبح المرئيّ في جزء من الرطوبة الجليديّة الّتي هي بمنزلة البرد والجمد في الصقالة المرآتيّة، فإذا قابلها متلوّن مستنير انطبع مثل صورته فيها كما ينطبع صورة الإنسان في المرآة، لا بأن ينفصل من

(١) توحيد المفضل، ص ٧٥.

المتلوّن شيء ويميل إلى العين بل بأن يحدث مثل صورته في عين الناظر، ويكون استعداد حصوله بالمقابلة المخصوصة مع توسّط الهواء المشفّ.

والرياضيّون ذهبوا إلى أنّه بخروج الشعاع من العين على هيئة مخروط رأسه عند العين وقاعدته عند المرئيّ، ثمّ اختلفوا في أنّ ذلك المخروط مصمت أو مؤتلف من خطوط مجتمعة في الجانب الّذي يلي الرأس متفرّقة في الجانب الّذي يلي القاعدة. وقال بعضهم بأنّ الخارج من العين خطّ واحد مستقيم لكن يثبت طرفه الّذي يلي العين ويضطرب طرفه الأُخرى [الآخر ظ] على المرئيّ فيتخيّل منه هيئة مخروط.

والإشراقيّون قالوا: لا شعاع ولا انطباع، وإنّما الإبصار مقابلة المستنير للعضو الباصر الّذي فيه رطوبة صقيلة، فإذا وجدت هذه الشروط مع زوال المانع يقع للنفس علم حضوريّ إشراقيّ على المبصر، فتدركه النفس مشاهدة ظاهرة جليّة. لكنّ المشهور من آراء الفلاسفة الانطباع والشعاع.

تمسّك الأوّلون بوجوه: أحدها - وهو العمدة - أنّ العين جسم صقيل نورانيّ وكلّ جسم كذلك إذا قابله كثيف ملوّن انطبع فيه شبحه كالمرآة. أمّا الكبرى فظاهر وأمّا الصغرى فلما نشاهد من النور في الظلمة إذا حكّ المنتبه من النوم عينه، ولأنّ الإنسان إذا نظر نحو أنفه قد يرى عليه دائرة مثل الضياء، وإذا انتبه من النوم قد يبصر ما قرب منه ثمّ يفقده، وذلك لامتلاء العين من النور. وإن غمضنا إحدى العينين اتّسع مثقب العين الأُخرى، فيعلم أنّه يملؤه جوهر نوريّ. ولولا انصباب أجسام نورانيّة من الدماغ إلى العين لكان تجويف العصبتين عديم الفائدة.

وثانيها: أنّ الاحساس بسائر الحواسّ ليس لأجل خروج شيء من المحسوس بل لأجل أن يأتيها صورة المحسوس، فكذا حكم الابصار.

وثالثها: أنّ كون رؤية الأشياء الكبيرة من البعيد صغيرة لضيق زاوية الرؤية لا يتأتّى إلاّ مع القول بكون موضع الرؤية هو الزاوية كما هو رأي أصحاب الانطباع لا القاعدة على ما هو رأي القائلين بخروج الشعاع، فإنّها لا تتفاوت.

ورابعها: أنّ من حدق النظر إلى الشمس ثمّ انصرف عنها يبقى في عينه صورتها زماناً، وذلك يوجب ما قلناه.

وخامسها: أنّ الممرورين يرون صوراً مخصوصة لا وجود لها في الخارج، فإذن حصولها في البصر.

وأُجيب عن الأوّل بأنّه بعد تمامه لا يفيد إلاّ انطباع الشبح، وأمّا كون الإبصار به فلا، وعن الثاني أنّه تمثيل بلا جامع. وعن الثالث بأنّ كون العلّة ما ذكرتم غير مسلّم، كيف وأصحاب الشعاع يذكرون له وجهاً آخر. وعن الرابع بأنّ الصورة غير باقية في الباصرة بل في

الخيال، وأين أحدهما من الآخر. وعن الخامس أنّه إنّما يدلّ على إثبات الانطباع في هذا النحو من الرؤية الّتي هي من قبيل الرؤيا ومشاهدة الأمور الغائبة عن الابصار بوقوع أشباحها في الخيال، ولا يدّل على أنّ الأبصار للموجودات في الخارج بالانطباع، وقياس أحدهما على الآخر غير ملتفت إليه في العلوم.

وتمسّك القائلون بالشعاع أيضاً بوجوه: أحدها أنّ من قلّ شعاع بصره كان إدراكه للقريب أصحّ من إدراكه للبعيد لتفرّق الشعاع في البعيد، ومن كثر شعاع بصره مع غلظه كان إدراكه للبعيد أصحَّ، لأنّ الحركة في المسافة البعيدة تفيد رقّة وصفاء، ولو كان الابصار بالانطباع لما تفاوت الحال.

وثانيها: أنّ الأجهر يبصر بالليل دون النهار، لأنّ شعاع بصره لقلّته يتخلّل نهاراً شعاع الشمس فلا يبصر، ويجتمع ليلاً فيقوى على الابصار، والأعمش بالعكس لأنّ شعاع بصره لغلظه لا يقوى على الابصار إلاّ إذا أفادته الشمس رقّة وصفاءً.

وثالثها: أنّ الإنسان إذا نظر إلى ورقة ورآها كلّها لم يظهر له إلاّ السطر الّذي يحدق نحوه البصر وما ذاك إلاّ بسبب أنّ مسقط سهم مخروط الشعاع أصحُّ إدراكاً.

ورابعها: أنّ الإنسان يرى في الظلمة كأنّ نوراً انفصل عن عينه وأشرق على أنفه، وإذا غمض عينه على السراج يرى كأنّ خطوطاً شعاعيّة اتّصلت بين عينيه والسراج.

والجواب عن الكلّ أنّها لا تدلّ على المطلوب، أعني كون الابصار بخروج الشعاع بل على أنّ في العين نوراً، ونحن لا ننكر أنّ في آلات الابصار أجساماً شعاعيّة مضيئة تسمّى بالروح الباصرة، وإن أنكرها محمّد بن زكريّا زعماً أنّ النور لا يوجد إلاّ في النار وفي الكواكب، وأمّا الأجسام الكثيفة وما في بواطنها فالأولى بها الظلمة، وكيف يعقل داخل الدماغ مع تستّرها بالحجب جسم نورانيّ؟ أمّا ابن سينا فقد اعترف بذلك، لأنّ جالينوس لمّا احتجّ ببعض الشبه الّتي مرّ ذكرها على خروج الشعاع من العين [و] أجاب عنه بأنّ ذلك يدلّ على وجود الشعاع في العين ولا نزاع فيه لكن قلتم إنّ ذلك الشعاع يخرج فحينئذ نقول: آلة الابصار جسم نورانيّ في الجليديّة يرتسم منه بين العين والمرئيّ مخروط وهميّ يتعلّق إدراك النفس بذلك المرئيّ من جهة زاويته الّتي عند الجليديّة وتشتدّ حركته عند رؤية البعيد، فيتخلّل لطيفها، فيفتقر إلى تلطيف إذا غلظ، وتكثيف إذا لطف ورقّ فوق ما ينبغي، ويحدث منها في المقابل القابل أشعّة وأضواء يكون قوّتها في مسقط السهم ممّا يحاذي مركز العين الّذي هو بمنزلة الزاوية للمخروط الوهميّ ولشدّة استنارته يكون ما يرى منه أظهر، وإدراكه أقوى وأكمل، ويشبه أن يكون هذا مراد القائلين بخروج الشعاع تجوّزاً منهم على ما صرّح به الشيخ، وإلاّ فهو باطل قطعاً، أمّا إذا أريد حقيقة الشعاع الّذي هو من قبيل الأعراض فظاهر، وإن أريد جسم شعاعيّ يتحرّك من العين إلى المرئيّ فلأنّا قاطعون بأنّه يمتنع أن يخرج من

العين جسم ينبسط في لحظة على نصف كرة العالم، ثمّ إذا طبق الجفن عاد إليها أو انعدم، ثمّ إذا فتح خرج مثله وهكذا؛ وأن يتحرّك الجسم الشعاعيّ من دون قاسر أو إرادة إلى جميع الجهات، وأن ينفذ في الأفلاك ويخرقها ليرى الكواكب؛ وأن لا يتشوّش لهبوب الرياح ولا يتّصل بغير المقابل، كما في الأصوات حيث يميلها الرياح إلى الجهات؛ ولأنّه يلزم أن لا يرى القمر مثل الثوابت بل بزمان يناسب التفاوت بينهما، وليس كذلك بل يرى الأفلاك بما فيها من الكواكب دفعة.

ثمّ إنّ للقائلين بالشعاع مذهباً آخر، وهو أنّ المشفّ الّذي بين البصر والمرئيّ يتكيّف بكيفيّة الشعاع الّذي في البصر، ويصير بذلك آلة للإبصار. ويرد عليه المفاسد المتقدّمة مع زيادة.

وقال صاحب المقاصد: الحقّ أنّ الابصار بمحض خلق الله تعالى عند فتح العين.

ثمّ اعلم أنّه يعرض في الرؤية أمور غريبة قد يستدلّ ببعضها على أحد المذهبين منها اختلاف الأقدار بسبب تفاوت الأبعاد، والسبب فيه على كلا المذهبين اختلاف زاوية مركز الجليدية انفراجاً وحدّة، فإنّه إذا قابل المبصر البصر توهّمنا خطّين مستقيمين واصلين بين مركز الجليديّة وطرفي المبصر، فيحصل زاوية البتّة عند مركز الجليديّة، فكلّما كانت تلك الزاوية أعظم يرى المرئيّ أصغر، ولا يخفى على المتدرّب أنّ قرب المرئيّ سبب لعظم تلك الزاوية، وبعده سبب لصغرها، أو بزيادة القرب يزيد عظمها وبزيادة البعد يزيد صغرها، فالخطوط الّتي هي أضلاع الزوايا موجودة عند الرياضيّين، موهومة عند المشّائين، وكلّ من أصحاب المذهبين جعل هذا مؤيّداً لمذهبه، وله وجه وإن كان بمذهب المشّائين أنسب.

وقال بعض المحقّقين: قد قرّر الحكماء عن آخرهم أنّ تفاوت أقدار المبصرات بتفاوت أقدار الزاوية المذكورة، ويتبع تفاوت إحداهما تفاوت الأخرى على نسبتها من غير انثلام في اتّساق النسبة، وبنوا عليه علم المناظر وغيره من معظمات المسائل. وفيه شبهة، وهو أنّا إذا قرّبنا جسماً صغيراً طوله مثل طول البصر أو أزيد بقليل كالاصبع من البصر بحيث يصل إلى رؤوس شعر الجفن فيرى بزاوية عظيمة جدّاً ويحجب الجبل العظيم جدّاً، فزاويته أعظم من زاوية الجبل، فيجب أن يرى أعظم، مع أنّ الأمر بخلافه ضرورة. والجواب أنّه في الرؤية أعظم إلاّ أنّه يعلم بحكم العقل أنّه صغير جدّاً ورئي عظيماً بسبب كمال قربه - انتهى..

ومنها: رؤية المرئيّات في المرايا والأجسام الصقيلة، واختلف في سببه وتفرّق آراؤهم إلى مذاهب أربعة: الأوّل مذهب أصحاب الشعاع حيث ذهبوا إلى أنّه بانعكاس الخطوط الشعاعيّة، وتفصيله أنّا نعلم تجربة أنّ الشعاع ينعكس من الجسم الصقيل، كما ينعكس شعاع الشمس من الماء إلى الجدار، ومن المرآة إلى مقابلها، فإذا وقع شعاع البصر على المرآة مثلاً ينعكس منها إلى جسم آخر وضعه من المرآة وضع المرآة من البصر على وجه تتساوى زاويتا

الشعاع والانعكاس، فإذا قابلت المرآة وجه المبصر وكان سهم المخروط الشعاعيّ عموداً على سطح المرآة وجب انعكاس ذلك الخطّ العمود من سمته بعينه إلى مركز الجليديّة، إذ لو انعكس إلى غيره لزم تساوي زاوية قائمة مع زاوية حادّة، وانعكست الخطوط القريبة منه إلى باقي أجزاء الوجه فيرى الوجه. وإذا كانت المرآة غير مقابلة للبصر على الوجه المذكور لم ينعكس الشعاع إليه، بل إلى جسم آخر من شأنه أن تتساوى به الزاويتان المذكورتان. فالمرئيّ في المرآة إنّما هو الأمر الخارجيّ لكن لمّا رئي بالشعاع الّذي رئي به المرآة يظنّ أنّه في المرآة وليس موجوداً في المرآة، وإذا كان الوجه قريباً من المرآة والخطوط المنعكسة قصيرة يظنّ أنّ صورة المرئيّ قريبة من سطح المرآة، وإذا كان الوجه بعيداً عنها والخطوط المنعكسة قصيرة يظنّ أنّ صورة المرئيّ قريبة من سطح المرآة، وإذا كان الوجه بعيداً عنها والخطوط المنعكسة طويلة يظنّ الصورة غائرة فيها. وأورد عليه وجوه من الايراد المذكورة في محالّها.

الثاني: مذهب أصحاب الانطباع، وتوضيحه أنّه كما أنّ القوّة الباصرة بحيث إذا قابلت جسماً ملوّناً مضيئاً ارتسمت صورته فيها، فكذلك هي بحيث إذا قابلت جسماً صقيلاً ارتسمت صورتها في الباصرة مع صورة مقابل ذلك الجسم الصقيل وترتسم في جزء ارتسمت فيه صورة المرآة. وشرط الانعكاس عندهم أيضاً ما مرّ من كون الجسم المقابل من المرآة مثل مقابلة المرآة للمبصر بحيث تتساوى زاويتا الشعاع والانعكاس من الخطوط الشعاعيّة الموهومة المفروضة المستقيمة.

الثالث: مذهب سخيف ضعيف، وهو أنّ الصورة ينطبع في المرآة.

الرابع: مذهب أفلاطون ومن سبقه وتبعه من الاشراقيّين، حيث أثبتوا عالماً آخر سوى ذا العالم الجسمانيّ الّذي هو المحدّد للجهات مع ما فيه من الأجرام الفلكيّة والأجسام العنصريّة، وهو عالم متوسّط بينه وبين عالم المجرّدات العقليّة الصرفة المنزّهة عن المقدار والحيّز والجهة والشكل. فإنّ أشخاص هذا العالم صور مثاليّة، وأشباح برزخيّة، مجرّدة عن الطبائع والموادّ، نورانيّة، يسمّى ذلك العالم عالم المثال. وقالوا: إنّ الصور المرئيّة في المرايا وغيرها من الأجسام الصقيلة والصور المتخيّلة وأمثالها صور موجودة قائمة بنفسها، إذ لو كانت الصور في المرآة لما اختلفت رؤية الشيء باختلاف مواضع نظرنا إليها، ولو كانت في الهواء لم يمكن أن ترى لأنّ الهواء شفّاف لم يمكن أن يرى وكذا ما حلّ فيه، وليست هي صورتك بعينها بأن ينعكس الشعاع من المرآة إليك لبطلان القول بالشعاع لوجوه مذكورة في كتب القوم، ولا في القوّة الباصرة أو غيرها من القوى البدنيّة لوجوه ذكروها، فهي صور جسمانيّة موجودة في عالم آخر متوسّط بين عالمي الحسّ والعقل يسمّى بعالم المثال وهي قائمة بذاتها معلّقة لا في محلّ ولا في مكان، لها مظاهر كالمرآة في الصور المرئيّة المرآتيّة والخيال في الصور الخياليّة. ووافقهم الصوفيّة في إثبات هذا العالم وقد مرّت الاشارة إليه.

قال القيصريّ في شرح الفصوص: اعلم أنّ العالم المثاليّ هو عالم روحانيّ من جوهر

نورانيّ شبيه بالجوهر الجسمانيّ في كونه محسوساً مقدارياً، وبالجوهر المجرَّد العقليّ في كونه نورانياً، وليس بجسم مركّب ماديّ ولا جوهر مجرّد عقلي، لأنّه برزخ وحدّ فاصل بينهما، وكلّ ما هو برزخ بين الشيئين لا بدّ وأن يكون غيرهما، بل له جهتان يشبه بكلّ منهما ما يناسب عالمه. اللّهمّ إلاّ أن يقال إنّه جسم نوريّ في غاية ما يمكن من اللطافة، فيكون حدّاً فاصلاً بين الجواهر المجرّدة اللطيفة وبين الجواهر الجسمانيّة الكثيفة، وإن كان بعض هذه الأجسام ألطف من البعض كالسماوات بالنسبة إلى غيرها - انتهى..

ومنها: رؤية الشيء شيئين كما في الأحول، وفي من مدّ طرف عينه، أو غمض إصبعه في طرف العين، فإنّه يرى كلّ شيء اثنين. واختلفت الآراء في تعليله ولنذكر منها مذهبين: **الأول** مذهب أصحاب الشعاع، فإنّهم يقولون إنّه يخرج من كلّ عين مخروط شعاعيّ له سهم، فإن وقع السهمان على موضع واحد من المرئيّ يرى شيئاً واحداً، وإن اختلف موقعاهما يرى اثنين. **الثاني** مذهب أصحاب الانطباع ومداره على مقدّمة، وهي أنّ القوّة البصريّة قائمة بالروح الحيوانيّ المصبوب في العصبتين المجوّفتين النابتتين من مقدّم الدماغ المتقاطعين، وعند التقاطع يتّحد التجويفان، وهناك مجمع النور، فإذا قابل البصر المبصر انطبعت صورته في الجليديّتين ولا يكفي ذلك في الابصار، وإلاّ لرئي الشيء الواحد شيئين، بل يجب أن تتأدّى صورة أُخرى مثل تلك الصورة إلى مجمع النور فتحصل الابصار. ثمّ إنّ هذا الروح الّذي في مجمع النور يؤدّي صورة المرئيّ إلى الحسّ المشترك، وهناك يتمّ كمال الابصار. ثمّ بعد هذه المقدّمة نقول: إنّ لإدراك الشيء الواحد اثنين أربعة أسباب:

الأول: انتقال الآلة المؤدّية للشبح الّذي في الجليديّة إلى ملتقى العصبتين، فلا يتأدّى الشبحان إلى موضع واحد، بل ينتهي كلٌّ إلى جزء آخر من الروح الباصرة لأنّ خطّي الشبحين لم ينفذا نفوذاً من شأنه أن يتقاطعا عند ملتقى العصبتين، وإذا اختصّ كلٌّ بجزء آخر من الروح الباصرة فكأنّهما شبحان لشيئين، ولأنّه يختلف موضع الشبح في الروح الباصرة يرى الاثنين في الاثنين.

الثاني: حركة الروح الباصرة الّتي في الملتقى وتموّجها يميناً ويساراً، حتّى يتقدّم مركزها المرسوم له في الطبع إلى جهتي الجليديّتين أخذاً متموّجاً مضطرباً فيرتسم فيه الشبح قبل تقاطع المخروطين، فينطبع من الشيء الواحد شبحان، ويرى كشيئين مفترقين. وهذا مثل ارتسام شبح الشمس في الماء الساكن الراكد مرّة واحدة وفي الماء المتموّج متكرّراً.

الثالث: اضطراب روح الباصرة الّتي في مقدّم الدماغ وحركته قدّاماً إلى صوب ملتقى العصبتين وخلفاً إلى الحسّ المشترك، فإذا نظر في تلك الحالة إلى المرئيّ انطبع شبحه في جزء من الروح الحاصل في مركزه الّذي له وضع مخصوص بالقياس إلى ذلك المرئيّ، فإذا تحرّك ذلك الجزء ووقع جزء آخر في موضعه فلا جرم انطبع شبحه في ذلك الجزء أيضاً ولم

يزل بعد عن الجزء الأوّل، فتجتمع هناك صورتان ويرى شيئان. ولمثل هذا السبب يرى الشيء السريع الحركة إلى جانبين كشيئين، لأنّه قبل انمحاء صورته عن الحسّ المشترك وهو في جانب يراه البصر في جانب آخر، فتتوافى إدراكاته في الجانبين معاً. ومن هذا القبيل رؤية القطرة النازلة خطّاً مستقيماً، والشعلة الجوّالة دائرة. ونظير الحركة الدوريّة لصاحب الدوار، فإنّه لسبب من الأسباب الطبيّة يتحرّك الروح الّذي في تجويف مقدّم الدماغ على الدور، فحينئذ إن انطبعت فيه صورة، تزول بسرعة لتحرّكه، كزوال الضوء عن أجزاء الكرة المقابلة للكوّة الّتي تشرق منها الشمس على الكرة إذا دارت الكرة، لكن قبل زوالها عن ذلك الجزء تحصل صورة في الجزء الّذي حصل مكانه فيظنّ أنّ المرئيّ يدور حول نفسه، وما ذلك إلاّ لحركة الرائي.

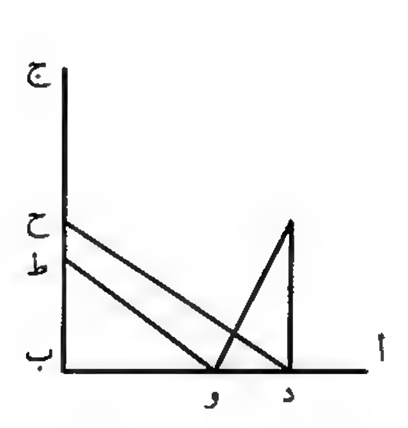
الرابع: اضطراب يعرض للثقبة العنبيّة، فإنّ الطبقة العنبيّة سهلة الحركة إلى هيئة تتّسع بها الثقبة تارة وتضيق أخرى، تارة إلى خارج وتارة إلى داخل، فإن تحرّك إلى خارج يعرض للثقبة اتّساع، وإن تحرّك إلى داخل يعرض لها تضيّق، فإن ضاقت يرى الشيء أكبر، وإن اتّسعت يرى أصغر، فيرى المرئيّ أوّلاً غير المرئيّ ثانياً، خصوصاً إذا تمثّلت قبل انمحاء الأوّل فيرى اثنين. وفي حال ضيق الثقبة يتكاثف الروح البصري والنور الشعاعيّ، فيرى أكبر، كما يرى الشيء في البخار أعظم. وفي حال السعة يتلطّف الروح ويتخلخل ويرقّ فيرى أصغر.

ومنها: انعطاف الشعاع، وبيان ذلك أنّ الخطوط الشعاعيّة الّتي هي على سطح المخروط تنفذ على الاستقامة إلى طرفي المرئيّ إذا كان الشفّاف المتوسّط متشابه الغلظ والرقّة فإن فرض هناك تفاوت بأن يكون ممّا يلي الرائي هواءً وممّا يلي المرئيّ ماءً أو بخاراً، فإنّ تلك الخطوط إذا وصلت إلى ذلك الماء مثلاً انعطفت ومالت إلى سهم المخروط، ثمّ وصلت إلى طرفي المرئيّ، ولو انعكس الفرض مالت الخطوط إلى خلاف جانب السهم، ومن لوازم الانعطاف رؤية الشيء في الماء والبخار أعظم ممّا يرى في الهواء. فإنّ العنبة ترى في الماء كالإجاصة، والكوكب يرى في الأفق أعظم ممّا يرى في وسط السماء. وذلك لأنّ الخطوط إذا انعطفت ومالت إلى جانب السهم تكون زاوية رأس المخروط أعظم منها إذا نفذت الخطوط على الاستقامة، لأنّه يجب أن تتباعد الخطوط بحيث إذا انعطفت ومالت إلى السهم وصلت إلى طرفي المرئيّ، فيكون المرئيّ بها أعظم من المرئيّ بالأخرى.

ومنها: رؤية الشجر على الشطّ منتكساً، وذلك لأنّ الخطوط الشعاعيّة المنعكسة من سطح الماء إلى الشجر إنّما تنعكس إليه على هيئة أوتار الآلة الحدباء المسمّاة بالفارسيّة «جنگ» فإذا كان الشجر على الطرف الآخر من الماء انعكس الشعاع إلى رأس الشجر من موضع أقرب من الرائي، وإلى ما تحت رأسه من موضع أبعدمنه وهكذا، وإذا كان الشجر على طرف الرائي كان الأمر في الانعكاس على عكس ما ذكر. ألا ترى أنّك إذا سترت سطح

الماء من جانبك يستر عنك رأس الشجر في الصورة الأولى وقاعدتها في الصورة الثانية، فيكون الخطّ الشعاعيّ المنعكس إلى رأس الشجر أطول من جميع تلك الخطوط المنعكسة إلى ما دونه، ويكون ما هو أقرب منه أطول ممّا هو أبعد منه على الترتيب، حتّى يكون أقصرها هو المنعكس إلى قاعدة الشجرة، وذلك لتساوي زاويتي الشعاع والانعكاس.

ولنفرض خطّ «اب» عرض النهر وخطّ «ج ب» الشجر القائم على شطّه، و«ه» الحدقة، ونفرض على «اب» نقطتي (د) و«و» وعلى «ج ب» «ح» و«ط» فإذا خرج من «ه» خطٌّ شعاعيّ إلى «و» وآخر إلى (د) وجب أن ينعكس الأوّل إلى نقطة «ط» مثلاً فتكون الزاوية الشعاعية أعني زاوية «ه و ا» كالزاوية الانعكاسية أعني زاوية «ط و ب» وأن ينعكس الآخر إلى نقطة «ح» وتتساوى أيضاً شعاعيّة «ه د ا» وانعكاسيّة «ح د ب».



ثمّ إنّ النفس لا تدرك الانعكاس، لتعوّدها في رؤية المرئيّات بنفوذ الشعاع على الاستقامة، فتحسب الشعاع المنعكس نافذاً في الماء، ولا نفوذ [حينئذ] هناك، إذ ربما لا يكون الماء عميقاً بقدر طول الشجر فيحسب لذلك أنّ رأس الشجر أكثر نزولاً في الماء، لكون الشعاع المنعكس إليه أطول، وكذاالحال في باقي الأجزاء على الترتيب فتراه كأنّه منتكس تحت سطح الماء.

ومنها الشامّة: وهي قوّة منبثّة في زائدتي مقدّم الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي تدرك الروائح بتوسّط الهواء المتكيّف بكيفيّة ذي الرائحة. وقيل: بتبخّر أجزاء لطيفة من ذي الرائحة تختلط بالهواء وتصل معه إلى الخيشوم. وقيل: بفعل ذي الرائحة في الشامّة من غير استحالة في الهواء ولا تبخّر وانفصال أجزاء. وردّ الثاني بأنّ القليل من المسك يشمّ على طول الأزمنة وكثرة الأمكنة من غير نقصان في وزنه وحجمه، والثالث بأنّ المسك قد يذهب به إلى مسافة بعيدة ويحرق ويفنى بالكليّة مع أنّ رائحته تدرك في الهواء الأوّل أزمنة متطاولة. ويؤيّد ذلك ما حكى أرسطو أنّ الرخمة قد انتقلت من مسافة مائتي فرسخ برائحة جيفة من حرب وقع بين اليونانيّين، ودلّهم على انتقالها من تلك المسافة عدم كون الرخمة في تلك الأرض إلاّ في نحو من هذا الحدّ من المسافة. وقد يقال: لعلّ المتحلّل منه أجزاء صغار جدّاً تختلط بجميع تلك الأجزاء الهوائيّة، والاستبعاد غير كاف في المباحث العلميّة. على أنّ الشيخ اعترض عليه في الشفاء بقوله «يجوز أن يكون إدراكها للجيف بالباصرة حين هي محلّقة في الجوّ العالي».

ومنها الذائقة: وهي قوّة منبثّة في العصب المفروش على جرم اللسان، وهي تالية للاّمسة، إذ منفعتها أيضاً في الفعل الّذي به يتقوّم البدن، وهي تشهية الغذاء واختياره وبالجملة يتمكّن به على جذب الملائم ودفع المنافر من المطعومات، كما أنّ اللامسة يتمكّن بها على مثل ذلك من الملموسات. وهي توافق اللامسة في الاحتياج إلى الملامسة وتفارقها في أنّ نفس ملامسة المطعوم لا يؤدّي الطعم كما أنّ نفس ملامسة الحرّ تؤدّي الحرارة، بل تفتقر إلى توسّط الرطوبة اللعابيّة المنبعثة عن الآلة الّتي تسمّى الملعبة ويشترط أن تكون هذه الرطوبة خالية عن مثل طعم المطعوم وضدّه، بل عن غير ما يؤدّي طعم المذوق كما هو إلى الذائقة، فإنّ المريض إذا تكيّف لعابه بطعم الخلط الغالب عليه لا يدرك طعوم الأشياء المأكولة والمشروبة إلاّ مشوبة بذلك الطعوم، فإنّ الممرور إنّما يجد طعم العسل مرّاً.

واختلفوا في أنّ توسّطها إمّا بأن يخالطها أجزاء لطيفة من ذي الطعم ثمّ تغوص هذه الرطوبة معها في جرم اللسان إلى الذائقة، فالمحسوس حينئذ هو كيفيّة ذي الطعم وتكون الرطوبة واسطة لتسهّل وصول جوهر المحسوس الحامل للكيفيّة إلى الحاسّة أو بأن يتكيّف نفس الرطوبة بالطعم بسبب المجاورة فتغوص وحدها فيكون المحسوس كيفيّتها، وعلى التقديرين لا واسطة بين الذائقة ومحسوسها حقيقة بخلاف الابصار المحتاج إلى توسّط الجسم الشفّاف.

ومنها اللامسة: وهي منبثّة في البدن كلّه من شأنها إدراك الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ونحو ذلك، بأن ينفعل عنها العضو اللامس عند الملامسة بحكم الاستقراء. قال الشيخ: أوّل الحواسّ الّذي يصير به الحيوان حيواناً هو اللمس فإنّه كما أنّ للنبات قوّة غاذية يجوز أن يفقد سائر القوى دونها كذلك حال اللامسة للحيوان، لأنّ صلاح مزاجه من الكيفيّات الملموسة وفساده باختلالها، والحسّ طليعة للنفس فيجب أن يكون الطليعة الأولى هو ما يدلّ على ما منع به الفساد ويحفظ به الصلاح، وأن يكون قبل الطلائع الّتي تدلّ على أمور تتعلّق ببعضها منفعة خارجة عن القوام، ومضرّة خارجة عن الفساد. والذوق وإن كان دالاً على الشيء الّذي به يستبقى الحياة من المطعومات فقد يجوز أن يبقى الحيوان بدونه لإرشاد الحواسّ الأخر على الغذاء الموافق واجتناب المضارّ، وليس شيء منها يعين على أنّ الهواء محرق أو مجمد. ولشدّة الاحتياج إليه كان بمعونة الأعصاب سارياً في جميع الأعضاء إلاّ ما يكون عدم الحسّ أنفع له كالكبد والطحال والكلية، لئلاّ تتأذّى بما يلاقيها من الحادّ اللذّاع، فإنّ الكبد مولّد للصفراء والسوداء، والطحال والكلية مصبّان لما فيه لذع؛ وكالرئة فإنّها دائمة الحركة فتتألّم باصطكاك بعضها ببعض؛ وكالعظام فإنّها أساس البدن ودعامة الحركات، فلو أحسّت لتألّمت بالضغط والمزاحمة وبما يرد عليها من المصاكّات.

ثمّ إنّ الجمهور ذهبوا إلى أنّ اللامسة قوّة واحدة بها يدرك جميع الملموسات كسائر

الحواسّ، فإنّ اختلاف المدركات لا يوجب اختلاف الادراكات ليستدلّ بذلك على تعدّد مبادئها وذهب كثير من المحقّقين ومنهم الشيخ إلى أنّها قوى متعدّدة بناء على ما مهّدوه في تكثير القوى من أنّ القوّة الواحدة لا يصدر عنها أكثر من واحد فقالوا: ههنا ملموسات مختلفة الأجناس متضادّة الأجناس فلا بدّ لها من قوى مدركة مختلفة تحكم بالتضادّ بينها، فأثبتوا لكلّ ضدّين منها قوّة واحدة هي الحاكمة بين الحرارة والبرودة، والحاكمة بين الرطوبة واليبوسة، والحاكمة بين الخشونة والملاسة والحاكمة بين اللين والصلابة. ومنهم من زاد الحاكمة بين الثقل والخفّة. قالوا: ويجوز أن يكون لهذه القوى بأسرها آلة واحدة مشتركة بينها وأن يكون هناك في الآلات انقسام غير محسوس، فلذا توهّم اتّحاد القوى.

ويرد عليه أنّ المدرك بالحس هو المتضادّان كالحرارة والبرودة دون التضادّ فإنّه من المعاني المدركة بالعقل أو الوهم، وإذا جاز إدراك قوّة واحدة للضدّين فقد صدر عنها اثنان. فلم لا يجوز أن يصدر عنها ما هو أكثر من ذلك؟ وأيضاً فإنّ الطعوم والروائح والألوان أجناس مختلفة متضادّة مع اتّحاد القوى المدركة لها، وكون التضادّ في ما بين الملموسات أكثر وأقوى لا يجدي نفعاً.

وأما الحواس الباطنة: فهي أيضاً خمس عندهم بشهادة الاستقراء:

الأول الحس المشترك: ويسمّى باليونانيّة «بنطاسيا» أي لوح النفس، وهي قوّة مرتّبة في مقدّم التجويف الأوّل من التجاويف الثلاثة الّتي في الدماغ تقبل جميع الصور المنطبعة في الحواسّ الظاهرة بالتأدّي إليها من طريق الحواسّ، فهو كحوض ينصبُّ فيه أنهار خمسة. واستدلّوا على وجوده بوجوه:

الأول: أنّا نشاهد القطرة النازلة خطّاً مستقيماً، والنقطة الدائرة بسرعة خطّاً مستديراً، وليس ارتسامها في البصر، إذ لا يرتسم فيه إلاّ المقابل وهو القطرة والنقطة، فإذن ارتسامها إنّما يكون في قوّة أُخرى غير البصر حصل فيها الارتسامات المتتالية بعضها ببعض فيشاهد خطّاً.

الثاني: أنّا نحكم ببعض المحسوسات الظاهرة على بعض، كالحكم بأنّ هذا الأبيض هو هذا الحلو، وهذا الأصفر هو هذا الحارّ، وكلّ من الحواسّ الظاهرة لا يحضر عندها إلاّ نوع مدركاتها، فلا بدّ من قوّة يحضر عندها جميع الأنواع ليصحّ الحكم بينها.

الثالث: أنّ المبرسم أي من به المرض المسمّى بذات الجنب إذا قوي مرضه وتعطّلت حواسّه الظاهرة بغلبة المرض يرى أشياء لا تحقّق لها في الخارج على سبيل المشاهدة دون التخيّل، فإنّه قد يرى سباعاً وأشخاصاً حاضرة عنده ولا يراها أحد ممّن سلم حواسّه، وليست هذه الصور مرتسمة في بصره، إذ لا يرتسم فيه إلاّ ما هو موجود مقابل إيّاه. ولمّا كان إدراكها كإدراك ما يرتسم من الخارج بلا فرق عند المدرك دلّ ذلك أيضاً على أنّ الابصار إنّما

هو بالحسّ المشترك، ولمّا كان الابصار بارتسام الصورة في الحسّ المشترك لم يتميّز الحال عند المدرك بين أن يرد عليه الصورة من الخارج كما هو الغالب وبين أن ترد عليه من داخل كما في المبرسم، فإنّه لمّا اشتغل نفسه بمزاولة المرض بحيث تعطّلت حواسّه الظاهرة استولت المتخيّلة ونقشت في لوح الحسّ المشترك صوراً كانت مخزونة في الخيال، وصوراً ركّبتها من الصور المخزونة على طريق انتقاشها فيه من الخارج، ولمّا لم يكن لها شعور بانتقاشها فيه من داخل لم يفرّق بينها وبين الصور المنتقشة فيه من خارج، فيحسب الأشياء الّتي هذه صورها موجودة في الخارج حاضرة عنده كما في الصحّة بلا فرق.

واعترض على الأوّل بأنّه يجوز أن يكون اتّصال الارتسام في الباصرة بأن يرتسم المقابل الآخر قبل أن يزول المرتسم قبله، بسرعة لحوق الثاني وقوّة ارتسام الأوّل، فيكونان معاً. قيل: وهذا مكابرة للقطع بأنّه لا ارتسام في البصر عند زوال المقابلة.

وعلى الثاني بأنّه لا يلزم من عدم كون الارتسام في الباصرة كونه في قوّة أُخرى جسمانيّة لجواز أن يكون في النفس. ألا ترى أنّا نحكم بالكلّيّ على الجزئيّ كحكمنا بأنّ زيداً إنسان مع القطع بأنّ مدرك الكلّيّ هو النفس، ويجوز أن يكون حضورهما عند النفس وحكمها بينهما لارتسامهما في آلتين كما أنّ الحكم بين الكلّيّ والجزئيّ يكون لارتسام الكلّيّ في النفس والجزئيّ في الآلة.

وعلى الثالث أنّه لا يلزم من ذلك وجود حسّ مشترك، غاية الأمر أن لا تكفي الحواسّ الظاهرة لمشاهدة الصور حالتي الغيبة والحضور بل يكون لكلّ حسّ ظاهر حسٌّ باطن.

الثاني الخيال: وهي قوّة مرتّبة في مؤخّر التجويف الأوّل من الدماغ بحسب المشهور، وعند المحقّقين الروح المصبوب في التجويف الأوّل آلة للحسّ المشترك والخيال، إلاّ أنّ المشاهدة اختصّ بما في مقدّمه والتخيّل بما في مؤخّره. وهو يحفظ جميع صور المحسوسات ويمثّلها بعد الغيبة عن الحواسّ المختصّة والحسّ المشترك وهي خزانة الحسّ المشترك لبقاء الصور المحسوسة فيها بعد زوالها عنه. وإنّما جعلت خزانة للحسّ المشترك مع أنّ مدركات جميع الحواسّ الظاهرة تختزن فيها، لأنّ الحواسّ الظاهرة لا تدرك شيئاً بسبب الاختزان بالخيال بل بإحساس جديد من خارج فيفوت معنى الخزانة بالقياس إليها بخلاف الحسّ المشترك، فإنّا إذا شاهدنا صورة في اليقظة أو النوم ثمّ ذهلنا عنها ثمّ شاهدناها مرّة أُخرى نحكم عليها بأنّها هي الّتي شاهدناها قبل ذلك، فلو لم تكن الصور محفوظة لم يكن هذا الحكم، كما لو صارت منسيّة. وإنّما احتيج إلى الحفظ لئلاّ يختلّ نظام العالم إذ يشتبه الضارّ بالنافع إذا لم يعلم أنّه المبصر أولا، وينفسد المعاملات وغيرها.

والدليل على مغايرتها للحسّ المشترك وجهان: أحدهما أنّ قوّة القبول غير قوّة الحفظ فربّ قابل النقش كالماء لم يحفظ، لوجود رطوبة فيه هي شرط سرعة القبول، وعدم اليبس

الّذي هو شرط الحفظ. وثانيهما أنّ استحضار الصور، والذهول عنها من غير نسيان، والنسيان يوجب تغاير القوّتين، ليكون الاستحضار حصول الصورة فيهما، والذهول حصولها في إحداهما دون الأُخرى، والنسيان زوالها عنهما. واعترض عليهما بوجوه وأجابوا منها وهي مذكورة في محالّها.

واحتجّ الرازيّ على إبطال الخيال بأنّ من طاف في العالم ورأى البلاد والأشخاص الغير المعدودة فلو انطبقت صورها في الروح الدماغيّ فإمّا أن يحصل جميع تلك الصور في محلّ واحد فيلزم الاختلاط وعدم التمايز، وإمّا أن يكون لكلّ صورة محلّ فيلزم ارتسام صورة في غاية العظم في جزء في غاية الصغر.

وأجيب بأنّه قياس للصور على الأعيان وهو باطل، فإنّه لا استحالة ولا استبعاد في توارد الصور على محلّ واحد مع تمايزها، ولا في ارتسام صورة العظيم في المحلّ الصغير، وإنّما ذلك في الأعيان الحالّة في محالّها، حلول العرض في الموضوع، أو الجسم في المكان.

الثالث الوهم: وهي القوّة المدركة للمعاني الجزئيّة الموجودة في المحسوسات كالعداوة المعيّنة من زيد، وقيّد بذلك لأنّ مدرك العداوة الكلّيّة هو النفس. والمراد بالمعاني ما لا يدرك بالحواسّ الظاهرة، فيقابل الصور أعني ما يدرك بها. فإدراك تلك المعاني دليل على وجود قوّة بها إدراكها، وكونها ممّا لم يتأدّ من الحواسّ دليل على مغايرتها للحسّ المشترك، وكونها جزئيّة دليل على مغايرتها للنفس الناطقة بناء على أنّها لا تدرك الجزئيّات بالذات. هذا مع وجودها في الحيوانات العجم كإدراك الشاة معنى في الذئب. بقي الكلام في أنّ القوّة الواحدة لمّا جاز أن تكون آلة لإدراك أنواع المحسوسات لم لا يجوز أن تكون آلة لإدراك معانيها أيضاً؟

وأما إثبات ذلك بأنّهم جعلوا من أحكام الوهم ما إذا رأينا شيئاً أصفر فحكمنا بأنّه عسل وحلو فيكون الوهم مدركاً للحلاوة والصفرة والعسل جميعاً ليصحّ الحكم وبأنّ مدرك عداوة الشخص مدرك له ضرورة. فضعيف لأنّ الحاكم حقيقة هو النفس فيكون المجموع من الصور والمعاني حاضراً عندها بواسطة الآلات كلّ منها بآلتها الخاصّة، ولا يلزم كون محلّ الصور والمعاني قوّة واحدة. لكن يشكل بأنّ مثل هذا الحكم قد يكون للحيوانات العجم الّتي لا يعلم وجود النفس الناطقة لها. كذا ذكره في شرح المقاصد.

وقد يستدلّ على وجودها بأنّ في الإنسان شيئاً ينازع عقله في قضاياه، كما يخاف الانفراد بميّت يقتضي عقله الأمن منه، وربما يغلب التخويف على التأمين. فهو قوّة باطنيّة غير عقله. وقيل: محلّ هذه القوّة التجويف الأوسط من الدماغ وآلتها الدماغ كلّه، لأنّها الرئيس المطلق في الحيوان، ومستخدمة سائر القوى الحيوانيّة الّتي مصدر أكثر أفاعيلها الروح الدماغيّ، فيكون كلّ الدماغ آلة. لكنّ الأخصّ بها التجويف الأوسط، لاستخدامها المتخيّلة. ومحلّها

مؤخّر ذلك التجويف ولا يستلزم كون الشيء آلة القوّة كونه محلاً لها، ليلزم توارد القوى على محلّ واحد كما توهّم.

الرابع الحافظة: وهي للوهم كالخيال للحسّ المشترك، ووجه تغايرهما أنّ قوّة القبول غير قوّة الحفظ، والحافظة للمعاني غير الحافظة للصور. والكلام فيه كالكلام في ما تقدّم. ويسمّيها قوم «ذاكرة» إذ بها الذكر، أعني ملاحظة المحفوظ بعد الذهول، و«متذكّرة» إذ بها التذكّر أي الاحتيال لاستعراض الصور بعدما اندرست ومحلّها أوّل التجويف الآخر من الدماغ.

والخامس المتخيلة: المركّبة للصور المحسوسة والمعاني الجزئيّة المتعلّقة بها بعضها عن بعض، والمفصّلة بعضها عن بعض. تركيب الصورة بالصورة كما في قولك «صاحب هذا اللون المخصوص له هذا الطعم المخصوص» وتركيب المعنى بالمعنى كما في قولك «ما له هذه العداوة له هذه النفرة» وتركيب الصورة كما في قولك «هذا اللون ليس هذا (لهذا ظ) الطعم» وقس على هذا. وقال بعضهم: هي مرتّبة في مقدّم التجويف الأوسط من الدماغ، من شأنها تركيب بعض ما في الخيال أو الحافظة من الصور والمعاني مع بعض وتفصيل بعضها عن بعض، فتجمع أجزاء أنواع مختلفة، كجعلها حيواناً من رأس إنسان وعنق جمل وظهر نمر، ويفرّق أجزاء نوع واحد كإنسان بلا رأس، ولا يسكن عن فعلها دائماً لا نوماً ولا يقظة، وهي المحاكية للمدركات والهيئات المزاجيّة، وتنتقل إلى الضدّ والشبيه، فما في القوى الباطنة أشدّ شيطنة منها، ليس من شأنها أن يكون عملها منتظماً، بل النفس هي الّتي تستعملها على أيّ نظام أرادت، فتسمّى عند استعمال النفس إيّاها بواسطة الوهم بالمتخيّلة، وعند استعمالها إيّاها بواسطة القوة العقليّة بالمفكّرة، بها تستنبط العلوم والصناعات، وتقتنص الحدود الوسطى باستعراض ما في الحافظة.

خاتمة: قال بعض المحقّقين: قد علم بالتشريح أنّ للدماغ بطوناً ثلاثة، أعظمها البطن المقدّم، وأصغرها البطن الأوسط، وهو كمنفذ من البطن المقدّم إلى البطن المؤخّر. فآلة الحسّ المشترك هو الروح المصبوب في مقدّم البطن المقدّم، وآلة الخيال هو الروح المصبوب في مؤخّره، ولمّا كان الوهم سلطان القوى الحسّيّة ومستخدماً لسائر القوى الحيوانيّة كان الدماغ كلّه آلة له، وإن كان له اختصاص بآخر التجويف الأوسط. وآلة المتصرّفة مقدّم التجويف الأوسط، وآلة الحافظة مقدّم التجويف الأخير. وأمّا مؤخّر هذا التجويف فلم يودع فيه شيء من هذه القوى، إذ لا حارس هناك من الحواسّ الظاهرة، فلو أودع فيه شيء من هذه القوى لكثر فيه المصادمات الموجبة لاختلال القوّة.

قال المحقّق الشريف: فانظر إلى حكمة الباريء حيث قدّم ما يدرك به الصور الجزئيّة، ووضع تحته ما يحفظها، وأخّر ما يدرك به المعاني المنتزعة من تلك الصور وقرنه بما يحفظها، وأقعد المتصرّف فيهما بينهما فسبحانه جلّت قدرته وعظمت حكمته انتهى..

وهو إشارة إلى ما قيل في تعيين محالّ تلك القوى بطريق الحكمة والغاية، من أنّ الحسّ المشترك ينبغي أن يكون في مقدّم الدماغ ليكون قريباً من الحواسّ الظاهرة فيكون التأدّي إليه سهلاً، والخيال خلفه لأنّ خزانة الشيء ينبغي أن يكون كذلك. ثمّ ينبغي أن يكون الوهم بقرب الخيال ليكون الصور الجزئيّة بحذاء معانيها الجزئيّة، والحافظة بعده لأنّها خزانته، والمتخيّلة في الوسط لتكون قريبة من الصور والمعاني فيمكنها الأخذ منهما بسهولة.

وأما القوى المحركة فعندهم تنقسم إلى فاعلة وباعثة. أمّا الباعثة المسمّاة بالشوقيّة فهي القوّة الّتي إذا ارتسمت في الخيال صورة مطلوبة أو مهروبة عنها حملت القوّة الفاعلة على تحريك آلات الحركة. والشوقيّة ذات شعبتين شهويّة، وغضبيّة. لأنّها إن حملت الفاعلة على تحريك يطلب بها الأشياء المتخيّلة الّتي اعتقد أنّها نافعة سواء كانت ضارّة بحسب الواقع أو نافعة - طلباً لحصول اللّذّة تسمّى قوّة شهوانيّة وإن حملت القوّة الشوقيّة القوى المباشرة على تحريك يدفع به الشيء المتخيّل - ضارّاً كان بحسب الواقع أو مفيداً - دفعاً على سبيل الغلبة تسمّى قوّة غضبيّة.

وأمّا الفاعلة المباشرة للتحريك فهي الّتي من شأنها أن تعدّ العضلات للتحريك. وكيفيّة ذلك الاعداد منها أن تبسط العضل بإرخاء الأعصاب إلى خلاف جهة مبدئها لينبسط العضو المتحرّك، أي يزداد طولاً وينتقص عرضاً؛ أو تقبضه بتمديد الأعصاب إلى جهة مبدئها، لينقبض العضو المتحرّك أي يزداد عرضاً وينتقص طولاً.

ثمّ اعلم أنّ للحركات الاختياريّة مبادىء مترتّبة، أبعدها القوى المدركة الّتي هي الخيال أو الوهم في الحيوان، والعقل بتوسّطهما في الإنسان وفي الفلك - بزعمهم - وتليها القوّة الشوقيّة، وهي الرئيسة في القوّة المحرّكة الفاعلة، كما أنّ الوهم رئيسة في القوى المدركة. وبعد الشوقيّة وقبل الفاعلة قوّة أخرى هي مبدأ العزم والاجماع المسمّاة بالإرادة والكراهة، وهي الّتي تصمّم بعد التردّد في الفعل والترك عند وجود ما يترجّح به أحد طرفيهما المتساوي نسبتهما إلى القادر عليهما.

ويدلّ على مغايرة الشوق للإدراك تحقّق الادراك بدونه، وعلى مغايرة الشوق للاجماع أنّه قد يكون شوق ولا إرادة. وقيل: إنّه لا تغاير بينهما إلاّ بالشدّة والضعف، فإنّ الشوق قد يكون ضعيفاً ثمّ يقوى فيصير عزماً، فالعزم كمال الشوق. وما قيل من أنّه قد يحصل كمال الشوق بدون الإرادة كما في المحرّمات للزاهد المغلوب للشهوة فغير مسلّم، بل الشوق العقليّ فيه إلى جانب الترك أقوى من الميل الشهويّ إلى خلافه. ويدلّ على مغايرة الفاعلة لسائر المبادىء كون الإنسان المشتاق العازم غير قادر على التحريك، وكون القادر على ذلك غير مشتاق.

وقال الشيخ المفيد [قدّس الله روحه] في كتاب «المسائل»: الحسّ كلّه مماسة ما تحسّ به

المحسوس واتّصال به أو بما يتّصل به أو بما ينفصل منه أو بما يتّصل بما ينفصل منه. وذلك كالبصر، فإنّ شعاعه لا بدّ من أن يتّصل بالمبصر أو بما ينفصل منه أو بما يتّصل بما ينفصل منه. ولو كان يحسّ به بغير اتّصال لما ضرّ الساتر والحاجز ولما ضرّت الظلمة، ولكان وجود ذلك وعدمه في وقوع العلم سواء. فإن قال قائل: أفيتّصل شعاع البصر بالمشتري وزحل على بعدهما؟ قيل له: لا، لكنّه يتّصل بالشعاع المنفصل منهما، فيصيران كالشيء الواحد لتجانسهما وتشاكلهما.

وأمّا الصوت فإنّه إذا حدث في أوّل الهواء الّذي يلي الأجسام المصطكّة وكذا في ما يليه من الهواء مثله ثمّ كذلك إلى أن يتولّد في الهواء الّذي يلي الصماخ فيدركه السامع. وممّا يدلّ على ذلك أنّ القصّار يضرب الثوب على الحجر، فترى مماسّة الثوب للحجر ويصل الصوت بعد ذلك. فهذا دالّ على ما قلناه من أنّه يتولّد في هواء بعد هواء إلى أن يتولّد في الهواء الّذي يلي الصماخ.

وأمّا الرائحة فإنّه ينفصل من الجسم ذي الرائحة أجزاء لطاف وتتفرّق في الهواء فما صار منه في الخيشوم الّذي يقرب من موضع ذي الرائحة أدركه.

وأمّا الذوق فإنّه إدراك ما ينحلّ من الجسم فيمازج رطوبة اللسان واللهوات ولذلك لا يوجد طعم ما لا ينحلّ منه الشيء كاليواقيت والزجاج ونحوهما. والطعم والرائحة لا خلاف في أنّهما لا يكونان إلاّ بمماسّة. واللمس في الحقيقة هو طلب الشيء ليشعر به، وحقيقته الشعور. وهذه جملة على اعتقادنا وأبي القاسم البلخيّ وجمهور أهل العدل. وأبو هاشم الجبائيّ يخالف في مواضع منها[1].

وأقول: قال الحكماء [أيضاً]: للنفس الناطقة قوى تشارك بها الحيوان الأعجم والنبات، وقوى أُخرى أخصّ يحصل بها الادراك للجزئيّ، وهي قوى تشارك بها الحيوان الأعجم دون النبات، وهي الحواسّ الخمس الظاهرة والخمس الباطنة، ولها قوّة أُخرى أخصّ من الأوليين لأنّها تختصّ بالإنسان، وهي قوّة يحصل بها الادراك للكلّيّ.

فأمّا القوى الّتي تشارك بها النبات والحيوان الأعجم فأصولها ثلاثة: اثنتان لأجل الشخص، وهما الغاذية، والنامية؛ وواحدة لأجل النوع، وهي المولّدة وهذه القوى الثلاثة تسمّى نباتيّة، لا لاختصاص النبات بها، بل لانحصار قواه فيها وتسمّى طبيعيّة أيضاً.

فأمّا الغاذية فهي الّتي تحيل الغذاء إلى مشاكلة المغتذي، ويتمّ فعلها بأفعال جزئيّة ثلاثة أحدها تحصيل جوهر البدل وهي الدم والخلط الّذي هو بالقوّة القريبة من الفعل؛ وبالإلزاق وهو أن يلصق ذلك الحاصل بالعضو ويجعله جزءاً منه؛ وبالتشبيه بالعضو المغتذي حتّى في

(١) أوائل المقالات، ص ١٣٧.

قوامه ولونه. وقد تخلّ بكلّ واحد من هذه الأفعال الثلاثة أمّا الأوّل فكما في علّة تسمّى «اطروقيا» وهي عدم الغذاء، وأمّا الثاني فكما في الاستسقاء اللحمي، وأمّا الثالث فكما في البرص والبهق، فإنّ البدل والإلصاق موجودان فيهما والتشبيه غير موجود. فهذه الأفعال الثلاثة لا بدّ وأن تكون بقوى ثلاث، لكنّ القوّة الغاذية هي مجموعها أو قوّة أُخرى هي تستخدم كلّ واحدة منها. والقوّة الّتي يصدر منها التشبيه يسمّونها «مغيّرة ثانية» وهي واحدة بالجنس في الإنسان وغيره من المركّبات الّتي لها أجزاء وأعضاء مختلفة بالحقيقة بمنزلة الأعضاء وتختلف بالنوع، إذ في كلّ عضو منها قوّة تغيّر الغذاء إلى تشبيه مخالف لتشبيه قوّة أُخرى.

وأمّا النامية فهي الّتي تداخل الغذاء بين أجزاء المغتذي، فيزيد في الأقطار الثلاثة بنسبة طبيعيّة، بأن يزيد في الأعضاء الأصليّة أعني ما يتولّد عن المنيّ كالعظم والعصب والرباط وغيرها. وبذلك يظهر الفرق بين النموّ والسمن، فإنّ السمن إنّما هو زيادة في الأعضاء المتولّدة من الدم كاللحم والشحم والسمين، لا في الأعضاء الأصليّة. وبقولنا «بنسبة طبيعيّة» يخرج الورم، فإنّه ليس على نسبة طبيعيّة بل خارج عن المجرى الطبيعيّ.

وأمّا المتولّدة فالمراد بها قوّتان فوحدتهما اعتباريّة كما في الغاذية: إحداهما ما يجعل فضلة الهضم الرابع منيّاً، وهذه القوّة فعلها في الانثيين، لأنّ ذلك الدم يصير منيّاً فيها. وثانيهما ما يهيّىء كلّ جزء من المنيّ من الذكر والأُنثى في الرحم بعضو مخصوص، بأن يجعل بعضه مستعدّاً للعظميّة، وبعضه مستعدّاً للعصبيّة. وبعضه للرباطيّة إلى غير ذلك. وهذه القوّة تسمّى «المغيّرة الأولى» وفعلها إنّما يكون حال كون المنيّ في الرحم، ليصادف ذلك فعل القوّة المصوّرة، لأنّها تعدّ موادّ الأعضاء والمصوّرة تلبسها صورها الخاصّة بها.

وإنّما احتيج إلى هذه القوى، أمّا إلى الغاذية فلأنّ بقاء البدن بدون الغذاء محال، لأنّ البدن إنّما يمكن تكوّنه من جسم رطب ليكون قابلاً للتشكيل والتمديد ولا بدّ من حرارة عاقدة منضجة محلّلة للفضول يلزمها لا محالة أن تحلّل الرطوبة ويعينها على ذلك الهواء الخارجيّ والحركات البدنيّة والنفسانيّة. فلولا أنّ الغذاء يخلف بدل ما يتحلّل منه لم يمكن بقاؤه مدّة تمام التكوّن فضلاً عمّا بعد ذلك. وليس يوجد في الخارج جسم إذا مسّ جسد الإنسان استحال بطبيعته، فلا بدّ إذن من أن يكون للنفس قوّة من شأنها أن تحيل الوارد إلى مشابهة جوهر أعضاء البدن ليخلف بذلك بدل ما يتحلل منه، وهي القوّة الغاذية.

وأمّا إلى المولّدة فلما ثبت من أنّ الموت ضروريّ، وحدوث الإنسان بالتولّد ممّا يندر وجوده، فوجب أن يكون للنفس قوّة تفصل من المادّة الّتي تحصّلها الغاذية ما بعده مادّة لشخص آخر، ولمّا كانت المادّة المنفصلة أقلّ من المقدار الواجب لشخص كامل جعلت النفس ذات قوّة تضيف من المادّة الّتي تحصّلها الغاذية شيئاً فشيئاً إلى المادّة المفصولة، فيزيد

بها مقدارها في الأقطار على تناسب طبيعيّ يليق بأشخاص ذلك النوع إلى أن يتمّ الشخص.

وتخدم الغاذية قوى أربع، هي: الجاذبة، والماسكة، والهاضمة، والدافعة. أمّا الاحتياج إلى الجاذبة فظاهر، لأنّ الغذاء لا يمكن أن يصل بنفسه إلى جميع الأعضاء، لأنّه لا يخلو إمّا أن يكون ثقيلاً فلا يصل إلى الأعضاء العالية، وإمّا أن يكون خفيفاً فلا يصل إلى الأعضاء السافلة ووجودها في بعض الأعضاء معلوم بالحسّ فإنّ المتنكس إذا اشتدتّ حاجته إلى الغذاء يجده ينجذب من فمه إلى المعدة من غير إرادته، بل مع إرادة إمساكه في فمه. وأيضاً إنّ الحلو يخرج بالقيء بعد غيره وإن تناوله أوّلاً، وما ذلك إلاّ بجذب المعدة اللذيذ إلى قعرها. وأيضاً الرحم إذا كانت خالية عن الفضول بعيدة العهد من الجماع يحسّ الإنسان وقت الجماع أنّ إحليله ينجذب إلى الداخل.

وأمّا إلى الماسكة فلأنّ الغذاء لا بدّ فيه من الاستحالة حتّى يصير شبيهاً بجوهر المغتذي، والاستحالة حركة، وكلّ حركة في زمان، فلا بدّ من زمان في مثله يستحيل الغذاء إلى جوهر المغتذي. ولأنّ الخلط جسم رطب سيّال استحال أن يقف بنفسه زماناً، فلا بدّ من قاسر يقسره على الوقوف، وذلك القاسر هو الماسكة. ووجودها في بعض الأعضاء معلوم بالحسّ، فإنّ أرباب التشريح قالوا: إذا شرّحنا الحيوان حال ما تناول الغذاء وجدنا معدته محتوية على الغذاء بحيث لا يمكن أن يسيل من ذلك الغذاء شيء. وأيضاً قالوا: إذا شققنا بطن الحامل من تحت السرّة وجدنا رحمها منضمّة انضماماً شديداً بحيث لا يسع أن يدخل فيها طرف الميل. وأيضاً فإنّ المنيّ إذا استقرّ في الرحم لا ينزل عنها مع ثقله.

وأمّا إلى الهاضمة فلأنّ إحالة القوّة المغيّرة إنّما يكون لما هو متقارب الاستعداد للصورة العضويّة، وإنّما يكون ذلك بعد فعل القوّة الّتي تجعله متقارب الاستعداد، وتلك هي القوّة الهاضمة.

ومراتب الهضم أربع: أوّلها في المعدة، فإنّ الغذاء يصير فيها كيلوساً أي جوهراً شبيهاً بماء الكشك الثخين إمّا بمخالطة المشروب وذلك في أكثر الحيوانات وإمّا بلا مخالطة المشروب كما في جوارح الصيد. وابتداء ذلك الهضم في الفم، ولهذا كانت الحنطة الممضوغة تفعل في إنضاج الدماميل ما لا تفعله المطبوخة ولا المدقوقة المخلوطة باللعاب وثانيها في الكبد، فإنّ الكيلوس إذا تمّ انهضامه في المعدة انجذبت لطائفه بالعروق المسمّاة بالماساريقا إلى الكبد، وتداخلت في العروق المتصغّرة المتضائلة المنتشرة في جميع أجزاء الكبد بحيث يلاقي الكبد بكليّته الكيلوس، فينهضم هناك انهضاماً ثانياً، وتنخلع صورته النوعيّة الغذائيّة ويستحيل إلى الأخلاط ويسمّى كيموساً، وابتداء هذاالهضم في الماساريقا. وثالثها في العروق، وابتداؤه من حين صعود الخلط في العرق العظيم الطالع من حدبة الكبد. ورابعها في الأعضاء وابتداؤه من حين ما ترشح الدم من فوهات العروق.

وأمّا إلى الدافعة فلأنّه ليس غذاء يصير بتمامه جزءاً من المغتذي، بل يفضل منه ما يضيّق المكان، ويمنع ما يرد من الغذاء عن الوصول إلى الأعضاء، ويوجب ثقل البدن، بل يَفسد ويُفسد، فلا بدّ من قوّة تدفع تلك الفضلات. ووجودها ظاهر عند الحسّ في حال التبرُّز والقيء وإراقة البول.

وقد تتضاعف هذه القوى لبعض الأعضاء كما للمعدة، فإنّ فيها الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة بالنسبة إلى غذاء جميع البدن، وفيها أيضاً هذه القوى بالنسبة إلى ما تغتذي به خاصّة.

ثمّ اعلم أنّ الحكماء عدّوا من القوى المولّدة القوّة المصوّرة، وأنكرها جماعة منهم المحقّق الطوسيّ - قدّس سرّه - والفخر الرازيّ والغزاليّ وغيرهم. قال في المقاصد: المولّدة هي قوّة شأنها تحصيل البزر، وتفصيله إلى أجزاء مختلفة وهيئات مناسبة، وذلك بأن يفرز جزءاً من الغذاء بعد الهضم التامّ ليصير مبدءاً لشخص آخر من نوع المغتذي أو جنسه. ثمّ يفصل ما فيه من الكيفيّات المزاجيّة، فيمزّجها تمزيجات بحسب عضو عضو، ثمّ يفيده بعد الاستحالات، الصور والقوى والأعراض الحاصلة للنوع الّذي انفصل عنه البزر أو لجنسه كما في البغل. والمحقّقون على أنّ هذه الأفعال مستندة إلى قوى ثلاث بيّنوا حالها على ما عرفت في الإنسان وكثير من الحيوانات:

الأولى: التي تجذب الدم إلى الانثيين وتتصرّف فيه إلى أن يصير منيّاً، وهي لا تفارق الأنثيين وتخصّ باسم المحصّلة.

والثانية: الّتي تتصرّف في المنيّ فتفصل كيفيّاتها المزاجيّة وتمزّجها تمزيجات بحسب عضو عضو، فتعيّن للعصب مثلاً مزاجاً خاصّاً، وللشريان مزاجاً خاصّاً وللعظم مزاجاً خاصّاً، وبالجملة تعدّ موادّ الأعضاء، وتخصّ هذه باسم المفصّلة والمغيّرة الأولى. تمييزاً عن المغيّرة الّتي هي من جملة الغاذية.

والثالثة: الّتي تفيد تمييز الأجزاء وتشكيلها على مقاديرها وأوضاع بعضها عن بعض وكيفيّاتها، وبالجملة تلبس كلّ عضو صورته الخاصّة به (وبها ظ) يستكمل وجود الأعضاء وهذه تخصّ باسم المصوّرة، وفعلها إنّما يكون في الرحم - انتهى..

وقال المحقّق الطوسيّ - قدّس سرّه -: والمصوّرة عندي باطلة، لاستحالة صدور هذه الأفعال المحكمة المركّبة عن قوّة بسيطة ليس لها شعور أصلاً - انتهى..

والغزاليّ بالغ في ذلك حتّى أبطل القوى مطلقاً، وادّعى أنّ الأفعال المنسوبة إلى القوى صادرة عن ملائكة موكّلة بهذه الأفعال تفعلها بالشعور والاختيار، كما هو ظاهر النصوص الواردة في هذا الباب.

وقال الشارح القوشجيّ بعد إيراد الكلام المتقدّم: يرد عليه أنّا لا نسلّم أنّ المصوّرة قوّة

واحدة بسيطة، لم لا يجوز أن تكون وحدتها بالجنس؟ كما أنّ المغيّرة واحدة بالجنس مختلفة بالنوع. ولو سلّم فلم لا يجوز أن يكون صدور هذه الأفعال عنها بحسب استعداد المادّة؟ فإنّ المنيّ إنّما يحصل من فضلة الهضم الرابع في الأعضاء، ففضلة هضم كلّ عضو إنّما تستعدّ لصورة ذلك العضو.

لكنّ الانصاف أنّ تلك الأفعال المتقنة المحكمة على النظام المشاهد من الصور العجيبة والأشكال الغريبة والنقوش المؤتلفة والألوان المختلفة وما روعي فيها من حِكَم ومصالح لقد تحيّرت فيها الأوهام، وعجزت عن إدراكها العقول والأفهام، قد بلغ المدوَّن منها - كما علم في علم التشريح ومنافع خلقة الناس - خمسة آلاف، مع أنّ ما لم يعلم منها أكثر ممّا قد علم، كما لا يخفى على ذي حدس كامل. كما لا يكاد يذعن العقل بصدورها عن القوّة الّتي سمّوها «مصوّرة» وإن فرضنا كونها مركّبة والموادّ مختلفة، بل يحكم بأنّ أمثال تلك الأمور لا يمكن أن تصدر إلّا عن حكيم عليم خبير قدير.

ثمّ أطال الكلام في الاعتراض على دلائلهم في إثبات تلك القوى وتعدّدها تركناها مخافة الإطناب والاسهاب.

٤٨ - باب ما به قوام بدن الإنسان وأجزائه وتشريح أعضائه ومنافعها وما يترتب عليها من أحوال النفس

١ - **العلل:** عن محمّد بن شاذان بن عثمان بن أحمد البراوذيّ، عن محمّد بن محمّد بن الحرث بن سفيان السمرقنديّ. عن صالح بن سعيد الترمذيّ، عن عبد المنعم بن إدريس، عن أبيه، عن وهب بن منبّه أنّه وجد في التوراة صفة خلق آدم عليه السلام حين خلقه الله عزّ وجلّ وابتدعه. قال الله تبارك وتعالى: إنّي خلقت آدم وركّبت جسده من أربعة أشياء، ثمّ جعلتها وراثة في ولده تنمى في أجسادهم وينمون عليها إلى يوم القيامة. وركّبت جسده حين خلقته من رطب ويابس وسخن وبارد، وذلك أنّي خلقته من تراب وماء، ثمّ جعلت فيه نفساً وروحاً، فيبوسة كلّ جسد من قبل التراب، ورطوبته من قبل الماء، وحرارته من قبل النفس، وبرودته من قبل الروح. ثمّ خلقت في الجسد بعد هذا الخلق الأوّل أربعة أنواع، وهنّ ملاك الجسد وقوامه بإذني، لا يقوم الجسد إلّا بهنّ، ولا تقوم منهنّ واحدة إلّا بالأخرى، منها المرّة السوداء، والمرّة الصفراء، والدم، والبلغم، ثمّ أسكن بعض هذا الخلق في بعض، فجعل مسكن اليبوسة في المرّة السوداء، ومسكن الرطوبة في المرّة الصفراء، ومسكن الحرارة في الدم، ومسكن البرودة في البلغم. فأيّما جسد اعتدلت به هذه الأنواع الأربع الّتي جعلتها ملاكه وقوامه وكانت كلّ واحدة منهنّ أربعاً لا تزيد ولا تنقص كملت صحّته واعتدل بنيانه، فإن زاد منهنّ واحدة عليهنّ فقهرتهنّ ومالت بهنّ ودخل [على] البدن السقم من ناحيتها بقدر ما زادت، وإذا كانت ناقصة نقل عنهنّ حتّى تضعف من طاقتهنّ

وتعجز عن مقارنتهنّ وجعل عقله في دماغه، وشرهه في كليته، وغضبه في كبده، وصرامته في قلبه ورغبته في رئته، وضحكه في طحاله، وفرحه وحزنه وكربه في وجهه. وجعل فيه ثلاثمائة وستّين مفصلاً.

قال وهب: فالطبيب العالم بالداء والدواء يعلم من حيث يأتي السقم، من قبل زيادة تكون في إحدى هذه الفطر الأربع أو نقصان منها، ويعلم الدواء الّذي به يعالجهنّ، فيزيد في الناقصة منهنّ أو ينقص من الزائدة، حتّى يستقيم الجسد على فطرته، ويعتدل الشيء بأقرانه.

ثمّ تصير هذه الأخلاق الّتي ركّب عليها الجسد فطراً عليه تُبنى أخلاق بني آدم وبها توصف. فمن التراب العزم. ومن الماء اللين، ومن الحرارة الحدّة، ومن البرودة الأناة. فإن مالت به اليبوسة كان عزمه القسوة، وإن مالت به الرطوبة كان لينه مهانة، وإن مالت به الحرارة كانت حدّته طيشاً وسفهاً، وإن مالت به البرودة كانت أناته ريباً وبلداً. فإن اعتدلت أخلاقه وكنّ سواءاً واستقامت فطرته كان حازماً في أمره، ليّناً في عزمه، حاداً في لينه، متأنّياً في حدّته، لا يغلبه خلق من أخلاقه ولا يميل به، من أيّها شاء استكثر ومن أيّها شاء أقلّ، ومن أيّها شاء عدل، ويعلم كلّ خلق منها إذا علا عليه بأيّ شيء يمزجه ويقوّمه، فأخلاقه كلّها معتدلة كما يجب أن يكون.

فمن التراب قسوته وبخله وحرصه وفظاظته وبرمه وشحّه وبأسه وقنوطه وعزمه وإصراره؛ ومن الماء كرمه ومعروفه وتوسّعه وسهولته وتوسّله وقربه وقبوله ورجاؤه واستبشاره. إذا خاف ذو العقل أن يغلب عليه أخلاق التراب ويميل به ألزم كلّ خلق منها خلقاً من أخلاق الماء يمزجه به بلينه: يلزم القسوة اللين، والحصر التوسّع، والبخل العطاء، والفظاظة الكرم، والبرم الترسّل، والشحّ السماح، واليأس الرجاء، والقنوط الاستبشار، والعزم القبول، والإصرار القرب.

ثمّ من النفس حدّته وخفّته وشهوته ولهوه ولعبه وضحكه وسفهه وخداعه وعنفه وخوفه؛ ومن الروح حلمه ووقاره وعفافه وحياؤه وبهاؤه وفهمه وكرمه وصدقه ورفقه وكبره. وإذا خاف ذو العقل أن تغلب عليه أخلاق النفس وتميل به ألزم كلّ خلق منها خلقاً من أخلاق الروح يقوّمه به: يلزم الحدّة الحلم، والخفّة الوقار، والشهوة العفاف، واللعب الحياء، والضحك الفهم، والسفه الكرم، والخداع الصدق، والعنف الرفق، والخوف الصبر.

ثمّ بالنفس سمع ابن آدم وأبصر، وأكل وشرب، وقام وقعد، وضحك وبكى، وفرح وحزن؛ وبالروح عرف الحقّ من الباطل، والرشد من الغيّ، والصواب من الخطأ، وبه علم وتعلّم وحكم وعقل واستحيى وتكرّم وتفقّه وتفهّم وتحذّر وتقدّم. ثمّ يقرن إلى أخلاقه عشرة خصال أخرى: الايمان، والحلم، والعقل، والعلم، والعمل، واللين، والورع، والصدق، والصبر، والرفق. ففي هذه الأخلاق العشر جميع الدين كلّه. ولكلّ خلق منها عدوّ: فعدوّ

الايمان الكفر، وعدوّ الحلم الحمق، وعدوّ العقل الغيّ، وعدوّ العلم الجهل، وعدوّ العمل الكسل، وعدوّ اللين العجلة، وعدوّ الورع الفجور، وعدوّ الصدق الكذب، وعدوّ الصبر الجزع، وعدوّ الرفق العنف. فإذا وهن الايمان تسلّط عليه الكفر وتعبّده وحال بينه وبين كلّ شيء يرجو منفعته، وإذا صلب الإيمان وهن له الكفر وتعبّد واستكان واعترف الايمان. وإذا ضعف الحلم علا الحمق وحاطه وذبذبه وألبسه الهوان بعد الكرامة، وإذا استقام الحلم فضح الحمق وتبيّن عروته وأبدى سوأته وكشف ستره وأكثر مذمّته. فإذا استقام اللّين تكرّم من الخفّة والعجلة واطّردت الحدّة، وظهر الوقار والعفاف وعرفت السكينة، وإذا ضعف الورع تسلّط عليه الفجور وظهر الاثم وتبيّن العدوان وكثر الظلم ونزل الحمق وعمل بالباطل وإذا ضعف الصدق كثر الكذب وفشت الفرية وجاء الإفك بكلّ وجه البهتان. وإذا حصل الصدق اختسأ الكذب وذلّ وصمت الإفك وأميتت الفرية وأهين البهتان، ودنا البرّ واقترب الخير وطردت الشرّة. وإذا وهن الصبر وهن الدين وكثر الحزن ورهق الجزع وأميتت الحسنة وذهب الأجر. وإذا صلب الصبر خلص الدين وذهب الحزن وأُخّر الجزع وأُحييت الحسنة وعظم الأجر وتبيّن الحزم وذهب الوهن. وإذا ترك الرفق ظهر الغشّ وجاءت الفظاظة واشتدّت الغلظة وكثر الغشم وترك العدل وفشا المنكر وترك المعروف وظهر السفه ورفض الحلم وذهب العقل وترك العلم وفتر العمل ومات اللين وضعف الصبر وغلب الورع ووهن الصدق وبطل تعبّد أهل الايمان.

فمن أخلاق العقل عشرة أخلاق صالحة: الحلم، والعلم، والرشد، والعفاف، والصيانة، والحياء، والرزانة، والمداومة على الخير، وكراهة الشرّ، وطاعة الناصح. فهذه عشرة أخلاق صالحة، ثمّ يتشعّب كلّ خلق منها عشر خصال: فالحلم يتشعّب منه حسن العواقب، والمحمدة في الناس، وتشرّف المنزلة، والسلب عن السلفة، وركوب الجميل، وصحبة الأبرار، والارتداع عن الضيعة، والارتفاع عن الخساسة، وشهرة اللين، والقرب من معالي الدرجات. ويتشعّب من العلم الشرف وإن كان دنيّاً، والعزّ وإن كان مهيناً، والغنى وإن كان فقيراً، والقوّة وإن كان ضعيفاً، والنبل وإن كان حقيراً، والقرب وإن كان قصيّاً والجود وإن كان بخيلاً، والحياء وإن كان صلفاً، والمهابة وإن كان وضيعاً، والسلامة وإن كان سفيهاً. ويتشعّب من الرشد السداد، والهدى والبرّ، والتقوى، والعبادة، والقصد والاقتصاد، والقناعة، والكرم، والصدق. ويتشعّب من العفاف الكفاية والاستكانة والمصادقة والمراقبة والصبر والنصر واليقين والرضا والراحة والتسليم. ويتشعّب من الصيانة الكفّ والورع وحسن الثناء والتذكية والمروءة والكرم والغبطة والسرور والمنهي والتفكّر. ويتشعّب من الحياء اللين والرأفة والرحمة والمداومة والبشاشة والمطاوعة وذلّة النفس والنهى والورع وحسن الخلق. ويتشعّب من المداومة على الخير الصلاح والاقتصاد

والعزّ والإخبات والإنابة والسؤدد والأمن والرضا في الناس وحسن العاقبة. ويتشعّب من كراهة الشرّ حسن الأمانة وترك الخيانة واجتناب السوء وتحصين الفرج وصدق اللسان والتواضع والتضرّع لمن هو فوقه، والانصاف لمن هو دونه، وحسن الجوار، ومجانبة إخوان السوء. ويتشعّب من الرزانة التوقّر والسكون والتأنّي والعلم والتمكين والحظوة والمحبّة والفلج والزكاية والانابة. ويتشعّب من طاعة الناصح زيادة العقل وكمال اللبّ ومحمدة الناس والامتعاض من اللؤم والبعد من البطش واستصلاح الحال ومراقبة ما هو نازل والاستعداد للعدوّ والاستقامة على المنهاج والمداومة على الرشاد. فهذه مائة خصلة من أخلاق العاقل(١).

بيان: «الصرامة» بالصاد المهملة: الشجاعة والحدّة والعزم، وفي بعض النسخ بالمعجمة من «ضرم» - كفرح -: اشتدّ جوعه، أو من «ضرم عليه» احتدّ غضباً في وجهه أي تظهّر فيه. وفي القاموس: التبلّد التجلّد، بلد - ككرم وفرح - فهو بليد وأبلد. وقال: الحصر - كالنصر والضرب -: التضييق، وبالتحريك ضيق الصدر والبخل والعيّ في المنطق. وقال: الفظّ: الغليظ الجانب، السيّء الخلق القاسي الخشن الكلام، فظّ بيّن الفظاظة والفظاظ بالكسر.

قوله «يلزم القسوة اللين - الخ» أي يختار الوسط بينهما ويكسر سورة كلّ منهما بالآخر، وهي العدالة المطلوبة في الأخلاق، أو يستعمل كلاً منهما في موقعه كما قال تعالى في وصف أمير المؤمنين عليه السلام وأضرابه ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٢) وهو التخلّق بأخلاق ربّ العالمين كما قال سبحانه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾(٣).

«والبرم التوسّل» أي التقرّب إلى الناس أو إلى الله بالصبر على أخلاق الناس، ولعلّه كان بالراء وهو الاستئناس، فإنّه أنسب. «والعزم القبول» أي إذا عزم في أمر فنصحه صادق يقبل منه. «والإصرار القرب» أي من الله بالتوبة أو الأعمّ، قوله «وكبره» أي على أعداء الدين، والظاهر «صبره» كما يظهر من قوله «والخوف الصبر» ويحتمل أن يكون التصحيف في ما سيأتي، ويكون المراد بالكبر الشجاعة لمقابلة الخوف.

ثمّ الظاهر أنّ المراد بالنفس في هذا الحديث الروح الحيوانيّ، وبالروح الناطقة. ونسبة البرد إليها لأنّه يلزم تعلّقها تحرّك النفَس الّذي يحصل البرد بسببه. و«تقدم» أي إلى الخير والسعادة والكمال. وفي القاموس: الذبذبة تردّد الشيء المعلّق في الهواء وحماية الجوار والأهل، وايذاء الخلق والتحريك. وقال: تكرّم عنه: تنزّه. وقال: الطرد: الابعاد. وقال: خسأ الكلب طرده. و«صمت للإفك» أي عنه. وشرّة الشباب - بالكسر -: نشاطه والرزانة:

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١١١ باب ٩٦ ح ٩. (٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.
(٣) سورة الحجر، الآيتان: ٤٩-٥٠.

الوقار، والارتداع: الانزجار، ولا يبعد أن يكون مكان الضيعة الضعة، كما مرّ في كتاب العقل. وفي القاموس: الصلف - بالتحريك -: التكلّم بما يكرهه صاحبك، والتمدّح بما ليس عندك، أو مجاوزة حدّ الظرف، والادّعاء فوق ذلك تكبّراً (انتهى) «والمنالة» لعلّ المراد بها الدرجة الّتي تنال بها أشرف المقاصد من القرب والفوز والسعادة؛ من النيل: الاصابة. والإخبات: الخشوع والخضوع للربّ تعالى. والحظوة بالضمّ والكسر -: المكانة والمنزلة والفلح - بالمهملة محرّكة - والفلاح: الفوز والنجاة والبقاء في الخير، وبالمعجمة بالفتح: الظفر والفوز، والاسم بالضمّ. والزكاية: النموّ والطهارة، وفي بعض النسخ «الركانة» بالراء المهملة والنون، وهي العلوّ والرفعة والوقار، ولعلّه أصوب. وفي القاموس: معض من الأمر - كفرح غضب وشقّ عليه، فهو ماعض ومعض، وأمعضه ومعّضه تمعيضاً فامتعض.

أقول: إنّما لم نعط شرح هذا الخبر حقّه لأنّه من الأخبار العاميّة المنسوبة إلى أهل الكتاب، وقد مرّ قريب منه في كتاب العقل، وشرحناه هناك بما ينفع في هذا المقام.

٢ - **الخصال:** عن محمّد بن موسى بن المتوكّل، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن محمّد بن أحمد الأشعريّ، عن الحسن بن الحسين اللؤلؤيّ عن عليّ بن الحسن الطاطريّ، عن سعيد بن محمّد، عن درست، عن أبي الأصبغ. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بني الجسد على أربعة أشياء: الروح: والعقل، والدم، والنفس. فإذا خرج الروح تبعه العقل فإذا رأى الروح شيئاً حفظه عليه العقل، وبقي الدم والنّفس(١).

بيان: كأنّ المراد بالروح النفس الناطقة وبالعقل الحالات والصفات الحالّة فيها ولا بقاء لها منها في العلوم والادراكات، فإذا فارق الروح البدن تبعتها تلك الأحوال لأنّها في البرزخ لا تفارقها العلوم والمعارف، بل تترقّى فيها كما يظهر من الأخبار وبالنفس الروح الحيوانيّة فهي مع الدم الحامل لها تبقيان في البدن وتضمحلاّن. وقوله «فإذا رأى الروح» أي بعد مفارقة البدن، والرؤية بمعنى العلم أو بعين الجسد المثاليّ.

٣ - **الخصال:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قوام الإنسان وبقاؤه بأربعة: بالنار والنور والريح والماء. فبالنار يأكل ويشرب، وبالنور يبصر ويعقل، وبالريح يسمع ويشمّ، وبالماء يجد لذّة الطعام والشراب فلولا النار في معدته لما هضمت الطعام والشراب، ولولا أنّ النور في بصره لما أبصر ولا عقل ولولا الريح لما التهبت نار المعدة، ولولا الماء لم يجد لذّة الطعام والشراب. وقال: وسألته عن النيران: فقال: النيران أربعة: نار تأكل وتشرب ونار تأكل ولا تشرب، ونار

(١) الخصال، ص ٢٢٦-٢٢٧ باب ٤ ح ٦١.

تشرب ولا تأكل. ونار لا تأكل ولا تشرب. فالنار الّتي تأكل وتشرب [فنار] ابن آدم وجميع الحيوان، والّتي تأكل ولا تشرب فنار الوقود، والّتي تشرب ولا تأكل فنار الشجرة والّتي لا تأكل ولا تشرب فنار القداحة والحباحب(١).

بيان «فبالنار يأكل ويشرب» أي بالحرارة الغريزيّة الّتي تتولّد من النار ويسمّونها نار الله، والمراد بالنور إمّا نور البصر أو الأعمّ منه ومن سائر القوى والمشاعر، فإنّ النور ما يصير سبباً لظهور الأشياء كما عرفت مراراً. «وبالريح يسمع ويشمّ» لأنّ الهواء حامل للصوت والكيفيّات المشمومة. «وبالماء يجد لذّة الطعام والشراب» أي الماء الّذي في الفم، فإنّه الموصل للكيفيّات المذوقة إلى الذائقة كما مرّ. «فلولا النار في معدته» أي الحرارة المفرطة. «فنار ابن آدم» أي الحرارة الغريزيّة فإنّها الداعية إلى الأكل والشرب وتحيل المأكول والمشروب. «فنار الوقود» أي النيران الّتي توقدها الناس فإنّها تأكل الحطب وكلّ ما تقع فيه. أي تحيلها وتكسرها، ولا تشرب لأنّ الماء غالباً يطفئها. «والّتي تشرب ولا تأكل فنار الشجرة» أي النار الّتي تورى من الشجر الأخضر كما مرّ في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾(٢) فإنّها تشرب الماء الّذي يسقى الشجر، ولا تأكل أي لا تحيل شيئاً ترد عليه بحرارتها وقد مرّ الكلام فيها. وفي القاموس: قدح بالزند: رام الايراء به كاقتدح، والمقدح والقداح والمقداح حديدته، والقدّاح والقدّاحة حجره. وقال الجوهريّ: الحباحب اسم رجل بخيل كان لا يوقد إلاّ ناراً ضعيفة مخافة الضيفان، فضربوا بها المثل حتّى قالوا نار الحباحب لما تقدحه الخيل بحوافرها (انتهى). ولعلّ المعنى أنّها لما كانت تخرج من بين الحديد والحجر ولا ينفذ الماء فيهما ولا يحيلان شيئاً فكأنّها لا تأكل ولا تشرب. وقد مرّ الكلام فيه من باب النار.

٤ - **العيون**: عن هاني بن محمّد بن محمود العبديّ عن أبيه بإسناده رفعه أنّ موسى بن جعفر عليه السلام دخل على الرشيد، فقال له الرشيد: يا ابن رسول الله: أخبرني عن الطبائع الأربع. فقال موسى عليه السلام: أمّا الريح فإنّه ملك يدارى؛ وأمّا الدم فإنّه عبد عارم وربما قتل العبد مولاه؛ وأمّا البلغم فإنّه خصم جدل، إن سددته من جانب انفتح من آخر؛ وأمّا المرّة فإنّها أرض إذا اهتزّت رجفت بما فوقها. فقال له هارون: يا ابن رسول الله، تنفق على الناس من كنوز الله ورسوله(٣).

بيان: يحتمل أن يكون المراد بالريح المرّة الصفراء لحدّتها ولطافتها وسرعة تأثيرها، فينبغي أن يدارى لئلاّ تغلب وتهلك؛ أو المراد بها الروح الحيوانيّة، وبالمرّة، الصفراء والسوداء معاً، فإنّه تطلق عليهما المرّة، فيكون اصطلاحاً آخر في الطبائع وتقسيماً آخر لها.

---

(١) الخصال، ص ٢٢٧ باب ٤ ح ٦٢. (٢) سورة يس، الآية: ٨٠.

(٣) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٧٨ باب ٧ ح ٨.

و«العارم» سيّىء الخلق الشديد، يقال: عرم الصبيّ علينا، أي أشر ومرح، أو بطر أو فسد ولعلّ المعنى أنّه خادم للبدن نافع له لكن ربما كانت غلبته سبباً للهلاك، فينبغي أن يصلح ويكون الإنسان على حذر منه. «فإنّه خصم جدل» كناية عن بطء علاجه وعدم اندفاعه بسهولة. «إذا اهتزّت» أي غلبت وتحرّكت «رجفت بما فوقها» كما في حمّى النائبة من الغبّ والربع وغيرهما، فإنّها تزلزل البدن وتحرّكه. ورأيت مثل هذا الكلام في كتب الأطبّاء والحكماء الأقدمين.

٥ - **العيون والعلل**: عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن أبي عبدالله البرقيّ عن غير واحد، عن أبي طاهر بن أبي حمزة، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: الطبائع أربع: فمنهنّ البلغم، وهو خصم جدل؛ ومنهنّ الدم، وهو عبد وربما قتل العبد سيّده، ومنهنّ الريح، وهو ملك يدارى، ومنهنّ المرّة، وهيهات وهيهات، هي الأرض إذا ارتجت ارتجت بما عليها(١).

٦ - **العلل**: عن عليّ بن أحمد، عن محمّد بن أبي عبد الله الكوفيّ، عن موسى بن عمران النخعيّ، عن عمّه الحسين بن يزيد، عن إسماعيل بن أبي زياد السكونيّ، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّما صار الإنسان يأكل ويشرب بالنار. ويبصر ويعمل بالنور، ويسمع ويشمّ بالريح، ويجد لذّة الطعام والشراب بالماء. ويتحرّك بالروح. ولولا أنّ النار في معدته ما هضمت - أو قال: حطمت - الطعام والشراب في جوفه ولولا الريح ما التهبت نار المعدة ولا خرج الثفل من بطنه، ولولا الروح ما تحرّك ولا جاء ولا ذهب، ولولا برد الماء لأحرقته نار المعدة، ولولا النور ما أبصر ولا عقل. فالطين صورته، والعظم في جسده بمنزلة الشجر في الأرض والدم في جسده بمنزلة الماء في الأرض ولا قوام للأرض إلاّ بالماء، ولا قوام لجسد الإنسان إلاّ بالدم، والمخّ دسم الدم وزبده. فهكذا الإنسان خلق من شأن الدنيا وشأن الآخرة، إذا جمع الله بينهما صارت حياته في الأرض، لأنّه نزل من شأن السماء إلى الدنيا، فإذا فرّق الله بينهما صارت تلك الفرقة الموت، تردّ شأن الأخرى إلى السماء، فالحياة في الأرض، والموت في السماء، وذلك أنّه يفرّق بين الأرواح والجسد، فردّت الروح والنور إلى القدرة الأولى وترك الجسد لأنّه من شأن الدنيا. وإنّما [فسد] الجسد في الدنيا لأنّ الريح تنشف الماء فييبس، فيبقى الطين فيصير رفاتاً ويبلى ويرجع كلّ إلى جوهره الأوّل. وتحرّكت الروح بالنفس حركتها من الريح، فما كان من نفس المؤمن فهو نور مؤيّد بالعقل، وما كان من نفس الكافر فهو نار مؤيّد بالنكراء، فهذه صورة نار، وهذه صورة نور. والموت رحمة من الله عزّ وجلّ لعباده المؤمنين، ونقمة على الكافرين. ولله عقوبتان: إحداهما من أمر الروح، والأخرى تسليط بعض الناس على بعض، فما كان من قبل الروح فهو السقم والفقر، وما كان

(١) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٨٥ باب ٣٢ ح ١١، علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٨ باب ٩٦ ح ٢.

من تسليط فهو النقمة، وذلك قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(١) من الذنوب. فما كان من ذنب الروح، من ذلك سقم وفقر؛ وما كان من تسليط فهو النقمة، وكان ذلك للمؤمن عقوبة له في الدنيا وعذاب له فيها، وأمّا الكافر فنقمة عليه في الدنيا وسوء العذاب في الآخرة، ولا يكون ذلك إلا بذنب، والذنب من الشهوة، وهي من المؤمن خطأ ونسيان وأن يكون مستكرهاً وما لا يطيق، وما كان في الكافر فعمد وجحود واعتداء وحسد، وذلك قول الله عزّوجلّ ﴿كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾(٢).

بيان: «أو قال» الترديد من الراوي، والحطم: الكسر، «ولولا الريح» أي الّتي تدخل المعدة مع الطعام والشراب، أو المتولّدة في المعدة، أو الالتهاب من الأولى، وخروج الثفل من الثانية، كما ذكر الأطبّاء أنّ الرياح المتولّدة فيها تعين على إحدار الثفل. «فالطين صورته» أي مادّته الّتي تقبل صورته. وقال الفيروز آباديّ: وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة. «خلق من شأن الدنيا» أي البدن «وشأن الآخرة» أي الروح «فإذا جمع الله بينهما» أي بين النشأتين «صارت حياته في الأرض» أي تعلّقت روحه السماويّة بالجسد الأرضيّ، فتدخل فيه - على الجسميّة - أو تظهر آثارها في الأرض بتوسّط البدن - على التجرّد - «تردّ شأن الآخرة» أي الروح إلى السماء «فالحياة في الأرض» أي بسبب كون الروح أو تعلّقها في الأرض «والموت في السماء» أي بسبب عروج الروح إلى السماء، أو الروح في حال الحياة في الأرض، وبعد الموت في السماء. «فردّت الروح والنور إلى القدرة الأولى» أي إلى عالم الأرواح الّتي هي أولى مخلوقاته تعالى، وفي بعض النسخ «إلى القدس الأولى» أي إلى عوالم القدس الأولى. «ويرجع كلّ» أي من العناصر «إلى جوهره الأوّل» قبل الامتزاج، أو كلّ من الروح والبدن إلى الجوهر الأوّل. «وتحرّكت الروح بالنفس» كأنّ المراد بالروح هنا الحيوانيّة. وبالنفس، الناطقة أي عند الموت تتحرّك الروح إلى السماء بسبب حركة النفس أو قطع تعلّقها كحركة الروح في حال الحياة في البدن من الريح الّتي هي النفس، أو المراد حركتها في حال الحياة، أي الروح الحيوانيّة إنّما تتحرّك وتجري في مجاري البدن بسبب النفس حركتها الّتي بسبب الريح والتنفّس. ويمكن أن يقرأ «بالنّفس» بالتحريك، أي حركة الروح الحيوانيّة تابعة للنفس، كما أنّ النفس وتحرّكه تابع للريح، فيرتكب تأويل في تأنيث الضمير كالأنفاس ونحوه، وعلى هذا يحتمل وجهاً آخر بأن يكون المراد خروج الحيوانيّة بالنفس، وخروجه كحركة الروح بالريح إلى السماء بعد خروجها والروح في قوله «فردّت الروح» يمكن [أيضاً] حملها على الحيوانيّة، فالمراد بالنور الناطقة، ويدلّ عليه قوله «فهو نور مؤيّد بالعقل» وإذا حملناها على الناطقة فالمراد بالنور كمالاتها وعلمها وإدراكاتها، والأوّل

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٩.

(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٩ باب ٩٦ ح ٥، والآية من سورة البقرة: ١٠٩.

في أكثر أجزاء الخبر أظهر. والنكراء - بالفتح الحيل والخداع والفطنة في الباطل، قال في القاموس: النكر والنكارة والنكراء والنكر - بالضمّ -: الدهاء والفتنة والمنكر. وقد مرّ في الحديث أنّها شبهة بالعقل وليست به.

قوله «إحداهما من الروح» أي ما يصيب روحه من الآلام الجسمانيّة والروحانيّة بلا توسّط أحد، والأخرى ما يصيبه بسبب تسلّط الغير عليه «فهو النقمة» أي ينتقم الله منه بغيره وعقوبة المؤمن منحصرة فيهما، وأمّا الكافر فيجتمع عليه عقاب الدنيا وعذاب الآخرة ويحتمل أن تكون «أن» مخفّفة وكأن المعنى: إنّما يفعله باستكراه الشهوة وعدم طاقته لمقاومتها لعسر تركها عليه لا بسبب اختياره وخروجه عن التكليف، وأمّا الكافر فيفعلها عمداً واعتداءً واستهانة بأمر الله ونهيه، كما ورد في خبر آخر «فإذا وقع الاستخفاف فهو الكفر».

﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ الآية في سورة البقرة هكذا: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ قال البيضاويّ: علّة ودّ. ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ يجوز أن يتعلّق بـ﴿وَدَّ﴾ أي تمنّوا ذلك من عند أنفسهم وتشهّيهم لا من قبل التديّن والميل مع الحقّ، أو بـ﴿حَسَدًا﴾ أي حسداً بالغاً منبعثاً من أصل نفوسهم[1] (انتهى). وظاهر الخبر أنّ الاستشهاد بقوله ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ أي باختيارهم لا باستكراه واضطرار وخطأ ونسيان، فيدلّ على أنّ المؤمن لا يرتكب المعصية إلاّ على أحد هذه الوجوه، فالمراد بالمؤمن الكامل، وهو الّذي لا يخاف عليه العذاب في الآخرة، وعلى ما أوّلنا يشمل غيره أيضاً ولا يخفى ما في الخبر من التشويش، وكأنّه من الرواة، وهو مع ذلك مشتمل على رموز خفيّة، وأسرار غيبيّة، وحكم ربّانيّة، وحقائق إيمانيّة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

٧ - **العلل:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن أحمد ابن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام إنّ الله تبارك وتعالى لمّا أحبّ أن يخلق خلقاً بيده، وذلك بعدما مضى من الجنّ والنسناس في الأرض سبعة آلاف سنة، قال: ولمّا كان من شأن الله أن يخلق آدم للّذي أراد من التدبير والتقدير لما هو مكوّنه في السماوات والأرض وعلمه لمّا أراد من ذلك كلّه كشط عن أطباق السماوات ثمّ قال للملائكة: انظروا إلى أهل الأرض من خلقي من الجنّ والنسناس، فلمّا رأوا ما يعملون فيها من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحقّ، عظم ذلك عليهم وغضبوا لله وأسفوا على أهل الأرض ولم يملكوا غضبهم أن قالوا: يا ربّ أنت العزيز القادر الجبّار القاهر العظيم الشأن، وهذا خلقك الضعيف الذليل في أرضك يتقلّب في قبضتك، ويعيشون برزقك، ويستمتعون بعافيتك، وهم

(١) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ١٣٢.

يعصونك بمثل هذه الذنوب العظام، لا تأسف ولا تغضب ولا تنتقم لنفسك لما تسمع منهم وترى! وقد عظم ذلك علينا وأكبرناه فيك. فلمّا سمع الله عزّ وجلّ من الملائكة قال: إنّي جاعل في الأرض خليفة لي عليهم، فيكون حجّة لي عليهم في أرضي على خلقي، فقالت الملائكة: سبحانك! أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك. قالوا: فاجعله منّا فإنّا لا نفسد في الأرض ولا نسفك الدماء. قال الله - جلّ جلاله -: يا ملائكتي إنّي أعلم ما لا تعلمون، إنّي أريد أن أخلق خلقاً بيدي، أجعل ذرّيّته أنبياء مرسلين، وعباداً صالحين، وأئمّة مهتدين، أجعلهم خلفائي على خلقي في أرضي، ينهونهم عن معاصيّ، وينذرونهم عذابي، ويهدونهم إلى طاعتي، ويسلكون بهم طريق سبيلي، وأجعلهم حجّة لي عذراً أو نذراً، وأبين النسناس من أرضي فأطهّرها منهم، وأنقل مردة الجنّ العصاة عن بريّتي وخلقي وخيرتي، وأسكنهم في الهواء وفي أقطار الأرض لا يجاورون نسل خلقي، وأجعل بين الجنّ وبين خلقي حجاباً، ولا يرى نسل خلقي الجنّ ولا يؤانسونهم ولا يخالطونهم فمن عصاني من نسل خلقي الّذين اصطفيتهم لنفسي أسكنتهم مساكن العصاة وأوردتهم مواردهم ولا أبالي.

فقالت الملائكة يا ربّنا افعل ما شئت، لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا، إنّك أنت العليم الحكيم. فقال الله - جلّ جلاله - للملائكة: ﴿إِنِّي خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ۝٢٩﴾[١]. وكان ذلك من أمر الله عزّ وجلّ تقدّم إلى الملائكة في آدم من قبل أن يخلقه، احتجاجاً منه عليهم.

قال فاغترف - تبارك وتعالى - غرفة من الماء العذب الفرات فصلصلها فجمدت، ثمّ قال لها: منك أخلق النبيّين والمرسلين وعبادي الصالحين والأئمّة المهتدين الدعاة إلى الجنّة وأتباعهم إلى يوم القيامة ولا أبالي، ولا أسأل عمّا أفعل وهم يسألون يعني بذلك خلقه أنّه سيسألهم. ثمّ اغترف غرفة من الماء المالح الأجاج، فصلصلها فجمدت، ثمّ قال لها: منك أخلق الجبّارين والفراعنة والعتاة إخوان الشياطين والدعاة إلى النار يوم القيامة وأتباعهم ولا أبالي، ولا أسأل عمّا أفعل وهم يسألون. قال: وشرط في ذلك البداء، ولم يشترط في أصحاب اليمين البداء. ثمّ خلط الماءين فصلصلهما ثمّ ألقاهما قدّام عرشه وهما ثلّة من طين. ثمّ أمر الملائكة الأربعة: الشمال والدبور والصبا والجنوب، أن جولوا على هذه السلالة الطين وابرأوها وأنشئوها ثمّ جزّئوها وفصّلوها وأجروا فيها الطبائع الأربعة: الريح، والمرّة، والدّم والبلغم. قال: فجالت الملائكة عليها وهي الشمال والصبا والجنوب والدبور، فأجروا فيها الطبائع الأربعة. قال: والريح في الطبائع الأربعة [في البدن] من ناحية الشمال. قال والبلغم في الطبائع الأربعة في البدن من ناحية الصبا. قال: والمرّة في الطبائع

---

(١) سورة الحجر، الآيتان: ٢٨-٢٩.

الأربعة في البدن من ناحية الدبور. قال: والدم في الطبائع الأربعة في البدن من ناحية الجنوب. قال: فاستقلّت النسمة وكمل البدن. قال: فلزمه من ناحية الريح حبّ الحياة وطول الأمل والحرص، ولزمه من ناحية البلغم حبّ الطعام والشراب واللين والرفق، ولزمه من ناحية المرّة الغضب والسفه والشيطنة والتجبّر والتمرّد والعجلة، ولزمه من ناحية الدم حبّ النساء واللذّات وركوب المحارم والشهوات. قال عمرو: أخبرني جابر أنّ أبا جعفر عليه السلام قال: وجدناه في كتاب من كتب علي عليه السلام (١).

تفسير عليّ بن إبراهيم: عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن ثابت الحدّاد، عن جابر الجعفيّ عن أبي جعفر عليه السلام مثله بأدنى تغيير، وقد أوردناه بلفظ التفسير في باب خلق آدم (٢).

بيان: «لما هو مكوّنه» متعلّق بالتقدير والتدبير على التنازع، و(علمه) معطوف على (الذي) أو على «شأن الله» أو (علمه) بصيغة الماضي عطفاً على «هو مكوّنه» و«لمّا أراد» بالتشديد تأكيد لقوله «لمّا أحبّ» لبعد العهد بين الشرط والجزاء. وقال الجوهريّ: كشطت الجلّ عن ظهر الفرس والغطاء عن الشيء إذا كشفته عنه. وفي المصباح: أسف غضب وزناً ومعنى. (أن قالوا) أي إلى أن قالوا، و(أن) ليس في التفسير، وفيه «يتقلّبون» وهو أظهر، وما هنا لرعاية إفراد لفظ الخلق، وفيه «خليفة يكون حجّة لي في أرضي على خلقي». (بيدي) أي بقدرتي. «وأبين النسناس» أي أخرجهم، وفي بعض النسخ «أبير» أي أهلك، وفي التفسير «أبيد» بمعناه. والمردة جمع المارد وهو العاتي. وفي الصحاح: الصلصال الطين الحرّ خلط بالرمل فصار يتصلصل إذا جفّ. والحمأ: الطين الأسود، والمسنون: المتغيّر المنتن. وقال: ثلّة البئر ما أخرج من ترابها، والثلّة - بالضمّ - الجماعة من الناس (انتهى) وفي التفسير ﴿سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ وسلالة الشيء ما استلّ منه. «أن جولوا» من الجولان، وفي التفسير «أن يجولوا» و«ابروها» من البري بمعنى النحت، أو بالهمز أي اجعلوها مستعدّة لأن أبرأها وأنشئها - مجازاً - والبرّ: التراب، ويمكن أن يكون من التأثير، وفي القاموس: أبر النخل والزرع كأبّره أصلحه. ولعلّ المراد بالريح المرّة الصفراء وبالمرّة السوداء، كما مرّ أو بالعكس، أو المراد بالريح الروح الحيوانيّ وبالمرّة المرّتان، وفي التفسير الصغير لعليّ بن إبراهيم «وأجروا فيها الطبائع الأربع المرّتين والدم والبلغم إلى قوله فالدم من ناحية الصبا والبلغم من ناحية الشمال والمرّة الصفراء من ناحية الجنوب والمرّة السوداء من ناحية الدبور».

٨ - **العلل:** عن محمّد بن موسى بن المتوكّل، عن عبد الله بن جعفر الحميريّ، عن أحمد ابن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن بعض أصحابنا رفعه، قال: قال أبو عبد

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٦ باب ٩٦ ح ١. (٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٥٠.

الله عليه السلام: عرفان المرء نفسه أن يعرفها بأربع طبائع وأربع دعائم وأربعة أركان، وطبائعه: الدم، والمرّة، والريح، والبلغم. ودعائمه: العقل - ومن العقل الفطنة - والفهم، والحفظ، والعلم. وأركانه: النور، والنار، والروح، والماء. فأبصر وسمع وعقل بالنور، وأكل وشرب بالنار، وجامع وتحرّك بالروح، ووجد طعم الذوق والطعم بالماء: فهذا تأسيس صورته. فإذا كان عالماً حافظاً ذكياً فطناً فهماً عرف في ما هو ومن أين تأتيه الأشياء ولأيّ شيء هو ههنا ولما هو صائر بإخلاص الوحدانيّة والاقرار بالطاعة وقد جرى فيه النفس وهي حارّة وتجري فيه وهي باردة. فإذا حلّت به الحرارة أشر وبطر وارتاح وقتل وسرق ونصح واستبشر وفجر وزنا واهتزّ وبذخ، وإذا كانت باردة اهتمّ وحزن واستكان وذبل ونسي وأيس. فهي العوارض الّتي تكون منها الأسقام، فإنّه سبيلها، ولا يكون أوّل ذلك إلاّ لخطيئة عملها فيوافق ذلك مأكل أو مشرب في إحدى ساعات لا تكون تلك الساعة موافقة لذلك المأكل والمشرب بحال الخطيئة فيستوجب الألم من ألوان الأسقام. وقال: جوارح الإنسان وعروقه وأعضاؤه جنود لله مجنّدة عليه، فإذا أراد الله به سقماً سلّطها عليه فأسقمه من حيث يريد به ذلك السقم(١).

بيان: قوله «والفهم» عطف على العقل، أو عدّ العقل أربعاً باعتبار شعبه، والأوّل أظهر. وقال الراغب في مفرداته: النور الضوء المنتشر الّذي يعين على الإبصار، وذلك ضربان: دنيويّ وأخرويّ فالدنيويّ ضربان: ضرب معقول بعين البصيرة، وهو ما انتشر من الأمور الإلهيّة كنور العقل ونور القرآن، ومحسوس بعين البصر، وهو ما انتشر من الأجسام النيّرة كالقمر والنجوم والنيران، فمن النور الإلهيّ قوله عزّ وجلّ ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ وقال ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ وقال ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ وقال ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وقال: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾(٢) ثمّ قال ومن النور الأخرويّ قوله ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ وقوله ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ وسمّى الله نفسه نوراً فقال ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ - انتهى -.

«عرف في ما هو» أي فناء الدنيا ودناءتها وأحوال نفسه وضعفه وعجزه «ومن أين تأتيه الأشياء» أي يؤمن بالقضاء والقدر ويعلم أسباب الخير والشرّ والسعادة والشقاوة «ولأيّ شيء هو ههنا» أي في الدنيا للمعرفة والطاعة «وإلى ما هو صائر» من الآخرة. وقوله «بإخلاص الطاعة» إمّا حال عن فاعل (عرف) أي متلبّساً به، أو متعلّق بـ«صائر» أي يعلم أنّ مصيره إلى الجنّة إذا أخلص الوحدانيّة، أو متعلّق بالمعرفة علّة لها. والارتياح: النشاط، والبذخ: الكبر، بذخ كفرح. وذبل: ذوى وضمر «بحال الخطيئة» أي تلك الموافقة بسبب الخطيئة. وقال الجوهريّ: الجند الأنصار والأعوان، وفلان جنّد الجنود.

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١١٠ باب ٩٦ ح ٦. (٢) سورة النور، الآية: ٣٥.

٩ - **العلل:** عن محمّد بن موسى البرقيّ، عن عليّ بن محمّد ماجيلويه، عن أحمد بن محمّد البرقيّ، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول لرجل: اعلم يا فلان أنّ منزلة القلب من الجسد بمنزلة الإمام من الناس الواجب الطاعة عليهم. ألا ترى أنّ جميع جوارح الجسد شُرَط للقلب وتراجمة له مؤدّية عنه: الأذنان، والعينان، والأنف، والفم، واليدان، والرجلان، والفرج فإنّ القلب إذا همّ بالنظر فتح الرجل عينيه، وإذا همّ بالاستماع حرّك أذنيه وفتح مسامعه فسمع، وإذا همّ القلب بالشمّ استنشق بأنفه فأدّى تلك الرائحة إلى القلب، وإذا همّ بالنطق تكلّم باللسان، وإذا همّ بالحركة سعت الرجلان، وإذا همّ بالشهوة تحرّك الذكر، فهذه كلّها مؤدّية عن القلب بالتحريك، وكذلك ينبغي للإمام أن يطاع للأمر منه[١].

بيان: الشرط - كصرد - طائفة من أعوان الولاة.

١٠ - **العلل:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن أحمد ابن محمّد بن عيسى، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطيّ، عن أبي جميلة، عمّن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الغلظة في الكبد، والحياء في الريح، والعقل مسكنه القلب[٢].

١١ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن أبي نصر والحسن بن فضّال، عن أبي جميلة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الحزم في القلب، والرحمة والغلظة في الكبد، والحياء في الرئة. وفي حديث آخر لأبي جميلة: العقل مسكنه في القلب[٣].

بيان: الحزم ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة، ونسبته إلى القلب إمّا لأنّ المراد بالقلب النفس وهو ظاهر، وإمّا لأنّ لقوّة القلب مدخلاً في حسن التدبير. والرحمة والغلظة منسوبتان إلى الأخلاط المتولّدة في الكبد، فلذا نسبهما إليه. ويحتمل أن يكون لبعض صفاته مدخلاً فيهما كما هو المعروف بين الناس، وكذا الرئة. ولا يبعد أن يكون الريح في الخبر السابق تصحيف الرئة، لاتّحاد الراوي، وعلى تقدير صحّته المراد المرّة السوداء أو الصفراء، والأوّل أنسب.

١٢ - **العلل:** عن محمّد بن موسى بن المتوكّل، عن عبد الله الحميريّ، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن ابن محبوب، عن بعض أصحابنا رفع الحديث قال: لمّا خلق الله عزّ وجلّ طينة آدم أمر الرياح الأربع فجرت عليها فأخذت من كلّ ريح طبيعتها[٤].

١٣ - **النصوص:** عن عليّ بن الحسن، عن هارون بن موسى، عن عليّ بن محمّد بن مخلّد

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١١١ باب ٩٦ ح ٨.

(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٨ باب ٩٦ ح ٣. أقول: ويشهد له قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [النمازي].

(٣) روضة الكافي، ح ٢١٨.

(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٨ باب ٩٦ ح ٤

عن الحسن بن عليّ بن بزيع، عن يحيى بن الحسن بن فرات، عن عليّ بن هاشم البريد عن محمّد بن مسلم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام في صغره عند أبيه عليه السلام: يا ابن رسول الله من أين الضحك؟ قال: يا محمّد! العقل من القلب، والحزن من الكبد، والنفس من الرئة والضحك من الطحال. فقمت وقبّلت رأسه(١).

١٤ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن سنان، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: طبائع الجسم على أربعة: فمنها الهواء الّذي لا تحيى النفس إلاّ به وبنسيمه، ويخرج ما في الجسم من داء وعفونة، والأرض الّتي قد تولد اليبس والحرارة، والطعام ومنه يتولّد الدم، ألا ترى أنّه يصير إلى المعدة فيغذّيه حتّى يلين ثمّ يصفو، فيأخذ الطبيعة صفوه دماً، ثمّ ينحدر الثفل والماء وهو يولّد البلغم(٢).

بيان: «طبائع الجسم على أربعة» أي مبنى طبائع جسد الإنسان وصلاحها أربعة أشياء، ويحتمل أن يكون المراد بالطبائع ما له مدخل في قوام البدن وإن كان خارجاً عنه، فالمراد أنّها على أربعة أقسام: «ويخرج ما في الجسم» يدلّ على أنّ لتحرّك النفس مدخلاً في دفع الأدواء ورفع العفونات عن الجسد كما هو الظاهر. «والأرض» أي الثانية منها الأرض وهي تولد اليبس بطبعها، والحرارة بانعكاس أشعّة الشمس والكواكب عنها، فلها مدخل في تولّد المرّة الصفراء والمرّة السوداء «والطعام» هذا هو الثالثة، وإنّما نسب الدم فقط إليها لأنّها أدخل في قوام البدن من سائر الأخلاط مع عدم مدخليّة الأشياء الخارجة كثيراً فيها. «والماء» هو الرابعة، ومدخليّتها في تولّد البلغم ظاهرة.

١٥ - **الاختصاص:** عن المعلّى بن محمّد، عن بعض أصحابنا يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أوّل من قاس إبليس، فقال: خلقتني من نار وخلقته من طين، ولو علم إبليس ما خلق الله في آدم لم يفتخر عليه. ثمّ قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق الملائكة من نور، وخلق الجانّ من النار، وخلق الجنّ صنفاً من الجانّ من الريح، وخلق صنفاً من الجنّ من الماء، وخلق آدم من صفحة الطين، ثمّ أجرى في آدم النور والنار والريح والماء، فبالنور أبصر وعقل وفهم، وبالنار أكل وشرب، ولولا أنّ النار في المعدة لم يطحن المعدة الطعام، ولولا أنّ الريح في جوف آدم تلهب نار المعدة لم تلتهب، ولولا أنّ الماء في جوف ابن آدم يطفىء حرّ نار المعدة لأحرقت النار جوف ابن آدم. فجمع الله ذلك في آدم الخمس الخصال وكانت في إبليس خصلة فافتخر بها(٣).

١٦ - **نهج:** قال عليه السلام: اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم، ويتكلّم بلحم، ويسمع بعظم، ويتنفّس من خرم!(٤).

---

(١) وتمام الحديث في ج ٤٧ ص ١٠ ح ١٢.
(٢) روضة الكافي، ح ٢٩٧.
(٣) الإختصاص، ص ١٠٩.
(٤) نهج البلاغة، ص ٦٢٨ حكمة رقم ٧.

١٧ - **العلل:** لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم رفعه، قال: سألته عن الموت ممّا هو ومن أيّ شيء هو؟ هو من الطبائع الأربع الّتي هي مركّبة في الإنسان، وهي: المرّتان، والدم، والريح. فإذا كان يوم القيامة نزعن هذه الطبائع من الإنسان فيخلق منها الموت فيؤتى به في صورة كبش أملح - أي أغبر - فيذبح بين الجنّة والنار، فلا يكون في الإنسان هذه الطبائع الأربع فلا يموت أبداً.

١٨ - **الخصال والعلل:** عن محمّد بن إبراهيم الطالقانيّ، عن الحسن بن عليّ العدويّ عن عباد بن صهيب، عن أبيه، عن جدّه، عن الربيع صاحب المنصور، قال: حضر أبو عبد الله عليه السلام مجلس المنصور يوماً وعنده رجل من الهند يقرأ كتب الطبّ، فجعل أبو عبد الله عليه السلام ينصت لقراءته، فلمّا فرغ الهنديّ قال له: يا أبا عبد الله أتريد ممّا معي شيئاً؟ قال: لا، فإنّ معي ما هو خير ممّا معك قال: وما هو؟ قال: أداوي الحارّ بالبارد، والبارد بالحارّ، والرطب باليابس، واليابس بالرطب، وأردّ الأمر كلّه إلى الله عزّ وجلّ، وأستعمل ما قاله رسول الله «واعلم أنّ المعدة بيت الداء وإنّ الحمية هي الدواء» وأعوّد البدن ما اعتاد.

فقال الهنديّ وهل الطبّ إلاّ هذا؟! فقال الصادق عليه السلام: أفتراني من كتب الطبّ أخذت؟ قال: نعم، قال: لا والله، ما أخذت إلاّ عن الله سبحانه، فأخبرني أنا أعلم بالطبّ أم أنت؟ قال الهنديّ: لا، بل أنا. قال الصادق عليه السلام: فأسألك شيئاً، قال: سل.

قال الصادق عليه السلام: أخبرني يا هنديّ لم كان في الرأس شؤون؟ قال: لا أعلم قال: فلم جعل الشعر عليه من فوق؛ قال: لا أعلم، قال: فلم خلت الجبهة من الشعر؟ قال: لا أعلم، قال: فلم كان لها تخاطيط وأسارير؟ قال: لا أعلم، قال: فلم كان الحاجبان [من] فوق العينين؟ قال: لا أعلم، قال فلم جعل العينان كاللوزتين؟ قال: لا أعلم، قال: فلم جعل الأنف بينهما؟ قال: لا أعلم، قال: فلم كان ثقب الأنف في أسفله؟ قال، لا أعلم قال: فلم جعلت الشفة والشارب من فوق الفم؟ قال: لا أعلم، قال فلم احتدّ السنّ وعرض الضرس وطال الناب؟ قال: لا أعلم، قال فلم جعلت اللحية للرجال؟ قال: لا أعلم، قال: فلم خلت الكفّان من الشعر؟ قال: لا أعلم، قال فلم خلا الظفر والشعر من الحياة؟ قال: لا أعلم، قال: فلم كان القلب كحبّ الصنوبر؟ قال: لا أعلم، قال: فلم كانت الرئة قطعتين وجعل حركتها في موضعها؟ قال: لا أعلم. قال: فلم كانت الكبد حدباء؟ قال: لا أعلم، قال: فلم كانت الكلية كحبّ اللوبيا؟ قال: لا أعلم، قال: فلم جعل طيّ الركبة إلى خلف؟ قال: لا أعلم، قال: فلم انخصرت القدم؟ قال: لا أعلم.

فقال الصادق عليه السلام: لكنّي أعلم. قال: فأجب. فقال الصادق عليه السلام: كان في الرأس شؤون لأنّ المجوّف إذا كان بلا فصل أسرع إليه الصداع، فإذا جعل ذا فصول كان الصداع منه أبعد. وجعل الشعر من فوقه ليوصل بوصوله الأدهان إلى الدماغ، ويخرج بأطرافه البخار

منه، ويردّ الحرّ والبرد الواردين عليه. وخلت الجبهة من الشعر لأنّها مصبّ النور إلى العينين. وجعل فيها التخاطيط والأسارير ليحبس العرق الوارد من الرأس عن العين قدر ما يميطه الإنسان عن نفسه كالأنهار في الأرض الّتي تحبس المياه. وجعل الحاجبان من فوق العينين ليردّا عليهما من النور قدر الكفاية، ألا ترى يا هنديّ أنّ من غلبه النور جعل يده على عينيه ليردّ عليهما قدر كفايتهما منه. وجعل الأنف في ما بينهما ليقسّم النور قسمين إلى كلّ عين سواء. وكانت العين كاللوزة ليجري فيها الميل بالدواء ويخرج منها الداء، ولو كانت مربّعة أو مدوّرة ما جرى فيها الميل وما وصل إليها دواء ولا خرج منها داء. وجعل ثقب الأنف في أسفله لينزل منه الأدواء المنحدرة من الدماغ، ويصعد فيها الأراييح إلى المشامّ، ولو كان في أعلاه لما نزل داء ولا وجد رائحة. وجعل الشارب والشفة فوق الفم لحبس ما ينزل من الدماغ عن الفم، لئلاّ يتنغّص على الإنسان طعامه وشرابه فيميطه عن نفسه. وجعلت اللحية للرجال ليستغني بها عن الكشف في المنظر ويعلم بها الذكر من الأنثى. وجعل السنّ حادّاً لأنّ به يقع العضّ، وجعل الضرس عريضاً لأنّ به يقع الطحن والمضغ، وكان الناب طويلاً ليشدّ الأضراس والأسنان كالأسطوانة في البناء. وخلا الكفّان من الشعر لأنّ بهما يقع اللمس، فلو كان بهما شعر ما درى الإنسان ما يقابله ويلمسه. وخلا الشعر والظفر من الحياة لأنّ طولهما سمج يقبح وقصّهما حسن، فلو كان فيهما حياة لألم الإنسان لقصّهما وكان القلب كحبّ الصنوبر لأنّه منكس، فجعل رأسه دقيقاً ليدخل في الرئة فيتروّح عنه ببردها لئلاّ يشيط الدماغ بحرّه. وجعلت الرئة قطعتين ليدخل بين مضاغطها فتروّح عنه بحركتها. وكانت الكبد حدباء لتثقل المعدة وتقع جميعها عليها فتعصرها فيخرج ما فيها من البخار. وجعلت الكلية كحبّ اللوبيا لأنّ عليها مصبّ المنيّ نقطة بعد نقطة، فلو كانت مربّعة أو مدوّرة لاحتبست النقطة الأولى الثانية، فلا يلتذّ بخروجها الحيّ، إذ المنيّ ينزل من فقار الظهر إلى الكلية فهي كالدودة تنقبض وتنبسط. ترميه أوّلاً فأوّلاً إلى المثانة كالبندقة من القوس وجعل طيّ الركبة إلى خلف لأنّ الإنسان يمشي إلى ما بين يديه فتعتدل الحركات، ولولا ذلك لسقط في المشي. وجعلت القدم متخصّرة لأنّ الشيء إذا وقع على الأرض جميعه ثقُل ثقل حجر الرحا، إذا كان على حرفه رفعه الصبيُّ، وإذا وقع على وجهه صعب ثقله على الرجل.

فقال الهندي: من أين لك هذا العلم؟ فقال عليه السلام: أخذته عن آبائي عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام عن ربّ العالمين - جلّ جلاله - الّذي خلق الأجساد والأرواح. فقال الهنديّ: صدقت، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله وعبده. وأنّك أعلم أهل زمانك[1].

بيان: قال في القاموس: المعدة: - ككلمة وبالكسر -: موضع الطعام. وقال

---

(١) الخصال، ص ٥١١ باب ١٩ ح ٣، علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٠ باب ٨٧ ح ١.

الجوهريّ: الشأن واحد الشؤون وهي مواصل قبائل الرأس وملتقاها، ومنها تجيء الدموع. وقال: السرر أيضاً واحد أسرار الكفّ والجبهة وهي خطوطها، وجميع الجمع أسارير. والّذي يظهر من كلام اللّغويّين أنّ السنّ والضرس مترادفان، ويظهر من إطلاقات الأخبار وغيرها اختصاص السنّ بالمقاديم الحداد، والضرس بالمآخير العراض وفي المصباح حدب الإنسان من باب تعب إذا خرج ظهره وارتفع عن الاستواء، والرجل أحدب والمرأة حدباء وقال الجوهريّ: رجل مخصّر القدمين إذا كانت قدمه تمسّ الأرض من مقدّمها وعقبها وتخوي أخمصها مع دقّة فيه. قوله عليه السلام «ليوصل بوصوله» أي بسبب وصول الشعر إلى الدماغ تصل إليه الأدهان، أو هو جمع الوصل إلى منابته وأصوله، ولا يبعد أن يكون في الأصل «بأصوله» فصحّف، بقرينة مقابلة «أطرافه» قوله عليه السلام «لأنّها مصبّ النور» وذلك لأنّ طول الشعر من الجانب الأعلى إليهما، وأكثر الأنوار السماوية ترد من الجهة العليا، أو أنّ الأعصاب الّتي ترد منها الروح إليهما في باطن الجبهة، ومع نبات الشعر تصل منابتها إلى تلك الأعصاب فتمنع ورود الروح الّتي هي محلّ النور، أو أنّه مزاج الروح الحامل للنور حارّ رطب، والشعر يتولّد من الموادّ الباردة اليابسة فلا يتوافقان. والأوّل أظهر. ويقال: ماطه يميطه وأماطه أي نحّاه وأبعده. وفي القاموس: الريح معروف، والجمع أرواح، وأرياح، ورياح وريح - كعنب - وجمع الجمع أراويح وأراييح. قوله عليه السلام «فيميطه عن نفسه» أي فيحتاج إلى أن يميط ما ينزل من الدماغ في أثناء الأكل والشرب عن نفسه، أو فيميط الشارب والشفة ما ينزل عنه، وهو بعيد «ليستغني بها عن الكشف» أي [عن] كشف العورة لاستعلام كونه ذكراً أم أنثى وقوله «في المنظر» متعلّق بقوله «يستغنى» لا بالكشف. «ليشدّ الأضراس» وفي بعض النسخ «ليسند» وفي المصباح: السند - بفتحتين -: ما استندت إليه من حائط وغيره، يقال: أسندته إلى الشيء فسند هو - انتهى - وعلى التقديرين لعلّ وجه كونه سنداً من بين سائر الأسنان أنّه لطوله يمنع وقوع الأسنان بعضه على بعض في بعض الأحوال، كما أنّ الأسطوانة تمنع السقف من السقوط، أو أنّها لطولها وقوّتها تكون أثبت من غيرها فتمنعها من التزلزل والسقوط، لاتّصالها كالأسطوانة الّتي تنصب في الأرض ويجعل بينها التخاتج فتمسكها، ويؤيّده أنّ هذا السنّ يسقط غالباً بعد سائرها، فهو أقوى منها وأثبت.

«ما يقابله» كأنّه كان «يعامله» فصحّف، مع أنّ أكثر ما يلمس يكون مقابلاً. «ليدخل» أي القلب «بين مضاغطها» أي بين قطعتي الرئة «فتروّح» أي الرئة «عنه» أي القلب. وفي القاموس: شاط يشيط شيطاً احترق، وفلان هلك - انتهى -. واستعيرت «النقطة» هنا للشيء القليل والقطرة. والاحتباس يكون لازماً ومتعدّياً «إلى الثانية» أي منضمّة إليها: وهذا موافق لما مرّ من مذهب جالينوس في ذلك، وكأنّه كان مكان المثانة «الانثيين» لأنّهم لم يذكروا مرور المنيّ على المثانة كما عرفت إلاّ أن يكون المراد رميه قريباً من المثانة كما مرّ وقال الشيخ في القانون في ذكر أوعية المنيّ: وهذه الأوعية تصعد أوّلاً ثمّ تتّصل برقبة المثانة أسفل

من مجرى البول، مع أنّ أكثر ما ذكروه مبنيٌ على الظنّ والتخمين، فإن صحّ الخبر وضبطه كان قولهم في ذلك باطلاً. قوله عَلَيْتَكِلاِ : «يمشي إلى ما بين يديه» أي يميل في المشي إلى قدّامه فلو كان طيّ الركبة من القدّام لانثنى أيضاً من هذا الجانب فيسقط. قوله «إذا وقع على الأرض جميعه» وذلك لامتناع الخلاء، لأنّه إذا لم يكن بين السطحين هواء أصلاً وانطبقتا لم يكن رفع أحدهما عن الآخر فيرتفعان معاً، ولو كان بينهما هواء قليل يرتفع لكن يعسر لتوقّفه على تخلخل هذا الهواء ودخول الهواء من خارج أيضاً، فتخصّر القدم يوجب وجود هواء كثير تحت القدم. فإذا رفع القدم يدخل تحت ما لصق بالأرض من قدّام القدم وعقبه الهواء من الأطراف بسرعة وسهولة فلا يعسر رفعه.

١٩ - **العلل**: عن الحسين بن أحمد، عن أبيه، عن محمّد بن أحمد، عن أبي عبد الله الداريّ، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة، عن سفيان الحريريّ، عن معاذ، عن بشر بن يحيى العامريّ، عن ابن أبي ليلى، قال: دخلت على أبي عبد الله عَلَيْتَكِلاِ ومعي نعمان، فقال أبو عبد الله عَلَيْتَكِلاِ : من الّذي معك؟ فقلت: جعلت فداك هذا رجل من أهل الكوفة له نظر ونفاذ رأي يقال له نعمان. قال: فلعلّ هذا الّذي يقيس الأشياء برأيه، فقلت: نعم، قال: يا نعمان، هل تحسن أن تقيس رأسك؟ فقال: لا، فقال: ما أراك تحسن شيئاً ولا فرضك إلاّ من عند غيرك، فهل عرفت كلمة أوّلها كفر وآخرها إيمان؟ قال: لا، قال: فهل عرفت ما الملوحة في العينين والمرارة في الأذنين، والبرودة في المنخرين، والعذوبة في الشفتين؟ قال: لا.

قال ابن أبي ليلى: فقلت: جعلت فداك، فسّر لنا جميع ما وصفت. قال: حدّثني أبي عن آبائه عن رسول الله ﷺ : أنّ الله تبارك وتعالى خلق عيني ابن آدم من شحمتين فجعل فيهما المملوحة، ولولا ذلك لذابتا، فالملوحة تلفظ ما يقع في العين من القذى. وجعل المرارة في الأذنين حجاباً من الدماغ، فليس من دابّة تقع فيه إلاّ التمست الخروج، ولولا ذلك لوصلت إلى الدماغ. وجعلت العذوبة في الشفتين منّاً من الله عَزَّوَجَلَّ على ابن آدم يجد بذلك عذوبة الريق وطعم الطعام والشراب. وجعل البرودة في المنخرين لئلاّ تدع في الرأس شيئاً إلاّ أخرجته. قلت: فما الكلمة الّتي أوّلها كفر وآخرها إيمان؟ قال: قول الرجل (لا إله إلا الله) أوّلها كفر وآخرها إيمان. ثمّ قال: يا نعمان، إيّاك والقياس، فقد حدّثني أبي عن آبائه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «من قاس شيئاً بشيء قرنه الله عَزَّوَجَلَّ مع إبليس في النار فإنّه أوّل من قاس على ربّه» فدع الرأي والقياس، فإنّ الدين لم يوضع بالقياس وبالرأي[(١)].

بيان: [أقول] قد مرّت أخبار كثيرة في هذا المعنى في باب البدع والمقاييس، وفي بعضها: جعل الأذنين مُرّتين لئلاّ يدخلهما شيء إلاّ مات، لولا ذلك لقتل ابن آدم الهوامّ

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٤ باب ٨١ ح ٦.

وجعل الشفتين عذبتين ليجد ابن آدم طعم الحلو والمرّ، وجعل العينين مالحتين لأنّهم شحمتان ولولا ملوحتهما لذابتا، وجعل الأنف بارداً سائلاً لئلاً يدع في الرأس داءً إلاّ أخرج ولولا ذلك لثقل الدماغ وتدوّد، وفي بعضها: وجعل الماء في المنخرين ليصعد منه النفس وينزل ويجد منه الريح الطيّبة من الخبيثة. قوله عليه السلام «ولا فرضك» أي ما أراك تحسن م افترض الله عليك إلاّ إذا أخذته من غيرك. وقوله: «فالملوحة تلفظ» علّة أخرى. «وجعل البرودة» أي الماء البارد، فإنّ السيلان علّة لإخراج ما في الرأس لا البرودة. وهي علّة لعد سيلان الدماغ كما أشير إليه في الخبر الآخر.

٢٠ - **العلل:** عن عليّ بن أحمد بن محمّد، عن محمد بن أبي عبد الله الكوفيّ، عن محمّد ابن إسماعيل البرمكيّ، عن عليّ بن العبّاس، عن عمر بن عبد العزيز، قال: حدّثنا هشام بن الحكم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت: ما العلّة في بطن الراحة لا ينبت فيه الشعر وينبت في ظاهرها؟ فقال: لعلّتين: أمّا إحداهما فلأنّ الناس يعلمون الأرض الّتي تداس ويكثر عليها المشي لا تنبت شيئاً، والعلّة الأخرى لأنّها جعلت من الأبواب الّتي تلاقي الأشياء، فتركت لا ينبت عليها الشعر لتجد مسّ اللين والخشن ولا يحجبها الشعر عن وجود الأشياء، ولا يكون بقاء الخلق إلاّ على ذلك(١).

بيان: «الأرض الّتي تداس» كأنّه علّة لعدم نبات الشعر بعد الكبر لا ابتداءً والدوس: الوطء بالرِّجل. «من الأبواب الّتي تلاقي الأشياء» أي من أسباب العلم الّتي تدرك بها الأشياء بالملاقاة، أو من الأعضاء الّتي تلاقي الأشياء كثيراً. «عن وجود الأشياء» أي وجدان كيفيّاتها، في القاموس: وجد المطلوب كوعد وجداً ووجوداً ووجداناً وإجداناً - بكسرهما -: أدركه.

٢١ - **العلل:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ عن محمّد ابن عليّ، عن عيسى بن عبد الله القرشيّ رفعه، قال: دخل أبو حنيفة على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: يا أبا حنيفة، بلغني أنّك تقيس، قال: نعم أنا أقيس. فقال: ويلك لا تقس فإنّ أوّل من قاس إبليس، قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ قاس ما بين النار والطين، ولو قاس نوريّة آدم بنور النار عرف فضل ما بين النورين وصفاء أحدهما على الآخر، ولكن قس لي رأسك مع جسدك: أخبرني عن أذنيك ما لهما مُرّتان؟ وعن عينيك ما لهما مالحتان؟ وعن شفتيك مالهما عذبتان؟ وعن أنفك ماله بارد؟ فقال: لا أدري. فقال له: أنت لا تحسن تقيس رأسك، تقيس الحلال والحرام؟! فقال: يا ابن رسول الله أخبرني كيف ذلك. فقال: إنّ الله عزّ وجلّ جعل الأذنين مرّتين لئلا يدخلهما شيء إلاّ مات، ولولا ذلك لقتلت الدوابّ ابن آدم. وجعل العينين مالحتين لأنّها شحمتان ولولا ملوحتهما لذابتا. وجعل الشفتين عذبتين

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٣ باب ٨٩ ح ١.

ليجد ابن آدم طعم الحلو والمرّ. وجعل الأنف بارداً سائلاً لئلاّ يدع في الرأس داءً إلاّ أخرجه ولولا ذلك لثقل الدماغ وتدوّد.

وقال البرقيّ: وروى بعضهم أنّه قال في الأذنين: لامتناعهما من العلاج. وقال في موضع ذكر الشفتين الريق: فإنّما عذب الريق ليميّز [به] بين الطعام والشراب وقال في ذكر الأنف: لولا برداء الأنف وإمساكه الدماغ لسال الدماغ من حرارته[1].

ومنه: عن أبيه: عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن أحمد، عن إبراهيم بن هاشم عن أحمد بن عبد الله العقيليّ، عن عيسى بن عبد الله القرشيّ، ورفع الحديث وذكر مثله إلى قوله «وتدوّد»[2].

بيان: «وتدوّد» أي تولّد فيه الدود، «لامتناعهما من العلاج» أي لتكونا بطبعهما آبيتين ممتنعتين عن أن تعالج الدوابّ فيهما بعد دخولهما بل تموت أو تخرج أو لأنّهما لكونهما غائرتين في الرأس يشكل علاجهما إذا لذعتهما هامّة أو دابّة فينفذ السمّ سريعاً إلى الدماغ فيهلك.

٢٢ - **المناقب:** ممّا أجاب الرضا عليه السلام بحضرة المأمون لضباع بن نصر الهنديّ وعمران الصابيّ عن مسائلهما، قالا: فما بال الرجل يلتحي دون المرأة؟ قال عليه السلام: زيّن الله الرجال باللحى وجعلها فصلاً يستدلّ بها على الرجال والنساء[3].

٢٣ - **مجالس الشيخ:** عن جماعة، عن أبي المفضّل، عن جعفر بن محمّد الموسويّ عن عبيد الله بن أحمد بن نهيك، عن محمّد بن أبي عمير، عن سبرة بن يعقوب بن شعيب، عن أبيه عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: في ابن آدم ثلاثمائة وستّون عرقاً منها مائة وثمانون متحرّكة، ومائة وثمانون ساكنة، فلو سكن المتحرّك لم يبق الإنسان ولو تحرّك الساكن لهلك الإنسان - الخبر -[4].

المكارم عن عليّ عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله مثله. «ص ٢٧٥».

٢٤ - العلل لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم: العلّة في زيادة ضلع المرأة على ضلع الرجل لمكان الجنين كي يتّسع جوفها للولد.

٢٥ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي الحسن الأنباريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحمد الله في كلّ يوم ثلاثمائة وستّين مرّة عدد عروق الجسد، يقول: الحمد لله ربّ العالمين كثيراً على كلّ حال[5].

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٠ باب ٨١ ح ٣. (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٨٩ باب ٨١ ح ١.

(٣) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٤ ص ٣٥٤. (٤) أمالي الطوسي، ص ٥٩٧ مجلس ٢٦ ح ١٢٤٠.

(٥) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٨١ باب التحميد والتمجيد، ح ٣.

٢٦ - **ومنه:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، وحميد بن زياد، عن الحسن بن محمّد جميعاً عن أحمد بن الحسن الميثميّ، عن يعقوب بن شعيب، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ في ابن آدم ثلاثمائة وستّين عرقاً، منها مائة وثمانون متحرّكة ومنها مائة وثمانون ساكنة، فلو سكن المتحرّك لم ينم، ولو تحرّك الساكن لم ينم. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أصبح قال: «الحمد لله ربّ العالمين كثيراً على كلّ حال» ثلاثمائة وستّين مرّة، وإذا أمسى قال مثل ذلك(١).

العلل: عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن الميثميّ مثله(٢).

٢٧ - **المناقب** لابن شهرآشوب: عن سالم الضرير أنّ نصرانيّاً سأل الصادق عليه السلام عن أسرار الطبّ ثمّ سأله عن تفصيل الجسم، فقال عليه السلام: إنّ الله خلق الإنسان على اثني عشر وصلاً، وعلى مائتين وثمانية وأربعين عظماً، وعلى ثلاثمائة وستّين عرقاً. فالعروق هي الّتي تسقي الجسد كلّه، والعظام تمسكها، واللحم يمسك العظام، والعصب يمسك اللحم وجعل في يديه اثنين وثمانين عظماً في كلّ يد أحد وأربعون عظماً، منها في قدمه خمسة وثلاثون عظماً، وفي ساقه اثنان، وفي ركبته ثلاثة، وفي فخذه واحد وفي وركه اثنان. وكذلك في الأُخرى وفي صلبه ثماني عشرة فقارة، وفي كلّ واحد من جنبيه تسعة أضلاع، وفي وقصته ثمانية، وفي رأسه ستّة وثلاثون عظماً، وفي فيه ثمانية وعشرون أو اثنان وثلاثون عظماً(٣).

تبيين: يمكن أن يكون المراد وصل الأعضاء العظيمة بعضها ببعض كالرأس والعنق العضدين والساعدين والوركين مع الفخذين والساقين والأضلاع من اليمين والأضلاع من الشمال وكأنّ المراد بالوقصة العنق. قال الفيروز آباديّ: وقص عنقه - كوعد -: كسرها والوقص - بالتحريك -: قصر العنق - انتهى.. فعدّها ثمانية باعتبار ضمّ فقرات الظهر إليها لقربها منها وانحنائها ويحتمل أن يكون في الأصل «وفي وقيصته» وهي عظام وسط الظهر، وهي على المشهور سبعة فتكون الثمانية بضمّ الترقوة إليها. وفي بعض النسخ في أوّل الخبر «وستّة وأربعين عظماً» وهو تصحيف، لأنّه لا يستقيم الحساب والأسنان غير داخلة في عدد العظام، فيدلّ على أنّها ليست بعظم، وقد اختلف الأطبّاء في ذلك اختلافاً عظيماً: فمنهم من ذهب إلى أنّها عظم، وقيل: هو عصب، وقيل: عضو مركّب.

وظاهر الأخبار أنّها نوع آخر غير العظم والعصب، لأنّهم عليهم السلام عدّوها في ما لا تحلّه الحياة من الحيوان مقابلاً للقرن والعظم والظلف والحافر وغيرها وهو لا ينافي المذهب الأخير كثيراً وظاهر الأخبار أنّه لا حسّ لها ولم تحلّها الحياة كما ذهب إليه بعض الأطبّاء وقال بعضهم: لها حسّ. قال في القانون: ليس لشيء من العظام حسّ البتّة إلاّ للاسنان فإنّ

---

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٨١ باب التحميد والتمجيد، ح ٤.

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٣٩ باب ٦٥ ح ١. (٣) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٤ ص ٢٥٦.

جالينوس قال: بل التجربة تشهد أنّ لها حسّاً أعينت به بقوّة تأتيها من الدماغ ليميز أيضاً بين الحارّ والبارد. وقال القرشيّ قال جالينوس: ليس بشيء من العظام حسٌّ إلاّ للأسنان، لأنّ قوّة الحسّ تأتيها في عصب ليّن. وهذا عجب، فإنّه كيف جعل ليّناً وهو مخالط للعظام، وينبغي أن يكون شبيهاً بجرمها فيكون صلباً لئلاّ تتضرّر بمماستّها. وقال: بقي ههنا بحث، وهو أنّ الأسنان عظام أو ليس بعظام؟ وقد شنّع جالينوس على من لا يجعلها عظاماً وجعلهم سوفسطائيّة، واستدلّ على أنّها عظام بما هو عين السفسطة، وذلك لأنّه قال ما هذا معناه: لأنّها لو لم تكن عظاماً لكانت إمّا أن تكون عروقاً أو شرايين أو لحماً أو عصباً، ومعلوم أنّها ليست كذلك. وهذا غير لازم، فإنّ القائلين بأنّها ليست بعظام يجعلونها من الأعضاء المؤلّفة لا من هذه المفردة، ويستدلّون على تركيبها بما يشاهد فيها من الشظايا، وتلك رباطيّة وعصبيّة. قالوا: وهذا يوجد في أسنان الحيوانات الكبار ظاهراً.

وقوله عليه السلام: «وفي فيه ثمانية وعشرون» أي في بدء الإنبات، ثمّ ينبت في قريب من العشرين أربعة أُخرى تسمّى «أسنان الحلم» بالكسر بمعنى العقل، أو بالضمّ بمعنى الاحتلام يعني البلوغ، ولذا قال عليه السلام بعده «واثنان وثلاثون» ويحتمل أن يكون باعتبار اختلافها في الأشخاص. قال في القانون: الأسنان اثنان وثلاثون سنّاً، وربما عدمت النواجذ منها في بعض الناس، وهي الأربعة الطرفانيّة، فكانت ثمانية وعشرين سنّاً. فمن الأسنان ثنيّتان ورباعيّتان من فوق، ومثلهما من أسفل للقطع، ونابان من فوق ونابان من تحت للكسر، وأضراس للطحن في كلّ جانب فوقانيّ وسفلانيّ أربعة أو خمسة، فكلّ ذلك اثنان وثلاثون سنّاً أو ثمانية وعشرون. والنواجذ تنبت في الأكثر في وسط زمان النموّ، وهو بعد البلوغ إلى الوقف. وذلك أنّ الوقوف قريب من ثلاثين سنة، ولذلك تسمّى أسنان الحلم.

٢٨ - **الكافي:** عن محمّد، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن عبد الرحمن ابن العزرميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ لله عباداً في أصلابهم أرحام كأرحام النساء. قال: فسئل: فما لهم لا يحملون؟ فقال: إنّها منكوسة، ولهم في أدبارهم غدّة كغدّة الجمل أوالبعير، فإذا هاجت هاجوا، وإذا سكنت سكنوا(١).

٢٩ - **ومنه:** عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن رفاعة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في رجل ضرب رجلاً فنقص بعض نَفَسه، بأيّ شيء يعرف ذلك؟ قال: ذلك بالساعات. قلت: وكيف الساعات قال: إنّ النفس يطلع الفجر وهو في الشقّ الأيمن من الأنف، فإذا مضت الساعة صار إلى الشقّ الأيسر، فتنظر ما بين نفسك ونفسه ثمّ يحسب فيؤخذ بحساب ذلك منه(٢).

بيان: كأنّ المراد به أنّه في أوّل اليوم يكون النفس في الشقّ الأيمن أكثر ولعلّ هذا إنّما

---

(١) الكافي، ج ٥ ص ٨٨٢ باب ٣٧٨ ح ٣. (٢) الكافي، ج ٧ ص ١٣٨١ باب ٢٠٢ ح ١٠.

ذكر استطراداً. فإنّ استعلام عدد النفس لا يتوقّف عليه، ولم أر من عمل به سوى الشيخ يحيى بن سعيد في جامعه. وقال العلاّمة رحمه الله في التحرير: في انقطاع النفس الدية، وفي بعضه بحسب ما يراه.

٣٠ - **التهذيب:** بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر: لا تواروا إلاّ كميشاً - يعني به من كان ذكره صغيراً - وقال: لا يكون ذلك إلاّ في كرام الناس(١).

٣١ - **توحيد المفضل:** فكّر يا مفضّل كيف جعلت آلات الجماع في الذكر والأنثى جميعاً على ما يشاكل ذلك، فجعل للذكر آلة ناشرة تمتدّ حتّى تصل النطفة إلى الرحم، إذ كان محتاجاً إلى أن يقذف ماءه في غيره. وخلق للأنثى وعاء قعر ليشتمل على المائين جميعاً، ويحتمل الولد ويتّسع له ويصونه حتّى يستحكم. أليس ذلك من تدبير حكيم لطيف؟! سبحانه وتعالى عمّا يشركون.

فكّر يا مفضّل في أعضاء البدن أجمع، وتدبير كلّ منها للإرب: فاليدان للعلاج والرجلان للسعي، والعينان للاهتداء، والفم للاغتذاء، والمعدة للهضم، والكبد للتخليص والمنافذ لتنفيذ الفضول، والأوعية لحملها، والفرج لإقامة النسل، وكذلك جميع الأعضاء إذا تأمّلتها وأعملت فكرك فيها ونظرك وجدت كلّ شيء منها قد قدّر لشيء على صواب وحكمة.

قال المفضّل: فقلت: يا مولاي! إنّ قوماً يزعمون أنّ هذا من فعل الطبيعة. فقال: سلهم عن هذه الطبيعة: أهي شيء له علم وقدرة على مثل هذه الأفعال أم ليست كذلك؟ فإن أوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من إثبات الخالق. فإنّ هذه صفته وإن زعموا أنّها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولا عمد وكان في أفعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة علم أنّ هذا الفعل للخالق الحكيم، وأنّ الّذي سمّوه طبيعة هو سنّة في خلقه، الجارية على ما أجراها عليه.

فكّر يا مفضّل في وصول الغذاء إلى البدن وما فيه من التدبير، فإنّ الطعام يصير إلى المعدة فتطبخه وتبعث بصفوه إلى الكبد في عروق رقاق واشجة بينهما قد جعلت كالمصفّي للغذاء لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء فينكأها، وذلك أنّ الكبد رقيقة لا تحتمل العنف، ثمّ إنّ الكبد تقبله، فيستحيل بلطف التدبير دماً وينفذ إلى البدن كلّه في مجاري مهيّأة لذلك بمنزلة المجاري الّتي تهيّأ للماء حتّى يطّرد إلى الأرض كلّها، وينفذ ما يخرج منه [من] الخبث والفضول إلى مغائض قد أُعدّت لذلك: فما كان منه من جنس المرّة الصفراء جرى إلى المرارة، وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال، وما كان من البلّة والرطوبة جرى إلى المثانة. فتأمّل حكمة التدبير في تركيب البدن ووضع هذه الأعضاء منه مواضعها، وإعداد هذه الأوعية فيه لتحمل

(١) تهذيب الأحكام، ج ٦ ص ١٧٢ ح ٣٣٦.

تلك الفضول لئلاّ تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه. فتبارك من أحسن التقدير، وأحكم التدبير وله الحمد كما هو أهله ومستحقّه.

قال المفضّل: [فقلت:] صف نشوء الأبدان ونموّها حالاً بعد حال حتّى تبلغ التمام والكمال. فقال عليه السلام: أوّل ذلك تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه عين ولا تناله يد، ويدبّره حتّى يخرج سويّاً مستوفياً جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الأحشاء والجوارح والعوامل إلى ما في تركيب أعضائه من العظام واللحم والشحم والمخّ والعصب والعروق والغضاريف. فإذا خرج إلى العالم تراه كيف ينمى بجميع أعضائه وهو ثابت على شكله وهيئته لا تتزايد ولا تنقص إلى أن يبلغ أشدّه إن مدّ في عمره، أو يستوفي مدّته قبل ذلك. هل هذا إلاّ من لطيف التدبير والحكمة؟!

يا مفضّل انظر إلى ما خصّ به الإنسان في خلقه تشريفاً وتفضيلاً على البهائم فإنّه خلق ينتصب قائماً ويستوي جالساً ليستقبل الأشياء بيديه وجوارحه ويمكنه العلاج والعمل بهما، فلو كان مكبوباً على وجهه كذات الأربع لما استطاع أن يعمل شيئاً من الأعمال.

انظر الآن يا مفضّل إلى هذه الحواسّ الّتي خصّ بها الإنسان في خلقه وشرّف بها على غيره كيف جعلت العينان في الرأس كالمصابيح فوق المنارة ليتمكّن من مطالعة الأشياء، ولم تجعل في الأعضاء الّتي تحتهنّ كاليدين والرجلين فتعرضها الآفات وتصيبها من مباشرة العمل والحركة ما يعلّلها ويؤثّر فيها وينقص منها. ولا في الأعضاء الّتي وسط البدن كالبطن والظهر فيعسر تقلّبها واطّلاعها نحو الأشياء. فلمّا لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع كان الرأس أسنى المواضع للحواسّ. وهو بمنزلة الصومعة لها. فجعل الحوّاس خمساً تلقى خمساً لكيلا يفوتها شيء من المحسوسات: فخلق البصر ليدرك الألوان، فلو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها لم يكن فيها منفعة؛ وخلق السمع ليدرك الأصوات فلو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها إرب؛ وكذلك سائر الحواسّ ثمّ هذا يرجع متكافئاً: فلو كان بصراً ولم يكن ألواناً لما كان للبصر معنى؛ ولو كان سمع ولم يكن أصوات لم يكن للسمع موضع. فانظر كيف قدّر بعضها يلقى بعضاً فجعل لكلّ حاسّة محسوساً يعمل فيه، ولكلّ محسوس حاسّة تدركه، ومع هذا فقد جعلت أشياء متوسّطة بين الحواس والمحسوسات لا يتمّ الحواسّ إلاّ بها كمثل الضياء والهواء، فإنّه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر لم يكن البصر يدرك اللون. ولو لم يكن هواء يؤدّي الصوت إلى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت. فهل يخفى على من صحّ نظره وأعمل فكره أنّ مثل هذا الّذي وصفت من تهيئة الحواسّ والمحسوسات بعضها يلقى بعضاً وتهيئة أشياء أُخر بها تتمّ الحواسّ لا يكون إلاّ بعمد وتقدير من لطيف خبير؟

فكّر يا مفضّل في من عدم البصر من الناس وما يناله من الخلل في أموره، فإنّه لا يعرف

موضع قدمه ولا يبصر ما بين يديه. فلا يفرّق بين الألوان وبين المنظر الحسن والقبيح. ولا يرى حفرة إن هجم عليها، ولا عدوّاً إن أهوى إليه بسيف، ولا يكون له سبيل إلى أن يعمل شيئاً من هذه الصناعات مثل الكتابة والتجارة والصياغة، حتّى أنّه لولا نفاذ ذهنه لكان بمنزلة الحجر الملقى. وكذلك من عدم السمع يختلّ في أمور كثيرة، فإنّه يفقد روح المخاطبة والمحاورة، ويعدم لذّة الأصوات واللحون الشجية المطربة، ويعظم المؤنة على الناس في محاورته حتّى يتبرّموا به. ولا يسمع شيئاً من أخبار الناس وأحاديثهم، حتّى يكون كالغائب وهو شاهد، أو كالميّت وهو حيّ. فأمّا من عدم العقل فإنّه يلحق بمنزلة البهائم، بل يجهل كثيراً ممّا يهتدي إليه البهائم! أفلا ترى كيف صارت الجوارح والعقل وسائر الخلال الّتي بها صلاح الإنسان، والّتي لو فقد منها شيئاً لعظم ما يناله في ذلك من الخلل، يوافي خلقه على التمام حتّى لا يفقد شيئاً منها. فلم كان كذلك إلاّ لأنّه خلق بعلم وتقدير.

قال المفضّل: فقلت: فلم صار بعض الناس يفقد شيئاً من هذه الجوارح فيناله في ذلك مثل ما وصفته يا مولاي؟

قال عليه السلام: ذلك للتأديب والموعظة لمن يحلّ ذلك به ولغيره بسببه، كما قد يؤدّب الملوك الناس للتنكيل والموعظة فلا ينكر ذلك عليهم بل يحمد من رأيهم ويصوّب من تدبيرهم. ثمّ إنّ للّذين تنزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت إن شكروا وأنابوا لما يستصغرون معه ما ينالهم منها، حتّى أنّهم لو خيّروا بعد الموت لاختاروا أن يردّوا إلى البلايا ليزدادوا من الثواب.

فكّر يا مفضّل في الأعضاء الّتي خلقت أفراداً وأزواجاً وما في ذلك من الحكمة والتقدير والصواب في التدبير. فالرأس ممّا خلق فرداً، ولم يكن للانسان صلاح في أن يكون أكثر من واحد. ألا ترى أنّه لو أضيف إلى رأس الإنسان رأس آخر لكان ثقلاً عليه من غير حاجة إليه، لأنّ الحواسّ الّتي يحتاج إليها مجتمعة في رأس واحد. ثمّ كان الإنسان ينقسم قسمين لو كان له رأسان، فإن تكلّم من أحدهما كان الآخر معطّلاً لا إرب فيه ولا حاجة إليه، وإن تكلّم منهما جميعاً بكلام واحد كان أحدهما فضلاً لا يحتاج إليه، وإن تكلّم بأحدهما بغير الّذي تكلّم به من الآخر لم يدر السامع بأيّ ذلك يأخذ، وكان أشباه هذا الاختلاط. واليدان ممّا خلق أزواجاً، ولم يكن للانسان خير في أن يكون له واحدة، لأنّ ذلك كان يخلّ به في ما يحتاج إلى معالجته من الأشياء. ألا ترى أنّ النجّار والبنّاء لو شلّت إحدى يديه لا يستطيع أن يعالج صناعته، وإن تكلّف ذلك لم يحكمه ولم يبلغ منه ما يبلغه إذا كانت له يدان يتعاونان على العمل.

أطل الفكر يا مفضّل في الصوت والكلام وتهيئة آلاته في الأسنان. فالحنجرة كالأنبوبة لخروج الصوت، واللسان والشفتان والأسنان لصياغة الحروف والنغم. ألا ترى أنّ من

سقطت أسنانه لم يقم السين، ومن سقطت شفته لم يصحّح الفاء، ومن ثقل لسانه لم يفصح الراء. وأشبه شيء بذلك المزمار الأعظم، فالحنجرة يشبه قصبة المزمار، والرئة يشبه الزقّ الّذي ينفخ فيه لتدخل الريح، والعضلات الّتي تقبض [على] الرئة ليخرج الصوت كالأصابع الّتي تقبض على الزقّ حتّى تجري الريح في المزمار، والشفتان والأسنان الّتي تصوغ الصوت حروفاً ونغماً كالأصابع الّتي تختلف في [فم] المزمار، فتصوغ صفيره ألحاناً، غير أنّه وإن كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالدلالة والتعريف، فإنّ المزمار بالحقيقة هو المشبّه بمخرج الصوت.

قد أنبأتك بما في الأعضاء من الغناء من صنعة الكلام وإقامة الحروف. وفيها مع الّذي ذكرت لك مآرب أُخرى. فالحنجرة ليسلك فيها هذا النسيم إلى الرئة فتروّح عن الفؤاد بالنفَس الدائم المتابع الّذي لو حبس شيئاً يسيراً لهلك الإنسان وباللسان تذاق الطعوم، فيميّز بينها، ويعرف كلّ واحد منها: حلوها من مرّها، وحامضها من مزّها، ومالحها من عذبها. وطيّبها من خبيثها. وفيه مع ذلك معونة على اساغة الطعام والشراب. والأسنان تمضغ الطعام حتّى يلين ويسهل إساغته. وهي مع ذلك كالسند للشفتين تمسكهما وتدعمهما من داخل الفم. واعتبر ذلك بأنّك ترى من سقطت أسنانه مسترخي الشفة ومضطربها. وبالشفتين يترشّف الشراب، حتّى يكون الّذي يصل إلى الجوف منه بقصد وقدر، لا يثجّ ثجّاً فيغصّ به الشارب أو ينكأ في الجوف، ثمّ هما بعد ذلك كالباب المطبق على الفم يفتحهما الإنسان إذا شاء ويطبقهما إذا شاء.

ففي ما وصفنا من هذا بيان أنّ كلّ واحد من هذه الأعضاء يتصرّف وينقسم إلى وجوه من المنافع كما تتصرّف الأداة الواحدة في أعمال شتّى، وذلك كالفأس يستعمل في النجارة والحفر وغيرهما من الأعمال.

لو رأيت الدماغ إذا كشف عنه لرأيته قد لفّ بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض وتمسكه فلا يضطرب، ولرأيت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة كيما يفتّه هدّ الصدمة والصكّة الّتي ربما وقعت في الرأس. ثمّ قد جلّلت الجمجمة بالشعر حتّى صار بمنزلة الفرو للرأس تستره من شدّة الحرّ والبرد فمن حصّن الدماغ هذا التحصين إلاّ الّذي خلقه وجعله ينبوع الحسّ والمستحقّ للحيطة والصيانة لعلوّ منزلته من البدن وارتفاع درجته وخطر مرتبته؟!

[تأمّل] يا مفضّل الجفن على العين كيف جعل كالغشاء، والأشفار كالأشراج، وأولجها في هذا الغار، وأظلّها بالحجاب وما عليه من الشعر!

[فكّر] يا مفضّل من غيّب الفؤاد في جوف الصدر وكساه المدرعة الّتي هي غشاؤه وحصّنه بالجوانح وما عليها من اللحم والعصب لئلاّ يصل إليه ما ينكأه؟ من جعل في الحلق منفذين: أحدهما لمخرج الصوت وهو الحلقوم المتّصل بالرئة، والآخر منفذ للغذاء وهو المريء

المتّصل بالمعدة، الموصل الغذاء إليها، وجعل على الحلقوم طبقاً يمنع الطعام أن يصل إلى الرئة فيقتل؟ من جعل الرئة مروحة الفؤاد لا تفتر ولا تخلّ لكيلا تتحيّز الحرارة في الفؤاد فتؤدّي إلى التلف؟ من جعل لمنافذ البول والغائط أشراجاً تضبطهما لئلاّ يجريا جرياناً دائماً فيفسد على الإنسان عيشه؟ فكم عسى أن يحصي المحصي من هذا! بل الّذي لا يحصى منه ولا يعلمه الناس أكثر.

من جعل المعدة عصبانيّة شديدة وقدّرها لهضم الطعام الغليظ؟ ومن جعل الكبد رقيقة ناعمة لقبول الصفو اللطيف من الغذاء، ولتهضم وتعمل ما هو ألطف من عمل المعدة إلاّ الله القادر؟ أترى الإهمال يأتي بشيء من ذلك؟ كلاّ بل هو تدبير من مدبّر حكيم قادر عليم بالأشياء قبل خلقه إيّاها لا يعجزه شيء وهو اللطيف الخبير.

فكّر يا مفضّل لم صار المخّ الرقيق محصّناً في أنابيب العظام؟ هل ذلك إلاّ ليحفظه ويصونه؟ لم صار الدم السائل محصوراً في العروق بمنزلة الماء في الظروف إلاّ لتضبطه فلا يفيض؟ لم صارت الأظفار على أطراف الأصابع إلاّ وقاية لها ومعونة على العمل؟ لم صار داخل الأذن ملتوياً كهيئة اللولب إلاّ ليطّرد فيه الصوت حتّى ينتهي إلى السمع وليكسر حمّة الريح فلا ينكأ في السمع؟ لم حمل الإنسان على فخذيه وإليتيه هذا اللحم إلاّ ليقيه من الأرض فلا يتألّم من الجلوس عليها كما يألم من نحل جسمه وقلّ لحمه إذا لم يكن بينه وبين الأرض حائل يوقيه صلابتها؟ من جعل الإنسان ذكراً وأنثى إلاّ من خلقه متناسلاً؟ ومن خلقه متناسلاً إلاّ من خلقه مؤمّلاً؟ ومن أعطاه آلات العمل إلاّ من خلقه عاملاً ومن خلقه عاملاً إلاّ من جعله محتاجاً؟ ومن جعله محتاجاً إلاّ من ضربه بالحاجة؟ ومن ضربه بالحاجة إلاّ من توكّل بتقويمه؟ من خصّه بالفهم إلاّ من أوجب له الجزاء؟ من وهب له الحيلة إلاّ من ملّكه الحول؟ ومن ملّكه الحول إلاّ من ألزمه الحجّة؟ من يكفيه ما لا تبلغه حيلته إلاّ من لم يبلغ مدى شكره؟ فكّر وتدبّر ما وصفته، هل تجد الإهمال على هذا النظام والترتيب؟! تبارك الله عمّا يصفون.

أصف لك الآن يا مفضّل الفؤاد اعلم أنّ فيه ثقباً موجّهة نحو القلب الّتي في الرئة تروّح عن الفؤاد، حتّى لو اختلف تلك الثقب فتزايل بعضها عن بعض لما وصل الروح إلى الفؤاد ولهلك الإنسان، فيستجيز ذو فكر ورويّة أن يزعم أنّ مثل هذا يكون بالاهمال، ولا يجد شاهداً من نفسه ينزعه عن هذا القول.

لو رأيت فرداً من مصراعين فيه كلّوب أكنت تتوهّم أنّه جعل كذلك بلا معنى؟ بل كنت تعلم ضرورة أنّه مصنوع يلقى فرداً آخر فتبرزه ليكون في اجتماعهما ضرب من المصلحة. وهكذا تجد الذكر من الحيوان كأنّه فرد من زوج مهيّأ من فرد أنثى فيلتقيان لما فيه من دوام النسل وبقائه. فتبّاً وخيبةً وتعساً لمنتحلي الفلسفة كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقة العجيبة حتّى أنكروا التدبير والعمد فيها!

لو كان فرج الرجل مسترخياً كيف [كان] يصل إلى قعر الرحم حتّى يفرغ النطفة فيه، ولو كان منعظاً أبداً كيف كان الرجل يتقلّب في الفراش ويمشي بين الناس وشيء شاخص أمامه! ثمّ يكون في ذلك مع قبح المنظر تحريك الشهوة في كلّ وقت من الرجال والنساء جميعاً. فقدّر الله - جلّ اسمه - أن يكون أكثر ذلك لا يبدو للبصر في كلّ وقت، ولا يكون على الرجال منه مؤنة، بل جعل فيه القوّة على الانتصاب وقت الحاجة إلى ذلك لما قدّر أن يكون فيه من دوام النسل وبقائه.

اعتبر الآن يا مفضّل بعظم النعمة على الإنسان في مطعمه ومشربه وتسهيل خروج الأذى. أليس من حسن التقدير في بناء الدار أن يكون الخلاء في أستر موضع فيها؟ فهكذا جعل الله سبحانه المنفذ المهيّأ للخلاء من الإنسان في أستر موضع منه فلم يجعله بارزاً من خلقه ولا ناشراً من بين يديه، بل هو مغيّب في موضع غامض من البدن مستور محجوب يلتقي عليه الفخذان وتحجبه الأليتان بما عليهما من اللحم فيواريانه. فإذا احتاج الإنسان إلى الخلاء وجلس تلك الجلسة ألفى ذلك المنفذ منه منصبّاً مهيّأً لانحدار الثفل. فتبارك [الله] من تظاهرت آلاؤه، ولا تحصى نعماؤه.

فكّر يا مفضّل في هذه الطواحن الّتي جعلت للانسان، فبعضها حداد لقطع الطعام وقرضه. وبعضها عراض لمضغه ورضّه، فلم ينقص واحد من الصفتين إذ كان محتاجاً إليهما جميعاً.

تأمّل واعتبر بحسن التدبير في خلق الشعر والأظفار، فإنّهما لمّا كانا ممّا يطول ويكثر حتّى يحتاج إلى تخفيفه أوّلاً فأوّلاً جعلا عديمي الحسّ لئلاّ يؤلم الإنسان الأخذ منهما. ولو كان قصّ الشعر وتقليم الأظفار ممّا يوجد له مسّ ذلك لكان الإنسان من ذلك بين مكروهين: إمّا أن يدع كلّ واحد منهما حتّى يطول فيثقل عليه، وإمّا أن يخفّفه بوجع وألم يتألّم منه.

قال المفضّل: فقلت: فلم لم يجعل ذلك خلقة لا تزيد فيحتاج الإنسان إلى النقصان منه؟ فقال عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى في ذلك على العبد نعماً لا يعرفها فيحمد عليها. اعلم أنّ آلام البدن وأدواءه تخرج بخروج الشعر في مسامّه وبخروج الأظفار من أناملها. ولذلك أمر الإنسان بالنورة وحلق الرأس وقص الأظفار في كلّ أسبوع ليسرع الشعر والأظفار في النبات فتخرج الآلام والأدواء بخروجهما. وإذا طالا تحيّرا وقلّ خروجهما فاحتبست الآلام والأدواء في البدن فأحدثت عللاً وأوجاعاً، ومنع مع ذلك الشعر من المواضع الّتي يضرّ بالإنسان ويحدث عليه الفساد والضرر: لو نبت الشعر في العين ألم يكن سيعمى البصر؟ ولو نبت في الفم ألم يكن سينغّص على الإنسان طعامه وشرابه؟ ولو نبت في باطن الكفّ ألم يكن سيعوّقه عن صحّة اللمس وبعض الأعمال؟ ولو نبت في فرج المرأة على ذكر الرجل ألم يكن سيفسد عليهما لذّة الجماع؟ فانظر كيف تنكّب الشعر هذه المواضع لما في ذلك من

المصلحة. ثمّ ليس هذا في الإنسان فقط، بل تجده في البهائم والسباع وسائر المتناسلات، فإنّك ترى أجسامهنّ مجلّلة بالشعر، وترى هذه المواضع خالية منه لهذا السبب بعينه. فتأمّل الخلقة كيف تتحرّز وجوه الخطأ والمضرّة وتأتي بالصواب والمنفعة. إنّ المنانيّة وأشباههم حين اجتهدوا في عيب الخلقة والعمد عابوا الشعر النابت على الركب والإبطين ولم يعلموا أنّ ذلك من رطوبة تنصبّ إلى هذه المواضع فينبت فيها الشعر كما ينبت العشب في مستنقع المياه. أفلا ترى إلى هذه المواضع أستر وأهيأ لقبول تلك الفضلة من غيرها. ثمّ إنّ هذه تعدّ ممّا يحمل الإنسان من مؤنة هذا البدن وتكاليفه لما له في ذلك من المصلحة، فإنّ اهتمامه بتنظيف بدنه وأخذ ما يعلوه من الشعر ممّا يكسر به شرّته، ويكفّ عاديته، ويشغله عن بعض ما يخرجه إليه الفراغ من الأشر والبطالة.

تأمّل الريق وما فيه من المنفعة، فإنّه جعل يجري جرياناً دائماً إلى الفم ليبلّ الحلق واللّهوات فلا يجفّ، فإنّ هذه المواضع لو جعلت كذلك، كان فيه هلاك الإنسان ثمّ كان لا يستطيع أن يسيغ طعاماً إذا لم يكن في الفم بلّة تنفذه، تشهد بذلك المشاهدة واعلم أنّ الرطوبة مطيّة الغذاء، وقد تجري من هذه البلّة إلى موضع آخر من المرّة فيكون في ذلك صلاح تامّ للانسان، ولو يبست المرّة لهلك الإنسان ولقد قال قوم من جهلة المتكلّمين وضعفة المتفلسفين بقلّة التمييز وقصور العلم: لو كان بطن الإنسان كهيئة القباء يفتحه الطبيب إذا شاء فيعاين ما فيه، ويدخل يده فيعالج ما أراد علاجه، ألم يكن أصلح من أن يكون مصمتاً محجوباً عن البصر واليد لا يعرف ما فيه إلاّ بدلالات غامضة كمثل النظر إلى البول وجسّ العرق وما أشبه ذلك ممّا يكثر فيه الغلط والشبهة حتّى ربما كان ذلك سبباً للموت؟ فلو علم هؤلاء الجهلة أنّ هذا لو كان هكذا أوّل ما فيه أنّه كان يسقط عن الإنسان الوجل من الأمراض والموت وكان يستشعر البقاء ويغترّ بالسلامة، فيخرجه ذلك إلى العتوّ والأشر. ثمّ كانت الرطوبات الّتي في البطن تترشّح وتتحلّب فيفسد على الإنسان مقعده ومرقده وثياب بذلته وزينته، بل كان يفسد عليه عيشه.

ثمّ إنّ المعدة والكبد والفؤاد إنّما تفعل أفعالها بالحرارة الغريزيّة الّتي جعلها الله محتبسة في الجوف، فلو كان في البطن فرج ينفتح حتّى يصل البصر إلى رؤيته واليد إلى علاجه لوصل برد الهواء إلى الجوف، فمازج الحرارة الغريزيّة وبطل عمل الأحشاء، فكان في ذلك هلاك الإنسان. أفلا ترى أنّ كلّ ما تذهب إليه الأوهام سوى ما جاءت به الخلقة خطأ وخطل(١)!

أقول: قد مرّ شرح الجميع في كتاب التوحيد. من أراد ذلك فليرجع إليه.

٣٢ - **الدر المنثور:** عن وهب بن منبّه، قال: خلق الله ابن آدم كما شاء وبما شاء، فكان كذلك، فتبارك الله أحسن الخالقين. خلق من التراب والماء، فمنه لحمه ودمه وشعره

---

(١) توحيد المفضل، ص ٥٤-٧٥.

وعظامه وجسده، فهذا بدء الخلق الّذي خلق الله منه ابن آدم ثمّ جعلت فيه النفس، فبها يقوم ويقعد، ويسمع ويبصر، ويعلم ما تعلم الدوابّ، ويتّقي ما تتّقي. ثمّ جعلت فيه الروح، فبه عرف الحقّ من الباطل، والرشد من الغيّ، وبه حذر وتقدّم واستتر وتعلّم ودبّر الأمور كلّها. فمن التراب يبوسته، ومن الماء رطوبته. فهذا بدء الخلق الّذي خلق الله منه ابن آدم كما أحبّ أن يكون. ثمّ جعل فيه من هذه الفطر الأربع أنواعاً من الخلق في جسد ابن آدم، فهي قوام جسده وملاكه بإذن الله وهي المرّة السوداء، والمرّة الصفراء والدم والبلغم. فيبوسته وحرارته من قبل النفس ومسكنها في الدم، ورطوبته وبرودته من قبل الروح ومسكنه في البلغم. فإذا اعتدلت هذه الفطر في الجسد فكان من كلّ واحد ربع كان جلداً كاملاً وجسماً صحيحاً، وإن كثر واحد منها على صاحبه علاها وقهرها وأدخل عليها السقم من ناحيته، وإن قلّ عنها واحد منها غلبت عليه وقهرته ومالت به، فضعف عن قوّتها وعجز عن طاقتها وأدخل عليها السقم من ناحيته. فالطبيب العالم بالداء والدواء يعلم من الجسد حيث أتى سقمه، أمن نقصان أو من زيادة[١].

٣٣ - وعن ابن عبّاس، قال: إنّ الله أوحى إلى داود أن يسأل سليمان عن أربع عشرة كلمة، فإن أجاب ورّثه العلم والنبوّة. قال: أخبرني يا بنيّ أين موضع العقل منك؟ قال: الدماغ، قال: أين موضع الحياء منك؟ قال: العينان، قال: أين موضع الباطل منك؟ قال: الأذنان، قال: أين باب الخطيئة منك؟ قال: اللسان، قال: أين طريق الريح منك؟ قال: المنخران، قال: أين موضع الأدب والبيان منك؟ قال: الكلوتان، قال: أين باب الفظاظة والغلظة منك؟ قال: الكبد، قال: أين بيت الريح منك؟ قال: الرئة، قال: أين باب الفرج منك؟: قال الطحال، قال: أين باب الكسب منك؟ قال: اليدان قال: أين باب النصب منك؟ قال: الرجلان، قال: أين باب الشهوة منك؟ قال: الفرج، قال: أين باب الذرّيّة منك؟ قال: الصلب. قال: أين باب العلم والفهم والحكمة؟ قال: القلب، إذا صلح القلب، صلح ذلك كلّه، وإذ فسد القلب فسد ذلك كلّه[٢].



(١) - (٢) الدر المنثور، ج ٥ ص ٣٠٧-٣٠٩.

فهرس الجزء السابع والخمسون

فهرس الجزء الثمان والخمسون

رموز الكتاب

ب : لقرب الاسناد.
بشا : لبشارة المصطفى.
تم : لفلاح السائل.
ثو : لثواب الاعمال.
ج : للاحتجاج.
جا : لمجالس المفيد.
جش : لفهرست النجاشي.
جع : لجامع الاخبار.
جم : لجمال الاسبوع.
جنة : للجنة الواقية.
حة : لفرحة الغري.
ختص : لكتاب الإختصاص.
خص : لمنتخب البصائر.
د : للعدد القوية.
سر : للسرائر.
سن : للمحاسن.
شا : للإرشاد.
شف : لكشف اليقين.
شي : لتفسير العياشي.
ص : لقصص الأنبياء.
صا : للإستبصار.
صبا : لمصباح الزائر.
صح : لصحيفة الرضا (ع).
ضا : لفقه الرضا (ع).
ضوء : لضوء الشهاب.
ضه : لروضة الواعظين.
ط : للصراط المستقيم.
طا : لامان الأخطار.
طب : لطب الأئمة.
ع : لعلل الشرائع.
عا : لدعائم الاسلام.
عد : للعقائد.
عدة : لعدة الداعي.
عم : لاعلام الورى.
عين : للعيون والمحاسن.
غر : للغرر والدرر.
غط : لغيبة الشيخ الطوسي.
غو : لغوالي اللئالي.
ف : لتحف العقول.
فتح : لفتح الأبواب.
فر : لتفسير فرات الكوفي.
فس : لتفسير علي بن ابراهيم.
فض : لكتاب الروضة.
ق : للكتاب العتيق الغروي.
قب : لمناقب ابن شهرآشوب.
قبس : لقبس المصباح.
قضا : لقضاء الحقوق.
قل : لإقبال الأعمال.
قية : للدروع الواقية.
ك : لإكمال الدين.
كا : للكافي.
كش : لرجال الكشي.
كشف : لكشف الغمة.
كف : لمصباح الكفعمي.
كنز : لكنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة معاً.
ل : للخصال.
لد : للبلد الأمين.
لي : لأمالي الصدوق.
م : لتفسير الإمام العسكري (ع).
ما : لأمالي الطوسي.
محص : للتمحيص.
مد : للعمدة.
مص : لمصباح الشريعة.
مصبا : للمصباحين.
مع : لمعاني الأخبار.
مكا : لمكارم الأخلاق.
مل : لكامل الزيارة.
منها : للمنهاج.
مهج : لمهج الدعوات.
ن : لعيون أخبار الرضا (ع).
نبه : لتنبيه الخاطر.
نجم : لكتاب النجوم.
نص : للكفاية.
نهج : لنهج البلاغة.
ني : لغيبة النعماني.
هد : للهداية.
يب : للتهذيب.
يج : للخرائج.
يد : للتوحيد.
ير : لبصائر الدرجات.
يف : للطرائف.
يل : للفضائل.
ين : لكتابي الحسين بن سعيد أو لكتابه والنوادر.
يه : لمن لا يحضره الفقيه